

مجلة

دراسات في التاريخ والآثار

مجلة علمية محكمة

رئيس التحرير : أ.د. رفاه جاسم حمادي

مدير التحرير : أ.د. عادل شايث جابر

اعضاء هيئة التحرير

أ.د. محمود عبد الواحد القيسي / كلية الآداب / جامعة بغداد

أ.د. باسمه جليل عبد / كلية الآداب / جامعة بغداد

أ.د. أنعام مهدي علي / كلية الآداب / جامعة بغداد

أ.د. سهيلة مزبان / كلية التربية / ابن رشد

أ.د. سالم الحاج محمود / كلية التربية / جامعة المستنصرية

أ.د. علي ياسين الجبوري / كلية الآثار / جامعة الموصل

أ.م.د. فاروق محمد علي / كلية الآداب / جامعة بغداد

أ.د. طارق منصور / كلية الآداب / جامعة عين شمس

أ.د. خديجة نشار / معهد الآثار / الجزائر

مجلة دراسات في التاريخ والآثار - جامعة بغداد - كلية الآداب - بغداد

ملحق العدد (٧١) لشهر ايلول لسنة ٢٠١٩

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٧٦٥) لسنة ٢٠٠٢

ISSN:2075-3047

الترقيم الدولي :

البريد الالكتروني : jasha@coat.uobaghdad.edu.iq

مجلة دراسات في التاريخ والآثار - جامعة بغداد - كلية الآداب - بغداد
ملحق العدد (٧١) لشهر ايلول لسنة ٢٠١٩
عدد الصفحات : ٦١١ صفحة

تصميم واخراج
علا صالح الجراح



دار ومكتبة كلماش للطباعة والنشر
بغداد - باب المعظم - شارع المكاتب
07729093707 - 07736558370
ola.algarah88@gmail.com

رئيس الهيئة الاستشارية

أ.د. طالب منعم حبيب / جامعة واسط - كلية الآداب

أعضاء الهيئة الاستشارية

أ.د. زكية حسن إبراهيم	جامعة بغداد / كلية الآداب
أ.د. سعاد هادي حسن الطائي	جامعة بغداد / كلية التربية / ابن رشد
أ.د. عادل تقوي البلداوي	الجامعة المستنصرية / كلية التربية
أ.د. سعد عبود سمار	جامعة بغداد / كلية التربية
أ.د. علاء طه ياسين	جامعة تكريت / كلية التربية
أ.د. عبد الكريم الياسري	جامعة بغداد / كلية التربية / ابن رشد
أ.د. نواله أحمد المتولي	جامعة بغداد / كلية الآداب
أ.م.د. كاظم عبد الله الشمري	جامعة بغداد / كلية التربية للبنات

التصحيح اللغوي : م.د. عبد الحسين موسى

مسؤول الموقع الإلكتروني والبريد الإلكتروني : م.م. هدى هادي علوش

سكرتير تحرير المجلة : م.م. هدى هادي علوش

شروط النشر في المجلة

١. أن يكون متنسماً بالجددة والموضوعية ويدخل ضمن الاختصاصات التي تختص بها المجلة .
٢. إعتناء الأسلوب العلمي في كتابة الموضوع سواء بما يتعلق بالهوامش أو الأمانة العلمية.
٣. سلامة البحث من الأخطاء اللغوية والمطبعية وخاضعاً للتقويم العلمي .
٤. أن تكون طباعة الهوامش في نهاية البحث .
٥. أن يكون حجم البحث معقولاً ولا يتجاوز الخمسين صفحة .
٦. أن لا يكون البحث مستقلاً من رسالة أو أطروحة جامعية لغير طلبة الدراسات العليا .
٧. يقدم الباحث نسخة مطبوعة مع قرص مدمج للمادة المقدمة للنشر- مع مبلغ خمسين ألف دينار للباحثين داخل العراق ومائة دولار للباحثين من خارج العراق.
٨. يفضل أن يحتفظ الباحث بنسخة أخرى من القرص المدمج .
٩. يفضل أن ينتهي البحث بخلاصة باللغة الانكليزية .
١٠. المجلة غير مسؤولة عن إرجاع البحوث المنسوخة أو الأقراص المدمجة .

فهرس العدد (٧١)

ت	اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
١.	المصادر التاريخية لدراسة ظاهرة السكن العشوائي	أ.د. وجدان فريق عناد	١٠-٣
٢.	الدراهم الصليبية المقلدة لدراهم الملك الظاهر غازي في حلب	امجد هاشم محول الدفاعي أ.د. ناهض عبد الرزاق دفتر	٣٠-١١
٣.	نصوص مسمارية اقتصادية غير منشورة من العصر الاكدي	عمار ياسر مطلق أ.د. منذر علي عبد المالك	٤٠-٣١
٤.	الأبعاد الإصلاحية لثورة الامام الحسين (عليه السلام)	١. د. سهيلة مزبان حسن م.م. ثائر عبد العزيز عبد الحسين	٦٢-٤١
٥.	دمى فخارية غير منشورة من المتحف العراقي	م.م. عادل شاكر وهام الزيايدي أ.م.د. قصي صبحي عباس الجميلي	٧٦-٦٣
٦.	امكنة التعليم في طبس	أ.م.د. عكرمة كامل محمد الساعدي علي نجم عبدالله الفياض	١٠٢-٧٧
٧.	موقف الصحافة العراقية في ضوء الموقف الدولي والاقليمي والعربي من القضية الكردية من ٨ شباط ١٩٦٣ - ١٧ تموز ١٩٦٨	أ.د. جاسم محمد عبد عبد السميع خلف عبد	١٢٢-١٠٣
٨.	الزراعة في مصر القديمة أبان عصور ما قبل التاريخ	١.م.د. فاضل كاظم حسين كامل عيدان	١٣٨-١٢٣
٩.	طقوس الحداد في بلاد الرافدين	أ.د. باسمه جليل عبد هاله كريم إبراهيم	١٦٢-١٣٩
١٠.	الزمان والمكان في المشاهد الفنية على الرسوم الجدارية	أ.م.د. قصي صبحي عباس الجميلي فاتن منصور محمد الغانمي	١٨٨-١٦٣

ت	اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
١١.	إسهامات الرباطات والزوايا في الحركة الفكرية في المغرب الإسلامي من الفتح حتى نهاية القرن الرابع الهجري	عبد القدوس محمود شهاب د. طه جميل أحمد	٢١٢-١٨٩
١٢.	فيضان وطاعون بغداد ١٨٣٠-١٨٣١ وانعكاساته على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية	كريم محمد صالح محمد أ.د. محمد كريم المشهداني	٢٤٠-٢١٣
١٣.	السيرة الذاتية للسلطان ابي سعيد	جاسم محمد لعبيبي الساعدي أ.م.د. سهاد خزعل نجيب الربيعي	٢٨٢-٢٤١
١٤.	أثر مصر في المفاوضات الدولية (١٨٨٩-١٩٢٢)	انتصار حسين أحمد أ.م.د. ابتسام محمود جواد	٢٩٨-٢٨٣
١٥.	تجارة اكسوم مع بعض الدول	م.م. غادة فاضل علي أ.د. سهيلة مزبان حسن	٣٢٠-٢٩٩
١٦.	مستعمرة مساشوستس (١٦٢٠-١٦٦٠)	تقوى علي رضا أ.م.د. سعاد رؤوف شير محمد	٣٣٨-٣٢١
١٧.	العمارة الإسلامية في الفترة التيمورية	سلوى إبراهيم توفيق أ.م.د. د. فاروق محمد علي	٣٥٣-٣٣٩
١٨.	الحياة العلمية لمدينة بَجَاة الاندلسية للفترة ٩٢-٤٥٩هـ / ٧١١-١٠٦٧م	احمد كاظم عويد أ.د. صباح خابط عزيز سعيد	٣٨٧-٣٥٤
١٩.	خان حسين خواجه في الحلة " دراسة ميدانية "	دنيا فاضل عباس أ.د. رفاه جاسم السامرائي	٤١٥-٣٨٨
٢٠.	شركة فرجينيا ودورها في تأسيس مستعمرة فرجينيا (١٦٠٦ - ١٦٢٤)	ناطق عزيز شناوة الساعدي أ.م.د. مأمون شاكر اسماعيل	٤٤٥-٤١٦
٢١.	الإجراءات المتخذة لحماية الموروث الحضاري الرافديني	عباس عبد منديل أ.د. نواله أحمد محمود المتولي أ.م.د. لمى عبد الباقي محمود	٤٨١-٤٤٦

ت	اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
٢٢.	العوامل الطبيعية والبيئية المؤثرة في المباني الاثرية	أ.م.د. حيدر فرحان حسين الصبيحاي وفاء رحيم عمران المعموري	٥٠١-٤٨٢
٢٣.	تخطيط وعمارة دائرة بلدية بغداد في محلة جديد حسن باشا	أ.م.د. فاروق محمد علي علي طه عبد الكريم	٥٣١-٥٠٢
٢٤.	أدوات الزينة والحلي في مدينة حربى في ضوء التنقيبات الاثرية	أ. د. رفاه داسم السامرائي علي رائد رشيد	٥٤٧-٥٣٢
٢٥.	صناعة كرسي العرش	م. محمد عبد الحسين فالح أ.م.د. ماجد حسو منصور	٥٦١-٥٤٨
٢٦.	لعلامات الحتمية لظهور الإمام المهدي (عج)	احمد عبد الله حميد أ. د. سامي حمود الحاج جاسم	٥٨٩-٥٦٢
٢٧.	اثر نقباء الطالبين في الجانب العقائدي خلال عهد المغولي الايلخاني	أ.د. عطا سلمان جاسم رنا رسمي هاشم	٦١١-٥٩٠

المصادر التاريخية لدراسة ظاهرة السكن العشوائي

أ.د. وجدان فريق عناد

مركز إحياء التراث العلمي العربي - جامعة بغداد

Wjdan_fareeq@yahoo.com

المصادر التاريخية لدراسة ظاهرة السكن العشوائي

أ.د. وجدان فريق عناد

الملخص :

لا تخلو المصادر التاريخية من الإشارة إلى جذور معظم الظواهر الموجودة في الوقت الحاضر، وإن اختلفت التسمية من عصر إلى آخر، فمصطلح السكن العشوائي غير موجود في كتب التراث، ولكن الظاهرة موجودة وأشارت إليها المؤلفات التاريخية .

Historical sources of study of the phenomenon of random housing

Prof. Dr. Wijdan Fareeq Enad

Revival of Arab Scientific Heritage Center

Abstract

The historical sources are not limited to reference to the roots of most of the phenomena that exist now, and that the name differed from one age to another. The term "random dwelling" was not used, but the phenomenon existed in the Islamic times and was referred to by the heritage books.

المقدمة :

من يدرس تاريخ المسلمين لابد أن يقف باحترام أمام تراث ضخم في شتى جوانب المعرفة الإنسانية، ولكنه لا يزال بحاجة إلى المزيد من الدراسة والتحقيق، لكشف الكنوز العلمية التي تحويها، فتكون مصدر إلهام للباحثين، منبعه روح الشعور بالانتماء إلى حضارة ذات طابع مميز ساهم في بنائها الجميع، بغض النظر عن الجنس أو اللون أو المذهب .

ومن الظواهر الموجودة في عصرنا الحاضر ظاهرة السكن العشوائي هذه الظاهرة ليست وليدة اليوم أو التاريخ القريب، فعند البحث في التراث نجد أن المصادر التاريخية قد أشارت إلى وجود ظاهرة السكن العشوائي في بعض الحقب من تاريخ الدولة الإسلامية .

لذلك تأتي أهمية الموضوع من كون البحث محاولة للأجابة على تسأل هو : هل السكن العشوائي موجود في المصادر التاريخية ؟ وذلك لأنني لمست وجود اعتقاد عند البعض أن هذه الظاهرة غابت عن تلك المصادر كما غابت عن مدن العالم الإسلامي .

وسيحاول البحث الإجابة عن هذا التسأل . وذلك بذكر أهم المصادر التي يمكن البحث فيها وتلمس وجود تلك الظاهرة تاريخياً وذلك وفقاً لمنهج البحث التاريخي . وسيكون البحث مقسم على المحاور الآتية:-

أولاً : تعريف السكن العشوائي

- ثانياً : السكن العشوائي في المصادر التاريخية : مصطلح السكن العشوائي في المصادر التاريخية ، الضوابط العامة للسكن والبناء في منظور الفقه الإسلامي ، مصادر دراسة اسس البناء والسكن العشوائي.

أولاً : تعريف السكن العشوائي

عرف السكن العشوائي وفقاً للوثيقة الصادرة من مركز التجمعات البشرية التابعة للأمم المتحدة (هابيتات) : " إن المستوطنات العشوائية هي أساساً مناطق سكانية ذات دخل منخفض غير منظمة ووضعها القانوني مبهم فيما يتعلق بامتلاك الأرض وهي في الوقت نفسه سيئة المرافق والخدمات " (١).

وبشكل عام يمكن وصفها بأنه البناء الذي لا ينتمي إلى نسيج المدينة، ولا يوجد تصميم تفصيلي له، وهي بهذا مخالفة قانونية، فهو لا يشكل امتداداً معمارياً للهياكل والتصاميم التي اتصفت بها مناطق المدينة، فكونت مناطق متهرئة تفتقد إلى الخدمات العامة والشوارع ذات النسق الهندسي المخطط، فتتعدى اللامساواة الجمالية البصرية لأبنية المتجاوزين، وينعدم التنظيم الفضائي بما يتلائم والتكوين العام للمدينة، نتيجة للمواد المستعملة وتباين المساحات وغياب الضوابط المحددة لتنسيق واجهات الأبنية وتحديد ارتفاعها، فضلاً عن وجود التناثر في استعمال الأرض، فالتجاوز لغرض السكن إلى جانب التجاوز للغرض التجاري والصناعي، وذلك وفقاً لتنوع الأساس الاقتصادي للمتجاوزين، فمنهم من يشتغل بالزراعة، ومنهم أصحاب دخل منخفض، ومنهم يمتن أعمال حرة وخدمية في المحلات التجارية والصناعية (٢).

ربما يمكننا إرجاع سبب التجاوزات على ملكية الأراضي إلى زيادة سعر الأرض مع انخفاض الدخل الفردي، وارتفاع ثمن الإيجار المفروض ، وضعف الرقابة من الأجهزة المعنية وعدم قدرتها على

رصد تلك التجاوزات التي تحدث ، والطمع في أراضي الدولة لتحقيق منافع شخصية، فضلاً عن ارتفاع معدلات النمو السكاني^(٣).

ثانياً : السكن العشوائي في المصادر التاريخية

- مصطلح السكن العشوائي في المصادر التاريخية.

من الطبيعي أن لا نجد مصطلح السكن العشوائي في المصادر التاريخية، لكونه من المصطلحات الحديثة، بيد أن الباحث عن هذه الظاهرة يمكن أن يجد ضالته فيما عرف بالمصادر التاريخية بأسم (فقه العمران أو فقه البناء) وهو من أبواب الفقه القديمة، لأن موضوع البناء وتنظيم العمران من مجالات الفقه الإسلامي .

- الضوابط العامة للسكن والبناء في منظور الفقه الإسلامي .

فقد قدم علماء الفقه الإسلامي دليلاً على تفاعل الفقه مع العمارة المدنية، فمن القواعد الأساس التي اعتمد عليها الفقهاء في تناولهم لأحكام البناء الآلية القرآنية ((خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين))^(٤) ، فقد فسر الفقهاء العرف في هذه الآية بالنسبة لأحكام البنين بما جرى عليه الناس وارتضوه ولم يعترضوا عليه طالما لا يتعارض ذلك مع القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف، أما الحديث النبوي الذي اعتمد عليه الفقهاء في وضع أحكام البنين فهو " لا ضرر ولا ضرار "^(٥) ، هذه القاعدة كانت باب واسع في فقه البناء في العمارة الإسلامية وبنيت عليها أحكام لا حصر لها .

إن الفقه الإسلامي كان له الريادة في التنظيم العمراني، فمثلاً قسمت الطرق في المدينة إلى الطرق العامة، والطرق الخاصة، والطرق العامة والخاصة، واختلفت أحكام الفقه الإسلامي بينها، كما بين الهدف من بناء بوابات الطرق غير النافذة والدروب والعطفات وهو تمييز لحدود أهل ذلك الطريق أو الحي لإشراكهم في ملكية ذلك المكان، فضلاً عن طلب الأمن، وهو يدخل ضمن باب سد الذرائع في الفقه الإسلامي . كما أن حفظ حق الطريق واحترام خط تنظيمه وأثره على الحركة فيه منها حالات التعدي على الطرق وعلى حقوق الجوار، ولم يغفل لفقه العمران الإسلامي العمارة التجارية من الأسواق والقياسر والوكالات التي احتلت جزءاً كبيراً من عناية الفقهاء، لأن فيه احتكاك بين مختلف طبقات المجتمع ، فظهرت أحكام متعلقة بها منها التخصص والتجاور، وظهر ذلك واضحاً في كتب الحسبة، ولم يغفل فقه العمران الإسلامي العمارة السكنية والخدمية وفق مبدأ حيابة الضرر والخصوصية، فترى ذلك واضحاً في واجهات المنازل وتجاورها وعلاقتها ببعضها، فالأحكام الفقهية في خدمة المجتمع المسلم بما يحقق الرفاهية بتوفير أساسيات الحياة فيه كأحكام الحمامات والبيمارستانات والأسبله^(٦).

- مصادر دراسة أسس البناء والسكن العشوائي

من أهم مميزات الحضارة الإسلامية الرقي ويمكن تلمس ذلك من التخطيط والتنظيم منذ النشأة الأولى للمدن، فالمدن التي بنيت مثل البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان لم تبنى بشكل عشوائي، وإنما كانت مبنية وفق أسس محددة، فالمباني والشوارع والميادين العامة مخططة بدقة . ذكر أبو يعلى " مصرت الصحابة البصرة على عهد عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، وجعلوا عرض الشارع الأعظم ستين ذراعاً، وعرض ما سواه من الشوارع عشرين ذراعاً، وعرض الأزقة سبعة أذرع، وجعلوا وسط كل خطة رحبة فسيحة لربط خيولهم وقبور موتاهم " (٧) .

ولم يكن ذلك بالغريب، فمنذ عهد الرسول والخلفاء الراشدين نجد الأحاديث النبوية الشريفة والأحكام العملية حول اتساع الطرقات وتخطيط الأحياء، ومن ثم جاءت مؤلفات الفقهاء من كتب النوازل والفتاوي^(٨)، وكتب علم الشروط والوثائق (السجلات) ^(٩)، وكتب الأفضية والأحكام ^(١٠)، وكتب الحسبة ^(١١)، فبينوا أسس تنظيم البناء، فالبعض جعل تلك الأحكام منثورة في كتبه، والبعض الآخر جعل لها أبواب في تلك المؤلفات، ومن ثم ظهرت كتب مستقلة، وفيها شرحوا حقوق الارتفاق^(١٢).

ويمكن تقسم المصادر لدراسة ظاهرة السكن العشوائي على محورين هما :-

أولاً : المؤلفات المفقودة منها :-^(١٣)

- كتاب القضاء في البنيان لمؤلفه عبد الله بن عبد الحكم (ت ١٩١هـ)
- كتاب الجدار لعيسى بن دينار (ت ٢١٢هـ).
- كتاب البنيان والأشجار والمياه والأنهار لابن حبيب (ت ٢٣٨هـ)
- ثانياً : المؤلفات المطبوعة
- كتاب الجدار لعيسى بن موسى التطيلي (ت ٣٨٦هـ).
- كتاب الحيطان للمرجي الثقفي (من أهل القرن الرابع أو الخامس الهجري).
- كتاب القسمة وأصول الأرضين لأبي العباس أحمد بن محمد الفرسطائي (ت ٥٠٤هـ) .
- كتاب الإعلان بأحكام البنيان لمحمد بن ابراهيم اللخمي المعروف بابن الرومي (ت بحدود ٧٥٠هـ).
- كتاب الفوائد النفيسة الباهرة في بيان حكم شوارع القاهرة في مذاهب الأئمة الزاهرة لأبي حامد المقدسي (ت ٨٩٦هـ).
- كتاب رياض القاسمين لكامي أفندي بن أحمد الأدرنوي (ت ١١٣٦هـ).

ومن تصفح تلك المؤلفات يبدو واضحاً أثرها في بيان جوانب عدة منها: تحديد العقار والحساب والمساحة والجوار والاشتراك وكيفية معالجة إضرار الجار بجاره، والتعدي على الشارع، ونفي الضرر، منه ضرر الدخان والرائحة وايداء الجار، والإضرار بالطرق بتضييقها وإرسال الفضلات إليها، والغصب، ومن مسائله من يبني في أرض غيره بغير إذنه وغيرها . فضلاً عن بيان أصول العمارة في الإسلام من حيث السعة والعرض وأماكن إقامة المرافق العامة كالمساجد والأسواق وغيرها، كما نجد مراعاة لعدم تلويث مياه الأنهار والآبار بمياه البالوعات، كما بينت الأحكام حول تضييق شوارع المدينة في أي مدينة خلافاً للتصميم الأصلي، ونلمس في تلك الكتب آراء متطورة بمفاهيم عصرنا، لأن الفقهاء فيه كانوا يمنعون الخروج عن التخطيط الأساس للمدينة، بما يسئ إلى الآخرين ويشوه المظهر العام، على سبيل المثال منعوا إبراز البناء على الشارع، واستعمال الأرصفة وساحات المساجد لعرض البضائع وبيعها^(١٤)

ومن الشواهد على وجود ظاهرة السكن العشوائي في بعض المدن الإسلامية على سبيل المثال لا الحصر ما حصل في القاهرة في العصر الفاطمي حيث انتشرت ظاهرة التجاوز على تصميم المدينة بما سبب ضرر على المصلحة العامة . فقد بنى بعض أصحاب المباني أنواعاً من البناء العشوائي غير المنظم وبدون موافقة رسمية مما سبب ظلمة وضيق حتى في الشوارع الكبيرة، . واستمر الحال على ما هو عليه حتى عام ٨٨٢هـ حيث أزيلت كل المباني الإضافية بعد أن أصبحت السلطة الحاكمة قوية^(١٥).

ونجد تلك الصورة من الخروج على تصميم المدينة الأصلي بحيث أضر بالمصلحة العامة في دمشق أيضاً في عصر المماليك في عهد الحاكم علم الدين سنجر الشجاعي^{١٦} .

ويبدو من ذلك أن الخروج عن تصميم المدينة الأساس يكون في العهود التي تضعف فيها سلطة الدولة . ولكن الأمور تعود إلى نصابها عندما تسترد الدولة سلطتها .

الخاتمة :

توصل البحث المعنون (المصادر التاريخية لدراسة ظاهرة السكن العشوائي) إلى ما يأتي :-

أن المصادر التاريخية لم تخلو من الإشارة إلى ظاهرة السكن العشوائي ، إلا أنها تقتصر إلى وجوده كمصطلح مدون في ثناياها . كما لا بد من الذكر إلى أن تلك المصادر متنوعة لا تقتصر على نوع محدد من الكتب التاريخية فيمكن أن توجد في رواية تاريخية في كتب التاريخ العامة أو كتب تاريخ المدن أو من مسألة قضائية ترد في كتب القضاء والحسبة أو مشاهدة لظاهرة جذبت الانتباه فدونها الرحالة في

رحلته في مدينة زارها في طريقه أو وردت عرضاً بقصد أو دون قصد في المصادر الجغرافية والأدبية . حتى في كتب التراجم يمكن أن نجد أشارات متناثرة في بطونها، ولا بد من بيان ان مؤلفات فقه العمران تنصدر تلك المصادر . علماً أن تلك المؤلفات لم يكشف عن الكثير منها، والمعروف منها لا يزال بعضه مخطوطاً، لذلك فهو ميدان رحب وواسع للدراسات الأكاديمية والعلمية .

ومن الممكن للباحثين جمع تلك الشواهد التاريخية التي تؤيد وجود تلك الظاهرة عبر العصور الإسلامية ، ولا سيما العصور التي تكون فيها السلطة الحاكمة ضعيفة ، فتلك الظاهرة تنتشر وتتوسع في ظل غياب الرقابة الرسمية نتيجة لذلك الضعف .

قائمة الهوامش:

- ^١ - الزركاني ، خليل حسن ، تجربة أمانة بغداد في معالجة مشكلة المتجاوزين على الأرض العائدة للدولة، (مطبعة الاديب البغدادية ، د.ت) ، ص ٤ .
- ^٢ - المرجع نفسه ، ص ١٤ - ١٥ ، ١٧ - ١٨ .
- ^٣ - المرجع نفسه ، ص ١٦ - ١٧ .
- ^٤ - سورة الأعراف ، ١٩٩ .
- ^٥ - ابن ماجه ، أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ) . سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، م ٢، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٥)، ص ٧٧٤ .
- ^٦ - عزب، خالد ، فقه العمارة الإسلامية، (دار النشر للجامعات، القاهرة ، ١٩٩٧)، ص ٩ - ١٣ .
- ^٧ - أبو يعلى الفراء ، أبو الحسين محمد بن القاضي أبو بعلى محمد بن الحسين (ت ٥٢٦هـ / ١١٣١م)، الأحكام السلطانية، (د.م ، د.ت)، ص ٢٥ .
- ^٨ - كتب النوازل والفتاوي : هي عبارة عن كتب فقهية وتسمى في المغرب الإسلامي بالنوازل وفي المشرق الإسلامي بالفتاوي . ينظر: قاري ، لطف الله ، الإنجازات العلمية للعرب والمسلمين في القرون المتأخرة ، (دار الفیصل الثقافية، الرياض، السعودية، ٢٠٠٦) ، ص ٢٣١
- ^٩ - كتب علم الشروط و الوثائق (السجلات) : وهي كتب غايتها ضبط المكاتبات الرسمية والعقود في المحاكم تحديداً. ينظر: احمد بن مغيث الطليطلي (ت ٤٥٩هـ) ، المقنع في علم الشروط ، تحقيق ضحى الخطيب ، (دار الكتب العلمية ، بيروت، د.ت) ، ص ٥ - ١٠ .
- ^{١٠} - كتب الأقضية والأحكام : هي كتب الاحكام المعروفة بأسم أدب القضاة . ينظر : قاري ، الانجازات العلمية ، ص ٢٣١ .
- ^{١١} - كتب الحسبة وهي كتب تتعلق بوظيفة المحتسب الذي هو مراقب للسوق في المدن الاسلامية . ينظر : الماوردي ، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت ٤٥٠هـ) ، الاحكام السلطانية ، (الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٨)، ص ٢٤٠ . ابن بسام، محمد بن احمد بن بسام التنيسي المحتسبي (كان حيا سنة ٦٢٤هـ) ،نهاية الرتبة في احكام الحسبة، تحقيق حسام الدين السامرائي ، (مطبعة المعارف ،بغداد ، ١٩٦٧) ، ص ٦١ .
- ^{١٢} - وهي من الحقوق الشرعية التي عنى بها الفقهاء في مؤلفاتهم. ينظر : حسنين ضياء نوري الموسوي، آثار حقوق الارتفاق دراسة مقارنة ، مجلة اباحث ميسان ، المجلد الثالث ، عشر العدد ٢٥ ، سنة ٢٠١٧ ، ص ١٤١ - ١٤٢ .
- ^{١٣} - قاري ، الانجازات العلمية ، ص ٢٣٣

^{١٤} - المرجع نفسه ، ص ٢٤٤.

^{٣٠} - ابن اياس، محمد بن أحمد . بدائع الزهور في وقائع الدهور (ت ٩٣٠هـ)، تحقيق محمد مصطفى، ط٣، (جمعية المستشرقين الالمانية والهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢م).

^{١٦} - لطف الله قاري، الإنجازات العلمية، ص ٢٤٢. ينظر :- النويري، أحمد بن عبد الوهاب . نهاية الأرب في فنون الأدب (ت ٧٣٣هـ)، تحقيق الباز العريني، مراجعة عبد العزيز الأهواني، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٢م). ٢٢٢ / ١٣.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر

- ١- ابن اياس، محمد بن أحمد . بدائع الزهور في وقائع الدهور (ت ٩٣٠هـ)، تحقيق محمد مصطفى، ط٣، (جمعية المستشرقين الالمانية والهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢م).
- ٢- ابن بسام، محمد بن احمد بن بسام التنيسي المحتسبي (كان حيا سنة ٦٢٤هـ) ، نهاية الرتبة في احكام الحسبة، تحقيق حسام الدين السامرائي ، (مطبعة المعارف ،بغداد ، ١٩٦٧).
- ٣- الطليطلي ،احمد بن مغيث (ت ٤٥٩هـ) ، المقنع في علم الشروط ، تحقيق ضحى الخطيب، (دار الكتب العلمية ، بيروت، د.ت).
- ٤- الماوردي ، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي(ت ٤٥٠هـ) ، الاحكام السلطانية ، (الكتب العلمية ، بيرت ، ١٩٧٨) .
- ٥- ابن ماجه ، أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ) . سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، م ٢، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٥).
- ٦- النويري، أحمد بن عبد الوهاب . نهاية الأرب في فنون الأدب (ت ٧٣٣هـ) ، تحقيق الباز العريني ، مراجعة عبد العزيز الأهواني ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٢م).
- ٧- أبو يعلى الفراء ، أبو الحسين محمد بن القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين (ت ٥٢٦هـ)، الأحكام السلطانية ، (د.م ، د.ت).

ثانياً : المراجع

- ٨- الزركاني ، خليل حسن . تجربة أمانة بغداد في معالجة مشكلة المتجاوزين على الأرض العائدة للدولة، (مطبعة الاديب البغدادية ، د.ت) .
- ٩- عزب، خالد ، فقه العمارة الإسلامية، (دار النشر للجامعات، القاهرة ، ١٩٩٧).

- ١٠ - قاري ، لطف الله ، الإنجازات العلمية للعرب والمسلمين في القرون المتأخرة ، (دار الفیصل الثقافية، الرياض، ٢٠٠٦) .

ثالثاً : الدوريات

- ١١ - حسنین ضیاء نوري الموسوي، آثار حقوق الارتفاق دراسة مقارنة ، مجلة ابحاث ميسان ، المجلد الثالث ، عشر العدد ٢٥ ، سنة ٢٠١٧ .

الدراهم الصليبية

المقلدة لدراهم الملك الظاهر غازي في حلب

امجد هاشم محول الدفاعي

أ.د. ناهض عبد الرزاق دفتر

الدراهم الصليبية المقلدة لدراهم الملك الظاهر غاز في حلب

امجد هاشم محول الدفاعي

أ.د. ناهض عبد الرزاق دفتري

النقود الصليبية المقلدة لنقود الملك الظاهر غازي:

تعرضت بلدان المشرق الاسلامي في اواخر القرن الخامس الهجري- الحادي عشر ميلادي الى تغيرات وتطورات عدة بعد ان اجتاحت الحملات الصليبية اقاليم المشرق الاسلامي المطل على البحر المتوسط^(١) إذ أن السنوات (٤٩٠-٦٩١هـ / ١٠٩٦-١٢٩١م) تمثل المجال الزمني للحروب الصليبية التي تُعد من السنوات المظلمة التي مرت بها الدول الاسلامية في الشرق، فقد تخللتها (تسع) حملات صليبية متفاوتة^(٢).

وبصرف النظر عن عددها فان بذور الحروب الصليبية قد نشأت من تربة فرنسية حيث تعتبر فرنسا جوهر المشروع البربري الذي انطلقت منها الدعوة الشاملة والتشديد الغربي للمسير الى بلاد الشرق^(٣) لأسباب يُرى انها دينية عقائدية متمثلة بمنبع الديانة المسيحية "بيت المقدس" وصعوبة طريق وصول الزوار النصارى الذين ادعوا مضايقتهم من قبل المسلمين، فتعالى الخطاب والتحفيز الديني واثارة العواطف من قبل البابا اوربان الثاني^(٤) الذي ألهم مشاعر الاوربيين النصارى تحت شعار الحرب المقدسة^(٥) إلا أنه ومن مجمل الأسباب الرئيسة التي دفعت الغرب الى القيام بسلسلة من الحملات والهجمات الغادرة هو محاولة منهم للخروج من اوضاع العصور الوسطى التي شهدتها المجتمع الأوربي وما ألم به من الفقر والمجاعة فضلا عن الظلم والارهاق المفروض على الطبقة الشعبية الأوربية مما ادى بهذه الشعوب الى النظر في نداء البابا اوربان على انه الاعتاق والمسير نحو الحرية^(٦).

أما الاسباب التي أدت الى نجاح هذه الحملات الصليبية وتحقيق اهدافها في اقامة موطاً قدم لها واستقرار في عقر دار المسلمين، فلم تكن مقتصره على كثرة اعدادهم وجموعهم التي بلغت في عام ١١٨٩م تسعمائة الف محارب^(٧) او الى ما تلقوه من تعزيزات ومساعدات من المدن الايطالية

والبيزنطية^(٨) فعلى الرغم من أهمية تلك الأسباب إلا أن هناك اسباباً أخرى لا تقل أهمية عنها، هي أن هذا هذا التقدم والانتصار يرجع وبشكل رئيس الى ما أصاب العالم الاسلامي من التفكك السياسي والاجتماعي، وتفرق كلمة المسلمين ولا سيما في نهايات القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي، التي شهدت ضعفاً وتفرقاً واضحاً، فالمشاحنات الاقليمية والنزاعات الانفصالية التي عاشتها بلاد الشام من الملوك والقادة السلاجقة فضلاً عن انهيار النفوذ الفاطمي فيها، انعكست نتائجها على اوضاع بلاد الشام الامر الذي سهل من توغلهم من دون اية صعوبة تذكر^(٩) حتى ان أحد المؤرخين الصليبيين يذكر لو ان الصليبيين قد تأخر قدومهم عشر سنوات او تقدم مجيئهم عشر سنوات لقذف بهم المسلمون الى البحر، في اشارة الى لما كان عليه السلاجقة من التماسك والقوة والمناعة زمن السلطان السلجوقي ملكشاه (٤٦٥ - ٤٧٨ هـ) وما كان للفاطميين من قوة بحرية عظيمة^(١٠).

ونتيجة هذه الظروف تمكن الصليبيون من احتلال السواحل الشامية جميعها واصبحت لهم امارات عدة عُرفت بالأمارات اللاتينية وهي كل من:

أ- امارة الرها.

ب- امارة انطاكية.

ج- مملكة بيت المقدس.

د- امارة طرابلس^(١١).

اتخذت كل امارة نقوداً خاصة بها للتعامل الداخلي، إلا أن هذه النقود التي تعامل بها الصليبيون في ما بينهم قد اضطروا الى تغييرها واستبدالها بنقود ذهبية جديدة عرفت لدى المراجع الغربية باسم بيزنت (Besant)^(١٢) واطلق عليها العرب اسم الدينار السوري^(١٣) تقليداً للدنانير الاسلامية حملت نصوصاً عربية مدونة في التاريخ الهجري، فظهر هذا التقليد على الدنانير الفاطمية للخليفة الفاطمي الظاهر بأمر الله (٤١١ - ٤٢٧ هـ / ١٠٢٠ - ١٠٣٥ م) من ضرب المنصورة، والخليفة الفاطمي المستنصر بالله (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ / ١٠٣٥ - ١٠٩٤ م) من ضرب الاسكندرية^(١٤) ودنانير الخليفة الأمر

(٤٩٥ - ٥٢٤ هـ / ١١٠١ - ١١٢٩ م) من دار الضرب المغزية والقاهرة^(١٥) ودنانير الخليفة الحافظ بن المستنصر (٥٢٤ - ٥٤٤ هـ / ١١٢٩ - ١١٤٩ م)، وإلى جانب الدنانير الفاطمية قلد الصليبيون الدنانير الذهبية الايوبية فقد ظهر التقليد على دينار ذهبي للسلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب^(١٦) ودينار ذهبي آخر للملك العادل ابو بكر يوسف بن ايوب من دار الضرب الاسكندرية^(١٧).

اما السبب الذي دفع الصليبيون الى تقليد النقود الاسلامية ذلك لتسهيل المعاملات التجارية الخارجية بينهم وبين العرب بما فيها عقود بيع وشراء الاراضي ودفع الفدية بهذه النقود المقلدة في حال وقع احد من الصليبيين في الأسر فكان لا يتم الافراج عنهم إلا بدفع مبالغ كبيرة من تلك النقود الذهبية دون سواها من النقود الاخرى، فضلا عن المحاولة منهم في تثبيت اقدامهم في اماراتهم الجديدة^(١٨).

ولم يقتصر التقليد الصليبي على النقود الذهبية الايوبية بل قلد الصليبيون الدراهم الفضية والفلوس النحاسية كذلك، منها دراهم الملك الكامل ابن الملك العادل من ضرب دمشق، و دراهم الملك الصالح اسماعيل بن الملك الكامل^(١٩).

اما في حلب موضوع الدراسة - فقد ظهر هذا التقليد الصليبي على الدراهم وانصاف الدراهم للملك الظاهر غازي بن الملك الناصر يوسف بن ايوب الذي تولى حكم حلب في السنوات (٥٨٣ - ٦١٣ هـ) فقد ظهرت نقود فضية بعد وفاته حملت اسمه والقباه ونقش عليها تواريخ لاحقة لوفاته استمرت منذ سنة ٦١٤ هـ حتى سنة (٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) وتوقف منذ السنة المذكورة (٦٣٠ هـ) ليعود آخر اصدار لهذه المجموعة في سنة (٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م) إذ نشر (باتس) درهماً فضياً مقلداً للملك الظاهر غازي مؤرخ سنة ٦٣٨ هـ ويؤكد ان التقليد الصليبي لدراهم الظاهر غازي في حلب أستمّر لخمس وعشرين سنة بعد وفاته^(٢٠).

ويحتفظ المتحف العراقي بعدد من تلك الدراهم المقلدة بتواريخ مختلفة وهذه الدراهم لم تحمل سوى طراز واحد والشكل العام لهذا الطراز، عباره عن دائرة خارجية من حبيبات اللؤلؤ المتراسة، تحصر في داخلها نجمة سداسية الشكل من ثلاثة اطارات يكون اطارها الأوسط ايضا من الحبيبات { شكل ١ } وهذه

النجمة تضم في داخلها نصوصاً كتابية مركزية، وبتلامس اطراف النجمة مع الدائرة الخارجية تكونت ستة فراغات نُقشت في داخلها نصوص الطوق لكل من الوجه والظهر، بشكل عكسي لأتجاه عقرب الساعة.

والدراهم الصليبية المقلدة لدراهم الملك الظاهر جميعها حملت نصوص واحدة مع الاختلاف في تاريخ السك فقط، اي ان جميعها جاءت على هذا النحو:

النموذج الاول: ويمثله (اللوحة الاولى: رقم ١)^(٢١)

الامام

مركز الوجه: الناصر احمد

الملك العادل

ابو بكر

الطوق: لا اله / الا ا / لله / محمد / رسول / الله

الملك

مركز الظهر: الظاهر غازي

ابن يوسف ابن

ايوب

الطوق: ضرب / بحلب / سنة ار / بع عشر / ... / ...

نلاحظ ان نصوص الكتابات في الوجه والظهر مشابهة تماماً للنقود الأصلية التي اصدرها الملك الظاهر في مدة حكمه مدينة حلب بحيث يصعب تمييزها من الباحثين والمهتمين بعلم المسكوكات عن النقود الاصلية.

إلا ان النقاش الذي سَك هذا الدرهم قد وقع في خطأين الاول املائي، والخطأ الثاني تاريخي، اما الخطأ الاملائي فيتمثل بعبارة (ابن) التي وردت في نهاية السطر الثالث والتي تُشير الى نسب الملك الظاهر غازي الى أبيه، وهذه العبارة لم ترد بهذه الصيغة على نقود الملك الظاهر غازي الأصلية التي حملت القاب الملك العادل في مدينة حلب، انما تكتب بصيغة (بن)^(٢٢)، و الخطأ التاريخي هو ان الملك الظاهر غازي بن الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب قد توفي في الثالث والعشرين من جمادي الاخرة سنة ٦١٣هـ^(٢٣) وان حاكم مدينة حلب في هذه السنة (سنة ٦١٤هـ التي حملها الدرهم) هو الملك العزيز محمد بن الظاهر غازي الذي اصبحت السكة في حلب تصدر بانتظام باسمه منذ وفاة أبيه الملك الظاهر حتى سنة ٦٣٤هـ ، وهي سنة وفاة العزيز محمد^(٢٤) فلو كان هذا الدرهم من ضرب الايوبيين في حلب، لكان قد حمل اسم الملك العزيز محمد وليس الملك الظاهر، والمُرجح ان يكون هذا الدرهم من ضرب الصليبيون تقليداً لدراهم الظاهر غازي، بعدما اسروا عمال دور الضرب الشاميين وجاءوا بهم الى دور الضرب الاوربية على ساحل البحر المتوسط فقاموا بتقليد نقود الملك الظاهر غازي مع تغير سنوات الضرب وان هؤلاء العمال انقطعت عنهم اخبار العالم الاسلامي فاستمروا بضرب مثل هكذا دراهم بتواريخ لا تتوافق مع الاحداث والتطورات السياسية في حلب^(٢٥).

وقد علق (بالوج) على هذه النقود المقلدة فيذكر انه من غير الممكن ان تكون هذه النقود التي ظهرت بعد وفاة الملك الظاهر والتي تزامنت مع اصدارات الملك العزيز هي اصدارات اصلية لمدينة حلب، وليس هناك سوى تفسير واحد هو انها سُكت بدور ضرب صليبية متمركزة على الساحل السوري^(٢٦).

اما (باتس) فيرى ان هذه النقود ضربت بدار سك عكا^(٢٧) منذ سنة ٥٩٨هـ حتى سنة ٦١٤هـ، ويورد ان دراهم الملك الظاهر تُعد من أقدم أنواع الدراهم الايوبية التي عمل الصليبيون على تقليدها^(٢٨).

تجدر الإشارة الى ان التاريخ المسجل على هذا الدرهم ورد بشكل غير كامل فقد جاء فاقداً رقم المئات، لكننا تمكنا من تحديد تاريخ اصدارة من خلال مقارنته مع النموذج الوحيد الذي اشار اليه (بالوج) والمؤرخ سنة ٦١٤ هـ.^(٢٩) فيصبح تاريخ اصداره بشكل كامل على هذا النحو:

" سنة ار / بع عشر / وست / مائة "

النموذج الثاني: وجاءت بعض من نصوص مركز الظهر بشكل مشوه لكنها مشابه تماماً للنموذج الأول من حيث الشكل العام والنصوص الكتابية المسجلة عليه انظر (اللوحة الاولى : رقم ٢)^(٣٠) إلا انه حمل تاريخ سنة ٦١٥ هـ، اي ان نصوص طوق الظهر وردت على هذا النحو:

" ية ضرب / بحلب / ... / خمسة / عشر / وستما "

نجد ان هذا الدرهم هو الآخر تضمن خطأ املائياً، وخطأ تاريخياً واحد على الاقل، ففي هذه السنة (٦١٥ هـ التي حملها الدرهم) كانت حلب تحت حكم الملك العزيز وان الظاهر كان قد توفي قبل هذا التاريخ، و ان " الملك العادل " الذي نُقش اسمه في نصوص مركز الوجه، قد يكون هو الآخر توفي قبل سك هذا الدرهم، فالمعلوم تاريخياً ان العادل أبا بكر بن ايوب توفي في السابع من جمادي الآخرة لسنة ٦١٥ هـ^(٣١)، إلا اننا لا نستطيع الجزم بذلك كون تاريخ السك وكما جرت العادة لا يُسجل فيه اليوم والشهر، اما الخطأ الاملائي فيمكن في كيفية نقش تاريخ السك حيث نلاحظ ان رقم المئات (ستماية) قد تداخلت حروفه الأخيرة حرفي (الياء والتاء) مع المساحة المخصصة لعبارة (ضرب) وهذا الامر لم يكن مألوفاً عند دار الضرب في حلب، إذ لم يسبق وان زحف رقم المئات في الدراهم الاصلية كما في هذا الدرهم، ولعله يكون أحد الأسباب الاضافية التي تؤكد ان هذه الدراهم هي من ضرب الصليبيين وليس الايوبيين.

وهذا الدرهم نادر وفريد إذ لم يسبق لاحد من الباحثين نشر نموذج مثله.

النموذج الثالث: (اللوحة الثاني: رقم ٣)^(٣٢) الذي جاء مؤرخ سنة ٦٢٩ هـ اي ان نصوص مركز الظهر وردت على هذا النحو:

"ضرب / بحلب / سنة / تسع / عشرين / ستمائة "

في ضوء هذا التاريخ يتضح لنا وجود ثلاثة أخطاء تاريخية لا شك فيها التي لم ينتبه اليها القائم بضرب هذا الدرهم: اما الخطأ الاول فهو متعلق باسم الخليفة العباسي المسجل على هذا الدرهم وهو الخليفة الناصر لدين الله ، في حين ان الخليفة المذكور توفي في سنة ٦٢٢هـ^(٣٣) بينما كان متولي الخلافة العباسية في هذه السنة (٦٢٩هـ التي حملها الدرهم) هو الخليفة العباسي المستنصر بالله الذي بويع للخلافة في رجب سنة ٦٢٣هـ واستمر حتى وفاته في سنة ٦٤٠هـ^(٣٤).

والخطأ الثاني الذي وقع فيه القائم على سك هذا الدرهم هو ان الملك العادل المسجل على نصوص مركز الوجه اسفل اسم الخليفة العباسي، كان قد توفي منذ سنة ٦١٥هـ. وان السلطان في الدولة الايوبية في هذه المدة هو الملك الكامل بن الملك العادل، الذي تولى السلطنة في يوم الجمعة في السابع من جمادي الاخرة سنة ٦١٥هـ حتى وفاته سنة ٦٣٥هـ^(٣٥).

اما الخطأ الثالث فهو ذات الخطأ الذي وجد في النموذجين الاول والثاني اي ان الملك الظاهر غازي توفي منذ سنة ٦١٣هـ، فلو كان هذا الدرهم من اصدار الايوبيين في هذا التاريخ اي ٦٢٩هـ في حلب، لكان سجل اسم الخليفة العباسي المستنصر بالله، بدلا عن الخليفة الناصر، وسجل اسم الملك العزيز وليس اسم الملك الظاهر، لأن حلب تُعد دار ضرب رسمية ومن غير المعقول ان تسمح بوجود مثل هكذا اخطاء، بان تقوم باصدار نقود ايوبية في أوقات متأخرة من موت الملك الظاهر والملك العادل، والخليفة الناصر لدين الله^(٣٦).

ويفسر احد الباحثين هذه الظاهرة بأن النقاش الذي نقش حروف هذه الدراهم الصليبية لم يكن يعلم ان الظاهر غازي توفي سنة ٦١٣هـ، وحل محله ابنه العزيز محمد، وان الملك العادل قد توفي في سنة ٦١٥هـ، وانه يجهل كذلك بوفاة الخليفة العباسي ابي العباس احمد الناصر لدين الله سنة ٦٢٢هـ، وتتصب محله ابنه الخليفة الظاهر بأمر الله ثم الخليفة المستنصر بالله، بمعنى ان النقاش كان منعزلا عن العالم الخارجي^(٣٧) كما ويُلاحظ على هذا الدرهم عدم الدقة في نقش الحروف العربية إذ نجد ان النقاش الذي نقش هذه الحروف التي كُتبت بالخط الكوفي المورق والمزهر، لم يكن يتقن هذه الحروف فجاءت

بشكل حروف متلاصقة إذ أن رؤوس الحروف الكوفية التي تخرج منها اشكال زهرية نقشت في هذا الدرهم بشكل مختلف عما كان في الدراهم السابقة، وقد سبق وان أُشير الى ان هذه النقود المقلدة غالبا ما تكون اقل جودة وذات نقوش رديئة^(٣٨).

ويُعد هذا الدرهم من الدراهم النادرة إذ يوجد مثله نموذج واحد فقط محفوظ في متحف (السلط) في الاردن^(٣٩).

النموذج الرابع: الذي جاء فاقد جزءاً من نصوص الطوق لكل من الوجه والظهر فلم يظهر من نصوص طوق الوجه سوى: "... / ... / الله / ... / ..." اما كتابات طوق الظهر فهي الأخرى فقدت جزء من نصوصها والتي جاءت بهذا النحو: "... / لب / ... / ... / عشرين و / ستما" إلا أن نصوص مركزي الوجه والظهر وردت بشكل مشابه للنماذج السابقة انظر (اللوحة الثاني: رقم ٤)^(٤٠).

نجد ان تاريخ اصدار هذا الدرهم جاء فاقدًا لرقم الآحاد. إلا ان وجود رقمي العشرات (عشرين) ورقم المئات (ستماية) يُشيران الى ان هذا الدرهم ضرب في المدة الواقعة بين سنتي (٦٢١ - ٦٢٩ هـ) بالتالي فاذا افترضنا ان يكون رقم الآحاد المفقود هو "واحد" او "اثنان" عندها يكون النقاش قد وقع في خطأين تاريخيين كما في النموذج الثاني، اما اذا كان هذا الدرهم ضرب في المدة بين (٦٢٢ - ٦٢٩ هـ). فيكون القائم علي نقش هذا الدرهم وسكه وقع في ثلاثة أخطاء تاريخية تماما كالأخطاء التي حملها النموذج الثالث.

وهذا الدرهم موضوع البحث يوجد منه نموذجان مشابهان له وبالأخطاء نفسها، الأول محفوظ بدار الكتب القومية بالقاهر^(٤١) والآخر محفوظ في المتحف الوطني للآثار والتراث الشعبي بالرياض^(٤٢).

والى جانب الدراهم قلد الصليبيون "انصاف الدراهم" للملك الظاهر غازي فكان شكلها وتصميمها مشابهاً تماماً لشكل النسخ الاصلية التي اصدرها الظاهر غازي في حلب على امتداد سنوات حكمه المدينة . وهذا الطراز هو طراز (النجمة السداسية) الذي استعمل في الدراهم التي سبق الإشارة اليها^(٤٣) وجاءت نصوصها علي النحو الآتي: انظر (اللوحة الخامس: رقم ٥)^(٤٤).

مركز الوجه: الامام

الناصر

الطوق: لا اله / الا ا / لله / محمد / رسول / الله

مركز الظهر: الملك

الظاهر

الطوق: ضرب / بحلب / سنة / خمس / وعشرين / ستمائة

من الملاحظ ان تاريخ سك هذا النقد يخالف الاحداث التاريخية في الدولة الايوبية والخلافة العباسية، إذ أن جميع من ذكر اسمهم على النقد كانوا قد توفوا قبل هذه السنة، وهذه المفارقة التاريخية وهذه الاخطاء لا يمكن ان يقوم بها العامل على دار الضرب الأيوبية، لأنه على معرفة تامة بالتغيرات والمستجدات الحاصلة في البلاد.

ونود ان نُشير الى ان النقود المقلدة للملك الظاهر غازي جميعها دُونت بالخط الكوفي اي ان الخط الكوفي لا يزال مستعملاً في هذه النقود حتى آخر اصدارها، في حين ان خط النسخ بدأ ينتشر في معظم النقود الايوبية إذ استُعمل على بعض اصدارات الملك الظاهر غازي الاصلية لمدينة حلب، وسرعان ما ساد استعماله على نقود الملك العزيز حيث دونت فيه جميع الكتابات المركزية لأصدارته^(٤٥).

مما سبق نرى ان الصليبيين الذين تمركزوا في الاراضي الاسلامية، لم يكن مرحب بهم لكونهم اقوام غازية، لهذا لم يكن العرب المحيطون بهم يتعاملون معهم بنقودهم النحاسية والبرونزية التي سككتها كل امانة صليبية للتعامل في ما بين الامارات، الأمر الذي دفعهم الى تقليد النقود المتداولة عند العرب لتسهيل معاملاتهم، وان هذه النقود الفاطمية ثم الايوبية المقلدة كان متعارف عليها بين مدن بلاد الشام

جميعها سواء أكان في الامارات الصليبية أم المدن الاسلامية ويصعب تمييزها كون انها حملت نصوص وعبارات اسلامية مألوقة لدى المسلمين^(٤٦).

النوح الاول



الظهر

الوجه



الظهر

الوجه

اللوحة الثاني



٣



الظهر

الوجه



٤



الظهر

الوجه

اللوحة الخامسة

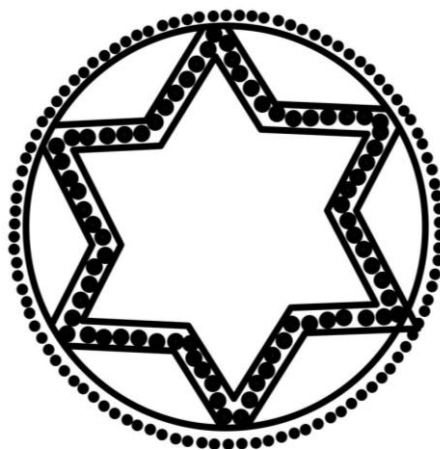


٥

الظهر

الوجه

الاشكال التوضيحية



شكل (١)

المصادر والمراجع:

١. ابن تغري بردى: جمال الدين ابي المحاسن يوسف الأتابكي (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الجزء السادس، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، مصر ١٩٦٣م.
٢. ابن الجوزي: شمس الدين ابو المظفر يوسف بن قزاوغي بن عبد الله (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م) مرآة الزمان في تواريخ الاعيان الجزء الثاني والعشرون، تحقيق ابراهيم الزبيق، منشورات دار الرسالة العالمية، الطبعة الاولى، دمشق ٢٠١٣م.
٣. ابن العماد: عبد الحي بن احمد بن محمد الحنبلي، (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م) شذرات الذهب في اخبار من ذهب، الجزء السابع، تحقيق عبد القادر ومحمود الأرناؤوط، منشورات دار ابن كثير، دمشق ١٤٠٦هـ.
٤. الصفدي: الحسن بن ابي محمد عبد الله بن عمر بن محاسن بن عبد الكريم الهاشمي، (ت ٧١٧هـ/١٣١٧م) نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولى مصر من الملوك، تحقيق، عمر عبد السلام تدمري، منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر الطبعة الاولى، بيروت ٢٠٠٣م.
٥. السيوطي: عبد الرحمن بن ابي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) تاريخ الخلفاء، تحقيق، حمدي الدمرداش، الطبعة الاولى، مكتبة نزار مصطفى، القاهرة ٢٠٠٤م.
٦. ابن تغري بردى: جمال الدين ابي المحاسن يوسف الأتابكي (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الجزء السادس، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، مصر ١٩٦٣م.
٧. البراهيم: عبد الرحمن بن ابراهيم بن صالح، المسكوكات الأيوبية والمملوكية في المتحف الوطني للآثار والتراث الشعبي بالرياض دراسة اثرية مقارنة، منشورات وزارت التربية والتعليم، الطبعة الاولى، الرياض ٢٠٠٥.
٨. عاشور: سعيد عبد الفتاح، الايوبيين والمماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٩٦م.
٩. الرئيس: علي، الحروب الصليبية من عهد قسطنطين الى اليوم وجذورها الدينية، الطبعة الاولى، منشورات مكتبة النافذة، مصر - الجيزة ٢٠٠٨م.
١٠. باركر: ارسنت، الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العربي، الطبعة الثانية، منشورات دار النهضة العربية، بيروت ١٩٦٧م.
١١. عوض: محمد مؤنس، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، الطبعة الاولى، منشورات دارعين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، مصر ٢٠٠٠م، ص ٦٢ - ٦٥.

١٢. ارمسترونغ: كارين، الحرب المقدسة، ترجمة، سامي الكعكي، منشورات دار الكتاب العربي، بيروت ٢٠٠٥م.
١٣. المطوي: محمد العروسي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، الطبعة الثانية منشورات دار الغرب الاسلامي، تونس ١٩٨٠م.
١٤. الغامدي: علي محمد علي، بلاد الشام قبل العصر الصليبي (٤٦٣ - ٤٩١ هـ / ١٠٧٠ - ١٠٩٨م) رسالة ماجستير مقدمة الى جامعة ام القرى، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، السعودية ١٩٨٢م
١٥. سالم: السيد عبد العزيز، طرابلس الشام في التاريخ الاسلامي، منشورات مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، سنة ١٩٦٦م.
١٦. صبح: بلال صبحي محمد، النقود الفضية الايوبية في متحف السلط، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة الى الجامعة الاردنية، ١٩٩٣م.
١٧. الجابري: ابراهيم جابر، النقود العربية الاسلامية في متحف قطر الوطني الجزء الثاني، منشورات وزارة الاعلام القطرية، قطر ١٩٩٢م.
١٨. رمضان و عبد الرؤوف: عاطف منصور محمد، سميرة، النقود الاسلامية المحفوظة في المتحف اليوناني الروماني بالاسكندرية. تقديم زاهي حواس، منشورات المجلس الاعلى للآثار، مصر ٢٠٠٧م.
١٩. النبراوي: رأفت محمد، النقود الصليبية في مصر والشام، منشورات مكتبة القاهرة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٤م.

المراجع الانكليزية:

1. BATES: Michael, thirteenth centery crusader Imitations of Ayyubid silver coiage, near eastern numismatic Iconograbhy, epigraphy and history, studies in honor of George c. miles , Beirut , 1974
2. BALOG: pule, the Coinage of the Ayyubids, Royal Numismtaic Society, Special Pubication NO. 12, London 1980

الهوامش:

- (١) عاشور: سعيد عبد الفتاح، الايوبين والمماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٩٦م، ص ٩.
- (٢) الرئيس: علي، الحروب الصليبية من عهد قسطنطين الى اليوم وجذورها الدينية، الطبعة الاولى، منشورات مكتبة النافذة، مصر - الجيزة ٢٠٠٨ م، ص ١٣٧ - ١٤٦.
- (٣) باركر: ارستت، الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العربي، الطبعة الثانية، منشورات دار النهضة العربية، بيروت ١٩٦٧م، ص ٢٣.
- (٤) اوربان الثاني: احد ابرز رجال الكنيسة الغربية واسمه "اودودي لاجيري" ولد سنة ١٠٣٥م، من اصول فرنسية، اعتلى العرش البابوي بين السنوات (١٠٨٨ - ١٠٩٩م) ويُعد اوربان الثاني صاحب قرار الترويج المسيحي الذي دعى لمحاربة المسلمين. للمزيد يُنظر، عوض: محمد مؤنس، الحروب الصليبية والعلاقات بين الشرق والغرب، الطبعة الاولى، منشورات دارعين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، مصر ٢٠٠٠م، ص ٦٢ - ٦٥.
- (٥) ارسترونغ: كارين، الحرب المقدسة، ترجمة، سامي الكعكي، منشورات دار الكتاب العربي، بيروت ٢٠٠٥م، ص ٣٥ - ٣٦.
- (٦) المطوي: محمد العروسي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، الطبعة الثانية منشورات دار الغرب الاسلامي، تونس ١٩٨٠ م، ص ٣٣.
- (٧) الرئيس، المرجع السابق، ص ١٤٣.
- (٨) باركر، المرجع السابق، ص ١٥٣.
- (٩) الغامدي: علي محمد علي، بلاد الشام قبل العصر الصليبي (٤٦٣ - ٤٩١ هـ / ١٠٧٠ - ١٠٩٨م) رسالة ماجستير مقدمة الى جامعة ام القرى، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، السعودية ١٩٨٢م، ص ٢٦٩ - ٢٧٨.
- (١٠) باركر، المرجع السابق، ص ١٥٣.
- (١١) المطوي، المرجع السابق، ص ٥٦ - ٥٧.
- (١٢) "Besant" بيزنت او بيزنثيات: وهي الدنانير الذهبية التي تعامل بها الصليبيون تقليدا للدنانير الاسلامية استُعملت للتعامل الخارجي بين الامارات الصليبية والعرب المسلمين، للمزيد يُنظر سالم: السيد عبد العزيز، طرابلس الشام في التاريخ الاسلامي، منشورات مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، سنة ١٩٦٦م، ص ٢٠٤ - ٢٠٥.
- (١٣) الدينار السوري: هو الدينار الذي سكاه الصليبيون تقليدا للدنانير الفاطمية ثم الايوبية، وغالبا ما تتخلل نصوصه الكتابية اخطاء املائية وان عياره اقل جودة وأخف وزنا من الدينار الفاطمي والايوبي، وسبب تسمية بالدينار السوري ذلك لان مدينة صور تتمتع بشهرة واسعة في تقليد النقود الاسلامية. النبراوي: رأفت محمد،

النقود الصليبية في مصر والشام، منشورات مكتبة القاهرة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٤ م، ص ٣٥، او ربما سمي بهذا الاسم لأنه على صورة الدينار الاسلامي ولكنه ليس من سكهم او اصداراتهم فسمي كذلك لتمييزه عن الدينار الرسمي والشرعي خصوصا اذا ما علمنا ان كل امانة سكت نقودها الخاصة بها، اي ان مدينة صور لم تكن تسك كل النقود لكل الامارات.

(١٤) صبح: بلال صبحي محمد، النقود الفضية الايوبية في متحف السلط، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة الى الجامعة الاردنية، ١٩٩٣م، ص ٤٨.

(١٥) الجابري: ابراهيم جابر، النقود العربية الاسلامية في متحف قطر الوطني الجزء الثاني، منشورات وزارة الاعلام القطرية، قطر ١٩٩٢م، ص ٣٣٩.

(١٦) صبح، المرجع السابق، ص ٤٨.

(١٧) رمضان و عبد الرؤوف: عاطف منصور محمد، سميرة، النقود الاسلامية المحفوظة في المتحف اليوناني الروماني بالاسكندرية. تقديم زاهي حواس، منشورات المجلس الاعلى للآثار، مصر ٢٠٠٧م، ص ٣٥٦.

(١٨) النبراوي، المرجع السابق، ص ٢٥ - ٢٦.

(١٩) البراهيم، المرجع السابق، ص ٨٧ - ٨٨.

(20) BATES: Michael, thirteenth century crusader Imitations of Ayyubid silver coiage, near eastern numismatic Iconography, epigraphy and history, studies in honor of George c. miles , Beirut , 1974 , no. 23 ,p 405.

(٢١) المتحف العراقي: ٢٥١٥٩ مس م ، وزنه ٩٠ ، ١ غرام _ قطره ١٨ ملم، ويوجد نموذجين مشابهين في المتحف العراقي تحت الارقام التالية: (٢٦٤٨٨ مس م ، ٢٥١٥٩ مس م).

(22) انظر طراز الملك الظاهر غازي الرابع، كذلك انظر النماذج التي نشرها بالوج من هذا الطراز، BALOG: pule, the Coinage of the Ayyubids, Royal Numismataic Society, Special Pubication N0. 12, London 1980 ,no. 598, 599,601, 603, 605, 607, 612,616, 619, 627, p201-216

(٢٣) ابن الجوزي: شمس الدين ابو المظفر يوسف بن قزاوغي بن عبد الله (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م) مرآة الزمان في تواريخ الاعيان الجزء الثاني والعشرون، تحقيق ابراهيم الزبيق، منشورات دار الرسالة العالمية، الطبعة الاولى، دمشق ٢٠١٣م، ص ٢١٣.

(24) Balog, Op .Cit ,p p 218-221.

(٢٥) النبراوي، المرجع السابق، ص ٥٤.

(26) Balog, Op .Cit ,p 206.

(٢٧) عكا: احدى المدن المشهورة في بلاد الشام، فتحها المسلمون سنة (١٥هـ / ٦٣٦م) على يد عمر ابن العاص ومعاوية بن ابي سفيان، استولى عليها الصليبيون في سنة (٤٩٧هـ / ١١٠٤م) كانت تضم دارين لسك النقود، الاول لسك النقود الصليبية ذات الكتابات العربية، والثاني لسك النقود الصليبية المحلية ذات الكتابات اللاتينية، النبراوي، المرجع السابق، ص ٢٦٨ - ٢٦٩.

(28) Bates, op .cit ,p 405 406.

(29) Balog, Op .Cit , no. 629 , p 207.

(٣٠) المتحف العراقي: ٢٥٣٧٥ مس م، الوزن ١,٨٣ غرام - القطر ١٨ ملم، ويوجد ثلاث نماذج اخرى مشابه لهذا الدرهم تحت الارقام التالية (٢٥٧٧٥ مس م، ٢٥١٥٠، مس م ٢٥٤٤٣٠ مس م).

(٣١) ابن العماد: عبد الحي بن احمد بن محمد الحنبلي، (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م) شذرات الذهب في اخبار من ذهب، الجزء السابع، تحقيق عبد القادر ومحمود الأرئووط، منشورات دار ابن كثير، دمشق ١٤٠٦هـ، ص ١١٧.

(٣٢) المتحف العراقي: ١٤٣٧٠٣ مس، الوزن ١,٨٨ غرام - القطر ١٨ ملم.

(٣٣) الصفدي: الحسن بن ابي محمد عبد الله بن عمر بن محاسن بن عبد الكريم الهاشمي، (ت ٧١٧هـ/١٣١٧م) نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولى مصر من الملوك، تحقيق، عمر عبد السلام تدمري، منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر الطبعة الاولى، بيروت ٢٠٠٣م، ص ١٣٣.

(٣٤) السيوطي: عبد الرحمن بن ابي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) تاريخ الخلفاء، تحقيق، حمدي الدمرداش، الطبعة الاولى، مكتبة نزار مصطفى، القاهرة ٢٠٠٤م، ص ٣٢٥ - ٣٢٧.

(٣٥) ابن تغري بردى: جمال الدين ابي المحاسن يوسف الأتابكي (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الجزء السادس، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، مصر ١٩٦٣م، ص ٢٢٧ - ٢٣٥.

(٣٦) صبح، المرجع السابق، ص ٣٥.

(٣٧) النبراوي، المرجع السابق، ص ٥٣.

(٣٨) صبح، المرجع السابق، ص ٤٨.

(٣٩) صبح، المرجع السابق، تسلسل ٦٧، ص ١٣٠.

(٤٠) المتحف العراقي: ١٤٣٧٧٨ مس، الوزن ١,٨٨ غرام - القطر ١٨.

(٤١) النبراوي، المرجع السابق، تسلسل ٧، ص ٥٦.

(٤٢) البراهيم: عبد الرحمن بن ابراهيم بن صالح، المسكوكات الأيوبية والمملوكية في المتحف الوطني للأثار والتراث الشعبي بالرياض دراسة اثرية مقارنة ،منشورات وزارت التربية والتعليم، الطبعة الاولى، الرياض ٢٠٠٥ م . تسلسل ، ص ٨٣ - ٦٥ .

(43) Balog, Op .Cit , no. 643 , p 209.

(44) ZENO:no. 161396 (weight 1,19 g – size 15 mm).

(45) Balog, Op .Cit, p 218.

(٤٦) النبراوي، المرجع السابق، ص ٢٦ – ٢٧.

نصوص مسمارية
اقتصادية غير منشورة من العصر الاكدي

عمار ياسر مطلق
أ.د. منذر علي عبد المالك

جامعة بغداد - كلية الآداب - قسم الآثار

نصوص مسمارية اقتصادية غير منشورة من العصر الاكدي

عمار ياسر مطلق

أ.د. منذر علي عبد المالك

المقدمة

يعد العصر الأكدي من العصور المهمة في تاريخ بلاد الرافدين القديم بشكل خاص وفي تاريخ الشرق الأدنى بشكل عام ، إذ أضاف هذا العصر بلامحه السياسية والاقتصادية والاجتماعية الشيء الكثير نتيجة للتطورات الحضارية الكبيرة التي حدثت في ذلك العصر .
على الرغم من أن الأكديين من الاقوام الجزرية التي هاجرت من الجزيرة العربية الى بلاد الرافدين ، وكانت هذه الهجرة (هجرة ايجابية) لما حملته من ملامح جديدة أضافت إلى ملامح السومريين الذين عاشوا جنباً إلى جنب معهم في عهد سيطرتهم السياسية على البلاد.

" Unpublished cuneiform texts from the Akkadian period "

Supervised by

Master student

Dr. Munther ali abdul malik

Ammar yasir mutlag

Abstract

The Akkadian era is one of the most important periods in the history of Mesopotamia in particular and in the history of the Near East in general. This era has added to its political, economic and social characteristics much as a result of the great cultural developments that occurred in that era. Although the Akkadians of the islanders who migrated from the Arabian Peninsula to Mesopotamia, and this migration (positive migration) of the new features that added to the features of the Sumerians who lived side by side with them in the era of political control of the country.

No. 1

IM. 226232

Obv.

- 1- 60 x 2 + 25 (gur) še-gur-[sag-gal₂]-dul
[.....]-ba
[.....] še-gur-sag
[.....]-gu₄
- 5- nam-gal₂
60+13 še-gur [dingir]-kur
še-gub-ba

Rev.

31 (gur) še-gur
[x] gu₄
lugal-u ugula
dumu lu₅-li₂

الترجمة :

١- ١٤٥ (كور) شعير بمقياس كور ساك كال دول

٢- (.....) - با

٣- (.....) شعير بمقياس كور ساك

٤- (.....) ثور

٥- نام - كال

٦- ٧٣ كور شعير بمقياس دنكر - كور

٧- شعير (خاضع للتصفية)

٨- ٣١ كور شعير

٩- (.....) ثور

١٠- لوكال - او الوكيل

١١- ابن لو - لي

المعنى العام : نص يتعلق بكميات من الشعير اعطيت لعدة اشخاص منها ما تم اخضاعه للتصفية وكذلك منح كمية من الشعير وفقاً لمقياس الكور الكبير .

التحليل :

lugal-u : اسم علم سومري ^(١).

ugula : مهنة سومرية تعني الوكيل ويرادفها بالأكديّة (waklu) ^(٢) .

dumu : مفردة سومرية بمعنى أبن ويقابلها في الأكديّة "māru" ^(٣) .

lu₅-li₂ : اسم علم سومري .

gur-sag-gal₂ : وحدة قياس سومرية للمكاييل بمعنى الكور الكبير وبمقياس الوقت الحالي يساوي " ٢٠٨,٠٨ " لتر^(٤) .

gur-[sag-gal₂]-dul : وهي وحدة كيل للسعة بمعنى (مكيال الكور الكبير) شاع استخدامه في العصر الاكدي دون غيره^(٥) .

še-gub-ba : وهو جزء من الريع المدفوع بالشعير وبصورة ادق هو جزء من الناتج الذي ينبغي على المؤجر ان يدفعه الى مالك الأرض^(٦) . وتأتي gub-ba أيضاً بمعنى (خاضع للتصفية) وتأتي أيضاً بمعنى (اخراج)^(٧) .

gu₄ : مفردة سومرية بمعنى (ثور) يقابله بالأكدية (alpum)^(٨) .

No. ٢

IM. 208656

Obv.

Col. I

- 1- [.....]
[.....]
[.....]
[.....]
5- [.....]
[.....]
[.....]
[.....gu]r
[.....]-ra
10- [.....]
Col.II

- 1- [.....gu]ruš [3] (ban₃)
[.....] geme₂ 3 (ban₃)
[.....] 12 (gur) 1 (pi) še-gur
[x]-ku-ku
5- [.....] guruš 1 (pi)
šu-nigin₂ 2 še-gur
ugula da-da
10 guruš 1 (pi)
10 ir₃ 4 (ban₂)
10- 2 geme₂ 3 (ban₂)
šu-nigin₂ 3 (gur) 2 (pi) š[e-gur]

Rev.

Col.III

- 1- ugu[la]
23 [.....]
2 (gur) [.....]
šu-nigin₂ 3 (gur) 1 (pi) 2 (ban₃) še-gur
5- e₂-iš

- 10- [.....] 13 ir₃ 4 (ban₃)
 [.....] geme₂ 3 (ban₃)
 [šu-nigin₂] 3 (gur) 1 (pi) 2 (ban₃) še-gur
 [...] mu-ni
 [.....i]r₃ [.....]
 Three lines was missing

الترجمة :

- ١- (.....)
- ٢- (.....)
- ٣- (.....)
- ٤- (.....)
- ٥- (.....)
- ٦- (.....)
- ٧- (.....)
- ٨- (.....) كو
- ٩- (.....) - را
- ١٠- (.....)

العمود الثاني

- ١- (....) عمال ٣ (بان)
- ٢- (....) أمة ٣ (بان)
- ٣- (.....) ١٢ (كور) ١ (بي) كور شعير
- ٤- (....) كو كو
- ٥- (....) عمال ١ (بي)
- ٦- المجموع ٢ كور شعير
- ٧- الوكيل دا دا
- ٨- ١٠ عمال ١ (بي)
- ٩- ١٠ عبيد ٤ (بان)
- ١٠- ٢ أمة ٣ (بان)
- ١١- المجموع ٣ (كور) ٢ (بي) كور شعير

اللقفا : العمود الثالث :

- ١- الوكيل (.....)
- ٢- ٢٣ (.....)
- ٣- ٢ (كور) (.....)
- ٤- المجموع ٣ (كور) ١ (بي) ٢ (بان) كور شعير
- ٥- إي - إيش
- ٦- (.....) ١٣ عبد ٤ (بان)
- ٧- (.....) أمة ٣ (بان)
- ٨- (المجموع) ٣ (كور) ١ (بي) ٢ (بان) كور شعير
- ٩- (.....) مو ني
- ١٠- (.....) عبد (.....)
- ١١- (.....)

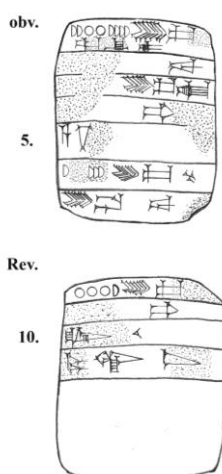
المعنى العام : على الرغم من كون القسم العلوي للنص تالف تماماً إلى أن مضمون النص يشير إلى صرف كميات من الحبوب (الشعير) للعبيد والإماء أجور لهم .

التحليل :

- ugula : مهنة سومرية يرادفها بالأكدية "waklu" بمعنى الوكيل او الملاحظ ^(٩) .
- geme₂ : وتعني امة او خادمة ويرادفها في الأكدية (amtu) ^(١٠) .
- ir₃ : سومرية بمعنى (عبد) يرادفه بالأكدية (wardum) ^(١١) .

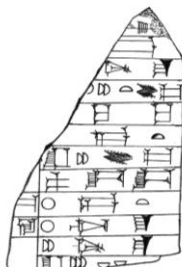
الاستنساخات والصور :

ع . م 226232

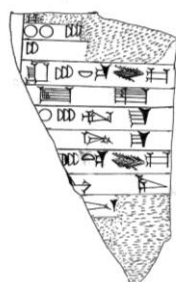


ع.م 208656

Obv.



Rev.



ع.م 208656

Obv.



Rev.



ع.م 226232

Obv.



Rev.



(1) STTI , p.62 .

(2) CDA , p.433 : a. ; Hackman , BIN , vol.8 , p.53 ; Schramm , vol.4 , p.165 ; Sigrist , TENUUS , p.75 .

(3) Labat , MDA , p.101 .

(4) Foster, B.R. , Commercial Activity in Sargonic Mesopotamia , Iraq , vol.39/1 , (1977) , p.41.

وسام صباح حميد جار الله الجبوري، المكايل ، ص ١٦٠ .

أميرة عيدان الذهب، نصوص مسمارية ، ص ٢١ .

(٥) وسام صباح حميد جار الله الجبوري، المكايل ، ص ٢٠ .

(٦) رنا وليد الطائي ، نصوص اقتصادية ، ص ٦٧ .

(7) Koslova ,N. , Neusumerische Verwaltungs Texts aus Umma aus der Sammlung der Ermitag zu St.Petersburg – RuBland , MVN , vol.21 , (Roma:2000) , p.166.

(٨) فوزي رشيد ، نتائج التنقيبات في حمير ، ص ١٤٤ .

(9) CDA , p.433: a ; Schramm, W., GAAL , vol.4 , p.165 ; Sigrist , M. , TENUUS , p.75 .

(10) Labat , MDA , p.231. ; CDA , p.15 , b.

نورا قصي عبد الرزاق المعموري ، الاماء في العراق القديم في ضوء نصوص مسمارية منشورة وغير منشورة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، قسم الآثار ، (بغداد: ٢٠١٨) ، ص ٣٣ .

(١١) فوزي رشيد ، نتائج التنقيبات في حمير ، ص ١٤٤ .

المصادر والمراجع العربية والاجنبية:

١. أميرة عيدان الذهب ، دراسة نصوص مسمارية غير منشورة من العصر الأكدي القديم من المتحف العراقي ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، قسم الآثار ، (بغداد: ٢٠٠٤).
٢. فوزي رشيد ، نتائج التنقيبات الاثرية في حوض سد حمير ، (بغداد: ١٩٨١) .
٣. نورا قصي عبد الرزاق المعموري ، الاماء في العراق القديم في ضوء نصوص مسمارية منشورة وغير منشورة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، قسم الآثار ، (بغداد: ٢٠١٨)
٤. رنا وليد الطائي ، نصوص اقتصادية غير منشورة من العصر الأكدي القديم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل ، كلية الآثار ، (الموصل : ٢٠١٣) .
٥. وسام حميد صباح جار الله الجبوري : المكايل والمقاييس في العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، (الموصل: ٢٠١١).
6. Foster, B.R. , Commercial Activity in Sargonic Mesopotamia , Iraq , vol.39/ 1 , (1977).
7. Koslova ,N. , Neusumerische Verwaltungs Texts aus Umma aus der Sammlung der Ermitag zu St.Petersburg – RuBland , MVN , vol.21 , (Roma:2000).
8. Black ,J. and Green ,A. And Postgate ,N. , A Concise Dictionary of Akkadian , 2nd Printing , CDA , (Wiesbaden:2000) .
9. Gelb , J.I. , Sargonic Texts in the Louver Museum , MDA , vol.4 , (Chicago:1970) .
10. Scharrm ,W. , Akkadische Logogramme , GAAL , heft 4 , (Gottingen: 2003) .

الأبعاد الإصلاحية لثورة الامام الحسين (عليه السلام)

ا. د. سهيلة مزبان حسن

كلية التربية بن رشد

م.م. ثائر عبد العزيز عبد الحسين

وزارة التربية

الأبعاد الإصلاحية لثورة الامام الحسين (عليه السلام).

١. د. سهيلة مزبان حسن

م.م. ثائر عبد العزيز عبد الحسين

الملخص:

تعد ثورة الامام الحسين (عليه السلام) احد اهم الثورات الاصلاحية التي عرفها التاريخ الاسلامي بشكل خاص والتاريخ البشري بشكل عام . فهي حركة اصلاحية تمثل امتداداً للحركة الاصلاحية للرسول الاكرم محمد (صلى الله عليه وآله) ومشابهاً لها من حيث الهدف والمضمون . فمثلما كانت الحركة الاصلاحية للرسول محمد (صلى الله عليه وآله) تشكل نقطة تحول مهمة في تاريخ البشرية وانقاذاً لها من شفا حفرة من النار واخراجها من الظلمات الى النور . كذلك نجد ان الامام الحسين (عليه السلام) سار على خطى جده الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله) في حركته الاصلاحية مشابهاً لها من حيث المضمون والهدف . فقد جاءت حركتهما في مرحلة حرجة من التاريخ . فهما تعدان نقطة تحول وانعطافه مهمة في تاريخ الامة فكلاهما كان له الاثر الكبير في تصحيح الانحرافات القائمة في المجتمع. فمثلما استطاع الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله) ان ينقذ الامة من شفا هاوية من النار وان ينقلها من الظلمات الى النور كذلك نجد الامام الحسين (عليه السلام) استطاع ان يحافظ على الدين الاسلامي من الانحراف وان ينقذ الامة من الظلم والفساد وذلك بعد ان شهدت الدولة الاسلامية حالة من الانحراف السياسي والفكري والعقائدي وانتشار مظاهر الفساد الاداري والمالي في مفاصلها الادارية . فضلا عن اصابة المجتمع الاسلامي بمرض اجتماعي خطير تمثل بموت الارادة والذي يعد من اخطر الامراض الاجتماعية التي تصيب الامة والشعوب والذي يؤدي الى تحول افرادها الى عبيد وهذه الامة الى امم ميتة تعيش حالة من السبات والعيش في ذل تحت سطوت الظالمين . فجاءت ثورة الامام الحسين (عليه السلام) في مرحلة خطيرة من تاريخ الامة الاسلامية ذلك بعدما ان تسلط عليها يزيد بن معاوية وما يمثله يزيد من انحراف ديني واخلاقي وفساد اداري ومالي واتباعه سياسة البطش والارهاب تجاه الامة ومع موت الارادة لدى افراد الامة كل ذلك شكل تحدياً خطيراً على الدولة الاسلامية وتهديداً لها من الانهيار وعلى الدين الاسلامي من التحريف . فقد استطاع الامام الحسين (عليه السلام) ومن خلال ثورته هذه ان يقوم بحركة اصلاحية في الامة اعاد لها ارادتها المسلوبة وان يجدد فيها القيم والاخلاق المحمدية واعادتها للسير على الطريق الذي خطه لها الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله) وان يكون الامام الحسين (عليه السلام) رمزا للتأثرين وثورته نموذجا للثورات التحريرية في العالم على مر العصور .

الكلمات المفتاحية : الثورة ، الإرادة ، الفساد الإداري والمالي ، الإصلاح .

Abstract

The revolution of Imam Hussein (ealayh alsalam) is one of the most important revolutionary reform revolutions known to Islamic history in particular and human history in general. It is a reform movement that represents an extension of the reform movement of the Holy Prophet Muhammad (salaa allah ealayh walh wasalam) and similar in terms of purpose and content. Just as the reformist movement of the Prophet Muhammad (salaa allah ealayh walh wasalam) represents an important turning point in the history of mankind and saved from the brink of a pit of fire and removed from darkness to light. We find that Imam Hussein (ealayh alsalam) followed in the footsteps of his grandfather the Noble Prophet (ealayh alsalam) in his reform movement similar to them in terms of content and purpose.

Their movement came at a critical stage in history. They are both a turning point and an important turning point in the history of the nation, both of which have had the great effect of correcting existing deviations in society. Just as the noble Prophet (ealayh alsalam) was able to save the nation from the brink of the abyss of the fire and to transfer it from darkness to light, so too Imam Hussein (ealayh alsalam) was able to preserve the Islamic religion from deviation and to save the nation from injustice and corruption. After the Islamic state witnessed a state of political, intellectual and ideological deviation and the spread of administrative and financial corruption in its administrative joints. Not to mention the fact that the Muslim community is suffering from a serious social illness represented by the death of will

Which is one of the most serious social diseases affecting nations and peoples, which leads to the transformation of their members to slaves and these nations to the state of its dead living in a state of humiliation under the oppressors of the oppressors. The revolution of Imam Hussein (ealayh alsalam) at a dangerous stage in the history of the Islamic nation, It is an increase in religious and moral deviation, administrative and financial corruption, and its policy of oppression and terrorism towards the nation and with the death of the will of the nation. This is a challenge to the Islamic state from collapse and the Islamic religion from distortion.

The Imam Hussein (ealayh alsalam) was able to carry out a reformist movement in the nation by equating it with its stolen will and renewing the values and morals of Muhammadiyah and returning them to follow the path of the noble Prophet (ealayh alsalam) and to be a symbol of revolutionaries and revolution. In the world through the ages.

Keywords: revolution, will, administrative and financial corruption, reform .

اهم نتائج ثورة الامام الحسين (عليه السلام) .

كان لثورة الامام الحسين (عليه السلام) جملة من النتائج التي كان لها الاثر الكبير في تصحيح مجرى الاحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية في الامة الاسلامية . فهي حركة اصلاحية تجديده امتد اثرها الاصلاحى على جميع الشعوب الاسلامية وغيرها من الامم وعلى مر العصور حتى اصبحت رمزاً للحركات الاصلاحية التحررية في العالم ومن ابرز نتائجها وابعادها الاصلاحية هي :

١- الاعلان عن اهداف الثورة الحسينية من قبل الامام الحسين (عليه السلام).

أدرك الامام الحسين (عليه السلام) ان للأمميين اثر كبير في تزييف الحقائق وتضليل الرأي العام للأمة وقد مارس معاوية من قبل هذا الامر في تضليل الامة في حربه للإمام علي وابنه الامام الحسن (عليه السلام) وقدرتهم على شراء ذمم البعض وما يمتلكونه من دهاء لتزييف الحقائق وامام هذه الماكنة الإعلامية الاموية ما كان من الامام الحسين (عليه السلام) إلا ان يتقف الامة على اهداف ثورته الإصلاحية والإعلان بشكل صريح عن اهدافها، ولعل بواذر هذا الإعلان لهذه الاهداف كان في السنة الأخيرة من حياة معاوية بعد ما ادرك الامام الحسين (عليه السلام) ان معاوية في أيامه الأخيرة، فقام بإقامة مؤتمراً عاماً في موسم الحج ودعي إليه انصاره وأهل بيته والمهاجرين والأنصار ممن يثق بهم وأملا عليهم كل ما ذكره الله ورسوله (ﷺ) في حق اهل البيت (عليه السلام) ومنزلتهم في الإسلام وأمرهم بنشر ذلك في بلدانهم عند رجوعهم^(١).

وبعد ان رفض الامام الحسين (عليه السلام) مبايعة يزيد اعلن للأمة انه عازم على القيام بثورة إصلاحية على الظلم والفساد وأعلن عن أهداف ثورته هذه بعد ان كتب وصيته لأخيه محمد بن الحنفية جاء فيها: ((... واني لم اخرج اشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب النجاح والإصلاح في أمة جدي محمد (ﷺ) أريد ان آمر بالمعروف وانهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي رسول الله (ﷺ) وسيرة علي بن ابي طالب (عليه السلام) (...))^(٢) وهذا إعلاناً صريحاً لأهداف ثورته (عليه السلام) وهو طلب النجاح والإصلاح في الأمة وان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، والسير بسيرة رسول الله (ﷺ) بعد ان انحرف الحكام في حكمهم وسيرتهم بالأمة عن سيرة رسول الله (ﷺ) حتى وصل الأمر أن يتولى الأمر يزيد الزاني الفاسق.

ويبدو لنا ان الامام الحسين (عليه السلام) اعلن ثورته ومبادئها بشكل علني وبأسلوب إعلامي له الأثر الكبير في التأثير داخل المجتمع، فبعد ان خرج الامام الحسين (عليه السلام) من المدينة متوجهاً الى مكة المكرمة اصطحب معه اهل بيته من النساء والأطفال وأبناء عمومته ومن لحق به من شيعته فكان خروجه ضمن موكب كبير الحجم وحمل معه امواله وسلاحه والأمتعة التي تكفي لهذا العدد الكبير من المهاجرين، فبعدما خرج من المدينة لزم الطريق الأعظم^(٣) واخذ يقرأ قوله تعالى: {فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ} قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الظَّالِمِينَ^(٤) وعندما طلب منه مسلم بن عقيل ان يعدل عن الطريق اذ قال له: ((لو عدنا

عن الطريق وسلكنا غي الجادة كما فعل عبد الله بن الزبير كان عندي الرأي فإننا نخاف ان يلحقنا ((الطلب))^(٥)، ولعل ما أشار به مسلم هو الحل الأسلم لتجنب الخطر إلا ان الامام الحسين (عليه السلام) كان له رأياً آخر اذ قال له: ((لا والله يا بن عمي لا فارقت هذا الطريق أبداً او انظر إلى ابيات مكة او يقضي الله في ذلك ما يحب ويرضى))^(٦) ويبدو لنا ان الامام الحسين (عليه السلام) أراد من خروجه مع اهل بيته وانصاره وبهذا الموكب المهيب ان يلفت انظار الناس إليه فهذا موكب اهل بيت رسول الله (ﷺ) وهذه نسائه وعيالاته وعلى رأسهم سيد شباب اهل الجنة فلا يمكن ان ينزل اي مكان دون ان يلفت النظر ودون ان تتشرف به اهالي هذه المنازل والسؤال عن وجهته وعن السبب الذي اخرج بهيئة الحرب وبهذه المسالحي وبهذه الكيفية ويبدو لنا ان الامام الحسين (عليه السلام) بعد ان عزم على إعلان ثورته لا يمكن إلا ان يفصح للأمة عن اهداف ثورته والسبب الذي اخرج به لثورة فكان الامام (عليه السلام) قد استثمر خروجه بهذه الكيفية من الناحية الإعلامية لتتقيد الأمة وتعريفهم بأهداف هذه الثورة.

ودخل الامام الحسين (عليه السلام) مكة لثلاث مضي من شعبان^(٧) وهو يقرأ: (وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ)^(٨) ففرح به اهلها فرحاً شديداً وجعلوا يختلفون اليه بكرة وعشيا، واشتد ذلك على عبد الله بن الزبير لأنه قد كان طمع ان يبايعه اهل مكة، فلما قدم الحسين (عليه السلام) شق ذلك عليه، غير انه لا يبدي ما في قلبه الى الحسين (عليه السلام) وكان يختلف اليه ويصلي بصلاته ويقعد عنده ويسمع حديثه وأقام الحسين بمكة باقي شهر شعبان ورمضان وشوال وذي القعدة،^(٩) ويبدو لنا ان الامام الحسين (عليه السلام) ولمدة اربعة اشهر استطاع ان يقوم بحملة اعلامية كبيرة في مكة وهي محط رجال الحجاج القاصدين اليها من كل فج عميق فنجد ان الامام الحسين (عليه السلام) استثمر موسم الحج ليعلم للأمة عن اهداف ثورته الخالدة وعزمه على محاربة الظلم والفساد والإعلان عن منهجه الإصلاحية في الامة ولعل المدة التي مكث فيها الامام الحسين (عليه السلام) في مكة وهي اربعة اشهر لكفيلة للتثقيف على مبادئ ثورته الإصلاحية للأمة.

بعد ان وصلت كتب اهل الكوفة الى الامام الحسين (عليه السلام) ارسل اليهم كتاباً بيد مسلم بن عقيل تضمن الاشارة لصفات الخليفة اذ جاء فيه: ((... اقدم عليكم وشيكاً ان شاء الله فلعمرى ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحق، الحابس نفسه على ذات الله، والسلام))^(١٠) وارسل الى اهل البصرة كتاباً يدعوهم فيه لنصرته ومبيناً لهم منهجه في الحكم جاء فيه: ((... وانا ادعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه، فإن السنة قد اميتت وان البدعة قد احببت، وان تسمعوا قولتي، وتطيعوا امري اهدكم سبيل الرشاد))^(١١).

شكلت حركة الامام الحسين (عليه السلام) نحو العراق حملة اعلامية لنشر اهداف هذه الثورة فكان حركة قافلة الامام الحسين (عليه السلام) التي نظم آل بيت رسول الله (ﷺ) تنشر السؤال من قبل كل من نزل عنده

الامام الحسين (عليه السلام) او من التقى به في الطريق امثال الفرزدق وغيره ممن بادر بالسؤال عن وجهة الامام الحسين (عليه السلام) فكان خطاب الامام (عليه السلام) معهم له لأثر الكبير في نشر اهداف ثورته في الأمة، بل اننا نجد ان الامام (عليه السلام) استطاع ان يكسب زهير بن القين^(١٢) الى جانبه بعد ان كان عثمانى الهوى إلا انه استطاع ان يقنعه ليكون احد جنوده ومن الذين استشهدوا بين يديه وبالتالي كانت حركته هذه تشكل بعداً اعلامياً للتتقيف بالوقوف بوجه الظلم^(١٣).

لم يقتصر الخطاب الحسيني (عليه السلام) وتوجيهاته للنهوض والثورة على الفساد الاداري والمالي الاموي على عامة الناس بل نجده (عليه السلام) وجه خطابه الى جيش بن زياد لإلقاء الحجة عليهم، فقد خطب في جيش الحر بن يزيد الرياحي^(١٤) الذي ججع بركب الحسين (عليه السلام) قبل ان يلتحق به اذ قال لهم: ((ايها الناس ان رسول الله (ﷺ) قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله (ﷺ) يعمل في عباد الله بالآثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل او قول، كان حقاً ان يدخله مدخله. إلا وان هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن، واطهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وحلوا حرام الله، وحرموا حلاله ، وانا احق من غيري، وقد اتنتي كتبكم وقدمت علي رسلكم ببيعتكم، انكم لا تسلموني ولا تخذلوني فإن تمتمت علي ببيعتكم تصيبوا رشدكم...))^(١٥)، ولعل هذا الخطاب كان له الأثر في نفسية الحر قائد الجيش مما دفعه فيما بعد إلى الإلحاق بمعسكر الامام الحسين (عليه السلام) ويستشهد بين يديه (عليه السلام).

وكذلك نجده (عليه السلام) كان قد وجه خطابه الى معسكر بن سعد عندما تقابل الجيشان اذ خطب فيهم ناصحاً إياهم ملقياً عليهم حجتة وجاء في خطبته إياهم: ((... ألا و ان الدعي بن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وجدود طابت، وحجور طهرت، وانوف حمية، ونفوس ابيه، لا تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام.. ألا واني قد اعذرت وانذرت...))^(١٦).

ادرك الامام الحسين (عليه السلام) اهمية الاعلام في انجاح ثورته الإصلاحية وقد عبر السيد محمد باقر الحكيم عن اهمية الاعلام في النهضة الحسينية اذ قال: ((وبالنسبة الى النهضة الحسينية كان السبب الرئيسي في استمرارها وفي انجاحها، هو الدور الخاص الذي قامت به البقية الباقية من اهل البيت (عليه السلام) في تغطيتها وتوضيح معالمها واهدافها من الناحية الإعلامية، وابلاغ هذه الرسالة الى الناس علماً ان هذا الدور قام به أولاً، الامام زين العابدين (عليه السلام) باعتباره يمثل البقية الباقية من اهل البيت (عليه السلام)، وثانياً، قامت به السيدة العقيلة زينب (عليه السلام) وبقية اهل البيت (عليه السلام))^(١٧)، كان الامام الحسين (عليه السلام) مدركاً لخطورة اصطحابه النساء والأطفال والاموال وكل ما يملك معه الى ساحة القتال مع علمه بما سيحل بهم من السبي والسلب والإذلال وقد صرح (عليه السلام) ان يزيد سيسبي النساء اذ قال لأخيه بن الحنفية عندما سأله

عن سبب اصطحابهن ((ان الله قد شاء ان يراهن سبايا))^(١٨) وقد شاء الله ان تشارك هؤلاء النسوة والأطفال الإمام الحسين (عليه السلام) ثورته الإصلاحية وان يكون لزینب (عليها السلام) دوراً رسالي كما كتب الله لجدتها خديجة (عليها السلام) عندما شاركت رسول الله (ﷺ) المحن وكذلك نجدها حذت حذوا امها الزهراء (عليها السلام) عندما وقفت الى جانب علي (عليه السلام) وقيامها بدورها الرسالي في محاربة الفساد الاداري والمالي وكانت خير سنداً لأمر المؤمنين (عليهم السلام).^(١٩)

كان الإمام الحسين (عليه السلام) يعلم بقدره الامويين على تضليل الرأي العام وقلب الحقائق وانه كان باستطاعتهم ان يقضوا على ثورته وقتله مع اصحابه في كربلاء ويروجون اخباراً كاذبة عن ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) واطهاره خارج عن الجماعة وناكث للبيعة وخاصةً اذا ما علمنا ان الدولة الاسلامية مترامية الاطراف تحتاج الى حملة اعلامية كبيرة لإيصال الحقيقة ومع امتلاك يزيد زمام السلطة والأموال كان باستطاعته ان يكبت هذه الثورة اعلامياً بل لعله كان باستطاعته ان يخرجها بأنها ثورة لأحد الخوارج، فلم يكن امام الإمام الحسين (عليه السلام) إلا ان يكون لثورته شقين جهادي وتقديم الدماء قرباناً لله وشقاً اعلامياً يكون على عاتقه إيصال اهداف هذه الثورة الى الأمة، فنجد (عليه السلام) حشد جميع المحفزات العاطفية لإثارة الضمائر الميتة داخل المجتمع فكان لزینب واخواتها والنساء والأطفال ولالإمام السجاد (عليه السلام) هذا الدور الرسالي الخالد وقد عبر انطوان بارا عن هذا الدور بقوله: ((لولا خروج السيدة زينب (عليها السلام) مع اخيها إلى ارض مصرعه، هذا الخروج الصعب وما تخلله من عنت وجوع وعطش وآلام... لما كان احد تسمع بمجريات المأساة ولكانت فرق المرجئة^(٢٠) وجوقة المنافقين الملتفة حول يزيد صورت الامر على انه خروج فئة ضالة على امير زمانها فاستحقت معاناة الصراع وما ينجم من دموية وازهاق ارواح، ولكان الناس سمعوا بالمعركة على انها حرب قائمة ومن الطبيعي ان تسفر عن غالب ومغلوب تقعقع فيها السيوف... لولا هذا الدور المتمثل بخروجها وحرائر عقيلات اهل البيت... وهذا الخروج الدرامي المفجع لما كان يتسنى للهزة الضميرية ان تبلغ هذا التوجع المؤلم الذي بلغته))^(٢١)، وقد حدد السيد محمد باقر الحكيم للسيدة زينب (عليها السلام) اربع مراحل في حركتها الإعلامية هذه اذ قال: ((ولذلك نجد ان العقيلة زينب (عليها السلام) عندما ارادت ان تقوم بهذه المهمة الإعلامية.. كان لها مراحل اربعة في اعلامها وفي خطابها السياسي وكانت تنتقي ايضاً المضمون في هذا الإعلام وفي هذا الخطاب بما يتناسب مع هذه المراحل الأربعة التي قامت بها. المرحلة الاولى: هي مرحلة الاعلام في الاوقات والأيام التي كانت قبل الدخول في المعركة او بعدها بقليل... المرحلة الثانية: خطابها عليها السلام في الكوفة... كان حديثهم يركز على التأنيب لنكثهم العهود ونقضهم المواثيق مما جعل الكثير منهم يبكي... المرحلة الثالثة: وهي مرحلة الحديث مع اهل الشام اي الحديث مع الأعداء التقليديين الشاميين... ولذا تغير مضمون الحديث واسلوبه في الشام فأصبح عبارة عن كشف الحقائق من ناحية وإبراز شجاعة اهل البيت... المرحلة الرابعة: وهي

مرحلة ما بعد الأسر عندما استقرت في المدينة... وإنما هو خطاب مع جمهور المسلمين الذي كان يريد ان يعرف الحقائق والحوادث التي جرت في كربلاء^(٢٢) فكان للإعلام الحسيني دوراً مكملاً لثورة التضحية والدماء.

ولعل من الآثار المهمة في دور الاعلام في تأليب الامور على يزيد وجيشه ما قامت به زينب (عليها السلام) في ساحة المعركة وخطابها لعمر بن سعد عندما ارادوا قتل الحسين وحز رأسه (عليه السلام) وقد دنى عمر بن سعد من الحسين فقالت زينب: ((يا عمر ايقتل ابو عبد الله وانت تنتظر؟ فبكي وانصرف بوجهه عنها... فحملوا عليه من كل جانب.. ونزل اليه فذبحه))^(٢٣) ، وكان لها دوراً عظيماً في تأليب اهل الكوفة فكانت الكوفة تعج بالبكاء عند دخول السبايا فقد ذكر حاجب لعبيد الله بن زياد: ((امر بعلي بن الحسين (عليه السلام) فغل وحمل مع النسوة والسبايا الى السجن وكنت معهم فما مررنا بزقاق إلا وجدناه ملئ رجالاً ونساء يضربون وجوههم ويبكون فحبسوا في سجن وطبق عليهم))^(٢٤) وهذا يدل على مدى اتساع ظاهرة الرفض لسياسة يزيد وما قام به بقتل ريحانة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسيد شباب اهل الجنة.

اما في الشام فكانت ردت الفعل كبيرة جداً فبعد ان زينب الشام لاستقبال سبايا الخوارج الذين خرجوا على الخليفة يزيد هذا ما كان يروج به يزيد وتضليل اهل الشام، كان لدخول السبايا له الاثر الكبير في إظهار حقيقة كذب يزيد، ولعل اول ردت فعل سلبية تجاه يزيد وجريمته بحق اهل البيت (عليهم السلام) كانت من نساء اهل بيت يزيد فقد ذكر انه عندما ادخل نساء الحسين (عليه السلام) على يزيد بن معاوية صحن نساء آل يزيد وبنات معاوية واهله فلم تبق امرأة من آل يزيد إلا انتهن واقمن المآثم ثلاثة أيام.^(٢٥) ناهيك عن الدور الإعلامي للإمام السجاد (عليه السلام) وزينب (عليها السلام) من خلال اللقاء الخطب التي كانت لها الدور الكبير في كشف حقيقة يزيد وبيان اهداف الثورة الحسينية للأمة.^(٢٦)

٢- تحطيم الإطار الديني المزيف للدولة الأموية.

استغل الامويين الدين لإيهام الامة انهم يحكمون بتفويض إلهي، وانهم خلفاء رسول الله حقاً، هادفين من وراء ذلك الى ان يحكموا بتفويض الاهي يعطيهم الحق بالقضاء على اي ثورة تنثور عليهم وان كانت مطالبها حقة، وقد رأينا انهم استعانوا على ذلك بطائفة كبيرة من الاحاديث المكذوبة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعن طريق هذه المؤسسات (الأحاديث النبوية، الشعر، الفرق الدينية، القصص) آمن الناس إيماناً غيبياً بالحكم الأموي، وبحرمة الثورة عليه، وان خرج عن حدود الدين الذي هو المبرر الوحيد لوجوده^(٢٧) فقد كان هناك شك كبير في الاوساط العامة للأمة في ذلك الوقت، حول شرعية هذه الثورة ووجوب القيام في وجه الظلم والطغيان المتمثل في يزيد وان كان وضوح الى حد ما في انحراف يزيد ومن جملة القضايا

المهمة التي سعى إليها معاوية بجد هي اشاعة فكرة معينة بين المسلمين، وهذه الفكرة هي اطاعة الحاكم الذي يرفع شعار الإسلام حتى لو كان جائراً او ظالماً او خارجاً على الحدود الاسلامية ما لم يظهر الكفر البواح بصورة علنية وظاهرة امام الناس ولذا كان الامام الحسين (عليه السلام) يواجه صعوبة كبيرة في مواجهة هذا الفهم العام للمسلمين من قضية طاعة الحاكم الجائر هذا الفهم^(٢٨).

لقد كان للتضليل الاموي الاثر على المجتمع فنجد ان البعض ممن قاتل الامام الحسين (عليه السلام) كان ينظر الى ان الامام الحسين (عليه السلام) من أهل النار، فهذا يقول للإمام الحسين (عليه السلام): ((يا حسين أبشر بالنار))^(٢٩) وآخر يمتنع ان يسقي الامام (عليه السلام) الماء اذ قال له احدهم: ((والله لا تذوق الماء حتى ترد الحامية فتشرب من حميمها... بل ارد على جدي رسول الله (ﷺ) وأسكن معه في دار صدق عند ملكك مقتدر واشرب من ماء غير اسن واشكوا اليه ما ارتكبت مني وفعلتم بي))^(٣٠).

ولعل الشعار الذي رفعه عمر بن سعد لبدء المعركة يبين لنا مدى الانحراف العقائدي لدى هؤلاء اذ قال: ((يا خيل الله اركبي وبالجنة ابشري))^(٣١) فكان انطلاق هؤلاء صوب معسكر الامام الحسين (عليه السلام) باعتباره معسكراً لخارجي خرج عن الإسلام وخالف امر الخليفة يزيد، وقد بين الامام السجاد (عليه السلام) حال هؤلاء العسكر اذ قال (عليه السلام): ((ازدلف اليه ثلاثون ألف رجل يزعمون انهم من هذه الامة كل يتقرب الى الله عز وجل بدمه وهو بالله يذكرهم فلا يتعضون حتى قتلوه بغياً وظلماً وعدواناً))^(٣٢) فكان هؤلاء يتقربون الى الله بقتل الحسين (عليه السلام) حتى انهم كانوا ينظرون اليه مارق عن الدين فعندما انسل البعض من معسكر بن سعد الى معسكر الحسين (عليه السلام) يقاتلون دونه خاطبهم احد قادة جيش بن سعد: ((يا أهل الكوفة، ألزموا طاعتكم وجماعتكم، ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين، وخالف الامام))^(٣٣) وهذا يدل على مدى الانحراف الفكري والعقائدي الذي اصيب به المجتمع الإسلامي.

وإمام هذا التحدي الخطير الذي منيت به الامة وماله من اثر كبير في ضياع الاسلام، فعندما تنتظر الامة الى يزيد الفاسق هو الممثل الحقيقي للدين الاسلامي والامام الحسين (عليه السلام) سيد شباب اهل الجنة هو المارق يستوجب القتل ونار جهنم ، فهذا يدل على مدى الانحراف الديني الذي منيت به الامة.

لقد كان اضمن السبل لتحطيم هذا الاطار الديني هو ان يثور عليه رجل ذو مركز ديني مسلم به عند الامة المسلمة بأمرها، فتورة مثل هذا الرجل كفيلة بأن تفضح الزخرف الديني الذي يتظاهر به الحكام الامويين، وان تكشف هذا الحكم على حقيقته وجاهليته، وبعده عن مفاهيم الإسلام، ولم يكن هذا الرجل إلا الحسين (عليه السلام)، فقد كان له في قلوب المسلمين جميعاً رصيد من الحب والإجلال عظيم، وقد رأيت مصداق ذلك عند الحديث عن اقامته في مكة ثم عند الحديث عن خروجه منها الى العراق، كان هو الرجل الوحيد الذي يستطيع ان يفضح الحكام الأمويين ويكشف حقائقهم، وقد وضع موقف الأمويين من

ثورة الحسين خطأً فاصلاً بين الدين الاسلامي والحكم الاموي واطهر هذا الحكم بمظهره الحقيقي وكشف زيفه. (٣٤)

ومما يميز خروج الامام الحسين (عليه السلام) انه ثار من اجل محاربة الفساد والظلم وليس لدوافع شخصية وقد بين السيد الصدر ذلك: ((كان لا بد لشخص هو ابعد هؤلاء الناس عن الظلم وعن الغبن في مصالحه الشخصية كان لا بد لشخص من هذا القبيل ان يثار لظلم المظلومين، لكي يحس هؤلاء المظلومين بأن هناك هدفاً اكبر من هذه الحدود الصغيرة، الحسين لم يعيش هذا الظلم الفردي الذي عاشه كل مسلم ومسلمه، لأن الحسين (عليه السلام) كان اعز الناس جاهاً وامنعهم جانباً ومن اكثرهم مالاً وأوسعهم حياة، كل الدنيا كانت متوفرة للحسين (عليه السلام) وكل المسلمين كانوا يحوطون بالحسين (عليه السلام) بكل تجليل وتقديس وتكريم... لكنه بالرغم من هذا تحرك ، ولم يتحرك أولئك الذين التهب السياط فوق ظهورهم، تحرك لكي يحس أولئك الذين التهب السياط فوق ظهورهم بأنهم لا بد ان يتحركوا)) (٣٥).

ومع كل هذه المقومات التي يتمتع بها الامام الحسين (عليه السلام) التي تجعل منه قائداً لعملية الاصلاح إلا انه اتخذ مجموعة من الخطوات الاعلامية التي اخذت على عاتقها فضح زيف بني امية وتحطيم اطراهم الديني المزيف، فنجده كان قد حشد مجموعة من الظروف العاطفية التي لها الدور في إثارة ضمير هذه الامة ومنها، اشراك العقائل من الهاشميات في الثورة بالإضافة الى إشراك الاطفال فإن وجود نساء البيت العلوي ومخدرات الهاشميين في خضم هذه المحنة لا بد ان يثير في النفوس العطف، وفي القلوب الانكسار مهما كانت تلك النفوس متوحشة والقلوب قاسية (٣٦) وبمشاركة النساء والأطفال في هذه الثورة تمكن الامام (عليه السلام) ان يكشف الحقيقة المرة المتمثلة بكفرهم واستهتارهم بالإسلام واحكامه، حيث اسقط القناع عنهم عندما ارتكبوا اعمال واضحة في مخالفتهم للإسلام ومنها التعذيب والاضطهاد للإمام الحسين (عليه السلام) واهل بيته واصحابه وعيالاته واطفاله بمحاصرتهم ومنعهم من الماء والأكل (٣٧) حتى وصل الامر انه حتى الطفل الصغير حرم من الماء وتم ذبحه من الوريد الى الوريد فقال الامام الحسين (عليه السلام): ((ويل لهؤلاء القوم اذ كان خصمهم جدك رسول الله محمد (صلى الله عليه واله)) (٣٨) وقد منعوا الماء عن الحسين وأهل بيته وأصحابه قبل المعركة بثلاثة أيام. (٣٩)

ولم تسلم النسوة من القتل فعندما خرجت امرأة الكلبى تمشي إلى زوجها حتى جلست عند رأسه تمسح عنه التراب وتقول: هنيئاً لك الجنة، فقال الشمر بن ذي الجوشن (٤٠) لغلام: اضرب رأسها بالعمود فضرب رأسها فشدخها فماتت مكانها (٤١) اما نساء وعيال الحسين (عليه السلام) فقد نالهن من الارهاب الاموي ما نالهم حتى ان الامام الحسين (عليه السلام) قال لجيش بن زياد قبل استشهاده بعد ان هم الشمر بحرق وسلب معسكر الامام الحسين (عليه السلام): ((ويلكم ان لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون يوم المعاد، فكونوا في امر دنياكم احراراً ذو احساب امنعوا رحلي واهلي من طعامكم وجهاكم)) (٤٢) إلا ان كلام الامام الحسين (عليه السلام) لم

يلقى اذنًا صاغية فبعد استشهاده احرقت الخيم وضربت النساء وسلبن وسبين واخذ ثقل الحسين ومتاعه وضرب النساء والاطفال بالسياط واركبوا على نوقاً هزل وادخلوا السجن واخذن سبايا الى الشام^(٤٣).

واستخدم الامام الحسين (عليه السلام) اسلوب التذكير والوعظ معهم اذ قال لهم: ((انشدكم الله هل ان جدي رسول الله (ﷺ) قالوا: نعم. قال: انشدكم الله هل تعلمون ان هذا سيف رسول الله (ﷺ) انا متقلده؟ قالوا: اللهم نعم. قال: انشدكم الله هل تعلمون ان هذه عمامة رسول الله انا لابسها؟ قالوا: اللهم نعم...))^(٤٤) ومع كل هذه القرائن التي تبين انه على الحق إلا ان هؤلاء ارتكبوا جريمتهم بحق سبط الرسول وسيد شباب اهل الجنة وكان طريقة قتله (عليه السلام) دليلاً على كشف حقيقة بني امية، فقد قطع رأسه الشريف ورؤوس اصحابه ورفعن فوق الرماح ونقلت من بلد الى بلد^(٤٥) وقام يزيد بصلب رأس الحسين (عليه السلام) بدمشق ثلاثة ايام^(٤٦)، وقد ذكر ان رأس الامام الحسين (عليه السلام) كان يقرأ سورة الكهف من على الرمح^(٤٧) فقد مارس بني امية اقصى انواع البطش والتتكيل مع الحسين (عليه السلام) واصحابه فكانوا يتقصدون من وراء ذلك ارباب الأمة، وسلب ارادة كل من يفكر الخروج عليهم، فكان اهل الكوفة يميزون بين سياسة الطرفين سياسية بني امية وما فعلوه بالحسين وآل الحسين (عليه السلام) وبين سياسة علي (عليه السلام) مع اعدائه، فقد نهى الامام علي (عليه السلام) من سلب قتلى حرب الجمل، وكذلك رفض تقسيم الغنائم على اصحابه اذ قال لهم: ((...اما علمت ان دار الحرب يحل ما فيها وان دار الهجرة يحرم ما فيها إلا بحق فمهلاً مهلاً رحمكم الله فإن لم تصدقوني وأكثرتم علي - وذلك انه تكلم في هذا غير واحد - فأيكم يأخذ عائشة بسهمه))^(٤٨)، وكذلك نجد الامام علي (عليه السلام) اوصى ابنه الامام الحسن (عليه السلام) بعدم التمثيل بقاتله فقال له: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: ((إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور))^(٤٩).

وقد علق الشيخ شمس الدين على إجرام بني امية هذا بقوله: ((لقد اعطاهم الحسين فرصة يتقون بها ارتكاب قتله وقتل اله وصحبه، ولكنهم ابو إلا القتل، واصرروا عليه فزادهم ذلك فضيحة في المسلمين... وقد انكشف هذا الزيف الديني الذي موه الامويون به حكمهم سريعاً بعد مصرع الحسين وأله، فقد نشر الجنود العائدون تفاصيل الملحمة المروعة في طول البلاد الاسلامية وعرضها فكان لذلك فعل النار بالنسبة الى السلطان الاموي... لقد تحطم منذ ذلك اليوم الاطار الديني الذي احاط به الحكام الظالمون حكمهم الفاسد، لم تعد لهذا الحكم حرمة دينية عند الجماهير المسلمة))^(٥٠)، وبذلك استطاع الامام الحسين (عليه السلام) ان يحطم الإطار الديني الذي تأطر به بنو امية الى يوم الدين.

٣- ثورة الحسين (عليه السلام) إعادة الإرادة الى الأمة وجددت فيهم مفهوم الشهادة وفلسفة الحياة.

استطاع الإمام الحسين (عليه السلام) ان يعالج مرضاً من امراض الأمة كما وفق من قبله اخوه الإمام الحسن (عليه السلام) ليعالج مرضاً اخر من امراض الأمة. فبينما قدر للأمام الحسن ان يعالج مرض الشك في الأمة الإسلامية التي بدأت في عهد امير المؤمنين تشك في الخط الرسالي الذي سار عليه قادة اهل البيت (عليهم السلام). واستفحل لديها هذا الشك حتى تحول الى حالة مرضية في عهد الإمام الحسن (عليه السلام)^(١)، استطاع الإمام الحسن (عليه السلام) باعتزاله المعتزك السياسي مؤقتاً ان يعطيها فرصة لتجد بأم عينها أبعاد المؤامرة وحدودها، وأوقع معاوية وما يمثله من افكار ومفاهيم، استطاعت الأمة ان تعرف ذلك، فأصبحت الأمة الإسلامية تلحن معاوية وأصبحت تعيش علي بن ابي طالب (عليه السلام) كمثال اعلى كأمل كحل كرجل قد مر في تاريخها ثم وقعت بعده في اشد المصائب والنكبات والويلات اصبحت تعيش هذه الازمة تجاه واقعها وهذه العاطفة تجاه ماضيها.^(٢)

بينما عالج الإمام الحسين (عليه السلام) حالة مرضية اخرى، هي حالة انعدام الإرادة مع وضوح الطريق. الأمة الإسلامية التي كانت تشك - او التي بدأت- في واقع المعركة القائمة داخل الاطار الاسلامي بن الجناحين المتنازعين، اتضح لها بعد ها الطريق. لكن هذا الطريق اتضح لها معالمه بعد ان فقدت ارادتها وأباحوا كرامتها استطاعوا ان يغدروها، وان يجعلوها غير قادرة على مجابهة موقف من هذا القبيل.^(٣) لقد قدم الإمام الحسين (عليه السلام) وأله وأصحابهم في ثورتهم على الحكم الاموي. الاخلاق الإسلامية العالية بكل صفاتها ونقائها. ولم يقدموا الى المجتمع الاسلامي هذا اللون من الاخلاق بألسنتهم، وانما كتبوه بدمائهم وحياتهم.^(٤) فقد منيت الأمة زمن الإمام الحسين (عليه السلام) بموت الإرادة نتيجة الظروف التي عاشتها في ظل حكم معاوية بن ابي سفيان. اصبحت امة فاقدة لإرادتها وتغير فيها المفهوم الحقيقي للحياة والموت وغابت فلسفة الحياة التي جاء بها الاسلام، وكأنها امة لا تؤمن بالحياة بعد الموت ولأنها امة غاب عنها مفهوم الشهادة، اصبحت امة تنظر الى الموت هو نهاية المطاف وكأنما ليس بعد الموت حياة ابدية. أصبح هم الفرد المسلم جل همه كيف يحافظ على حياته ولا يعرضها للقتل على يد السلطة واخذ يتحمل أقصى أنواع الظلم والحرمان حتى وان تعرض الاسلام الى الانحراف على يد بني امية وان اصبغ يزيد الزاني الفاسق قاتل النفس المحرمة خليفة يحكم فيهم كيف شاء. أصبحت امة كالجسد الهامد الذي توقف قلبه عن النبض فكان لابد لصعقة كهربائية تعيد اليه الحياة من جديد. وقد عبر الشيخ شمس الدين عن هذا المعنى بقوله: ((والذي اعتقده هو ان وضع المجتمع الاسلامي إذ ذاك كان يتطلب القيام بعمل انتحاري فاجع يلهب الروح النضالية في هذا المجتمع، ويتضمن اسمى مراتب التضحية ونكران الذات في سبيل المبدأ لكي يكون مناراً لجميع الثائرين حين تلوح لهم وعورة الطريق، وتضمحل عندهم احتمالات الفوز، وترجع عندهم امارات الفشل والخذلان))^(١). فكان لابد للإمام الحسين (عليه السلام) في تلك المرحلة الرهيبة ان

يحمي الأمة وإرادتها من الانهيار الكامل الذي يحقق لخصوم الاسلام نصرهم النهائي وكان الاسلوب الوحيد لذلك ان يقف الامام الحسين (عليه السلام) بنفسه امام الطغاة الذين سرقوا من الأمة إرادتها ويتحداهم بكل صمود وثبات وبأس كامل من امكانات النصر العسكري، يضرب بوقفته المستميتة المثل الاعلى للإرادة الحية التي لا يمكن ان تضعف او تلين ويقدم لذلك ثمنا ازكى الدماء واطهرها، يقدم دماء الصفوة من اولاده وأهله وصحبه ثم يخر صريعاً في الساحة وتظل إرادتها فوق الموت وفوق السفاكين لكي تمتد وتمتد في ضمير الأمة ووجدانها وتزرع الشوك في طريق الجبابرة والظالمين.^(٢) ولعل ابرز مصداق لموت ارادة الأمة هو ما عبر عنه كبار الشخصيات الدينية في طلبهم من الامام الحسين (عليه السلام) بعدم قيامه بالثورة خوفاً عليه من القتل. اذ كان الموت يشكل عند هؤلاء نهاية المطاف للدور الرسالي للأمام الحسن (عليه السلام). وهذا يدل على ان الامام اصبحت تألف الخنوع والظلم. فقد اشار عليه اخوه محمد بن الحنفية انه يخاف عليه من القتل اذ قال له: ((واني خائف عليك ان تدخل مصرًا من الامصار او تأتي جماعة من الناس فيقتتلون فتكون طائفة منهم معك و طائفة عليك فتقتل منهم))^(٣) بل اننا نجد عبد الله بن جعفر الطيار بن عم الحسين (عليه السلام) انه طلب من الامام الحسين (عليه السلام) عدم الثورة على يزيد خوفاً عليه من القتل واتاه بكتاب الامان من والي المدينة فعن علي بن الحسين (عليه السلام) انه قال ((لما خرجنا من مكة كتب عبد الله بن جعفر بن ابي طالب الى الحسين ... اسألك بالله بما انصرفت حين تنتظر في كتابي فاني مشفق عليك من الوجه الذي توجه له ان يكون فيه هلاكك واستئصال اهل بيتك ان هلك اليوم طفئ نور الارض ... وقام عبد الله بن جعفر الى عمرو بن سعيد بن العاص فكلمه وقال: اكتب الى الحسين كتابا تجعل له فيه الامان وتمنيه فيه البر والصلة وتوثق له في كتابك وتسأله الرجوع لعله يطمئن... من عمرو بن سعيد الى الحسين بن علي... فاقبل الي معهما فان لك عندي الامان والصلة والبر وحسن الجوار لك الله عليّ بذلك شهيد كفيلاً...))^(٤) وهذا مصداق على ان شخصية كعبد الله بن جعفر لم تكن تعي المشروع الاصلاحى للحسين (عليه السلام). وكذلك نجد عبد الله بن عمر كان قد طلب من الامام الحسين (عليه السلام) مصالحة يزيد وحذره من القتل والقتال فقال له الامام الحسين (عليه السلام): ((يا ابا عبد الرحمن اما علمت ان من هوان الدنيا على الله ان رأس يحيى بن زكريا اهدي الى بغي من بغايا بني اسرائيل اما تعلم ان بني اسرائيل كانوا يقلوا ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس سبعين نبيا. ثم يجلسون في اسواقهم يبيعون ويشتررون كأن لم يصنعوا شيئا فلم يعجل الله عليهم بل امهلهم واخذهم بعد ذلك اخذ عزيز ذي انتقام اتق الله يا ابا عبد الرحمن ولا تدعن نصرتي))^(٥) وجاء عبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير فأشارا اليه بالإمساك فقال لهما: ((ان رسول الله (ﷺ) قد أمرني بأمر وانا ماضٍ فيه، فخرج ابن عباس وهو يقول واحسيناه))^(٥٢). وفي رواية ان ابن عباس قال للأمام الحسين (عليه السلام): ((والناس اليوم انما هم عبيد الدينار والدرهم ولا آمن عليك ان تقتل فأنتق الله والنزم هذا الحرم. فقال له الحسين (عليه السلام): والله ان اقتل بالعراق أحب الي من اقتل بمكة وما قضى الله فهو كائن))^(٥٣) ولو تأملنا هذه الروايات لتبين لنا ان المتكلمين ليس اشخاص بسطاء

بل انهم من كبار الشخصيات الدينية والسياسية في المجتمع والذين بايعوا يزيد ماعدا بن الزبير الذي تحصن بمكة. وهذا يدل على مدى الخنوع الذي اصيب به المجتمع الاسلامي فاذا كانت كبار الشخصيات والرموز الاسلامية يحثون الامام الحسين (عليه السلام) بعدم الثورة على يزيد خوفاً عليه من القتل فما حال بقية افراد المجتمع. وقد تلقى الامام الحسين (عليه السلام) تحذيرات عديدة من بعض الشخصيات الاخرى انه في حال توجهه الى الكوفة فأن مصيره القتل.

وامام موت الارادة والخنوع من قبل الامة وقبولها بالظالم وانقلاب مفهوم الشهادة والتضحية من اجل المبادئ ونصرة الحق الى القبول بالحياة في ظل حاكم فاسق ظالم منحرف واستسلامهم لهذا الواقع الذي اصبح كالقدر المكتوب لابد ان تستجيب له الامة. وامام هذه الثقافة السلبية التي طغت على الامة اعلن الامام الحسين (عليه السلام) عن مشروعه الاصلاحى وهو تغيير هذا المفهوم الخاطئ وتصحيح هذه الفلسفة السلبية للحياة ليبين للامة ان الفلسفة الحقيقية للحياة هي ان يعيش الانسان من اجل الحرية والكرامة وتحقيق العدل ولذا نجده اعلن عن فلسفته للحياة وهي ان الحياة تكمن بالمبادئ والمواقف وطاعة الله وخدمة الامة.

وعندما قرر الامام الحسين (عليه السلام) الخروج من المدينة ليعلم ثورته على يزيد كتب كتابا الى اخوته من بني هاشم يبين لهم عن مشروعه الاصلاحى جاء فيه ((بسم الله الرحمن الرحيم. من الحسين بن علي الى بني هاشم. اما بعد: فانه من لحق بي استشهد ومن لم يلحق بي لم يبلغ الفتح والسلام))^(٥٤) ولو تأملنا في هذه الرسالة لوجدنا فلسفة الحياة عند الامام الحسين (عليه السلام) فانه يعلن انه ذاهب الى الشهادة الا ان هذه الشهادة هي فتح فهي شهادة بنصر. على الرغم انه اعلن انه سيخسر من الناحية العسكرية وسيستشهد مع من يلحق به وان نسائه واطفاله سوف تسبى اذ قال ((شاء الله ان يراهن سبايا))^(٥٥) الا انه اعلن لهم ان هذه الشهادة هي النصر وهي الفتح فمثله مثل جده رسول الله (ﷺ) في صلح الحديبية عندما كان كثير من المسلمين ينظرون ان بنود الصلح جاءت لصالح المشركين مع ان ميزان القوى كان الى جانب المسلمين وكان باستطاعتهم تحقيق النصر العسكري لو دخلوا في حرب مع المشركين. الا ان الله تعالى امر رسوله صلى الله عليه واله وسلم بقبول هذه الشروط وعبر عن هذا الصلح بالفتح قال تعالى: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا}^(٥٦). فالأمام الحسين (عليه السلام) اعلن عن هذه الفلسفة انه وان استشهد الا انه سوف يحيى هذه النفوس الميتة ويخرج هذه الامة من هذا السبات الذي تعيشه بالخنوع والذل. بل انه كان يرى الموت سعادة اذ قال: ((فاني لا ارى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا برما))^(٥٧) وكان (عليه السلام) يقول: ((موت في عز خير من حياة في ذل))^(٥٨) وانشأ (عليه السلام)^(٥٩):

الموت خير من ركوب العار والعار أولى من دخول النار

ولما قصد الطف انشد يقول^(٦٠) :

سأمضي فما الموت عار على الفتى إذا ما نوى خيرا وجاهد مسلما
وواسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مثبورا وخالف مجرما

ويمكن لنا ان نبين مدى تأثير ثورة الامام الحسين (عليه السلام) على الامة ودورها في اعادة الارادة اليها وصحوتها من السبات الذي كانت فيه ولعل ذلك يتبين بشكل جلي فيما لو قارنا ما بين الوضع النفسي والسياسي للبلاد الاسلامية قبل وبعد الثورة. فلو نظرنا الى الكوفة نجدها قبل الثورة الحسينية كانت تعيش حالة من الخنوع وموت الارادة فبعد ان بايعت الامام الحسين (عليه السلام) عند دخول مسلم بن عقيل الذي كتب الى الامام الحسين (عليه السلام) بانه بايعه اثنا عشر الف وطالبه بالقدوم اليها^(٦١). نجد نفس هذا المجتمع وبمجرد دخول عبيد الله بن زياد اليها وحيدا متكررا بعمامة سوداء واهما الناس بانه الحسين ومن دون ان يكون معه جيش^(٦٢) نجد هذه الامة التي بايعت الحسين قد انهزمت نفسيا واخذت بخذلان مسلم بن عقيل وقد ذكرت الروايات خذلان اهل الكوفة لمسلم ((ان المرأة كانت تأتي ابنها او اخاها فتقول: انصرف الناس يكفوك، ويجيئ الرجل الى ابنه او اخيه فيقول: غدا يأتيك اهل الشام فما تصنع بالحرب والشر انصرف فيذهب به فما زالوا يتفرون ويتصدعون حتى امسى بن عقيل ومن معه ثلاثون نفسا في المسجد حتى صليت المغرب فما صلى مع ابن عقيل الا ثلاثون نفسا فلما رأى انه قد امسى وليس معه الا اولئك نفر خرج متوجها نحو ابواب كندة ، فلما بلغ الابواب ومعه منهم عشرة ثم خرج من الباب واذا ليس معه انسان والتفت فاذا هو لا يعسى احدا يدلّه على منزل ولا يواسيه نفسه ان عرض له عدو))^(٦٣) ولعل هذه الرواية تبين لنا مدى الخذلان وموت الارادة في المجتمع ومن الشواهد الاخرى على موت الارادة حاصل بهاني بن عروة عندما حبسه بن زياد فلم يكن في قصر الامارة الا ثلاثون شرطي وكان على ابواب القصر اربعة الاف من عشيرة هاني وشيعته^(٦٤) الا ان الخذلان كان سببا في عدم هجوم هؤلاء لإنقاذ سيدهم من القتل. فقد ذكر شريح القاضي ((دخلت على هاني فلما راني قال: يا الله يا للمسلمين اهلكت عشيرتي فاين اهل مصر تفاقدوا أيخلوني وعدهم وابن عدوهم والدماء تسيل على لحيته اذ سمع الرجة على باب القصر وخرجت واتبعني فقال: يا شريح اني لأظنها اصوات مذحج وشيعتي من المسلمين ان دخل علي عشرة نفر انقذوني))^(٦٥) الا ان النتيجة ان هؤلاء انصرفوا بمجرد انهم سمعوا من شريح انه حي. ولم يكن أي موقف او ردت فعل بعد ان القي هاني من قصر الامارة واستطاع بن زياد ان يبسط سيطرته على الكوفة من دون ان يكون معه جيش وانما بالتهديد والوعيد. حتى انه استطاع ان يلقي اصحاب الامام الحسين (عليه السلام) وانصاره ممن كاتبوه بالحبس فقد ذكر انه حبس اربعة الاف وخمسمائة وفيهم سليمان بن صرد وميثم التمار والمختار وابراهيم الاشر وصعصعة بن صوحان^{٦٦} وهناك من ذكر انه حبس اثنا عشر الفا من اصحاب الامام الحسين (عليه السلام)^(٦٧) بل نجده انه استطاع ان يعلن النفير العام في الكوفة فلم يبق

بالكوفة محتلم الا خرج الى العسكر بالنخيلة فاستطاع ان يجهز ثلاثين الف مقاتل خلال اسابيع قليلة وهذا يبين لنا مدى الخضوع وموت الارادة لدى افراد المجتمع. ويبدو ان الاغلب منهم كانوا من شيعة ابي مزيان من النواقل التي جلبها زياد بن أبيه

ولعل من الشواهد الاخرى على موت الارادة عمر بن سعد الذي حاوره الامام الحسين (عليه السلام) فقال له ويحك يا ابن سعد ما تنفي الله الذي اليه معادك اراك تقاتلني وتريد قتلي وانا من قد علمت دون هؤلاء القوم اتركهم وكن معي فانه اقرب الى الله تعالى فقال له عمر اخاف ان تهدم داري فقال الحسين انا ابنيها لك فقال عمر اخاف ان تؤخذ صنيعتي فقال انا اخلف عليك خيرا منها من مالي بالحجاز فقال لي عيال اخاف عليهم فقال انا اضمن سلامتهم فنكر عمر ذلك فانصرف الحسين (عليه السلام) وهو يقول حالك ذبحك الله على فراشك ولعل موقف عمر بن سعد هذا يبين مدى اتساع ثقافة الخضوع التي مني بها المجتمع الاسلامي وقد وصف الشيخ شمس الدين حال هذا المجتمع زمن الحسين (عليه السلام) "لقد اعتاد الرجل العادي اذ ذاك ان يرى الزعيم القبلي او الزعيم الديني يبيع ضميره بالمال، وبعرض الحياة الدنيا لقد اعتاد ان يرى الجباه تعنو خضوعا وخشوعا لطاغية حقير لمجرد ان يحرن من العطاء. لقد خضع الزعماء الدينيون والسياسيون ليزيد على علمهم بحقارته وانحطاطه وخضعوا لعبيد الله بن زياد على علمهم بأصله الحقير ومنيته الوضيع ... وكان هؤلاء الزعماء يرتكبون كل شيء في سبيل نيل هذه الخطوة : كانوا يخونون مجتمعهم . فيتماثلون مع هؤلاء الطغاة على اذلال هذا المجتمع وسحقه وحرمانه وكانوا يخونون ضمائرهم فيبتدعون من اللان الكذب ما يدعم هذه العروش. وكانوا يخونون دينهم الذي يأمرهم بتعظيم الطغاة بدل عبادتهم^(٦٨) وموقف عمر بن سعد وتحججه بما احتج به الامام الحسين (عليه السلام) يفسر لنا عن علة اصطحاب الامام الحسين (عليه السلام) لعياله والنساء والاطفال وحتى العليل وامواله وكل شيء عزيز عليه. لأنه اراد ان يسد الباب على كل من يحاول ان يهدم داره او مصادرة امواله او خوفا على عياله. فالامام (عليه السلام) ترك داره في المدينة وضياعه واصطحب معه امواله ونسائه واطفاله الى ساحة المعركة وقد بين الامام الحسين (عليه السلام) هذا الامر في خطبته في جيش بن يزيد عندما جعجع بالامام الحسين (عليه السلام) اذ قال لهم ((... فانا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم نفسي مع انفسكم واهلي مع اهليكم فلکم في اسوة ولعل كلام الامام (عليه السلام) كان له الاثر الكبير على الحر بن يزيد وهو احد قادة معسكر عبيد الله ان انضم الى معسكر الامام الحسين (عليه السلام) واستشهد بين يديه. ولو كان عمر ابن سعد قد انضم الى جيش الامام الحسين (عليه السلام) لتكسر معسكر زياد ولأنتصر الحسين (عليه السلام) الا انه ابي واخذ يقول^(٦٩):

اترك ملك الري والري منيتي ام اصبح مأثوما بقتل حسين

حسين ابن عمي والحوادث جمة ولكن لي في الري قرة عين

يقولون ان الله خالق جنة ونار وتعذيب وغل يدين

فان صدقوا مما يقولون انني اتوب الى الرحمن من سنتين

ومن الامثلة الصادقة على الاثر الكبير لثورة الامام الحسين (عليه السلام) على المجتمع والارادة اليه اننا نجد ان نفس نساء الكوفة اللواتي كُنَّ يثبطن أزواجهن وابنائهن واخوتهن عن نصره مسلم بن عقيل (عليه السلام) وكان سببا في خذلان الرجال له. كان لهن موقفا حازما بعد موت يزيد بن معاوية. فعندما بويع عمر بن سعد واليا على الكوفة بعد موت يزيد كان لهذه النسوة دورا رئيسيا في منع توليته الولاية ذكر المسعودي ((فلما اهموا بتأميره اقبلت نساء من حمدان وغيرهن من نساء كملآن والانصار وربيعه والنخع حتى دخلن المسجد الجامع صارخات باكيات معولات يندبن الحسين ويقلن: اما رضي عمر بن سعد بقتل الحسين حتى اراد ان يكون أميراً علينا على الكوفة فبكى الناس وأعرضوا عن عمر))^(٧٠).

كانت ثورة الحسين (عليه السلام) السبب في انبعاث الروح النضالية في الانسان المسالم من جديد بعد فترة طويلة من الصمود والتسليم. ولقد كانت الآفات النفسية والاجتماعية تحول بين المسلم وبين ان يناضل عن ذاته وعن انسانيته فجاءت ثورة الحسين وحطمت كل حاجز نفسي واجتماعي يقف في وجه الثورة. كانت المسلمات الاخلاقية تحول بين الانسان المسلم وبين ان يثور كانت قوانينه الاخلاقية تقول له: حافظ على ذاتك حافظ على عطائك حافظ على منزلتك الاجتماعية. فجاءت ثورة الحسين وقدمت للإنسان المسلم اخلاقاً جديدة تقول له: لا تستسلم لا تساو مع انسانيتك ناضل قوى الشر ما وسعك، ضع بكل شيء في سبيل مبدئك^(٧١). فكانت ثورته (عليه السلام) نبراسا ومناراً للتأثرين فقد حطمت كل الحواجز النفسية والاخلاقية السلبية التي كانت تقعد بالأمة عن النهوض بوجه الظلم والفساد فبدأ المجتمع الاسلامي يشهد من حين لآخر ثورات عارمة يقوم بها الرجال العاديون واعوانهم لبعدهم عن الامام واستمرت الثورات التي تقودها روح كربلاء بدون انقطاع من كل ظلم وطغيان وفساد^(٧٢) فأصبحت ثورته (عليه السلام) رمزا للإصلاح وللثأرين.

الهوامش :

(١) سليم ، بن قيس الهلالي الكوفي (٧٦هـ)، كتاب سليم بن قيس الهلالي ، تحقيق : محمد باقر الانصاري طالب (ت: ٥٤٨هـ)، الاحتجاج، تعليقات وملاحظات: محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر (النجف، ١٩٦٦م)، ج ٢، ص ١٨.

- (٢) ابن اعثم الكوفي، اعثم الكوفي ، أبو محمد احمد (٣١٤هـ) ، الفتوح ، تحقيق : علي شيري ، ط١ ، دار الاضواء للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت ، ١٤١١هـ) ج٥ ، ص٢١ .
- (٣) المفيد، محمد بن النعمان (ت: ٤١٣هـ)، الارشاد في معرفة حجج الله على العباد ، تحقيق : مؤسسة آل البيت (ع) لتحقيق التراث ، ط٢ ، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت ، ١٩٩٣م) ج٢ ، ص٣٥ .
- (٤) سورة القصص، الآية (٢١) .
- (٥) ابن اعثم الكوفي، الفتوح، ج٥ ، ص٢٢ .
- (٦) ابن اعثم الكوفي، الفتوح، ج٥ ، ص٢٢ .
- (٧) الطبري ، محمد بن جرير (٣١٠هـ) ، تاريخ الامم والملوك ، مراجعة وتصحيح وضبط نخبة من العلماء الاجلاء ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات (بيروت ، د.ت) ، ج٤ ، ص٢٨٦ ؛ المفيد، الارشاد، ج٢ ، ص٣٥ ؛ الطبرسي ، ابي الفضل علي (ت: ٧٠٥هـ) ، اعلام الوري بأعلام الهدى، تحقيق: مؤسسة آل البيت (ع) لأحياء التراث، ط١ ، مؤسسة آل البيت (ع) لأحياء التراث، مطبعة ستارة (قم، ١٤١٧هـ) ، ج١ ، ص٤٣٥ .
- (٨) سورة القصص، الآية (٢٢) .
- (٩) ابن اعثم الكوفي، الفتوح، ج٥ ؛ ص٢٣ ، المفيد، الارشاد، ج٢ ، ص٣٥ .
- (١٠) ابو مخنف ، لوط بن يحيى بن سعيد الغامدي (ت: ١٥٧هـ) ، مقتل الحسين (عليه السلام)، تعليق : حسين الغفاري ، مطبعة العلمية (قم، د.ت) ، ص١٧ ؛ الطبري، محمد بن جرير (٣١٠هـ) ، تاريخ الامم والملوك ، مراجعة وتصحيح وضبط نخبة من العلماء الاجلاء ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات (بيروت ، د.ت) ، ج٤ ، ص٢٦٢ ؛ المفيد، الارشاد، ج٢ ، ص٣٩ .
- (١١) ابو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام)، ص٢٥ ؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤ ، ص٢٦٦ ؛ ابن كثير، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية ، تحقيق وتدقيق وتعليق : علي شيري ، ط١ ، دار احياء التراث العربي (بيروت ، ١٩٨٨م) ، ج٨ ، ص١٧٠ .
- (١٢) زهير بن القين: من اصحاب الحسين (عليه السلام)، ذكر في الزيارة الرجبية، برز زهير في معركة الطف فقتل مائة وعشرين رجلاً، ينظر: الخوئي، أبو القاسم الموسوي، معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، ط٥ (د. م، ١٩٩٢م) ، ج٨ ، ص٣٠٦ .
- (١٣) البلاذري احمد بن يحيى (ت: ٢٧٩هـ) ، أنساب الاشراف، تحقيق: محمد حميد الله، نشر معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالاشتراك مع دار المعارف بمصر، مطابع دار المعارف بمصر، (١٩٥٩م، مصر)
- ، ج٣ ، ص١٦٧ ؛ ابن الاثير، عز الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم (٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة والنشر (بيروت ، ١٩٦٥) ، ج٤ ، ص٤٢ .
- (١٤) الحر بن يزيد بن ناحية بن سعيد (سعد) من بني رياح بن يربوع، من اصحاب الحسين (عليه السلام) استشهد في كربلاء مع الحسين (عليه السلام) وقصته معروفة وقد وقع التسليم عليه في زيارتي الناحية والرجبية. ينظر: الخوئي، معجم رجال الحديث، ج٥ ، ص٢٢٨ .
- (١٥) ابو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام)، ص٨٥ ؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤ ؛ ص٢٠٤ ، ابن الاثير، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص٤٨ .

- (١٦) الطبرسي احمد بن علي بن ابي طالب (ت: ٥٤٨هـ)، الاحتجاج، تعليقات وملاحظات: محمد باقر الخراسان، دار النعمان للطباعة والنشر (النجف، ١٩٦٦م)، ج ٢، ص ٢٤؛ ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر بن محمد (ت: ٦٦٤هـ)، اللهوف في قتلى الطفوف، ط ١، نشر انوار الهدى، مطبعة مهر، (قم، ١٤١٧هـ)، ص ٥٩.
- (١٧) الحكيم، محمد باقر، دور المرأة في النهضة الحسينية، منشورات دار الحكمة (د. م، د.ت) ص ٥٠.
- (١٨) ابن طاووس، اللهوف، ص ٤٠؛ المجلسي: محمد باقر (ت: ١١١١هـ)، بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، تحقيق ابراهيم الميانغي، ط ٣، دار احياء التراث العربي (بيروت، ١٩٨٣م)، ج ٤٤، ص ٣٦٤.
- (١٩) للمزيد عن الدور الرسالي لفاطمة عليها السلام ينظر: انتصار عدنان عبد الواحد، السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، دراسة تاريخية، مؤسسة البديل للطباعة والنشر، مطبعة شركة الحرف العربي (بيروت، ٢٠٠٩).
- (٢٠) المرجئة: الارزاء بمعنيين احدهما بمعنى التأخير كما في قوله تعالى: {قُلُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ} اي امهله واخره، والثاني اعطاء الرجاء. اما اطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الاول فصحيح لانهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد واما بالمعنى الثاني فظاهر فانهم كانوا يقولون لا تضر مع الايمان معصية كما لا تنفع مع الكفر الطاعة، وقيل الارزاء تأخير حكم صاحب الكبيرة الى يوم القيامة فلا يقضى عليه بحكم ما في الدنيا من كونه من اهل الجنة او من اهل النار فعلى هذا المرجئة والوعيدية فرقتان متقابلتان، الشهرستاني، ابي الفتح محمد بن عبد الكريم بن ابي بكر احمد (ت: ٥٤٨هـ)، الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلان، دار المعرفة للطباعة والنشر (بيروت، د.ت) ج ١، ص ١٣٩.
- (٢١) باراء، انطوان، زينب صرخة اكملت مسيرة (كربلاء، ٢٠١٢م) ص ٣٩-٤١.
- (٢٢) دور المرأة، ص ٥١-٥٦.
- (٢٣) البلاذري، الانساب، ج ٣، ص ٢٠٣. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٣٤٥، المفيد، الارشاد، ج ٢، ص ١١٢، مسكويه، ابو علي (ت: ٤٣٢هـ)، تجارب الامم وتعاقب الهمم، حققه وقدم له: ابو القاسم امامي، ط ١، نشر وطباعة دار سروش للطباعة والنشر (د.م، ١٤٢١هـ)، ج ٢، ص ٨٠.
- (٢٤) الصدوق، ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن موسى بن بابويه القمي (ت: ٣٨١هـ)، الامالي، تحقيق: قسم الدراسات الاسلامية مؤسسة البعثة، ط ١، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة (قم، ١٤١٧هـ) ص ٢٢٩؛ المجلسي، بحار الانوار، ج ٤٥، ص ١٥٤.
- (٢٥) ينظر: ابو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام)، ص ٢١٥، البلاذري، انساب الاشراف، ج ٣، ص ٢١٧، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٣٥٥؛ الصدوق، الامالي، ص ٢٢٩؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٨٦.
- (٢٦) ينظر: ابو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام)، ص ٢٠٦؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٣٤٩.
- (٢٧) شمس الدين محمد مهدي، ثورة الحسين وظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية، مؤسسة الصديقة الطاهرة للإعلام الإسلامي (د. م، ١٩٧٧م)، ص ١٦١.
- (٢٨) الحكيم، دور المرأة، ص ٦٥-٦٧.
- (٢٩) ابو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام)، ص ١٢٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٣٢٨؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٦٦.
- (٣٠) ابن طاووس، اللهوف، ص ٧٥؛ بن نما، مثير الاحزان، ص ٥٧.
- (٣١) المفيد، الارشاد، ج ٢، ص ٨٩؛ المجلسي، بحار الانوار، ج ٤٤، ص ٣٩١.
- (٣٢) الصدوق، الامالي، ص ٥٤٧؛ المجلسي، بحار الانوار، ج ٢٢، ص ٢٧٤.

- (٣٣) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام)، ص ١٣٦؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٣٣١؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٦٧.
- (٣٤) شمس الدين، ثورة الحسين، ص ١٦٥.
- (٣٥) أئمة اهل البيت (عليهم السلام)، ص ٤٥٧.
- (٣٦) أئمة اهل البيت (عليهم السلام)، ص ٤٤٨.
- (٣٧) الحكيم، دور المرأة، ص ٦٩.
- (٣٨) ابن اعثم الكوفي، الفتوح، ج ٥، ص ١١٥؛ الطبرسي، الاحتجاج، ج ٢، ص ٢٥.
- (٣٩) البلاذري، انساب الاشراف، ج ٣، ص ١٨٠؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٣١٢.
- (٤٠) شمر بن ذي الجوشن، واسم ذي الجوشن. ابو السابغة العامري ثم الضبابيحي من كلاب ولي قتل الحسين (عليه السلام). نظر الامام الحسين (عليه السلام) اليه فقال: صدق الله ورسوله قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كأنني انظر الى كلب ابقع يلغ في دماء اهل بيتي فكان شمر ابرص. قتل على يد المختار الثقفي. ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٢٣، ص ١٨٨.
- (٤١) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام)، ص ١٤١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٣٣٤.
- (٤٢) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام)، ص ١٩٠؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٣٣٤.
- (٤٣) ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٦٥؛ ابن اعثم الكوفي، الفتوح، ج ٥، ص ١٢٨.
- (٤٤) الصدوق، الامالي، ص ٢٢٢-٢٢٣؛ ابن طاووس، اللهوف، ص ٥٣.
- (٤٥) ينظر: أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام)، ص ٢٠٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٣٥١. وعن الهدف السياسي وراء مسيرة الرؤوس. ينظر: الصغير، الامام الحسين (عليه السلام)، ص ٢٢٩-٢٣٥.
- (٤٦) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٦٩، ص ١٦٠؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٥، ص ١٠٧.
- (٤٧) المفيد، الارشاد، ج ٢، ص ١١٧؛ قطب الدين الراوندي، الخرائج والجرائح، ج ٢، ص ٥٧٧؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل ابي طالب، ج ٣، ص ٢١٨.
- (٤٨) الطبرسي، الاحتجاج، ج ١، ص ٢٤٧؛ المجلسي، بحار الانوار، ج ٣٢، ص ٢٢٣.
- (٤٩) الطبرسي، الاحتجاج، ج ١، ص ٢٤٧؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ج ١٦، ص ١٨٥.
- (٥٠) ثورة الحسن، ص ١٦٦-١٧١.
- (١) الصدر، محمد باقر، أئمة أهل البيت (II) ودورهم في تحصين الرسالة الاسلامية، اعداد وتحقيق: لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر (II)، ط ٣، نشر دار الصدر مركز الابحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، مطبعة شريف، (قم، ١٤٣٤هـ)، ص ٤٦٥.
- (٢) الصدر، أئمة اهل البيت (عليهم السلام)، ص ٤٥٢.
- (٣) الصدر، أئمة اهل البيت (عليهم السلام)، ص ٤٩٦.
- (٤) شمس الدين، ثورة الحسين، ص ١٨١.
- (١) شمس الدين، ثورة الحسين، ص ١٥٧.
- (٢) الصدر، أئمة اهل البيت، ص ٥٤٧.
- (٣) ابن اعثم، الفتوح، ج ٥، ص ٢٠.
- (٤) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام)، ص ٦٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٢٩١.

- (٥١) ابن نما، مثير الاحزان، ص ٢٩؛ ابن طاووس، اللهوف، ص ٢٢.
- (٥٢) ابن طاووس، اللهوف، ص ٢١.
- (٥٣) ابن اعثم الكوفي، الفتوح، ج ٥، ص ٦٥.
- (٥٤) الروندي، قطب الدين (ت: ٥٧٣هـ)، الخرائج و الجرائح، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي (عج) ط ١، نشر مؤسسة الإمام المهدي، المطبعة العلمية (قم، ١٤٠٩هـ)، ج ٢، ص ٧٧١؛ ابن شهر آشوب، محمد بن علي (٥٨٨هـ)، مناقب ال أبي طالب، تحقيق: لجنة من اساتذة النجف الاشرف، نشر المطبعة الحيدرية (النجف، ١٩٦٥م)، ج ٣، ص ٢٣٠.
- (٥٥) ابن طاووس، اللهوف، ص ٤٠؛ المجلسي، بحار الانوار، ج ٤٤، ص ٣٦٤.
- (٥٦) سورة الفتح: الآية (١).
- (٥٧) ابن شعبة الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين (من أعلام القرن الرابع)، تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليهم، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ط ٢، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، (قم، ١٤٠٤هـ)، ص ٢٤٥؛ ابن عساكر أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله (ت: ٥٧١هـ)، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارد بها وأهلها، تحقيق علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت، ١٤١٥هـ)، ج ١٤، ص ٢١٨.
- (٥٨) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٣، ص ٢٢٤؛ المجلسي، بحار الانوار، ج ٤٤، ص ١٩٢.
- (٥٩) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٣، ص ٢٢٤؛ المجلسي، بحار الانوار، ج ٤٤، ص ١٩٢.
- (٦٠) البلاذري، انساب الاشراف، ج ٣، ص ١٧١؛ الصدوق، الامالي، ص ٢١٩.
- (٦١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٢٥٨؛ مسكويه، تجارب الامم، ص ٤١؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٤، ص ٢١٣.
- (٦٢) البلاذري، انساب الاشراف، ج ٢، ص ٧٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٢٥٨.
- (٦٣) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٤٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٢٧٧؛ المفيد، الارشاد، ج ٢، ص ٥٤.
- (٦٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٢٧٦؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٣٠.
- (٦٥) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٤٠؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٢٧٤؛ المفيد، الارشاد، ج ٢، ص ٥١؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٣٠.
- (٦٦) ابن طاووس، اللهوف، ص ١٥٣.
- (٦٧) المظفر، محمد حسن، الامام الصادق (عليه السلام)، ط ٣، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، ١٩٧٨م)، ج ١، ص ٨٨.
- (٦٨) ثورة الحسين، ص ١٨١.
- (٦٩) ينظر: ابن اعثم الكوفي، الفتوح، ج ٥، ص ١٨٩؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٥٣؛ ابن طاووس، اللهوف، ص ١٩٣.
- (٧٠) أبي الحسن علي بن الحسين بن علي (ت: ٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجواهر، ط ٢، منشورات دار الهجرة (قم، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)، ج ٣، ص ٨٥.
- (٧١) شمس الدين، ثورة الامام الحسين (عليه السلام)، ص ١٩٥.
- (٧٢) شمس الدين، ثورة الامام الحسين (عليه السلام)، ص ١٩٤.

دمى فخارية غير منشورة من المتحف العراقي

م.م. عادل شاكر وهام الزياي

أ.م.د. قصي صبحي عباس الجميلي

قسم الآثار – كلية الآداب – جامعة بغداد

دمى فخارية غير منشورة من المتحف العراقي

م.م. عادل شاكر وهام الزبيدي

أ.م.د. قصي صبحي عباس الجميلي

ملخص البحث باللغة العربية :

تهيأت لنا الفرصة للحصول على مجموعة جيدة من (القطع المصادرة من دمي فخارية من المتحف العراقي) ، وبعد إجراء الفحص والتدقيق بعناية تم إختيار عدد من هذه الدمي الفخارية لتكون مادة البحث المقدم ، وقد شمل البحث دراسة تطبيقية لجميع التفاصيل الخاصة بهذه الدمي من تصوير ، ورسم أشكال الدمي التوضيحية ، وكذلك الجداول الخاصة بأشكالها ، وأرقامها المتحفية ، فضلاً عن قياساتها وألوانها وحالتها ، وبما أن أي دراسة تحتاج الى إجراء مقارنة لهذه القطع الفنية من أجل التحقق والوقوف على المزايا التقنية والفنية ، ونسبة هذه القطع الى الدور الحضاري الذي تعود إليه ، فقد اعتمدت الدراسة لهذه الدمي (الطريقة الآثارية الفنية الوصفية والتحليلية) ، أما موضوع - Subject¹ ومضمون - Content² الدمي الفخارية المختارة فهو (المرأة الأم) .

Abstract:

We can get the good collection from (a Confiscated Terracotta from Iraq Museum) .

After we examination all these pieces , we can choose a numbers of these terracotta , which studied in this research , also contain an empirical study for all details in this motives , and drawing for all figures , also I put the list for its shapes , and its Iraqi numbers , with its measurements , with its colours , and its conditions , as I can , we try to do a comparative study for these pieces in artistic way , also to determined the period to which its belong , and the study was adopted (the Archaeological and artistic way to described and analysis) .

We reach to the final conclusion of these terracotta , which refer to (Mother Woman) .

وقبل الشروع في هذه الدراسة التطبيقية ، لا بد لنا من تقديم تعريف لهذه الدمي وأهميتها في الدراسات الآثارية :

الدمى الفخارية – Terracotta : هي أشكال ونماذج آدمية أو حيوانية ، أغلبها معمولة من طينة نقية يعتنى كثيراً بتحضيرها ، ثم تحرق بالنار كي تتصلب^٣ ، وعرفت صناعتها في حضارة بلاد الرافدين منذ مطلع (العصر الحجري الحديث – Neo Lithic Period)^٤ والعصور اللاحقة^٥ .

تعد دراسة (الدمى الفخارية – Terracotta) البشرية من الدراسات ذات الأهمية لدى الباحثين والمهتمين بهذا الشأن ، إذ أنها تمثل بمختلف مواضيعها التي نفذت من أجلها ، وما تحمله من مضامين مختلفة (دينية أو دنيوية) ، خير معين للتعرف على ما تحويه هذه الدمى من تفاصيل دقيقة ، تعكس بذلك الأسلوب الفني الذي اتبعه الفنان الرافديني في تشكيله لهذه الدمى في كل دور حضاري^٦ ، فضلاً عن كونها لعبت دوراً مهماً للتعبير عن أفكار الإنسان وتصوراته ونضج مداركه خلال العصور القديمة^٧ ، وأن استخداماتها تعدى الغرض الواحد ، فبعض منها هدايا نذرية للمعبد – Temple ، وكذلك لأغراض التعبد في البيوت ، وأخرى ذات علاقة بعبادة الموتى بوصفها ملكاً للمتوفى ، لها قوة سحرية لحمايته إذ توضع في القبر أو على سطح القبر ، وقسم آخر يستعمل لأغراض الزينة ، وقسم منها استعمل كلعب أطفال وغيرها من الأغراض^٨ .

وقد أهتم الفنان الرافديني في إبراز صورة المرأة المعبرة عن الأمومة ، والتي صورها لنا وهي ترضع صغيرها في مجموعة من الدمى الفخارية ، وكانت على النحو الآتي :

١. الشكل الأول :

دمية فخارية ، صغيرة الحجم يبلغ طولها (١٣.٨٠ سم) وعرضها (٣.٩٥ سم) وسمكها (٣.٤٠ سم) ، لونها بيجي داكن ، والدمية بحالة جيدة^٩ ، (الشكل : ١) .
(الموضوع – Subject) يمثل امرأة عارية مثلت وهي واقفة بوضعية أمامية ترضع طفلها العاري ، إذ تمسك بيدها اليمنى صدرها لتسهيل عملية إرضاع الطفل ، في حين تضع يدها اليسرى تحت مؤخرة الطفل ، لف رأس المرأة بمنديل أو عصابة ، شعرها ينسدل على كتفيها بشكل خصلتين يستقران على كتفيها .

صور وجه المرأة بشكل مكنتز ، وبأنف مستقيم ، وبعينين جاحظتين قليلاً ، وفم مطبق بشفتين بارزتين قليلاً والوجنتان فيها بروز قليل ، وصور الجسم عاري خالي من الزينة والتي هي عبارة عن الخطوط والحزوز التي تحدد تفاصيل بعض أجزاء الجسم ، ويقارن (الشكل : ١) مع دمية فخارية تم العثور عليها في مدينة (أور – Ur)^{١٠} تعود في زمنها الى (العصر البابلي الحديث – New Balylonian Period)^{١١} (٦١٢ – ٥٣٩ ق.م)^{١٢} .

(مضمون - Content) العمل الفني لدمية المرأة العارية التي تحمل طفلها هو مضمون (الأمومة) الذي يعد من المضامين المهمة التي عرفت في حضارة بلاد الرافدين إذ أن المرأة الأم في هي مصدر الخير والعطاء وهي رمز الخصب والتجدد والديمومة في استمرار النسل البشري ، وأن الأم تشعر أنها من خلال أطفالها حققت أنسانيته وأثبتت وجودها في سفر تاريخ البشرية^{١٣} .

نفذت المشاهد التي تمثل الأمومة منذ (عصر العبيد - Al-Ubaid Period)^{١٤} من الألف الخامس قبل الميلاد فقد صورت تماثيل فخارية لنساء بأجسام طويلة ورشيقة تحمل كل منها طفلاً على صدرها^{١٥} ، واستمر تنفيذها في الفنون في العصور اللاحقة وزاد من انتشارها في المنحوتات المنفذة في العصور السومرية والعصر البابلي القديم^{١٦} ، وبذلك يكون مضمون العمل الفني المنفذ يحمل مضموماً إجتماعياً.

٢. الشكل الثاني :

دمية فخارية ، صغيرة الحجم يبلغ طوله (١٠.١٠ سم) وعرضها (٤ سم) وسمكها (٢.٨٠ سم) ، لونها بيجي يميل للأصفرار ، الدمية بحالة جيدة ، مع وجود كسر في الجزء الأسفل أدى الى فقدان القدمين إلا أنه لم يؤثر على العمل الفني المنفذ^{١٧} ، (الشكل : ٢) .

(الموضوع - Subject) يمثل امرأة عارية مثلت وهي واقفة بوضعية أمامية ترضع طفلها العاري واضعة يدها اليسرى تحت مؤخرته ، في حين تضع يدها اليمنى لتمسك بصدرها لتسهيل عملية الأرضاع ، إذ يبدو الطفل وهو في حالة استئناس وهو في حجر أمه ، صف شعرها لينسدل على كتفيها بشكل خصلتين يستقران على كتفيها ، وزينت رقبتها بقلادة مكونة من ثلاثة صفوف من الخرز ، صور وجه المرأة بشكل مكنتز ، وبأنف كبير نسبياً ، وفم مطبق بشفتين صغيرتين ، وصور جسمها عارٍ خالي من الزينة والتي هي عبارة عن الخطوط والحزوز التي تحدد بعض تفاصيل أجزاء الجسم ، ويقارن (الشكل : ٢) مع دمية فخارية تم العثور عليها في مدينة (أور - Ur) تعود في زمنها الى (العصر البابلي الحديث - New Balylonian Period) (٦١٢ - ٥٣٩ ق.م)^{١٨} .

(مضمون - Content) العمل الفني يمثل المرأة العارية التي تحمل صغيرها لأرضاعه ، هو مضمون (الأمومة) وبذلك فهو يحمل مضموماً إجتماعياً .

٣. الشكل الثالث :

دمية فخارية ، صغيرة الحجم يبلغ طولها (٦.٢ سم) وعرضها (٥.٥ سم) وسمكها (٢.٥ سم) ، لونها بيجي غامق ، الدمية بحالة جيدة ، مع وجود كسر في الجزء الأسفل أدى الى فقدان الساقين بالكامل ، إلا أنه لم يؤثر على العمل الفني المنفذ^{١٩} ، (الشكل : ٣) .

(الموضوع - Subject) يمثل دمية لأمرأة عارية صورت وهي واقفة بوضعية أمامية ترضع طفلها العاري ، الذي وضعت يدها اليسرى تحت مؤخرته ووضعت اليد اليمنى لتمسك بها صدرها الأيسر لتسهيل عملية الأرضاع ، ويبدو الطفل وقد أمسك بمعصم يد أمه اليسرى وهو مستأنس في حجر أمه . صورت بشعر ينسدل على كتفيها بشكل خصلتين يستقران على كتفيها ، وبدت ملامح الوجه واضحة إذ صورت بوجه ممتلئ وبعينين كبيرتين يعلوها حاجبين متصلين وبأنف كبير نسبياً وعريض وفم مطبق ، وقد بدت الوجنتان بارزتان ، وصور جسم المرأة عار ، وقد زينت رقبتها بصفين من الخرز ، ومثلت السرة بشكل حفرة دائرية صغيرة وغائرة في البطن ، ويقارن (الشكل : ٣) مع دمية فخارية تم العثور عليها في مدينة (أور - Ur) تعود في زمنها الى (العصر البابلي الحديث - New Balylonian Period) (٦١٢ - ٥٣٩ ق.م)^{٢٠} .

(مضمون - Content) العمل الفني لدمية المرأة العارية التي تحمل طفلها لأرضاعه هو مضمون (الأمومة) وبذلك فهو يحمل مضموماً اجتماعياً .

٤. الشكل الرابع :

دمية فخارية صغيرة الحجم يبلغ طولها (٨.٨٥ سم) وعرضها (٤.٧ سم) وسمكها (٣.٥٥ سم) ، لونها بيجي ، والدمية بحالة جيدة ، مع وجود فقدان للأطراف السفلى نتيجة كسر في الجزء السفلي للدمية ، إلا أنه لم يؤثر على العمل الفني المنفذ^{٢١} ، (الشكل : ٤) .

(الموضوع - Subject) صور امرأة عارية مثلت وهي واقفة بوضعية أمامية ، تمسك بيدها طفلها الصغير وتضمه الى صدرها لتقوم بإرضاعه ، ونرى الطفل وقد وضع فمه بثدي أمه الأيسر ، في حين وضع يده اليسرى على الثدي الآخر ، وقد صورت الأم وهي تضع يدها اليسرى أسفل رقبة طفلها من الخلف في حين وضعت يدها اليمنى على فخذ الطفل .

بدت ملامح الوجه واضحة نسبياً ، إذ مثلت بأنف كبير ، وفم مطبق ، وقد ظهرت الوجنتان بارزتان قليلاً ، وصور جسمها عارٍ ، ويقارن (الشكل : ٤) مع دمية فخارية تم العثور عليها في مدينة (أور - Ur) تعود في زمنها الى (العصر البابلي الحديث - New Balylonian Period) (٦١٢ - ٥٣٩ ق.م)^{٢٢} .

(مضمون - Content) العمل الفني يمثل المرأة العارية التي تحمل طفلها الصغير ، وتقوم بإرضاعه ، هو مضمون (الأمومة) ، وبذلك يكون المضمون مضموماً اجتماعياً .

الخصائص الفنية لدمى المرأة الأم الفخارية

(الأشكال : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤)

الخصائص الفنية لدمى المرأة الأم الفخارية في (الأشكال : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) فقد نفذت بأسلوب (واقعي - Realism)^{٢٣} دقيق وصادق من خلال تصويره لهذه الدمي تصويراً واقعياً طبيعياً ، فقد نراه صور المرأة في (الأشكال : ١ ، ٢ ، ٤) رشيقة ومتناسقة الجسم باستثناء الدمية في (الشكل : ٣) فقد صورها وهي ممتلئة الجسم ، وتميز الأشكال المنفذة باستعمال أسلوب آخر هو أسلوب (الواقعية التعبيرية - Expressionistic Realism)^{٢٤} الذي تجلّى واضحاً في جميع الأشكال المنفذة من خلال حالة استئناس الأطفال وهم في حجب أمهاتهم ويقومون بالرضاعة .

برع الفنان الرافديني في تنفيذه لدمى النساء التي تقوم بارضاع أطفالها باستعمال أسلوب (الناحية التشريحية - Anatomically)^{٢٥} من خلال عملية أخضاع أجسامها للنسب العامة لتلك الأجسام وتحليل وتصنيف أجزائها وعضلاتها ونسبها المؤثرة في الهيئة الخارجية لأجسامها وقد بدت واضحة في جميع الأشكال وخصوصاً (الشكل : ١) من خلال إبراز الساقين المتناسقين (والشكل : ٤) من خلال تصويره لصدر المرأة بشكل ناهد وبارز .

وبرز أسلوب (الحركة والسكون - Dynamics & Statics)^{٢٦} في جميع الأشكال المنفذة ، والذي تجلّى واضحاً من خلال الحركة المبنية على السكون في كل من حركة الأم التي تمسك صغيرها ، أو من خلال حركة صغيرها .

وتميزت الأشكال الفنية المنفذة كذلك باستعمال أسلوب (بالنزعة الزخرفية - Decorative Trend)^{٢٧} والذي تجلّى واضحاً في (الأشكال : ١ ، ٢ ، ٣) من خلال تزيين رقبة النساء بقلادة متكونة من صفين أو ثلاثة صفوف من الخرز .



١٥٤١٢٠٩ م - ع

شكل (١)



٢١٠٨٥٣ م - ع

شكل (٢)



٢٦٠٣٨ م - ع

شكل (٣)



٢٢٣٨٠٠ م - ع

شكل (٤)

الهوامش - footnotes :

- ١ الموضوع - Subject : هو الفكرة التي يعبر عنها الفنان بالأشكال الظاهرة التي تمثل العمل الفني .
للمزيد ينظر : الزيايدي . عادل شاكر وهام ، فن النحت في العصر البابلي القديم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة بغداد ، كلية الآداب ، قسم الآثار ، ٢٠١٤) ، ص ١٤ .
- ٢ المضمون - Content : هو جوهر العمل الفني . الخالدي . غازي ، كيف نقرأ اللوحة ، (بغداد ، ١٩٩٩) ، ص ٩٠ .
- ٣ عبدالمالك . منذر علي ، قاموس المصطلحات الأثرية ، (بغداد ، ٢٠١٣) ، ص ٤٧٢ . وكذلك ينظر : صاحب . زهير ، والخطاط . سلمان ، تاريخ الفن القديم في بلاد وادي الرافدين ، (بغداد ، ١٩٨٧) ، ص ٥٢ .
- ٤ العصر الحجري الحديث - Neo Lithic Period : يبدأ هذا العصر في العراق قبل نحو (١٠٠٠٠)
الآف سنة وفيه تعلم الإنسان الزراعة ، وكانت من أهم أسباب تقدمه ، ثم سكن البيوت وكانت في بادئ أمرها من الطين والحصران ، ومنها تشكلت القرى ، ثم دجن الحيوان وربى الماشية وصار بذلك ينتج قوته بيده ، وأصبح ذا حياة إجتماعية وإقتصادية . للمزيد ينظر :
Basmachi, F. Treasures of The Iraq Mussum, (Baghdad , 1975), P:14 .
- ٥ موسى . مريم عمران ، دمي هلنستية من بابل في ضوء تنقيبات التل الشرقي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة بغداد ، كلية الاداب ، قسم الآثار ، ١٩٩١) ، ص ١٢٥ .
- ٦ الجبوري . عباس زويد ، " دمي وألواح فخارية من مدينة بيكاسي " ، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية ، (مج ٢٢ ، ع ٤ ، ٢٠١٤) ، ص ٨٣٦ .
- ٧ رشيد . صبحي أنور ، " دمي من آشور في متحف برلين " سومر ، (مج ٣٧ ، ١٩٨١) ، ص ٢٥٠ .
- ٨ للمزيد ينظر : موسى . مريم عمران ، دمي هلنستية من بابل في ضوء ... ، ص ١٢٥-١٢٧ .
- ٩ دمية فخارية ، الرقم المتحفي (١٥٤١٢٠٩) م ع ، رقم القرار (إكرامية) .
- ١٠ أور - Ur : تقع جنوبي بلاد الرافدين وكانت مركزا لعبادة الأله السومري (ن نار - سين) تقع أطلالها على بعد (١٥٠ كم) الى الجنوب الغربي من مدينة الناصرية . بوتيرو ، جان . بلاد

الرافدين الكتابة ، العقل ، الآلهة ، ترجمة : الأبالير ابونا ، مراجعة وليد الجادر ، (بغداد ، ١٩٩٠) ، ص ٢٥٧ .

١١ العصر البابلي الحديث - New Balylonian Period : هو العصر التاريخي الذي يبدأ بالعام (٦١٢ ق.م) وينتهي بالعام (٥٣٩ ق.م) ، إذ حكمت فيه الدولة الكلدية ، وكان عهدها آخر عهود الاستقلال السياسي والحكم الوطني ، وظلت البلاد تنتقل بعدها من احتلال لاحتلال حتى الفتح العربي . بوستغيت . نيكولاس ، حضارة العراق وآثاره ، ترجمة : سمير عبدالرحيم الجلي ، (بغداد ، ١٩٩٢) ، ص ١٣٧ ، وللمزيد ينظر : الأحمد . سامي سعيد ، " سلالة بابل الحديثة " ، العراق في التاريخ ، (بغداد ، ١٩٨٣) ، صص ١٦٣ - ١٨٠ .

١٢ للمزيد ينظر :

Woolley, L. & others, Ur Excavations the Neo- Babylonian and Persian Periods, (London, 1962), P.102, PL:27,11 .

١٣ للمزيد ينظر : عقراوي . ثلما ستیان ، المرأة دورها ومكانتها في ... ، ص ١٨ .

١٤ عصر العبيد - Al-Ubaid Period : عصر العبيد من الأدوار الحضارية المتميزة في بلاد الرافدين ويأتي بعد عصر حلف ، ويؤرخ بحدود (٤٥٠٠ - ٤٠٠٠ ق.م) ، وقد سمي نسبة الى (تل العبيد) الذي يبعد مسافة (٦ كم) الى الغرب من مدينة (أور - Ur) ، إذ يبعد مسافة (٢٥ كم) من مدينة الناصرية ، وقد نقبت فيه البعثة البريطانية برئاسة هول وليونارد وولي عام ١٩٩٩ وأظهرت الآثار المميزة له . للمزيد ينظر : صالح ، قحطان رشيد . الكشاف الأثري في العراق ، المؤسسة العامة للآثار والتراث ، (بغداد ، ١٩٨٧) ، ص ٢٦٩ .

١٥ للمزيد ينظر :

Woolley, L. & others, Ur Excavations the ..., P.182, PL:20.U.15376 . Collon, D. Ancient Near Eastern Art, (London, 1995), P,46, Fig: 25 .

١٦ للمزيد ينظر :

Buren, V. Clay Figurines of Babylonia and Assyria, VOL.XVI, (London, 1930), P.43, Fig:55.

١٧ دمية فخارية ، الرقم المتحفي (٢١٠٨٥٣) م ع ، رقم القرار (٩٣) لسنة (٢٠٠٨) .

١٨ للمزيد ينظر :

Woolley, L. " The Neo-Babylonian and Persian Periods ...,P.102, PL:27,11 .

١٩ دمية فخارية ، الرقم المتحفى (٢٦٠٣٨) م ع ، رقم القرار (٩٣) لسنة (٢٠٠٨) .

٢٠ للمزيد ينظر :

Woolley, L. " The Neo-Babylonian and Persian Periods ...,P.102, PL:27,11 . Buren, V. Clay Figurines of Babylonia and ..., P.43, Fig:55 .

٢١ دمية فخارية ، الرقم المتحفى (٢٢٣٨٠٠) م ع ، رقم القرار (٤٣) لسنة (٢٠١١) .

٢٢ للمزيد ينظر : Buren, V. Clay Figurines of Babylonia and ..., P.43, Fig:55 .

Woolley, L. " The Neo-Babylonian and Persian Periods ...,P.102, PL:27,13 .

٢٣ الواقعية - Realism : إحدى خصائص الفن في بلاد الرافدين وهي أسلوب فني يعتمد على نقل الأشكال الموجودة في الطبيعة نقلاً دقيقاً وصادقاً ، سواء أكانت إنساناً أم حيواناً أم نباتاً أم جماد ، أي أن الفنان يسعى من ملاحظته الدقيقة إلى تسجيل الأشكال الواقعة في مجال الإدراك البصري . رياض . عبدالفتاح ، التكوين في الفنون التشكيلية ، (القاهرة ، ١٩٧٤) ، ص ٢٥ .

٢٤ الواقعية التعبيرية - Expressionistic Rralism : إحدى خصائص الواقعية وهي أسلوب فني يمتاز بقوة في التعبير ، أي القدرة على تحميل الجسم بالمعنى المطلوب التعبير عنه ، وتتميز بقوة التعبير عن الأنفعالات النفسية وما ينعكس عنها من تأثير في الإنسان ، إذ يرتسم التأثير الأول على ملامح الوجه . حسن ، محمد حسن . مذاهب الفن المعاصر ، (الكويت ، ب.ت) ، ص ٨٠ .

٢٥ الناحية التشريحية - Anatomically : هي إحدى خصائص الفن في بلاد الرافدين وهي عملية أخضاع الجسم البشري الى تحليل وتصنيف أجزائه وعضلاته وعظامه ونسبها المؤثرة في الهيئة الخارجية للجسم . وحي . سعد شمس الدين ، التشريح للهيئة البشرية في الفن الآشوري ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة بغداد ، كلية الفنون الجميلة ، ٢٠٠٠) ، ص ٣ .

٢٦ الحركة والسكون - Dynamics & Statics : هي أسلوب من الأساليب الفنية التي أستخدمها الفنان الرافديني ، وهي تمثل فعل القوة الطبيعية للهيئة أي أنها حركة الأجسام في الفراغ تحت تأثير القوة المؤثرة عليها ، وتعد الحركة من العناصر المهمة في بناء وتحريك العمل الفني وتولد الحركة عادة

في التكوين الفني من علاقة الأشكال في الفراغ وكيفية التعامل معها عن طريق المادة سواء في الرسم أو النحت . عبو . فرج ، علم عناصر الفن ، (ايطاليا ، ١٩٨٢) ، ص ٧٣٨ .
٢٧ للمزيد عن هذه الخاصية ينظر : الزيايدي . عادل شاكرو وهام ، فن النحت في العصر...، ص ١٠٦ .

المصادر والمراجع - Sources & Refences :

١. الأحمد . سامي سعيد ، " سلاله بابل الحديثه " ، العراق في التاريخ ، (بغداد ، ١٩٨٣) .
٢. بوتيرو ، جان . بلاد الرافدين الكتابه ، العقل ، الالهه ، ترجمه : الأبالير ابونا ، مراجعة وليد الجادر ، (بغداد ، ١٩٩٠) .
٣. بوسطنيت . نيكولاس ، حضاره العراق وآثاره ، ترجمه : سمير عبدالرحيم الجليبي ، (بغداد ، ١٩٩٢) .
٤. الجبوري . عباس زويد ، " دمي وألواح فخاريه من مدينه بيكاسي " ، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية ، (مج ٢ ، ٤٤ ، ٢٠١٤) .
٥. حسن ، محمد حسن . مذاهب الفن المعاصر ، (الكويت ، ب.ت) .
٦. الخالدي . غازي ، كيف نقرأ اللوحه ، (بغداد ، ١٩٩٩) .
٧. رشيد . صبحي أنور ، " دمي من آشور في متحف برلين " سومر ، (مج ٣٧ ، ١٩٨١) .
٨. رياض . عبدالفتاح ، التكوين في الفنون التشكيلية ، (القاهرة ، ١٩٧٤) .
٩. الزيايدي . عادل شاكرو وهام ، فن النحت في العصر البابلي القديم ، رساله ماجستير غير منشوره ، (جامعة بغداد ، كلية الآداب ، قسم الآثار ، ٢٠١٤) .
١٠. صالح ، قحطان رشيد . الكشاف الأثري في العراق ، المؤسسة العامة للآثار والتراث ، (بغداد ، ١٩٨٧) .
١١. صاحب . زهير ، والخطاط . سلمان ، تاريخ الفن القديم في بلاد وادي الرافدين ، (بغداد ، ١٩٨٧) .
١٢. عبو . فرج ، علم عناصر الفن ، (ايطاليا ، ١٩٨٢) .
١٣. عبدالملك . منذر علي ، قاموس المصطلحات الأثريه ، (بغداد ، ٢٠١٣) .

١٤. موسى . مريم عمران ، دمي هلنستية من بابل في ضوء تنقيبات التل الشرقي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة بغداد ، كلية الاداب ، قسم الآثار ، ١٩٩١) .

١٥. وحي . سعد شمس الدين ، التشريح للهئية البشرية في الفن الآشوري ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة بغداد ، كلية الفنون الجميلة ، ٢٠٠٠) .

16. Basmachi, F. Treasures of The Iraq Mussum, (Baghdad , 1975) .

17. Buren, V. Clay Figurines of Babylonia and Assyryria,VOL.XVI, (London, 1930) .

17. Collon, D. Ancient Near Eastern Art, (London, 1995) .

18. Woolley, L. & others, Ur Excavations the Neo- Babylonian and Persian Periods,
(London, 1962) .

امكنة التعليم في طبس
Education places in Tabas

أ.م.د. عكرمة كامل محمد الساعدي
Asst. Prof. Dr. Ikrimah kamil Al-Saeidy

علي نجم عبدالله الفياض
Ali Najem Abdullah Al-Fayyadh

امكنة التعليم في طبس

أ.م.د. عكرمة كامل محمد الساعدي

علي نجم عبدالله الفياض

ملخص:

يبدو من خلال ما اوردناه من معلومات عن امكنة التعليم في طبس ان تشير ان امكنة التعليم كانت مزدهرة في طبس على الرغم من ندرة المعلومات التاريخية عنها الا اننا من خلال بعض الشذرات الواردة في مصادرها التاريخية التي أشارت الى بعض اعلامها امكننا ان نصف صورة مشرقة عن التعليم في طبس واهم اماكنه.

Abstract

Tabas city became famous for its educational activity, where some of its leading innovators emerged in various fields of knowledge, where the students of science went to the city to enrich the knowledge of their scientists whom they prepared the ground and the appropriate atmosphere to receive the arrivals from all over the world

أمكنة التعليم في طبس:-

أشاد الرسول (ﷺ)، بفضل العلم إذ وردت بعض الاحاديث عنه ومنها قوله:- "فضل العلم خير من فضل العبادة"^(١).

يبدو ان القارئ للوهلة الاولى إن الرسول (ﷺ) فضل العلم على العبادة، غير انه حث الأمة الرغبة في التعلم وهي العبادة هدف واحد.

أولاً:- المسجد

عدَّ المسجد من أمكنة التعليم عند المسلمين، ولم تقتصر وظيفة المسجد على العبادة بل كان من وظائفه التعليم ايضاً، وذلك انه اتخذ بمثابة موضع لتعليم العلوم. وكان الرسول (ﷺ) يعلم اصحابه في المسجد^(٢).

وفي طبس اثناء فتح العرب الاسلامي لها عمد السكان الى تحويل المعابد الزرادشتية^(٣)، الى مساجد لتعلم اللغة العربية وتعاليم الدين الجديد^(٤)، ونُسب بناء المسجد الجامع الجديد في طبس الى العصر الاموي رغبةً منهم في تخليد أسمائهم في المساجد والجوامع في كل مدينة وقرية وناحية.

وفي ظل الأمانة الصفارية اهتموا بعمارة المساجد والجوامع لا سيما في طبس ويبدو من ذلك كثرة مواردهم الاقتصادية^(٥)، وفي القرن الرابع للهجرة، العاشر للميلاد، وصف المقدسي مسجد طبس بعمارته الجيدة^(٦).

ونتيجة لكثرة الحروب في مدينة طبس أصاب المسجد التدمير والخراب^(٧). اما عن عمارة مساجد طبس ففي بداية الحقيقة سنة (٣٢٢هـ/٦٥٢م) واستمرت اثناء عصر الدولة الاموية غير ان الولاة العباسيون الذين عمدوا على اخفاء النقوش الاموية وظلت عمارة المساجد مستمرة الى القرن الخامس للهجرة، الحادي عشر ميلادي^(٨)، وعلل الاستاذ الاميني إندثار عمارة المساجد عدة من الاسباب ومنها:-

١- تعرض طبس لعدة من الظروف المناخية.

٢- كثرة الغزوات على مدينة طبس^(٩).

وفي مساجد طبس كانت تدرس فيها كافة العلوم منذ الصباح الباكر لحفظ القرآن الكريم وعدد حلقات الدراسة كانت أربعة عشر حلقة، وكل حلقة لهم شيخ يعلمهم بعلم يختلف عن الآخر ما ان اكمل طالب علومه في هذه الحلقة ينتقل الى الحلقة الثانية بعد ان ينال ورقة يشهد له الشيخ بأجتيازه هذه الحلقة لينتقل الى الحلقة الثانية ومن الثانية الى الثالثة وهكذا الى ان يكمل الحلقة الرابعة عشر يكون قد اصبح مؤهلاً لان يكون شيخاً ويعلم طلاب علم بدورة سواء في المسجد او في داره ليساعد المشايخ الأكبر سناً في المحاضرة^(١٠).

ولقد اشارت بعض كتب التراجم الى عدة من الشخصيات التي كانت من المحتمل تدرس في مساجد طبس:-

١- ابراهيم الطبسي:-

أبراهيم^(١١)، بن محمد بن احمد، الطبسي الفقيه، ابو اسحق روى عنه ابن^(١٢) الجوزقاني^(١٣).

عن بعض مشايخه، بعض احاديث عن الرسول (ﷺ) ومنها قوله:- "صلاة يوم السبت"^(١٤).

٢- أحمد بن محمد الطبسي:-

احمد^(١٥) بن محمد بن الحسين الطبسي البسامي شيخ لاسماعيل بن أبي صالح المؤذن^(١٦).

يتبين لنا أن المترجم له من الافاذ الذين كان لهم الباع الطويل في التعليم في المساجد، وهذا يتبين جلياً من خلال تلميذه ولفظ المؤذن تدل على انه قد تتلمذ في مساجد طبس وانه قد أصبحت له مكانة علمية ومن المحتمل انه رحل الى بلده اذ أصبحت له حلقة علمية في احدى المساجد ومن المحتمل انه القى دروسه على طلاب العلم والراغبين في النهل من أحاديث الرسول (ﷺ).

٣- عبدالله الطبسي (ت ٢٩٤ هـ / ١٠٣٧ م):-

عبدالله^(١٧) بن الحسن الطبسي، مصنف كتاب المؤتلف والمختلف^(١٨) سمع منه محمد بن عبدالله بن محمد بن بصير بن ورقه، ابو بكر الأودني^(١٩) النجاري^(٢٠).

يبدو ان الطبسي قد كانت له حلقة ومن المحتمل انه كان يلقي دروسه على طلابه بالمسجد، وذلك يتبين من خلال رحلة الأودني الى طبس، على الرغم من صمت المصادر التاريخية عن الحديث لرحلة الأودني الى طبس.

٤- عبدالله ابن مهران الطبسي:-

عبدالله^(٢١) بن مهران الطبسي، روى عنه جماعة من العلماء^(٢٢). ان لفظة روى تدل على عدة من المعاني كانت له حلقة دراسية يلقي بها على طلابه العلم فمن المحتمل ان يكون في مسجد او في داره.

٥- غالب الطبسي:-

غالب^(٢٣) بن عبدالله بن محمد بن ابراهيم الطبسي، روى عنه ابو الحسين^(٢٤).

يبدو من لفظ صالح انه ذو مكانة علمية مرموقة وأمانة في رواية الحديث وانه كان له حلقة دراسية وانه كان يلقي مروياته على طلابه الا ان المصادر التاريخية التي بين ايدينا لم، يسهب في الحديث عن شخصيته. ومن اهم طلابه الذين رحلوا اليه من الامصار لسماع الحديث رغبة في ازدياد علومهم.

٦- محمد بن احمد الطبسي:-

محمد^(٢٥) بن احمد الطبسي، حدث عنه ابراهيم بن الفضل الحافظ ابو نصر^(٢٦). من المحتمل ان المترجم له، كان من العلماء الذين خدموا المسجد بعلمهم. غير ان المصادر التاريخية لم تسعفنا في الحديث عنه.

٧- محمد بن احمد الطبسي (٤٨٢هـ/١٠٨٩م):-

محمد^(٢٧) بن احمد بن ابي جعفر الطبسي، سمع منه اسعد بن الموفق القايني اليعقوبي الحنفي البوني^(٢٨) ابو نصر^(٢٩).

يبدو من سياق الحديث، ان المترجم له كان قبلة لطلاب العلم وان البوني قد رحل من بلده الى طبس لسماع العلم وهذا يدل على وجود حلقات الدرس في المساجد.

٨- محمد بن علي الطبسي:-

محمد^(٣٠) بن علي بن احمد بن محمد بن سهلوية الطبسي السجزي، حدث عنه زاهر بن طاهر الشحامي، وزبيدة بنت عبدالرزاق الطبسي^(٣١).

يتبين من الحديث، ان المسجد في الطبسين كان له دور مهم في ازدهار الحركة الفكرية فعلى الرغم من عدم وجود اشارة صريحة له الا اننا نلاحظ من خلال بروز بعض الشخصيات اللامعة والتتلمذ على يديه وجود حلقات في المساجد.

٩- محمد بن ابي بكر الطبسي:-

محمد^(٣٢) بن ابي بكر المقرري الطبسي، روى عنه احمد بن ابي جعفر الطبسي^(٣٣). يبدو من لفظ المقرري، ان المترجم له كانت له حلقة دراسية في المسجد ومن المحتمل انه كان يقرأ الحديث او التفسير على تلاميذه.

ثانياً: - الكتابات

وردت بعض الاشارات التاريخية عن وجود الكتابات قبل الاسلام ومنها ان ام سليم^(٣٤).

كانت ترسل الى الكتاب ليرسلوا اليها الصبيان لمساعدتها في نفش الصوف وهذا يدل على وجود الكتاب قبل الاسلام وبعد ظهور الاسلام استمرت الكتابات في عملها كما زاد عددها وتنوعت موادها ومناهجها بوجود القرآن والاحاديث النبوية الشريفة وغيرها من مستلزمات الدين الجديد، ومتطلبات الدولة الجديدة^(٣٥).

وفي طبس كانت تعقد مجالس الكتابات في المساجد للتعليم ومجلس آخر للصغار، وتختلف المواد التي تدرس في المجالس لعل العلم الذي ينتفع فيه جالسة اكثر ولسنه الذي يؤهله لتطبيق العلوم^(٣٦). ومن اهم اعلامها: -

١- ابراهيم^(٣٧) بن محمد الطبسي حدث عنه ابراهيم بن محمد الجناري^(٣٨) أبو اسحق ان من المحتمل للطبسي كتاباً في طبس لتعليم الصبيان وان دليلنا في ذلك ان التلميذ قد ورث مهنة استاذة^(٣٩).

٢- اسعد^(٤٠) بن احمد بن السري الطبسي ابو نصر بن ابي سعيد أصيل مشهور سمع من مشايخ الطبقة الثانية^(٤١). بالرغم من صمت المصادر التاريخية للحديث عن اسعد الطبسي الا اننا من خلال ترجمته استفدنا عدة امور منها:

- ١- ان لفظ أصيل يدل على مكانته العلمية المرموقة.
- ٢- ان لفظ سماعه من المشايخ يدل على رحلته في طلب العلم.
- ٣- من المحتمل ان له كتاباً او انه درس في كتابات طبس.
- ٣- جعفر^(٤٢) بن محمد بن زراع بن عثمان الطبسي المَعْلَم ابو سعيد^(٤٣).

يبدو ان لفظ المَعْلَم هو المَعْلَم والظاهر حدث تصحيف من اللفظ وعلى العموم فأننا نستفيد من الحديث ان الطبسي كانت له مكانة علمية في طبس وانه كان يمتلك كتاباً لتعليم الصبيان فضلاً عن ان المؤسسات التعليمية في طبس كانت مزدهرة الا ان المصادر اغفلت الحديث عنها، وان ضئالة المعلومات التاريخية لا

تعنى بالضرورة عدم وجود مؤسسات لان كثير من المؤرخين كانوا على دين ملوكهم وان الاهواء لعبت في اخفاء عصور مهمة من تاريخنا الاسلامي والمشرق.

٤- عبدالله بن ضياء الدين علي الطبسي عين الدين المستوفي^(٤٤) ان لفظ المستوفي يدل على إنه كان عالماً بالخطوط فضلاً عن ان له كتاباً يدرس فيه.

٥- عبد الصمد^(٤٥) بن علي بن مكرم الطبسي ابو الحسين، روى عنه احمد بن عياض الجوهري^(٤٦). ان الطبسي كان من رواد العلم وكان له مكتب يعلم فيه القراءة والكتابة غير ان المصادر التاريخية لم تسعفا للإسهاب في الحديث عن الطبسي.

٦- يونس بن احمد الطبسي:-

يونس^(٤٧) بن احمد بن محمود الطبسي العراقي الكاتب كمال الدين ابو بحر، ومن كلام له في الحكمة يحذر صديقاً له ان فلان وان ضحك اليك فأن قلبه يضحك منك وان أظهر لك الشفقة عليك فأن عقاربته تسري^(٤٨): إليك، فان لم تتخذه عدواً في علانيتك فلا تجعله صديقاً في سريرتك^(٤٩).

ومن فصل له في المعنى: "ان فلاناً كثير المسألة حسن البحث، لطيف الاستدراج، يحفظ اول كلامه على اخره، فباته على مباته الأمن"^(٥٠).

وتحفظ منه تحفظ الخائف، والخائف، واعلم ان من يقضة المرئ ان يظهر الغفلة^(٥١) مع الحذر^(٥٢).

ثالثاً:- مجالس التعليم:-

كان هناك مجالس خاصة للرجال والنساء في طبس وطلب من طلاب العلم ان يعلموا أهاليهم في الحي الذي يعيش به بغية نشر العلوم الى كل شخص وفرد وحتى اذا لم يكن بمقدوره المجيء لآخذ العلم في هذه الأوقات، ويروي الاخباريون بأن مجالس العلم قد أنشأت في احد أسواق مدينة طبس من قبل أحد طلاب العلم الذي أخذ علومه في المسجد الجامع، بدأ المجلس بشخصين واصبح المارة يجلسون ليسمعوا المحاضرة والحديث الى ان وصل عدد الجالسين الى خمسة وثلاثون شخصاً^(٥٣)، ويروي ايضاً ان المجلس للعلم قد تعقد عند احد الدور نتيجة تواجد

الناس عندهم لوجود احتفالاً بمناسبة الزواج وجلسوا جميع الحاضرين وسمعوا المحاضرة من احد الشيوخ الذي كان مدعواً للحفلة وانتهت الحفلة بعد ثلاث ساعات من النقاش^(٥٤). وهذه اشبه بالطرفة الأدبية.

١- مجالس العلماء :-

عدّ المجلس من أمكنة التعليم عند المسلمين وكان الرسول (ﷺ) يجلس في مسجده لتعليم اصحابه (رضوان الله عليهم) تعاليم الدين.

ومن المحتمل ان المجالس إنتقلت الى المشرق الاسلامي نتيجة لسياسة الفتوح الاسلامية التي اتبعها الخلفاء الراشدون اذ بعثوا عدة من الصحابة رغبة للجهاد ولنشر الاسلام ولطبس طابعها التي امتازت بها عن سائر كور ومدن المشرق الاسلامي^(٥٥).

ومن مجالس العلماء التي اشتهرت في طبس :-

١. محمد الطبسي كان حياً في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي محمد بن محمد^(٥٦) الطبسي عالم ديني محدث بل من كبار مشايخ الحديث، وله مجالس العلم في العراق، ونيسابور، وخراسان، والحجاز، وله مصنفات من الكتب^(٥٧).

٢. محمد بن علي الطبسي (كان حياً في القرن ٧٧٠هـ/ ١٣م) : محمد^(٥٨) بن علي بن جعفر الطبسي الحاكم ابو عبدالله عالم ديني وفقهه، ومحدث بل كان من أكابر المحدثين في زمانه، بل شيخ المحدثين وشيخ الفقهاء، وله مجالس العلم للحديث ومجالس العلم للفقهاء وكانوا يدونون محاضراته ويصبح كتاباً يتداوله طلاب العلم^(٥٩).

لا بد لنا ان نقف قليلاً امام هذا العالم الجليل القدر عالي المرتبة فقد جمع بين عدة من العلوم واصبح مجلسه شمعة يستتير به طلاب العلم.

على الرغم من مكانة المترجم العلمية المرموقة الا ان طابع المبالغة، يبدو واضحاً من الحديث وخير دليل على ذلك لفظ أكابر المشايخ.

٣. محمد بن نصر بن ابي الخير الطبسي، القاضي غياث الدين ابو طالب^(٦٠)، كان من القضاة^(٦١) اباً وجداً وعماً وخالاً وله في الحكم والقضاء اليد البيضاء وفي بحث العلوم والادب الطريقة الغراء^(٦٢)، وأنشد:-

"سقى صوب العهد عهد بيض تزرّ جيوبهنّ على الشّمس"
"فهنّ على القلوب لون التصابي أعزّ على القلوب من النفوس"

يتبين لنا من الحديث ان المترجم له قد جمع بين التعليم والعمل في آن واحد اذ لم تشر المصادر التاريخية التي بين أيدينا عن المكان الذي كان يعقد فيه مجالسهم فهل في المسجد ام في داره ام في موضع اخر؟

٢- مجالس الحديث:-

اشتهر المشرق الاسلامي بتنوع مجالس الحديث فيه وتنوع غاياته فمنها العارض، ومنها الدائم.

فالعارض:- هو أن يكون لدى المحدث احاديث محدودة فيجلس لروايتها في مجلس او مجلسين، ومثلها المجالس التي يحضرها العامة لسماع الحديث التي كانت تعقد في بيوت بعض الأعيان.

والدائم:- هي التي يعقدها الشيوخ المتخصصون في الحديث، في ايام معلومة من كل أسبوع، ويحضرها الطلبة ويدومون على حضورها حتى يفرغ الشيخ من املاء حديثه، وقد تستغرق ذلك عدة سنوات، تصل في بعض الأحيان الى العشرين او الثلاثين سنة^(٦٣).

١. عبدالله الطبسي (كان حياً في القرن ٥٧/١٣م):-

عبدالله^(٦٤) بن محمد بن ابراهيم الطبسي ابو منصور، عالم ديني ومحدث كبير، وعرف بانه محدث زمانه، تعلم عند الشيخ القاضي ابو بكر الحيري^(٦٥)، ونقل كل رواياته عنه.

يبدو من لفظ نقل كل روايات الشيخ ان الطبسي قد أمضى فترة طويلة من حياته يتلقى العلم من شيخه ومن المحتمل ان الطبسي قد رجع الى طبس وأسس بها بعض مجالس العلم.

٢. عبد العلي الطبسي (كان حياً في القرن ١٣/هـ ١٣م) :-

عبد العلي^(٦٦) بن محمد العلي الطبسي ابو سعيد عالم ديني ومحدث كبير درس الكثير من العلوم الفقهية والمسائل الشرعية، واعتمد عليه الكثير من المؤرخين في احاديثه، ورواياته، والمسائل لأنه حلل واستنتج بشكل علمي^(٦٧).

يبدو ان المترجم له كان واسع المعرفة كثير الاطلاع في فنون المعرفة راغباً في نشرها وقد اعتمد الاسلوب العلمي في تحليل الروايات ونقلها، وهذا ما يدل على ان الطبسي كان مغاير لعصره.

٣. محمد بن احمد الطبسي (ت ٤٨٢/هـ ١٠٨٩م) :-

محمد بن احمد بن ابي جعفر الطبسي، ابو الفضل، روى عن عدة من مشايخ عن رسول الله^(٦٨) (ﷺ) "من ابغض الانصار ابغض الله"^(٦٩).

رابعاً - المزارات :-

اصبحت المزارات من أماكن التعليم عند المسلمين^(٧٠)، لان الشرع الاسلامي لم ينهى عن زيارة القبور القريب منها والبعيد تحقيقاً لمبدأ تذكير بالآخرة والاعتنا بالموت والتأسي بآداب المزار من الاثمة والصالحين وآل البيت (عليهم السلام)^(٧١)، وقد وردت بعض الأحاديث عن الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) :- "إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، فأنها تذكركم الآخرة"^(٧٢).

ويمكن القول ان المزارات في طبس شهدت، نشاطاً، تعليمياً وأهمها :-

١. مزار بيرحاجات، أي كبير، أو عجوز الحاجات :-

في قرية بيرحاجات من غرب طبس، يوجد مزار يسمى، بأحمد بن اسحاق^(٧٣)، كان حياً في (٢٦١/هـ ٨٧٤م) وهو وكيل^(٧٤) الامام الحسن العسكري^(٧٥)، (ت ٢٦٠/هـ ٨٧٣م)، عليه السلام، وله كرامات عديدة^(٧٦).

٢. مزار حسن ابن الامام الكاظم (عليه السلام) :-

حسن^(٧٧) ابن الامام الكاظم، (كان حياً في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي) سيد جليل، ذكره بعض العلماء، أنه كان من المحدثين في زمانه وكان من رواة الأحاديث الشيخ الكليني في كتابه، لما يذكره الشيخ الصدوق في كتابه،

الشيخ الطوسي من أحاديثه، وهن من كتب الحديث الأربعة عند فرقة الأمامية الاثنا عشرية^(٧٨).

يقع مزار ابن الكاظم (عليه السلام) في قرية تسمى ((زرك))^(٧٩) على جنوب شرق من مدينة طبس^(٨٠).

٣. مزار حسين بن موسى الكاظم (عليه السلام) (كان حياً في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي):-

يقع مزار حسين^(٨١) بن موسى الكاظم (عليه السلام) في شمال غرب مركز المدينة، وهناك دلائل لوجود بيوت سكنية في اطراف المزار، ولكن الان يوجد مقابر اطرافها الابنية السكنية او التجارية^(٨٢).

٤. مزار علي (عليه السلام):-

وهو من احفاد الامام زين العابدين (عليه السلام)، ويقع مزار علي (عليه السلام) في قرية بنفس الاسم في شمال جبال (شزي)^(٨٣)، هذه القرية اجواءها دافئة وليست باردة جداً ولا جافة جداً، بل معتدلة ونفوسها قليلة^(٨٤).

٥. مزار محمد بن جعفر الطيار (عليه السلام):-

يقع مزار محمد^(٨٥) بن جعفر الطيار (عليه السلام) في قرية (ازميغان)^(٨٦)، في منطقة جبلية، بأجواء نقية، وباردة، وتقع في شمال الشرق مدينة طبس^(٨٧).

خامساً: القلاع:-

اشتهر اقليم خراسان ببناء القلاع والحصون واسوار لحمايتها ولقد اتخذت هذه القلاع والحصون كنقاط حربية الى جانب كونها مكاناً للتعليم حيث كان يربط فيها الفقهاء والعلماء والطلاب فتحوّلت من قلاع حربية الى قلاع علمية^(٨٨).^(٨٩)

وقلعة طبس تميزت بالأفضل من ناحية البناء من الاحجار ذا اللون الاسود^(٩٠) لان ارض مدينة طبس في اطرافها فيها احجار ذات اللون الاسود املس معروف بالمتانة والقوة^(٩١) ولكن اهل طبس رتبوه وجعلوه ذات احجام دائرية وجوانبها مستطيلة وقاعدتها فيها احجار مربعة وفي القمة القلعة احجارها عبارة عن احجار

مثلث الشكل^(٩٢) استخدمت الاشكال الهندسية التي وجدت آنذاك في الهندسة ونقلت الصورة الى مدينة طبس دون غيرها^(٩٣).

اتخذوا الاسماعيلية من قلعة طبس مقراً لهم اصبحوا في هذه القلعة فرقة أسماعيلية على طول مدة أقامتهم في مدينة طبس، وللقلعة دور مهم في تعليم الفرقة الفدائية ودعمهم مادياً ومعنوياً، يعلمون الناس على العقيدة الاسماعيلية لتقوية أيمان الناس بهم إذ يحمونهم وقت الحرب^(٩٤).

سادساً:- الزوايا والربط والخوانق

اشتهرت خراسان في كثرة الزوايا والاربطة فيها^(٩٥) وقد وردت ذكرها في محكم كتابه العزيز "واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل"^(٩٦).
وورد في بعض احاديث الرسول (ﷺ) ما دل على فضل المراقبة ومنها قوله:- "رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها"^(٩٧).

الزوايا:-

وهي عبارة عن ابنية صغيرة منفصلة في جهات مختلفة من المدينة في شكل دور أو مساجد صغيرة يقيم فيها المسلمون الصلوات الخمس ويتعبدون فيها^(٩٨).

والزوايا وهي من مؤسسات العلم والثقافة يعقدون بها حلقات الدراسة في علوم الدين وما يتصل بالعلوم النقلية والعقلية^(٩٩).

الربط:-

وهو مكان اقامة الحامية المراقبة عند تغور العدو، حيث يدافع المجاهد المقيم في الرباط للدفاع عن البلاد والعباد^(١٠٠).

الخوانق:-

وهي جمع خانقاه، وهي كلمة فارسية ومعناها الرباط، وهي في حدود الاربعمئة، وكانت تبني غالباً على شكل مساجد للصلاة، الا ان فيها غرفاً عديدة لمبيت الفقراء والصوفية، ولا يكون فيها في الغالب منبراً الا في صلاة الجمعة^(١٠١).

١. زبيدة بنت عبدالرزاق الطبسي (ت بعد ٦١٨هـ/١٢٢١م)
 زبيدة^(١٠٢) بنت عبدالرزاق الطبسي، ابو المحاسن، سمعت بإفادة أبيها
 عبدالمنعم بن ابي القاسم القشيري^(١٠٣)، وغيره.
 سمع فيها غير واحد من الرحالة بطبس كانت تفيد الغرباء، وبقيت فيما بلغنا
 الى سنة ثمانى عشر وستمئة وانقطع عنا خبرها^(١٠٤).
 يتبين لنا مدى اهمية المرأة في طبس اذ كانت زبيدة قبله لطلاب العلم
 يقصدونها من أقاصي البلدان للانتهال من علومها فضلاً عن ان لفظة تفيد
 الغرباء، دليل على وجود رباط خاص بها لغرض التدريس وان المصادر التي بين
 ايدينا اغفلت عدة من جوانب سيرتها.

٢. محمد بن كثير (ت القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي)
 محمد^(١٠٥) بن كثير، الكريني، ابو جعفر، سمع ابا عبدالله محمد بن ابراهيم بن
 سعيد العبدى^(١٠٦)، وروى عنه ابو عبدالله محمد بن علي بن جعفر الطبسي^(١٠٧) نظراً
 لصغر مساحة طبس وكورها مقارنة بمدن المشرق الاسلامي وكورها، فأن العلماء
 بطبس ونواحيها كانوا يعمدون الى الرحلة في طلب العلم والسعي في امصار
 المشرق الاسلامي وكوره، وبعد ذلك العودة الى ديارهم للاستفادة من علومهم اذ ان
 الكريني من المحتمل كان قد رجع الى كرين ولعل قد صار له رباطاً يدرس فيه
 ويملي الحديث على طلابه، والغرباء من الاماكن المختلفة ان يقف بعض ارباب
 الصلاح مكتباتهم في الزوايا والربط ومما لاشك فيه ان الكريني استفاد منها في
 التدريس.

سابعاً: - المدارس

لم تكن من مستحدثات القرن (٥٥/١١م) بل كانت موجودة في القرن
 (٤٤/١٠م)^(١٠٨)، وشهدت مدينة نيسابور نشاطاً فكرياً اذ نشأت فيها أول المدارس
 هي مدرسة ابي اسحاق^(١٠٩) الاسفراييني^(١١٠) (ت ٤١٨هـ/١٠٢٧م)، ولم يقتصر
 الامر على مدرسة الاسفراييني بل شهدت مدينة بيهق مدرسة البيهقية للأمام
 البيهقي^(١١١) (ت ٤١٤هـ/١٠٢٣م)^(١١٢).

في القرن (١٠٩٢م) انشأ الوزير نظام الملك^(١١٣) (٤٥٥-٤٨٥هـ/١٠٦٣-١٠٩٢م) مدارس النظامية التي اصبحت اولى أمكنة التعليم التي خضعت الى سلطة الوزير وتوجيهاته^(١١٤).

وعلى الرغم من عدم ورود اشارات صريحة الى نشأت المدارس في طبس الا ان بعض الشذرات التي وردت في بعض كتب التراجم دلت على بعض أعلامها الذين رحلوا في طلب العلم ونشره من المحتمل عند عودتهم نقلوا اساليب المدارس الى طبس.

ومن أهم اعلامهم الذين برعوا في التدريس:-

١. احمد بن محمد بن سهل (ت ٣٥٨هـ/٩٦٨م):-

احمد^(١١٥) بن محمد بن سهل الطبسي، ابو الحسين، الفقيه الشافعي، كان يدرس الحديث في نيسابور ويمليه على طلابه^(١١٦).

ولعل ان من المفيد ان نشير للطبسي الذي رحل في طلب العلم واصبحت له مكانة علمية مرموقة اذ اصبحت له حلقة دراسية يملئ الحديث فيها على طلابه ومن الطبسيين الذين كان لهم اثر متميز في التدريس.

٢. الحسن^(١١٧) بن محمد بن الحسن بن محمد بن الطبسي، فخر الدين، كان حياً (في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي) ابو محمد، نزيل بغداد، المدرس الفقيه، كان فقيهاً عالماً فاضلاً كريم الاخلاق لطيف المحاضرة ظاهر البشر، كتب الكثير بخطه وضبطه، وقدم بغداد وأستوطنها ورتب فقيهاً في المدرسة المستنصرية^(١١٨). وثم انتقل الى الاعادة واقتنى كتباً نفيسة اكثرها بخطه اذ استفاد الناس بها^(١١٩). لعل من المفيد ان نشير ان الطبسي ذو ثقافة واسعة وان رحلاته الى بغداد لغرض التدريس، فضلاً عن انه صنف عدد من الكتب وأوقفها. للاستفادة منها، ويبدو انه قد اشتاق الى العودة الى بلده للاستفادة من علومه.

٣. محمد بن محمد الطبسي^(١٢٠) (ت ٤٨٠هـ/ ١٠٨٨م) :-

محمد^(١٢١) بن محمد الطبسي، ابو جعفر، نزيل جرجان، روى عن ابو حاتم محمد بن حبان^(١٢٢) البستي^(١٢٣) (ت ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م)، يبدو لنا ان الطبسي قد رحل في طلب العلم وانه قد صارت له حلقة للتدريس ومن المحتمل انه رجع الى الطبسين للتدريس فيها ولقد اصبح له شأناً في الطبسين.

الهوامش:

(١) ابن أبي شيبه، عبدالله بن محمد، (ت ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م)، المصنف، تحقيق: - سعيد اللحام، ط١، (دار الفكر: بيروت، د.ت) ج ٩٠، ص ٢٧٦، الكوفي، هناد بن السري، (ت ٢٤٣هـ/ ٨٥٧م)، الزهد، تحقيق: عبدالرحمن عبدالجبار الفريوائي، د.ط، (دار الخلفاء للكتاب الاسلامي: الكويت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م) ج ٢، ص ٤٦٥، الطبراني، سليمان بن احمد بن أيوب، (ت ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م) المعجم الاوسط، تحقيق: طارق بن عرض الله بن محمد، وآخرون، د.ط، (دار الحرمين: القاهرة، د.ت)، ج ٤، ص ١٩٦، الزيادات، عمر بن محمد بن علي، (ت ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م)، جزء فيه أحاديث من حديث ابي حفص عمر بن محمد بن علي الزيادات، تحقيق: ابو عبد الاعلى خالد بن محمد بن عثمان المصري، ط١، (مكتبة أولاد الشيخ للتراث: دم، د.ت)، ص ٣٠، البيهقي، احمد بن الحسين بن علي، (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م)، شُعب الايمان، تحقيق: متخار احمد الندوي، ط١، (مكتبة الرشيد: الرياض، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م)، ج ١١، ص ٣٩، المدخل الى الست الكبرى، تحقيق: محمد ضياء الرحمن الاعظمي، د.ط، (دار الخلفاء للكتاب الاسلامي: الكويت، د.ت)، ص ٣٠٣، القرطبي، يوسف بن عبدالله بن محمد، (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: ابو عبدالرحمن فواز احمد زملي، ط١، (مؤسسة الريان: دار ابن حزم ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، ج ١، ص ٥٤، الحرجاني، يحيى بن الحسين (ت ٤٩٩هـ/ ١١٠٥م)، ترتيب الأمالي الخمسية (للشجري)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن اسماعيل، ط١، (دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م) ج ١، ص ٧٩، ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج ٩، ص ٢٨٢.

(٢) المخزومي، مجاهد بن جبر، (ت ١٠٤٠هـ/٧٢٢م)، تفسير مجاهد، تحقيق: محمد عبد السلام ابو النيل، ط ١، (دار الفكر الاسلامي الحديثة: مصر ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م)، ص ٣٣٥، الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: احمد محمد شاكر، ط ١، (مؤسسة الرسالة: مصر، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ج ٢، ص ٥١٩، الواحدي، علي بن محمد بن علي، (ت ٤٦٨هـ/١٠٧٥م) التفسير البسيط، تحقيق: محمد بن سعود وآخرون، ط ١، (عمادة البحث العلمي، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، ج ٣، ص ٢٥٤، الطيبي، الحسين بن عبدالله، (ت ٧٤٣هـ/١٣٤٢م)، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، تحقيق: اياد محمد الغوج، (جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم: دبي، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م)، ج ١٦، ص ٦٤، الفياض، تاريخ التربية عن الأمامية واسلافهم من الشيعة بين عهدي الصادق والطوسي، ط ١، (مطبعة اسعد: بغداد، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) ص ٦٤، شلبي، احمد، تاريخ التربية الاسلامية، د.ط، (دار الكشاف للطباعة والنشر والتوزيع: د.م، ١٣٧٤/١٩٥٤م)، ص ٨٤.

(٣) الزرادشتية:- ديانة اسسها زرادشت بن يورشب في القرن السادس قبل الميلاد، وتسمى المجوسية، أتخذ الساسانيون منذ بداية عهدهم الزرادشتية ديناً رسمياً لهم، للمزيد ينظر، مسكويه، تجارب الأمم، ج ١، ص ١٨٠؛ كرستسن آرثر، ايران في عهد الساسانيين، ترجمة: يحيى الخشاب، ط ١، (دار النهضة العربية: بيروت، ١٤٠٣/١٩٨٢م)، ص ١٣١؛ طقوش، تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والانجازات السياسية، ط ١، (دار النفائس: د.م، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ص ٩٧؛ ماسبيرو، غاستون، تاريخ المشرق، ترجمة: أحمد زكي، ط ١، (شركة نوابغ الفكر: القاهرة، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م)، ص ٢٢٠.

(٤) أميني، بناهاي، تاريخي، ص ٤٤.

(٥) أميني، بناهاي، تاريخي، ص ٤٤.

(٦) المقدسي، احسن التقاسيم، ص ٤٣٣.

(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٣٦٤.

(٨) أميني، بناهاي، تاريخي، ص ٤٤.

(٩) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٣٦٤؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ١٣.

(١٠) نائيني، مشتاق، كزارش كوير: سفر نامه صفاء السلطنة نائيني (تحفة الفقراء)، ط ١، (د.مط: طهران، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م)، ص ٣٦؛ اشرفي، زيغ الله، جغرافياي كاخك، (بابن نامه: قم، ١٣٣٨هـ/١٩١٩م)، ص ١٧.

- (^{١١}) ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ط ٢، (مؤسسة الاعلمي للمطبوعات: بيروت، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م)، ج ٢، ص ٢٧٠.
- (^{١٢}) ابن الجوزقاني: - هو الحسين بن ابراهيم بن الحسين الجوزقاني، ابو عبدالله، رحل من جوزقان الى طبس، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٧٠.
- (^{١٣}) جوزقان: - قرية من قرى همذان، ينسب اليها ابو مسلم عبدالرحمن بن عمر بن احمد الصوفي الجوزقاني، والجوزقان جيل من الاكراد ويسكنون جلوان ينسب اليهم ابو عبدالله الحسين بن ابراهيم الجوزقان للمزيد ينظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٨٤، ابن عبدالحق، مراصد الاطلاع، ج ١، ٣٥٧، اعتماد السلطنة، محمد حسن بن علي، مرآة البلدان، تحقيق: - عبدالحسين وهاشم، د.ط، (جامعة طهران: طهران، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م)، ج ٤، ص ٢٢٨٦.
- (^{١٤}) الصالحي الشامي، محمد بن يوسف، (ت ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق: - عادل احمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ط ١، (دار الكتب: بيروت، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م)، ج ٤، ص ١٨٩.
- (^{١٥}) اسماعيل بن ابي صالح المؤذن شافعي المذهب، كان أماماً في اصول الفقه وهو ممن تتلمذ على يد الامام الواحدي، للمزيد ينظر، الواحدي، التفسير البسيط، ج ١، ص ٧٥.
- (^{١٦}) ابن ناصر الدين محمد بن عبدالله، (ت ٨٤٢هـ / ١٤٣٨م) توضيح المشتبه في ضبط اسماء الرواة وانسابهم والقابهم وكناهم، تحقيق: - محمد نعيم المرقوسي، ط ١، (مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م)، ج ٥، ص ٢٦٩.
- (^{١٧}) ابن ماكولا، الاكمال في رفع الارتياب، ج ١، ص ٨.
- (^{١٨}) يبدو أنَّ الكتاب من تراثنا المفقود.
- (^{١٩}) اودن: - وهي قرية كبيرة تحت جبل بين مرعش الفرات، وقال ابو بكر بن موسى: - ان اودن قرية من قرى بخاري ينسب لها جماعة من العلماء، للمزيد ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٢٧٧، ابن عبدالحق، مراصد الاطلاع، ج ١، ص ١٢٩.
- (^{٢٠}) نجاري: - وهي مدينة حصينة وفيها نهران احدهما خرناب والاخر جيحون، ولها ناحية تمتد حتى حدود بدحشان وتدعى روستابيك يحيط بها جيحون من جانب ومن الجانب الاخر جبل للمزيد ينظر، مؤلف مجهول، حدود العالم، ص ١٣٥.
- (^{٢١}) ابن نقطة، اكمال الاكمال، ج ٤، ص ٦٠، البغدادى، تكملة الاكمال، ج ٤، ص ٦٠.

- (^{٢٢}) الحاكم النيسابوري تلخيص تاريخ نيسابور، ص ٢٣، ابن مأكولا، الاكمال في رفع الارتياب، ج ٥، ص ٢٦٨، ابن ناصر الدين، توضيح المشتبه، ج ٦، ص ٢٧.
- (^{٢٣}) الفارسي، المختصر من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، تحقيق: محمد كاظم المحمودي، ط ١، (مركز بزوهش ميراث مكتوب: طهران، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م)، ص ٣٤٧؛
- (^{٢٤}) لم اعثر له على ترجمة في المصادر التي اطلعنا عليها.
- (^{٢٥}) ابن ناصر الدين، توضيح المتشبه، ج ١، ص ١٠٧.
- (^{٢٦}) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٠٧.
- (^{٢٧}) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٢، ص ٢٧٢.
- (^{٢٨}) بون:- بلدة بين هراة وبغشور وهي قصبة ناحية باذغيس، بينها وبين هراة مرحلتان وهي مدينة حصينة مقنطرة كثيرة الرخص والفواكه وبساتين مقارنة بالهراة وبخشور، رايتها وسمعتهم يسمونها ببنة وينسب لها عدة من العلماء، للمزيد ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٥١٢.
- (^{٢٩}) الصفدي، خليل بن أبيك، (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: احمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، د.ط، (دار احياء التراث: بيروت، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م)، ج ١٧، ص ٦٩، ابن ناصر الدين، توضيح المشتبه، ج ١، ص ٦٥٥.
- (^{٣٠}) ابن مأكولا، الاكمال في رفع الارتياب، ج ٥، ص ٢٦٦.
- (^{٣١}) ابن نقطة، اكمال الاكمال، ج ٤، ص ٦٠.
- (^{٣٢}) ابن مأكولا، الاكمال في رفع الارتياب، ج ٥، ص ٢٦٦.
- (^{٣٣}) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢٦٦.
- (^{٣٤}) ام سليم:- بنت ملحان، بن خالد بن زيد حرام بن جندب بن عامر بن عدي بن النجار الانصارية الخزرجية النجارية، ام أنس بن مالك اختلف في اسمها فقيل سهلة، وقيل رميلة، وقيل رميثة، وقيل مليكة والخميصاء، والرميصاء، ابن الاثير، اسد الغابة، ج ٧، ص ٢٢٩؛ التتونجي، محمد، معجم اعلام متن الحديث من ورد ذكرهم في حديث (رسول الله ﷺ)، ط ١، (دار المعارف: بيروت، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م) ص ٦٤.
- (^{٣٥}) البخاري، الجامع الصحيح، ط ١، (دار الشعب: القاهرة، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م)، ج ٢، ص ١٣٠؛ الفياض، محاضرات في صدر الاسلام والدولة الاموية، ط ١، (مطبعة الارشاد: بغداد، ١٣٨٧ / ١٩٦٧م)، ص ٦٣.
- (^{٣٦}) برزكر، علي، سرزمين ايزد (انشتارات واصل: تهران، ١٣٣٥هـ / ١٩١٦م)، ص ٥٢.

- (^{٣٧}) ابن ناصر الدين، توضيح المشتبه، ج ٢، ص ٤٥٩.
- (^{٣٨}) جنارة:- قرية من قرى طبرستان بين سارية واستراباد، وللمزيد ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٦٦، زيادة ترجمة.
- (^{٣٩}) ابن ناصر الدين، توضيح المشتبه، ج ٢، ص ٤٥٩.
- (^{٤٠}) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٧، ص ٤٨١.
- (^{٤١}) ابن نقطة، التقييد لمعرفة رواة السنن والأسانيد، ص ١٧٤.
- (^{٤٢}) ابن ماكولا، الاكمال في رفع الارتباب، ج ٤، ص ١٠٣.
- (^{٤٣}) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٢٢، ص ٩٨.
- (^{٤٤}) بن الفوطي، مجمع الآداب، ج ٢، ص ١٤٩.
- (^{٤٥}) ابن القيسراني، محمد بن طاهر بن علي بن احمد، (ت ٥٠٧هـ/ ١١١٣م)، الانساب المتقنة في الخط المتماثلة في النقط والضبط، تحقيق: دي يونج، د.ط، (بريل: ليدن، ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م)، ص ٣١.
- (^{٤٦}) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٢٢، ص ٣٦٣؛ الطهراني، آغابزرک، طبقات اعلام الشيعة نوابغ الرواة في رواية الكتاب، تحقيق: علي تقي فنروي، د.ط، (دار الكتاب العربي: بيروت، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م)، ص ١٤٩.
- (^{٤٧}) ابن الفوطي، مجمع الآداب، ج ٤، ص ٢٧٨.
- (^{٤٨}) تسري:- ولها عدة معاني منها، انفراج النكبة، الكشف غطاء الظلمة انصداع الحال الموحشة، انفكاك غفلة الاسر، الخلاص من وثاق الحبس، تسري ظلم النكبات، تصرم مهلة النوائب انجذاب حيال الكرب، انفصال اسباب صروف الزمان، الكرخي، محمد بن سهل بن المرزيان، (ت نحو ٣٣٠هـ/ ٩٤٢م)، الالفاظ الكتابية والتعبير، تحقيق: حامد صادق، ط ١، (دار البشير: عمان، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م)، ص ٧٧.
- (^{٤٩}) اظهر:- مضمير اخائك ابا ن مكنون صفائك، ابدى خفي نيتك، ابا ن عن صحة طوبتك، نطق عن محض سريرتك، المصدر نفسه، ص ٧٨.
- (^{٥٠}) لم اعثر له على تعريف في المصادر التي اطلعنا عليها.
- (^{٥١}) الغفلة:- ان يكون في كتابه غلط فيقال له في ذلك في ترك ويحدث لما قالوا او يغيره، في كتابه بقولهم لا يعرف فرق ما بين ذلك او يصحف تصحيفاً فاحشاً يقلب المعنى لا يعقل ذلك

فكيف عنه. للمزيد ينظر، العسكري، الحسن بن عبدالله بن سعيد، (ت ٣٨٢هـ/٩٩٢م)، اخبار المصحفين، تحقيق:- صبحي البديري السامرائي، ط١، (عالم الكتب: بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م)، ص ٣٤.

(^{٥٢}) ابن الفوطي، مجمع الآداب، ج ٤، ص ٢٧٨.

(^{٥٣}) برزكر، علي، سرزمين ايزد، (انشتارات واصل: تهران، ١٣٣٥هـ/١٩١٦م)، ص ٥٢.

(^{٥٤}) برزكر، سرزمين، ص ٥٤.

(^{٥٥}) ابن الأبار، محمد بن عبدالله، (ت ٦٥٨هـ/١٢٥٩م)، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق:- عبدالسلام الهراس، د.ط، (دار الفكر للطباعة: لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، ج ١، ص ٢٢٦؛ الحلة السيرة، تحقيق: حسين مؤنس، ط ٢، (دار المعارف: القاهرة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م)، ص ٢٠١، الذهبي، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، تحقيق: محمد عوامة واحمد محمد نمر الخطيب، ط ١، (دار القبلة للثقافة الاسلامية: جدة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ص ١٤٢؛ السخاوي، محمد بن عبدالرحمن بن محمد، (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م)، الجواهر والدرر في ترجمة: شيخ الإسلام ابن حجر، تحقيق: ابراهيم ياجس عبدالمجيد، ط ١، (دار ابن حزم: بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ج ٢، ص ٥٨٦، عزب، الحياة الفكرية، ص ٢٣٠.

(^{٥٦}) السمعاني، الانساب، ج ٩، ص ٤٥.

(^{٥٧}) المصدر نفسه.

(^{٥٨}) السمعاني، الانساب، ج ٩، ص ٤٧.

(^{٥٩}) المصدر نفسه، ج ٩، ص ٤٧.

(^{٦٠}) ابن الفوطي، مجمع الآداب، ج ٢، ص ٤٦٢.

(^{٦١}) القضاء اللغة:- الفصل في الحكم والقطع بين المتخاصمين اما اصطلاحاً:- منصب يتولى فيه فصل الاحكام والمنتازعات، للمزيد ينظر، الماوردي، علي بن محمد بن حبيب، (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م)، الاحكام السلطانية والولايات الدينية، د.ط، (دار الحديث: القاهرة، د.ت)، ص ٣٧١؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ١٥، ص ١٨٦؛ رؤوف، زينب مهدي، أقضية خراسان حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ط ١، (دار صفحات: دمشق، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م)، ص ٣٧.

(^{٦٢}) ابن الفوطي، مجمع الآداب، ج ٢، ص ٤٦٢.

- (^{٦٣}) الخطيب البغدادي، احمد بن علي، (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٢م)، تاريخ بغداد، د.ط، (دار الكتب العلمية: بيروت د.ت)، ج ٢، ص ١٥٤؛ عزب، الحياة الفكرية، ص ٢٣٠.
- (^{٦٤}) السمعاني، الانساب، ج ٩، ص ٤٧.
- (^{٦٥}) ابن حنبل، فضائل الصحابة، تحقيق: العباس وصي الله بن محمد، ط ١، (دار ابن الجوزي: القاهرة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م)، ج ٢، ص ١٢٦٠.
- (^{٦٦}) الباخري، دمية القصر، ج ٢، ص ١١٥٨.
- (^{٦٧}) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١١٥٨.
- (^{٦٨}) ابن اثير، اللباب في تهذيب الانساب، ج ٢، ص ٢٧٤.
- (^{٦٩}) الهروي، عبيدالله بن عبدالله بن احمد، (ت ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م)، المعجم في مشتبته أسامي المحدثين، تحقيق: نظر محمد الفاريابي، ط ١، (مكتبة الرشد: الرياض، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م)، ص ٢٤٣.
- (^{٧٠}) الفياض، تاريخ التربية، ص ٢٦٩.
- (^{٧١}) السبكي، عبدالوهاب بن تقي الدين، (ت ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبدالفتاح محمد الحلو، ط ٢، (هجر للطباعة والنشر والتوزيع: دم، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)، ج ٧، ص ١٦٧؛ عبدالرحمن، عاصم محمد رزق، المحاريب الفاطمية في أضرحة القاهرة ومشاهدها، مجلة كلية الآداب، (جامعة الملك سعود: الرياض، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م)، مج ١١، عدد ٢، ص ٤٦٥، وما بعدها.
- (^{٧٢}) ابن حنبل، مسند احمد، تحقيق: احمد محمد شاكر، ط ١، (دار الحديث: القاهرة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م)، ج ١، ص ١٤٥.
- (^{٧٣}) احمد بن اسحاق الشعري: - وهو وكيل الامام وكان مبعوث مدينة قم برسائل الى الامام التاسع والعاشر والحادي عشر ويقال عنه انه سفير، للمزيد ينظر، محمد بن علي، (ت ٣٨١هـ/ ٩٩١م)، عيون اخبار الرضا، ط ١، (مطبعة امير: قم، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م)، ج ١، ص ١٩.
- (^{٧٤}) وكيل: - هو الرجل الذي يقوم بأمره، وسمي وكيلاً لان موكله به وكل اليه القيام بأمره فهو موكل اليه الامر والوكيل على هذا المعنى: فعيل بمعنى مفعول، للمزيد ينظر، الهروي، محمد بن احمد، (ت ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط ١، (دار احياء التراث العربي: بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ج ١٠، ص ٢٠٣.

(^{٧٥}) الحسن بن علي بن محمد بن موسى الرضا بن جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين بن علي بن ابي طالب، وامه ام ولد اسمها سوسن وكنيته: أبو محمد ويقال له العسكري ايضاً، ولد سنة احدى وثلاثين ومائتين (بسر من رأى) وتوفي بها، للمزيد ينظر، سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص ٤٤٨؛ الفياض، تاريخ الامامية واسلافهم من الشيعة منذ بذراتها الأولى حتى مطلع القرن الرابع الهجري، ط ٢، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات: بيروت، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، ص ١٨١-١٨٣.

(^{٧٦}) اميني، جغرافياي تاريخي، ص ١٧٣.

(^{٧٧}) ابن عنبه، احمد بن علي (ت ٨٢٨هـ/٤٢٤م)، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، ط ٢، (المطبعة الحيدرية: النجف، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م)، ص ٢٢٠.

(^{٧٨}) اميني، جغرافياي تاريخي، ص ١٧٣.

(^{٧٩}) لم نعثر لها عن ترجمة في المصادر التي اطلعنا عليها.

(^{٨٠}) اميني، جغرافياي تاريخي، ص ١٦٨.

(^{٨١}) المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الاطهار، ط ٣، (دار احياء التراث العربي: بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ج ٤٨، ص ٢٨٦.

(^{٨٢}) اميني، جغرافياي تاريخي، ص ١٦٨.

(^{٨٣}) لم نعثر لها على ترجمة في المصادر التي اطلعنا عليها.

(^{٨٤}) اميني، جغرافياي تاريخي، ص ١٧١.

(^{٨٥}) الكاشاني، محمد محسن، الوافي، (ت ١٠٩١هـ/١٦٨٠م)، تحقيق: ضياء الدين الحسيني، ط ١، مكتبة الامام امير المؤمنين علي (عليه السلام) العامة: اصفهان، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م)، ج ١٠، ص ٥٥.

(^{٨٦}) اميني جغرافياي تاريخي، ص ١٧١.

(^{٨٧}) المرجع نفسه، ص ١٧١.

(^{٨٨}) نظام الملك الطوسي، سياسة نامه، ص ٢٦٢؛ شريف، طه احمد، دولة النزارية اجداد اغاخان كما أسسها الحسن الصباح (زعيم الاسماعيلية في فارس)، ط ١، (الشبكشي: القاهرة، ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م)، ص ٢٣٦.

(^{٨٩}) خواندمير، محمد بن خاوند شاه، (ت ٩٠٣هـ/١٤٩٧م)، روضة الصفا في سير الانبياء والملوك والخلفاء (تاريخ الدولة الطاهرية والصفارية والسامانية وآل بويه والاسماعيلية والملاحدة، ترجمة: حمد عبدالقادر

- الشاذلي، ط، ١، (دار المصرية للكتاب: مصر، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ص ٢٤٢؛ بياني، شيرين، التركيبة الدينية والسياسية للمغول، ترجمة: سيف علي، د.ط، (المركز الاكاديمي للابحاث: بيروت، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م)، ص ١٤٩.
- (٩٠) ف، بارتولد، تاريخ الحضارة الاسلامية، ترجمة: حمزة طاهر، ط ٣، (دار المعارف: مصر، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م)، ص ١١٦.
- (٩١) لويس، برناند، الحشاشون فرقة ثورية في تاريخ الاسلام، تعريب: محمد العزب موسى، ط ٢، (مكتبة مدبولي: القاهرة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م)، ص ٩٠.
- (٩٢) اميني، بناهاي تاريخي، ص ١٩.
- (٩٣) المرجع نفسه؛ (Tabas) Prepared by a number of leading orient talists, the Encyclopaedia of is law, (Late. E. J. Brill. Ltd: Leyden, 1353A.H/ 1934A.C), Voluwelv, P.582.
- (٩٤) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ٤٢، ابن الوردي، تاريخ، ج ٢، ص ١٣، زهرة، احمد علي، دولة القلاع، ط ١، (نينوى للدراسات والنشر والتوزيع: دمشق، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ص ٢٥.
- (٩٥) الأضطري، المسالك والممالك، ص ١٣٢، الحديثي، ارباع خراسان، ص ١٧١.
- (٩٦) سورة الانفال، آية ٦٢.
- (٩٧) البخاري، صحيح، ج ٤، ص ٤٣.
- (٩٨) السمعاني، الانساب، ج ٧، ص ٣٢٣، معروف، ناجي، اصالة الحضارة العربية، ط ٢، (مطبعة التضامن: بغداد، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م)، ص ٤٦٠؛ عزب، الحياة الفكرية، ص ٢٣٥.
- (٩٩) عزب، الحياة الفكرية، ص ٢٣٦.
- (١٠٠) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٢١٨، عباس، ندى موسى، الربط في العراق في العصر العباس دراسة في نشاطها الاجتماعي والسياسي والثقافي، اطروحة دكتوراه غير منشورة، (كلية الآداب: جامعة بغداد، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م)، ص ١-٧.
- (١٠١) المقرئزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ط ١، (دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ج ٢، ص ١٨١، عزب، الحياة الفكرية، ص ٢٣٧.
- (١٠٢) ابن نقطة، اكمال الاكمال، ج ٤، ص ٦١.

- (^{١٠٣}) القشيري: - عبد المنعم بن ابي القاسم القشيري، أبو المظفر، للمزيد ينظر، السمعاني، الانساب، ج ٨، ص ٢٥.
- (^{١٠٤}) ابن نقطة، اكمال الاكمال، ج ٤، ص ٦١.
- (^{١٠٥}) السمعاني، الانساب، ج ١١، ص ٩٦.
- (^{١٠٦}) البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة احوال صاحب الشريعة، ط ١، (دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م)، ج ٥، ص ٢٨٩.
- (^{١٠٧}) السمعاني، الانساب، ج ١١، ص ٩٦.
- (^{١٠٨}) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٣، ص ١٦٨؛ عاشور، صلاح الدين علي، دور مدارس خراسان في تطور النهضة العلمية في العصر السلجوقي (٤٢٩-٥٥٢هـ/١٠٢٧-١١٥٧م)، مجلة المؤرخ العربي (د.م.ط: مصر، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م)، مج ١٩ العدد ١، ص ٢٤٥ وما بعدها؛ معروف، مدارس قبل النظامية، د.ط، (مطبعة المجمع العلمي العراقي: بغداد، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، ص ١١؛ نشأة المدارس المستقلة في الإسلام، ط ١، (مطبعة الزهراء: بغداد، ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م)، ص ٨.
- (^{١٠٩}) ابي اسحاق: ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن مهران بن الاسفراييني، ركن الدين الفقيه الشافعي المتكلم الاصولي اخذ عنه الكلام والاصول عامة شيوخ نيسابور وأقر له أهل العراق وخراسان بالعلم والفضل، للمزيد ينظر، ابن كثير، اسماعيل، (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية تحقيق: علي شيري، ط ١، (دار احياء التراث العربي: بيروت، د.ت)، ج ١٢، ص ٣٠.
- (^{١١٠}) الأسفراييني: - نسبة الى بلدة حصينة من نواحي نيسابور على منتصف الطريق من جرجان، واسمها القديم مهرجان، وسمّاها بذلك بعض الملوك لخضرتها ونضارتها، ومهرجان قرية من اعمالها، وهي مدينة كبيرة فيها أسواق ومياه جارية وخانات، للمزيد ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ١٧٧؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥٧.
- (^{١١١}) البيهقي: - احمد بن الحسين بن علي البيهقي الفقيه الشافعي الحافظ الكبير المشهور واحد زمانه، وفرد اقرانه في الفنون رجل كثيراً وحصل علماً واسعاً بالحديث وطلب الى نيسابور لتدريس فقه الشافعي، ابن عساكر، تبين كذب المفتري فيمناسب الى الامام ابي الحسن الاشعري، ط ٣، (دار الكتاب العربي: بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م)، ص ٢٦٥.
- (^{١١٢}) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٤١٧، ٤١٨.
- (^{١١٣}) نظام الملك: - الحسن بن علي اسحاق بن العباس الطوسي، ابو علي وزير السلطانين الب أرسلان وولده ملك شاه ولد بطوس وكان من اولاد الدهاقين وارباب الضياع بناحية بيهق كان عالي الهمة الا انه

- كان فقيراً مشغولاً بالفقه والحديث، للمزيد ينظر، البيهقي، تاريخ البيهق، ص ١٨٢، ابن الجوزي، المنتظم، ج ٩، ص ٦٤، معروف، علماء النظاميات ومدارس المشرق الاسلامي، د.ط، (مطبعة الارشاد: بغداد، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، ص ٩.
- (^{١١٤}) معروف، مدارس قبل النظامية، ص ١٠.
- (^{١١٥}) الحاكم النيسابوري، تاريخ نيسابور طبقة شيوخ الحاكم، تحقيق: ابي معاوية مازن بن عبدالرحمن، ط ١، (دار البشائر: بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ص ١٤٥، كحالة، معجم المؤلفين، ج ٢، ص ١٠٩.
- (^{١١٦}) السبكي، طبقات الشافعية، ج ٣، ص ٥١٨.
- (^{١١٧}) ابن الفوطي، مجمع الآداب، ج ٢، ص ٥٨٩.
- (^{١١٨}) المدرسة المستنصرية:- بنيت في مدينة بغداد وذلك في عهد الخليفة المستنصر بالله (٦٢٣-٦٤٣هـ/١٢٢٦-١٢٤٥م) وحضر افتتاحها ارباب المناصب ووزعت على هيئة ارباع ومنحت للمذاهب الاربعة، للمزيد ينظر، عواد، كوركيس، مدرسة المستنصرية، مجلة سومر (مطبعة التفيض الاهلية: بغداد، ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م)، السنة الاولى، ص ٧٦ وما بعدها.
- (^{١١٩}) الفوطي، مجمع الاداب، ج ٢، ص ٥٨٩، معروف، تاريخ علماء المستنصرية، ط ٣، (دار الشعب: القاهرة، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، ص ٥٣.
- (^{١٢٠}) السمعاني، الانساب، ج ٩، ص ٤٥.
- (^{١٢١}) المصدر نفسه، ج ٩، ص ٤٥.
- (^{١٢٢}) محمد بن حبان:- بن احمد بن حبان بن معاذ بن معبد، قاضي حافظ، الامام أبو حاتم التميمي البستي، واسع العلم، جامعاً بين فنون منه، ولد ببست ورحل لطلب العلم، للمزيد ينظر، ابن صلاح، طبقات الفقهاء الشافعية، ج ١، ص ١١٥.
- (^{١٢٣}) بست:- مدينة كبيرة، بها قلعة حصينة، تقع على ساحل نهر هيزمندزات نوح كثيرة، وهي في الهند، يجتمع بها التجار، أهلها مقاتلون أبطال، ترتفع منها الفواكه التي يجففونها وتحمل الى الآفاق، وكذلك الكرباس والصابون، للمزيد ينظر، مؤلف مجهول، حدود العالم، ص ١٢٤.

موقف الصحافة العراقية في ضوء الموقف الدولي والاقليمي والعربي

من القضية الكردية من ٨ شباط ١٩٦٣ – ١٧ تموز ١٩٦٨

**The position of the Iraqi press in the light of the
international, regional and Arab situation of the
Kurdish issue of 8 February 1963 - 17 July 1968**

عبد السميع خلف عبد

Abdul- Sama'a Khalif Abd

أ.د. جاسم محمد عبد

Prof . Dr. Jasem Mohammad

جامعة الانبار – كلية الآداب – قسم التاريخ

University of Anbar – College of Arts – Department of History

موقف الصحافة العراقية في ضوء الموقف الدولي والاقليمي والعربي من القضية الكردية
من ٨ شباط ١٩٦٣ - ١٧ تموز ١٩٦٨

أ.د. جاسم محمد عبد

عبد السميع خلف عبد

المستخلص:

بعد سقوط نظام عبدالكريم قاسم في ٨ شباط ١٩٦٣ لعبت الصحافة العراقية دوراً كبيراً في ايضاح الموقف للدول العالمية والاقليمية المتباين ازاء القضية الكردية ، فقد انفتح العراق على الدول العالمية والاقليمية لبناء علاقات وطيدة مع الدول دون استثناء ، لكن كان هناك تصادم في وجهات النظر حول القضية الكردية ولا سيما في علاقات نظام عبدالسلام عارف مع الدول الاشتراكية التي مثلتها الاتحاد السوفيتي في علاقاتها السيئة مع العراق في بداية الانقلاب ومحاولة التدخل بالشؤون العراقية ، لكن استطاعت الصحافة العراقية ان تبين مدى تحسن هذه العلاقات بعد انقلاب تشرين الثاني ١٩٦٣ والتي ابرزت مدى تقبل الاتحاد السوفيتي للتطورات الداخلية ومحاولة حل القضية الكردية بالطرق السلمية ، ولكن القوى الاقليمية ساندت الاكراد في صراعهم مع السلطة المركزية ولا سيما ايران التي كانت تدخلاتها واضحة للعيان بمدىها بالمعونات المادية والعسكرية للاكراد طوال العهد العارفي .

After the fall of the regime of Abdul Karim Qasim on February 8, 1963, the Iraqi press played a major role in clarifying the position of the different global and regional countries on the Kurdish issue. Iraq opened up to the world and regional countries to build strong relations with the countries without exception. But there was a clash of views on the Kurdish issue Especially in the relations of the regime of Abdul Salam Aref with the socialist countries represented by the Soviet Union in its poor relations with Iraq at the beginning of the coup and try to intervene in Iraqi affairs, but the Iraqi press was able to show how improved relations after the coup in November 1963 Which highlighted the extent of the Soviet Union accepted internal developments and try to resolve the Kurdish issue peacefully, but regional powers supported the Kurds in their struggle with the central

authority, in particular Iran, which was its interventions clearly visible material and providing them with military aid to the Kurds throughout the Covenant Alarefa

أولاً : الموقف الدولي:

أ- موقف الاتحاد السوفيتي:

كان الاتحاد السوفيتي من اكثر الدول التي قدمت المساعدات الكبيرة للأكراد منذ سقوط النظام الملكي، اعتمد نظام عبد الكريم قاسم على الحزب الشيوعي في بداية حكمه مما ادى الى تقارب ودعم الاتحاد السوفيتي له ، وبعد سقط نظام عبدالكريم قاسم من قبل حزب البعث العربي الاشتراكي والقوميين تغير المشهد السياسي لنظام الحكم ، اذ عد النظام البعثي مدعوم من الولايات المتحدة الامريكية ، فقد اشار جلال الطالباني رئيس المفاوضات مع الجانب الحكومي بعد انقلاب ٨ شباط بانه اتصل بصديق سوفيتي له اتصال بالقيادات العليا للاتحاد السوفيتي لبيان موقفها من مفاوضات الاكراد مع حكومة البعثيين التي ارسلت وكيل وزير الخارجية العراقية علي حيدر سليمان الذي طلب منه مقابلة شخصين من موظفي سفارة الولايات المتحدة الامريكية في بغداد ، فوافق الصديق لإجراء حوار مع الشخصين وتم اللقاء بعلم الحكومة العراقية ، وكانت رسالتهما تحوي على طلب ووصية الى الحكومة العراقية بتحقيق المطالب الكردية ، فضلاً عن مطالبتها للأكراد بعدم اللجوء الى القتال ، فذكرت ماذا طلب مني الامريكان للصديق السوفيتي فاستحسن الموقف ذاكراً بانه شيء جيد ان تنصح امريكا العراقيين بعدم الاقتتال^(١).

كتبت صحيفة الجماهير تدخل القوى الاوربية في الشأن العراقي من خلال المقال الافتتاحي بعنوان (اجهزة الاعلام السوفيتية مرة اخرى ... ضد شعبنا) ، وجاء في المقال " مرة اخرى تقف اجهزة الاعلام السوفيتية موقفاً معادياً من ثورة العراق وشعب العراق .. وان ما يؤكد ان هذه الاجهزة تتصيد الاحداث في بلادنا لتتقول تقولات اقل ما يقال فيها انها ليست في صالح العلاقات الطيبة والصداقة بين شعبنا وشعب الاتحاد السوفيتي" و اشار المقال بأن اجهزة الاعلام السوفيتي بدأت تغيير الحقائق وهي تتهم الحكومة الجديدة ومساندتها عصابة البارزاني وهي تفتقر الى الصدق واكثر من ذلك الى الاخلاقية ، ولا سيما انها تصف حركة الملا البارزاني بالديمقراطية والنقدية... و اشار المقال في خاتمته ام ما تمتلكه

هذه الاجهزة الاعلامية من عداء لشعب العراق ، يعطي الحق للشعب ان يشجبه ويستكره ، فضلاً عن هذا ان هذ يعد تدخل بالشأن الداخلي العراقي ..ويجب على هذه الاجهزة ان توازن الامور بشكل يليق بما تتحدث به ^(٢)، وعبرت صحيفة الجماهير مرة اخرى بمقال حول التصرفات السوفيتية تجاه الحكومة الجديدة ، اذ كتبت مقالا افتتاحياً بعنوان (مصلحة مشبوهة في حملة اجهزة الاعلام السوفيتية) ، اشار في المقال الى البيان الذي اذاعته وكالة تاس السوفيتية بخصوص اتمرد الكردي بقيادة الملا البارزاني ، والذي عدته الحكومة العراقية تدخلاً سافراً في الشؤون الداخلية ... وبعد انتصار الشعب في التخلص من الطغيان ، وجد الاستعمار واصحاب المصالح المشبوهة اتخاذ التمرد الكردي وسيلة لتحقيق مآربهم في محاولة التدخل في الشؤون الداخلية ، بعدما فشلت اساليبهم السابقة ، واختتم المقال " .. ان الشعب الذي خاض المعارك تلو الاخرى من اجل ان يصل الى ما وصل اليه من حكم شعبي ديمقراطي ... ان هذا الشعب الذي ذاق من الاستعمار كل مر والم ليضع في صف الاستعمار كل محاولة تدخل في شؤونه ، وانه لن يسكت ابداً عن اولئك الذين يريدون تشويه مواقفه ومواقف ثورته"^(٣).

بعد فشل المفاوضات بين الحكومة العراقية والاكرد وبدء العمليات العسكرية حذر وزير الخارجية السوفيتية الدول الاقليمية التي لها مساس بالقضية الكردية كتركيا وايران وسوريا عدم الاشتراك في عمليات التطهير التي تقوم بها الحكومة العراقية ضد الاكرد ، وكتبت صحيفة البرافدا في ٢٢ حزيران ١٩٦٣ تحذيرات سوفيتية للحكومة العراقية بانها سوف تقطع المساعدات لها اذا استمرت في قتالها ضد الاكرد ، وكذلك نشرت صحيفة النجم الاحمر السوفيتية على صفحاتها بمناشدتها الحكومة العراقية والمجتمع الدولي بوضع نهاية للقتال ضد الاكرد اذ اطلقت عليها بالمجازر المروعة ضد الاكرد " المحب للحرية " ، وعدت الحرب هي ابادة جماعية ضد الاكرد^(٤)، وجاء الرد للحكومة العراقية على الحملات السوفيتية عن طريق عدنان الباجي مندوب العراق الدائم في الامم المتحدة بان هناك دول ودوائر اجنبية تقوم بتحريض الاكرد على التمرد على الحكومة العراقية ، وذكر الباجي بان المانيا الشرقية ودول اخرى متعددة لم يذكرها بالاسم بانها منبع الفتنة والتحريض للأكرد^(٥)، وليكتف الاتحاد السوفيتي بكل تحريضاته بل تزعم الموقف بالنيابة عن اكراد العراق محاولاً نقلها الى الامم المتحدة واثارة المسالة للرأي العام العالمي ليؤكد تدخله السافر في شؤون العراق الداخلية ، على الرغم من معارضة الدول العربية والاسلامية بتدويل القضية في الامم المتحدة عادة بان القضية الكردية هي شأن داخلي ولا يمكن التدخل فيه ، لذلك طلب

الاتحاد السوفيتي من منغوليا تقديم طلب بإدراج القضية الكردية في جدول اعمال الامم المتحدة ، فقد وصف مندوب منغوليا بان الحكومة العراقية تتعامل مع الاكراد مثل تعامل حكومة جنوب افريقيا مع الزنوج^(٦)، لم تتأخر الصحف العراقية بالرد على الوكالات والصحف السوفيتية مرة اخرى ، اذ قالت صحيفة الطليعة بان الاتحاد السوفيتي يتدخل بالشؤون الداخلية العراقية ويلعب لعبة جديدة ولكن هذه اللعبة فاشلة لا محالة ، وعليه فان الحكومة العراقية تشجب التدخل السوفيتي في شؤون العراق الداخلية ، على الرغم ان الحكومة لم تحصل على اي مساعدة من اي جهة لهذا التطهير وذلك بوجود القوات العراقية وقوات صلاح الدين وهي قادرة لتأديب كل من يحاول التآمر على بلدنا ، ان تهديدات الاتحاد السوفيتي لن تنتهي من عزيمة العراق في تصديه لكل المحاولات التي تريد المساس بأرضه وشعبه^(٧)، وواصلت الصحيفة بالرد على اتهامات الاتحاد السوفيتي، واكدت بان الحكومة العراقية ستقف بكل حزم ضد كل التدخلات من اي جهة معينة ، ولن تسمح لأية جهة خارجية ان تنصب نفسها راعية او داعية بانها وصية على اصحاب الحركة في الشمال ، وليس هناك اي قوات عربية او غيرها في عمليات التطهير للمناطق الشمالية من العصاة^(٨) .

حاولت بعض الدول العربية تطويق الازمة بين العراق والاتحاد السوفيتي ، ولذلك اجتمعت الكتلة العربية^(٩) في الامم المتحدة في ١١ تموز ١٩٦٣ مع مندوب الاتحاد السوفيتي واعلامه بان الدول العربية متضامنة كلياً مع العراق وتستنكر بشدة التدخل السوفيتي بالشأن العراقي ، مع الاشارة بانه يمس العلاقات العربية السوفيتية^(١٠).

صرح ناطق بلسان وزارة الخارجية العراقية لوكالة الانباء العراقية بان وزير خارجة الاتحاد السوفيتي قد سلم سفير العراق في موسكو بياناً حول احداث شمال العراق مبيناً فيه ان الاتحاد السوفيتي لا يريد الخوض في هذه المسألة بعدما اوضحت الحكومة العراقية ما قدمت للأكراد بعد الانقلاب، واكد البيان ان الاتحاد السوفيتي يسعى الى اقامة علاقات قائمة على الاحترام المتبادل بين البلدين وتطوير هذه العلاقة بالتعاون الصادق القائم على المصالح المشتركة والاحترام المتبادل مع الدول المحبة للخير والسلام كافة^(١١).

بدأت العلاقات العراقية - السوفيتية بالتحسن في بداية شهر ايلول ١٩٦٣ ، عندما وقف الاتحاد السوفيتي الى جانب سوريا ضد الاعتداءات الصهيونية ، وقد عبرت الصحف العراقية عن اشادتها بهذا التحسن ، فقد عبرت صحيفة الطليعة في مقال لها بعنوان (الفيتو الروسي ١٠١ لصالح العرب) ، عبرت الصحيفة عن تقديم شكرها للاتحاد السوفيتي لإحباط المشروع الامريكي - البريطاني^(١٢).

ذكرت صحيفة البرافدا السوفيتية الناطقة بلسان الحزب الشيوعي السوفيتي بتعليق لها عن استتباب الامن والاستقرار في شمال العراق ، اذ قالت ان وجوب ارساء القواعد الاساسية للوحدة بين القوميتين العربية والكردية في سبيل مواجهة القوى الاستعمارية ، وقد اثبتت الاحداث بان بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية حاولتا بكل الوسائل استغلال الوضع المتوتر في شمال العراق في محاولة ارجاعه الى احضان احلافهم العسكرية ، وان القادة السياسيين العراقيين قادرون بحنكتهم السياسية ان ينفذوا جميع القرارات التي تعيد الامور الى حالتها الطبيعية في شمال العراق^(١٣).

تلقى الرئيس عبدالسلام عارف برقية من نيكيتا خروتشوف^(١٤)، بمناسبة عودة الاستقرار الى شمال العراق ، اكدت البرقية على ارتياح حكومة الاتحاد السوفيتي وشعبها عن التوصل الى اتفاق وقف المعارك في شمال العراق ، وان ما قامت به الحكومة العراقية له اهمية كبيرة في تقوية السلام ليس في العراق فحسب بل في الشرق الادنى وهذا يعزز سمعة العراق في المجتمع الدولي ، وكذلك اكد في البرقية على تقوية الروابط بين العرب والاكرد من خلال ارضاء الشعب الكردي بتحقيق امانيه ، لكي يفسح المجال لجميع القوى السياسية والتقدمية من المشاركة بتعزيز الرخاء لجميع الطوائف الساكنة على ارض العراق^(١٥).

وعقب اللقاء السوفيتي اشارت مرة اخرى صحيفة البرافدا السوفيتية على عودة الامن والاستقرار الى شمال العراق وانها رحبت بعودة الحياة الطبيعية الى هذا الجزء من العراق ، وازافت الصحيفة ان وقف اطلاق النار لم يرضي خواطر الدوائر الحاكمة للقوى الاستعمارية ، وان الوكالات الغربية روجت ان ما حصل من اتفاق على وقف اطلاق النار بين الحكومة العراقية والاكرد هو اتفاقاً هشاً لازال بعيداً عن بنود الاتفاق ، وذكرت الصحيفة ان هذه الاخبار تبحث عن هدف هو زرع الشك حول امكانية التوافق بين العرب والاكرد ، والسبب في ذلك ان القوى الاستعمارية في الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا والدوائر

الحاكمة في الكيان الصهيوني التي ترتبط بهما هي دائماً تبحث عن الفوضى والاضطرابات في شمال العراق ، وقالت الصحيفة ان الهدوء والاستقرار يكرهه الغرب ، ولكن ولي ذلك الزمن التي تتحكم به القوى الاستعمارية من احداث فوضى وذلك للوعي الذي انتبعت له الحكومة وكافة ابناء الشعب عرباً واكراداً^(١٦).

اما صحيفة المنار نشرت مقالاً افتتاحياً حول الموقف السوفيتي من العراق بعنوان (العلاقات العراقية السوفيتية) جاء فيه: ... صحيح ان العلاقات العراقية السوفيتية مرت بأزمات لكن لا يمكن نسيان المواقف الطيبة للامة العربية ، ولذلك يجب علينا تعميق العلاقات وتصحيح الاخطاء واحلال الصفاء بدل ما يمكن ان يعتريها من كدر ، اننا ندعو الاتحاد السوفيتي بروح الاخلاص والنية الصادقة ، ان العراق تعرض لحملة شرسة من الاعلام الاستعماري وابواق الرجعية التي استغلت الاوضاع المضطربة في المنطقة الشمالية واخذت التشهير بالقيادات العليا في الدولة ، فضلاً عن الامدادات والدعم المادي والعسكري ، ولكن مع الاسف عندما نجد اذاعات ووكالات البلد الصديق الاتحاد السوفيتي هي تردد ما يقوله المتمردين دون الانتباه الى الحقائق التي يغفل عنها الاصدقاء ، ان تفهم الاتحاد السوفيتي للحقائق سيعطي حالة ايجابية في اقامة علاقات حميمة معهم ويؤدي الى احباط التآمر الاستعماري الذي يهدف المساس بسيادة العراق ووحدته الوطنية^(١٧) .

اصبح الاتحاد السوفيتي صديقاً حميماً للعراق والعرب ، فقد اثنت صحيفة ازفستيا السوفيتية الناطقة بلسان الحكومة السوفيتية في مقال لها عن زيارة عبدالرحمن عارف الى شمال العراق واجتماعه بالملا البارزاني قد اعطت انطباعاً عن جهوده المتواصلة لإعادة الحياة الطبيعية في المنطقة الشمالية ودعمه للوحدة الوطنية^(١٨) .

نشرت صحيفة البرافدا السوفيتية حديثاً لعبدالرحمن عارف من خلال مراسلها بريماكوف الذي زار بغداد وشمال العراق ، وقد اشارت الصحيفة الى المهمة الاساسية التي اعطاها عبدالرحمن عارف اولوية هي وقف القتال في شمال العراق ، وكان موقفاً فيها بصدور بيان ٢٩ حزيران ، وتحدث المراسل عن النوايا الحسنة التي بادر بها عبدالرحمن عارف لإعادة الاستقرار في الشمال ، مضيفاً اتصاله بوزير الدفاع الذي ارسل تحياته الى الملا البارزاني ولا سيما انه اعلن الذهاب الى الشمال لمقابلته ، وبعدها شرح لقائه بالملا البارزاني ناقلاً عنه هذا الحديث : اننا سنعيش مع اخواننا العرب كأخوة متحابين نريد ان نبني

وطننا لكي نقدم خدمة لشعبنا ونرتقي نحو الافضل ، وازادت صحيفة الفجر الجديد بان وكالة انباء تاس في نشرتها التي توزعها في بغداد ان مراسلها قد علم بان الاكراد سلموا الاسلحة الثقيلة^(١٩).

بعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ وما تبعه من ملاحقة للشيوخيين الامر الذي ادى الى توتر قوي بين الحكومة العراقية والاتحاد السوفيتي الذي يعتبر الممول الاكبر للحزب الشيوعي العراقي ، ولا يخفى على احد ان جمال عبدالناصر كان له دور كبير في تقارب وجهات النظر بين الاتحاد السوفيتي والدول العربية بشكل عام والعراق بشكل خاص .

ب- موقف بريطانيا:

اما الموقف البريطاني فقد ذكرته صحيفة الديلي تلغراف في ٢٠ حزيران ١٩٦٣ ، ان الحرب التي شنها عبد السلام عارف على الاكراد هي اشد بطشاً واقسى من حملة عبد الكريم قاسم ، فقد احرق جميع القرى الواقعة حول كركوك لمسافة ٤٠ كيلومتر ، وبعد ذلك تم مسحها بالجرارات والمصفحات ، وان جميع المزروعات احرق وقلنت المواشي ، ووصفت الصحيفة عبد السلام عارف بقصاب بغداد الذي يفوق عبد الكريم قاسم بجرائمه ، اما صحيفة الكارديان في نفس التاريخ اعلاه قد عبرت عن الحملة العسكرية في مناطق الشمال ، ان هذه الحملة الشاملة ضد الاكراد هي اشد عنفاً من الحكومة السابقة ، اذ انها ارسلت اعداد هائلة من الجيش العراقي الى مناطق القتال ، وانتقدت الصحيفة عن البلاغات العسكرية الرسمية التي تعلن بها عن قتل مئات الاكراد ، وتساءلت الصحيفة عن الطرف المسؤول عن فشل المفاوضات بين الحكومة والوفد الكردي^(٢٠) .

التقى جلال الطالباني مع روجرالن(Roger Allen) احد موظفي الخارجية البريطانية في ١٨ ايار ١٩٦٥ وجرى حديث بينهما ، اوضح الاخير انه من الممكن ان تتفاهموا مع القيادات المعتدلة في بغداد ، فرد جلال الطالباني بأنه عليكم بإيقاف شحنات الاسلحة البريطانية التي تدعمون الجيش العراقي بها ، وان الاكراد عندهم ثقة كبيرة ان بريطانيا قادرة على اقناع بغداد بتبني مطالب الاكراد المشروعة^(٢١).

وعلى اثر هذا اللقاء ذكرت صحيفة الجمهورية عبد الرحمن البزاز سفير العراق في بريطانيا قدم مذكرة احتجاج الى الحكومة البريطانية كونها من المشجعين لبعض الاكراد بالانتقام من العراق لتأييده

حركة التحرر العربي ضد السيطرة الاجنبية في الوطن العربي ، واكد عبد الرحمن البزاز ان موقف بريطانيا هذا يعد عمل غير لائق ودليل على تغير السياسة البريطانية التي تؤكد على عدم التدخل في النزاعات الداخلية للدول الاخرى ، واتهم البزاز بريطانيا السماح لبعض الاكراد بالتجاوز على عبد السلام عارف من خلال احاديثهم عبر الصحف البريطانية ، مضيفاً ان بعض الدول الاجنبية تلعب بالنار لتزويد الاكراد بالأسلحة ، وذكر من هذه الدول بريطانيا ^(٢٢)، وارسل البزاز رسالة الى صحيفة الـاوبزرفر البريطانية الصادرة في بداية شهر ايار ١٩٦٥ عندما ظهر جلال الطالباني على شاشة التلفاز B.B.C الذي دعا فيه الى اتحاد العراقيين من اجل اسقاط حكومة العراق على رأسها عبد السلام عارف ، وان جلال الطالباني شرح أمور ملفقة حسب رد عبد الرحمن البزاز ^(٢٣)، الذي كذب فيها ادعاءات ومزاعم الحزب الديمقراطي الكردستاني التي تقول بان العراق انتهك حقوق الانسان ومارس التفرقة والعنصرية ضد الاكراد، واكد السفير بان الاكراد يؤدون دورهم في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ولهم استحقاقهم وفق تعدادهم السكاني ^(٢٤).

ثانياً: الموقف الاقليمي

أ- الموقف الإيراني:

رغم سقوط عبد الكريم في ٨ شباط ١٩٦٣ الا ان الدعم الإيراني ازداد واصبح تأثيره كبيراً على القيادة البارزانية ، حاولت القيادة العراقية باستمالة الاكراد عندما دخلت معهم في مفاوضات ادت الى توقف القتال، لكن هذا الاتفاق لم يدم طويلاً مما ادى الى تجدد الخلافات بين الحكومة والاكراد واندلاع العمليات العسكرية في شهر حزيران ، وبعد انقلاب عبدالسلام عارف على قيادة البعث في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ تدخلت ايران في اعادة دعمها للتمرد الكردي بسبب معارضتها لسياسة عبد السلام عارف الموالية للجمهورية العربية المتحدة وعلاقته القوية مع جمال عبد الناصر ^(٢٥)، فقد ذكرت صحيفة صوت العرب ان الحكومة العراقية قد ردت على مزاعم الجانب الإيراني بحصول اعتداء عراقي على الحدود الإيرانية ، وذكر مصدر عراقي بان الحكومة العراقية قد اعتقلت بعض رجال الحدود الإيرانيين ، وذلك لقيامهم بالتسلل الى الاراضي العراقية مع عدد من المتمردين ، وقد دخلوا حوالي ثلاث كيلو مترات داخل

الاراضي العراقية ، اما الجانب الايراني فقد زعم ان مائة مسلح عراقي هاجموا احد المواقع الايرانية على الحدود وسرقوا الماشية منها وقاموا بقتل اثنين من حرس الحدود الايراني^(٢٦).

وقد كتبت صحيفة الجمهورية مقالاً افتتاحياً بعنوان (نحن وايران) ، جاء فيه ان سياسة العراق الخارجية التي اتخذها مع شعوب المنطقة بالحياد الايجابي ، لأنها تعبر عن نواياها السلمية في علاقاته لتسوية كل المشاكل بالتفاهم وحلها بالتي هي احسن ... لكن الجانب الايراني لم يتجاوب مع هذه السياسة المرنة مما اجبر الساسة العراقيين على كشف الحقائق بالتجاوزات الايرانية ، ان ايران قامت بأعمال تهدد امن العراق ، وان ايران ادري من غيرها بما تقوم به من مساعدات وتسليح الزمر المتمردة عبر اراضيها ، وازداد المقال ان الزمر المتمردة تنتهي في يوم من الايام لكن الجوار باق ، وذلك ليس من المصلحة ولا السياسة هدم علاقات بأكملها من اجل خونة سينقلبون على ايران في المستقبل وبعدها لا ينفع الندم^(٢٧).

وفي ضوء ذلك طلب عدنان الباجي وزير الدولة للشؤون الخارجية من القائم بالأعمال الايرانية بالحضور الى مكتبه الرسمي في وزارة الخارجية لتسليمه مذكرة احتجاج حول الخروقات الايرانية المتكررة على الحدود في الشمال ، اذ اوضح الباجي بان المساعدات المادية والمعنوية قد ازدادت بشكل ملحوظ فضلاً عن سماح ايران للمتمردين باستخدام الاراضي الايرانية لقصف المواقع العراقية^(٢٨) ، وان ما حدث يوم ٢ و ٣ من كانون الثاني ١٩٦٦ ، عندما تم قصفت مواقع تابعة للجيش العراقي في بنجوين من الاراضي الايرانية والذي ادى الى سقوط قتلى من الجيش العراقي ، وذكر الباجي ان ايران قدمت اسلحة مختلفة للمتمردين من مدافع هاون ٨٢ ملم وقاذفات ورمان يدوي نوع ركس وكميات كبيرة من الاعتدة والغاماً ضد الدبابات والاشخاص ، كل هذا ساعد المتمردين وكأنها قوة عسكرية مقاتلة ، فان الوزارة تحتج بشدة على هذا العمل ، ولذلك على الحكومة الايرانية اتخاذ الاجراءات اللازمة لحدوث مثل هذه الخروقات^(٢٩) .

وصفت اذاعة صوت الشعب الايراني عدنان الباجي وزير الدولة للشؤون الخارجية بالأبله وذلك بسبب تكذيبه شكوى الادعاءات الايرانية التي مفادها بان الجيش العراقي قام بأعمال تخريبية على الحدود العراقية الايرانية ، مما دفع عدنان الباجي بتكذيب هذه الاشاعات وتوضيح حقيقة ما يجري على الحدود من انتهاكات من الجانب الايراني ، وقال بانه هناك مجموعة من الاكراد المتمردين قاموا بأعمال

تخريبية، فقام الجيش العراقي بمطاردتهم الى داخل الحدود الايرانية ، هذا الادعاء ادى الى اثار الجانب الايراني معتبراً بأنه كذب وتلفيق من قبل الجهات العراقية ، مبرراً ذلك بسببين اولهما : بان القوات الثورية في كردستان العراق هي التي تطارد الجيش العراقي والتي وصفته بالجيش الهزيل ، وثانياً : ان المناطق الايرانية المجاورة للحدود العراقية يقطنها الاكراد وهم نفس الشعب الذي يسكن بالقرب منهم عبر الحدود العراقية ، ولذلك لا يقوم الاكراد بالأعمال التخريبية في الاراضي الايرانية لانهم يعدون هذا وطنهم الثاني ، وعلى هذا الاساس ادعت ايران ان السياسيين العراقيين لم يبق لديهم سوى تزيف الحقائق^(٣٠) ، وعلى اثر تبادل الاتهامات كتبت صحيفة المنار حول المذكرة التي سلمها عدنان الباجي الى الجانب الايراني مقالاً افتتاحياً بعنوان (لن يسكت العراق على التحدي) ، جاء فيه :المذكرة التي قدمها عدنان الباجي كشفت عن حقائق مخيفة جسدها الموقف الايراني ، فقد اظهرت المذكرة تنكر ايران لكل علاقات حسن الجوار التي يفترض ان يحترمها الجانب الايراني الذي دأب على ايداء جاره العراق بإيوائه للمتمردين وتزويدهم بالسلح والتجهيزات العسكرية والاكثر المأ انهم سمحوا لهم باستخدام اراضيهم قاعدة للعدوان على العراق ، واضاف المقال ان صبر العراق عالي جداً لكن هناك بعض المسؤولين الايرانيين متعنتين في مواقفهم ضد العراق ، ولذلك اصبح السكوت غير ممكن على هذا الاعتداء المتكرر... وليعلم الجانب الايراني ان العراق ليس وحده في الساحة وانما يقف معه الشرفاء من امة العرب ، فاذا كانت نواياهم سيئة فأن ارض العرب ستلتهب ناراً قبل ان يصاب شعبنا العراقي بسوء^(٣١).

لا يمكن ان تغطي الشمس بغربال طوال السنوات الماضية بأن ايران اصبحت لاعب رئيسي في تقديم المساعدات العسكرية والمادية للأكراد في محاولة منهم زعزعت استقرار العراق لما لها من اطماع توسعية في الاراضي العراقية عن طريق منطقة خصبه وصراع طويل مع الحكومات المتعاقبة.

ومما يؤكد التدخل الايراني في الشأن العراقي صرح عبد الرحمن عارف بان اجتماعاً عقد بين الملا البارزاني ورئيس وزراء ايران داخل الاراضي الايرانية ، وبهذا خرق الجانب الايراني بأعماله الاستفزازية كل المواثيق والمعاهدات التي بين الطرفين وكل مستلزمات حسن الجوار ، واكد عبد الرحمن انه ليعلم الجانب الايراني بأن العراق وشعبه لن يتنازل باي شبر من اراضيهم وانه سيقاقل كل من يحاول المساس بوحدة حتى الرمح الاخير^(٣٢) .

هذا وقد ظهر دور إيران كمساعد للأكراد في تقديم المساعدات العسكرية لهم عبر الحدود أدى الى زيادة الأمور تعقيداً وذلك في بداية عام ١٩٦٦، إذ اتهم اللواء عبد الرحمن محمد عارف رئيس أركان الجيش وكالة ان إيران أصبحت الترسانة التي كان يتزود منها المتمردين الاكراد، واذاف ان هذا التصرف يعبر عن العداء والكره للعراق خاصة وللعرب عامة، وان هذا التواطؤ الايراني مع الاكراد أصبح مكشوفاً، وأصبحت إيران تتعامل مع الاكراد وكأنها حليف لهم ضد العراق^(٣٣)، واكدت صحيفة المنار ان بعض الجنود الايرانيين شاركوا المتمردين بقصف بنجوين بالمدافع التي طهرتها القوات العراقية من ايدي المتمردين^(٣٤).

ب: الموقف التركي

اما الموقف التركي فقد كان اكثر وضوحاً وهو ما اعرب عنه احسان صبري جاغليانكل وزير الخارجية التركي خلال زيارته الى العراق من ٧ - ١١ شباط ١٩٦٦ بان حكومته تؤيد جهود الحكومة العراقية في المحافظة على الوحدة الوطنية والدفاع عن ارضه^(٣٥)، في مقابلة اجراها معه مراسل وكالة الانباء العراقية ان تركي لا تتدخل بالشؤون العراقية بخصوص شمال العراق وهو موضوع داخلي صرف، وهناك علاقات متينة بينهما ولا يمكن لتركيا ان تساند الانفصاليين في الشمال بما يؤثر في العلاقات بين الطرفين^(٣٦).

الا ان صحيفة المنار ذكرت مقال لها عن وجود تدخل تركي، عن طريق العبارات التي توشي بهذا التدخل^(٣٧)، اذ اشارت الى نشاط اجهزة حلف بغداد بصورة غير مباشرة الى ضلوع تركيا في زعزعة الاستقرار في الشمال وبث روح التفرقة بين صفوف الشعب، وهذا برز من خلال دعم التمرد الانفصالي في المنطقة الشمالية، واذاف المقال بان تركيا كانت في الفترات السابقة تخفي عداؤها للعراق وذلك خوفاً على مصالحها في الدول العربية عامة والعراق خاصة، اما اليوم فهي تظهره بكل وقاحة^(٣٨).

كتبت صحيفة المنار مقالاً افتتاحياً حول الموقف التركي بعنوان (العلاقات العراقية - التركية)، جاء فيه: صدر البيان المشترك بين العراق وتركيا على اثر زيارة احسان سري جاغليانكل، فقد تناول البيان كثير من الامور والمسائل المهمة التي تمس مصلحة البلدين، ومن اهم هذه القضايا هو التأييد التركي لجهود الحكومة العراقية في المحافظة على الوحدة الوطنية، لقد اتسمت العلاقات العراقية - التركية في

السنوات الاخيرة باحترام وتقدير تركيا ، فان موقفها استحق كل التقدير والاحترام والثناء لما ابدته تركيا خلال الاحداث التي مر بها العراق ولا سيما انها لم تفسح مجال لانطلاق الانفصاليين المتمردين من اراضيها تجاه الحدود العراقية ، وبذلك اعطت انطباعاً حسناً بأنها تهتم بحسن الجوار واحترامها للوحدة الوطنية وسلامة امن العراق ، وان هذه الزيارة جاءت لتؤكد ترسيخ وقوة هذه العلاقات (٣٩) .

ثالثاً: موقف الجمهورية العربية المتحدة

تعد الجمهورية العربية المتحدة اكثر الحكومات العربية تفهماً للقضية الكردية وهذا ما اكدته الحقائق التاريخية عبر المرحلة التي مرت بها القضية الكردية في عهد عبد الكريم قاسم حتى انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ ، اذ ابتدأت مفاوضات بين الحكومة العراقية والاكرد بعد الانقلاب (٤٠) ، وعلى أثره وجهت دعوة من الجمهورية العربية المتحدة الى الحكومة العراقية للمشاركة في احتفالات عيد الوحدة وذلك في ٢٢ شباط ١٩٦٣ ، سافر وفد رسمي الى جانب وفد كردي لحضور تلك الاحتفالات وذلك في ٢١ شباط ١٩٦٣ ، قابل الوفد الكردي الرئيس جمال عبد الناصر الذي ابدى اهتمامه بشأن المسألة الكردية، والذي أكد للوفد العراقي التعامل مع المسألة الكردية ومع الملا البرزاني بنفس طويلة وحكمه بالغة (٤١) .

اذاع راديو القاهرة القسم الكردي في ١١ حزيران ١٩٦٣ انباء العصيان الانفصالي في شمال الوطن ، وذكرت الاذاعة في حالة عدم توصل الحكومة العراقية الى حل سلمي مع الاكرد وسحب قواتها العسكرية الى اماكنها الاصلية سوف تتقدم على تصرفاتها ، ان هذه القوات لا تستطيع مقاومة الاكرد في ميدان القتال ، وازافة الاذاعة ان قسماً من الوحدات العسكرية هم على استعداد كامل للإعلان التمرد على النظام الحاكم (٤٢) .

بعد اندلاع العمليات العسكرية في حزيران ١٩٦٣ اعلن جمال عبد الناصر من الخطأ قيام الجيش العراقي باستخدام القوة العسكرية ، لانهم لا يطالبون بالانفصال عن العراق ، واذاعة صوت العرب بان منح الاكرد الحكم الذاتي في العراق امر لا يتعارض مع مصالح الامة العربية (٤٣) .

اعلنت الصحف المصرية بان الجيش العراقي تكبد حوالي الف قتيل ضد الاكرد، هذا الخير نفته وزارة الارشاد موضحاً بان هذه الصحف تنقل اخبار ليس لها وجود من الصحة ، ولذلك على اصحاب

الصحف المصرية ان يتأكدوا في نشر الاخبار وان لا يعتمدوا اخبارهم على المصادر المشبوهة والاستعمارية^(٤٤).

بعث الرئيس جمال عبد الناصر برقية تهنئة الى الرئيس عبد السلام عارف بمناسبة استتباب الامن في شمال العراق ، جاء فيها " لقد تلقيت بكل ارتياح نبأ عودة الامور الى بيعتها في شمال العراق لتتأكد الوحدة الوطنية للشعب العراقي الباسل فخر امته العربية ... ان الاخوة العربية الكردية قامت بأعظم الادوار في التاريخ العربي والاسلامي ولسوف تكون امامها على المستقبل صفحات مجيدة تضاف الى كتاب التاريخ العظيم "^(٤٥) ، رد عبد السلام عارف على برقية جمال عبدالناصر قائلاً " ... اود انؤكد لسيادتكم ان الخطوة التي خطوناها في اعادة السلام والطمأنينة الى شمال الوطن ، ما هي الا سد الثغور في وجه المستعمرين والانتهازيين ... "^(٤٦) .

تحدث الرئيس جمال عبد الناصر في احتفالات الجمهورية العربية المتحدة بمناسبة عيد الوحدة في ٢٢ شباط ١٩٦٤ ، اذ تطرق خلال خطابه حول القضية الكردية ، اذ قال " اننا نرحب بالأخوة العربية الكردية ونقدر جهود الرئيس عبد السلام عارف من اجل الحفاظ على وحدة الشعب العراقي "^(٤٧) ، وقابل الوفد الكردي جمال عبد الناصر معرباً عن اعتقاده من الممكن تطبيق اللامركزية (الحكم الذاتي) مثل الاتحاد السوفيتي ويوغسلافيا ، وذلك لتجنب المعارك الدامية في المنطقة الشمالية ، وان القتال ليس هو الحل الوحيد لإنهاء القتال^(٤٨) ، وخاطب جمال عبد الناصر لجلال الطالباني ان الجمهورية العربية المتحدة تقف ضد اي انفصال وتقاومه بشتى الوسائل وتؤيد الجلوس على طاولة المفاوضات للوصول الى حل سلمي ، وطلب كذلك الى التخفيف من الالاحاح على القيادة العراقية وتقدير انشغالها بأمر الوحدة ، وكذلك طلب التأني ودراسة عميقة ، وحتى لا يكون هناك عداء للأكراد من قبل العرب^(٤٩) ، وذكر جلال الطالباني بأن جمال عبدالناصر نبههم من استغلال ايران لقضيتهم فلا يفسحوا المجال لهم ذلك^(٥٠) ، كما صرح جمال عبد الناصر لصحيفة لوموند " سنقاوم اية حركة انفصالية ، لكن بما ان الحكومة العراقية اعترفت بوجود الامة الكردية وتوصل الطرفان الجنرال البارزاني وحكام بغداد الحاليين.... كان من الانسب تبني الحلول السلمية قبل اللجوء الى السلاح ... لقد استغربت كثيراً عندما غلمت من بيان اذيع من بغداد بأن الحرب تجددت.. "^(٥١).

وعند عودة الوفد العراقي من القاهرة ، ابلغ مجلس قيادة الانقلاب، رأي الرئيس جمال عبد الناصر، إذ أصبحت الحكومة أكثر اصراراً إلى التوصل لحل سلمي لإنهاء المشكلة الكردية، وابدى الرئيس جمال عبدالناصر محاولة الوساطة بين الحكومة العراقية والاكرد في مؤتمر القمة العربية الاول في القاهرة ١٣ كانون الثاني ١٩٦٤ للوصول الى حل سلمي بينهما من خلال الدخول بحوار بناء من اجل الابتعاد عن اراقة الدماء^(٥٢) .

ذكر جمال عبد الناصر خلال اجتماع القيادة السياسية الموحدة المتعقد في القاهرة ما بين ١٩ - ٢٥ ايار ١٩٦٥ بأنه قابل السفير السوفيتي في القاهرة وابلغه بان ايران وحلف السنتو زودا الاكرد بأسلحة لمواصلة القتال في شمال العراق ، وكذلك دعم الصحافة الغربية للأكرد ، واكد جمال عبد الناصر للسفير السوفيتي بأنه لن يتدخل في دعم الحكومة العراقية ضد الأكرد ولن يتورط في زج بلاده في حرب الشمال، مما دعاه القول للوفد العراقي المشارك في المؤتمر بأنه لا يمكن حل اي مشكلة داخلية بين الحكومة العراقية واي طرف عراقي آخر ، ولذلك على العراقيين حل مشاكلهم بأنفسهم دون تدخل اطراف اخرى^(٥٣) .

ايد جمال عبد الناصر البيان الذي صدر في ٢٩ حزيران ١٩٦٦ بوقف اطلاق النار في شمال العراق في خطابه الذي القاه بمناسبة ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢ اذ قال ، كنا دائماً نبحت عن الحل السلمي لإنهاء التوتر الحاصل في شمال العراق وتجنب اراقة الدماء بين ابناء الوطن الواحد ، ولذلك بدورنا نشكر قيادة العراق لهذا الانجاز^(٥٤) .

عندما وقعت الحرب العربية الصهيونية في ٥ حزيران ١٩٦٧ ارسل الملا البارزاني رسالة الى جمال عبد الناصر اعلن فيها وقوف الاكرد الى جانب الشعب العربي في مواجهة الكيان الصهيوني ، ووضع كل الامكانيات الكردية تحت تصرف الجمهورية العربية المتحدة لصد اي عدوان صهيوني على الامة العربية ، وكان لهذا الموقف نتائجه الايجابية من قبل البلدان العربية التي تعاطفت مع المشكلة الكردية^(٥٥).

كان الموقف المصري بشكل عام مساند قوي للقضية الكردية في العراق ، ولذلك قام الملا البارزاني بأرسال رسالة الى جمال عبدالناصر في اب ١٩٦٧ بواسطة عزيز شريف شارحاً فيها تأخير الحكومة

العراقية لتنفيذ بيان ٢٩ حزيران ١٩٦٦ ، وذلك لممارسة دور الجمهورية العربية المتحدة من خلال تأثيرها والضغط على الحكومة العراقية^(٥٦).

كان موقف الجمهورية العربية المتحدة موفقاً الى حد ما في التعامل مع القضية الكردية بتقارب وجهات النظر بين الحكومة العراقية والاكرد من خلال العلاقة الوطيدة التي كانت بين عبد السلام عارف وجمال عبد الناصر من جهة ، ومن جهة اخرى العلاقة بين الملا البارزاني وجمال عبد الناصر ، فأصبحت الجمهورية العربية المتحدة حلقة وصل بينهما ، على الرغم لم تنفع تلك العلاقة بين الاطراف الثلاثة. لكن يمكن القول بان الموقف للجمهورية العربية المتحدة كان ايجابياً للطرفين المتنازعين.

الهوامش:

- (١) ميهضان محمد حسين البامرني ، موقف الاتحاد السوفيتي من القضية الكردية في العراق ١٩٤٥ - ١٩٦٨ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة الى مجلس كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٦ ، ص ١٣٩
- (٢) الجماهير ، العدد ١١٦ ، ١٨ حزيران ١٩٦٣ .
- (٣) الجماهير ، العدد ١١٩ ، ٢١ حزيران ١٩٦٣ .
- (٤) الاهرام (مصرية) ، العدد ٢٧٩٥٤ ، ٢٤ حزيران ١٩٦٣ . نقلاً عن ريسان عامر عبدالله الساعدي ، العلاقات العراقية - السوفيتية ١٩٦٣ - ١٩٦٨ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة الى مجلس كلية التربية الاساسية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠١٠ ، ص ٩٨.
- (٥) المصدر نفسه ، ص ٩٨ .
- (٦) المصدر نفسه ، ص ٩٩ .
- (٧) الطليعة ، العدد ١٨٠٩ ، ١١ تموز ١٩٦٣ .
- (٨) الطليعة ، العدد ١٨١٠ ، ١٢ تموز ١٩٦٣ .
- (٩) الكتلة العربية : الجمهورية العربية المتحدة والاردن وسوريا والسودان والمغرب . ريسان عامر عبدالله الساعدي ، المصدر السابق ، ص ١٠٣ .
- (١٠) الجماهير ، العدد ١١٠ ، ١٢ تموز ١٩٦٣ .
- (١١) الطليعة ، العدد ١٨١٠ ، ١٢ تموز ١٩٦٣ .
- (١٢) الطليعة ، العدد ١٨٥٦ ، ٥ ايلول ١٩٦٣ ؛ ريسان عامر عبدالله الساعدي ، المصدر السابق ص ١٠٦ .
- (١٣) الجمهورية ، العدد ٧١ ، ١٤ شباط ١٩٦٤ .
- (١٤) نيكيتا خروتشوف : ولد عام ١٨٩٤ في مقاطعة كاليانو فكا بمقاطعة كورسك الواقعة على الحدود الفاصلة بين روسيا وأوكرانيا ، انتسب الى الحزب الشيوعي عام ١٩١٨ ، حارب الى جانب الجيش الاحمر تدرج في

العمل الحزبي حتى وصل الى عضو في مجلس السوفيت الاعلى عام ١٩٣٧ ، ثم بعد ذلك اصبح سكرتير
اول للحزب الشيوعي وعضواً مرشحاً للمكتب السياسي عام ١٩٣٩ وهو منصب يعتبر شاغلة من اهم قادة
الاتحاد السوفيتي المميزين ، حكم الاتحاد السوفيتي من ١٩٦٣ الى ١٩٦٤ ، توفي في ١١ ايلول ١٩٧١ .
للمزيد ينظر : مجموعة من الباحثين، موسوعة المشاهير السياسيين في العالم - مشاهير القادة العسكريين
والسياسيين ، ج ٣ ، ط ١ ، دار الصداقة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٢ ، ص ١٦٢ ص ١٦٧ .

(١٥) الجمهورية ، العدد ٧٢ ، ١٧ شباط ١٩٦٤ .

(١٦) الجمهورية ، العدد ٩٣ ، ١٢ آذار ١٩٦٤ .

(١٧) المنار ، العدد ٣٣٤٢ ، ٢٤ آذار ١٩٦٦ .

(١٨) الفجر الجديد ، العدد ١٤٤٠ ، ٤ تشرين الثاني ١٩٦٦ .

(١٩) الفجر الجديد ، العدد ١٥٠٣ ، ٢٠ كانون الثاني ١٩٦٧ .

(٢٠) محمود الدرة ، القضية الكردية والقومية العربية في معركة العراق ، د . م ، د ، ب ، د ت ، ص ١٦٩ -
١٧٠ .

(٢١) محمود رزوق احمد ، الحركة الكردية في العراق دور البارزانيين في طريق الحكم الذاتي ١٩١٨ - ١٩٦٨ ،
ط ١ ، دار المعتز ، عمان ، ٢٠١٤ ، ص ٢٠٢ .

(٢٢) الجمهورية ، العدد ٥٠١ ، ٢٧ آيار ١٩٦٥ .

(٢٣) محمود رزوق احمد ، المصدر السابق ، ص ٢٠٣ .

(٢٤) الجمهورية ، العدد ٥١٢ ، ٧ حزيران ١٩٦٥ .

(٢٥) شذى فيصل العبيدي ، اكراد العراق في العلاقات العراقية الايرانية ١٩٥٨ - ١٩٧٥ ، مجلة اداب ذي قار
، العدد ٦ / ٢ / ، حزيران ، ٢٠١٢ ، ص ٢٤١ ؛ مجلة السياسة الدولية ، العدد ٣ ، مجلد ٢ ،
القاهرة ، ١٩٦٦ ص ١٨٣ .

(٢٦) صوت العرب ، العدد ١٢٦ ، ٢٠ كانون الاول ١٩٦٥ .

(٢٧) الجمهورية ، العدد ٧١٥ ، ٣٠ كانون الاول ١٩٦٥ .

(٢٨) المنار ، العدد ٣٢٦٨ ، ٥ كانون ال ثاني ١٩٦٦ .

(٢٩) الجمهورية ، العدد ٧٢١ ، ٥ كانون الثاني ١٩٦٦ .

(٣٠) د . ك . و . وزارة الداخلية ، وكالة الانباء العراقية ، تصنيف ٢٥ ، اذاعة صوت الشعب الايراني ، القسم
الفارسي ، ١ / ٦ / ١٩٦٦ .

(٣١) المنار ، العدد ٣٢٦٨ ، ٥ كانون الثاني ١٩٦٦ .

(٣٢) الفجر الجديد ، العدد ١١٩٣ ، ٥ كانون الثاني ١٩٦٦ .

(٣٣) المنار ، العدد ٣٢٦٨ ، ٥ كانون الثاني ١٩٦٦ ؛

F.O. 371/186757. Letter No(1038/1/66) from Eastern Department British Embassy, Baghdad Mr DK Haskell to foreign office London, Jenury 23 1966. from : Alan de L. Rush, R. o. I, 1914-1966, Volum 15:1963-1966, p.747

- (٣٤) المنار ، العدد ٣٢٦٩ ، ٦ كانون الثاني ١٩٦٦ .
- (٣٥) المنار ، العدد ٣٣٠١ ، ١١ شباط ١٩٦٦ .
- (٣٦) الجمهورية ، العدد ٧٥٥ ، ١٢ شباط ١٩٦٦ ؛ صوت العرب ، العدد ١٦٩ ، ١٢ شباط ١٩٦٦ .
- (٣٧) المنار ، العدد ٣٣٠٢ ، ١٢ شباط ١٩٦٦ . نقلاً عن : خالد عبدالوهاب عبدالرزاق ، ، مواقف الصحافة العراقية من العلاقات العراقية - التركية ١٩٥٨ - ١٩٦٨ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة الى مجلس كلية التربية الاساسية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٠ ، ص ١٤٧ .
- (٣٨) المنار ، العدد ٣٣٩٥ ، ٢٣ ايار ١٩٦٦ . نقلاً عن : خالد عبدالوهاب عبدالرزاق ، المصدر السابق ، ص ١٤٨ .
- (٣٩) المنار ، العدد ٣٤٠٠ ، ٢٨ ايار ١٩٦٦ .
- (٤٠) مثني امين قادر ، قضايا القوميات واثرها على العلاقات الدولية (القضية الكردية نموذجاً) ، مركز كردستان سليمانية ، ٢٠٠٢ ، ص ١٦١ .
- (٤١) جعفر عباس حميدي ، تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري ١٩٥٨ - ١٩٦٨ ج ٦ ، ط ٢ ، بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠٠٥ المصدر السابق ، ص ١٨٠ ؛ محمد سلمان منور التميمي ، فؤاد عارف ودوره العسكري والسياسي في العراق حتى عام ١٩٧٥ ، رسالة ماجستير غير منشورة = مقدمة إلى كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٨ ، ص ١٢٣ ؛ حامد شريف الحمداني ، لمحات من تاريخ حركة التحرر الكردية في العراق ، د. ن ، د. م ، ٢٠٠٤ ، ص ٨٨ .
- (٤٢) الجماهير ، العدد ١١٠ ، ١٢ حزيران ١٩٦٣ .
- (٤٣) شكيب عقراوي ، سنوات المحنة في كردستان اهم الحوادث السياسية والعسكرية في كردستان والعراق من ١٩٥٨ الى ١٩٨٠ ، ط ١ ، مطبعة منارة ، اربيل ، ٢٠٠٧ ، ص ١٢٤ .
- (٤٤) الجماهير ، العدد ١٢١ ، ٢٣ حزيران ١٩٦٣ .
- (٤٥) الجمهورية ، العدد ٦٩ ، ١٢ شباط ١٩٦٤ .
- (٤٦) المصدر نفسه .
- (٤٧) الفجر الجديد ، العدد ٦٣٧ ، ٢٣ شباط ١٩٦٤ .
- (٤٨) عبدالجليل صالح موسى ، ، جمال عبدالناصر والقضية الكردية في العراق ١٩٥٢ - ١٩٧٠ ، ط ١ ، مطبعة محافظة دهوك ، دهوك ، ٢٠١٣ ، ص ١٦٥ .

- (٤٩) علياء محمد الزبيدي ، العهد العارفي في العراق (١٩٦٣ - ١٩٦٨) ، ط ١ ، مكتبة عدنان ، بغداد ، ٢٠١٣ ، ص ٦٢٧ .
- (٥٠) معد فياض ، من ذاكرة الطالباني ، حلقات نشرتها جريدة الشرق الاوسط بين ٨ آب الى ١٨ ٢٠٠٩ ، ص ١٣٠ .
- (٥١) ايوب بارزاني ، الحركة التحررية الكوردية وصراع القوى الاقليمية والدولية ١٩٥٨ - ١٩٧٥ ، دار حقائق المشرق ، جنيف ، ٢٠١١ ، ص ٢٢٢ .
- (٥٢) صبحي عبدالحميد ، مذكرات صبحي عبدالحميد- العراق في سنوات الستينات ١٠٦٠ - ١٩٦٨ ، ط ١ ، الدار العربية للعلوم ، بغداد ، ٢٠١٠ ، ص ٦١ .
- (٥٣) عبد الجليل صالح موسى ، المصدر السابق ، ص ٢٠٩ - ٢١٠ - ٢١١ .
- (٥٤) الجمهورية ، ٨٩٤ ، ٧ تموز ١٩٦٦ .
- (٥٥) التآخي ، العدد ٧١ ، ١١ تموز ١٩٦٧ .
- (٥٦) عبدالجليل صالح موسى ، المصدر السابق ، ص ٢٤٤ .

الزراعة في مصر القديمة
أبان عصور ما قبل التاريخ

ا.م.د. فاضل كاظم
حسين كامل عيدان
كلية التربية / جامعة واسط

الزراعة في مصر القديمة أبان عصور ما قبل التاريخ

أ.م.د. فاضل كاظم

حسين كامل عيدان

الملخص باللغة العربية .

اتصفت مصر القديمة بتوفر العناصر المناخية المتلائمة التي تشجع على الزراعة كالحرارة المعتدلة والأمطار ووجود مصدر المياه الثابت المتمثل بهر النيل الذي يعد السمة التي تميز الأرض المصرية ، وانتظام فيضانه في كل عام ، والميزة المضافة التي يقدمها نهر النيل لمصر هو ما يحمله معه من عوالق وطمى تزيد من خصوبة الأرض وتحافظ عليها ، هذه العوامل جعلت الأرض المصرية مهياً للزراعة ، والذي يؤكد معرفة المصريين القدماء للزراعة ، ما تم العثور عليه من بذور الحبوب المتفحمة المخزونة بالمتحف الزراعي المصري ، وهي من نفس صنف الحبوب التي انتشر معرفتها في مناطق متعددة من الشرق الأدنى القديم وغرب آسيا.

Abstract.

Ancient Egypt characterized by the availability of climatic elements that encourage agriculture such as moderate heat, rain and the presence of the fixed water source represented by Nile Nile, which is characteristic of the Egyptian land, And the regularity of its flood every year, and the added advantage provided by the Nile to Egypt is what he carries with him plankton and silt increase the fertility of the earth and preserve it, These factors made the Egyptian land ripe for agriculture, which confirms the knowledge of the ancient Egyptians of agriculture, what was found from the seeds of charred grain stored in the Egyptian Agricultural Museum, It is the same type of grain that has spread its knowledge in many areas of the ancient Near East and West Asia.

المقدمة

إن التجانس الطبيعي في عوامل البيئة المصرية القديمة متمثلة بالعوامل المناخية من شمس وأمطار ورطوبة وحرارة كافية ، وتكوين الأرض التي ساعدت بشكل كبير على توفير مكان ملائم لنمو النباتات فقد أطلق عليها " إستى " أي أرض المنتجات الزراعية ، وكذلك " باتا إن كمت " أي " أرض السواد "

نسبة إلى لون التربة ، نظرا لخصوبتها ، كما وصفت أيضا بـ " باكت " أي الأرض الساطعة نظرا لسطوع الشمس وأشعتها على الأرض المصرية (١)، والعامل المهم الآخر الواجب توفر من اجل قيام الزراعة المتمثل بتوفير المياه من نهر النيل وفيضانه الذي حافظ على خصائص التربة لما يحمله معه كل سنة من عوالق وطمى وطين تجدد من خصوبتها ، كما يعد الفيضان بمثابة غسل للتربة من الأملاح التي تتشكل بها (٢)، وبهذا فقد توفر العوامل الطبيعية التي تحتاجها النباتات من اجل النمو .

لذا فإننا لا نستطيع القول من إن عوامل البيئة بمفردها تعد سبباً رئيساً لنشوء الزراعة ، وربما يكون هو شرطاً لازماً ولكنه غير كاف ، إذ لا بد من توفر عنصر مهم آخر يتحكم باستغلال الأرض وترويض فيضان النهر ، وهو الإنسان (٣)، وبهذا فقد كانت مصر منذ أقدم العصور تملك العناصر الضرورية الواجب توفرها من اجل قيام الزراعة (٤).

إن التغيرات التي حصلت في المناخ كانت نتيجة لارتفاع درجات الحرارة وذوبات كتل الجليد ، وقد مهدت للانقلاب الزراعي وشمل مناطق واسعة من العراق وفلسطين وسوريا ومصر (٥)، حدثت هذه التغيرات أبان العصر الحجري الحديث الذي أطلق عليه بعصر الإنتاج الزراعي أو عصر إنتاج القوت ، وهو أعقب المرحلة التي عاشها الإنسان معتمدا في حياته على جمع القوت (٦)، كما أطلق على هذا العصر أيضا " بالثورة الإنتاجية الأولى " إذ تمكن الإنسان في هذه المرحلة من أن يكون منتجا لقوته بعد أن كان مستهلكا فقط ، كما تغيرت طريقة حياته من الانتقال والسعي وراء الصيد وجمع القوت إلى الاستقرار والارتباط بالأرض بالزراعة والتجمع في قرى زراعية (٧).

يتضح لنا إن التغيرات المناخية التي حدثت في الشرق الأدنى القديم بعد انحسار الجليد وذوبانه وعلى أثره عم الدفاء وقلة سقوط الأمطار وبالتالي أدى إلى قلة النبات الطبيعي ، وهو العامل الأبرز الذي دفع الإنسان للزراعة ، لكن الرأي الراجح إن الإنسان كان قد عرف الزراعة قبل هذه الفترة إذ ترجع معرفته إلى حوالي (١٠٠٠٠) قبل الميلاد في مناطق الشرق الأدنى القديم وغرب آسيا (٨) .

الزراعة في عصور ما قبل التاريخ .

إن ممارسة الإنسان للزراعة لم تأتي فجاء بل كانت قد مرت بمرحلة تطور بطيء ، فبعد أن يخزن الإنسان البذور البرية التي جمعها ، لاحظ بعد فترة أنها بدأت تنمو لتصبح نباتات ، ولم يكن الإنسان في هذه المرحلة يتعب كثيرا ، بل كانت مياه فيضان النيل جديرة بأن تسقي الأرض وتجعلها رطبة مهيأ للزراعة ، وبهذا تعلم الإنسان في مصر القديمة الزراعة (٩).

الذي رجح هذا الرأي وجعله اقرب إلى التأكيد ، كما إننا نميل مع ما جاء فيه وهو ما تم العثور عليه من أدوات كان لها علاقة مهمة في عملية الزراعة ألا وهي الفأس البدائي الذي صنع من حجر الصوان على شكل كلوي منحي من احد طرفيه وتكون مسننة عادة ويتصل بها مقبض خشبي ، إذ حلت هذه الفأس محل اليد في عملية حفر الأرض ، والأداة الثانية التي لها علاقة وثيقة بالزراعة وهي الطاحونة (رحي) اليدوية المصنوعة من الحجر (ينظر شكل رقم ١) إذ يعتمد على دورانها في طحن البذور ، وعند حلول آلاف الرابع قبل الميلاد كانت الزراعة قد انتشرت بشكل كبير في الشرق الأدنى القديم ، في مصر وفلسطين وسوريا والعراق وإيران (١٠)، ووجود هاتين الأداتين نفهم منها إن الإنسان مارس العمل الزراعي سواء معرفة الزراعة أو زراعة الأرض على حدا سواء .

أما الرأي الآخر الذي جعل الزراعة قد دخلت إلى مصر القديمة من غرب آسيا في مرحلة من مراحل العصر الحجري الحديث ، أي أنها ليست محلي بل تقنية مستوردة ، وهذا رأي دحضه ما عثر عليه من تنقيبات تعود إلى سبعينيات القرن الماضي ، فقد عثر على بقايا حضارة زراعية في سيوه (١١)، وبعد فحصها بالكاربون - ١٤ المشع تبين أنها تعود لفترة أقدم من هذه المرحلة (١٢) ، ويبدو إن هذه الزراعة كانت في شكلها الأول زراعة هشة وضعيفة لدرجة كبيرة على الرغم من أنها انتشرت على ضفاف نهر النيل ، ويعتقد أنها سبقت بعض مناطق الشرق الأدنى في هذا المجال ، بيد إننا لايمكننا الاستناد على هذه الآراء في الجزم بالأصل المصري للزراعة ، أو حتى لنقض هذه الرأي الذي يشير إلى إن مناطق الشرق الأدنى لم تعرف الزراعة في العصر الحجري القديم (١٣).

إن التحريات والتنقيبات الأثرية التي أجرت في مناطق شمال بلاد الرافدين في مطلع الألف الثامن قبل الميلاد ، تمخضت عن وجود نوع من أنواع الحنطة الذي يعرف بـ (Emmer) المهجن تم العثور عليه في موقع جرمو (١٤) تحمل سنابله أربعة صفوف من الحبوب والذي وجدت منه بذور متفحمة في هذا الموقع (١٥) ، هذا النوع من القمح المهجن الذي وجد في بلاد الرافدين عثر عليه أيضا في بلاد النيل في مواقع متعددة تعود إلى العصر الحجري الحديث ، كما تم العثور على آلة الـ (رحي) التي استعملت في طحن الحبوب (١٦).

إن العثور على هذا النوع من القمح من نفس الفصيلة بإمكان متفرقة من مناطق الشرق الأدنى القديم يدل على معرفة الإنسان له ولربما كان هو النوع الأول الذي تم تدجينه وزراعته في مناطق متعددة من الشرق الأدنى القديم ، كالعراق ، فلسطين ومصر ، وإن دل هذا إنما يدل على تعاصر معرفة الزراعة في هذه المناطق أبان العصر الحجري الحديث كما أثبتت ذلك التحريات والتنقيبات الاثرية .

وقد أثبتت التحريات والتنقيبات الأثرية وجود زراعة تم الكشف عنها ومعرفتها من خلال ما تم العثور عليه من بذور متقدمة للحبوب التي قام بزراعتها الإنسان المصر القديم ، وتختلف مناطق مصر العليا التي هي عبارة عن شريط ضيق من الأراضي الزراعية التي تحيط بجانبى النهر تحفها هضبتان صخريتان من الشرق والغرب ، أما راضي الدلتا فهي أراضي زراعية واسعة وكبيرة تتخللها بعض المستنقعات والبحيرات ، الشيء الذي يميز هذه الأراضي بعدها عن المناطق الصحراوية ، والسمة الأخرى التي ميزتها قربها من غرب آسيا حيث مواطن الحضارات في الشرق الأدنى القديم (١٧) ، ويمكننا تتبع المواقع الأثرية للعصر الحجري الحديث التي تم العثور بها على بعض الحبوب المتقدمة :

• موقع مرمدة بني سلامة .

وهي أقدم قرية زراعية قديمة في الدلتا تعود للعصر الحجري الحديث، تبعد عن القاهرة ما يقارب من ٥٠ كم من الناحية الشرقية الغربية ، يرجع الاستيطان بها الى حوالي ٤٤٠٠ ق.م ، لا يزيد حجمها عن (٦٠٠ * ٤٠٠ متر) وقد نقت به البعثات النمساوية منذ عام ١٩٢٨ ، وكانت المقابر توضع داخل السكن ، وتعد القبور التي عثر عليها في مرمدة بني سلامة أقدم مقابر تعود إلى الفترة ، الملفت للنظر في هذه المقابر الذي يوحى إلينا إن سكان هذه القرية عرفوا الزراعة ، كانت توضع بالقرب من المتوفى بعض الحبوب (١٨)، كما إنهم قاموا بإنشاء مخازن للحبوب المصنوعة من السلاسل والجرار الفخارية ، ويبدو أن هذه القرية كان عدد سكانها قليل ، بيد أنها كانت تعتمد في اقتصادها الغذائي على الزراعة ، وهذا ما أكدته ما عثر عليه من حبوب المتقدمة (١٩)، كما تم العثور على أغصان من الأشجار صنعت على شكل مناجل إذ ثبت بالأغصان أسنان من حجر الصوان ، كما أنهم لبسوا الكتان بعد غزله ، وألفوا مجتمع صغير كانوا به متعاونين فيما بينهم ، أما الحبوب المتقدمة التي تم العثور عليها فهي من نفس نوع حبوب الحنطة الذي يعرف بـ (Emmer) الذي وجد في مناطق متعددة من مناطق الشرق الأدنى القديم ، ولربما كان وضع الحنطة مع المتوفى يعد تجسيد لأسطورة الإله " اوزيريس " ، إذ تشير الأسطورة إلى :

" إن الإله أوزير وجد الشعير ناميا بين النباتات البرية بطريق الصدفة فدرس طبائعه ، ثم صنعت له أخته وزوجه ايزيس منه الخبر ، لذلك تعتبر سنابل القمح والشعير من الأشياء المقدسة التي يرمز بها لهذه الآلهة " (٢٠).

والذي يؤكد إن سكان هذه القرية كانوا قد مارسوا الزراعة ليس فقط العثور على حبوب الحنطة والمخازن التي تخزن بها الحبوب ، بل تم العثور أيضا على مراحي كان قد تم طحن الحبوب بها ، إضافة إلى استعمالهم للنار في طهي الطعام والمرجح أيضا استعمالها في الخبز (٢١) .

• موقع دير تاسا (طاسا) .

تعد قرية دير تاسا (طاسا) أقدم قرية زراعية تعود للعصر الحجري الحديث في الجنوب (الصعيد) ترجع إلى ما يقارب من ٤٨٠٠ ق.م (٢٢) ، تقع في شمال محافظة أسيوط بدا التنقيب بها منذ عام ١٩٢٧ وتم الكشف بها عن العديد من القبور ، كما تم العثور بها على الفؤوس التي صنعت من الحجر الجيري وبعض الحبوب ، ويبدو أنهم أيضا نسجوا الكتان ، ومارسوا الزراعة ، كما تم العثور على رحي استعملت في طحن الحبوب وتحويلها إلى طحين (٢٣) ، وهذا يؤكد بشكل تام ممارسة الزراعة من قبل سكان هذا الموقع وتأكدته المخلفات الحضارية التي تم العثور عليها من رحي وفؤوس وحبوب متفحمة ، كما تعرفت البعثات الاثرية أثناء التنقيب على نوع من المساكن التي استعمل في بناءها البوص (٢٤) وقد كان يستعملها الفلاحون للاستراحة والمبيت أثناء الحصاد في أوقات الصيف (٢٥) ، يستوضح لنا إن سكان هذه القرية مارسوا الزراعة حتى وإن كانت محدودة كما أشار إلى ذلك احد الباحثين (٢٦) ، ليس هذا فحسب بل أنهم استفادوا أيضا من بعض النباتات في صناعاتهم مثل الكتان الذي صنعوا منه النسيج ، يلبسونه بعد غزله (٢٧) ، والبوص الذي استفادوا منه في صناعة بعض السلال التي كان يخزن بها ناتج الزراعة ، ومن خلال صناعاتهم للأكواخ التي كانت معدة للاستراحة في أوقات الحصاد يبدو أنهم مارسوا الزراعة بشكل واسع ، وهذا يدل بشكل آخر أنهم بدأ عندهم حس التنظيم الاجتماعي والسياسي يظهر ولو بشكل بسيط .

كما إن سكان هذه القرية بدأت عندهم سمات الفكر الديني ، وهذا واضح من خلال ما كشف عنه في مقابرهم إذ نثرت بعض الحبوب في قبر المتوفى ، كما جعل كان وضع المتوفى يوضع على الجهة اليمنى وتكون ساقيه مثنية إلى الصدر والوجه متجها نحو المساكن ، ووضعت مع المتوفى في القبور بعض الأثاث ، مما يدفع إلى الاعتقاد إنهم امنوا بوجود حياة ثانية (٢٨) ، وهذه المقابر كانت بعيدة عن المساكن يتجه وجهة المتوفى نحو الغرب (٢٩) ، لأنهم لاحظوا غروب الشمس فالتجهت أنظار الميت نحو الغرب لاعتقادهم إنها ستشرق في الحياة الأخرى .

لا بد من الإشارة إلى التماثيل التي وجدت في قبور هذه المواقع التي عرفت بـ (الآلهة الأم) وتدل هذه التماثيل على الخصب الذي ارتبط بالزراعة (٣٠) .

موقع البداري .

تعد حضارة البداري أو حضارة استخدم بها الإنسان المعادن (النحاس) ، تقع في منطقة قاو في محافظة أسيوط ، وقد قدر زمنها إلى حوالي ٤٥٠٠ ق.م حسب الفحص بالكربون -١٤، وهي قرية حضارية متقدمة نظرا لوجود العديد من الأكواخ التي بنيت باستعمال أعضان الأشجار والأخشاب ، كما اتبعت نفس الطريقة في دفن الموتى التي عرفت في المواقع المشار إليها سابقا ، وقد غطي جسد المتوفى بالجلد قبل لفه بالقماش الذي كان يصنع من الكتان (٣١) ، وقد نقت بها البعثات البريطانية لمدة طويلة أثبتت إنها تعاصر بعض مناطق الحضارة في الشرق الأدنى القديم (٣٢).

امتاز فخار البداري بالتطور الكبير من حيث مادة الفخار ، ولون بألوان متعددة من ضمنها الألوان التي اشتقت من المعادن والمينا (٣٣)، الشيء الذي أثار الباحثين في هذه القرية إنهم أعطوا تقديس لبعض الحيوانات وهي من المعتقدات التي أصبحت ملازمة للدين المصري أبان المراحل التاريخية المختلفة (٣٤) ، نظرا لما امتاز به البداريون فقد عدت من القرى المنظمة المتميزة التي اعتمدت على الزراعة واستأنست بعض الحيوانات ، واستعملوا التشظية في صناعة آلاتهم وأسلحتهم ، وتأتي في مقدمة الآلات الزراعية التي امتاز بصناعتها البداريون الفأس التي دخل النحاس في صناعتها (٣٥) التي تعد من الصناعات المتقدمة والتي ساهمت بشكل كبير في تطور عملية الزراعة .

زرع البداريون الحنطة التي انتشر زراعتها في مناطق عدة من مصر والشرق الأدنى القديم وغرب آسيا، إذ عثر المنقبون الذي نقبوا في مواقع متعددة في أسيوط ضمن موقع البداري على نوع (Emmer) الذي أشير إليه سابقا (ينظر شكل رقم ٢) (٣٦)، وهذا يدل على تعاصر هذه القرى الزراعية لأنها كلها عرفت نفس النوع من الحنطة ، وإن كان هذا النوع أصله برياً ، أي أنه كان قد نما طبيعياً في المرحلة الأولى .

لقد عد سكان هذه القرية من سمات ميزتهم منها الزراعة وتدجين الحيوانات ، وربما هاجروا من مكان آخر من الجنوب أو الشرق ، وافترض أنهم من نسل سكان قرية سابقة وهي دير تاسا ، المار الحديث عنه ، لأنهم امتهنوا الزراعة بصورة منتظمة ، كما عثر على بعض الأدوات الحجرية من حجر الشست ، وعن مقارنتها وجدت أنها مشابهة مع الأدوات التي صنعت في بلاد الرافدين (٣٧) .

موقع الفيوم .

تعد منطقة الفيوم من المناطق المهمة التي تعود إلى العصر الحجري الحديث ، ويمكن اعتبار منخفض الفيوم الذي يبعد حوالي ٩٠ كم إلى جنوب القاهرة ، وتكمن أهمية هذا الموقع نظرا لاتصاله بنهر النيل المحدود إذ عد في بعض الأحيان منخفضاً منفصلاً لحد ذاته (٣٨).

يستدل من الآثار التي عثر عليها في هذا الموقع انه مرت بمرحلتين الفيوم أ والفيوم ب كما أطلق عليها العلماء ، وإن سكان هذا الموقع كانوا قد عرفوا الزراعة بيد أنهم اعتمدوا على الصيد أكثر من الزراعة ، وبالرغم من ذلك فإن الآثار التي عثر عليها من مناجل من الصوان ورحى لطحن الحبوب (٣٩) ، وهذا يعني أنهم كانوا مجتمع زراعي مارسوا الزراعة كما تدل على ذلك المناجل التي تستخدم للحصاد ، إضافة إلى العثور على رحى لطحن الحبوب .

كما تم العثور على بقايا من الحنطة والشعير المتفحمة ، إضافة إلى مخازن مصنوعة من سلال القش يخزن بها الفائض من الإنتاج الزراعي (٤٠)، وقد أرجعت البعثات التنقيبية التي أجريت في هذه المنطقة إنها تعود إلى حوالي ٥٠٠٠ ق.م ، وإن التطور في هذه المنطقة يتعاصر مع المناطق الأخرى في شمال أفريقيا ، ولربما كان لهم صلات مع غرب آسيا ، كما عرف سكان هذه التجمعات السكانية ، النسيج الذي استعمل فيه الكتان الذي تم العثور عليه من قبل البعثات التنقيبية ، وخصوصا انه استعمل في لف جثث الموتى للمحافظة على أجسادهم (٤١).

لقد أثبتت التحريات التي قامت بها البعثات التنقيبية كما مر سابقا والتي دلت أن مناطق متعددة من مصر شهدت قيام الزراعة ، بالإضافة إلى الصناعات البسيطة المتمثلة بالنسيج والفخار .

كما وجد في مواقع أخرى أثناء التنقيب بها أنها عرفت الزراعة وخصوصا الحنطة والشعير في موقع حلوان ، والمعادي التي تقع في موقع مهم لربما كان لها اتصالات من الحضارة الأخرى في الشرق الأدنى القديم إذ أنها تقع بالوسط من الصعيد ، ولها مناطق تربطها مع غرب آسيا وشبه جزيرة سيناء وعلى الراجح أنها ترجع إلى عهد ما قبل الأسرات (٤٢) ، وهما حضارتنا متداخلتان بحيث تمثل الأخيرة امتداد إلى الأولى ، وقد أطلق عليهما مصطلح نقادة الثانية ، ويقدر أنها ترجع إلى (٣٠٠٠ - ٢٨٠٠ ق.م) ، وقد عمل سكان هذه المواقع على تجفيف المستنقعات المائية والاستفادة منها في الزراعة ، كما يبدو إن عدد سكان هذه القرى زاد ، كما عثر على مخازن متعددة كان قد حفظ بها المتبقي من الإنتاج الزراعي (٤٣).

ومن هذا يظهر لنا إن سكان مصر القديمة ، قد عرفوا الزراعة على الرغم من كونها بسيطة إذ اعتمد بشكل كبير فيها على فيضان نهر النيل في ري الأرض ، وقد أثبتت الأدلة الأثرية وجود حبوب الحنطة والشعير التي كانت قد انتشر زراعتها في مناطق متعددة من الشرق الأدنى القديم ، كالعراق ، وغرب آسيا ، وبلاد الأنضول ، وبلاد عيلام .

ويمكننا الاستلال من خلال بقايا القمح التي عثر عليها ومخزونة الآن في المتحف الزراعي في القاهرة في القاعة رقم (٣) خزانة رقم (١٣) التي تحتوي على كميات من القمح المتفحم من نوع

Triticum Decocum التي يتصف بأنه ثنائي الصفوف ويمتاز بكبر الحبة وقد عثر عليه في مخازن الحبوب في مرمدة بني سلامة المار الحديث عنها ، وفي حلوان ، كما تحتوي خزانة رقم (١٤) في المتحف على بقايا من الشعير المتقحم ، وفي خزانة رقم (١٥) ، كما وجد الخبز بعضه على الشكل البيضوي والآخر رقيق في سمكه ، ويبدو إن الغلال كانت تنظف وتتخل وبعدها يتم عجنها ثم تترك إلى أن تتخمر وبعدها يتم تشكيلها (٤٤)، ويجدر الإشارة هنا إن هذا النوع (Triticum Decocum) من الحبوب عثر عليه أيضا ضمن عصر نقادة ، ويطلق عليه " بدت " (٤٥)، وقد أكدت الدراسات الحديثة إن هذا النوع من الحبوب عرف بمناطق الشرق الأدنى القديم منذ ما يقارب ١٥٠٠٠ - ١٠٠٠٠ سنة قبل الميلاد وهو من النباتات البرية الذي انتشر بصورة واسعة في مناطق الشرق الأدنى القديم وشمال أفريقيا ، وتم زراعته لغرض الاستفادة منه لأغراض الغذاء (٤٦) .

يتضح لنا من خلال ما تم بيانه من المعلومات ، إن مناطق متعددة من مصر القديمة تم العثور بها على القمح والشعير ، وهو من نفس الأصناف التي انتشرت زراعتها في الشرق الأدنى القديم ، وهنا ينبغي القول انه على الرغم من هذه الحبوب المتقحمة التي وجدت في مخازن متعددة من موقع العصر الحجري الحديث ، إلا إن هذا لايعني إطلاقا إن مصر كانت سباقة في ممارسة الزراعة ، بل يعني أنها عرفت الزراعة كباقي مناطق الشرق الأدنى القديم كما بينت لنا التنقيبات الاثرية في مناطق الحضارة في العراق وغرب آسيا وبلاد الأنضول ومصر وشمال أفريقيا .

وقد رافق معرفة الزراعة في مصر تطور الفكر الديني ، وخصوصا المعتقدات الدينية المتعلقة بالخصب ، التي أطلق عليها الآلهة الأم وقد عثر عليها في مواقع متعددة منها مرمدة بيني سلامة والبداري و ونقادة الثانية (٤٧)، إن العثور على هذه الآلهة في هذه المواقع يعد تأكيد لرأينا إن هذه المواقع عرفت ممارسة الزراعة .

إننا عندما نميل إلى معرفة سكان مصر القدماء للزراعة في هذه المرحلة ، بدون شك أنها كانت زراعة غاية في البساطة ، تعتمد بشكل كبير على فيضان نهر النيل ، فبعد انحسار مياه الفيضان يستثمر المزارعين الأوائل رطوبة الأرض فيقومون بشق أخاديد فيها من اجل وضع البذور ، ونتيجة لرطوبة الأرض وارتفاع حرارة المناخ تتوفر البيئة المناسبة لنمو البذور ، وبعد فترة النمو يقوم الفلاحون بحصد المحصول ووضع ما زاد منه في مخازن أعدت له الغرض (٤٨) .

إن ممارسة الإنسان للزراعة تتطلب جهود مشتركة لإتمام عملياتها المختلفة ، وهذا يعطينا صورة عن التطور الذي حصل في حياة الإنسان المتمثلة بقيام المجتمعات التي تعتمد على الزراعة ، ويكون فيهل الفرد يملك الأرض وبعض أدوات الإنتاج ، أي ظهور الملكية الفردية (٤٩) ، وهكذا تطورت هذه

التجمعات الزراعية نتيجة لارتباط الفرد بالأرض والميل نحو التجمع والاستقرار من أجل الاستفادة القصوى من الأرض وإنتاجها ، وبهذا ظهرت المجتمعات الأولى التي كونت الأقاليم المصرية قبل أن تتوحد (٥٠) . وبهذا فقد تكامل المجتمع المصري القديم وتمتع بكافة عوامل قيام المجتمع الأولى ، وكان الأساس الذي دفع لقيامه هو الزراعة .

الخاتمة.

١. إن التجانس الطبيعي في عوامل البيئة المصرية القديمة المناخية من شمس وأمطار ورطوبة وحرارة كافية ، وتكوين الأرض التي ساعدت بشكل كبير على توفير مكان ملائم لنمو النباتات إذ أطلق عليها " إستی " أي أرض المنتجات الزراعية ، وكذلك " باتا إن كمت " أي " أرض السواد " نسبة إلى لون التربة ، نظرا لخصوبتها ، كما وصفت أيضا بـ " باكت " أي الأرض الساطعة نظرا لسطوع الشمس وأشعتها على الأرض المصرية ، هذه العوامل المختلفة ساهمت بشكل كبير على نشوء الزراعة.

٢. إن أهم عوامل قيام الزراعة توفر المياه ، وتمتاز مصر بنهر النيل وفيضانه المنتظم الذي حافظ على خصائص التربة لما يحمله معه كل سنة من عوالق وطين وطمي وتجدد من خصوبتها ، كما يعد الفيضان بمثابة غسل للتربة من الأملاح التي تتشكل بها، وبهذا فقد أصبحت الأرض المصرية بفعل نهر النيل من أخصب الأراضي الزراعية .

٣. تعد الأدوات التي تم العثور عليه ولها علاقة مهمة في عملية الزراعة كالفأس البدائي الذي صنع من حجر الصوان وتكون مسننة عادة ويتصل بها مقبض خشبي ، إذ حلت هذه الفأس محل اليد في عملية حفر الأرض ، والأداة الثانية التي لها علاقة وثيقة بالزراعة وهي الرحي اليدوية المصنوعة من الحجر، إذ يعتمد على دورانها في طحن البذور ، يؤكد بشكل واضح على معرفة السكان للزراعة وإن لم يمارسوها بصورة واسعة .

٤. إن التحريات والتنقيبات الأثرية التي أجرت في مناطق شمال بلاد الرافدين في مطلع الألف الثامن قبل الميلاد ، تمخضت عن وجود نوع من أنواع الحنطة الذي يعرف بـ (Emmer) المهجن التي تم العثور عليه في موقع جرمو ، وتحمل سنابلها أربعة صفوف من الحبوب وجدت منه بذور متفحمة في مواقع متعددة من مصر القديمة أيضا تعود للعصر الحجري الحديث .

٥. إن العثور على هذا النوع من القمح من نفس الفصيلة بإمكان متفرقة من مناطق الشرق الأدنى القديم يدل على معرفة الإنسان له ولربما كان هو النوع الأول الذي تم تدجينه وزراعته في مناطق متعددة

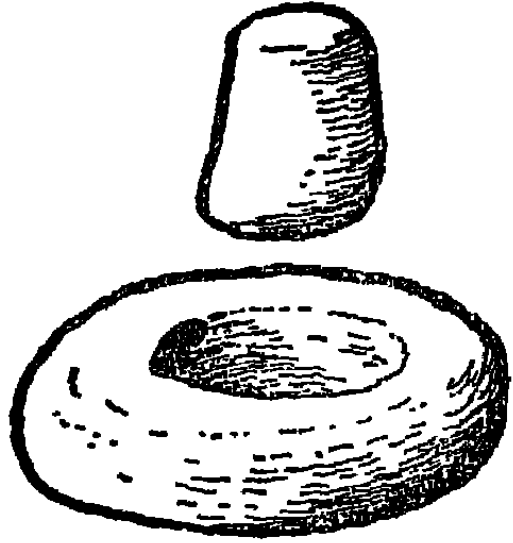
من الشرق الأدنى القديم ، كالعراق ، فلسطين ومصر ، وإن دل هذا إنما يدل على تعاصر معرفة الزراعة في هذه المناطق أبان العصر الحجري الحديث كما أثبتت ذلك التحريات والتنقيبات الاثرية.

٦. إن العثور على بقايا من الحنطة والشعير المتفحمة ، إضافة إلى مخازن مصنوعة من سلال القش يخزن بها الفائض من الإنتاج الزراعي في مواقع القرى الزراعية في الفيوم ودير تاسا ومرمدة بني سلامة ، والتي رجحت البعثات التنقيبية التي أجريت في هذه المنطقة إنها تعود إلى حوالي ٥٠٠٠ ق. م ، يؤكد لنا معرفة سكان هذه المواقع للزراعة ولو بشكلها البسيط ، والذي رجح هذا الرأي العثور على بعض البذور في قبور الموتى التي تعود لهذه المرحلة .

٧. ويمكننا الاستلال من خلال بقايا القمح التي عثر عليها ومخزونة الآن في المتحف الزراعة في القاهرة والتي تحتوي على كميات من القمح المتفحم من نوع *Triticum Decocum* التي يتصف بأنه ثنائي الصفوف ويمتاز بكبر وعلى بقايا من الشعير المتفحم ، وتجدر الإشارة هنا إن هذا النوع يطلق عليه " بدت " ، وقد أكدت الدراسات الحديثة معرفته بمناطق الشرق الأدنى القديم منذ ما يقارب ١٥٠٠٠ - ١٠٠٠٠ سنة قبل الميلاد وهو من النباتات البرية الذي انتشر بصورة واسعة في مناطق الشرق الأدنى القديم وشمال أفريقيا ، والعثور عليه في مصر يؤكد معرفة سكان بلاد النيل اليه وزراعته في مراحل تالية .

٨. يبدو إن سمات الفكر الديني ، بدت واضحة من خلال ما كشف عنه في مقابر الموتى بمواقع متعددة من مصر القديمة ، إذ كان المتوفى يوضع على الجهة اليمنى وتكون ساقيه مثنية إلى الصدر والوجه متجها نحو المساكن ، ووضعت مع المتوفى في القبور بعض الأثاث ، مما يدفع إلى الاعتقاد إنهم امنوا بوجود حياة ثانية، لأنهم لاحظوا غروب الشمس فاتجهت أنظار الميت نحو الغرب لاعتقادهم إنها ستشرق في الحياة الأخرى ، لابد من الإشارة إلى التماثيل التي وجدت في قبور هذه المواقع التي عرفت بـ (الآلهة الأم) وتدل هذه التماثيل على الخصب الذي ارتبط بالزراعة .

الملاحق



شكل رقم ١: رحي حجرية تعود للألف الرابع قبل الميلاد عثر عليها في مصر .. الصورة عن : هاولز ، المصدر السابق ، ص ١٨٦ .



شكل رقم ٢ : حنطة نوع (Emmer) التي عثر عليها في مناطق متعددة من الشرق الأدنى القديم .. الصورة عن :

Zwinger, Steve F., The Ancient Grains Einkorn, Emmer, Spelt, & Heritage Wheat (Cornell University, 2012), p.9.

قائمة الهوامش والمصادر .

- (١) علي ، رمضان عبده ، رؤى جديدة في تاريخ مصر القديمة منذ أقدم العصور حتى نهاية عصور الأسرات الوطنية ، المجلس الأعلى للآثار ، (القاهرة ، ٢٠٠٧) ، ج ١ ، ص ٣٨٥ - ٣٨٧ .
- (٢) فكري ، وائل ، موجز موسوعة مصر القديمة ، مكتبة مدبولي ، (القاهرة ، ٢٠٠٨) ، ج ٢ ، ص ١٢٠٣ .
- (٣) وضعت عدة آراء حول أصل المصريين ، فالرأي الأول يقول إن أصلهم يرجع إلى العنصر الحامي لربما جاء من أفريقيا بسبب حالة الجفاف التي مرت بها هذه المنطقة وكان هذا رأيا راجحا لمدة طويلة ، كما رجح رأي آخر من إن أصلهم من أتباع الإله حورس وأنهم وفدوا إلى مصر من الجنوب والشرق ، وكانوا يمتلكون حضارة أصيلة تمكنوا من فرض نفوذهم على سكان البلاد وأخضعوها لهم ولربما كان أصلهم من شبه الجزيرة العربية قد عبروا البحر الحمر للوصول إلى مصر ، المقصود بهم الساميين بالإضافة إلى مجاميع دخلت من بلاد النوبة وأثيوبيا وليبيا ... للمزيد ينظر : علي ، رمضان عبده ، حضارة مصر القديمة منذ أقدم العصور حتى نهاية عصور الأسرات الوطنية ، المجلس الأعلى للآثار ، (القاهرة ، ٢٠٠٤) ، ج ١ ، ص ٧٦ - ٨٠ ؛ Janick, Jules, Ancient Egyptian Agriculture and the Origins of Horticulture, Purdue University, Department of Horticulture and Landscape Architecture, (Indiana, 2002), p.23.
- (٤) علي ، المصدر السابق ، ص ٣٦٢ .
- (٥) حازم ، حسين يوسف ، " المدنية (ظهورها وتطورها) في منطقة الشرق الأدنى خلال عصور ما قبل التاريخ " ، المؤتمر العلمي الأول لعلوم الآثار ، كلية الآثار جامعة الكوفة ، ٢٠١٧ ، ص ٦٩ .
- (٦) علي ، رمضان عبده ، رؤى جديدة في تاريخ مصر القديمة منذ أقدم العصور حتى نهاية عصور الأسرات الوطنية ، المجلس الأعلى للآثار ، (القاهرة ، ٢٠٠٦) ، ج ٢ ، ص ١٥ - ١٦ .
- (٧) وولي ، المصدر السابق ، ص ٨ .
- (٨) حازم ، المصدر السابق ، ص ٧٥ .
- (٩) جابر ، محمد مدحت ، بعض جوانب جغرافية العمران في مصر القديمة ، مكتبة النهضة ، (القاهرة ، ١٩٨٥) ، ص ١٣ .
- (١٠) ينظر: هاويز ، وليام ، ما وراء التاريخ ، مؤسسة فرانكلين للنشر ، (القاهرة - نيويورك ، ١٩٦٥) ، ص ١٨٦ ؛ احمد ، محمد علي ، الزراعة... أيام الفراعنة ، دار المعارف ، (القاهرة ، بلا) ، ص ٢٢ .
- (١١) تعد واحة سيوه من المنخفضات الصحراوية الكبرى في المنطقة الغربية ، وهي تبعد عن القاهرة بمسافة ما يقارب ٨٢٠ كم وتبعد عن الحدود المصرية الليبية ما يقارب من ٦٥ كم تقريبا ، ترتفع عن مستوى البحر المتوسط ما يقارب ١٧-٢٠ م وتحيط بها تلال هضبية رملية ترتفع إلى ما يقارب ١٠٠ م ، وكان لقمباز الاخميني قصة كبيرة في هذه الواحة مع معبد الإله آمون الذي أراد هدم هذا المعبد فسلط عليه الإله آمون غضبه الذي تمثل بعاصفة رملية شديدة كانت قد غطت جيشه وجعلتهم تحت الرمال ... للمزيد ينظر : علي ، رمضان عبده ، تاريخ مصر القديمة ، دار نهضة الشرق ، (القاهرة ، بلا) ، ج ٢ ، ص ٤٣٠ ؛ الخضراوي ، ريهام كامل ، الحفاظ على التراث العمراني لتحقيق التنمية

- السياحية المستدامة من خلال مؤسسات المجتمع المدني — دراسة حالة واحة سيوه ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة عين شمس ، كلية الهندسة ، ٢٠١٢ ، ص ص ١٣٤-١٣٥ .
- (١٢) الاخناوي ، فوزي ، مصر الفرعونية دراسة عن دور الدولة المركزية في التكوين الاقتصادي والاجتماعي المصري ، دار الثقافة الجديدة ، (القاهرة ، ١٩٩٣) ، ص ٤٨ .
- (١٣) جريمال ، نيقولا ، تاريخ مصر القديمة ، ترجمة: ماهر جويجاتي ، دار الفكر للنشر ، ط٢ ، (القاهرة ، ١٩٩٣) ، ص ص ٢٨-٢٩ .
- (١٤) يقع موقع جرمو في سهل جمجمال في منطقة كردستان العراق ويعرف الآن بـ " قلعة جرمو " وتقدر مساحته بما لايزيد عن ١٦ ألف متر مربع ويمثل أقدم قرية زراعية تعود للعصر الحجري الحديث في العراق ... للمزيد ينظر: سليم ، احمد أمين ، العصور الحجرية في مصر والشرق الأدنى القديم ، دار المعرفة الجامعية ، (القاهرة ، ٢٠٠٠) ، ص ص ١٣٣ - ١٣٤ .
- (١٥) النجم ، حسين يوسف حازم ، اقتصاد القرى الزراعية خلال العصرين الحجريين الحديث والمعدني في العراق ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب جامعة الموصل ، ٢٠٠٦ ، ص ٤٠ ؛ Braidwood, Robert J., Howe, Bruege, Prehistoric Investigations In Iraqi Kurdistan, (Chicago, 1960), p. 101.
- (١٦) الأحمد ، سامي سعيد ، وجمال رشيد ، تاريخ الشرق القديم ، مطبعة وزارة التعليم العالي ، (بغداد ، ١٩٨٨) ، ص ١٩ .
- (١٧) عصفور ، محمد أبو المحاسن ، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم من أقدم العصور إلى مجيء الاسكندر ، دار النهضة العربية ، (بيروت ، بلا) ، ص ٦٠ .
- (١٨) علي ، حضارة مصر ... ج ١ ، ص ٣٩٥ ؛ باقر ، طه ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة حضارة وادي النيل ، دار الوراق ، (بغداد ، ٢٠١١) ، ج ٢ ، ص ص ٣٠-٣١ .
- (١٩) عوض ، خالد احمد حمزة ، إدارة الشونة في مصر القديمة حتى نهاية الدولة الحديثة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة المنوفية ، ١٩٩٦ ، ص ١٥ .
- (٢٠) حسن ، مصر القديمة ، ج ٢ ، ص ٧٨ .
- (٢١) الأحمد ، وجمال رشيد ، المصدر السابق ، ص ١٩ .
- (٢٢) الزنكي ، المصدر السابق ، ص ٢٣ .
- (٢٣) علي ، حضارة مصر ... ج ١ ، ص ص ٣٩٢-٣٩٣ .
- (٢٤) البوص : احد أنواع النباتات ذات الألياف التي تنمو بالقرب من مستنقعات المياه ، وهو يشبه نبات البردي ، لكن اصلب قليلا ، ولهذا صنعت منه الصناديق وبعض القوارب التي كانت تستعمل في الاحتقالات ، وفي بعض الأحيان استعمل لعمل السلال ، أما النوع الاصلب قليلا فقد استعمل في صناعة السهام وهذه السهام كانت قد استعملت في الدولة القديمة ... للمزيد ينظر: لوكاس ، الفريد ، المواد والصناعات عند قدماء المصريين ، مكتبة مدبولي ، (القاهرة ، ١٩٩١) ، ص ٢٢٧ .
- (٢٥) صالح ، عبد العزيز ، تاريخ الشرق الأدنى القديم — مصر والعراق ، مكتبة الانجلو المصرية ، (القاهرة ، ٢٠١٢) ، ص ص ٦٤-٦٥ .
- (٢٦) عصفور ، المصدر السابق ، ص ٦١ .

- (٢٧) فخري ، احمد ، مصر الفرعونية موجز تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى عام ٣٣٢ قبل الميلاد ، مكتبة الأسرة ، (القاهرة ، ٢٠١٢) ، ص ٣٢ .
- (٢٨) الأحمـد وجـمال رشـيد، المـصدر السـابق ، ص ٢٠ .
- (٢٩) عـصفـور ، المـصدر السـابق، ص ٦٢ .
- (٣٠) سلمان ، قتيبة أحمد ، عقائد الخصب في حضارتي بلاد الرافدين ووادي النيل دراسة مقارنة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة واسط ، كلية التربية ، ٢٠١٠ ، ص ٤٥ .
- (٣١) علي ، حضارة مصر...، ج ١ ، ص ٣٩٣ .
- (32) *Braidwood&Bruge,op ...cit,pp.136-146 .*
- (٣٣) علي ، حضارة مصر...، ج ١ ، ص ٣٩٤ .
- (٣٤) المصدر نفسه، ص ٣٩٥ .
- (٣٥) عـصفـور ، المـصدر السـابق، ص ٦٢ .
- (36) *Brunton, Guy , The Badarian Civilization and Preynastic remains near Badari, (London ,1928), p.63;p.85 .*
- (٣٧) الدباغ ، تقي ، ووليد الجادر ، عصور ما قبل التاريخ ، مطبعة جامعة بغداد ، (بغداد ، ١٩٨٣) ، ص ٦٣ .
- (٣٨) الدباغ ، ووليد الجادر ، المصدر السابق ، ص ١٦٩ .
- (٣٩) عـصفـور ، المـصدر السـابق، ص ٦٩ .
- (٤٠) علي ، حضارة مصر...، ج ١ ، ص ٣٩٦ .
- (٤١) الدباغ ، ووليد الجادر ، المصدر السابق ، ص ١٧٠ .
- (٤٢) عـصفـور ، المـصدر السـابق، ص ص ٨٠ – ٨١ .
- (٤٣) حمدان ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٩٤ .
- (٤٤) دليل المتحف الزراعي ، وزارة الزراعة ، قسم الزراعة المصرية القديمة ، ص ص ٢٢-٢٥ ؛ وعن الخبز في مصر القديمة ينظر: نور الدين ، عبد الحليم ، الخبز في مصر القديمة ، ص ص ٨-١٩ .
- (٤٥) حسن ، سليم ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧٩ .
- (٤٦) إدريس ، سمية عبد الرحيم ، التأثيرات المناخية على زراعة القمح في السودان ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الدراسات العليا ، جامعة الخرطوم ، ٢٠٠٣ ، ص ١٧ .
- (٤٧) الحسيني ، المصدر السابق ، ص ١٩ .
- (٤٨) سيف الدين ، إبراهيم نمير ، وآخرون ، مصر في العصور القديمة ، مكتبة مدبولي ، (القاهرة ، ١٩٩٨) ، ١٥٣ .
- (٤٩) السقا ، محمود ، فلسفة وتاريخ النظم الاجتماعية والقانونية دراسة في علم تطور القانون ، (القاهرة ، ٢٠٠٩) ، ص ٣٧ .
- (٥٠) السعدي ، المصدر السابق ، ص ٣٣ .

طقوس الحداد في بلاد الرافدين

**أ.د. باسمه جليل عبد
هاله كريم إبراهيم**

طقوس الحداد في بلاد الرافدين

أ.د. باسمه جليل عبد

هاله كريم إبراهيم

إن الطقوس هي مجموعة من الأداءات التي تُمارس من قبل فرد أو مجموعة من الأفراد لغاية معينة، ولكل طقس من الطقوس مكانه ووقته ، ويخلف كل طقس مكونات مادية ترتبط به ، ومارس سكان بلاد الرافدين طقوساً عدة في مختلف نواحي الحياة العامة والخاصة ، وفي المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وكانت هذه الطقوس مهمة بالنسبة إليهم ، لكونها تعكس معتقداتهم وتفكيرهم ، وتوضح تعاملهم مع الظواهر الملموسة وغير الملموسة التي تؤثر على حياتهم من الجوانب كافة ، وشارك في أداء تلك الطقوس المجتمع كله على اختلاف مستوياته وشخصه ، كما تضمنت تلك الطقوس بعض الممارسات الأخرى التي تعد مكملة لها وأختلفت من عصر إلى آخر في تاريخ بلاد الرافدين .

مارس سكان بلاد الرافدين طقوس الحداد مع بعض الأداءات التي تعقب وفاة أحد الأفراد ويكون الحداد ضمن الجانب الاجتماعي الذي شهد طقوس عدة ، ومن أجل فهم وتوضيح طقوس الحداد في بلاد الرافدين قديماً وبيان أهميتها بالنسبة للمجتمع الرافديني فقد وقع الاختيار على موضوع البحث الموسوم (**طقوس الحداد في بلاد الرافدين**) ، وتوضح في البحث ثوب الحداد ولونه والطقوس التي تقام بعد وفاة الشخص من تطهير وتشيع وإعداد الولائم والتماثيل ، فضلاً عن تقديم القرابين الجنائزية وعمل أنابيب وقنوات القبر وتلاوة المراثي ، وعُرضت هذه الطقوس مع بعض الممارسات المصاحبة ، كما تطرق البحث إلى مدة الحداد في بلاد الرافدين .

وقبل البدء بتوضيح طقوس الحداد لابد من تعريف الحداد لغةً وأصطلاحاً فضلاً عن تعريفه في المصادر المسمارية :

الحداد لغةً : الحِدَادُ : ثِيَابُ الْمَاتِمِ السُّودِ . وَالْحَادُ وَالْمُحْدُ مِنَ النِّسَاءِ : الَّتِي تَتْرُكُ الرِّينَةَ وَالطَّيِّبَ ؛ وَقِيلَ : هِيَ الْمَرْأَةُ الَّتِي تَتْرُكُ الرِّينَةَ وَالطَّيِّبَ بَعْدَ زَوْجِهَا لِلْعِدَّةِ . حَدَّتْ تَحْدٌ وَتَحْدٌ حَدًّا وَحِدَادًا ، وَهُوَ تَسْلُبُهَا عَلَى زَوْجِهَا . وَقِيلَ أَيْضًا : وَإِحْدَادُ الْمَرْأَةِ عَلَى زَوْجِهَا تَرْكُ الرِّينَةِ ؛ وَقِيلَ : هُوَ إِذَا حَزِنَتْ عَلَيْهِ وَلَبِسَتْ ثِيَابَ الْحُزْنِ وَتَرَكَّتِ الرِّينَةَ وَالْخَضَابَ ؛ وَقِيلَ أَنَّهُ مَاخُودٌ مِنَ الْمَنَعِ لِأَنَّهَا قَدْ مُنِعَتْ مِنْ ذَلِكَ ^(١) .

الحداد اصطلاحاً : هو الكيفية (أو مجموعة من الإيماءات) التي كان يعبر بها أقارب المُنُوفى ومعارفه (المكلومين) في بلاد الرافدين عن أحزانهم ومشاعرهم نحو الميت ، وكذلك هو الحال التي

يكون عليها المجتمع ككل بعد موت الملك أو أحد أفراد الأسرة الحاكمة أو شخصية مهمة وتتعقب الوفاة مباشرة^(٢).

الحداد في المصادر المسمارية: عُرف الحداد في اللغة الأكديّة بكلمة (sipdu) سيبدو^(٣) ، من المصدر (sapādu) سبادو يندب ١ ينوح أو يلبس ثوب الحداد^(٤) ، كما عُرف بالكلمة الأكديّة (bikītu) بيكيّتو وهي من (bakū) باكو بمعنى بكاء^(٥) ، ويقابلها المصطلح السومري (ÉR) إير كما إنها تشير إلى أداء طقس الحداد ومعنى النحيب^(٦).

أولاً : ثوب الحداد في بلاد الرافدين ولونه

ليس هناك دليل قاطع في المصادر التي عُنت بموضوع الحداد في بلاد الرافدين عن ماهية الثوب الخاص به أو حتى لونه ، وعلى الرغم من ذلك فقد وردت إشارات في بعض النصوص المسمارية إلى ارتداء ثوب الحداد بصورة عامة من دون تحديد شكله أو لونه ، ومن هذه الإشارات ما ورد في قصة أدايا عندما كسر جنح ريح الجنوب فأرسل الإله آن (أنو) بطلبه ، فنصحه الإله أنكي (أيا) أن يلبس ثوب الحداد إذ جاء فيها " فلمس أدايا وجعله يحمل شعراً وسخاً والبسه ثوب الحداد " ^(٧) ، كما تصف إحدى المراثيات حال الابن عند تلقيه نبأ وفاة والده وهو بعيد عن دياره ، إذ تم إرسال إليه ثوب الحداد وهذا يؤكد إنه ثوباً خاصاً يُلبس في مثل هذه الظروف ، وقد ورد فيها " وصل الخبر إلى ابنه وهو في السفر البعيد ومثل ابن لم يفصل عن أبيه عاد مرتدياً الثوب الذي أرسل له (ثوب الحداد) " ^(٨) ، وتذكر رسالة تعود إلى عهد الملك الآشوري سرجون الثاني (٧٢١ - ٧٠٥ ق.م) معلومات عن الإجراءات المتبعة عند وفاة أحد الملوك ، ومن ضمنها ارتداء ضباط الملك المتوفى ملابس الحداد " لبس ضباطه ملابس الحداد ووضعوا النياشين الذهبية ، وأصطفوا أمام حاكم المدينة " ^(٩) ، كما جاء في أسطورة نزول الإلهة إينانا (عشتار) إلى العالم السفلي (النسخة الآشورية) إن وزيرها ببسوكال حزن لعدم رجوعها واحتجازها في العالم السفلي ولبس ثوب الحداد " ببسوكال ، رسول الآلهة العظام كان لابساً ثياب الحداد وحاملاً علامات الحزن " ^(١٠) ، وهي تحمل المضمون نفسه الذي ورد في الرواية السومرية مع اختلاف اسم الوزير أو الوزيرة " رمى وزيرها ننشوبر بنفسه عند قدميها ، وجلس بالرغام ، مرتدياً ثوب الحداد " ^(١١).

وهناك إشارات قليلة أمكن ملاحظتها في بعض النصوص المسمارية تشير إلى اللون الذي أستخدم في الحداد عند سكان بلاد الرافدين ، إذ قد يكون اللون الأسود وذلك على وفق نص يعود إلى أحد الملوك الآشوريين عند وفاة والد ذلك الملك ، وقد جاء فيه " ندبته الأقيّة وأجابتها السواقي أتشتحت الأشجار بالأسود عليه وبكته البساتين " ^(١٢) ، وعُرف اللون الاسود في اللغة السومرية بالمصطلح GE₆.

(GIG 2) كيك . كي ، ويقابله في اللغة الأكديّة كلمة (*ṣalāmu*) سالامو^(١٣) ، ويدل هذا اللون على الظلام والموت والحزن^(١٤) ، كما أستعمل في طرد الأرواح الشريرة^(١٥) ، وهناك إشارة في بعض المصادر إلى ارتداء اللون الأحمر أثناء الحداد ولاسيما عند موت الملك أو أحد أفراد عائلته ، إذ يلبس جنده ملابس حمراء اللون مع أساور من ذهب للأعتقاد بأنه يبعد الأرواح الشريرة^(١٦) ، وكذلك إن المراثي التي تتلى في حداد الإله دموزي (تموز) تكون على تمثاله الذي تم الباسه اللون الأحمر^(١٧) ، وعُرف اللون الأحمر في اللغة السومرية بالمصطلح (*SU₄*) سو^(١٨) ، ويقابله في اللغة الأكديّة كلمة (*pelû*) بيلو^(١٩) ، كان لهذا اللون مدلولات دينية سحرية عند سكان بلاد الرافدين منها ما يتعلق بالأمراض وطرد الأرواح الشريرة^(٢٠) ، كما جاء في بعض المصادر عن أستعمال اللون البنفسجي في الحداد عند الآشوريين بصورة خاصة^(٢١) ، وقد عرف في اللغة السومرية بالمصطلح (*SíG.ZA.GìN.SA₅*) سيك . زا . كين . سا ، ويقابله الكلمة الأكديّة (*argamannu*) أركامانو^(٢٢) ، ويتداخل هذا اللون كثيراً مع اللون الأرجواني الذي أستعمل من قبل الطبقات المتنفذة في المجتمع^(٢٣) .

ومهما يكن لون الثوب فمن الملاحظ إنه يجب أن يكون دون المستوى المتعارف عليه للهندام عند سكان بلاد الرافدين ، وإن يكون ليس من القماش الفاخر كما جاء في ملحمة كلكامش (خامس ملوك سلالة الوركاء الأولى) عند حزنه على وفاة صديقه انكيكو إذ لبس جلد الأسد بدلاً من رداؤه المعتاد " أنا نفسي بعد أن توسد في الثرى سأطلق شعري (أو لحيتي) والبس جلد الأسد وأهيم على وجهي في الصحاري " ^(٢٤) ، أو أن يكون متسخاً أو رثاً إلى درجة أمكن تشبيهه معها بثياب المتسول الممزقة والبالية ، كما ورد في أسطورة نزول الإلهة إينانا (عشتار) إلى العالم السفلي ، إذ طلبت من وزيرها أن يحزن لأجلها في حال عدم رجوعها وأن يلبس ثياب المتسول " *الطم عينيك لأجلي ، والطم فمك لأجلي وأكتس كالمتسول بثوب واحد لأجلي* " ^(٢٥) .

وربما يرتدي المشيعون في الحداد على الملك رداءً من وبر الأبل وكذلك ملابس ممزقة غير أنيقة ونظيفة وممسوحة بالرماد ولكن لا يوجد نص مسماري يثبت ذلك^(٢٦) ، من دون شك إن الهندام في حالة الحداد ضرورياً لأظهار الاحترام للمُتوفى من جانب وللتعبير عن الوضع الذي يكون عليه أقارب المُتوفى أمام المجتمع لبيان عظم بلوتهم بموت عزيزهم من جانب آخر ، كما يعتقد إن ثوب الحداد يساعد في نقل المُتوفى من الحياة إلى العالم السفلي^(٢٧) .

ثانياً : الطقوس التي تقام بعد وفاة الشخص

تقام مراسيم الحداد من قبل صنف من الكهنة وهو الكالاماخو ، ويقوم كاهن هذا الصنف بعمله بطلب من أقارب المُتوفى^(٢٨) ، وتؤرخ ممارسته إلى الفترات المبكرة من التاريخ الرافديني ويشارك به

العديد من الكهنة الذكور والأنثى إذا ما كان حداداً على شخصية مهمة ^(٢٩) ، ويكون هناك نوعٌ من الحداد الذي يحصر بعائلة معينة تندب فقيدها والمكلف بإقامته المقربين كإن تكون الزوجة أو الأبناء وحتى زوجات الأبناء ^(٣٠) ، وهناك حدادٌ تشارك به أسر عدة أي يكون على مستوى العامة مثل الحداد الذي يقام عند موت الملك ، إذ يوضع الملك بعد موته في نعش مفتوح من أجل أن يودعه رعاياه الذين تجمعوا في إحدى الساحات أو في الطريق الذي تمر فيه الجنازة ^(٣١) ، ويحضر الجنازة كبار رجال الدولة فضلاً عن سفراء عدة من كل أنحاء البلاد ^(٣٢) ، مثلما حدث عند موت أنكيو دعا كلكامش أهالي مدينة أوروك (الوركاء) إلى مشاركته في الحزن والحداد على صديقه ^(٣٣) ، وقد يعتمد ملوك بلاد الرافدين إلى تقديم القرابين والأضاحي خلال حياتهم إلى المعبد الذي سوف تُحمل جنازاتهم إليه بعد موتهم ^(٣٤) ، كما يتم أحياناً ترك وصايا تذكر الترتيبات المتعلقة بالحداد والأضاحي وحتى جوقة الكهنة المرددين للمراثي ^(٣٥) ، كما إن هناك نوعاً من الحداد الجماعي الذي يؤدي لذكرى الإله دموزي (تموز) ، إذ إن الحداد عليه يعد جزءاً من المهرجان الذي يقام عند الانقلاب الصيفي الذي يسير فيه مواكب من الناس مع ترتيل الأناشيد للإله الميت ^(٣٦) ، كما إن الناس كانوا يقيمون الحداد في ذكرى موت الإله دموزي (تموز) وذلك في الأيام الأخيرة من شهر تموز ^(٣٧) ، إذ يُسكب الماء النقي ويُقدم الزيت الجيد ويُحرق البخور تكريماً له ^(٣٨) ، وقد أستمروا القيام بذلك في فترات متأخرة من تاريخ بلاد الرافدين ^(٣٩) ، فضلاً عن الحداد الذي يقام عند تدمير المدن وعمل المراثي لها مثل مدينة أكد وأور (المقير) ونيبور (نفر) وغيرها من المدن ^(٤٠) .

عندما توفي المنيّة أحد الأشخاص مباشرة يتم الإعلان عن وفاته أولاً كما يتبين ذلك في نص شفاء المرضى من السحر إذ يتم إيهام الأرواح الشريرة بموته " لقد ذهب إلى أجله " ، ويتبع الإعلان إقامة الحداد للمتوفى الذي يكون منزله مليئاً بالمشيعين ذكوراً وأنثى ^(٤١) ، يبدأ الحداد بتلاوة صلاة أو مناجاة وتقديم قرابين الجنازة ^(٤٢) ، وتتضمن هذه القرابين الأضاحي الحيوانية وهدايا للآلهة ^(٤٣) ، ولما كان الحداد على المتوفى وإقامة القرابين الجنائزية له أمراً مهماً في بلاد الرافدين لذلك حرص الأفراد غير القادرين على الانجاب على تبني آخرين لضمان الراحة لأرواحهم بعد الموت وإلزام المتبني بإقامة ذلك وهي تعد واجباً عليه ، إذ عندما نزل أنكيو إلى العالم السفلي أوضح للكلكامش إن الذي لديه أكثر من ابن يكون أوفر حظاً وأفضل مكانة بفضل قرابين أبنائه ^(٤٤) ، كما جاء في أحد وثائق التبنّي أن المتبناة يجب أن تقدم القرابين لمتبنيها بعد وفاته " في حياتي تقومين بأطعمي ، وحين أموت فإنك تقدمين لي القرابين الجنائزية " ^(٤٥) ، ومن الطقوس والممارسات التي تقام بعد وفاة الشخص في بلاد الرافدين :

١- طقوس تطهير الميت

إن النصوص المتعلقة بالقربان الجنائزية من عصر سلالة أور الثالثة (٢١١٢ - ٢٠٠٤ ق.م) تذكر إن الميت يُنقى طقسياً قبل دفنه ويتم التخلص من ذنوبه من خلال كبش فداء وبعد ذلك تعد الجثة للدفن^(٤٦) ، وقد يتم تطهير الميت من قبل الكهنة ، إذ بعد موت الشخص في بلاد الرافدين يوضع على أريكة ويتم أستدعاء الكهنة من أجل تطهيره ، وأشار الباحث موريس جاسترو (Jastrow , M.) إن هذا حدث في العصر الآشوري الحديث (٩١١ - ٦١٢ ق.م) ضمن مراسيم التطهير إذ يوضع الجثمان على ما يشبه السرير ويتم تغطيته ، وكاهنا التطهير يرتديان زياً مؤلفاً من قشور السمك (أي زياً يتمثل بهيأة السمكة) ، والسمكة رمز الإله أنكي (أيا) الذي أصبح الإله الرئيس الذي يُناشد في الطلاس أو التعاويذ المتعلقة بأستعمال الماء كوسيلة للتطهير والشعائر التي تتألف من حرق البخور فضلاً عن رش الماء ، ومن المؤكد أن الكاهن أدّى دوراً مهماً في آخر رتبة شرف مقدمة إلى الأموات وكان الهدف منها التنقية لحماية الأموات من شر الأرواح التي تصيب أو ترزعج القبر^(٤٧) .

٢- تشييع الميت

إن الإشارات التي تشير إلى عادة تشييع الميت في بلاد الرافدين قليلة وربما تتعلق بمكانة الشخص على مستوى البلاد ، إذ يتم تشييع الميت إذا كان ملكاً أو من أعيان البلاد^(٤٨) ، وذكر الموكب المرافق للمُتوفى في مؤلفة أدبية تدعى موت أورنمو (٢١١٢ - ٢٠٩٥ ق.م) جاء فيها " إلى arali مكان تجمع البلاد ، أورنمو ، أبن نينسونا ، قد حُمِل ، مشيت القوات بشكل رائع مع الملك ، يكون ويتبعونه مثل شخص من دلمون لا يعرف التضاريس أو أهدى إلى السفينة الغارقة " ^(٤٩) ، يشير النص إلى تشييع الملك الذي تشارك به البلاد كافة ، فضلاً عن قواته الذين يرافقونه ويفتحون طريقاً للجنازة خارج المدينة وقد وصفهم النص بالتائه من وقع الحزن والآسى^(٥٠) ، وهم يسيرون إلى مكان الدفن أي القبر^(٥١) .

إعداد وليمة للمعزين

يتم إعداد وليمة من قبل أهل المُتوفى وهي تعد بعد موت الشخص وهي تختلف عن الولائم التي تقام في القربان الجنائزية التي يستمر عملها بعد موت الفرد وإنهاء الحداد عليه^(٥٢) ، كما إن وقت إعدادها قد يكون في الصباح إذ إن الوليمة التي أعدها الملك كلكامش إلى صديقه أنكي دو ذُكرت في النص الآتي " عند شروق الشمس صباح اليوم التالي واصل حداده وحضر مائدة عظيمة ، ملئ وعاء من العقيق الأحمر بالعسل ووعاء من اللازورد بالزبد وأستمر الحداد لستة أيام " ^(٥٣) ، تتضمن الوليمة وجبة غذائية معينة توزع على شكل حصص غير متساوية على الحضور ، فقد وردت إشارة في نص مؤرخ إلى عهد الملك أوروكاجينا (٢٣٧٨ - ٢٣٧٠ ق.م) تبين الحصص التي وزعت على كهنة الرثاء في حداد

زوجة أحد الأشخاص وهي رغيفان مع مقدار معين من الجعة للكهنة ، بينما حصل رئيسهم أو الكاهن المشرف عليهم على عشرة أرغفة مع مقدار أكبر من الجعة ^(٥٤) ، إذ يجب إن يقدم الأبناء في فترة الحداد الطعام والشراب لأبائهم المتوفين لإسترضاء أرواحهم ^(٥٥) ، وقد تتضمن ذبح الأضاحي التي توزع لحومها على المعزين ^(٥٦) ، وفي حداد زوجة الملك لوكال - اندا الذي حكم لكش (تلول الهبة) في نهاية العصر السومري القديم (٢٨٠٠ - ٢٣٧١ ق.م) ذكر إنه في كل يوم ثلاثئة من الناس يستقبلون الحصص الغذائية نتيجة مشاركتهم في طقس الحداد ، إذ إن أكثرهم ليس لديه علاقة شخصية مع المتوفية ، وقد تزداد الحصص بزيادة المعزين الذين من ضمنهم الكهنة وأعيان البلاد وحتى العبيد ^(٥٧) ، إما عند موت ملك معين فتكون الوليمة فخمة تتحر فيها ذبائح عدة ، إذ تذكر وثيقة إن الحيوانات المضحية بها إلى الملك شوسين (٢٠٣٧ - ٢٠٢٩ ق.م) بلغ العدد الكلي لها ١٥٢ ذبيحة خلال الأيام الثلاثة الأولى وتقدم في أماكن عدة ^(٥٨) ، ويجب تقديم القرابين للإله أوتو (شمش) في فترة الحداد ولاسيما على ضفة قناة معينة ، ويتم إطلاق خروف في القناة ككبش فداء أو ربما يتم الأمر رمزياً إذ يشير إلى رحلة الميت إلى العالم السفلي ^(٥٩) ، وأعتقد بعضهم إن هذه الوليمة هي جزء من القرابين الجنائزية نفسها التي تقام بعد وفاة الشخص ^(٦٠) .

٣- عمل التماثيل والنصب

عمد سكان بلاد الرافدين إلى عمل تماثيل لموتاهم تقدم لها القرابين ^(٦١) ، كما تشارك تلك التماثيل في الطقوس التي تؤدي بعد موت الشخص كتجسيد له ، إذ إن الهيئة البدنية للتمثال حققت استمرار وجود المُنَوَّى في الحلقة العائلية وعززت مكانته ، فضلاً عن إن تقديم القرابين إلى الموتى لا ينقطع بانتقال العائلة أي يمكن إقامة القرابين الجنائزية للفقيد في أي مكان طالما تمثاله موجود ، وبذلك سوف لا تهمل روحه ^(٦٢) ، عمل الملك كلكامش لصديقه أنكيديو تمثالاً بعد موته ويعامل التمثال بأحترام كمعاملة الجثة فيتم تلبسه رداء نظيف ومزيت ، وإن التزييت يستعمل للأغراض الطقوسية التي من خلاله يصبح الطقس أكثر طهارة ^(٦٣) ، إذ جاء في النص " أنا كلكامش سوف أعمل تمثال لك من الذهب بدون قياس ... هو عمل تمثال لصديقه ، لأطراف صديقه ... ، صدرك يجب أن يكون من اللازورد ، وجهك من الذهب ... " ^(٦٤) ، إذ يتم عمل تماثيل تجسد الموتى من قبل ذويهم وربما تعمل هذه التماثيل من المعادن الثمينة والأحجار الكريمة ، كما جاء في ملحمة كلكامش السابقة الذكر ، وأشار بعض الباحثين إلى إن التماثيل التي تعمل للملوك أحياناً توضع في داخل القصر وتقدم لها القرابين ^(٦٥) ، أو في المعابد وعند تقديم القرابين لها يتم ذكر اسم الميت وتُزيّن التماثيل بالزيت ، كما ورد في أحد النصوص المتعلقة بدخول كلكامش إلى العالم السفلي " الرجال قد أعطوا أسماء ، وتماثيلهم قد عملت في الأيام القديمة ، ومتمركزة في مصليات معابد الآلهة ، إذ يتم قراءة أسماءهم بصوت عال ، لا يمكن نسيانها ، ... وبسبب هذه

التمائيل التي عملت في الأيام القديمة ، تقرأ الأسامي بصوت عال في الأرض " (٦٦) ، من الجدير بالذكر إن بعض تماثيل الأفراد تعمل في حياتهم ولا ينحصر عملها في فترة الحداد فقط ، وتوضع في المعبد وذلك من أجل إن تشفع لهم أمام الآلهة باستمرار ثم يتحول دورها بمجرد موت الشخص إلى بديل يستقبل القرابين والتقدمات عنه (٦٧) ، وقد يعمل للفرد تمثال في حال لم يكن له واحد في فترة الحداد أو يعمل له تمثال آخر حتى ولو كان له واحد ، وقد يكون هناك مزار خاص يوضع فيه التمثال ربما يكون جزء من البيت أو المعبد أو في كلا المكانين إذا كان له تماثلان (٦٨) ، وقد يطلق على هذه التماثيل اسم فإن تمثال الملك شوسين الأول يدعى (شوسين محبوب ننا) والآخر (شوسين محبوب نينسون أونا) (٦٩) ، يستقبل الملوك القرابين بعد موتهم من خلال تماثيلهم التي وضعت في المعابد أغلب الأحيان كما إنها تُبجل مع تماثيل الآلهة ، كما وضع الحاكم كوديا (أحد حكام سلالة لكش الثانية ٢٢٣٠ - ٢١١٤ ق.م) تمثاله في معبد الإله نينكرسو وتمنى أن يقف التمثال في مكان السكب بدلاً عنه بعد موته " عسى أن يقف التمثال في مكان السكب " ، كما وضع الملك أورنمو تمثاله في معبد الإله أنليل في مدينة نيبور (نفر) ، وكذلك تمثال زوجة الملك شوسين كوباتم الذي وضع خلال حياتها في معبد الإله أنليل أيضاً (٧٠) ، وقد تُعمل نصب للأموات لتكون بمنزلة شاهد قبر تُذكر فيه سيرتهم ، كما عمل الملك نبونائيد (٥٥٥ - ٥٣٩ ق.م) نصبين لوالدته سرد فيهما سيرة حياتها فضلاً عن الملوك الذين كانت معاصرة لهم وحُفظا في المعبد (٧١) .

٤ - إقامة القرابين الجنائزية

كانت القرابين الجنائزية بضمنها طقس سكب الماء يجري أمام تماثيل الموتى لأشباعهم وأرواء عطشهم على وفق اعتقاد سكان بلاد الرافدين ، وهو ما يحدث في مدة الحداد وبعدها ، كما يحدث شهرياً أو سنوياً في وقت محدد (٧٢) ، إذ ورد في إحدى التعاويذ عن مخاطبة الأشباح ما يأتي " سواء كنت شبح شخص غير مدفون ، أم كنت شبح الذي لم يلق عناية لائقة ، أم شبح الميت الذي لم تقدم له القرابين الجنائزية أو الذي لم يسكب له الماء " (٧٣) ، كما جاء في تعويذة أخرى إن ضرورة تقديم القرابين وسكب الماء يضمن بقاء الروح في العالم السفلي " يا أرواح عائليتي ، يا أرواح أبي وأمي وأجدادي وأخي وأختي وكل أهلي وأقربائي ، طالما أنت مستقرة في العالم الأسفل كنت أقدم إليك القرابين الجنائزية وأسكب لك الماء " (٧٤) .

ربما إن الهدف الأساسي من إقامتها هو الخوف من أرواح الموتى ، إذ إن الشخص الذي تهمل جثته من قبل أسرته أو لم يكن له أحد يعتني به ولا تقام له المراسيم والشعائر الخاصة بالحداد تكون روحه شبحاً منسياً (٧٥) ، لذلك يجب إقامة طقوس دورية عُرفت في اللغة السومرية بالمصطلح السومري (KI . GA 3 . SI) كي . سي . كا وتعني القرابين الجنائزية (٧٦) ، ويقابله في اللغة الأكديّة كلمة (kispu)

كسبو^(٧٧) ، وهي مشتقة من الفعل الأكدي (**kasâpu**) كاسابو ويعني التكسير إلى قطع صغيرة ، وربما يشير ذلك إلى معنى المشاركة في الطعام ضمن هذا الطقس^(٧٨) ، وتختلف القرابين الجنائزية المقدمة إلى الأموات تبعاً لمكانة الشخص وأهميته^(٧٩) ، إما إقامتها فتتم من قبل أهل المُنوَّى الباقين على قيد الحياة^(٨٠) ، وبالتحديد أقرب أقربائه هو المكلف بذلك من دون استبعاد الآخرين^(٨١) ، إذ في اعتقاد سكان بلاد الرافدين أن الكسبو هو طقس أكثر من كونه وجبة أو وليمة ويتم بمشاركة أعضاء العائلة الأحياء والأموات ، وكل من الأحياء في هذا الطقس يؤدي دوراً وكذلك الأموات بصورة تخيلية^(٨٢) ، أو تكلف العائلة أشخاص آخرين لأداء الطقس مثل الكهنة ، إذ تناط هذه المهمة بصنف من كهنة الماخو المسؤولين عن تلاوة التعاويذ التي تهدف إلى تهدئة الأرواح المنسية ، إما المكان الذي تُؤدى فيه هذه القرابين قد يكون في معبد خاص يسمى (**bīt kisib**) بيت كسب^(٨٣) ، أو قد يعمل في جزء من البيت كإن تكون ساحة خاصة وتعرف بجناح أرواح الموتى أو في غرفة معينة^(٨٤) ، ويتضمن هذا الطقس تقديم التقدمة من مختلف المواد الغذائية فضلاً عن سكب الماء الذي عُرف في اللغة السومرية بالمصطلح (**A . BAL**) آ . بال ، ويقابله في اللغة الأكديّة عبارة (**mê naqû**) مي ناكو ، إذ إن الـ **mê** تعني ماء والـ **naqû** تعني سكب^(٨٥) ، ويتم ذلك مع ذكر اسم المُنوَّى لكي لا يصبح طي النسيان وبذلك فإنهم يعطونه واقعاً وحضوراً بينهم ، وإن هذه الطقوس تقام لأجل غير مسمى ربما بعد جيل أو اثنين من أولئك الذين عرفوا الميت^(٨٦) ، وترفع المشاعر عند تقديم القرابين للموتى^(٨٧) ، ولتأكيد احترام روح المُنوَّى يترك كرسي لجلوسه إلى مائدة القرابين الجنائزية وربما يكون ذلك بوجود تمثال أحد الآلهة^(٨٨) ، وقد يجهز له سرير جنازي أيضاً فقد عمل كلكامش لأنكيدو سريراً وكرسيّاً " كلكامش سوف يعمل لك مكان للإستلقاء (سرير جنازي) ... سوف يجعلك تجلس على مقعد .. " ^(٨٩) ، إذ اعتقد إن الكرسي الجنازي هو مقعد للروح كما ورد في أحد النصوص المتعلقة بالقرابين الجنائزية " إلى أرواح عائلته ، سوف تضع مقعداً إلى يسار ترتيبات القرابين " ^(٩٠) ، وقد تنحّر أصحابي القرابين الجنائزية على مذبح خشبي ورد ذكره في حداد امرأة تسمى تيزين - ماما ويعتقد إنها الأميرة ابنة الملك شولكي (٢٠٩٤ - ٢٠٤٧ ق.م) إذ يذكر النص " خروف واحد مسمن عندما تضرب الرياح .. اليوم الأول معزة واحدة كبيرة لنينسون وخروفين مسمنين عند المذبح الخشبي لتيزين - ماما عند إقامته في اليوم الثامن " ، إن المصطلح السومري (**ĜiŠ . A . NAĜ**) كيش . آ . ناك هو مصطلح غير معروف ، ولكن تم الفرض من قبل الباحثة دينا كاتز (**Katz , D.**) على إنه يعني مذبح خشبي متحرك يستعمل عند الضرورة وقد يقام عليه السكب إلى الأرواح في القرابين الجنائزية^(٩١) ، وفي نص عُرف بـ (الرسول والفتاة) مؤرخ إلى العصر السومري الحديث (٢٢٣٠ - ٢٠٠٤ ق.م) يُشرح فيه التحضيرات للطقس الجنازي المقام من قبل فتاة إلى رجل مُنوَّى ولم يدفن (الرسول) ، تسرد الفتاة في النص المواد التي سوف تقدمها إلى روح الرسول وهي الكعك وأنواع مختلفة من الفواكه والشعير والجعة

والخمر والزبدة والحليب والماء الحار والبارد وتحتوي القائمة على أشياء أخرى مثل حزام وسوط ورداء نظيف وكروسي وسرير مترف ، وطقسها يبدأ بوصف الميت أو تمثاله بتعبير أدق " مسافري كما أنه آت لكنه لم يأتي ، وله عينان ولكنه لا يستطيع أن يرى .. له فم لكنه لا يتحدث.. قدمت الخبز وفركته به من الأنية المغطاة التي لم تفتح ابداً من حافة الدلو التي لم تدرس .. أنا سكبت الماء ، سكبت على الأرض ، شربه .. بزيتي ذو الرائحة العطرة زيت جسمه ، بردائي الجديد ألبست كروسيه ، الرياح التي أدخلته ، الرياح ذهب ، مسافري الذي سقط في الجبل ، وفي وسط الجبل يرقد ميتاً الآن في راحة " ، ويتبين من النص أن الفتاة تقوم بالبأس التمثال الموضوع على الكرسي رداء طاهراً فضلاً عن فركه بالخبز ، ولا يعرف سبب القيام بذلك وربما كان أدائه رمزياً أو إنها مرتبطة بأعتقاد التطهير الروحي الذي يعد شرطاً لدخول الروح إلى عالم الأموات ^(٩٢) ، ويلي هذه الأدعاءات تلاوة سطور من المراثي ^(٩٣) ، ويتم تقديم القرابين إلى الآلهة أيضاً منها آلهة العالم السفلي مع تجليل روح المتوفى ، كما جاء في أحد النصوص المعنية بشفاء المرضى من العصر الآشوري الحديث " ... ستقدم قرابين الجنازة ثلاث مرات إلى إيرش - كيجال ، ستضع أكلة عصيدة الشعير لا تزال حارة ، سوف تبجل الميت وسوف تسكب قرباناً من الماء والجعة والذرة المشوية والحليب والعسل والزبد والزيت ، وستعمل قربان جنازة لشبح عائلتك .. " ^(٩٤) ، ويعتقد إن القرابين تقدم إلى الآلهة المرتبطة بالماء والخصوبة فضلاً عن آلهة العالم السفلي ^(٩٥) ، كما يرد ذكر الأسلاف الموتى من العائلة نفسها ^(٩٦) ، أو من الأغراب مثل الملوك وجند المدينة الذين قتلوا دفاعاً عنها ^(٩٧) ، كما إن الملك يكون مسؤولاً عن تقديم القرابين الجنائزية إلى أسلافه من الملوك وحتى الناس الذين يحكمهم ، إذ يتم استدعاء الأرواح إلى القرابين لكي تضعها في مزاج جيد وتبارك الملك الحي ، كما في النص الآتي المؤرخ إلى عهد الملك أمي - صدوقا (١٦٤٦ - ١٦٢٦ ق.م) " الأمير ، الأميرة ، جميع البشر من الشرق إلى الغرب ، الذين ليس لديهم أحد ليعتني بهم أو ينادي باسمائهم ، تعالوا ، كلوا هذا ، وأشربوا هذا ، وباركوا أمي - صدوقا ، ابن أمي - ديتانا ، ملك بلاد بابل " ^(٩٨) ، كما يتم ذكر الكهنة الأموات في هذه القرابين التي يقوم بها الملك كما جاء في النص الآتي الذي يصف قرابين الملك كلكامش بمشاركة الناس " إلى الكهنة الأموات وكهنة الـ *lagar* الأموات ، إلى الكهنة الأموات من الـ *lumah* وكهنة الـ *ereŠdigir* ، والكهنة الأموات من الـ *guda* وكهنة *gada* ، الهدايا المنصوص عليها ... ، هو قدم هذه الهدايا ... كلكامش ، أبن نينسون .. سكب الماء ، .. من أجله أناس مدينته .. نثروا في الغبار " ^(٩٩) ، إذ تقام القرابين إلى الأسلاف والكهنة والأموات من الناس والجند كما النص الآتي المتعلق بموت كلكامش ورحلته إلى العالم السفلي " حضرت القرابين الجنائزية ، وجُهِز الخبز ، الماء ، العسل ، الجعة ، والزبد ويطلب اسمه ... القرابين الجنائزية المقدمة في وجود الأنوناكي ، الآلهة العظام ، إلى مكان حيث كاهن الـ *en* يستلقي ، حيث أمكنة أستلقاء الكهنة الأموات ... المكان حيث والدك يستلقي ، جدك ، أمك ، أختك ، أقربائك ، صديقك العزيز ، .. صديقك أنكيدو ،

الشاب رفيقك ، إلى الحاكم الذي عينه الملك في المدينة الكبيرة ، إلى المكان حيث قادة الجيش يستلقون ، حيث قائد القوات يستلقي ... " (١٠٠) ، ويرد ذكر القربان في النصوص الخاصة بالقربان وحتى نوعه فإذا ذكرت الأضاحي الحيوانية لابد من تحديد نوعها وعمرها وحتى غذائها ، إذ جاء في أحد نصوص القربان الجنائزية المقدمة إلى الملك شوسين " .. ثلاث بقرات وثلاث ثيران أعمارهم سنتين وتتغذى على الحليب ، أربع بقرات أعمارهن سنتين لا تعرف الجماع ، وسبعة وخمسون حمل ومعزة ... خروف واحد ومعزة واحدة يذبحان .. " (١٠١) ، لا تقتصر القربان على الأطعمة والسكب بل تشمل هدايا مختلفة ، كما يرد ذلك في رسالة من شخص يدعى أوشاشوم وهو ابن أبدا - أيل صهر الملك بيلالاما (أحد حكام أشنونا خلال العصر البابلي القديم) (١٠٢) جاء فيها ذكر للهدايا الجنائزية التي طلبها أوشاشوم لأبيه المتوفى " .. الأشياء المتوقعة لـ أبدا - أيل .. : كأس واحد من الذهب ، ثلاث كؤوس من الفضة ، رداء واحد من lamahuššum (وهو رداء خاص بالمراسيم والطقوس) من أفضل نوعية ، كؤوس برونزية متنوعة ، غلاية نحاسية ، أنت تعلم كم العدد ، أرسلهم لي ولا تحجبهم عني ... مهما تنوي لأرسال لجنازة أبدا - أيل ، أرسلها منفصلة ، أرسل لي فتى ، لا تحجبه عني ، .. أرسل لي فتى من maškan šarrum ولا تحجبه عني وإن كانت الأجرة عشرة من من الفضة .. " (١٠٣) ، كما جاء في رسالة أخرى مرسلة من قبل شخص يدعى ايلوم - لو إلى الملك بيلالاما توضح الهدايا الجنائزية " ... أرسل هدايا جنائزية إلى جدك وأبيك إذا كنت فعلاً أخي ، أرسل سلاحاً من أفضل نوعية كهدية جيدة لجنازته .. " (١٠٤) ، وقد يرافق القربان أحراق البخور للموتى كما يتضح من شاهد قبر أم الملك البابلي نبونائيد " أقدم لهم القربان الجنائزية وأنذر لهم البخور الوافر والفاخر على الدوام " (١٠٥) ، وفي أسطورة نزول الإلهة إينانا (عشتار) إلى العالم السفلي تذكر أحراق البخور للموتى وللإله دموزي (تموز) ربما عند بعثته " فليصعد الأموات أيضاً وليستنشقوا البخور " (١٠٦) ، وربما بعد الإنتهاء من تأدية القربان الجنائزية يتم تطهير النفس وتلاوة التعاويذ والتراتيل (١٠٧) .

إما وقت إقامة القربان الجنائزية بعد إنتهاء فترة الحداد فيكون في نهاية كل شهر مع أفول القمر ، إذ جاء في رسالة مؤرخة إلى عهد الملك بيلالاما " ... المراسيم سوف تقام في نهاية الشهر ... " (١٠٨) ، وقد يقام في ظروف وأوقات أخرى غير معينة إذ ما أستدعت الحاجة إلى إرضاء الموتى (١٠٩) ، إذ أشير إلى إنه أحياناً يقام مرتين في الشهر (١١٠) ، وهناك قربان تقدم بصورة منتظمة مرة واحدة في السنة (١١١) ، وقد تقدم إلى المفقود القربان الجنائزية ، كما جاء في رسالة شكوى موجهة إلى الملك حمورابي (١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق.م) من قبل أحد المواطنين توضح فيها المفقود وظن إنه متوفى على الرغم من عدم التأكد من ذلك تقدم إلى روحه القربان الجنائزية فقط لجلب الراحة لها " أبنني سوكونوم أختفى مني قبل ثمان سنوات مضت وأنا لم أعلم فيما إذا كان حياً ، وحافظت على إقامة القربان الجنائزية له إذا ما كان

ميتاً ، الآن لقد أخبروني ذلك أنه يقيم في .. في بيت أُنبي- آيا الفارس ابن صيلي - شمش " ، ويتوضح من ذلك إن الأب تولى رعاية الروح على الرغم من عدم توفر جثة ليُدفنها ، كما يوضح النص إن القربان الجنائزية لا تقتصر على فئة معينة دون غيرها ولا على جنس أو عمر معين (١١٢) .

٥- أنابيب القبر والقنوات وزيارة القبور

حرص سكان بلاد الرافدين على ضرورة مد الأموات بما يحتاجونه من طعام وشراب لذلك يتم سكب الماء البارد على القبور كما يسكب الماء على فم الميت قبل دفنه فضلاً عن عمل أنابيب السكب فوق قبره (١١٣) ، وتعمل الأنابيب ظناً منهم أن ذلك يروي عطش الموتى ، إذ يتم عمل قناة ربما نافذة فوق القبر عُرفت في اللغة الأكديّة بكلمة (arūtu) آروتو وتعني أنبوب فخاري (١١٤) ، وقد يعد ذلك جزءاً من القربان الجنائزية التي تقام بصورة دورية للأموات (١١٥) ، قد يمارس طقس السكب في الأنابيب على القبر بعد الإعلان عن موت الشخص وتحرير روحه أي إنه يحدث والجسد مدفون (١١٦) ، وقد وجدت مثل هذه الأنابيب في بعض أبنية المقابر الملكية في أور مثل ضريح الملك شولكي وأمار - سين (٢٠٤٦ - ٢٠٣٨ ق.م) وقد تستعمل لإيصال القربان لهما (١١٧) ، أي إن عادة السكب توضحت خلال عصر سلالة أور الثالثة إذ تعمل القناة المخصصة لإرواء الموتى ليلاً بعد الدفن على الأقل بالنسبة إلى الملك شوسين ولكنها عادة متبعة في العائلة (١١٨) ، إذ إن القربان من الطعام والماء لا تقدم للموتى في أوقات الدفن فقط بل تستمر بعد ذلك لفترات طويلة من قبل الأحياء الباقين على قيد الحياة ويعتقد أن هناك جرة تستعمل للسكب على القبور من الفخار أو البرونز (١١٩) ، ولما أحتوت بعض القبور أنابيب من الطين لتأمين الماء العذب للموتى (١٢٠) ، يتم سقيهم عند زيارة القبور وليس لدينا معلومات كافية عن الطقوس التي تؤدي عند زيارة القبور (١٢١) ، إذ يذكر الملك آشوربانيبال (٦٦٨ - ٦٢٧ ق.م) أنه مواظب على زيارة قبور أجداده ويسكب الخمر لذكرى الموتى ويقدم الصلوات وإن أحتفال أو مهرجان موت دموزي قد يعد وقتاً لزيارة القبور (١٢٢) ، وقد عُرف يوم الحداد على الإله ب (يوم كل الأرواح) إذ بإقامة الحداد على الإله يتذكر الأحياء أمواتهم وتقدم لهم القربان من خلال دفعها إلى القبور (١٢٣) .

٦- تلاوة المراثي وعمل المناحات (١٢٤)

المراثي عبارة عن كلمات حزينة تتلى على الحان معينة (١٢٥) ، وترتل من قبل كاهن الكالو ، وهذا الصنف من الكهنة مارسوا عملهم مبكراً في بداية عصر فجر السلالات الثالث (١٢٦) ، إذ يقوم الكهنة بتأليف المراثي عند الحداد على الموتى ولاسيما الملك وهي تمجد أعماله وتسرد صفاته (١٢٧) ، كما يشارك في المراثي وفي الحداد على الموتى امرأة تنوح على الفقيد وترثيه وهي كبيرة في السن عُرفت في اللغة السومرية بالمصطلح (ER ٢ . MA . UM) أوم . ما . إير وتكتب أحياناً (AMA . IR ٢) أما .

إير أي المرأة الناحبة أو أم النعي ، أو قد يقوم الشخص المكلوم نفسه بتأليف المراثي حزناً على فقيدته إذ قام شخص عُرف بـ لو - دنكرا بتأليف مرثية على موت والده وهي دونت في حدود ١٧٠٠ ق.م (١٢٨) " الابن ذرف الدموع ، رمى بنفسه في التراب ، وبدأ بغناء .. أغنية ، لو - دنكرا بدأ بكتابة رثاء من أعماق قلبه " (١٢٩) ، وإن المراثي تتلى على شكل مناحات يرافقها العزف على آلة موسيقية كالقيثارة (١٣٠) ، إذ ذُكرت القيثارة في مؤلفات العصر الأكدي (٢٣٧١ - ٢٢٣٠ ق.م) وجاء في قصيدة لابنة الملك سرجون الأكدي (٢٣٣٤ - ٢٢٧٩ ق.م) (أنخيدوانا) " تجعلن المناحات تقام على أنغام قيثارة الحزن " (١٣١) ، وليست القيثارة هي الآلة الوحيدة التي رافقت المراثي إذ إن الطبل رافقها أيضاً ، فنقرأ في أسطورة نزول الإلهة إينانا (عشتار) إلى العالم السفلي وهي تأمر وزيرتها بما يأتي " أقيمي لي مناحة فاجعة ودقي الطبل في مقر المجلس " (١٣٢) ، وكذلك المزمارة الذي لعب دوراً في مرثية مدينة إيسن " القيثارات المقدسة لا تعزف ، إلى حيث تنوح الرقوق المقدسة لم تعد تنوح ، مزاميري القصبية لم تصدر أنغماً موسيقية عالية المراثاة لم تهدئ قلبي " (١٣٣) ، كما أستعمل لاحقاً الدف في المراثي وكذلك الناي (١٣٤) ، كما رثت كشتن - أنا أخيها الإله دموزي (تموز) ضمن مرثية عرفت في اللغة الأكديّة بكلمة (irtu) إيرتو وهي نوعٌ من المراثي الغنائية التي تتلى من قبل فريق من النساء (١٣٥) ، كما ويشيد الرثاء بالمُتوفى ليسهل عليه الانتقال إلى العالم الآخر (١٣٦) ، كما إن المراثي على وفق اعتقاد سكان بلاد الرافدين مسموعة من قبل الأموات وضرورة إقامتها تقترب بأحترامهم وعدم نسيانهم (١٣٧) ، وربما إن بعض المراثي تدفن مع الميت في القبر (١٣٨) ، وقد يتم رثاء الميت أكثر من مرة وفي أماكن مختلفة ففي حداد إحدى الشخصيات التي تنتمي إلى الطبقة الحاكمة تم رثاؤها في اليوم الأول في محل إقامتها وفي اليوم الثاني في المصلى الجنائزي (١٣٩) .

كما يتضمن جو الحداد أيضاً إقامة المناحات على الأموات من قبل أشخاص معينين قد يكونوا الكهنة أنفسهم وأيضاً مع أستعمال الآلات الموسيقية مثل النقر على الطبول (١٤٠) .

٧- الألتفاف حول الميت وحمل مشعلٍ ولمس طرف رداءه

ربما كان ذلك من الأساليب المعتادة عند موت الشخص ، وهو أن يقوم أحد أقربائه من الدرجة الأولى كإن تكون زوجته أو ابنته أو كنته أو حتى صديقه باللف حول الجثة ، ولا يعرف الكثير عن هذا التقليد وهناك مصادر أشارت إلى عدد اللفات ، إذ قد تكون ثلاث دورات مع حمل مشعل باليد ، وربما بعد الإنتهاء من اللف يتم لمس طرف رداء الميت وتقبيل قدميه (١٤١) ، والإشارات عن ذلك ما جاء في ملحمة كلكامش عند موت أنكيدو " وحام فوقه كنسر ... وجاب الأرض ذهاباً وإياباً " (١٤٢) ، وكذلك " غطى صديقه كالعروس وأخذ يزار حوله كالأسد ... وصار يروح ويجيئ أمام الفراش وهو ينظر إليه.. " (١٤٣) ، وأيضاً " أمراء الأرض سيلثمون قدميك ، سيجعل أبناء أوروك يبكونك ، ويعلمون الحداد

لأجلك " (١٤٤) ، كما جاء في مرثية والد لو - دنكرا وصفاً لأرملته " إنها تدور حولك كالزوبعة ... مزقت ثوبها ... ولمست طرف ثوبك " (١٤٥) .

ومن الممارسات التي ترافق طقوس الحداد في بلاد الرافدين :

البكاء والعيول والصراخ بأصوات عالية : إن البكاء والعيول مظهرًا طبيعيًا من مظاهر الحزن ، كما إنه رد فعل طبيعي يحدث فور سماع نبأ وفاة أحد الأقارب أو الأصدقاء ، وقد أشارت العديد من النصوص المسمارية إلى البكاء والنحيب عند رثاء أحد الأحبة ، ولعل خير دليل على ذلك ما ورد في ملحمة كلكامش من أمثلة رائعة تصف حزن الصديق على صديقه ، إذ جاء على لسان كلكامش بأن حزنه لن ينتهي فضلاً عن البكاء ليلاً ونهاراً " سينتحبون عليك ليل نهار ، ولن يصمتوا أبداً ، سيبيك كبار السن في المدينة الفسيحة لاوروك الحظيرة سوف تبكيك ... الجبال ، وسوف يبكيك الدب ، والضبع ، والفهد ، والنمر ، والحصان ، والقرود.... ، سيبيك شباب المدينة الفسيحة ، أوروك الحظيرة " (١٤٦) ، كما جاء في الملحمة نفسها " أنا نفسي يجب علي أن أبكي انكيدو صديقي ، وأنتحب بمرارة كأمرأة تعول " (١٤٧) ، وذكرت إحدى المراثي المعروفة بـ (مرثية لو - دنكرا) وصفاً لحال أرملة المُنوفى ومدى الآسى الذي قاسته لفراق زوجها " نعم ! فقد أفقدتها صوابها وأطلقت صرخة آلم كما لو كانت في المخاض ... وأطلقت صرخة آلم وذرفت الدمع السخي " (١٤٨) ، كما يحدث البكاء الجماعي في المآتم أو في شوارع المدينة عند موت الملك أو أحد أفراد أسرته ، إذ تذكر رسالة من آشور (قلعة الشرقاط) ما يأتي " في اليوم الذي نسمع فيه بموت الملك ، يبكي شعب بلاد آشور " (١٤٩) ، ومن الممارسات الأخرى التغني بصفات الميت ومناجاته : كان الإنسان في بلاد الرافدين يعبر عن حزنه بالكلام الحسن على الميت وذكر صفاته ، كما ورد في إحدى الرسائل العائدة إلى الملك آشوربانيبال وهو ينعي أحد رجال بلاطه بقوله " لقد كان إنساناً صالحاً وشجاعاً " (١٥٠) ، ومن أروع الأمثلة على مناجاة الميت ما ورد في مرثية لو - دنكرا وهو يكلم زوجته الشابة التي أصبحت تحت الثرى " إنه يتألم ويندبها : آواه ! أين أنت الآن ؟ أنني أنعيك ، أين .. الروح الفاتنة ! أنني أنعيك ، أين الفم العطوف الآن ؟ ، الفم الساحر ، الفم الكريم ، أنني أنعيك ، أين سلاحي البهي الآن ؟ ، الكنانة الزاهية ! أنني أنعيك ، أين أنت الآن ؟ ، أشرقتي البهية ! أنني أنعيك ، أين الأغاني العذبة التي تبهج القلب الآن ! أنني أنعيك ... أين رقصي ؟ ، رقص اليد المرفوعة والمرح ! أنني أنعيك ... عسى أن لا يمحي ذكرك في الحياة ، وعسى أن يذكر اسمك في الأيام القادمة ولأنك الزوجة العطوف قد تمددت مشرقة كالنور ، فهذه مرثية مريرة لأجلك " (١٥١) .

ومن الممارسات الأخرى اللطم على الوجه والصدر وجرح الخد والأنف والأذنان : واللَّطْمُ صَرْبُكَ الخَدَّ وَصَفْحَةُ الجَسَدِ بِبِسْطِ اليَدِ واللَّطْمُ : الضَّرْبُ عَلَى الوَجْهِ بِبَاطِنِ الرَّاحَةِ (١٥٢) ، كان اللطم على الميت

عادة متبعة في بلاد الرافدين ، ونرى تأثيرها واضحاً في النصوص المتعلقة بالموت والرياء ، إذ قام أهالي مدينة أوروك (الوركاء) عند موت الملك كلكامش بضرب الأنوف لأجله ^(١٥٣) ، كما مارس سكان بلاد الرافدين عادة لطم الصدور وهذا ما نقرأه في رسالة من العصر الآشوري الحديث " لقد خرجنا للطم الصدور والبكاء على الميت في اليوم الذي سمعنا بأن الملك قد مات ... " ^(١٥٤) ، وهناك إشارات إلى إن الملك الآشوري آشوربانيبال قد دعا إلى الغاء هذه العادة المتبعة ولكن لا يوجد نص مسماري يشير إلى ذلك ^(١٥٥) ، ومن عادات الحزن أيضاً جرح الخد أثناء اللطم ^(١٥٦) ، وأشارت حوليات الملك سرجون الثاني إلى حالة الحزن في بلاد الرافدين عند موت أحد الأحبة ، إذ إن الممارسات المعتادة من قبل الفرد الرافديني هي جرح النفس أو إيذاؤها " يلقي بنفسه على الأرض ويمزق ثوبه ويجرح نفسه بسكين وهو مستغرق في العويل " ^(١٥٧) ، وأن تخديش الخد أو أي جزء من الجسد يندرج ضمن أطار تشويه الذات كإشارة إلى الحزن وقد يتم أداء ذلك علانية ^(١٥٨) .

إما نشر الشعر أو نتفه أو جعله متسخاً : فكانت من الممارسات المتبعة في الحداد عند سكان بلاد الرافدين ، إذ كانوا في فترة حدادهم ينثرون شعرهم أو ينتفوه فضلاً عن عدم غسله طيلة فترة الحداد وأحياناً إما يتم قصه أو جعله ينمو نمواً غير طبيعياً للدلالة على الحزن ^(١٥٩) ، وخير مثال على ذلك النصوص المسمارية المقتبسة من ملحمة كلكامش التي فيها وصفاً لحال كلكامش عند موت أنكيو " شد شعره وخرب ؟ خصلاته الجميلة التجعيد " ^(١٦٠) ، وفيها أيضاً " وينتف شعره المضفور ويرميه على الأرض " ^(١٦١) ، وهو الأمر ذاته في قصة أدايا حين أمره الإله أنكي (أيا) بأن يجعل شعره غير مرتب ومتسخاً تعبيراً عن حداده " فلمس أدايا وجعله يحمل شعراً وسخاً " ^(١٦٢) ، كما تم ممارسة عادة خفض الرؤوس ووضع الطين على الرأس ورمي النفس في الوحل : أشارت أسطورة موت الإله دموزي (تموز) ونزوله إلى العالم السفلي إلى حلمه وتفسير هذا الحلم من قبل اخته كشتن - أنا وكان هذا الحلم منذراً بموته وبداية للمصير الذي سيلاقيه " إن حلمك غير حميد ذلك الذي أخبرتني به ... أن القصة التي تقوم وحدها تحني رأسها لك ، تعني أمك التي ولدتك وسوف تخفض رأسها من أجلك ... " ^(١٦٣) ، وللتعبير عن الحزن والبلاء الذي يقع على أهل المُنوفاً فقد كانوا يضعون الطين أو التراب على رؤوسهم أو على لحاهم ^(١٦٤) ، وهذا ما ذكر على لسان الملك البابلي نبونائيد حين وفاة والدته ، إذ أصدر أمراً لأرجاء المملكة أن تعلن الحداد وأن يقيموا مأتماً كبيراً وينشروا الطين على رؤوسهم ^(١٦٥) ، وقد يرمي الشخص نفسه في الوحل أو الطين تعبيراً عن الحزن والآسى نتيجة لموت أحد الأحبة ، إذ نقرأ في مرثية لو - دنكرا في وفاة والده " ذرف الدموع ، ورمى نفسه في الوحل وأنشد عليه ترنيمة شعر " ^(١٦٦) ، وفي ملحمة كلكامش جاء ما يأتي " صاح كلكامش ياويلته ! وراح يتمرغ في التراب " ^(١٦٧) ، كما يقوم الفرد في بلاد الرافدين أحياناً بتمزيق الثياب أو رميها : لقد أسلفت سابقاً إنه يتم ارتداء الملابس الرثة أو غير

المرتبة (الخرق) التي تكون دون المستوى في مدة الحداد وقد تتكون من قطعة واحدة والإبتعاد عن الأقمشة ذات النوعية الجيدة ^(١٦٨) ، وهذا ما انعكس في مؤلفاتهم الأدبية إذ يرد في ملحمة كلكامش " نزع ثيابه الجميلة ورمها كإنها أشياء نجسة " ^(١٦٩) ، وكذلك في حال حزن الزوجة على زوجها كما جاء في مرثية والد لو - دنكرا " لقد مزقت ثيابها وأخذت تئن كالبقرة كاهنة الإله نسكو... مزقت ارباً ثوبها لأجلك " ^(١٧٠) .

كما يتم تقديم الهدايا والعطايا كنوعاً من المساعدة إلى أهل المُنوفاً ربما هو تقليد متبع حتى وإن كانت أسرته ميسورة الحال ، وقد ورد في مرثية لو - دنكرا نعيّاً لوالده " إن الأمة وهي على الرحي تذرف الدمع عليك والمنزل حيث وضع ... أكتسب فضة وقمحاً ، وزادت فيه المقتنيات " ^(١٧١) ، وقد تكون الأموال من العطايا التي تقدم لأهل المُنوفاً أيضاً ^(١٧٢) .

ثالثاً: مدة الحداد

يبدأ الحداد عند وفاة الشخص وليس عند دفنه ، فعندما يموت الفرد في بلاد الرافدين يجري على جثمانه طقوس عدة قبل دفنه ، وأشار بعض الباحثين إلى إن مدة الحداد هي الفترة المحصورة بين الموت والدفن ، وبعبارة أخرى إن جثة الميت لا تدفن مباشرة بل يتوقف ذلك على إجراء طقوس عدة وإكمالها ، وقد تتغير هذه المدة من شخص إلى آخر تبعاً إلى مكانته الاجتماعية ^(١٧٣) ، وقد ورد في ملحمة كلكامش إن بكاءه على صديقه أستمّر لسته أيام وسبع ليال وربما يشير هذا إلى مدة الحداد " ستة أيام وسبع ليالٍ بكيت عليه " ^(١٧٤) .

وإن الحداد الذي يقام عند وفاة الملك يستمر أحياناً لسبعة أيام في مراسيم خاصة ومهيبه بحضور العائلة المشيعة وجمع من الناس ^(١٧٥) ، وإن الملك شوسين تمتع بأسبوعين من الحداد ^(١٧٦) ، وأعتقد بعض الباحثين إن مدة الحداد في العصور الآشورية قد تكون أربعة أو خمسة أيام وقد تصل في بعض الأحيان إلى عشرة أيام ^(١٧٧) .

وبعد الإنتهاء من الحداد تعود الحياة إلى ما كانت عليه ، ولا يمكن البت بإنتهاء الحزن ولكن يمكن القول إن الممارسات كافة التي كانت ترافق الحداد تتوقف ، ومن ضمنها خلع ثوب الحداد وارتداء ملابس جديدة وهذا ما قام به الملك البابلي نبونائيد عند وفاة والدته ، إذ وزع الملابس الجديدة على الناس والطعام والزيت عند إنتهاء مدة الحداد ^(١٧٨) ، وهذا الأمر أنطبق على الفترة التي تلي الحداد على الإله دموزي (تموز) ، أي يقام مهرجان للأبتهاج الذي كان له تأثيرٌ قويٌّ على الناس ^(١٧٩) .

ومن الجدير بالذكر يقام الحداد لأي فرد في بلاد الرافدين مهما كانت مكانته انطلاقاً من الاعتقاد إن روح الميت لا تستقر في العالم السفلي الا بطقوس معينة تقام لها ^(١٨٠) ، وعلى الرغم من ذلك فربما إن

هناك بعض الأفراد الذين لا يقيم لهم الحداد بسبب طريقة موتهم ودفنهم دفناً غير لائقاً ، أو بسبب فقد جثثهم ، أو عقوبة لهم لجرم ارتكبه ، لأن بعضاً من طقوس الحداد ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بجثة الميت ^(١٨١)، كما إن دفنها يكفل انتقال الروح إلى العالم السفلي وعدم توفر قبر لها يعني عدم إقامة طقوس الدفن التقليدية ومن ثمَّ يجعلها عاجزة عن الانتقال ^(١٨٢) ، وهذا يفسر ما قام به الملك آشوربانيبال مع قبور الملوك العيلاميين وحرّمهم من القرابين ^(١٨٣) ، إذ إن الجثة المهملة تولد أرواحاً شريرة عرفت في اللغة الأكديّة بكلمة (**eṭemmu**) أطيّمو ^(١٨٤) ، ويقابلها المصطلح السومري (**GIDIM** 2 14 17) كيديم ^(١٨٥) ، وهي أشباح أناس لم تدفن جثثهم أو أولئك الذين لقوا حتفهم بطريقة بشعة أو عنيفة ويعتقد أن الأرواح يمكن تقاديتها من خلال دفن تمثال كبديل عن الجثة ^(١٨٦) .

أخيراً يمكن القول إن عدم إجراء الحداد لا يعني بالضرورة عدم الحزن على الميت أو المفقود ، وحتى وإن جرت له مراسيم الحداد وبعض الطقوس المرافقة لها فإنها لا تكون كاملة بسبب عدم توفر الجثة التي تعد أساساً لإقامة الطقوس .

الهوامش:

^١ - ابن منظور ، لسان العرب ، تحقيق : عبدالله علي الكبير و محمد احمد حسب الله و هاشم محمد الشاذلي وسيد رمضان احمد ج ٩ ، باب الحاء ، (القاهرة ، ١٩٨١) ، ص ٨٠١ - ٨٠٢ .

^٢ - حنون ، نائل ، عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة ، ط ٢ ، (بغداد ، ١٩٨٦) ، ص ٢٩٠ ؛

- Katz, D., " Sumerian Funerary Rituals in Context , Performing Death Social Analyses of Funerary Traditions in the Ancient Near East and Mediterranean " , OIS , No.3 , (Chicago , 2007) , p. 167 .

^٣ - CDA , p. 324 ; Lenzi , A. , " Reading Akkadian Prayers and Hymns an Introduction " , SBL , No. 3 , (Atlanta , 2011) , p. 160 .

^٤ - CDA . p. 316 .

^٥ - Ibid , P. 36 .

- حول تفصيل وعلاقة **sapād** و **bakû** . يُنظر :

- CAD , (S) , p. 150 .

^٦ - CDA , p. 44 ; Lenzi , A. , " Reading Akkadian..., p. 269 .

^٧ - لابات ، رينيه ، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين - مختارات من النصوص البابلية - ، ترجمة : البير ابونا ، ط ٢ ، (بغداد ، ٢٠٠٤) ، ص ٤٢٨ ؛

- Jastrow , M., " The Religion of Babylonia and Assyria " , Handbooks on the History of Religions , Vol. II , (Boston , 1898) , p.549 .

^٨ - الأسود ، حكمت بشير ، حضارة بلاد الرافدين الأسس الدينية والاجتماعية ، ط ١ ، (دهوك ، ٢٠١٢) ، ص ١٩٥ .

^٩ - حنون ، نائل ، عقائد ما بعد الموت ... ، ص ٣٠٢ .

^{١٠} - لابات ، رينيه ، المعتقدات الدينية ... ، ص ٣٨٨ ؛

- Vogelzang , M.E., " Patterns Introducing Direct Speech in Akkadian Literary Texts ", JCS ,Vol. 42 , No. 1 , (New Haven , 1990) , p. 57 .
- ^{١١} - حنون ، نائل ، عقائد مابعد الموت ...، ص ٣١٨.
- ^{١٢} - المصدر نفسه ، ص ٢٨٥ .
- ^{١٣} - لابات ، رينيه ، قاموس العلامات المسمارية ، ترجمة : البير أبونا ووليد الجادر وخالد سالم إسماعيل ، (بغداد ، ٢٠٠٤) ، ص ١٩٣ : ٤٢٧ .
- ^{١٤} - صالح ، قاسم حسين ، الأبداع في الفن ، (بغداد ، ١٩٨٨) ، ص ٢٠٢ .
- ^{١٥} - Forbes R.J. Studies in Ancient Technology ,Vol. 1 , (Leiden , 1955) , p. 94 .
- ^{١٦} - كونتينو ، جورج ، الحياة اليومية في بلاد بابل وأشور ، ترجمة : سليم طه التكريتي ، ط ٢ ، (بغداد ، ١٩٨٦) ، ص ٤٩٤ .
- ^{١٧} - الأسود ، حكمت بشير ، حضارة بلاد الرافدين...، ص ١٥٢ .
- ^{١٨} - لابات ، رينيه ، قاموس العلامات ...، ص ٩١ : ١١٣ .
- ^{١٩} - CDA , p. 272 .
- ^{٢٠} - الأعظمي ، محمد طه محمد ، " العمارة في بدايات العصر الحجري الحديث في العراق " ، مجلة كلية الآداب ، ع ١ ، (بغداد ، ٢٠٠١) ، ص ٨ .
- ^{٢١} - الأسود ، حكمت بشير ، حضارة بلاد الرافدين...، ص ١٩٥ .
- ^{٢٢} - CDA , p. 23 ; CAD , (A) , 2 , p. 253: a .
- ^{٢٣} - الأسود ، حكمت بشير ، حضارة بلاد الرافدين...، ص ١٩٥ .
- ^{٢٤} - حنون ، نائل ، عقائد مابعد الموت ...، ص ٣٠٣ .
- ^{٢٥} - المصدر نفسه ، ص ٣١٨ ؛ الأسود ، حكمت بشير ، حضارة بلاد الرافدين...، ص ١٩٦ ؛
- McIntosh , J.R. , Ancient Mesopotamia , (California, 2005) , p. 227 .
- ^{٢٦} - Ibid , p. 225 .
- ^{٢٧} - الأسود ، حكمت بشير ، حضارة بلاد الرافدين ...، ص ١٩٤ .
- ^{٢٨} - حسين ، إيمان لفته ، " الطقوس الجنائزية في بلاد وادي الرافدين خلال الألف الثالث قبل الميلاد " ، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية ، مج ٨ ، ع ٤ ، (جامعة القادسية ، ٢٠٠٩) ، ص ٢١٩ .
- ^{٢٩} - Jastrow , M., " The Religion of Babylonia ... , p.604 .
- ^{٣٠} - حنون ، نائل ، عقائد ما بعد الموت...، ص ٢٩٤ - ٢٩٥ .
- ^{٣١} - حسين ، إيمان لفته ، " الطقوس الجنائزية ...، ص ٢٢٩ .
- أن عرض جسم المُنُوفى في مراسيم الحداد عرف في اللغة الأكديّة بكلمة (**taklimtu**) تكليمتو . يُنظر :
- CDA , p. 395 .
- ^{٣٢} - Whiting , R. M. , JR. , " Old Babylonian Letters from Tell Asmar " , Assyriological Studies , (Chicago , 1987) , No. 22 , p. 50 .
- ^{٣٣} - McIntosh , J.R. , Ancient Mesopotamia , p. 228 .
- ^{٣٤} - Ibid , p. 79 .
- ^{٣٥} - King , L.W. , " Babylonian religion and Mythology" , Books on Egypt and Chaldaea , Vol. IV , 2nd impression , (London , 1903) , p.47 .
- ^{٣٦} - McIntosh , J.R. , Ancient Mesopotamia , p. 221 .
- ^{٣٧} - بوتيرو ، جان ، بلاد الرافدين الكتابة - العقل - الآلهة ، ترجمة : البير أبونا ، ط ١ ، (بغداد ، ١٩٩٠) ، ص ٣٥٣ .
- ^{٣٨} - King , L.W. , " Babylonian religion..., p.183 .

- ³⁹ - Jastrow , M., " The Religion of Babylonia ... , p.547 .
- ⁴⁰ - Mcintosh , J.R. , Ancient Mesopotamia , p. 187 .
- ⁴¹ - King , L.W. , " Babylonian religion..., p.47 .
- ^{٤٢} - ساكز ، هاري ، قوة آشور ، ترجمة : عامر سليمان ، (بغداد ، ١٩٩٩) ، ص ٣٠٦ ؛ بوتيرو ، جان ، بلاد الرافدين الكتابة ...، ص ١٨٧ .
- ⁴³ - Mcintosh , J.R. , Ancient Mesopotamia , p. 228 .
- ⁴⁴ - Ibid , p. 226 ;
- بيلافسكي ، ف.آ. ، أسرار بابل ، ترجمة : رؤوف موسى جعفر الكاظمي ، ط١ ، (بغداد ، ٢٠٠٨) ، ص ٢٤٧ ، ص ٢٨١
- ⁴⁵ - Bayliss , M., " The Cult of Dead Kin in Assyria and Babylonia " , Iraq , Vol. 35 , No. 2 , (London , 1973) , p. 120 .
- ⁴⁶ - Katz, D., " Sumerian Funerary Rituals..., p. 180 .
- ⁴⁷ - Jastrow , M., " The Religion of Babylonia ... , p. 579 , p. 602 – 603 ; læssøe , J., Studies on the Assyrian Ritual and Series Bît Rimki , (København , 1955) , p. 13.
- ^{٤٨} - بيلافسكي ، ف.آ. ، أسرار بابل ، ص ٣٢٥ .
- ^{٤٩} - إن هذا الوصف يشير إلى الشخص التائه في بلاد لا يعرفها ، إما **arali** فهي صحراء واقعة بين أوروك (الوركاء) وبادتيرا (تلؤل المدينة) . يُنظر :
- Cohen , A. C. , " Death Rituals , Ideology , and The Development of Early Mesopotamian Kingship , Toward a New Understanding of Iraq's Royal Cemetery of Ur " , Ancient Magic and Divination , Vol. VII , (Leiden , 2005) , pp 76-77 .
- ⁵⁰ - Ibid , p. 77 .
- ⁵¹ - Ibid , p. 76 .
- ⁵² - Seaquist , C. , " Ritual Individuation and Ritual Change " , Method and Theory in The Study of Religion , Vol. 21 , No. 3 , (The Netherlands , 2009) , pp. 354-355 .
- ⁵³ - Langdon , S. H. , The Mythology of all Races , Vol. V , (New York , 1964) , p.262 ;
- دالي ، ستيفاني ، أساطير من بلاد ما بين النهرين الخليفة الطوفان.كلكامش.وغيرها ، ترجمة: نجوى نصر ، ط٢ ، (بيروت ، ٢٠١١) ، ص ١٦٩ .
- ⁵⁴ - Ellison , E. , A Study of Diet in Mesopotamia (C. 3000-600BC) and Associated Agricultural Techniques and Methods of Food Preparation , (London , 1978) , p. 270 .
- ⁵⁵ - Benzel , K. and Others , Art of the Ancient Near East , (New York , 2010) , p. 43 .
- ^{٥٦} - حنون ، نائل ، عقائد ما بعد الموت...، ص ٢٨٥ .
- ⁵⁷ - Katz, D., " Sumerian Funerary Rituals ..., p. 167 , p.180 .
- ⁵⁸ - Ibid , p.174 .
- ⁵⁹ - Ibid , p. 178 .
- ^{٦٠} - حنون ، نائل ، عقائد ما بعد الموت...، ص ٢٨٤ .
- ⁶¹ - Benzel , K. and Others , Art of the Ancient..., p. 43 .
- ⁶² - Katz, D., " Sumerian Funerary Rituals..., p. 169 .
- ⁶³ - Ibid , p. 170 .
- ⁶⁴ - Scurlock , J., " Soul Emplacements in Ancient Mesopotamian Funerary Rituals " , Ancient Magic and Divination , Vol. II , (Leiden , 2002) , p. 1 ; George , A., The Epic of Gilgamesh A New Translation , (London , 1999) , p. 65 .
- ⁶⁵ - Ristvet , L. Ritual Performance and Politics in The Ancient Near East , (United Kingdom , 2015) , p. 93 .

- ⁶⁶ - Veldhuis , N., " The Solution of the Dream : A New Interpretation of Bilgames Death " , JCS , Vol. 53 , (New Haven , 2001) , p. 146 ;
- دالي ، ستيفاني ، أساطير من بلاد ... ، ص ١٥٥ .
- ⁶⁷ - Black , J. and Green , A. , Gods , Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia , (London , 1998) , p. 28 .
- ⁶⁸ - Scurlock , J., " Soul Emplacements ..., p. 2 .
- ⁶⁹ - Katz, D., " Sumerian Funerary Rituals..., p. 178 .
- ⁷⁰ - Ibid , p. 169 .
- ^{٧١} - ساكز ، هاري ، قوة آشور ، ص ١٦٩ ؛ بيلافسكي ، ف . آ . ، أسرار بابل ، ص ٣٠٧ .
- ⁷² - Black , J. and Green , A. , Gods , Demons ..., p. 117 ;
- بوتس ، دانيال تي ، حضارة وادي الرافدين الأسس المادية ، ترجمة : كاظم سعد الدين ، ط ١ ، (بغداد ، ٢٠٠٦) ، ص ٣٣٠ .
- ⁷³ - Bayliss , M., " The Cult of Dead ... , p. 116 .
- ⁷⁴ - Saggs , H.W.F., Everyday Life in Babylonia and Assyria, (London , 1965) , p. 53 .
- ^{٧٥} - الشبح المنسي هو في اللغة الأكديّة **pāqidu** باقيدو أي روح الشخص الذي لا يكون له أحد يعتني به .
يُنظر :
- CDA , 264 .
- ⁷⁶ - Halloran , J.A., Sumerian Lexicon A Dictionary Guide to The Ancient Sumerian Language , (Los Angeles , 2006) , p. 141 .
- ⁷⁷ - CDA , p. 161 .
- ⁷⁸ - Bottéro , J., The Oldest Cuisine in the World Cooking in Mesopotamia , (Chicago and London , 2004) , p. 119 ; CDA , p. 150 .
- ⁷⁹ - Seaquist , C. , " Ritual Individuation ..., p. 342 .
- ⁸⁰ - Lenzi , A. , " Reading Akkadian..., p. 133 .
- ^{٨١} - بوتيرو ، جان ، بلاد الرافدين الكتابة ... ، ص ٣٤٨ .
- ⁸² - Bottéro , J., The Oldest Cuisine ... , p. 119 .
- ^{٨٣} - حسين ، إيمان لفته ، " الطقوس الجنائزية ... ، ص ٢١٩ ؛ حنون ، نائل ، عقائد ما بعد الموت ... ، ص ٢٨٤ .
- ^{٨٤} - بوتيرو ، جان ، بلاد الرافدين الكتابة ... ، ص ٣٤٩ .
- ⁸⁵ - CDA , p. 241 .
- ⁸⁶ - Lenzi , A. , " Reading Akkadian..., p. 133 .
- ^{٨٧} - حنون ، نائل ، عقائد ما بعد الموت ... ، ص ٢٨٨ .
- ^{٨٨} - المصدر نفسه ، ص ٢٧٨ .
- ⁸⁹ - Scurlock , J., " Soul Emplacements ..., p. 2 .
- ⁹⁰ - Ibid , p. 3 .
- ⁹¹ - Katz, D., " Sumerian Funerary Rituals..., pp. 172-173 .
- ⁹² - Ibid , p. 168 . ; Cohen , A. C. , " Death Rituals ..., p. 71 .
- ⁹³ - Katz, D., " Sumerian Funerary Rituals..., p. 169 .
- ^{٩٤} - ساكز ، هاري ، قوة آشور ، ص ٣٠٦ .
- ⁹⁵ - Ristvet , L., "Travel and the Making of North Mesopotamian Polities ". Bulletin of the American Schools of Oriental Research , No. 361 , (Boston , 2011) , p. 15 .
- ^{٩٦} - حنون ، نائل ، عقائد ما بعد الموت ... ، ص ٢٨٦ .
- ^{٩٧} - المصدر نفسه ، ص ٢٨٧ .
- ⁹⁸ - Lambert , W.G., " Another Look at Hammurabi's Ancestors " , JCS , Vol. 22 , No. 1 , (New Haven , 1968) , p.1 ; Bottéro , J., The Oldest Cuisine ... , p. 120 .

- ⁹⁹ - Veldhuis , N., " The Solution of the Dream..., p. 146 .
- ¹⁰⁰ - Ibid , p. 135 , p. 142 .
- ¹⁰¹ - Katz, D., " Sumerian Funerary Rituals..., p. 176 .
- ^{١٠٢} - باقر ، طه ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج ١ ، ط ١ ، (بيروت ، ٢٠٠٩) ص ٤٩١ - ٤٩٢ .
- ¹⁰³ - Whiting , R. M. , JR. , " Old Babylonian Letters..., p. 50 .
- ¹⁰⁴ - Ibid , p. 60 .
- ^{١٠٥} - حنون ، نائل ، عقائد مابعد الموت ...، ص ٢٧٣ .
- ^{١٠٦} - لابات ، رينيه ، المعتقدات الدينية ...، ص ٣٩٣ .
- ^{١٠٧} - حنون ، نائل ، عقائد ما بعد الموت...، ص ٣٠٢ .
- ¹⁰⁸ - Whiting , R. M. , JR. , " Old Babylonian Letters..., p. 60 .
- ^{١٠٩} - بوتيرو ، جان ، بلاد الرافدين الكتابة ...، ص ٣٤٩ .
- ¹¹⁰ - Cohen , A. C. , " Death Rituals ..., p. 106 .
- ¹¹¹ - Mackenzie , D. A., Myths of Babylonia and Assyria , (London , 1915) , p. 154 .
- ¹¹² - Katz, D., " Sumerian Funerary Rituals ... , p. 167 .
- ¹¹³ - Bottéro , J., The Oldest Cuisine ... , p. 118 .
- ¹¹⁴ - CDA , p. 25 .
- ^{١١٥} - بوتيرو ، جان ، بلاد الرافدين الكتابة ...، ص ٣٤٩ ؛
- Bottéro , J., The Oldest Cuisine ... , p. 118 .
- ¹¹⁶ - Katz, D., " Sumerian Funerary Rituals ... , p. 168 .
- ^{١١٧} - حنون ، نائل ، عقائد ما بعد الموت...، ص ٢٨٠ ؛
- Katz, D., " Sumerian Funerary Rituals ... , p. 168 .
- ¹¹⁸ - Ibid , p. 179 .
- ¹¹⁹ - Jastrow , M., " The Religion of Babylonia ... , p. 599 .
- ¹²⁰ - Ibid , p. 605 ; Black , J. and Green , A., Gods , Demons ..., p. 58
- ¹²¹ - King , L.W. , " Babylonian religion..., p.47 .
- ¹²² - Jastrow , M., " The Religion of Babylonia ... , p. 605 .
- ¹²³ - Ibid , p. 682 .
- ^{١٢٤} - يتم تأليف المراثي التي تتلى بعد وفاة شخص معين ضمن لهجة عُرفت بـ (**emesal**) إيمي سال وهي لهجة خاصة بالنساء تستعمل في النصوص الأدبية ومنها المراثي . يُنظر :
- Stol , M. " Women in Mesopotamia " , Journal of the Economic and Social History of the Orient , Vol. 38 , No. 2 , (The Netherlands , 1995) , p. 124 .
- ¹²⁵ - Kramer , S. N., " The Weeping Goddess : Sumerian Prototypes of the Mater Dolorosa " , BiAR , Vol. 46 , No. 2 , (New Haven , 1983) , p. 73 .
- ¹²⁶ - Cohen , A. C. , " Death Rituals ..., p. 52 .
- ^{١٢٧} - حسين ، إيمان لفته ، " الطقوس الجنائزية ... ، ص ٢٢٩ .
- ^{١٢٨} - كريم ، صموئيل نوح ، السومريون تاريخهم حضارتهم وخصائصهم ، ترجمة : فيصل الوائلي ، ط ١ ، (بيروت ، ١٩٧٣) ، ص ٢٩٦ .
- ¹²⁹ - Cohen , A. C. , " Death Rituals ..., p. 50 .
- ^{١٣٠} - ساكز ، هاري ، قوة آشور ، ص ٣٠١ .
- ^{١٣١} - الماجدي ، خزعل ، كتاب إنكي الأدب في وادي الرافدين ، ج ١ ، ط ١ ، (بيروت ، ٢٠١٣) ، ص ٢٢٢
- ^{١٣٢} - الأسود ، حكمت بشير ، حضارة بلاد الرافدين ...، ص ٢٣٠ .

- ١٣٣ - المصدر نفسه ، ص ٢٢٥ .
- 134 - McIntosh , J.R. , Ancient Mesopotamia , p. 203 .
- 135 - Alster , B., " Geštinanna as Singer and the Chorus of Uruk and Zabalam " , JCS , Vol. 37 , No. 2 , (New Haven , 1985) , p. 228 .
- 136 - McIntosh , J.R. , Ancient Mesopotamia , p. 226 .
- 137 - Jastrow , M., " The Religion of Babylonia ... , p.576 .
- ١٣٨ - الأسود ، حكمت بشير ، حضارة بلاد الرافدين...، ص ١٩٧ .
- 139 - Katz, D., " Sumerian Funerary Rituals..., p. 181 .
- 140 - McIntosh , J.R. , Ancient Mesopotamia , p. 226 .
- ١٤١ - بوتس ، دانيال تي ، حضارة وادي الرافدين ... ، ص ٣٢٢ .
- ١٤٢ - دالي ، ستيفاني ، أساطير من بلاد ...، ص ١٦٥ .
- ١٤٣ - عبد الواحد ، فاضل وسليمان ، عامر ، عادات وتقاليد الشعوب القديمة ، (بغداد ، ١٩٧٩) ، ص ١٦٣ - ١٦٤ .
- ١٤٤ - دالي ، ستيفاني ، أساطير من بلاد ...، ص ١٦٦ .
- ١٤٥ - حنون ، نائل ، عقائد مابعد الموت ...، ص ٢٩٤ .
- 146 - George , A., The Epic of Gilgamesh ... , p. 63 ;
- دالي ، ستيفاني ، أساطير من بلاد ...، ص ١٦٢ - ١٦٣ .
- ١٤٧ - المصدر نفسه ، ص ١٦٤ .
- ١٤٨ - حنون ، نائل ، عقائد مابعد الموت ...، ص ٢٩٤ .
- ١٤٩ - كونتينو ، جورج ، الحياة اليومية ...، ص ٤٩٢ .
- ١٥٠ - المصدر نفسه ، ص ٤٩٣ .
- ١٥١ - حنون ، نائل ، عقائد مابعد الموت ...، ص ٢٩٨ - ٢٩٩ .
- ١٥٢ - أبن منظور ، لسان العرب ، تحقيق : عبدالله علي الكبير و محمد احمد حسب الله و هاشم محمد الشاذلي وسيد رمضان احمد ، ج ٤٥ ، باب اللام ، (القاهرة ، ١٩٨١) ، ص ٤٠٣٧ .
- 153 - Veldhuis , N., " The Solution of the Dream..., p. 146 .
- ١٥٤ - الأسود ، حكمت بشير ، حضارة بلاد الرافدين...، ص ١٩٣ .
- ١٥٥ - المصدر نفسه ، ص ١٩٤ .
- 156 - McIntosh , J.R. , Ancient Mesopotamia , p. 225 .
- 157 - Jeremias , A., The Babylonian Conception of Heaven and Hell , No.IV , (London , 1902) , p. 11 ff.
- 158 - Cohen , A. C. , " Death Rituals ..., p. 49 .
- 159 - Ibid , p. 46.
- ١٦٠ - دالي ، ستيفاني ، أساطير من بلاد ...، ص ١٦٥ .
- 161 - George , A., The Epic of Gilgamesh ... , p. 63 ff. ;
- حنون ، نائل ، عقائد مابعد الموت ...، ص ٣٠٠ .
- ١٦٢ - لابات ، رينيه ، المعتقدات الدينية ...، ص ٤٢٨ .
- ١٦٣ - الماجدي ، خزعل ، كتاب إنكي ...، ص ١٧٦ .
- 164 - Cohen , A. C. , " Death Rituals ..., p. 47 .
- ١٦٥ - حنون ، نائل ، عقائد مابعد الموت ...، ص ٢٧٣ .
- ١٦٦ - المصدر نفسه ، ص ٢٩٣ .

- ^{١٦٧} - علي ، فاضل عبد الواحد ، من الواح سومر إلى التوراة ، ط ١ ، (بغداد ، ١٩٨٩) ، ص ٣٤٦ .
- ^{١٦٨} - Cohen , A. C. , " Death Rituals ... , p.47 .
- ^{١٦٩} - باقر ، طه ، ملحمة كلكامش ، (بغداد ، ١٩٧١) ، ص ١٠٦ .
- ^{١٧٠} - حنون ، نائل ، عقائد ما بعد الموت ... ، ص ٢٩٤ .
- ^{١٧١} - المصدر نفسه ، ص ٢٩٥ .
- ^{١٧٢} - بوتس ، دانيال تي ، حضارة وادي الرافدين ... ، ص ٣٢٤ .
- ^{١٧٣} - الأسود ، حكمت بشير ، حضارة بلاد الرافدين...، ص ٢٠٣ ؛ حنون ، نائل ، عقائد ما بعد الموت ... ، ص ٢٨٥ .
- ^{١٧٤} - دالي ، ستيفاني ، أساطير من بلاد ... ، ص ١٧٨ .
- ^{١٧٥} - McIntosh , J.R. , Ancient Mesopotamia , p. 225 ; Jastrow , M., " The Religion of Babylonia ... , p.604 .
- ^{١٧٦} - Katz, D., " Sumerian Funerary Rituals..., p. 174 .
- ^{١٧٧} - بوتس ، دانيال تي ، حضارة وادي الرافدين ... ، ص ٣٢٢ .
- ^{١٧٨} - الأسود ، حكمت بشير ، حضارة بلاد الرافدين...، ص ١٩٣ .
- ^{١٧٩} - Jastrow , M., " The Religion of Babylonia ... , p. 682 .
- ^{١٨٠} - Bayliss , M., " The Cult of Dead ... , p. 120 ff .
- ^{١٨١} - بوتس ، دانيال تي ، حضارة وادي الرافدين ... ، ص ٣٣٣ ؛
- McIntosh , J.R. , Ancient Mesopotamia , p. 224 .
- ^{١٨٢} - بوتيرو ، جان ، بلاد الرافدين الكتابة ... ، ص ٣٤١ .
- ^{١٨٣} - ساكز ، هاري ، قوة آشور ، ص ١٦٥ .
- ^{١٨٤} - CDA , p. 84 .
- ^{١٨٥} - Halloran , J.A., Sumerian Lexicon ... , p.81 .
- ^{١٨٦} - McIntosh , J.R. , Ancient Mesopotamia , p. 226 .

الزمان والمكان في المشاهد الفنية على الرسوم الجدارية

أ.م.د. قصي صبحي عباس الجميلي
فاتن منصور محمد الغانمي

الزمن والمكان في المشاهد الفنية على الرسوم الجدارية

أ.م.د. قصي صبحي عباس الجميلي

فاتن منصور محمد الغانمي

المقدمة:

شهدت بلاد الرافدين منذ أولى الحضارات التي نشأت على أرضها في المناطق الجبلية أو المناطق السهلية أو التي شُيّدت على ضفاف نهري دجلة والفرات تطورات كثيرة وواسعة ليس فقط في الرقعة الجغرافية وأماكن الأستيطان فحسب بل في ميادين كثيرة شملت مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية والأقتصادية والسياسية وقدمت تنوعاً في النتاجات المعمارية والفنية كالنحت والمسلات والالواح الحجرية والرسوم الجدارية موضوعة بحثنا .

إن تاريخ الرسوم الجدارية في العصور الحجرية والتي ترجع بالتحديد الى العصر الحجري القديم الاعلى وتحديداً العصر المجدليني بحدود (١٧٠٠٠-١٢٠٠٠ ق.م)، إذ ظهرت نماذج الرسوم في الكهوف التي أكتشفت في جدران كهوف لاسكو وكهف أبو وكهف فون دي كوم في فرنسا، وكهف التاميرا في أسبانيا، والتي غالباً ما تمثل مشاهد الحيوانات التي كان الإنسان القديم يصطادها في تلك المدة الزمنية والتي أعتمد فيها نمط عيشه على الصيد والجمع والالتقاط^(١)، كما مثّل الحيوانات وهو يصطادها بالرمح أو السهم وهذا على الأرجح يعكس لنا رغبته في إظهار سيطرته على هذه الحيوانات لأن بعضها مخيف يهدده بالفناء، وهي في الوقت نفسه تعكس لنا صور واقعية عن جانب من حياة الإنسان القديم في صراعه مع الطبيعة والتي يشكل الحيوان جزءاً مهماً منه^(٢) .

وكان لابد لنا قبل الحديث عن اهم المشاهد التي تمثل الزمان والمكان في المشاهد الفنية على الرسوم الجدارية ان نعرف الزمان والمكان وتعريف الرسم الجداري:

الزمن لغةً وأصطلاحاً:

الزمن لغةً: يُعرف الزمن في اللغة السومرية بالكلمة (UL) يقابلها في اللغة الأكديّة الكلمة (šātu) بمعنى زمن ماضي^(٣) .

كما عرفه كلاً من ابن منظور، والفيروز آبادي بأنه: «أسم لقليل الوقت وكثيره. وزمن زامن: شديد. وأزمن الشيء: طال عليه الزمان، والأسم من ذلك الزمن والزمنة، عن أبي الأعرابي. وأزمن بالمكان: أقام به زماناً، ومزامنة وزماناً من الزمن يقع على الفصل من فصول السنة وعلى مدة ولاية الرجل وما أشبهه. ويجمع الزمن بأزمان وأزمنة»^(٤) .

أما الزمن عند أبراهيم أنيس فهو: «زَمَنٌ وزُمنة، وزَمَانَةٌ: مَرَضٌ مرضاً يدوم زماناً طويلاً وضعف بكبر السن أو مطاولة علة. فهو زَمَنٌ و زَمِنٌ. والشَّيْء طال عليه الزمن. يقال مرضٌ مزمنٌ، وعلة مزمنة. ويقال أزمَن عنه غطاؤه: أَبْطَأ وأطال زمنه. (زَمَنَهُ) مزامنة، وزماناً: عامله بالزمن»^(٥).

الزمن: المدة الواقعة بين حادثتين أولهما سابقة والأخرى لاحقة، ومنه زمان الحصاد، وزمان الشباب، وزمان الجاهلية، وجمع الزمان أزمنة، نقول السنة أربعة أزمنة، أي أقسام وفصول، ونقول أيضاً: الأزمنة القديمة، والأزمنة الحديثة^(٦).

الزمن اصطلاحاً: الزمن اللغوي: صيغ تدل على وقوع أحداث في مجالات زمنية مختلفة من حيث كونها صيغاً ذات دلالات زمنية. والزمن الطبيعي أو الفلكي أو الاصطلاحي: فهو ما أقره الإنسان في مجتمعه من وحدات زمنية اختيارية اصطلاحية، أصطنعها العلم من أجل تنظيم خبرة الإنسان، التي قسمها إلى وحدات السنين والشهور والأسابيع والأيام والساعات والدقائق والثواني^(٧).

الزمن عند الفلاسفة:

اختلف مفهوم الزمن عند الفلاسفة اليونان منهم (أنكسيماندرس)^(٨) الذي وجد أن: «الزمن له السلطة والتحكم من خلال الأنحلال والعودة إلى التكوين من جديد لأن المادة متناهية، والوجود لا يبدأ ولا ينتهي»^(٩). أما (هيراقليطس)^(١٠) فقد أكد «ان فكرة التغيير وعدم الثبات التي يخضع لها الكون، فكل شيء في حالة تغير مستمر»^(١١).

أما (بارمنيدس)^(١٢) يجد أن: «الزمن هو دائم أزلي ليس له ماضٍ أو بداية ونهاية. أما (أفلاطون)^(١٣) ربط الزمن الذي هو صورة للنموذج بالحركة والمتحركات، فالزمن هو ماضي ومستقبل، والحاضر هو حركة الماضي باتجاه المستقبل^(١٤).

وكذلك ربط (أرسطو)^(١٥) الزمن بالتغيير، فالأحاساس بالتغيير يُولد إحساساً بالزمن وهو متصل^(١٦). ومن الفلاسفة من يعرفه بأنه جوهر مجرد عن المادة، لا جسم مقارن لها، ولا يقبل العدم لذاته، فيكون واجباً بالذات، إذ قال عنه (أفلاطون) بأنه: «أن في عالم الأمر جوهرًا أزلياً، يتبدل، ويتغير، ويتجدد، وينصرم، بحسب النسب والأضافات إلى المتغيرات، لا بحسب الحقيقة والذات وذلك الجوهر باعتبار نسبة ذاته الى الأمور الثابتة يسمى سرمدياً، وإلى ما قبل المتغيرات يسمى دهرًا وإلى مقارنتهما يسمى زماناً». أما (أرسطو) فيقول عنه: «أنه كم متصل لهيئة غير قارة هي الحركة»^(١٧).

المكان لغةً وأصطلاحاً:

المكان لغةً: عُرف المكان باللغة السومرية بالكلمة (KI) يقابلها في اللغة الأكديّة الكلمة (eršetu) ^(١٨) بمعنى أرض، وأيضاً ورد المصطلح السومري (KI.ÚS.SA) يقابلها باللغة الأكديّة الكلمة (makānu) وهي قريبة من كلمة مكان باللغة العربية لفظاً ومعنى ^(١٩).

حمل معنى المكان في القرآن الكريم عدة مواضع كقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرِيفًا﴾ ^(٢٠) أي موضعاً ومكاناً بعيد عن أهلها، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ شَرُّ مَكَانًا وَأَصْلٌ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ ^(٢١). وأما أن يأتي بموضع بدل مثل قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ^(٢٢).

كما عُرفت كلمة مكان في كلاً من المعجمات الآتية المنجد والمعجم الوسيط والمعجم الصافي بكلمة: تمكّن وجمعها أمكنة وأماكن: بأنها الموضع ^(٢٣).

تجلى المكان عند المعجميين في حياتهم لما يشكله من أهمية، فقد ذكر بأنه: مكان الإنسان وغيره والجمع أمكنة، ولفلان مكانة عند السلطان، أي منزلة، ورجل مكين من قوم مكنا عند السلطان، فيلاحظ تفعيل المكان بعلاقته بالإنسان ^(٢٤) كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ ^(٢٥) و ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ^(٢٦).

المكان اصطلاحاً: يأتي المكان بمعنيين الأول: يقال مكان لشيء يكون فيه الجسم محيطاً به، والثاني: يقال مكان لشيء يعتمد عليه الجسم فيستقر عليه، والمكان الذي يتكلم فيه الطبيعيون هو الأول، وهو حاوٍ للممكن، مفارق له عند الحركة ومساوٍ له ^(٢٧).

توجد لكلمة المكان كثير من الدلالات وقد اقتحمت الكثير من الميادين المعرفية العلمية والثقافية والأدبية، وأيضاً في الفيزياء فقد أكد العلماء على كون المكان متحركاً فيكون ذاتياً لا واقعياً. أما في الهندسة فهو وسط غير محدود يشتمل على الأشياء وهو متصل ومتجانس لا تمييز بين أجزائه وذو ابعاد ثلاثة وإذا جُمع بين الزمان والمكان في تصور واحد نشأ عنهما مفهوم جديد هو المكان الزماني ^(٢٨).

المكان عند الفلاسفة:

يختلف بعض الفلاسفة في مفهومهم للمكان، إذ إتخذ بُعداً فلسفياً، ويُعده (أفلاطون) وهو أول من صرح به حاوياً وقابلاً للشيء كما أخذ الفلاسفة بعده بالأهتمام به فقد عده (أرسطو) خمسة أشياء مشتملة على الطبائع جميعها وهي: العنصر، والصورة، والمكان، والحركة والزمان، وعد المكان عرضاً لا جوهرًا، واستنتج من مفهومه للمكان على أنه الحدود الداخلية غير المتحركة للشيء المحتوى ^(٢٩).

يُحاول الفرد الحديث أن يعين أسباباً ذات علاقات وظيفية معنوية بين الظواهر الطبيعية فإنه بذلك يظهر صورة للمكان على أنه نظام من العلاقات والوظائف، فيفترض بأنه غير محدود، ومستمر ومتجانس وهذه الصفات لا تُعرف بمجرد الإدراك الحسي وقد عجز الفكر البدائي عن استخلاص فكرة للمكان من تجربته، إذ كانت الصور الذهنية للمكان لدى الإنسان البدائي هي صور مظاهر محسوسة تشير إلى مواقع لها لون عاطفي^(٣٠).

فالمكان عند (أفلاطون): «هو كالمادة الأولى مستودع كلي للأشياء، شيء دائم الحركة، قابل للأشياء، فكأنه مادة رخوة لزجة لكل طبيعة تحركه الأشياء الداخلة، وتكيفها بأشكالها وهيئاتها». أي أن المكان محل أو قابل للشيء، وهذا يعني أن المكان عند أفلاطون لا يعدو أن يكون أكثر من المسافة الممتدة والحاوية العامة للكائنات المحسوسة. وهو باقٍ ببقاء الزمان والسماء، ومرتبطة مصيره بمصيرها^(٣١). وأيضاً: «يرتبط المكان في وجوده الحسي بأصوله الأولى فهو ثابت، نسبة إلى صورته في عالم المثل، ومحل التغير والحركة في العالم المحسوس عالم الظواهر غير الحقيقي»^(٣٢).

وعند (أرسطو) فهو: «عنصراً متواصلاً مع المادة المتمكنة فيه، فالمكان موجود ما دما نشغله ونتميز فيه، ويمكن إدراكه عن طريق الحركة التي أبرزها النقلة من مكان إلى آخر»^(٣٣).

يشير (نيوتن) بنظريته إلى التمييز بين ما يسمى المكان النسبي الذي يمكن أن تمتد فيه موضوعات الإدراك الحسي، وما يسميه (المكان المطلق أو الرياضي) وهو الذي له وجوده الواقعي دون أن يوجد به أي شيء جزئي والذي يبقى دائماً متجانساً ثابتاً، ويميز ما يسميه الزمن النسبي الذي يمكن أن تدوم به الأشياء المادية والحوادث العقلية. والزمان والمكان المطلقان أكثر أهمية لنيوتن من الزمان والمكان النسبيين إذ أنه للزمان والمكان المطلقان وجود موضوعي مستقل لا يعتمد وجودهما علينا^(٣٤).

يرى الفيلسوف (كنت أو كنط)^(٣٥): «أن الزمان والمكان مصدرهما أنساني ينبعان من القرارة الحسية في جانبهما القبلي ومن ثم ذاتيان، وعلى الرغم من ذلك ليسا من خلق العقل وإنما لهما وجودهما الموضوعي خارجاً عن الذات»^(٣٦).

كما يرى (برادلي)^(٣٧): «أن المكان نفسه لا يمكن أن يكون لأنه لو كان كذلك لصارت العلاقة تمثل مكاناً ثابتاً بين مكانين وهذا يصعب تحقيقه لذلك فالعلاقة ليست مكاناً وإنما هي التي تربط بين الأمكنة»^(٣٨).

أما بالنسبة للزمن فقد أستنتج (برادلي) سبيل المكان فقرر أن الزمن يتضمن العلاقات وأن كانت علاقات الزمن تختلف إذ يتألف الزمن من علاقتي القبل والبعد وهما عنصران ذاتيان مضافة للزمن لكنها غير موجودة في العالم الطبيعي، وأنهما لا يلتقيان كذلك، لذلك هما يمتلكان التنوع والاختلاف ولكن توجد علاقة تربط بينهما واعتماداً على هذه العلاقة يستمر الزمن بالتدفق^(٣٩).

ويرى (الكسندر)^(٤٠) الذي يعارض رأي (برادلي): «أن الزمان والمكان أسبق من الأشياء، ويعدهما الأرحام التي تتكون منها الأشياء الموجودة والأحداث، وهي الوسط الذي يلقى بالأشياء والأحداث وفيها تتبلور، وعند النظر إلى كلٍ منها على حدة لوجد أن أجزائها لا يتميز بعضها من بعض إذ أنها متجانسة لكن لكل نقطة في المكان تتحدد وتتميز بأن في الزمان، وكل آن من الزمان يتحدد بموضعه في المكان». ومعنى هذا أن الزمان والمكان كلاهما معاً يكونان وحدة واحدة وحقيقة واحدة، وهي متصل لا نهائي من الحوادث المحصنة أو الآتات النقط^(٤١).

الرسم لغةً وأصطلاحاً:

الرسم لغةً: هو رَكِيَّة تدفنها الأرض، الأثر، أو بَقِيَّتُهُ، أو ما لا شخص له من الآثار، جمعها أرْسَمَ ورُسُومٌ. وترسَم: نظر إليها. ورَسَمَ الغيث الدَّيَّار: عَقَّاهَا، وأبقى أثرها لاصقاً بالأرض^(٤٢).
رَسَمَ وأرْسَم الناقاة: جعلها ترسم في سيرها. ترَسَمَ الدار: تأملها ونظر إلى رسومها. والرسم: حُسن المشي. رَسَمَ - رسماً على كذا: كتب وخطَّ. رسم الثوب: خطَّطه .
رسوم: تمثيل الأشياء، أو الأشخاص، أو المناظر الطبيعية، أو المناظر القروية بقلم الرصاص أو بريشة المصور. الرسام: النقاش^(٤٣).

رسم: الرسم: الأثر: وقيل هو ما لصق بالأرض منها. ترَسَمَ الرسم: نظر إليه. ترَسَمْتُ المنزل: تأملت رسمه وتفرسته. ثوب مُرْسَم: مخطط^(٤٤).
وفي المنطق الرسم هو تعريف الشيء، بخصائصه وأعراضه اللازمة^(٤٥).

الرسم اصطلاحاً: الرسم الجداري (Mural Painting): يُعرَّف بأنه زخرفة مسطحة تستخدم مباشرة على جدار أو سقف داخلي، وهو مصطلح يشمل الكثير من تقنيات الرسم المنفذ على الجدران والسطوح الصلبة^(٤٦).

وهو لغة بصرية إبداعية يستخدمها الإنسان للتعبير عن أحاسسه وأفكاره، ومن الباحثين من يرى تأديتها بدافع فني وغريزي أو سحري^(٤٧).

وهو تعريف الشيء بخصائصه وأعراضه اللازمة ومنه:
بياني: وسيلة للتعبير عن الظواهر والعلاقات المجردة بأشكال هندسية.

تخطيطي: رسم إجمالي لا تراعى فيه التفاصيل وأن تراعى فيه النسب الموضعية للأجزاء المختلفة.
دراسي: صورة تؤخذ لجسم حي أو منظر لدراسته من حيث الوضع والهيئة واللون، وما إلى ذلك من أحكام التصوير وأصوله.

تظليلي: ينقل الخطوط والظلال معاً^(٤٨).

يرجع أقدم نموذج للرسوم الجدارية في بلاد الرافدين إلى بداية العصر الحجري الحديث، إلى دور حسونة^(٤٩) ما يقارب (٥٦٠٠ ق.م)، وهو يمثل رسوم حيوانات الأونكر على جدران أحد المخازن، وعُثر

على رسوم هذه الحيوانات على جدران أحد المخازن التي تقع في موقع أم الدباغية^(٥٠) بالقرب من مدينة الحضر، ينظر شكل رقم (١ أ- ب)، إذ يظهر عدد من حيوانات الأونكر وهو من الحيوانات المنقرضة والذي يطلق عليه (الحمار الوحشي)، وهو منفذ باللون الأحمر على أرضية صفراء فاتحة، وفي المشهد تظهر أيضا رسوم بطريقة بدائية تمثل مثلثات وخطوط متموجة أو حلزونية وكأنها صورة لهذه الحيوانات التي تجوب هذه المنطقة، وهناك الطيور التي تحوم فوقها وأحداث مناطق من الخطوط المتموجة التي بالإمكان أن تكون تمثيلات لحلزونات أرضية، وطيور بالإمكان أن تكون مُثلت بعد الصيد حول نطاق القرية^(٥١).

وعُثر على رسوم جدارية في تل العقير^(٥٢) في المعبد الملون وهو الذي أُقيمت جدرانه فوق أرضية مسيعة بالقار فوق مصطبة^(٥٣).

زُيّنت جدران المعبد من الداخل بنقوش ملونة باصباغ مائية فوق ملاط طيني رقيق، غير أن تلك النقوش قد أُنمحت معالم بعضها بسبب تسرب مياه الأمطار إليها من السطح، ينظر شكل رقم (٢)، والمتبقي من هذا الرسم يمثل مشهد لأثنين من الفهود الأول يظهر بوضعية تأهب للنهوض، إذ تظهر القوادم بحالة وقوف، والخلفية بحالة جلوس، ويظهر الذنب مرتفعاً إلى الأعلى مفتوح الفم، أما الاسد الثاني فيظهر بوضعية اضطجاع مفتوح الفم والذنب ممتد مع الجسم^(٥٤).

وقد رمز الفهد المرقط إلى الإله أنو **Anu** رئيس الآلهة في بلاد الرافدين فهو يرمز إلى السماء المرقطة بالكواكب والنجوم^(٥٥).

أشتهر العصر البابلي القديم ما يقارب (٢٠٠٦-١٥٩٥ ق.م) بين كل العصور التاريخية بنتاج غزير في فن الرسوم الجدارية ويكاد قصر الملك زمريلم في مدينة ماري^(٥٦) أن يكون المصدر الوحيد لهذا العدد الكبير من الجداريات المنفذة بالألوان التي سنأتي على ذكرها في المبحث القادم بشي من التفصيل^(٥٧).

أنتشرت في الأجنحة الإدارية المشاهد الدينية والحربية ومشاهد الحياة اليومية في مظاهرها المتواضعة، ويحدد (أندريه بارو) الذي كشف عن هذه الرسوم القيمة تاريخها بالقرن الثامن عشر قبل الميلاد، وبما أن قصر ماري هو مجموعة ضخمة من المباني أُنشئت على مر بضع قرون، إذ تعود المنحوتات التي أُنشئت به إلى قرون مختلفة^(٥٨).

أما الرسوم الجدارية فقد أُلُف جزء كبير منها بسبب تأثيرات الطبيعة، غير أن ما موجود منها تم جمعه يبين أنه رسم جداري مُطَوَّل^(٥٩).

استمر الفنانون في بلاد الرافدين بتنفيذ الرسوم الجدارية في مختلف العصور اللاحقة، فقد عُثر على بقايا لرسم جداري في نهاية العصر الكاشي أو الكاشي ما يقارب (١١٥٧-١٥٩٥ ق.م)، في عهد حكم الملك مردوك-أبال-أدينا، الذي يمثل اشخاصا سائرين^(٦٠).

أما العصر الآشوري الوسيط بحدود (١٥٠٠-٩١١ ق.م)، وفي عهد الملك توكلتي ننورتا الأول فقد كانت الرسوم الجدارية قليلة جداً، إذ وجد رسم جداري عُثر عليه على الجانبين الشمالي والجنوبي لدكة القصر يُبين غزالين متقابلين يقفان على سعفتين تمتدان من نخلة إلى اليمين واليسار^(٦١).

أما الرسم الجداري في عصر الملك تجلات بلاسر الأول (١١١٤-١٠٧٦ ق.م)، فقد وصلنا من مقر الملك في تل بارسيب^(٦٢) يمثل مناظر أستقبال للحكام الخاضعين لسلطانه وتقديم الهدايا^(٦٣). وكذلك وصلنا رسم جداري منفذ على جدار في القاعة رقم (١٢) في القصر المرقم (K) في خرسباد^(٦٤) يمثل الموضوع الأساس وهو تقديم الطاعة من قبل الملك للإله آشور^(٦٥).

طريقة تنفيذ الرسم الجداري:

إن أقدم نموذج للرسوم الجدارية في بلاد الرافدين هو في موقع أم الدباغية مثلما مر بنا سابقاً، إذ نُفذ الرسم على جدار إحدى غرف الخزن التي ربما أستخدمت لخزن الجلود، وكان هذا المستوطن قد اشتهر بمتاجرة الجلود بعد دباغتها مع مستوطنات أخرى، والجدار مشيد من الطين بعد طلائه بطبقة خفيفة من الجص الذي لُون بعد جفافه بدرجة فاتحة من الأكاسيد المعدنية صفراء اللون لإعداد أرضية مناسبة لتمثيل الرسوم، بينما لُونت الأشكال الحيوانية والبشرية المنفذة على الجدار باللون الأحمر باستعمال مادة أوكسيد الحديد شكل رقم (١ أ-ب)^(٦٦).

أما معبد العُقير المُلون فقد نُفذ بتقنية بسيطة وبأسلوب واقعي رائع الجمال، فقد طُليت واجهة الجدار لتهيئته للرسم بملاط رقيق من الطين ليُشكل خلفية مناسبة يُرسم عليها وحدات المشهد^(٦٧). وكانت الرسوم قد صُورت باللون الأحمر والبرتقالي في بادئ الأمر ثم حُدثت باللون الأسود الى جانب اللون الأحمر^(٦٨) شكل رقم (٢).

كان النظام الأفضل في توزيع الألوان هو استعمال الحقول الشريطية ذات اللون الواحد والتي كانت تصل إلى ارتفاع متر واحد تقريباً، ويعلوه شريط ذو زخرفة هندسية إلى ارتفاع (٣٠ سم)، وتوجد أعلاه رسوم لحيوانات^(٦٩).

رُسمت أشكال حارسة على الجانب الأيمن للمذبح وعلى الجزء الأمامي من الزاوية اليمنى من القاعدة، والأشكال الحارسة عبارة عن فهدين أثنين مرقطين ملونيين^(٧٠)، حُدد كلاً من شكلي الفهدين بخط أسود واضح بينما نقطت مساحتي الشكّلين بنقاط باللونين الأسود والأحمر^(٧١).

كذلك حُدثت هيئة الحيوان الرابض على الدكة الجانبية باللون القرمزي ثم باللون الأسود ثم أضيفت البقع السوداء في جسده، كما وجد في جدار الدكة بقايا رسوم لبقرة^(٧٢).

أما كيفية تنفيذ الرسوم الجدارية في قصر الملك زمريلم فقد قام الفنان البابلي بعد تسوية الجدران المبنية بالطين وطلائها بمادة ملائمة لجعلها بشكل أرضية تصلح للرسم، وقد أستخدم الفنان ملاط الطين الممزوج بدقائق صغيرة جداً من التبن لتزيد من تماسكه كطلاء تطلّى به الأرضيات قبل الرسم.

وبعد جفاف الأرضية تجري عملية تقسيم السطح على عدد من المربعات المتشابهة المتساوية المساحة، ثم تتم عملية الرسم وتحدد الأشكال أولاً بخطوط خارجية ثم تلون الأشكال بالأشكال المطلوبة ويتم تلوين الأرضية بلون فاتح كي ينسجم مع ألوان المشهد^(٧٣).

وقد أستعمل الفنان ألواناً بسيطة أستخلص ألوانها من الطبيعة، وبالنسبة للألوان التي أستعملها في تمثيل مشاهد الرسوم الجدارية فتقسم على نوعين نباتية وحيوانية، والنوع الثاني المعدنية، فالنوع الأول النباتية عادةً ماتصنع من عصارة النباتات الطبيعية، والحيوانية أما من دماء الحيوانات أو أفرزاتها^(٧٤).

أما المعدنية فأنها تصنع من عدد من الأحجار أو المعادن إذ تسحق ثم تخفف بالماء ويضاف إليها الصمغ لتثبيت الألوان على سطوح الجدران وكانت ألوان المغرة الحمراء والبنية والصفراء هي الألوان السائدة وتختلف في حداثتها، وكانت الألوان الباقية ينتجها الفنان من سحق الأحجار ومزجها مع بقية الألوان للحصول على الألوان المطلوبة مثلاً أستخرج اللون الأخضر من إضافة عجينة الرمل والصوديوم إلى النحاس الأخضر الصدا^(٧٥).

أما اللون الأزرق فيتم الحصول عليه من إضافة الرمل إلى الأحجار المسحوقة مثل اللازورد^(٧٦). وكان من البديهي أن الفنان تعلم الكثير من نتاجاته التي تتعلق بالنقوش الملونة التي نفذها على الفخار القديم بنقوشه الهندسية أو الطبيعية^(٧٧).

أستمر تنفيذ الرسوم الجدارية في العصور اللاحقة للعصر البابلي القديم بالطريقة نفسها، كما واطب الكشيون في العصر الكشي على ممارسة التقاليد القديمة في عمل الرسوم الجدارية ولم يتغير فن هذه التقاليد كثيراً لأن الرسم كان مايزال في نطاق اللون القديم وهو الأسود والأبيض والأحمر على طلاء طيني سميكة أو على الجص أحياناً^(٧٨).

وكان الاختلاف بسيط في الرسم بهذا العصر عن العصر البابلي القديم فقط في بعض تفاصيل رسم الأشخاص^(٧٩)، وكذلك أمتازت شخوص الرسم الجداري في العصر الكشي بأن كلاً منهم يضع غطاء رأس يشبه الطربوش وتبدو رؤوسهم ملتصقة بأكتافهم وكأنهم بلا أعناق^(٨٠).

ولسوء الحظ لم تتوافر رسوم كافية عن هذا العصر بسبب التلف الذي أصابها لتأثيرات الطبيعة فيها، ماعدا رسم جداري واحد كان يزين جدار إحدى القاعات الكبيرة في واحد من قصور مدينة دور كوريكالزو^(٨١) يمثل رجالاً يسيرون بخطى كبيرة وهم على الأرجح موظفوا القصر^(٨٢).

تعد الألوان من أكثر الأشياء جمالا في حياة الإنسان، وإن الألوان ليست خطوطاً أو أشكالاً خالية من دلالات جمالية وتعبيرية ورمزية وفي بعض الأحيان ترينيه، بل هي صورة تعبر عن موضوعات الحياة وأنفعالات الفنان بها وترمز الألوان التي أستعملت في الرسوم الجدارية إلى عدة أشياء، فقد أتخذتها الشعوب رمزاً عاطفياً أو دينياً لكيانها أو سياسياً كالرايات رمزاً لنفسها تستعمل في ساحات الحرب^(٨٣).

واهم هذه الالوان:

اللون الاسود الذي أستعمل في طرد الأرواح الشريرة إذ كانت تُصبغ به التماثيل وتدفن مع الأشخاص المسحورين لإخراج ما بهم من روح شريرة، فضلاً عن طلاء أبواب المعابد لطرد الأرواح الشريرة التي تحاول الدخول إليها^(٨٤).

وبقراءة الطالع إذ تُذكر حيوانات قرابين أبيض وأسود كما أستعمل الامير كوديا أغنام إناث سود في احتفال دخول الإله ننكرسو إلى معبده. وهذا ينافي ما ذهب إليه بعض الباحثين في اعتبار اللون الأسود هو لون الحزن إذ يرمز هنا للفرح والسعادة في دخول الإله إلى معبده^(٨٥).

اللون الأبيض لهذا اللون مكانة عالية عند العراقيين القدماء لاسيما الملابس البيضاء التي كانت تصنع من نبات الكتان التي تميز بلبسها رجال الدين الكبار في الاحتفالات الدينية، إذ كان يصاحب إنتاج الملابس المصنوعة باللون الأبيض بعض الطقوس الدينية والاحتفالات الشعبية الخاصة التي اشتهرت بها حضارة بلاد الرافدين منذ عصورها الأولى^(٨٦).

وكان يرمز هذا اللون إلى الطهارة والنقاء والهدوء والامل وحب الخير، ولم يقتصر أستعمال اللون الأبيض على الملابس فقط وإنما أستعمل في تلوين المعابد والبيوت في العراق القديم منذ العصور القديمة لما لهذا اللون من خاصية في الحفاظ على درجات الحرارة وقلة أمتصاص أشعة الشمس مقارنةً باللون الأسود^(٨٧).

اللون الأحمر كان للون الأحمر اعتبارات ورموز عند العراقيين القدماء منها ما يتعلق بالأمراض وطرد الأرواح الشريرة إذ كانت تزين به جدران الغرف والنوافذ بأشرطة ملونة بلون الأحمر، وقد كان لهذا اللون مغزى ديني وسحري عند العراقيين القدماء إذ أستعمل في طلاء جثث الموتى كما أرتبط هذا اللون بخاصة العصور التاريخية بالقوة الجسدية والقدرة الجنسية لدى البشر والإستعداد لإعطاء الدم في سبيل تحقيق الغاية^(٨٨).

وقد أستعمل اللون الأحمر في طلاء المعابد لاسيما عصر الوركاء إذ وجد معبد تمّ طلاؤه بالكامل باللون الأحمر حتى إنه سُمي بالمعبد الأحمر، ويتضح من ذلك أهمية هذا اللون في الطقوس الدينية^(٨٩). اخترنا كنموذج الرسوم الجدارية لقصر الملك زمريليم (١٧٨٢-١٧٥٩ ق.م) الملك المعاصر لحمورابي، وتم الكشف عن هذه الرسوم في قاعاته التي كانت تُعد متحفاً عظيماً لكونها تضم أضخم وأشمل مواضيع منفذة وبأسلوب جذاب يحاكي الناظر وينقله إلى أحداث ومواقع العمل الفني. وتتوعد مواضيع الرسوم الجدارية لهذا القصر الكبير وضخامة حجمه وإتساعه وبنائه الداخلي المعقد، الذي أحتوى على أكثر من (٣٠٠ غرفة) فضلاً عن الساحات، وهو مستطيل الشكل تقريباً أبعاده (١٢٠×٢٠٠ متر) ويقع في الجهة الشمالية من المدينة، كما إن الزيادات المعمارية التي أضيفت له في وقت لاحق جعلت منه مدينة داخلية صغيرة داخل المدينة الكبيرة لتعدد الأجنحة الإدارية والدينية الموجودة فيه، ويتميز أيضاً بغزارة اللقى

الآثارية والفنية وكذلك الرقم الطينية، ويُعد واحد من أكبر القصور خلال العصر البابلي القديم، ويبدو من دراسة عمارة القصر بأنه شُيد على مراحل كثيرة إلى أن اكتمل بنائه في زمن الملك زمريلم لأنه لا يمتاز بتخطيط هندسي موحد^(٩٠).

كذلك فإن الزيادات والأضافات التي طرأت عليه تبدو واضحة في الاختلافات في سمك الجدران، نجد هنا إن التنوع في مجالات الإدارة هو الذي جعل من هذا القصر مقر حكم الحاكم وعائلته ومنه يدير حكم مملكته. وأشتمل القصر على ساحة داخلية في الجزء الجنوبي، يوصل إليها من خلال تنظيم لغرف ضيقة عن طريق ممر يمتاز بمحور منكسر ويستدل من العناية الفائقة التي بُذلت في تنفيذ بنائها على إنها كانت قلب القصر وإنها أحتوت على تصاوير وزخارف جدارية رائعة^(٩١).

كان قصر مدينة ماري يضم عدداً من الرسوم الجدارية، يبدأ تاريخها من بداية الألف الثاني قبل الميلاد، وكانت موضوعاتها المتنوعة وطرق صناعتها المختلفة وقوة الإلهام فيها لا توازيها أية لقي سابقة، ولأن الرسوم في هذا القصر اعتمدت موضوعين أساسيين أولهما الفكر الديني والثاني هو الحياة اليومية المتنوعة^(٩٢).

إن ما يهمنا في رسوم قصر ماري هو موضوع دراستنا الزمان والمكان الذي يتوضح في لوحة تنصيب الملك زمريلم الذي يزين الساحة أو القاعة رقم (١٠٦) في قصر ماري، إذ بلغت مساحة اللوحة ما يقارب (٥,٥×١٧,٥ متر)، كما في شكل رقم (٣)^(٩٣). فنلاحظ بعض الخصائص الفنية في مشهد اللوحة: الجمع بين العقلية والتقاليد الفنية السومرية والملاح الجزرية التي ظهرت في العصر البابلي القديم^(٩٤).

أستطاع الفنان أن يحدد أو يقسم جوانب من العمل الفني ضمن مستطيلات متساوية وفي إطار يتكون من أربعة خطوط وهذا بالحقيقة هو تأثير سومري قديم في تقسيم المشهد إلى أكثر من حقل لتمثيل أكثر من موضوع ضمن العمل الفني.

التنوع في مواضيع المشهد الفني، فنلاحظ تمثيل أكثر من موضوع منها ذات طابع إجتماعي من جوانب الحياة اليومية مثل موضوع النخلة التي يصعد بها اثنين من الرجال، مثلما في الشكل رقم (٣-أ)، وموضوع ديني- سياسي وهو تنصيب الملك زمريلم وهو يستلم شارتي الحكم (الحلقة والصولجان) من قبل الإلهة عشتار التي ظهرت بكامل زينتها وتقف على قرينها الأسد وقد برزت من خلف كتفيها أسلحتها الحربية، مثلما في الشكل رقم (٣-ب)^(٩٥).

وقد إرتدى الملك زيه الملكي الكامل وبوجود الآلهة الراعية والداعية بالخير وهناك الآلهة الحاملة للماء المقدس وإن وجودها يضيف وقاراً إضافياً للمشهد بإرتدائهما زيهما الكامل الملون وهما تمسكان بقارورتين فوارتين حمراء اللون وقد تدفقت منها أربعة خطوط متموجة تمثل المياه الجارية في الأرض التي

لونت باللون الأزرق كما نمت فوق القاروريتين نبتة خضراء اللون، وهناك الحيوانات الرمزية التي كانت تؤلف حاجزاً وقائياً على جانبي المشهد الديني^(٩٦).

وفي الشكل رقم (٣-أ) وعلى جانبي المشهد المركزي رُسمَ منظر أسطوري يحمل في مدلوله فكراً قدسياً وهو وجود شجرتين طويلتين مقدستين وعلى جانبهما في كل جهة آلهة داعية ترفع يديها، وزوجين من الأسود المجنحة الحارسة رُسمت بشكل عامودي ويوجد أسفلها ثوراً ضخماً يطأ بقدمه جبلاً شاهقاً، حُدد جانبي المشهد بشجرتي نخيل يتسلقها شخصين متقابلين يرومان الوصول إلى التقاط التمر، مستعملين التبلية التي لايزال المزارعين يستعملونها حتى وقتنا الحاضر، ويعلو الشجرتين طائر الحمام لون باللون الأزرق^(٩٧).

وبالنسبة لشجرة النخلة التي تُعد من الأشجار المثمرة الاقتصادية والتي ظهرت زراعتها في العصور التاريخية في بلاد الرافدين ابتداءً من عصر السلالات السومري، فهي علاوة على أهميتها الاقتصادية الكبيرة التي تنوعت بشكل كبير حتى أصبح بالإمكان أن تُعدّد فوائدها مع عدد أيام السنة أي ما يقارب (٣٦٠)، فهي ذات منافع كثيرة سواء ما يتعلق بجذوعها التي أستخدمت في تسقيف البيوت أو سعفها الذي أستخدم كوقود أو التسقيف أو في صناعة الأثاث أو السلال أو بعضها الذي أستخدم في صناعة الحبال وغير ذلك^(٩٨).

أما ثمرها (التمر) فهو من المواد الغذائية الغنية بعنصر الحديد الذي يعطي طاقة حيوية للإنسان فهو أما أن يؤكل رطباً أو حتى جافاً فهو يمتاز بقدرته على الخزن لمدة طويلة لذلك كان من أبرز المواد الغذائية التي أحتفظ بها الإنسان ضمن وجباته الغذائية التي يمكن حفظها لمدة طويلة، وفي الوقت نفسه تعلم الإنسان في بلاد الرافدين صناعة الدبس والخل والخمور من التمر وحتى من لب النخيل (الجَمَار) كان من المواد الغذائية لهذه الشجرة المباركة المتعددة المنافع لذلك حظيت بأهتمام كبير وأصبحت من المواضيع الجميلة التي نفذها الفنان في بلاد الرافدين في نتاجاته الفنية ولاسيما الرسوم الجدارية ومشاهد النحت البارز في العصور الآشورية^(٩٩).

إن النخلة في هذا المشهد يمكن أن نعتبرها عنصر نباتي يُعبر عن عنصر مكاني أرتبط بحقيقة المنطقة الجغرافية التي أنتشرت فيها زراعة هذه الشجرة ولاسيما في الأقسام الوسطى والجنوبية من بلاد الرافدين، وبالنسبة للثور الذي يطأ جبلاً شاهقاً فهو يُعبر أيضاً عن عنصر المكان المتمثل بالجبل الذي يظهر وهو يطأه بقوادمه وكأنه في حالة صعود، إن الثيران كانت من الحيوانات التي دجنها الإنسان في القرى الزراعية الأولى من العصر الحجري الحديث والتي حظيت بأهتمام كبير لما لها من أهمية غذائية في الاستفادة من لحومها وجلودها وعظامها فضلاً عن ذلك فأن الثور كان يُنظر إليه بأنه العنصر الذكري بما يمتلكه من قوة وخصب لذلك فقد أهتم الفنان العراقي القديم بتمثيله في الفنون الأولى ولاسيما رسوم الفخاريات الأولى التي ظهرت أما بشكل واقعي أو مجرد ولاسيما في عصر حلف والتي عُرفت

ب(البركانيوم)، وكذلك مُثل في الدمى الحيوانية من القرى الزراعية الأولى وأستمر حتى العصور اللاحقة(١٠٠) .

وعليه فأن صورة الثور وهو يطأ الجبل تُعبر عن المنطقة الجبلية التي يتواجد فيها هذا الحيوان هذا من جانب ومن جانب آخر يمكن أن تعبر عن قدسية الأثنين معاً أي (الثور المقدس – الجبل المقدس) على اعتبار إن الجبل في المفهوم الديني العراقي القديم كان مركز للآلهة .

أما عنصر الزمان فتمثل في أقسام المشهد، فيبدأ من مركز اللوحة بإعتبارها أهم جزء في موضوع الرسم الجداري هذا، وإن مكونات المشهد قد تسلسلت في موضوعها إلى أن وصلت إلى الأطار الخارجي للوحة، وكذلك طائر الحمام الملون باللون الأزرق الذي فر مذعوراً من عشه فور اقتراب الشخصين المتسلقين للنخلة فهرب تاركاً عشه سبب حركة أستباقية بالوقت بين الطير والشخصين قبل وصولهما إلى أعلى النخلة(١٠١) .

وفي شكل رقم (٣-ج) الذي يمثل رسم جداري آخر من مشاهد قصر ماري على أحد جدران الغرفة رقم (١٣٢) حسب ترقيم البعثة الفرنسية وللأسف الشديد وبسبب سقوط جزء كبير من هذا الرسم لم يبق إلا الحقلين الثالث والرابع منه، يُرينا هذا المشهد المؤطر بإطار يحوي عدد من الأشرطة الأفقية وأشكال هندسية عبارة عن معينات بلونين أبيض وأحمر بالتوالي، طقوس تكريم للإلهة عشتار في الحقل العلوي وصب الماء المقدس أمام أحد الآلهة في الحقل السفلي، وبالرغم من سقوط أجزاء كبيرة من الرسم إلا أن المتبقي منه يشير إلى عنصر الزمان والمكان، فنأتي إلى الحقل الأول فيظهر ممانتقي منه الإلهة عشتار جالسة وهي ترتدي زينتها وتقف خلفها إلهة داعية رافعة يديها، وتتقدم الإلهة عشتار إلهة أخرى تقوم بتقديم صحن أصفر اللون كقربان لها ويتوسطهما في الأعلى جزء من رسم لشمس مشعة وبعض الأشخاص يقومون بتقديم القرابين لم تظهر إلا أجزاء من أجسامهم(١٠٢) .

أما الحقل السفلي يُظهر الملك الذي يرتدي غطاء راس وثوب طويل يكشف عن كتفه اليسر ويقوم بتقديم القربان وصب الماء المقدس على الآنية الموجودة على الأرض أمام إله يرتدي غطاء رأس على شكل هلال ربما يكون هو الإله سين وهو جالس على تركيب ربما يدل على أنه جالس فوق جبل مقدس وكذلك الثور المقدس الموجود خلف الإله بأعتبار إن الجبل مركز الآلهة مثلما مر بنا سابقاً، يقف خلف الملك إلهة ثانوية ورجال يحملون قوارير للماء الفوار كقربان يقدم للإله الجالس وتركيب سماوي ربما هو عبارة عن نجوم منتشرة(١٠٣) .

في الغالب يكون مكان التتويج الخاص بالملوك في القصر وفي قاعات أعدت لهذا الغرض بإمكاننا أيضاً أن نعتبر أن المعبد هو مكان إقامة الطقوس لتتويج الملوك بدلالة تواجد الآلهة المتعددة التي رافقت الملك في عملية التتويج وأيضاً لاحظنا في الحقل السفلي إن الإله الجالس فوق هذا التركيب الذي يدل على قدسية الشخصية ويدل على مكانتها في ديانة بلاد الرافدين .

أما ما يدل على زمان المشهدين في كلا الحقلين فهو وجود ما تبقى من الشمس المشعة في الحقل العلوي والذي يدل على وقت مبكر من النهار، أو ربما يدل على بداية إعداد الطقوس الدينية ابتداءً من تقديم الإلهات للقرايين إلى الإلهة عشتار الجالسة في معبدها إلى وقت وصول الملك إلى المعبد المخصص للإله سين وتقديم القرايين أو في القصر الذي يتم فيه طقوس التتويج للملك في المساء وبدلالة وجود شكل رجل وتركيب أقرب مايكون لنجوم منتشرة في سماء صافية فرحاً بعملية التتويج التي لا بد أن تكون في يوم مخصص حسب رؤية الآلهة^(١٠٤).

الخلاصة:

ومن خلال مشاهد الرسم الجداري يمكننا أن نثبت عدد من الخصائص الفنية التي أفرزتها لنا هذه اللوحات الفنية وعلى النحو الآتي :

أولاً: أهتمام الفنان بتوزيع عناصر المشهد الفني ضمن مساحة العمل تم الأخذ بنظر الاعتبار مبدأ التناظر والتقابل إذ نجد ذلك واضحاً في شجرتي النخيل على الجانبين والشجرتين المقدستين وهي من الخصائص الفنية التي عرضها الفنان العراقي القديم في النتاجات الفنية الأخرى .

ثانياً: نستطيع أن نحدد عنصري الزمان والمكان في هذا العمل الفني بتمثيل عنصر الزمان في العصر الذي يرجع إليه هذا الرسم الجداري وهو العصر البابلي القديم إذ أن جانب من المشهد الفني يمثل تنصيب الملك زمريلم حاكم مدينة ماري التي كانت تُعد من المدن المهمة في هذا العصر إلى جانب مدينة آشور وبابل وأشنونا والتي أستطاع حمورابي القضاء على آخر حكامها فأنطفت شمعته وأصبحت ضمن إمبراطورية الملك حمورابي فضلاً عن ملامح المشهد الفني التي تقارن مع مشاهد الأعمال الفنية الأخرى من هذا العصر .

أما عنصر المكان فتمثل في هذا العمل الفني بشكل أساس في المكان الذي أقيم فيه هذا الرسم الجداري والذي رسم في أحد جدران القاعة الرئيسية وهي قاعة العرش رقم (١٠٦) وهي قاعة الأستقبال الرئيسية ومقر الحكم التي تصدر منها القرارات المهمة والرئيسية ومن ثمّ تزيينها بهذه المشاهد الدينية – السياسية التي تتسجم مع الهدف الأساس من هذه القاعة كقاعة للعرش فضلاً عن المواضيع الاجتماعية التي تزيد من جمالية وحيوية هذه الرسوم .

ثالثاً: تمثلت عناصر الحياة في المشهد وهي (الإنسان ، والنبات، والحيوان) الإنسان يمثل في المشهد العلوي إذ نجد أبرز شخصية وهو الملك زمريلم بملابسه وتاجه وهو يستلم رموز السلطة من الإلهة عشتار .

أما النبات فقد ظهر في شجرة النخلة التي تُعد من الأشجار الاقتصادية والمهمة في بلاد الرافدين وهي بطولها الفارع وبثمرها المتدلي وشجرتين طويلتين. كذلك النبتة التي تبرز من الإناء الفوار الذي يرمز إلى حيوية الماء .

وأخيراً تمثل الحيوان بالثيران والطيور والأسماك التي تجري في الماء المقدس بإنسياب مثلما في المثال الأخير إذ أحاط الفنان الحقل العلوي بإطار على شكل ظفيرة حلزونية قد ترمز إلى الجبل الذي تتبع منه المياه والآلهة حسب الاعتقاد العراقي القديم .

الهوامش:

(^١) عبدالله، عبد الكريم، فنون الإنسان القديم اساليبها ودوافعها، مطبعة المعارف، (بغداد، ١٩٧٣)، ص ٣١-٣٣.

(^٢) المصدر نفسه ص ٤٦.

(^٣) CAD, S, p.116.

(^٤) أبن منظور، لسان العرب المحيط، تصنيف يوسف خياط، ج ٤، مطبعة الجيل، (بيروت، ١٩٨٨)، ص ٤٨.

- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ط ٢، دار أحياء التراث العربي، (بيروت، ٢٠٠٣)، ص ١١٠٩.

(^٥) أنيس، إبراهيم. منتصر، عبد الحليم. الصوالحي، عطية. أحمد، محمد خلف الله، المعجم الوسيط، ج ١-٢، ط ٦، (بيروت، ١٩٩٤)، ص ٤٠١.

(^٦) صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، ج ٢، مطبعة دار الكتاب اللبناني، (بيروت، ١٩٨٢)، ص ٦٣٦.

(^٧) الفتلاوي، علي شاكراً، سيكولوجية الزمن، ط ١، (سوريا، ٢٠١٠)، ص ١٦.

(^٨) أنكسيماندرس: فيلسوف يوناني من ملطية بإيطاليا (٦١٠-٥٤٧ ق.م)، ينتمي إلى مدرسة الطبيعيين، نُسب إليه اختراع المزولة الشمسية واكتشاف ميل فلك البروج. ينظر :

- طرابيشي، جورج، معجم الفلاسفة، ط ٣، دار الطليعة، (بيروت، ٢٠٠٦)، ص ١٠٦.

(^٩) العابدي، رنا ميري مزعل، الزمن في الفن التشكيلي العراقي القديم، أطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة بابل، كلية الفنون الجميلة، قسم التشكيل، ٢٠١١)، ص ١٠.

(^{١٠}) هيراقليطس: مفكر من أيونيا بأسيا الصغرى (٥٧٦-٤٨٠ ق.م)، وكان يعتقد بأن النار هي المبدأ الكوني تحول الكائنات والأشياء تحويلاً كاملاً. حول ذلك ينظر :

- حسيبة، مصطفى، المعجم الفلسفي، ط ١، دار اسامة، (عمان، ٢٠٠٩)، ص ٦٦٧.

(^{١١}) العابدي، رنا ميري مزعل، المصدر السابق، ص ١١.

(^{١٢}) بارمنيديس: فيلسوف يوناني، عاش في نهاية القرن السادس قبل الميلاد (٥١٥ ق.م). ينظر :

- طرابيشي، جورج، المصدر السابق، ص ١٣٨.

(٣) أفلاطون: فيلسوف يوناني قديم (٤٢٧-٣٤٧ ق.م) أحد أعظم الفلاسفة الغربيين عُرف من خلال مخطوطاته التي جمعت بين الفلسفة والشعر والفن، أوجد ما عُرف بطريقة الحوار. حول ذلك ينظر:

- حسيبة، مصطفى، المصدر السابق، ص ٧٦.

(٤) العابدي، رنا ميري مزعل، المصدر السابق، ص ١٢-١٣.

(٥) أرسطو: أرسطو طاليس فيلسوف يوناني (٣٨٤-٣٢٢ ق.م)، أعظم نوابغ النظر العقلي في تاريخ الفكر اليوناني. حول ذلك ينظر:

- طرابيشي، جورج، المصدر السابق، ص ٥٢.

(٦) العابدي، رنا ميري مزعل، المصدر السابق، ص ١٢.

(٧) الحنفي، عبد المنعم، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ط ٣، مكتبة مديبولي، (القاهرة، ٢٠٠٠)، ص ٦٩٧.

(¹⁸) CAD, E, p.308.

(¹⁹) CAD, M/1, p.125: a.

- لابات، رينيه، قاموس العلامات المسمارية، ط ٦، تر: وليد الجادر والاب البير ابونا، مطبعة المجمع العلمي، (بغداد، ٢٠٠٤)، ص ٢٠٧.

(٢٠) سورة مريم، الآية: ١٦.

(٢١) سورة المائدة، الآية: ٦٠.

(٢٢) سورة يوسف، الآية: ٧٨.

(٢٣) المنجد في اللغة والإعلام، ط ٢٨، دار المشرق للنشر، (بيروت، ١٩٨٦)، ص ٧٧١. ينظر أيضاً:

- الفيروز آبادي، المصدر السابق، ص ١١٣٨.

- الصالح، صالح العلي. الأحمد، أمينة الشيخ سليمان، المعجم الصافي في اللغة العربية، (الرياض، ١٩٩٠)، ص ٦٣٤.

(٢٤) كاظم، جاسم شاهين، المكان في القصص القرآني (دراسة فنية)، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة القادسية، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ٢٠٠١)، ص ٣.

(٢٥) سورة يوسف، الآية ٥٤.

(٢٦) سورة يوسف، الآية ٥٦.

(٢٧) بدوي، عبد الرحمن، موسوعة الفلسفة، ج ٣، ط ١، مطبعة سليمان زادة (قم، ٢٠٠٦)، ص ٥٤.

(٢٨) شلاش، غيداء احمد سعدون، "المكان والمصطلحات المقاربة له - دراسة مفهوماتية"، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مج ١١، العدد ٢، (بغداد، ٢٠١١)، ص ٢٤٤-٢٤٥.

- (٢٩) المصدر نفسه، ص ٢٤٦.
- (٣٠) فرانكفورت، هـ.. فرانكفورت، هـ.أ.. ولسن، جون، أ.. جاكسون، ثوركليد، ما قبل الفلسفة الانسان في مغامراته الفكرية الأولى، تر: جبرا ابراهيم جبرا، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، ١٩٨٠)، ص ٣٣-٣٤.
- (٣١) اسماعيل، معتز عناد غزوان، المصدر السابق، ص ٢٩.
- (٣٢) العابدي، رنا ميري مزعل، المصدر السابق، ص ٤٨.
- (٣٣) اسماعيل، معتز عناد غزوان، المصدر السابق، ص ٢٩.
- (٣٤) زيدان، محمود، كنط وفلسفته النظرية، ط٣، دار المعارف للطباعة، (الاسكندرية، ١٩٧٩)، ص ٧٩.
- (٣٥) كنت او كنط: عمانوئيل كنت، فيلسوف الماني ولد ومات في كونيسبورغ (١٧٢٤-١٨٠٤). ينظر :
- طرابيشي، جورج، المصدر السابق، ص ٥١٣.
- (٣٦) زيدان، محمود، المصدر السابق، ص ٨١.
- (٣٧) برادلي: فرنسيس هربت برادلي، فيلسوف أنكليزي (١٨٤٦م-١٩٢٤م). ينظر :
- طرابيشي، جورج، المصدر السابق، ص ١٥٦.
- (٣٨) الضوى، محمد توفيق، مفهوم المكان والزمان في فلسفة الظاهر والحقيقة دراسة ميتافيزيقيا برادلي، منشأة المعارف للطباعة، (الاسكندرية، ٢٠٠٣)، ص ٤٧.
- (٣٩) المصدر نفسه، ص ٥٠.
- (٤٠) الكسندر: صموئيل الكسندر، فيلسوف أسترالي يهودي الديانة، ولد في سيدني (١٨٥٩ وتوفي سنة ١٩٣٨). ينظر :
- بدوي، عبد الرحمن، المصدر السابق، ص ٢٢١.
- (٤١) المصدر نفسه، ص ٢٢٢.
- (٤٢) الفيروز آبادي، المصدر السابق، ص ١٠٢٧.
- (٤٣) المنجد المصدر السابق، ص ٢٥٩.
- (٤٤) الصالح، صالح العلي. الأحمد، أمينة الشيخ سلمان، المصدر السابق، ص ٢٠٢-٢٠٣.
- (٤٥) وهبة، مجدي. المهندس، كامل، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط٢، (بيروت، ١٩٨٤)، ص ١٧٨.

(٤٦) عوديشو، وسام مرقس، إتجاه حركة العناصر وعلاقتها بالمضمون في الرسم الجداري والنحت البارز في حضارة وادي الرافدين، أطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة، فرع الرسم، ١٩٩٨)، ص ٤.

(٤٧) الدباغ، تقي. الجادر، ولید، عصور قبل التاريخ، مطبعة جامعة بغداد، (بغداد، ١٩٨٣)، ص ٨٩.

- محاضرة أقيمت من قبل الأستاذ المساعد الدكتور مجيد كوركيس، بعنوان الرسوم الجدارية في بلاد الرافدين، يوم الثلاثاء، بتاريخ ٢٠١٣/١٢/٣.

(٤٨) شبر، إيمان عامر نعمة، الفطرية في الرسم العراقي المعاصر، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة بابل، كلية التربية الفنية، قسم التشكيل، ٢٠٠٢)، ص ١٠.

(٤٩) تل حسونة: سُمي بدور حسونة نسبة الى التل المسمى حسونة، وهو تل صغير تقد مساحته بنحو (١٥٠×٢٠٠ متر)، يقع في ناحية الشورة من محافظة نينوى (الموصل)، ويقع تل حسونة على بعد ٣٥ كم إلى الجنوب من مدينة الموصل، وكشفت عن هذا التل بعثة متخصصة من المديرية العامة للآثار و التراث ونقب في تل حسونة كل من فؤاد سفر وسيتون لويد (١٩٤٢، ١٩٤٣). ينظر:

- صالح، قحطان رشيد، الكشاف الأثري في العراق، المؤسسة العامة للآثار والتراث، (بغداد، ١٩٨٧)، ص ٥٩.

- رشيد، عادل فائق، الفرات الأنتقالية في قرى ومواقع عصور ما قبل التاريخ، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار، ٢٠٠٣)، ص ١١.

(٥٠) قرية ام الباغية: موقع اثري يقع على بعد (٣٦ كم) الى الشمال الغربي من مدينة الحضر. اكتشف هذا الموقع من قبل البعثة البريطانية برئاسة عالمة الآثار ديانا كير كبرايد . ينظر :

- Kirkbrid, D., "Um Dabaghiyah 1974. A Fourth Preliminary Repot", Iraq, Vol.37, No.1, (London, 1975) , pp.3-10, Pl. VII, Fig. a-b.

(⁵¹) Ibid, pp.3-10, Pl. VII, Fig. a-b.

(٥٢) تل العقير: وهو تل كبير يقع على بعد (٥٠ ميل) جنوب بغداد، على مقربة من المسيب على نهر الفرات قامت بالتنقيب في هذا التل مديرية الآثار العراقية (١٩٤٠-١٩٤١). ينظر:

- Lioted, S., Safar, F., Frankfort, H., "Tell Uqair: Antiquities in 1940 and 1941" JNES, Vol. 2, No. 2, (Chicago, 1943), p.135.

- Goff, B. L., Symbols of Prehistoric Mesopotamia, (London, 1963), p. 75, Fig. 296.

- سيتون، لويد، آثار بلاد الرافدين، تر: سامي سعيد الاحمد، دار الرشيد، (بغداد، ١٩٨٠)، ص ٥٧.
- باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد، ١٩٨٦)، ص ٢٣٠.
- (٣) سعيد، مؤيد، "الرسوم الجدارية منذ أقدم العصور"، حضارة العراق، ج٣، دار الحرية، (بغداد، ١٩٨٥)، ص ٢٦٧.
- (٤) سفر، فؤاد، "حفريات العقير"، سومر، ج١، العدد الأول، (بغداد، ١٩٤٥)، ص ٢٩.
- (٥) الإله أنو An: An كلمة سومرية تعني سماء، وهو أسم إله السماء وهو أيضاً رئيس الآلهة ويعتبر من نسل الإله أوراش ويعتبر الإله أنو والد لجميع الآلهة . ينظر :
- Leick, G., A Dictionary of Ancient Near Eastern Mythology, (London, 1991), p.4.
- Black, J., Green, A., Gods, Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia, (London, 1998), p.30.
- ادزارد، د، بوب، م.هـ، رولينغ، ف.، قاموس الآلهة والأساطير في بلاد الرافدين (السومرية والبابلية) في الحضارة السورية (الأوغاريتية والفينيقية)، تر: محمد وحيد خياطة، ج١، ط٢، (سوريا، ٢٠٠٠)، ص ٨٦.
- (٦) مدينة ماري: تقع مدينة ماري عند الحدود العراقية السورية، على بعد (٢,٥ كم) غرب نهر الفرات، وعلى بعد (١١ كم) شمال غربي بلدة البوكمال، تعرف بقاياها اليوم بأسم تل الحريري، وتشغل مساحة (١٠٠) ايكرا أي بنحو ٤٠٠٠٠٠ متر مربع). ينظر :
- باقر، طه، المصدر السابق، ص ٢٨٥.
- Kuhart, A., The Ancient Near East (3000-330 B.C.), Vol. One (London, 1995), p.95.
- (٧) صاحب، زهير. نفل، حميد، تاريخ الفن في بلاد الرافدين، ط٢، المركز الثقافي البغدادي، (بغداد، ٢٠١١)، ص ١٥٩.
- (٨) عكاشة، ثروت، تاريخ الفن العراقي القديم سومر وبابل واشور، مطبعة فينيقية، (بيروت، ١٩٧١)، ص ٣٢٠.
- (٩) بارو، اندريه، سومر فنونها وحضاراتها، تر: عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، (بغداد، ١٩٧٧)، ص ٣٣٧.
- (١٠) مورتكات، انطوان، الفن في العراق القديم، تر: عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، مطبعة الأديب، (بغداد، ١٩٧٥)، ص ٣٠٢.

- (٦١) المصدر نفسه، ص ٣٤٤.
- (٦٢) تل بارسيب: موقع اثري يقع على الضفة الشرقية من نهر الفرات عند مصب الساجور في شمال سوريا، وعلى بعد نحو (٢٠ كم) جنوبي كركميش، ويعرف الان باسم تل احمر . ينظر :
- لويد، سيتون، المصدر السابق، ص ٢٥٤.
- (٦٣) سعيد، مؤيد، المصدر السابق، ص ٢٧٩.
- (٦٤) المصدر نفسه، ص ٢٨١.
- (٦٥) **الاله آشور Aššur** : اله اشوري، سُمي على اسم مدينة اشور، واصبح الاله القومي للمدينة، كما ان اصل الأسم غير معروف، وكان اول ذكر له في وثائق العصر السومري الحديث كإله لمدينة اشور والدولة الاشورية. ينظر:
- Leick, G., Op.Cit, p.15.
- Black, J., Green, A., Op.Cit, p.37.
- ادزارد، د.، رولينغ، م.، المصدر السابق، ص ٦٨.
- (٦٦) صاحب، زهير، فنون فجر الحضارة في بلاد الرافدين، ط ١، دار مجدلاوي، (الاردن، ٢٠٠٩)، ص ٥١.
- (٦٧) صاحب، زهير. نفل، حميد، المصدر السابق، ص ٦٩.
- محاضرة الأستاذ المساعد الدكتور مجيد كوركيس.
- (٦٨) بارو، اندريه، بلاد آشور نينوى وبابل، تر: عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، دار الحرية للطباعة، (بغداد، ١٩٨٠)، ص ٢٧٥.
- (٦٩) سعيد، مؤيد، المصدر السابق، ص ٢٦٨.
- (٧٠) لويد، سيتون، المصدر السابق، ص ٥٩.
- (٧١) صاحب، زهير، الفنون البابلية، دار الجواهري، (بغداد، ٢٠١١)، ص ٧٥.
- (٧٢) سفر، فؤاد، المصدر السابق، ص ٣٠.
- (٧٣) صاحب، زهير. نفل، حميد، المصدر السابق، ص ١٦٠.
- محاضرة الاساذ المساعد الدكتور مجيد كوركيس.
- (٧٤) الدباغ، تقى. الجادر، وليد، المصدر السابق، ص ٩٥.
- (٧٥) الدوري، عياض عبد الرحمن، دلالات الألوان في الفن العربي الإسلامي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة، ٢٠٠٣)، ص ٧١.

(٧٦) المعماري، رعد سالم محمد جاسم، الأحجار والمعادن في بلاد الرافدين في ضوء المصادر المسمارية، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم الآثار، ٢٠٠٦)، ص ٤٦.

(٧٧) صاحب، زهير، فخاريات بلاد الرافدين عصور قبل التاريخ، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد، ٢٠١٠)، ص ٣١٣.

(٧٨) مورتكات، أنطوان، المصدر السابق، ص ٢٩٢-٢٩٣.

(٧٩) المصدر نفسه، ص ٣٠٢.

(٨٠) عكاشة، ثروت، المصدر السابق، ص ٣٨٧.

(٨١) دور كوريكالزو DUR Kuigalzu: تقع على بعد (٢٥ كم) الى الشمال الغربي من مدينة بغداد، وعلى بعد (٧ كم) الى الشمال الشرقي من ناحية ابو غريب، نقتب المدينة من قبل الهيئة العامة للآثار بأشراف الاستاذ طه باقر بين عامي ١٩٤٣-١٩٤٤ ثم استأنف العمل ليعاد التقيب فيها مرة اخرى في عام ١٩٥٤، كما اتخذها الملك الكشي كوريكالزو الأول عاصمة للحكم بعد ان استتب الامن والاستقرار في ارجاء بلاد بابل. ينظر:

- Baqir, T., "Iraq Government Excavations at 'Aqar qūf Third Interim Report, 1944-5", Iraq, Vol. 8 (London, 1946), p.73 .

- التكريتي، عبد القادر، "الصيانة الاثرية في عرقوف ١٩٦٠-١٩٦١"، سومر، (بغداد، ١٩٧٠)، ص ٧٣ .

- أوبنهايم، ليو، بلاد ما بين النهرين، تر: سعدي فيضي عبد الرزاق، دار الرشيد للطباعة، (بغداد، ١٩٨١)، ص ٤٨٥.

- العبيدي، خالد حيدر عثمان حافظ، احجار الحدود البابلية (كدور) دراسة تحليلية، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم الآثار، ٢٠٠١)، ص ١٣.

(٨٢) صاحب، زهير. نقل، حميد، المصدر السابق، ص ١٧٣.

(٨٣) الدوري، عياض عبد الرحمن، المصدر السابق، ص ٢٠.

(84) Forbes, R. J., Studies in Ancient Technology, (Leiden, 1955), Vol. I, p.

94.

(٨٥) أمين، سعد عمر محمد، القرايين والنذور في العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم التاريخ، ٢٠٠٥)، ص ٥٦.

(٨٦) الجادر وليد، الحرف والصناعات اليدوية في العصر الآشوري المتأخر، مطبعة الأديب البغدادية، (بغداد، ١٩٧٢)، ص ٢٣٦.

(^{٨٧}) كونتينو، جورج، الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، تر: سليم طه التكريتي برهان عبد التكريتي، (بغداد، ١٩٧٥)، ص ٦٢.

(^{٨٨}) الأعظمي، محمد طه، "العمارة في بدايات العصر الحجري الحديث في العراق"، المجلة القطرية للتاريخ والآثار، العدد ١، (بغداد، ٢٠٠١)، ص ٨.

(^{٨٩}) مهدي، علي محمد، دور المعبد في المجتمع العراقي من دور العبيد حتى نهاية دور الوركاء، رساله ماجستير غير منشورة، (جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار، ١٩٧٥)، ص ٨٧.

(^{٩٠}) الصالحي، واثق اسماعيل، "شواهد عمارية من العصر البابلي القديم"، المورد، مج ١٦، العدد ٣، (بغداد، ١٩٨٧)، ص ٧٧.

(^{٩١}) المصدر نفسه، ص ٧٨.

(^{٩٢}) بارو، اندريه، ١٩٧٧، ص ٣٣٤.

- صاحب، زهير، مملكة الفن دراسة في الحضارة العراقية، ط ١، دار الجواهري، (بغداد، ٢٠١٤)، ص ٣٢٧.

(^{٩٣}) Du Ry, C. J., Völker des Alten Orient, (Italy, 1969), p.87.

- Margueron, J. C., "Le Croissant Fertile: Mésopotamie, Syrie", L'Art de l'Antiquité 2.L'Egypte et le Proche-Orient, (Paris, 1997), p.231, Fig. 274.

- صاحب، زهير، الفنون البابلية، ٢٠١١، ص ٩٠.

(^{٩٤}) يوكاميشي، "الرسوم الجدارية واساليب التلوين في عمارة القصر البابلي القديم في ماري"، سومر، ج ٢، مج ٤١، (بغداد، ١٩٨٥)، ص ٨٥.

(^{٩٥}) Edwards, I. E. S., Cadd, C. J., Hammond, N. G. L., Sollberger, E., The Cambridge Ancient History, Plates to Vol. I and II, (London, 1977), Pl. 66.

- Kuhrt, A., Op.Cit, p. 96, Fig. 9.

(^{٩٦}) Edwards, I. E. S., and others, Op.Cit, Pl. 66.

- بارو، اندريه، ١٩٧٧، ص ٣٣٤.

- صاحب، زهير، الفنون البابلية، ٢٠١١، ص ٨٩.

(^{٩٧}) المصدر نفسه، ص ٩١.

- صاحب، زهير، ٢٠١٤، ص ٣٢٧.

(^{٩٨}) الجبوري، أسماء عبد الكريم عباس، النخلة في حضارة العراق القديم، دار المعمورة، (بغداد، ٢٠١٤)، ص ٥٢-٥٠.

(^{٩٩}) المصدر نفسه، ص ٥٣-٥٤.

(١٠٠) عبد اللطيف، سجي مؤيد، الحيوان في ادب العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار، ١٩٩٧)، ص ١١٣، ١١٦.

- Goff, B. L., Op.Cit, p.14, Fig. 88,90.

(١٠١) صاحب، زهير، الفنون البابلية، ٢٠١١، ص ٩١.

- صاحب، زهير، ٢٠١٤، ص ٣٢٧.

(١٠٢) بارو، أندريه، ١٩٧٧، ص ٣٣٧.

- سعيد، مؤيد، المصدر السابق، ص ٢٧٠.

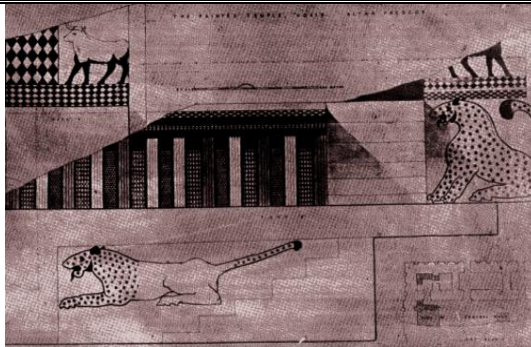
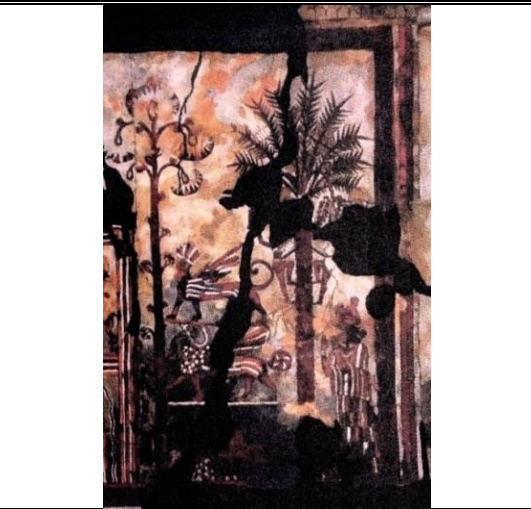
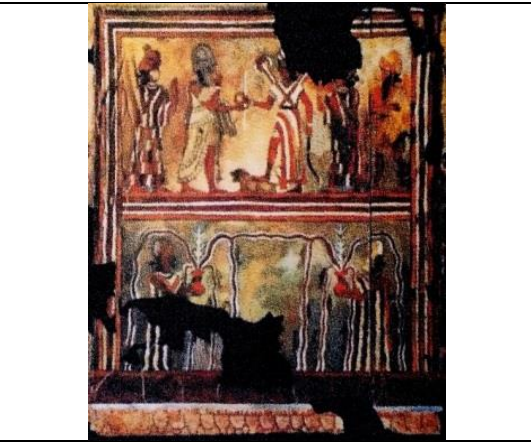
- صاحب، زهير، الفنون البابلية، ٢٠١١، ص ٨٧.

(^{١٠٣}) بارو، أندريه، ١٩٧٧، ص ٣٣٨.

(١٠٤) عوديشو، وسام مرقس، المصدر السابق، ص ٨١.

ثبت الأشكال:

Kirkbrid, D., "Um Dabaghiyah 1974. A Fourth Preliminary Repot", <u>Iraq</u> , Vol.37, No.1, (London, 1975), Pl. VII, Fig. a.		أ-١
<u>Ibid</u> , Pl. VII, Fig. b.		ب-١

سفر، فؤاد، "حفريات العقير"، سومر، ج ١، العدد الاول، (بغداد، ١٩٤٥)، ص ٢٩.		٢
صاحب، زهير، <u>مملكة الفن</u> <u>دراسة في الحضارة العراقية</u>، ط ١، دار الجواهري، (بغداد ٢٠١٤)، ص ٣٣٦.		٣
صاحب، زهير، <u>المصدر السابق</u>، ص ٣٣٦.		٣-أ
<u>المصدر نفسه</u>، ص ٣٣٦		٣-ب



**إسهامات الرباطات والزوايا
في الحركة الفكرية في المغرب الإسلامي
من الفتح حتى نهاية القرن الرابع الهجري**

عبد القدوس محمود شهاب

د. طه جميل أحمد

جامعة بغداد- كلية الآداب

إسهامات الرباطات والزوايا في الحركة الفكرية في المغرب الإسلامي
من الفتح حتى نهاية القرن الرابع الهجري

عبد القدوس محمود شهاب
د. طه جميل أحمد

المُقدِّمة

إن الحركة الفكرية في المغرب الإسلامي متعددة الجوانب، ففي تلك الحقبة الزمنية شهد المغرب الإسلامي التنقل إلى أكثر من حالة فكرية وسياسية وعقدية إذ تنقل من النصرانية والوثنية إلى الإسلام، ففي مرحلة الحكم الإسلامي مر بحالات متعددة، فترة تحت حكم الأمويين، وفترة تحت حكم العباسيين، وأخرى تحت حكم الفاطميين... إلخ، فعاش المغاربة أوضاعاً متباينة ألقت بآثارها على مجمل النشاط الفكري فيه.

وقد أثرت في النشاط الفكري عدد من المؤسسات الدينية والاجتماعية والتربوية، ومن هذه المؤسسات الرباطات والتكايا التي أسهمت في نشر العقيدة الإسلامية، وما يرتبط بها من علوم ونشاطات.

ومع بداية الفتح العربي برز دور الرباطات كإحدى وسائل تقوية الدعوة الإسلامية وتعزيز وجودها، فضلاً عن كونها رافداً مهماً من روافد الحركة الفكرية، والذي نجح بشكل كبير في ترسيخ الدعوة الإسلامية.

وكان للربط الصوفية أثره الكبير في هذا الجانب، إذ تزامن نشاطها الفكري مع نشاطها الجهادي، كما اختطت لنفسها فيما بعد منهجاً خاصاً في التربية.

المبحث الأول: نشأة الرباطات وتأسيسها:

الرباطات والزوايا مؤسسات دينية وعلمية واجتماعية تبلورت أنشطتها ووظائفها وتجدرت داخل الأمة الإسلامية بصفة عامة، وداخل المجتمع المغربي بصفة خاصة، وأن من أهم الواجبات التي أختها على عاتقها هو ترسيخ الثقافة الإسلامية ونشرها، وتميزت الرباطات والزوايا في المغرب العربي بالتوسع في مهامها وأنشطتها، حتى امتد تأثيرها إلى أغلب الأنشطة الحياتية في هذه البلاد.

ومن المناسب قبل بيان أثر الرباطات والزوايا في الحركة الفكرية في المغرب الإسلامي، تعريف الرباطات والزوايا والتسميات الأخرى لها، وهي خانقاه والتكايا.

إذ إن " الرُّبُط: اسم يطلق على الزاوية التي تسمى أيضاً تكية أو خانقاه، وهي عبارة عن مكان معد لأبناء الطريقة لإقامة الشعائر، وأداء العبادات، وتجمع المريدين للتعارف والمذاكرة «^(١). و" الزاوية والرباط هما مركزان خاصان بهؤلاء السادة الصوفية^(٢) للاستعداد للجهاد ومحاربة الكفار وأعداء الإسلام والمذاكرة في أصول الطريق والسنة النبوية الشريفة"^(٣).

والرباطات واحدها الرباط وهو في الأصل من رَبَطَ الشيءَ يَرْبُطُهُ وَيَرْبُطُهُ رَبْطًا، فهو مَرْبُوطٌ وَرَبِيطٌ: شَدَّهُ. رَابَطَ الرجلُ في المكان: أقام فيه ولم يغادره، والرِّبَاطُ: ما رُبِطَ به، ومنه رِبْطُ الخيل وإعدادها للجهاد، أو مرابطة العدو وملازمتهم، ويطلق على المواضع المعدة لجاهد العدو وعلى ملجأ الصُّوفِيَّةِ^(٤).

و" أصل الرباط ما يربط فيه الخيول، ثم قيل لكل ثغر يدفع أهله عمن وراءهم رباط، فالمجاهد المرابط يدفع عمن وراءه، والمقيم في الرباط على طاعة الله يدفع به وبدعائه البلاء عن العباد والبلاد. وقيل: الرباط لجهاد النفس، والمقيم في الرباط مجاهد لنفسه، وهو الجهاد الأكبر، وهذا وأشباهه من الآداب وظيفة صوفية الربط، يلزمونه ويتعاهدونه، والرباط بيتهم ومضربهم، ولكل قوم رباط، وهو يحتوي على شبان وشيوخ وأصحاب خدمة وأرباب خلوة، واجتماعهم على السجادة، وسجادة كل واحد زاويته، وهم كل واحد هممه، ولعل الواحد منهم لا يتخطى هممه سجادته «^(٥).

وأطلق لفظ (الرباط) بادئ الأمر على نوع من الثكنات العسكرية التي تبنى على الحدود الإسلامية، والمرابطون فيها رابطوا ليدافعوا عن الإسلام بسيوفهم. وكانت الرباطات منتشرة في العصر الأموي والعباسي تبنى لتفصل بين ديار الإسلام وديار الحرب، إلا أن الرباطات تغيرت وظيفتها الحربية نتيجة للتحويلات الاجتماعية وما أفرزته حالة الاستقرار والانقطاع عن الغزو والحروب منذ أواسط القرن الرابع الهجري، فكان المرابطون فيها ينصرفون إلى قراءة القرآن وعلوم الدين، ثم أصبحت بيوتاً للصوفية، ومنازل يسكنها عدد غير يسير للتعبد والدرس ومجاهدة النفس وتوقي ما يفسد الأعمال، وتوخي ما يصحح الأحوال ويعود بالبركة على البلاد والعباد، وقطع المعاملة مع الخلق، واعتماد المعاملة مع الحق^(٦).

والمرابط في المغرب الإسلامي: هو الرجل الصالح الذي يعرف عموماً في المشرق باسم (الولي) أو (ولي الله)^(٧).

أما الزوايا، فمفردتها زاوية، وهي مشتقة من الفعل (انزوى) بمعنى: اتخذ ركنًا، أو أنها مأخوذة من الفعل (زوى) بمعنى ابتعد وانعزل، وسميت كذلك؛ لأن الذين اتخذوها أول مرة هم الصوفية والمرابطون، الذين اختاروا الانزواء والابتعاد عن صخب العمران وضجيجيه، طلباً للهدوء والسكون اللذين يساعدان على التأمل والرياضة الروحية، ويناسبان جو الذكر والعبادة، وهي من الوظائف الإسلامية التي من أجلها وجدت^(٨).

والزواوية: هي كالرباط والخانقاه، إلا إنها أصغر في الغالب، وأكثر ما تكون في الصحارى، والأمكنة الخالية من السكان، وربما أطلقت على مكان معين في مسجد من المساجد الكبرى التي تقام فيها حلقات العلم، وللزواوية في المغرب الإسلامي مدلول أوسع مما تغنيه في المشرق الإسلامي بوصفها بيوتاً يؤدي فيها الزهاد والعباد عباداتهم وأذكارهم^(٩).

والملاحظ أن المؤرخين لم يكونوا يميزون في الاستعمال بين الرباط والزواوية، فقد يطلقان المصطلحان على المكان نفسه الرباط والزواوية، و"إن إطلاق الرباط على الزواوية والعكس قد تم في القرن الثالث عشر للميلاد، وذلك اعتباراً لتداخل الوظائف، فيحدد الإطلاق بتغليب أحدهما على الآخر"^(١٠).

أما الخانقاه، فهو بقعة يسكنها أهل الصلاح والخير والصوفية، وهي كلمة فارسية الأصل من الخان وهو البيت، وقيل في معناها: (بيت الدرويش أو الصوفية أو الفقراء). والخوانق شبيهه بالربط ولكن هذه شاعت في بلاد الفرس والشام ومصر في القرن الرابع الهجري، وخصت بأهل التصوف، ينصرفون فيها للعبادة، وكانت تبنى في الغالب في المدن والحواضر على نمط المساجد إلا أن فيها غرفاً للفقراء والصوفية وبيتاً للقيام بأذكارهم وأورادهم، وشاعت في بلاد الفرس والشام ومصر في القرن الرابع الهجري، وخصت بأهل التصوف، ينصرفون فيها للعبادة، وكانت تبنى في الغالب في المدن والحواضر على نمط المساجد إلا أن فيها غرفاً للفقراء والصوفية وبيتاً للقيام بأذكارهم وأورادهم^(١١).

أما التكايا، فواحدتها التكية، مأخوذة من الفعل اتكأ، إذ كانت هذه المواضع تتكأ على الثغور، وتؤدي دور الرباطات، وكذلك هي مكان يُعد لإيواء فقراء المسافرين^(١٢)، وهي بناء

خاص بالصوفية، ينزلونها من أجل التعبد، وممارسة الطقوس الصوفية والرياضات الروحية برئاسة شيخ يرعى شؤون الدراويش^(١٣).

ومن هذا فالفرق بين المسجد والرباط وما شابهه هو أن المسجد مكان معد للصلاة أساساً، وأما الرباط وما شابهه، فهو فضلاً عن كونه موضعاً عسكرياً جهادياً في الأصل، فهو أيضاً محل للصلاة، كما تقام فيه حلقات الأذكار، وتأوي الغرباء والمحتاجين، فهي تؤدي دور المسجد وزيادة.

وكانت الرباطات وما زالت من مقومات تاريخ المغرب، فقد برزت المقومات الروحية والدينية والثقافية والاجتماعية والسياسية، بل حتى الاقتصادية، ولم تقتصر آثارها على المدن فقط، بل سعت إلى دمج البوادي والأرياف في الحياة الثقافية، ولم يقتصر تأثيرها على العامة بل امتد على الخاصة أيضاً.

وتزامن تأسيس الرباطات الأولى في المغرب الإسلامي مع جهود المسلمين من أجل نشر الإسلام، ومقاومة الحركات المعادية له، وقد يسر مهمة الرباطات ما عرف به أهل التصوف من اتصافهم بالزهد والورع، مما جعل لهم حظوة بين الناس وقبولاً، وهو ما غلب على أهل القرون الإسلامية الأربعة الأولى، فضلاً عن غلبة الدور الإصلاحي لهم^(١٤).

كان الساحل المغربي على طول امتداده عرضة للغارات البحرية المفاجئة التي كان يشنها أعداء الإسلام على الشاطئ الآخر للبحر المتوسط، وكان من الواجب أن يراقب المسلمون سواحلهم وأن يحذروا الأخطاء التي قد يحملها البحر إليها، فاتخذوا من الساحل المغربي ثغراً جعلوا الرباطات فيه جهاداً في سبيل الله وقربة إليه^(١٥)، وأنشأوا عليه الرباطات والمحارس والحصون، وعنوا بسكانها حراسة للمسلمين وسهراً على أمنهم من تلك الغارات المفاجئة^(١٦).

ولما كانت سواحل إفريقية أكثر عرضة للخطر من غيرها من السواحل المغربية، فقد عجت بالرباطات التي انتشرت على طول الساحل، وكانت سواحل إفريقية أسبق إلى معرفة الرباطات ثم تلتها بعد ذلك بقية السواحل المغربية، وصار الرباط نظاماً عسكرياً دينياً له أصوله وقواعده^(١٧).

وكان أول رباطات إفريقية إنشاءً وأكثرها شهرة رباط المنستير الذي أنشأه هرثمة بن

أعين أبان ولايته على إفريقية^(١٨)، وقد كان الناس يقصده أهل إفريقية لوقت من السنة فيقيمون به أياماً معلومة للمشاركة في الجهاد^(١٩)، ولاسيما في رمضان^(٢٠).

ثم انتشرت الرباطات على طول الساحل الإفريقي، إذ تحمس أولو الأمر والناس لإقامتها لدوافع أمنية ودينية، إذ ابتغوا مرضاة الله وثوابه، فأقيمت الرباطات في سوسه وصفاقس وغيرها، وحض المسلمون بعضهم بعضاً على السكن فيها والحرس فيها جهاداً واحتساباً، وكان للزهاد والعابد أثرهم الكبير في ذلك^(٢١).

وقد أخذت الدولة على عاتقها إنشاء بعض هذه الرباطات، في حين تولى الناس إنشاء بعضها الآخر بالتنسيق مع الدولة في الجهاد بإذنها وتنسيقاً معها^(٢٢).

وكانت الرباطات كثيرة جداً اعتنى بذكرها أصحاب البلدانيات، وأن كثافة وجودها وأعدادها يتزايد مع زيادة الخطورة التي تتعرض لها السواحل، كما تزداد تحصيناً ومنعة، وكانت الرباطات لها خطة خاصة في بنائها تتكون عناصرها الأساسية من سور حصين وحجرات للسكنى ومخازن للأسلحة ومؤون وبرج مراقبة^(٢٣)..

أما رباط المنستير، ففيه عدة محارس أو قصور منها القصر الكبير الذي بناه هرثمة، وهو قصر كبير عالي البناء داخله رباط واسع، وفي وسط الرباط حصن ثانٍ كثير المساكن والمساجد والقصاب العالية طبقات بعضها فوق بعض، وفي القبلة منه صحن فسيح فيه قباب عالية متقنة ينزل حولها النساء المرابطات تعرف بقباب جامع^(٢٤).

وبالمنستير قصر دويد الذي يرجع تاريخ إنشائه إلى القرن الثالث الهجري، والراجح أنه سمي باسم أحد العباد الذين رباطوا فيه، والذي يسميه العامة سيدي ذويب^(٢٥).

وبين المنستير وسوسة كان يوجد رباط يسمى شقائنص أو خقائنص^(٢٦)، ثم يليه رباط سوسة التي عرفت بكثيرة الرباطات فيها.

ومن الرباطات رباط في بلدة لمطة^(٢٧) الذي أمر ببناؤه إبراهيم بن أحمد الأغلبي في حدود سنة (٢٤٥هـ/٨٥٩م)، وقد رباط فيه جماعة من العباد^(٢٨).

وكانت بعض الرباطات تكتسب شهرتها من شهرة الزهاد الذين يطون فيها، وكان وجود الزهاد المشهورين مدعاة لإقبال الناس لمشاركة هؤلاء الزهاد في الحراسة تبركاً بهم^(٢٩).

وكانت معيشة الزهاد فيها بسيطة جداً، يلبسون خش الثياب، ويأكلون الطعام البسيط القليل، قد لا يزيد على كسرة خبز^(٣٠).

ومما شجع على فعالية دور الرباطات ما عرف عن الصوفية من التسامح وقبول المخالف^(٣١).

ومع أن صوفية المغرب كانوا أقل تأليفاً في علم التصوف من صوفية المشرق والأندلس؛ إلا أن هذا لم يمنع من وصول بعض عن النتف عن نشاطات الرباطات المغربية، ويمكن تخليص هذه الجهود بما يأتي^(٣٢):

الدور الديني:

١. نشر عقيدة الإسلام بين الشعوب والقبائل لم يصل إليها الفاتحون.
٢. بث تعاليم الإسلام في أقوام ظل إسلامهم لا يتعدى مظهر الهوية والانتماء.
٣. تنظيم مواسم دينية أرسى العقيدة مثل الموسم الذي اشتهر في المغرب بموسم رباط شاعر.
٤. تنظيم السفر إلى الحج وربط المغرب بالمشرق.

الدور التعليمي والعلمي والثقافي:

١. نشر حفظ القرآن الكريم.
٢. تعليم العلوم الشرعية والعربية.
٣. إنشاء خزائن الكتب وتعميرها بالكتب العلمية.
٤. نشر الثقافة العامة الشفوية عند غير القارئ، عن طريق مجالس الذكر والمذاكرة.

الدور الاجتماعي:

١. إيواء أبناء السبيل.
٢. إطعام الطعام للمحتاجين، ولا سيما في أوقات المجاعات.
٣. حل الخلافات الاجتماعية والقيام بالتقريب بين المسلمين.
٤. نشر قيم الزهد والتهالك على الأموال والمطامح الدنيوية.
٥. تأطير الاندماج الاجتماعي للمهمشين والغرباء.
٦. تيسير التواصل الإخباري.

الدور الاقتصادي:

١. إحياء الأرض الموات وعمارتها.
٢. حفر الآبار واستخراج المياه.
٣. ضمان الأوقاف المتعلقة باستغلال المراعي.
٤. تأطير التنظيمات الحرفية والمهنية بالمدن.
٥. الإشراف على أمن الأسواق ورعايتها.

الدور السياسي:

١. ضمان الولاء للإمام العادل.
٢. التوسط بين الحاكمين والمحكومين عند توتر العلاقات بين الطرفين، لما للصوفية من هيبة في المجتمع.
٣. تعبئة المسلمين للتصدي لأعداء الإسلام.
٤. تفعيل العلاقة بين دول المغرب العربي بعضها ببعض من جهة، بين بلاد الأندلس والمشرق من جهة أخرى.
٥. إنشاء العديد من المراكز العلمية والزوايا الصوفية على امتداد خطوط التجارة التي كانت تصل حواضر شمال إفريقيا ببلدان الصحراء وجنوبها.

المبحث الثاني: الوظيفة التعليمية:

على الرغم من عدم وجود أخبار تفصيلية عن الدور التعليمي للرباطات والزوايا في هذه الحقبة، إلا أن بعض النصوص التي وردت فيما بعد تؤكد هذا الدور، منها ما قاله يحيى بن إبراهيم الكدالي زعيم صنهاجة (توفي قبل سنة ٤٥١هـ / ١٠٥٩ م) إلى شيخ القيروان الفقيه أبي عمران الفاسي (ت ٤٣٠هـ / ١٠٣٩ م) عندما سأله عن أحوال سكان بلده فأجاب: " قوم غلب عليهم الجهل وليس لهم كبير علم، فاختره الشيخ وسأله عن فروض دينه فلم يجده يعرف منها شيئاً، إلا أنه حريص على التعلم صحيح النية والعقيدة، فقال له الشيخ: وما يمنعك من تعلم العلم؟ فقال: يا سيدي عدم وجود عالم بأرضي، وليس في بلادي من يقرأ القرآن فضلاً عن العلم، ومع ذلك فأهل أرضي يحبون الخير ويرغبون فيه لو وجدوا من يقرئهم القرآن، ويدرس لهم العلم، ويفقههم في دينهم، ويعلمهم الكتاب والسنة وشرائع الإسلام، فلو رغبت في الثواب من

الله تعال لبعثت معي بعض طلبتك يقرئهم القرآن ويفقههم في الدين فينتفعون به، ويكون لك وله الأجر العظيم عند الله تعالى إذ كنت سبب هدايتهم" (٣٣).

فإن كانت الحاجة شديدة إلى التعلم في القرن الخامس الهجري، فما بالك في القرون السابقة؟

ولا خلاف في أن الزوايا هي مؤسسات دينية تمارس فيها العبادات من صلاة وتلاوة القرآن والأذكار، ومن اعتكاف ومدارس للعلوم، فهناك تلازم عميق وتربط وثيق بين الزاوية ووظيفتها الدينية والعلمية، إذ تنطلق من تربية روحية ومعرفية في آن واحد، وتستهدف تعزيز إيمان الفرد بالله تعالى، وتعلم العلوم الشرعية، فالزاوية لم تفصل بين رسالتها الدينية ومهمتها العلمية، بل جعلت من المهتمين معاً حالة واحدة تعبر عن العلاقة بين الإيمان والعلم والعمل (٣٤).

وأدت الرباطات دورها في التعليم والوعظ، وتصحيح العقيدة والدفاع عن الإسلام ضد كل أشكال الانحراف الديني، وتحولت العملية التعليمية البسيطة إلى ممارسة تعليمية دينية محكمة على وفق شروط أكثر وضوحاً، فتمكنت الزوايا والرباطات من وضع مناهج تربوية واضحة المعالم، واستقطبت المتعلمين من كل الآفاق موفرة لهم شروط التعليم والإقامة، فكانت أشبه بالمدارس الداخلية (٣٥).

وقد شهدت الرباطات حركة علمية ناشطة، ومن شواهد ذلك قيام الفقيه جبلة بن حمود بالمرابطة بقصر الطوب، فيعقد فيه مجلساً للعلم ويسمع الناس منه، واعتاد أن يلقي في مجلسه كل يوم جمعة بعض الرقائق (٣٦).

إن شيخ الزاوية هو المعلم الأول، الذي يُعَلِّم الطريقة والسلوك فضلاً عن العلوم الشرعية الأخرى، وينبغي أن يتصف بالصلاح والإصلاح، بإصلاح الناس في أمور العلم والدين وأن يكون لهم قدوة في السلوك (٣٧).

وتمثلت عناية الرباطات والزوايا بتعليم القرآن الكريم وتحفيظ الحديث النبوي الشريف، وتدريس الفقه الإسلامي (٣٨).

كما شهدت هذه الحقبة الزمنية بؤادر قيام الزوايا باستحداث الخزانات أو المكتبات، وكان حجم هذه المكتبات وقيمة محتوياتها تختلف من زاوية إلى أخرى، وتتفاوت بين الزاوية

الأم والزاوية الفرعية ولكن الشيء الملاحظ هو أن الزاوية مهما كان حجمها أو مكانتها، لا تكاد تخلو من خزانة للكتب^(٣٩).

وكان من ثمرة نشاط الرباطات والزوايا الصوفية فضلاً عن هذا كله العمل الدؤوب على نشر الإسلام في منطق واسعة من إفريقيا، فانطلق رجال الصوفية من هذه الزوايا واتخذوا السياحة وسيلة لنشر الإسلام، بحسن أخلاقهم وصفاء نفوسهم، ونجح هؤلاء في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، وتكونت طوائف انصهرت في بوتقتها الانتماءات العرقية والقبلية المختلفة، وعبر نفوذها الحدود الجغرافية والسياسية، ولعبت دوراً مهماً في توحيد شعوب إفريقيا مزقتها النزاعات^(٤٠).

المبحث الثالث: الوظيفة الاجتماعية:

اشتهرت الزوايا بإسهاماتها في التكافل الاجتماعي بمختلف أنواعه مثل الإيواء وإطعام الطعام، وهو نظام تطوعي تكافلي مبني على التعامل بالمثل بكيفية توفر لكل مسافر إمكانية الاستفادة من بنية استقبال في أي مكان ذهب إليه^(٤١).

وحولت هذه النشاطات الرباطات إلى مؤسسة اجتماعية لرعاية المحتاج وعابر السبيل، فكان من ضرورات هذه الوظيفة أن تكون لها أملاك خاصة بها، أو موقوفة عليها تستثمرها للوفاء بهذه الالتزامات ولتغطية الخدمات المجانية، لذلك تسامحت القبائل مع الرباطات في توسيع ممتلكاتها، لأنها تلجأ إلى إطعامها عند الحاجة^(٤٢).

وإن الدعائم الأساسية لقيام الرباط أو الزاوية لم يخرج عن ضرورات الحياة الفعلية، فالرباط ظل منذ ظهوره مركزاً لإطعام الطعام، وتقديم المساعدات في أوقات المجاعات والقحط، أو حتى عند الخصاصة العادية، لذا أضحت الإطعام ملازماً لها ومزية عامة لحياة روادها، وسلوكاً يحتذي به المريد بعد شيخه^(٤٣).

ومن الوظائف التي شكلت ركيزة أساسية في عمل الرباطات والزوايا توفير المأمن المقدس، فقد مارست الرباطات والزوايا على أداء هذه الوظيفة حتى صارت سلطة لا تنازعها في ممارستها أي سلطة أخرى مهما كان وزنهما أو تأثيرها^(٤٤).

كما آوت الزوايا الناس تجاه كل صروف الخطر أو الخوف أو الجور، سواء أكانت الأسباب طبيعية أم بسبب الهرب من السلطة الجائرة، وحقيقة الزاوية أن يلجأ إليها كل هارب إلى الله من ظالم، وليست مهرباً للظالمين^(٤٥).

وحدود الحرم في عرف الزوايا لا يقتصر على حدود الزاوية نفسها، بل شمل أحياناً كل مجال نفوذها وممتلكاتها^(٤٦).

ومن الوظائف التي تولتها الزوايا مهمة التحكيم في المنازعات، ولم تكن هذه الوظيفة أقل أهمية من الوظائف الأخرى، بل قد تفوقها أهمية في بعض الحالات بحسب طبيعة النزاع والجهات التي تقف وراءه، إذ إن الوضع الاعتباري للزوايا أهلها لتكون وسيطاً مقبولاً، وحكما مرضياً بين كل الأطراف^(٤٧).

وكان شيخ الزاوية بما له من مكانة مرموقة في المجتمع عامل وفاق في كل ما كان ينشأ من نزاعات أو خلافات قبلية أو شخصية أو سياسية، ويسهم في إنجاح هذه المساعي الشخصية الحيادية للزاوية ممثلة بشيخها، الذي يعد صلة وصل بين القبائل والجماعة الإسلامية^(٤٨).

ويتدرج عمل شيخ الزاوية في هذا المجال من التوسط لتحقيق الصلح بين الأفراد إلى دور التوسط بين القبائل لحل مشاكلهم مع بعضهم البعض أو بين بعضهم مع ممثلي السلطة^(٤٩)، بل أنه في بعض الحالات يتدخل شيخ الزاوية لتحقيق الصلح بين المتنازعين على السلطة، فهو بذلك بشكل عامل استقرار وأمن لأنه يطفئ نار الفتنة والحروب الأهلية ويحقن الدماء ويؤلف بين القلوب المتنافرة والاتجاهات المتصارعة^(٥٠).

وأسهمت الزوايا الصوفية في معالجة المشاكل الاجتماعية ولاسيما بين القبائل التي كانت تعيش في الغالب في حالة شبه بدائية، تنتشر بينها النزاعات الدامية ويتعصب أفراد كل قبيلة لقبيلتها؛ ولكن التربية الروحية التي تركز عليها الزوايا الصوفية عملت على تزكية النفوس وتنقيتها من النعرات القبلية التي أساسها الكبرياء والحمية الجاهلية والتكالب على حطام الدنيا^(٥١).

كما أسهمت هذه الزوايا بتقليص الفوارق الطبقيّة بين المسلمين، إذ إن انضمام الشرائح الاجتماعية المختلفة إليها، وأتباع طريقة واحدة في ظل شيخ واحد، أدى إلى أن يتعامل أفرادها

على أساس من الأخوة والمساواة، بغض النظر عن مكانتهم الاجتماعية؛ فهم يؤدون شعائرهم في هذه الزوايا مجتمعين، وقد كان للقيم الأخلاقية التي سارت عليها هذه الزوايا من الاتصاف بالتواضع وتزكية النفس وتنقيتها من الكبر والعجب وغيرها عامل مهم على هذا الطريق^(٥٢)، ومع أن الجوامع والمساجد تمارس ذات الدور، إلا أن تركيز الرباطات والزوايا على تهذيب سلوك المريد جعل أثرها أشد وأقوى.

ومن شواهد مشاركة الزهاد في الرباطات بتصديهم للظلم أنه جاء رجل إلى رباح بن يزيد يشكو إليه سعيد بن لبيد كبير رجال يزيد بن حاتم أمير إفريقية في وقته، وقال الشاكي لرباح أن سعيد بن لبيد أخذ منه جاريته، فأخذ رباح عصاه وانطلق مع الرجل إلى بيت سعيد وأمره برد الجارية، فأطاعه وردها^(٥٣).

المبحث الرابع: الوظيفة السياسية:

لقد مثلت الوظائف المؤسسة للرباطات المغربية صورة دينية واجتماعية مثلى، وتجاوزت مهامها الأولى بوصفها مدرسة ومقراً للإرشاد ومحلاً لإطعام الطعام وملجأً أمان إلى أدوار روحية وتربوية واجتماعية كبيرة، وعلى الرغم من أن القرون الهجرية الأربعة كانت دور تأسيس إلا أنها نجحت في تنفيذ الوظائف الملقاة على عاتقها، ونجحت الرباطات المغربية في أن تصبح مكوناً مهماً في توازن المجتمع المغربي، إذ مثلت ما ينشده الناس من أمان وإيمان، وإن تقلص دورها الديني لسبب من الأسباب إلا أن دورها السياسي لم يفتر، إذ إن الرباطات كانت تسعى لتلبية حاجيات الناس تجاه الحكام^(٥٤).

وكان جلّ شغل المرابطون العبادة وحراسة المسلمين ومراقبة الشواطئ من هجمات السفن الرومية، مما نال استحسان المغاربة الذين أقبلوا على مشاركتهم تقديراً للزهاد المرابطين^(٥٥).

وكانت الرباطات بمثابة حصون عسكرية تعمل على التسليح من أجل الجهاد في سبيل الله، وكذلك توعية المجاهد وتحصينه نفسياً وعقدياً وتقوية يقينه بالله تعالى، وتطهير النفس من التعلق بملذات الدار الفانية؛ لأن المرابط إذا كان كثير التعلق بالدنيا لم يقدم على الجهاد، فلديه القناعة الكاملة بأهمية الجهاد وبأهمية الضحية في سبيل الله تعالى، وقد حققت الرباطات والزوايا الموازنة بين جهاد النفس وبين جهاد العدو^(٥٦).

إن من أقدم الرباطات التي ما زالت قائمة حتى اليوم رباط سيدي شاكِر، ويقال له باللجة المغربية (رباط سيدي شكير)، وقد تقدمت الإشارة إلى أن شاكِر كان من أصحاب عقبة بن نافع، وقد حظي هذا الرباط بعناية ملوك المغرب، ومن مظاهر هذه العناية إقامة (ملتقيات سيدي شكير للتصوف في صيف سنة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م^(٥٧)).

وهو ليس من أقدم الرباطات فحسب، بل هو من بين المراكز الدينية والعلمية القديمة التي ذاع ذكرها وانتشر صيتها.

يقع رباط سيدي شاكِر في بلاد القبيلة الكبرى المعروفة ببركراكَة، على ضفة وادي تانسيفت على بعد ما يقرب من ٨٠ كلم جنوبي غربي مدينة مراكش، ومن الناحية الإدارية اليوم فيقع في جماعة سيدي شكير، قيادة سيدي شكير، دائرة حمر، ولاية آسفي. وفي هذا الرباط ضريح شاكِر الذي أدركه المرض عند مرور عقبة قافلاً من سوس، فتوفي ودفن في هذا المكان. وكان السوسيون يشدون الرحال إليه ليقضوا ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك ليختموا القرآن الكريم فيه^(٥٨).

وكان هذا الرباط مجمعاً للصالحين الذين يفدون إليه ويعيشون الأجواء الروحانية السائدة فيه^(٥٩)، ولم يقتصر حضور هذا الرباط على الرجال فقط بل شمل حتى النساء ويذكر أنه حضر هذا الرباط في أحد الأعوام ألف امرأة^(٦٠).

وقيل: إن الذي بناه هو يعلي الرجرجي، وهو أحد رجال رجرجة السبعة الذين التقوا برسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) وعادوا إلى المغرب دعاة للدين الإسلامي ونشر مبادئه السمحة^(٦١).

وهؤلاء السبعة هم: سيدي واسمن، سيدي عيسى بوعابة، سيدي سعيد السابق، سيدي عبد الله أوناس، سيدي يعلى والد سيدي شكير، سيدي بوبكر أشماس ووالده، سيدي صالح، وينتسبون إلى قبيلة رجرجة أو رگراگة^(٦٢).

والحقيقة أنه لا يود ما يؤيد أو ما ينفي وفادة هؤلاء على رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، إلا أن كتب طبقات الصحابة لم تذكر أحداً منهم أو أشارت إلى وفادة أحد من المغرب على النبي (صلى الله عليه وسلم) مما يرجح عدم صحة هذه الوفاة، إلا أن هذا لا يمنع أن يكون هؤلاء من السابقين في الإسلام في المغرب العربي.

وعلى العموم فأصل هذا الرباط أن السيد (واسمين) جمع فيه المصامدة ودعاهم فيه إلى الإسلام، فصار من حينئذٍ مجعاً لهم، ومن ثم استقر به السيد شاكر، ثم بناه السيد يعلى بن مصلين أحد الرجال السبعة^(٦٣).

وقد أدى هذا الرباط مهاماً جليلة منذ نشأته حتى اليوم، وما يعيننا هو نشاطه في القرون الهجرية الأربعة الأولى، وأبرز نشاطاته تمثلت بما يأتي:

١. نشر الإسلام وتثبيتته عند المصامدة في إقليم السوس الأقصى.
٢. كان مكاناً لاجتماع الصالحين من أبناء السوس الأقصى والصوفية والمتعبدين وبخاصة في شهر رمضان.
٣. كان محطة لاستراحة الحجاج ومدهم بالمساعدات للزاهبين والوافدين من السوس الأقصى إلى الديار المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة وبالعكس.
٤. كان للرباط دوره التعليمي التثقيفي الديني، منذ أن بني في القرن الأول الهجري، إذ أقيمت فيه الدروس والمحاضرات، واعتلى منبره عدد كبير من الجهابذة والفصحاء.
٥. دوره في تعزيز التربية الصوفية.
٦. دور اقتصادي تجاري زراعي، إذ وفرت المحاصيل الزراعية في أملاك الرباط بأسعار زهيدة^(٦٤).

ولم يكن هذا الرباط مأوى للزهاد فحسب، بل كان مأوى للمجاهدين أيضاً إذ تصدى هذا الرباط لإمارة برغواطة، وهي إمارة أمازيغية نشأت على الساحل الأطلسي للمغرب، وضمت الإمارة اتحاداً من مجموعة من قبائل مصمودة بعد فشل التحالف مع مُتمردي الخوارج الصفرين في المغرب ضد العباسيين، فأقاموا مملكة لهم من سنة (١٥٨هـ/٧٧٤م) إلى سنة (٥٥٤هـ/١١٤٩م) في منطقة تامسنا على الساحل الأطلسي بين آسفي وسلا بقيادة طريف المطغري، وقد كانت برغواطة قد اعتنقت الإسلام ثم ارتدت في سنة (١٢١هـ/٧٣٩م)، وأعلن صالح بن طريف نفسه نبياً، وادعى أيضاً أنه المهدي المنتظر، وأنه سيُرافق عيسى (عليه السلام) في النبوة، ووضع لقبيلته قرآناً خاصاً بهم^(٦٥).

الخاتمة

في ختام هذا البحث ومن خلال التحليل والاستنتاج توصلت الدراسة إلى جملة نتائج منها:

١. تولى عدد من كبار العلماء والفقهاء إدارة الرباطات والتدريس فيها.
٢. اتخذ العلماء الرباطات مراكز للدعوة والتعليم.
٣. إن الجهود المبذولة في الرباطات كانت جهود فردية.
٤. أسهمت الرباطات والزوايا في الحركة الفكرية بشكل كبير إلى جانب المساجد، فضلاً عن واجباتها الأخرى.
٥. انتشرت الرباطات على طول الساحل الإفريقي، إذ تحمس أولو الأمر والناس لإقامتها لدوافع أمنية ودينية.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

١. البكري، ابو عبيد الله بن عبد العزيز (ت ٤٧٨هـ/١٠٩٤م)، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى (بغداد ، د. ت.).
٢. الحميري، محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، (ت ٩٠٠هـ/١٤٩٥م)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط ٢ (بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).
٣. ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي الموصلني النصيبي، (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م)، **صورة الأرض**، مكتبة الحياة (بيروت ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).
٤. الدباغ، والتتوخي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبد الله الأنصاري الأسدي، المشهور بالدباغ، (٦٩٦هـ) ، وأبو الفضل قاسم بن عيسى بن ناجي التتوخي الغروي القيرواني، (ت ٨٣٩هـ)، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، تحقيق إبراهيم شبوح، مكتبة الخانجي (القاهرة ، ١٩٦٨م).

٥. الراغب، أبو القاسم بن حسين بن محمد الأصفهاني، (ت ٥٠٢هـ/١١٠٩م)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم بدمشق، والدار الشامية ببيروت، (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).
٦. الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، (ت ٥٣٨هـ/١١٤٤م)، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).
٧. السلوي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد الناصري الدرعي الجعفري، (ت ١٣١٥هـ/١٨٩٧م)، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري، ومحمد الناصري، دار الكتاب (الدار البيضاء/المغرب، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).
٨. السملالي، عباس بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد المراكشي المالكي، (ت ١٣٧٨هـ/١٢٩٤هـ)، الإعلام بمن حل مراكش وأغمت من الأعلام، تحقيق عبد الوهاب منصور، المطبعة الملكية، ط ٢ (الرباط، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م).
٩. الطوسي، أبو نصر عبد الله بن علي بن السراج، (ت ٣٧٨هـ)، اللمع في التصوف، اعتنى بنسخه وتصحيحه رنولد الن نيكلسون، مطبعة بريل (ليدن، ١٩١٤م).
١٠. ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الحسني الأنجري، (ت ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م)، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، المطبعة الجمالية (القاهرة، ١٩١٣م).
١١. أبو العرب، محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي، (ت ٣٣٣هـ/٩٤٤م). طبقات علماء إفريقية، وكتاب طبقات علماء تونس، دار الكتاب اللبناني (بيروت، د. ت.).
١٢. المالكي، أبو بكر عبد الله بن أبي عبد الله (ت ٤٧٤هـ/١١٨١م)، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم وعبادهم ونساکهم وسير أخبارهم وفضلائهم وأوصافهم، تحقيق حسين مؤنس (القاهرة، ١٩٥١).
١٣. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر العباسي، (ت ٢٩٢هـ/٩٠٥م)، مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر، تحقيق د. مضيوف الفراء، مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، السنة الخامسة، العدد الخامس، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

ثانياً: المراجع:

١٤. أيوب، حسن. الجهاد والفدائية في الإسلام، دار الندوة الجديدة، ط ٢ (بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).

١٥. بنعبد الله، عبد العزيز. الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، معلمة المدن والقبائل، وزارة الثقافة والشؤون الإسلامية، (المغرب، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م).
١٦. بنعبد الله، عبد العزيز. مظاهر الحضارة المغربية، دار السلمي (الدار البيضاء، ١٩٥٧م).
١٧. بوتشيش، جمال الدين القادري. مؤسسة الزوايا بالمغرب، بين الأصالة والمعاصرة، دار الحديث الحسنية (الرباط، ٢٠١٢م).
١٨. بوتشيش، د. إبراهيم القادري. ثقافة الوسطية في التصوف السني بالمغرب، التصوف السني في تاريخ المغرب، منشورات الزمن، سلسلة شرفات رقم ٢٧ (الرباط، ٢٠١٠م).
١٩. البيلي، محمد بركات. الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب الإسلامي حتى القرن الخامس الهجري، دار النهضة العربية (القاهرة، ١٩٩٣م).
٢٠. التصوف بالمغرب، معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، (المغرب، ١٤١٥/١٩٩٥م).
٢١. التوفيق، أحمد. مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر إينولتان (١٨٥٠، ١٩١٢)، منشورات كلية الآداب (الرباط، ١٩٧٨م).
٢٢. التوفيق، الدكتور أحمد. معالم من تاريخ التصوف بالمغرب، مركز الإمام الجنيدي، (المغرب، ٢٠١٣م).
٢٣. حسن، حسن إبراهيم. انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، ١٩٦٣م).
٢٤. الحفني، د. عبد المنعم. معجم مصطلحات الصوفية، دار المسيرة، ط ٢ (بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
٢٥. الحمودي، عبد الله. الانقسامية والتراتب الاجتماعية والسلطة السياسية والقداسة، ملاحظات حول أطروحات كلنير، ضمن الأنثروبولوجيا والتاريخ.
٢٦. خشيم، علي فهمي. أحمد زروق والزروقية، دار مكتبة الفكر (طرابلس، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م).
٢٧. الدريدي، حسن إسماعيل البيلي. الربط في المغرب نشأتها وتطورها حتى منتصف القرن الخامس الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة (القاهرة، ١٩٧٨م).
٢٨. الرجراجي، محمد السعيد. رباط شاعر (سيدي شيكر) والتيار الصوفي حتى القرن السادس الهجري، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال (مراكش، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م).
٢٩. الزيات، أحمد حسن الزيات، وإبراهيم مصطفى، وحامد عبد القادر، ومحمد علي النجار. المعجم الوسيط، دار الدعوة، ط ٣ (تركيا، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م).

٣٠. الشاذلي، عبد اللطيف. التصوف والمجتمع، نماذج من القرن العاشر الهجري، منشورات جامعة الحسن الثاني، مطابع سلا، (المغرب، ١٩٨٩).
٣١. ضريف، محمد. مؤسسة الزاوية بالمغرب الإسلامي، منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي (مراكش، ١٩٩٢م).
٣٢. عبد الرحمن، سام بوسو. دور الطرق الصوفية في توحيد الشعوب الإفريقية، ورقة مقدمة إلى الملتقى السادس للشباب المسلم في دكا للفترة من ٣٠-٣١/ ٢٠٠٧.
٣٣. عطية الله، أحمد. القاموس الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، ١٩٧٦م).
٣٤. علم الدين، سليمان سليم. التصوف الإسلامي، تاريخ، عقائد، طرق، أعلام، مطبعة نوفل (بيروت، ١٩٩٩م).
٣٥. فرحات، د. يوسف. المساجد التاريخية الكبرى، دار الشمال (طرابلس/ لبنان، ١٩٩٣م).
٣٦. القادري، عبد الحي. الزاوية القادرية عبر التاريخ والعصور، مطابع الشويخ (تطوان/ المغرب، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).
٣٧. كلنير، إرنست. السلطة السياسية والوظيفة الدينية في البوادي المغربية، ضمن الأنثروبولوجيا والتاريخ.
٣٨. المازوني، محمد. وظائف الزاوية المغربية، مدخل تاريخي، مؤسسة مولاي عبد الله الشريف للدراسات والأبحاث (الرباط، ٢٠١٣م).
٣٩. مجلة البيان: تصدر عن المنتدى الإسلامي، السعودية، السنة ٢١، ربيع الأول، ١٤٢٧هـ، العدد ٢٢٣.
٤٠. مجموعة من اللغويين العرب. المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (القاهرة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م).
٤١. مجموعة مؤلفين. حالة المغرب العربي ضمن كتاب الأنثروبولوجيا والتاريخ، حالة المغرب العربي، ترجمة عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، دار توبقال للنشر (الدار البيضاء، ١٩٨٨م).
٤٢. مفتاح، محمد. التيار الصوفي والمجتمع في الأندلس والمغرب أثناء القرن الثامن الهجري، أطروحة دولة مرقونة، كلية الآداب (الرباط، ١٩٨١م).
٤٣. مفتاح، محمد. الخطاب الصوفي في المغرب الإسلامي، رؤية للنشر والتوزيع (القاهرة، ٢٠١٣م).
٤٤. مؤنس، حسين. شيوخ العصر في الأندلس، دار الرشاد، ط ٤ (القاهرة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

٤٥. نصر، د. سيد حسين. **الصوفية بين الأمس واليوم**، الدار المتحدة للنشر (بيروت، ١٩٧٥م)، ص ٢٢، ٢٥.

٤٦. اليشرطية، فاطمة الحسنية. **مسيرتي في طريق الحق**، أثر التصوف في حياتي، اشرف وتصدير احمد اليشرطي، بلا دار، ط٢ (بيروت، ١٩٩٧م).

الهوامش:

(١) اليشرطية، فاطمة الحسنية. **مسيرتي في طريق الحق**، أثر التصوف في حياتي، اشرف وتصدير احمد اليشرطي، بلا دار، ط٢ (بيروت، ١٩٩٧م)، ص ١١٤.

(٢) الصوفية لغة: نسبة إلى التصوف، واختلف في أصل التسمية، ف قيل نسبة إلى لبس الصوف، وقيل من الصوف لأنّ الصوفي مع الله تعالى، كالصوفة المطروحة لاستسلامه لله تعالى، وقيل من الصفة، إذ جملته من اتصاف بالمحاسن وترك الأوصاف المذمومة، وقيل : من الصفاء، وقيل من أهل الصفة وقيل من الصّف؛ لأنهم في الصف الأول في الإقبال على الله. ينظر: الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، (ت٥٣٨هـ/١١٤٤م)، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، مادة (صوف)، ج ١، ص ٥٦٤/ ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الحسني الأنجري، (ت١٢٢٤هـ/١٨٠٩م)، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، المطبعة الجمالية (القاهرة، ١٩١٣م)، ص ٣.

والتصوف اصطلاحاً: عُرف التصوف بتعريفات عدة، أغلبها ركزت على التحلي بالأخلاق مثل قول الجنيد البغدادي: التصوف استعمال كل خلق سني. ينظر: الطوسي، أبو نصر عبد الله بن علي بن السراج، (ت٣٧٨هـ)، **اللمع في التصوف**، اعتنى بنسخه وتصحيحه رنولد الن نيكلسون، مطبعة بريل (ليدن، ١٩١٤م)، ص ٢٦.

(٣) القادري، عبد الحي. **الزوايا القادرية عبر التاريخ والعصور**، مطابع الشويخ (تطوان/ المغرب، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ص ١٩.

(٤) الراغب، أبو القاسم بن حسين بن محمد الأصفهاني، (ت٥٠٢هـ/١١٠٩م)، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم بدمشق، والدار الشامية ببيروت، (١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ص ١٨٥؛ الزيات، أحمد حسن الزيات، وإبراهيم مصطفى، وحامد عبد القادر، ومحمد علي النجار. **المعجم الوسيط**، دار الدعوة، ط٣ (تركيا، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م)، مادة (ربط)، ج ١، ص ٣٢٣.

(٥) الحفني، د. عبد المنعم. **معجم مصطلحات الصوفية**، دار المسيرة، ط٢ (بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ص ١٠٨، ١٠٩.

(٦) الحفني، معجم مصطلحات الصوفية، ص ١٠٩؛ اليشرطية، مسيرتي في طريق الحق، ص ١١٤.

إسهامات الرباطات والزوايا في الحركة الفكرية في المغرب الإسلامي من الفتح حتى نهاية القرن الرابع الهجري

- (٧) خشيم، علي فهمي. أحمد زروق والزروقية، دار مكتبة الفكر (طرابلس ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، ص ٦٧.
- (٨) مجموعة من اللغويين العرب. المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (القاهرة، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، مادة (زوى) ص ٥٩٥؛ خشيم، أحمد زروق والزروقية، ص ١٧٠.
- (٩) نصر، د. سيد حسين. الصوفية بين الأمس واليوم، الدار المتحدة للنشر (بيروت، ١٩٧٥م)، ص ٢٢ ، ٢٥.
- (١٠) بوتشيش، جمال الدين القادري. مؤسسة الزوايا بالمغرب ، بين الأصالة والمعاصرة، دار الحديث الحسنية (الرباط ، ٢٠١٢م)، ج ١، ص ٢٤١.
- (١١) عطية الله، أحمد. القاموس الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، ١٩٧٦م)، ج ٢، ص ٢١١؛ الحفني، معجم مصطلحات الصوفية، ص ٨٧؛ علم الدين، سليمان سليم. التصوف الإسلامي ، تاريخ، عقائد، طرق، أعلام، مطبعة نوفل (بيروت . ١٩٩٩م)، ص ٤٤٦؛ فرحات، د. يوسف. المساجد التاريخية الكبرى، دار الشمال (طرابلس/ لبنان، ١٩٩٣م)، ص ١٣٨؛
- (١٢) المعجم العربي الأساسي، ص ٢٠١.
- (١٣) فرحات، المساجد التاريخية الكبرى، ص ١٣٨.
- (١٤) التصوف بالمغرب، معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، (المغرب، ١٤١٥/١٩٩٥م)، ج ٧، ص ٢٣٩١ .
- (١٥) الدباغ، والتنوشي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبد الله الأنصاري الأسدي، المشهور بالدباغ، (٦٩٦هـ) ، وأبو الفضل قاسم بن عيسى بن ناجي التنوشي الغروي القيرواني، (ت ٨٣٩هـ)، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق إبراهيم شيوخ، مكتبة الخانجي (القاهرة ، ١٩٦٨م)، ج ١، ص ٣٢.
- (١٦) الببلي، محمد بركات. الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب الإسلامي حتى القرن الخامس الهجري، دار النهضة العربية (القاهرة، ١٩٩٣م)، ص ٦٨.
- (١٧) مؤنس، حسين. شيوخ العصر في الأندلس، دار الرشاد، ط ٤ (القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م) ص ٢٥.
- (١٨) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر العباسي، (ت ٢٩٢هـ/٩٠٥م)، مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر، تحقيق د. مضيوف الفراء، مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، السنة الخامسة، العدد الخامس، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص ٢٥، ٢٤.
- (١٩) ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي الموصلني النصيبي، (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م)، صورة الأرض، مكتبة الحياة (بيروت ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ص ٧٥.
- (٢٠) أبو العرب، محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي، (ت ٣٣٣هـ/٩٤٤م)، طبقات علماء إفريقية، وكتاب طبقات علماء تونس، دار الكتاب اللبناني (بيروت ، د. ت.)، ج ١، ص ١٠٧.
- (٢١) الببلي، الزهاد والمتصوفة، ص ٦٩.

إسهامات الرباطات والزوايا في الحركة الفكرية في المغرب الإسلامي من الفتح حتى نهاية القرن الرابع الهجري

- (^{٢٢}) الدريدي، حسن إسماعيل البيلي. **الربط في المغرب** نشأتها وتطورها حتى منتصف القرن الخامس الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة (القاهرة، ١٩٧٨م)، ص ٣٥، ٣٥.
- (^{٢٣}) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٧٢؛ البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز (ت ٤٧٨هـ/١٠٩٤م)، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى (بغداد، د. ت.)، ص ١٧؛ الحميري، محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، (ت ٩٠٠هـ/١٤٩٥م)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط ٢ (بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ص ٣٨٩.
- (^{٢٤}) البكري، المغرب، ص ٣٦.
- (^{٢٥}) الدريدي، الربط، ج ١، ص ٤٢٠.
- (^{٢٦}) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٧٥.
- (^{٢٧}) الدريدي، الربط، ص ٨٤.
- (^{٢٨}) المالكي، أبو بكر عبد الله بن أبي عبد الله (ت ٤٧٤هـ/١١٨١م)، **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم وعبادهم ونساکهم وسير أخبارهم وفضلائهم وأوصافهم**، تحقيق حسين مؤنس (القاهرة، ١٩٥١)، ج ١، ص ٤٢٠.
- (^{٢٩}) المالكي، رياض النفوس، ج ١، ص ٣٣٤، ٤١٥، ٤٨٣، ٤٨٧.
- (^{٣٠}) المالكي، رياض النفوس، ج ١، ص ٤١٥، ٤١٤.
- (^{٣١}) بوتشيش، د. إبراهيم القادري. **ثقافة الوسطية في التصوف السني بالمغرب**، التصوف السني في تاريخ المغرب، منشورات الزمن، سلسلة شرفات رقم ٢٧ (الرباط، ٢٠١٠م)، ص ٣٣، ٣٤.
- (^{٣٢}) التصوف بالمغرب، ج ٧، ص ٢٣٩١، ٢٣٩٣؛ التوفيق، الدكتور أحمد. **معالم من تاريخ التصوف بالمغرب**، مركز الإمام الجنيد، (المغرب، ٢٠١٣م)، ص ٦، ٨.
- (^{٣٣}) السلاوي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد الناصري الدرعي الجعفري، (ت ١٣١٥هـ/١٨٩٧م)، **الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى**، تحقيق جعفر الناصري، ومحمد الناصري، دار الكتاب (الدار البيضاء/المغرب، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ج ٢، ص ٦.
- (^{٣٤}) بوتشيش، مؤسسة الزوايا بالمغرب، ج ١، ص ٣٩.
- (^{٣٥}) ضريف، محمد. **مؤسسة الزاوية بالمغرب الإسلامي**، منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي (مراكش، ١٩٩٢م)، ص ٥٥.
- (^{٣٦}) الدباغ، معالم الإيمان، ج ٢، ص ٢٧١.
- (^{٣٧}) مجموعة مؤلفين. **حالة المغرب العربي** ضمن كتاب الأنثروبولوجيا والتاريخ، حالة المغرب العربي، ترجمة عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، دار توبقال للنشر (الدار البيضاء، ١٩٨٨م)، ص ٣٦.

إسهامات الرباطات والزوايا في الحركة الفكرية في المغرب الإسلامي من الفتح حتى نهاية القرن الرابع الهجري

- (^{٣٨}) بوتشيش، مؤسسة الزوايا بالمغرب، ج ١، ص ٢٦٢.
- (^{٣٩}) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٦٤.
- (^{٤٠}) عبد الرحمن، سام بوسو. دور الطرق الصوفية في توحيد الشعوب الإفريقية، ورقة مقدمة إلى الملتقى السادس للشباب المسلم في دكاكر للفترة من ٣٠-٣١/ ٢٠٠٧، ص ١١.
- (^{٤١}) الشاذلي، عبد اللطيف. التصوف والمجتمع، نماذج من القرن العاشر الهجري، منشورات جامعة الحسن الثاني، مطابع سلا، (المغرب، ١٩٨٩)، ص ١٣٤.
- (^{٤٢}) التوفيق، أحمد. مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر إينولتان (١٨٥٠، ١٩١٢)، منشورات كلية الآداب (الرباط، ١٩٧٨م)، ج ٢، ص ٩٤.
- (^{٤٣}) الشاذلي، التصوف والمجتمع، ص ١٢٥.
- (^{٤٤}) كلنير، إرنست. السلطة السياسية والوظيفة الدينية في البوادي المغربية، ضمن الأنثروبولوجيا والتاريخ، ص ص ٤٣، ٥٩.
- (^{٤٥}) الحمودي، عبد الله. الانقسامية والتراتب الاجتماعية والسلطة السياسية والقداسة، ملاحظات حول أطروحات كلنير، ضمن الأنثروبولوجيا والتاريخ، ص ص ٨٦، ٦٠.
- (^{٤٦}) مفتاح، محمد. التيار الصوفي والمجتمع في الأندلس والمغرب أثناء القرن الثامن الهجري، أطروحة دولة مرقونة، كلية الآداب (الرباط، ١٩٨١م)، ج ١، ص ٨٠.
- (^{٤٧}) ضريف، مؤسسة الزاوية، ص ٥٧.
- (^{٤٨}) الشاذلي، التصوف والمجتمع، ص ١٢٧.
- (^{٤٩}) بوتشيش، مؤسسة الزوايا بالمغرب، ج ١، ص ٣٨٣.
- (^{٥٠}) مفتاح، محمد. الخطاب الصوفي في المغرب الإسلامي، رؤية للنشر والتوزيع (القاهرة، ٢٠١٣م)، ص ٥.
- (^{٥١}) عبد الرحمن، دور الطرق الصوفية، ص ١١.
- (^{٥٢}) عبد الرحمن، دور الطرق الصوفية، ص ١٢.
- (^{٥٣}) أبو العرب، طبقات علماء إفريقية، ص ٤٥.
- (^{٥٤}) المازوني، محمد. وظائف الزاوية المغربية، مدخل تاريخي، مؤسسة مولاي عبد الله الشريف للدراسات والأبحاث (الرباط، ٢٠١٣م)، ص ٢٥.
- (^{٥٥}) البيلي، الزهاد والمتصوفة، ص ص ٧٥، ٧٦.
- (^{٥٦}) أيوب، حسن. الجهاد والفدائية في الإسلام، دار الندوة الجديدة، ط ٢ (بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م)، ص ٣٢.
- (^{٥٧}) مجلة البيان: تصدر عن المنتدى الإسلامي، السعودية، السنة ٢١، ربيع الأول، ١٤٢٧هـ، العدد ٢٢٣، ص ١٥.
- (^{٥٨}) بنعبد الله، عبد العزيز. مظاهر الحضارة المغربية، دار السلمي (الدار البيضاء، ١٩٥٧م)، ص ٦٤.

- (^{٥٩}) السملالي، عباس بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد المراكشي المالكي، (ت ١٣٧٨هـ/ ١٢٩٤ هـ)، الإعلام بمن حل مراكش وأغमत من الأعلام، تحقيق عبد الوهاب منصور، المطبعة الملكية، ط ٢ (الرباط، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)، ج ٩، ص ٣١٥.
- (^{٦٠}) السملالي، الأعلام، ج ٩، ص ٣١٦.
- (^{٦١}) حسن، حسن إبراهيم. انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، ١٩٦٣م)، ص ٧٢.
- (^{٦٢}) الرجراجي، محمد السعيد. رباط شاعر (سيدي شيكر) والتيار الصوفي حتى القرن السادس الهجري، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال (مراكش، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م)، ص ١٨.
- (^{٦٣}) بنعبد الله، عبد العزيز. الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، معلمة المدن والقبائل، وزارة الثقافة والشؤون الإسلامية، (المغرب، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)، ج ١، ص ٢٠٥.
- (^{٦٤}) الرجراجي، رباط شاعر، ص ص ٤٣، ٤٤.
- (^{٦٥}) السلاوي، الاستقصا، ج ٢، ص ١٨، ١٥.

فيضان وطاعون بغداد ١٨٣٠-١٨٣١
وانعكاساته على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية

كريم محمد صالح محمد
أ.د. محمد كريم المشهداني
الجامعة العراقية/ كلية الآداب

فيضان وطاعون بغداد ١٨٣٠-١٨٣١ وانعكاساته على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية

كريم محمد صالح محمد

أ.د. محمد كريم المشهداني

The Flood and Plague of Baghdad in 1830-1831 and its Reflection on the Social and Economic life

Abstract

The population of Iraq in general and Baghdadis have been subjected to a wave of natural disasters which caused the death of hundreds of people. Baghdad, for instance, has witnessed a number of plagues, but the most severe one was the one in Persian city of Tibriz in July, 1830 which then moved to Kirkuk and many infected people began to appear. After that the plague moved to Suleimanyah and then to Baghdad. The plague coincided with another disaster which is the flood of Baghdad in the same year forming a real human and environmental disaster on most of the Iraqi cities specially the city of Baghdad, leaving behind sociological, economic effects that would last for long time.

The study includes two inquiries, the first studies the consequences of the flood and plague on the social reality for the city of Baghdad, and its reflected on the other cities of Iraq during which many social conditions that were strange to the habitants of Baghdad.

The second inquiry studies the effect of these two disasters on the human activities in Baghdad, and accompanying famines in the form blow to the economic life. Trade was inflicted with a dangerous risk that the people of Baghdad were not able to surpass the crisis unless by the passage of two deades.

المقدمة:

تعرض سكان العراق بشكل عام، وبغداد بشكل خاص إلى موجة من الكوارث الطبيعية التي أودت بحياة المئات من سكانه، فقد شهدت بغداد عدة طواعين، غير أن أكثرها فتكاً وباء الطاعون الذي ظهر في مدينة تبريز الفارسية في تموز ١٨٣٠ وانتقل بعد شهرين إلى مدينة كركوك، وسرعان ما ظهرت العديد من الإصابات بين سكانها، وانتقل بعدها إلى السليمانية ومنها إلى بغداد، وتزامن هذا الوباء مع فيضان بغداد من العام نفسه، فشكلا كارثة بيئية وإنسانية على معظم مدن العراق لاسيما مدينة بغداد، خلفاً وراءه آثاراً اجتماعية واقتصادية ظلت آثارها باقية لمدة طويلة من الزمن.

تضمنت الدراسة مبحثان، الأول تناول تداعيات الفيضان والطاعون على الواقع الاجتماعي لسكان المدينة، وانعكاساته على باقي مدن العراق الأخرى برزت في اثناءها حالات اجتماعية غريبة التي لم

يألفها سكان بغداد، وبعبارة عن عاداتهم وتقاليدهم الأصلية، فضلاً عن الآثار السلبية على مستوى التفكير والسلوك لدى أهالي بغداد.

في حين درس المبحث الثاني آثار هاتان الكارثتان على النشاط الاقتصادي في إيالة بغداد وما صاحبها من مجاعات شكلت ضربة قاصمة للحياة الاقتصادية، فقد أصيبت التجارة بكساد خطير لم يكن يوسع أهل العراق من تجاوز هذه الأزمة الاقتصادية إلا بعد مرور ما يربو على عقدين من الزمن.

اعتمد الباحث على مصادر ومراجع عديدة في مقدمتها (تاريخ العراق بين احتلالين) لمؤلفه عباس العزاوي، الذي يعد من المصادر التي لا يمكن لأي باحث الاستغناء عنه. وقد غطى الكثير من جوانب البحث، فضلاً عن الكتب المعربة ومنها كتاب (دوحة الوزراء في وقائع بغداد الزوراء) لرسول الكركولي ترجمة موسى كاظم نورس، إذ عاصر المؤلف الحكم المملوكي في العراق، وألف كتابه بإيعاز من داود باشا، ومن المصادر الأخرى التي اعتمدها الباحث كتب الرحلات أهمها (رحلة فريزر إلى بغداد ١٨٣٨) جيمس بيلى فريزر، وهذا الكتاب يعد خير من وصف الطاعون والفيضان عام ١٨٣٠-١٨٣١.

كما اعتمد الباحث على مجموعة من الأطاريح والرسائل الجامعية التي أغنت البحث بكثير من المعلومات، فضلاً عن عدد من البحوث والدراسات التي أفادت الباحث في أعداد هذه الدراسة.

المبحث الأول

تداعيات الفيضان والطاعون على الواقع الاجتماعي

كان لفيضان وطاعون بغداد عام ١٨٣٠ و ١٨٣١ انعكاسات على الأوضاع الاجتماعية بشكل واضح على سكان مدينة بغداد وباقي مدن العراق الأخرى، لذلك ظهرت حالات غريبة بعيدة عن عاداتهم وتقاليدهم الأصلية، إذ أغلب السكان بمختلف طوائفهم ملتزمون بمبادئهم وقيمهم الدينية السامية، وقد وصف عالم الأوبئة الفرنسي (ثولوزون) مصاعب سكان بغداد الطويلة مع هذا الوباء بأنهم سكان السكرافيو لا (تورمات الغدد اللمفاوية) بشكل واضح (١).

لقد اتسم أهل بغداد بالشمال الجميلة والخصال الكريمة والسجايا النبيلة، ولعل من أكثر الإشارات تفصيلاً عن الخصال التي يتمتع بها سكان العراق ما ذكره الآباء الكرمليون في فارس الذين تحدثوا عن أخلاق سكان بغداد بقوله: "إن البغداديين - بدون استثناء - هم من أكثر الذين قابلتهم تحضراً في البلاد الإسلامية، فهم ميالون إلى إظهار تأدبهم للأجانب، وخاصة من أصحاب الديانات الأخرى، ولهذا فعندما يمر المرء في شوارع بغداد فإنه يلقى التحايا والانحناءات حتى من قبل أكثر الطبقات الراقية" (٢).

وبسبب تعاقب الفيضانات والأوبئة بشكل مستمر، فقد تولد لدى السكان شعور نفسي كانت له انعكاساته على التركيبة السكانية من جهة وما تركه من آثار على مستوى التفكير وتركت تداعيات خطيرة على العلاقات العائلية والسلوك الفردي والعادات والتقاليد والمعتقدات الاجتماعية والثقافية، لدى سكان المدينة، فكان سكانها يعيشون في حالة من الدهشة عندما يرون ان هذه الأوبئة وما يصاحبها من فيضانات مدمرة، تؤدي بالتالي إلى توقف عجلة الحياة بشكل مذهل، إذ تقفل المحلات أبوابها، وتتحول البيوت والمدن إلى مناطق أشباح. لا يمكن العيش به بسبب تحولها إلى مناطق موبوءة تضطر الحكومة إلى نقلهم لمناطق أخرى (٣)، ووفق هذه المتغيرات يمكننا ان نستنتج أن هذه الأوبئة كانت عاملاً مساعداً لبروز مظاهر الازدواج في الشخصية، فعلى الرغم من ان أغلب سكان المدن لديهم مجموعة من العادات التي يتباهى بها أهل المدينة في بغداد مثل الكبرياء والتفاخر بالعصبية والثأر، إلا أننا نجد أن هذه المظاهر سرعان ما تتغير حالما يجتاحهم وباء، فتظهر حالة التناقض الذي كانوا يتظاهرون به، فيميلون باتجاه الحزن الشديد والايلام من الزمان، وهنا يصف لنا علي الوردي هذه الشخصية عند أهل المدن بأنها: صارت بطابعين مختلفين، أحدهما يميل نحو التألم والخضوع والشكوى، والآخر يميل نحو التحدي والمغالبة (٤).

كما ترك وباء الطاعون بصمته كمرض قاتل لا يرحم في الذاكرة الشعبية لأهل العراق، إذ بقيت نتائج الطاعون المريعة أثراً راسخاً في أذهان الأجيال البغدادية حتى النصف الأول من القرن العشرين (٥).

وعلى الرغم من أن الطاعون والفيضان لعام ١٨٣٠-١٨٣١ كان أحد الأسباب المباشرة التي أثرت على الحياة الاجتماعية في بغداد بمختلف مجالاتها، إلا أن هناك عوامل أخرى ساعدت على أن يكون تأثيرها أكبر أدت بالتالي إلى حدوث متغيرات جذرية في ديمغرافية بغداد، ألقت بظلالها على واقع الحياة السكاني ونشاطاته (٦).

ومن هذه العوامل فإنه وعلى الرغم من تكرار حوادث الطواعين والفيضانات والأوبئة الأخرى، إلا أننا لم نجد أي سعي أو مجهود حكومي يستبق الأحداث ويتخذ على ضوءها الإجراءات الاحترازية التي من خلالها إمكانية تفادي آثار هذه الفيضانات وما تزامن معها من أوبئة، وعليه فإن انعدام الخدمات وسوء التخطيط العمراني للمدينة الذي تمثل بشوارعها الضيقة التي تتخلل أحيائها، وبيوتها الصغيرة القريبة من بعضها جعل فرصة انتقال الأمراض متوفرة، فضلاً عن أن هذا التقارب بين البيوتات وضيق شوارعها يحجب أشعة الشمس من الوصول إليها، فتجعلها أكثر عرضة لظهور مثل تلك الأمراض (٧).

كما أن انعدام الخدمات البلدية التي كانت عاملاً آخر في تفاقم الحالة الصحية للسكان، فقد أجمع أغلب الرحالة الذين زاروا بغداد قبل وأثناء عهد داود باشا إذ ذكروا ان شوارع بغداد ضيقة بشكل كبير

وغير مبلطة وفي نفس الوقت ملتوية وأكثر تعرجاً وتنقصها العديد من المؤسسات التي تأخذ على عاتقها مسؤولية تقديم الخدمات للسكان، وأن المرافق الموجودة لا تتناسب وشهرتها التاريخية، فضلاً عن أن طرقها قذرة وموحلة لاسيما في فصل الشتاء وتعج بالتراب صيفاً (٨).

ومن الجدير بالذكر أن هذه النواحي المهمة المذكورة أعلاه، إلا وهي حالة الشوارع العامة والأزقة فيها، إذ ليس هناك ما يشير في فترة موضوع البحث إلى وجود دائرة خاصة -كالبلدية- مثلاً تهتم بالخدمات الاجتماعية للسكان (٩)، وعلى ما يبدو أن معظم الخدمات المدنية في مدينة بغداد كانت تدار من قبل حكوماتها المحلية، المتمثلة بالولاية والموظفين الحكوميين مباشرة، وإن قسماً آخر من تلك الخدمات كانت تتم بمساهمة أعيان المدينة وبعض الميسورين (١٠).

أما العامل الآخر الذي كان أساسياً في نقل الأوبئة وانتشارها بشكل سريع، هي طريقة نقل مياه الشرب إلى محلات بغداد وسكانها، إذ كانت هذه العملية تتم بطريقتين أحدهما رفع المياه من نهر دجلة، وثانيهما نقلها إلى سكان المدينة بأساليب مختلفة، فبالنسبة للطريقة الأولى، فأنها كانت قائمة على رفع المياه بواسطة الدواليب من النهر، إلى قنوات مطلية بالقار، مرفوعة على عقود عالية، فتجري في الدروب والمحال بصورة منحدرية حتى تصل إلى المواضع المهمة، أو الأكثر ازدحاماً في السكن، فتتفرع منها في قنوات أخرى لتصب في السقايات المشيدة هناك (١١).

أما الطريقة الثانية لنقل المياه إلى بغداد، فكانت تجري بواسطة السقائين الذين ينقلون الماء إلى أحواض كبيرة كل يوم، لقاء أجر معلوم، وكانت هناك سقايات عامة موزعة في أرجاء المدينة يملؤها السقاؤون لتبقى في خدمة السكان طيلة اليوم، وقد كان الماء يجلب من نهر دجلة في أزقة (قرب) كبيرة من الجلد على ظهور الثيران والحياد (١٢)، فضلاً عن أن عدد من السكان قد اعتمد على مياه الآبار التي انتشرت في بغداد إلى حد كبير (١٣). وكل هذه الأساليب البدائية كانت تفقر إلى الحد الأدنى من الشروط الصحية الواجب توفرها لحماية السكان من انتقال الأمراض والأوبئة عن طريقها (١٤)، على العكس من سراي الباشا المملوكي، فقد كان فسيحاً ويحوي في داخله على منازل جميلة والبذخ الظاهر، فضلاً عن أن داود باشا قام بإصلاح السراي سنة ١٨٢٠، وقد شكل هذا التفاوت بين الطبقة الحاكمة والطبقة العامة من السكان الذين يشكلون الغالبية العظمى عاملاً في زيادة مأساتهم الناتجة عن طاعون وفيضان عام ١٨٣٠-١٨٣١ (١٥).

لذلك فإن الخدمات التي كانت تقدم على الرغم من بساطتها، قد انعدمت تماماً وتوقفت جميعها عن العمل، لأن الموت قد هاجم الموظفين وأفراد الجيش الذين بلغ تعدادهم في عام ١٨٢٦ (٥٠٠٠-٦٠٠٠) جندي وكانوا مدربين تدريباً حسناً قضى عليهم الطاعون وخدم الديوان، فقضى عليهم كقضائه

على أعداد كثيرة من الناس، فأصبح داود باشا في حيرة من أمره، ولم يكن أحد هناك يأخذ بأوامره، وطلب بأن يأتوا إليه بالسفن لنقل السكان إلى أماكن أكثر أمناً، فلم تحضر له أية سفينة (١٦).

لقد ظهرت آثار الأوبئة على سكان مدينة بغداد وباقي مدن العراق الكبيرة إذ برزت ظاهرة هروب السكان من منازلهم وهجرة عدداً منهم، وقد تركت لنا هذه الظاهرة موروثاً شعبياً فيه الكثير من الألم والحزن، وقد انعكس ذلك بشكل واضح على مختلف نشاطاتهم بسبب الكوارث الطبيعية التي ألمت بالعراق، وقد عُد هذا الفيضان وما صاحبه من وباء الطاعون من أعظم الكوارث وأشدّها فتكاً وتأثيراً وقد أجهز على معالم الحياة فغي بغداد، حتى أغرقت قسماً كبيراً منها، وهدمت معظم بيوتها وأبنيتها، فضلاً عن قضائها على أكثر من ثلثي سكان بغداد، فمن أصل مائة وخمسون ألف نسمة، لم يبق على قيد الحياة إلا خمسون ألف (١٧).

ولربما أن أحد أسباب تناقص أعداد السكان لهذا الشكل يعود إلى بعض الإجراءات التي قامت بها حكومة بغداد عندما منعت الناس من الفرار في بادئ الأمر من المناطق الموبوءة والفرار منها إلى القرى والأرياف، كما أن الكثير من السكان استسلموا لقدرهم بسبب جهلهم بالاحتياطات الواجب اتخاذها لمواجهة الوباء والفيضان، فضلاً عن انتشار اللصوص في مختلف مداخل بغداد كان مانعاً بعدم فرار السكان إلى مناطق آمنة، وبسبب تأثيرها المميت وأخبارها المفزعة لا زال أهالي بغداد يرددون أخبارها ويشيرون إليها في أحاديثهم ومناسباتهم فيسمونها بـ(طواعين بغداد) (١٨).

كان لهذه الكوارث أثراً اجتماعياً ملموساً على سكان بغداد، وأخذت طبائعهم تميل باتجاه الكآبة والمآسي، وهذه الصفات الدخيلة التي فرضتها الأحداث أخذت حيزاً كبيراً من صفاتهم الحميدة التي كانوا يتصفون بها، فهم دائماً مؤديون عقلاء محسنون إلى الأجانب (١٩). وهذا ما أكدّه الرحالة الفرنسي أوليفيه الذي اعتقد أن سكان بغداد أكثر حِلماً في طبائعهم من سائر سكان المدن الشرقية، فتعصبهم الديني لا يخلو من تسامح ولم يؤد الحسد عندهم إلى ظلم كبير، وكان إشراف البلدة أكثر تأدياً وثقافة (٢٠).

كذلك ان المدينة (بغداد) كانت لمدة طويلة مركزاً للخلافة وعاصمة لأعظم إمبراطورية ومركزاً للإسلام وملقى العلماء والشعراء والأدباء وقد حافظت على ما تبقى لها من ذوق وأدب وميل إلى البهجة التي تتميز بها عن باقي العواصم الأخرى، وفي ذلك الوقت ساد الأمن وازدهرت التجارة ولم يؤذ أحداً من الطوائف غير المساحة، وكانت بغداد خلال حكم داود باشا أغنى ولاية بعد مصر، وعدت من بين مدن الإمبراطورية العثمانية الكبرى (٢١).

لذلك نجد من الطبيعي ان تتغير أوضاعهم وطبائعهم بسبب ما خلفه الوباء والفيضان من مجاعة وقحط، اضطهرهم فيما بعد إلى اتخاذ مجموعة من الإجراءات التي تتناسب والمتغيرات التي طرأت على حياتهم، فضلاً عن أن هجرة عدد من السكان وفقدان الكثير منهم بسبب هذا الفيضان والوباء دفع بالعديد

من سكان القرى والأرياف المحيطة ببغداد للهجرة إلى بغداد، وقد كانت هذه الهجرات عبارة عن مجاميع قبلية لها عاداتها وتقاليدها الخاصة بها، أثرت بالتالي على ثقافة سكان بغداد، خاصة بعد أن أخذت هذه المجاميع تتفوق في محلات أو عقود بأسماء الأقوام والعشائر التي تسكنها عوضت عن النقص السكاني الذي حصل بسبب الوباء والفيضان، وقد كانت هذه المجاميع السكانية منفصلة عن بعضها البعض بالجوانب الاجتماعية واختلاف التقاليد وتغير العادات التي تحتاج إلى فترة طويلة للانصهار في ثقافة واحدة، كل ذلك أدى إلى تفكك الروابط الاجتماعية بينهم وبالتالي إلى عدم الانسجام بين أبناء المجتمع نفسه بسبب تنوع الثقافات والمبادئ التي يقوم عليها وينهض على دعائمها، مما خلق حالة من التباين أحياناً شكلت خطراً على الوحدة الاجتماعية وبالأخص الثقافية منها (٢٢).

وعلى الرغم من هجمة الوباء والفيضان على سكان بغداد، إلا أنهم حافظوا على الجوانب الاجتماعية والإنسانية، ففي كل وباء يجتاح العراق كان الناس يهتمون اهتماماً كبيراً بغسل الميت وتكفينه، وأجروا كل ما أمرت به الشريعة الإسلامية في هذا الشأن، وأن كان بعضهم غير ملتزم بأوامر الشريعة في حياتهم العملية اليومية، لكنهم عند الموت حرصوا كل الحرص على اتباع تعاليم الشريعة وإن أدت عملية غسل الميت في وقت الوباء قد زادت من انتشار عدواه بينهم (٢٣).

والغريب في الأمر أن الكثير من الناس سارع في شراء مواد التكفين لأنفسهم وأفراد عائلاتهم حالما تصلهم أنباء انتشار الوباء استعداداً للموت، إذ كانوا يخافون أن يدفنوا من غير ذلك، كونهم يتصورون أن الله سيرميهم في نار جهنم إذا وجدوهم غير مكفينين، فازداد الطلب على مواد التكفين في الأيام الأولى من انتشار الطاعون في بغداد، فارتفعت أسعارها ارتفاعاً كبيراً حتى وصلت في بعض الأحيان إلى أربعة أضعاف سعرها الأصلي، كذلك اشتد الطلب على الماء أيضاً لحاجة الناس في غسل الموتى، فاستغل السقائين ذلك، مما اضطر بعض الناس الذهاب إلى النهر بأنفسهم من أجل جلب الماء لغسل الموتى (٢٤).

وبعد أن زال خطر الطاعون والفيضان في الأسبوع الأول من أيار ١٨٣١ عن المدينة تجمع الأهالي في أماكن واحدة خشية عليهم من الإصابة بالمرض، ولكن أوضاع المدينة كانت مزرية للغاية، بعد أن ملئت الشوارع بالجنث تغطيها أوحال مياه الفيضان. ونظراً للإجراءات التي اتخذتها الحكومة وتعاون الأهالي، فقد بدأت أحوال الناس تتحسن نسبياً داخل المدينة أواخر هذا الشهر المذكور، ورفعت الجثث من الشوارع ودفن البعض والقي البعض الآخر في النهر، وتم جمع الحيوانات الهاربة، وبيعت المواد الغذائية في أسواق المدينة، وبدأ الناس يتوافدون إلى الجوامع بعد أن سمعت أصوات المؤذنين في أرجاء بغداد (٢٥).

قام داود باشا بعد تماثله للشفاء من مرض الطاعون بتعيين مجموعة من الجنود لتنظيف بغداد، ورصد مبلغاً من المال لنقل الجثث من كل أحياء بغداد، بعد أن بلغ تعفن الهواء حداً لا يطاق، فضلاً عن أن الباشا أراد من خلال ذلك إنهاء هذه المظاهر المأساوية التي عطلت الحياة، وخلقت فراغاً أمنياً كبيراً، استغلته المجاميع التي كانت تتحين الفرص في مثل هكذا ظروف، لتحقيق مآربها، كما أن داود باشا أراد كذلك أن ينهي الصورة المروعة التي كانت تدفن فيها الجثث، إذا كانت تُشد من أرجلها بالحبال وتربط بذبول الحيوانات السائبة التي لم يكن لها مالك، فتجرها الحيوانات وهي مقلوبة على وجوها حتى شاطئ النهر في منظر لم يألفه الناس من قبل (٢٦).

وعلى الرغم من تأثر المؤسسات الدينية مثل المساجد والتكايا وقبور الصالحين والأولياء، والتي نالت قدسية كبيرة في نفوس الطوائف الإسلامية المختلفة، بسبب الفيضان ومنها الصحن الكاظمي الشريف، إلا أنها ظلت توزع المعونات وإطعام الفقراء، خاصة بعد بروز ظاهرة وقف (٢٧) الأراضي والبيوت والدكاكين التي خصص ريعها لإطعام الفقراء ومساعدتهم عند حدوث الكوارث الطبيعية، وقد استمر توزيع الطعام والاحتياجات الضرورية في جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني، وجامع الإمام موسى الكاظم، وجامع الإمام أبو حنيفة، وجامع الشيخ معروف الكرخي (٢٨)، ومساهمة من داود باشا فقد أوقف عدداً من الوقفيات ومنها التكية الخالدية ببغداد (٢٩).

وحذا حذوهم أهل الخير والطبقة الموسرة من السكان في جمع التبرعات والعمل على مساعدة الفقراء والتخفيف عن كاهلهم. كما أن بعض التجار أقدم على تخفيض أسعار المواد الغذائية وإشاعة روح التعاون والمساعدة بين أبناء الولايات العراقية ولمختلف شرائح المجتمع من أجل تجاوز الأزمات والخروج منها، ومن أبرز هؤلاء الشيخ جابر بن مرداو شيخ المحمرة الذي بادر إلى إيواء الكثير من سكان بغداد وإطعامهم من ماله الخاص (٣٠)، لاسيما بعد أن وصلت آثار الطاعون والفيضان إلى مدينتي البصرة والمحمرة، فيما بادر بعد ملاكي الأراضي الزراعية الواسعة خلال فترة الطاعون والفيضان بتوزيع كميات من الحبوب إلى من دمرت أراضيهم على أن يتم إرجاعها في السنة القادمة بنفس الكمية دون زيادة (٣١).

أدت المنشآت الدينية دوراً كبيراً في الحياة الاجتماعية بسبب أنها مراكز للاجتماعات العامة في الأعياد والمناسبات الاجتماعية. فأصبحت مركزاً لإيواء السكان خلال فترة الأزمات والكوارث الطبيعية، وإن كان لجوء الناس إلى هذه المراكز الدينية بشكل فطري، ذلك لأنهم يشعرون بالأمان أكثر، فضلاً عن أنها أصبحت شبيهة بغرفة عمليات الموثوق بها لإدارة الأزمات لما لها من دور معنوي وديني (٣٢).

ونتيجة للأضرار الجسيمة التي خلفها الفيضان والطاعون فقد قام السكان بجملة من الإجراءات والتصدي لتلك الموجات الشديدة التي كانت قد ضربت ولاية بغداد والموصل في أغلب الأحيان، في حين كانت هذه الموجات أقل وطأة على ولاية البصرة، بسبب توفر المنتوجات الزراعية والثروات الطبيعية التي

مكنتهم من تجاوز الأزمات (٣٣). في حين انفراد سكان الموصل بميزة حسن التدبير في استخدام ما متوفر لديهم من مواد غذائية، إذ كانوا يحتاطون لمثل هكذا أزمات، ومن الجدير بالذكر أن السكان في أثناء موجات القحط والكوارث بتعاون بعضهم مع البعض الآخر بالعمل بمبدأ التكافل الاجتماعي والتعاون فيما بينهم، وقد برزت شخصيات كان لها دور في وقف بعض أملاكها بينما سعى آخرون إلى تأسيس الجمعيات الخيرية فيما بعد (٣٤).

كما ظهرت آثار الوباء والفيضان على سكان بغداد، إلا أنها هذه المرة بالاتجاه الإيجابي، إذ أدركوا أهمية المحافظة على الصحة العامة، وعلموا أن كثرة انتشار الأمراض والأوبئة معناه تخلف المجتمع، فيتطلب ذلك الحيلة والحذر من هذه الأوبئة وما يصاحبها من فيضانات، فقاموا بعمليات التنظيف اليومي لبيوتهم والأزقة التي يعيشون فيها، ففي بغداد وباقي المدن العراقية الأخرى الكبيرة، كان اهتمام سكانها المبالغ في النظافة إلى درجة اقتربت بهم حد الوسوسة، كون أن مدينة بغداد قد تعرضت إلى طواعين وأوبئة كثيرة راح ضحيتها المئات من الأشخاص (٣٥).

وعلى أثرها شهدت بغداد ومدن العراق الأخرى موجة من ارتفاع في أسعار المواد الغذائية بعد انتشار المجاعة بين سكان المدينة، سببها تقشي الوباء بشكل مخيف وما رافقه من فيضان مدمر ضرب بغداد ومدن العراق الأخرى. وقد سيطر الخوف والهلع على الناجين من الطاعون عندما لم يجدوا الطعام وما يسدون به رمقهم، فأصبح الحصول على الطعام أمر بالغ الصعوبة، حتى أن البعض من وجهاء بغداد وسادتهم أصبحوا يستجدون بعض المواد الغذائية (٣٦).

ولشدة ما لحق بهم من العازة والفقر استجد سكان بغداد بالسلطات العثمانية في استانبول لتمدهم بالمساعدات الغذائية والحاجات الأساسية للسكان، حيث وقع رجال الدين والمختارون مضبطة التماس إلى السلطان محمود الثاني طالبين منه المساعدة وإسعاف ما تبقى من أهالي بغداد، وقد تم توضيح جميع الأوضاع المتردية التي عاشتها أيلة بغداد بعد الوباء والفيضان وما خلفه من غلاء ومجاعة، فضلاً عن شرح الأوضاع السياسية وأعمال النهب والسلب التي قامت بها العصابات التي انطلقت من المناطق المجاورة إلى بغداد ومما زاد من معاناة الناس والحصار المفروض على المدينة (٣٧) من قبل القوات العثمانية بقيادة علي رضا باشا اللاظ (٣٨)، مطالبين العفو والأمان من السلطان (٣٩)، غير أن الذي حصل أن العثمانيين استثمروا أحداث الطاعون والفيضان لتحقيق أهدافهم في السيطرة على العراق، فأدى كل ذلك إلى فقدان مدينة بغداد قدرتها في تهيئة القوة المطلوبة للدفاع عنها، فضلاً عن الآثار البشرية والمادية المتردية التي تركها الفيضان على المدينة وسكانها (٤٠).

أحدث وباء الطاعون وفيضان دجلة ١٨٣٠-١٨٣١ تحولات جذرية في الهرم الاجتماعي، عندما قضى على الكثير من سكانه بلا تمييز، فعلى الرغم من عدم توفر النظافة الصحية في الأفراد، فإن الوباء

والفيضان لم يستثني أحداً من هجماتها لأي اعتبار له صلة بالمكانة الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية، فقد خضع كل من الحكام ورعاياهم الأغنياء والفقراء بمختلف الأعمار بذات المصير، ليشمل كل ألوان الطيف الاجتماعي العراقي (٤١).

المبحث الثاني

الآثار الاقتصادية

تأثرت الحياة الاقتصادية في الأيالات العراقية وبالأخص أيلة بغداد وذلك لكثرة تعرض البلاد لموجات الأوبئة الفتاكة والفيضانات المدمرة، وقد كان تأثير الطاعون الذي تزامن مع فيضان دجلة عام ١٨٣٠، فكان ذلك من أقسى الكوارث الطبيعية التي شهدتها بغداد وما صاحبها من مجاعات، فقد كانت ذات أثر واضح على النشاطات الاقتصادية للمدن العراقية الأخرى، ذلك لأنها كانت تقضي في كثير من الأحيان على ما بينيه الإنسان لمدة طويلة من الزمن، وقد كان تاريخ العراق مليء في هذا العهد بمثل هذه الكوارث التي أثرت بشكل كبير على الاقتصاد العراقي سلباً فتدهور بشكل لم يكن معروفاً من قبل (٤٢). فقد وجه ضربة قاصمة لقواه الإنتاجية، وغلقت الدور وخلت الحوانيت والمصانع، وأصيبت التجارة بكساد خطير، ولم يكن في وسع أهل العراق استعادة نشاطهم الاقتصادي، إلا بعد مرور ما يربو على عشرين عاماً كي يتخلصوا من آثار الطاعون (٤٣).

وبسبب تلك الكوارث وتناقص عدد السكان لمدينة بغداد فقد انقرضت عائلات حرفية ماهرة، ولعل الاستشهاد بما ذكره فريزر، عن آثار هذه الواقعة تعطينا انطباعاً واضحاً عنها فذكر:

"ومن بين خطوط الأسواق الطويلة [في بغداد] أصاب الخراب العام عدداً غير يسير منها، وقد مرت مدة طويلة قبل عودة الأسواق التي بقيت مهذمة إلى الامتلاء، والدكاكين التي فتح أبوابها من جديد بمقدار يعتد به، فأن معظم التجار وجميع الصناع وأرباب الحرف تقريباً، فقد أتى عليهم الموت وأزالهم من الوجود، وإنك في مثل هذا اليوم [أي عام ١٨٣٤] لو أردت أن تحصل على بعض الحاجات المصنوعة التي كانت تشتهر بصناعتها هذه البلاد يقال لك آه، أن ذلك لا يمكن الحصول عليه الآن لأن جميع من كانوا مختصين بصناعة قد ماتوا، ولذلك انمحت من هنا صناعات معروفة بأكملها" (٤٤).

وبسبب هذه الكوارث، فقد تكبدت خزينة الباشا خسائر كبيرة، وذلك بعد ان توقفت تجارة الترانسيت، لكون ان بغداد كانت مركز هذه التجارة على أساس أنها نقطة تجمع وتوزيع هذه التجارة والتجارة الخارجية، فضلاً عن أننا نلاحظ ان سلع تجارة الواردات لمدينة بغداد أما أنها كانت عبارة عن بضائع مرور فقط إلى البلدان المجاورة، أو أنها المركز الرئيسي لتوزيع تجارة الاستيراد الخارجية، وقد اكتسبت بغداد هذه الصفة منذ القرن السادس عشر، وقد نعتها الرحالة الأوروبيون بهذه الصفة، وظلت محافظة عليها لفترة امتدت حتى فيضان عام ١٨٣٠ (٤٥).

كما كان لهذه الكوارث تأثيراً كبيراً ومباشراً على سير الحياة الاقتصادية في العراق، التي كانت تعتمد على المبادلات التجارية بين الايالات بعضها مع البعض الآخر، أو من خلال حركة التجارة مع باقي الولايات العثمانية الأخرى في الشام والأناضول ومصر، إذ كانت الحركة التجارية في عهد داود باشا قد شهدت نشاطاً ملموساً وواضحاً قياساً لما كانت عليه في عهد الولاة الذين سبقوه بالحكم، فضلاً عن وجود العديد من القوافل التجارية التي تدخل إلى بغداد من التبت وقندهار وإيران ومحملة بمختلف السلع بما فيها الفواكه والتبغ، وكانت بعض تلك السلع يتم تصديرها إلى خارج ولاية بغداد بعد شرائها من تلك القوافل التجارية ومنها على سبيل المثال التبغ الذي يصدر إلى حلب ودمشق، واستانبول (٤٦).

كذلك تعطلت عملية تصدير التبغ الذي كان يزرع في أطراف بغداد، بعد أن أجتاحت مياه الفيضان هذه الأراضي وحولتها إلى مستنقعات كبيرة لم تعد صالحة للزراعة، وعلى الرغم من أنه كان يُصدر بكميات قليلة لأن جودته أقل بكثير من التبغ الأجنبي الذي يتم شراؤه من القوافل التجارية، إلا أنه مع ذلك فإنه كان يشكل أحد المحاصيل التي نافست المنتج الأجنبي، فضلاً عن أن هناك العديد من القوافل التجارية التي تأتي إلى بغداد من زهاب والسليمانية وكركوك وديار بكر وحلب وأورقة وماردين، وهي ما تلتقي عادةً في بغداد وتتم عمليات التبادل التجاري بين تجارها وبين التجار المحليين إلا أنها وبسبب تلك الأوضاع فقد توقفت ولم يعد بمقدورها العمل والتواصل مع تجار بغداد بسبب هلاك بعضهم، في حين قرر البعض الفرار خارج بغداد (٤٧).

كما توقفت عملية التبادل التجاري بين القوافل القادمة من الشام والمحملة بسلع جديدة والتي تلاقي طلباً عليها في بغداد من قبل الميسورين، لكون ان مصدر صناعة بعضها في أوروبا وتنتقل إلى الشام بواسطة الطرق البحرية ومنها إلى بغداد، علماً أن قيمة منتجات الولايات العراقية في العقد الثاني من القرن التاسع عشر وصل إلى (٣٥٠,٠٠٠) قرش، على الرغم من عدم اهتمام الولاة الذين سبقوا داود باشا بوسائل تنمية الإنتاج الاقتصادي (٤٨).

وانحسرت السياحة الدينية التي كانت مورداً رئيسياً للدخل الوطني العراقي، ممثلة بالمرقد الدينية في النجف وكربلاء وبغداد، وقد تضاعف عدد الوافدين (تجار وزائرين) بسبب الفيضان والطاعون، في حين كان يقدر عدد الوافدين إلى العراق سنوياً قبل الحادثين من (١٢-١٥) ألف شخص سنوياً، فشكّلت مجيء أعداد هؤلاء الزوار عاملاً من عوامل انتعاش التجارة في العراق، فضلاً عن أنه شكل عاملاً من العوامل التي ترفع من كمية النقد في العراق (٤٩).

تأثرت الحياة الاقتصادية كذلك في بغداد بسبب الطاعون والفيضان، وتركت هذه الكوارث أثرها السيئ على معظم القطاعات التجارية فادت إلى فتور حركة التجارة بصورة خاصة، وباءت معظم

محاولات داود باشا بالفشل لتأمين الطرق وتيسير المواصلات النهرية والبرية، بعد أن عمل على شق نهراً بين دجلة والفرات (٥٠)، وحداً من تجاوزات عشائر عفك التي حاولت العبث بالملاحة النهرية، غير أن اللصوص وقطاع الطرق تمكنوا من السيطرة على مخارج المدينة بعد أن طرد أفراد القبائل الحراس الذين كلفهم داود باشا للمحافظة على أمن الملاحة في مناطق معينة فتراجعت التجارة التي كانت تدر مردودات مالية شكلت زيادة في الدخل الوطني للبلاد (٥١)، إذ قدرت الرسوم على التجارة في بغداد بمليون قرش، وفي البصرة قدرت بمليون ونصف المليون قرش سنوياً (٥٢).

وبعد أن استبيحت مدينة بغداد بعد انحسار الفيضان لأعمال السلب والنهب، كان منظر الأسواق مؤلماً ومثيراً للحزن، لما حلَّ بها من دمار وأصبحت الحجر والدكاكين خاوية ومفتوحة على مصراعيها، بعد أن جمع اللصوص والسراق الأشياء الثمينة وتركوا الأشياء التي لا تستحق الأخذ، ولم تسلم من السرقة حتى أبوابها وشبابيكها، وكان أكثر الأسواق التي تأثرت بعمليات السلب والنهب سوق السراجين (٥٣)، فضلاً عن الأسواق الأخرى التي شيدها داود باشا والتي تمتد لمسافة غير يسيرة، وذات أطواق عالية، وشكلت في وقتها أحد المرافق المهمة التي ساعدت على ازدهار التجارة في مدينة بغداد (٥٤).

وقد اتسمت هذه الأسواق في عهد داود باشا بالنشاط المتزايد وبالذات قبل الفيضان والطاعون، وكانت غالباً قريبة من سراي الحكم، وقد تأثرت هذه الأسواق بشكل واضح نتيجة ما حصل ببغداد من فيضان مدمر، ومن أهم هذه الأسواق التي يجتاحها الفيضان سوق الجبوقجية وسوق التوتنجية (باعة التبغ) وسوق البزازين وسوق الخياطين، وقد كانت هذه الأسواق موزعة حوالي الميدان والسراي، وتمتد جنوباً حتى وسط المدينة، كما أن هذه المناطق كانت مكتظة بخانات التجار والمقاهي والجوامع وباعة الكتب والوراقين (٥٥).

إن أسواق بغداد التي كانت مكتظة بالناس والبضائع قد اجتاحتها الطاعون والفيضان في آنٍ واحد ليحولها إلى انقاض مهدامة أدى إلى شلل الحياة في بغداد، لاسيما ان العديد من التجار قد قضى نحبتهم ومنهم من اضطر للهجرة إلى الدول المجاورة ومنها الكويت، إذ لم تعد الأجواء ملائمة لممارسة نشاطاتهم التجارية، بسبب ما ألمَّ ببغداد بأحداث ليس من السهولة السيطرة عليها وإعادة الأوضاع على ما كانت عليه قبل الفيضان (٥٦).

لذلك نجد أن حادثي الطاعون والفيضان التي تعرضت له مدينة بغداد قد أتت على كثير من أسواقها، فتتناقص عدد الحوانيت آنذاك، فذكر فريزر: "أما الدكاكين نفسها فهي دكاكين رثة، غير مرممة في كثير من الحالات، وكثير منها فارغ غير مشغل" (٥٧). بعد أن كانت أسواق بغداد مكتظة بالناس دائماً ومليئة دكاكينها التي بلغت أكثر من (٦٠٠٠) ست آلاف دكان بالسلع المختلفة التي توفر لزبائنها كل شيء، بحيث يخرج المرء منها وهو مقرر البال بسبب تنوع البضائع المعروفة (٥٨).

أما النظام المالي والمصرفي الذي ارتبط وجوده بوجود الأسواق، فقد ضعف عمله جراء الأحداث التي ألمت ببغداد، وقد تأثر هذا القطاع كثيراً لأن معظم الصرافين هم من اليهود الذين كانوا يقطنون محلة اليهود التي كانت أول محلة يحتاجها الطاعون ومن ثم الفيضان، مما أدى إلى فقدان الكثير منهم، ومن ضمنهم الصرافين الذين شكلوا أحد الدعائم الأساسية للنظام المصرفي في بغداد، لما يتمتعون به من خبرة ودهاء في هذا المجال، وقد ارتبطت هذه المهنة (الصيرفة) وبيع السفاتج (الكمبيالات المالية) في العراق باليهود وبدرجة أقل بالمسيحيين، فضلاً عن أنهم كانوا يقومون بعملية إقراض لأصحاب المشاريع في بغداد لتمويل مشاريعهم، على أن تسدد أو تسترجع هذه القروض فيما بعد وبفوائد فاحشة (٥٩).

ومن الجدير بالإشارة أن عدد من الفلاحين أقدموا على ترك أراضيهم ليس بسبب وباء الطاعون والفيضان فحسب، وإنما خوفاً من عدم تمكنهم من تسديد ما بذمتهم من الرسوم التي كانت تفرض على المحاصيل الزراعية قبل جنيها، فضلاً عن عدم قدرتهم على تسديد القروض وفوائدها التي اقترضوها من مكاتب الصيرفة التي يمتلكها اليهود، ما ولد حالة من الكساد في الأسواق التجارية وبالتالي أدى إلى اضطراب السوق وأسعار المواد الغذائية وشحتها، الأمر الذي استغله بعض التجار الجشعين من خلال تقشي ظاهرة الاحتكار بغية الزيادة في الربح عن طريق رفع أسعار المواد الغذائية كان الناس بأمن الحاجة لها (٦٠).

أما الخانات الممتدة على الطريق ما بين بغداد - كربلاء - النجف، (خان الكهيا) في الجنوب من بغداد، و(خان آزاد - أحياناً يرد اسم أسد، وسعد)، و(خان الأسكندرية) وهو يتسع لألف شخص (٦١)، فضلاً عن أنها صممت بشكل هندسي مميز، وبشكل يؤدي إلى تقديم أفضل الخدمات للمسافرين وبضائعهم وحيواناتهم، وأماكن لحفظ السلع والتجارات، وبناء يقدم الخدمة لأغراض السكن والمبيت للتجار والزوار، فقد خلت هذه الخانات تماماً وأصبحت عبارة عن أماكن خاوية ومهجورة، بعد أن توقفت عمليات التبادل التجاري، فضلاً عن هجرة العديد من التجار المحليين، الأمر الذي أدى إلى كساد التجارة وانهارها (٦٢)، بعد أن كانت حركة التصدير بشكل واسع وبمختلف المنتجات المحلية والغلال الزراعية من الولايات العراقية إلى الهند وأوروبا وبالعكس (٦٣)، الأمر الذي أدى إلى تعثر تجارة بغداد، ناهيك عن الخسائر الفادحة التي مني بها التجار فأثرت سلباً على النشاط الاقتصادي في بغداد، وانعكس بعد ذلك على مدن العراق الأخرى (٦٤).

كما كان لانتشار وباء الطاعون والفيضان الأثر الكبير في توقف عملية الإنتاج الزراعي في بغداد والمدن المجاورة لها، فقد أدى إلى تلف العديد من البساتين والمزارع بشكل كبير، الأمر الذي أدى إلى هجرة العديد من الفلاحين من مناطقهم مما أدى بالتالي إلى تدهور الإنتاج الزراعي، كما توقفت الخطط التي وضعها داود باشا للنهوض بالقطاع الزراعي ومنها توفير مياه الري وزيادة استغلال الأراضي التي

بدأت خطواتها الأولى في عهده، والتي لو قدر لها أن تستمر لكانت قد شكلت فيما بعد أحد المشاريع المهمة للنهوض بالواقع الزراعي العراقي(٦٥).

ومن الطبيعي ان تنعكس آثار الفيضان والطاعون على الإنتاج الزراعي وعلى سكان بغداد، فقد ارتفعت أسعار الحبوب التي كانت تشكل جزءاً مهماً أمن قوتهم اليومي ولاارتفاع أسعارها بشكل فاحش، لم يعد بمقدور الناس شراء طعامهم(٦٦)، وقد نتج عن هذه الأوضاع شحة المواد الغذائية، وبسبب ذلك أصبحت حياة السكان أكثر مجاعة ورعباً، وتزامن ذلك مع فقدان حيوانات النقل التي وأن وجدت فأنها لا تستطيع توفير النقص الحاصل في المواد الغذائية، وفي ظل تلك الأحوال القاسية، كانت تلك السنة من السنين العجاف التي سرت على العراق، مما جعل السكان في ضيق شديد وحالة من الهلع بسبب هذا النقص الكبير في المواد الغذائية الضرورية، حتى لم يعد في أسواق مدينة بغداد وقراها شيء من الغلة(٦٧).

ومما زاد معاناة الناس وسوء أحوالهم انهيار السدود التي أنشأها السكان بعد التحذيرات التي أطلقتها الحكومة، وبالذات البيوت القريبة من ضفاف النهر، وغمرت المياه الأماكن الواطئة، ووصلت إلى داخل المدينة بعد تدميرها مساحات واسعة من الأراضي الزراعية، فضلاً عن ان انهيار أنظمة الري والقدرة على احتواء الفيضان أو السيطرة عليه أدى إلى تلف الكثير من المحاصيل الزراعية، وقد سرّع هذا الانهيار إلى تقليص الأراضي الصالحة للزراعة بعد أن غمرتها المياه وحولتها إلى مستنقعات كبيرة، فكان من الطبيعي أن تنعكس آثارها على خزينة الدولة بسبب النقص في الرسوم والضرائب التي كانت تتقاضاها من تلك المناطق(٦٨).

ونتيجة لذلك أهملت الأراضي الريفية الواقعة حول مدينة بغداد، وسرى الإهمال إلى شبكة الأنهار والمصارف اللازمة للري والزراعة، وقد كان هذا سبباً مضافاً في تعاظم فيضان نهر دجلة، والتي أدت بالتالي إلى عزل المدن بعضها عن البعض وعن القرى وتدميرها أو هجرة سكانها تدريجياً(٦٩).

أما القطاع الصناعي فلم يكن بمعزل عن تلك المتغيرات التي أحدثها الوباء والفيضان، فقد تأثرت معظم الصناعات التي كانت أغلبها يدوية لاسيما صناعة النسيج المحلية، والتي كانت تضمن الجانب الأكبر من حاجة الأسواق المحلية، وعلى الرغم من أن بعض السلع ذات النوعية الخاصة تستورد من أوروبا أو من البلدان المجاورة، إلا أن المنتجات اليدوية العراقية كانت تُصدّر إلى بعض دول الشرق الأوسط، وبخاصة إيران(٧٠).

لذلك توقفت معظم الصناعات الحرفية بسبب هجرة أو انقراض عائلات حرفية تميزت بالمهارة والدقة في حرفها المختلفة، لاسيما صناعة السروج وأصحابها إذ كانوا يتمتعون بشهرة واسعة، فضلاً عن

الصاغة والخياطين والحدادين وصناع السيوف الذين لهم صيت ذائع وشهرتهم في صناعتهم أكثر ذيوماً من أهل الحرف في استانبول، ولأهمية تلك الصناعات نشطت التنظيمات الحرفية في العراق منذ بداية القرن الثامن عشر والتاسع عشر، وبسبب تلك الأوضاع التي مرت على العراق أضحت هذه الحرف وفقدت هويتها وديموتها وتلاشت مستلزمات نجاحها، إذا ما عرفنا أن معظم هذه الصناعات كان تمارس داخل البيوت التي هدمها الفيضان (٧١).

كذلك عطلت الورش الخاصة بصناعة البنادق التي أسسها داود باشا لسد حاجات الجيش، فأتلّف الفيضان المعدات الخاصة بصناعة الحاجات العسكرية الضرورية التي كانت تدار من قبل خبراء أوربيين استقدمهم داود باشا لهذا الغرض، وعند تفتشي وباء الطاعون وانتشاره هاجر معظم الرعايا الأوربيين مع القنصل البريطاني متوجهين إلى البصرة هرباً من الطاعون، الأمر الذي أدى إلى توقف هذه الورش عن العمل بشكل كامل (٧٢)، بعد أن كانت تلك المعامل الخاصة بتصنيع الأسلحة تنتج في اليوم الواحد (أنتنتا عشر بندقية) أصبحت جميعها عاطلة عن العمل أيضاً (٧٣).

وعلى الرغم من أن الوباء والفيضان قد أثراً بشكل كبير على كل شرائح المجتمع، إلا أننا نلاحظ أن أكثر الفئات تضرراً هي الطبقة العامة التي نمت بعد التحولات التي مرت بالمدن العراقية، الأمر الذي دفعهم للهجرة من الريف إلى المدينة (بغداد) للأسباب الاقتصادية، وأن هذه الظاهرة كانت تحصل بعد حدوث المجاعات والكوارث التي حل بالعراق، فكان على المدن العراقية أن تقوم باستقبال هذه الأعداد الكبيرة من الفقراء والبائسين والفارين من الجوع (٧٤)، وبالرغم من كثرة المحاولات التي قام بها الولاة في فترات الحكم المختلفة من أجل منح الهجرة، إلا أنها باءت بالفشل، لذلك امتن هؤلاء مهناً مختلفة ومعظمهم كان يعمل بأجر يومي، فهناك الحطابون والحمالون والسقائون، فضلاً عن أن أغلبهم كان يعمل في المصانع النسيجية بعد أن ازداد الطلب على الأيدي العاملة بازدياد عدد المصانع في بغداد وباقي مدن العراق الأخرى، لذلك كان معظم الموتى الذين قتلوا في الطاعون أو الفيضان كانوا من هذه الطبقة التي شكلت النسبة الأكبر من السكان، في حين أن الناجين من هذه الأحداث فقد تقاومت أوضاعهم المعيشية لاسيما أن سكان مدينة بغداد هم من عانى من شحة المواد الغذائية، ومن الجدير بالذكر أن جميع أبناء هذه الطبقة كانوا يعتمدون في معيشتهم على الأجر اليومي، الذي كان لا يكفي لادخار جزء منه لاستخدامه عند الضرورة، مما جعلهم في أوضاع مأساوية خلال مدة الفيضان (٧٥).

وبناءً على هذه المعطيات التي طرأت على الأوضاع في مدينة بغداد، فقد ظلت حالة التغيير المستمر لتناقص أعداد السكان بسبب هذه الكوارث، فنلاحظ على مر التاريخ أنه كلما تبدأ مدينة بغداد بالازدهار في تجارتها وأوضاعها المختلفة وتعيش حالة من الاستقرار والرفاهية تعقب ذلك الوباء أو

الفيضان أو الكوارث الأخرى، فتعكس تلك الأوضاع على ثقافة وطبائع أهل بغداد بسبب هذا النقص في سكانها (٧٦).

ومن الجدير بالإشارة أن هذه المتغيرات التي طرأت على الواقع السكاني والمجتمعي في مدينة بغداد، قد أدت إلى أن تخضع المدينة للقبائل البدوية والريفية كان (رغم بعض النواحي الإيجابية القليلة) مما يعد تدهوراً خطيراً للمدينة وتردياً واضحاً في أنشطتها الحضرية، فقد عانت بغداد ومدن أخرى من ضغط القبائل عليها، ولم تلق هذه القبائل تأييداً أو احتراماً من قبل تجار المدينة وسكانها، كما ان فقدان مدينة بغداد للأمن اللازم لاستمرار نشاطها الحضاري، إذ كان الاختلاف القائم بين قيم القبيلة ومثلها وما تمثله من روح عسكرية متقلبة لا تعرف الاستقرار، وبين قيم المدينة المرتكزة على نشاطاتها التجارية والإنتاجية المستقرة، مثل فجوة اجتماعية يصعب تجاوزها إلا على حساب المدينة وثقافتها، فضلاً عن أن أغلب القوى القبلية آنذاك لم تجد حرجاً في استغلال الفرص السانحة التي مكنتها من الاستيلاء على المدن المجاورة (٧٧).

عندما داهم الطاعون والفيضان بغداد عام ١٨٣٠ دخل بعض أعراب البادية إلى مدينة بغداد واستولوا على بعض موافقها التجارية والاقتصادية، وعندما ساءت الأوضاع الأمنية فيها بعد أن طغى نهر دجلة وأحاطت مياهه ببغداد اغتنمت تلك القبائل الفرصة مستغلة الدمار الكبيرة الذي أحدثه الفيضان وما رافقه من طاعون وانعدام الأمن وشيوع الاضطراب في النظم الإدارية، فسيطرت على الكثير من المناطق في بغداد وبالذات الجانب الشرقي منها، وقد سكنوا في مساحات عشوائية وأصبحت المدن في نظر القبائل عالماً غريباً غير مألوف بالنسبة لها، مما شكلت فيما بعد تراجعاً واضحاً للمدينة في مدينة بغداد التي ظلت آثارها واضحة لحد الآن (٧٨).

وبالتالي أوقعت المجتمع البغدادي تحت وطأة تباينات متناقضة بعضها تدفعهم نحو التمسك بالقيم البدوية والأخرى تدفعهم للتمسك بالقيم الحضرية التي بدأت تنتشر فيهم (٧٩).

وعندما تراجعت سيادة المدينة وتدهورت أوضاعها بسبب الفيضان والطاعون، فقد دمرت كل البنى التحتية التي كان قد أسسها داود باشا وشرع للعمل بها، فأهملت الأراضي الريفية الواقعة حول المدن، وسرى الإهمال ليصل إلى شبكات الأنهار والمصارف اللازمة للري والزراعة، مما أدى بالتالي إلى تدهور وتعاطف أخطار فيضانات الأنهار، وحدوث المجاعات التي انتهت بعزل المدن عن بعضها البعض وتدمير القرى أو هجرة سكانها منها تدريجياً لعدم توفر مستلزمات العيش المثالي الذي يطمح له السكان، بسبب الكوارث ومن ثم ليحل في بغداد الركود والخمول والانزواء (٨٠)، فأصبحت بغداد قليلة السكان والقسم الأكبر منها عبارة عن خراب شامل (٨١).

ومن خلال ما تقدم يمكن ملاحظة ان لحادتي الطاعون والفيضان الذين وقعا في بغداد كان لهما الأثر الواضح على النشاطات الاقتصادية في مدينة بغداد بمختلف قطاعاتها التي كانت في بداية نشوئها، مما أثر بالتالي على البنية السكانية والاجتماعية للمدينة لمدة طويلة من الزمن، وانعكس ذلك ايضاً على الواقع السياسي الذي اضطرب بعد هاتين الكارثتين، فضلاً عن أن للجانب الاقتصادي أثره على الواقع الأمني الذي أخذ هو الآخر بالتدهور، فنتج عنه حالة من الفوضى وانتشار اللصوص مستغلين في ذلك ظروف الولاية الصعبة بشكل لم تألفه بغداد من قبل.

الخاتمة:

نتج فيضان و طاعون بغداد عام ١٨٣٠-١٨٣١ تدهور معظم جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية، فقد أصاب الكثير من سكان بغداد وبجالة من القنوط، وبروز بعض المظاهر السلبية الدخيلة على المجتمع البغدادي، مثل أعمال السلب والنهب، فضلاً عن الآثار المروعة في هلاك ثلثي سكان بغداد، كما أنهما أخلا بالبنية الاجتماعية لسكان المدينة، لاسيما بعد أن انتقل إليها العديد من سكان الأطراف والقرى والأرياف المحيطة بها، وذلك لأن هذه المجاميع لها عاداتها وتقاليدها الخاصة بها، فقد أثرت على ثقافة سكان بغداد، وتغيرت بعض العادات والتقاليد التي أدت إلى تفكك الروابط الاجتماعية بينهم، وإلى حالة عدم الانسجام بين أبناء المجتمع نفسه بسبب تنوع الثقافات والقيم التي يقوم عليها أحياناً شكلت خطراً على البنية الاجتماعية بشكل عام، وبذلك فأن الفيضان والطاعون أدى إلى خسائر كبيرة في الأرواح والممتلكات الخاصة والعامة.

كما ان آثار الفيضان والطاعون كان واضحاً على الأوضاع الاقتصادية لآيالة بغداد، فشكل تراجعاً كبيراً بمختلف القطاعات التجارية، وفي المقدمة منها القطاع الزراعي بسبب هجرة أعداد كبيرة من الفلاحين إلى أدنى حد، فضلاً عن توقف التجارة وحركة نقل البضائع.

هوامش البحث:

(١) قاسم الجميلي، تاريخ العراق الوبائي في العهد العثماني الأخير ١٨٥٠-١٩١٨، مراجعة: هاشم صالح التكريتي، دار دجلة للنشر، (عمان-الأردن)، ط١، ٢٠١٧، ص٢٤٩.

(2) Achronicle of The Carmelties in Persia and The Papal of The 17th and 18th Centuries, Vol.1, London, 1939, P.174.

- (٣) جلال الحنفي، صور من الحياة الاجتماعية في بغداد قبل الحرب العالمية الأولى ومحاورها وخطوطها العامة، مخطوط محفوظ في منزل المؤلف، بغداد، ص ٢-٤.
- (٤) علي الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، دار دجلة والفرات للنشر، بيروت، ط ١، ٢٠١٣، ص ٣٠٤.
- (٥) علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج ٢، شركة الورق للنشر، بغداد، ط ٢، ٢٠٠٠، ص ٨٧.
- (٦) سليم وفيق الراوي، بغداد في رحلات الأجانب، مجلة المورد، المجلد الثامن، العدد (٢٤)، سنة ١٩٨٠، ص ١٨٥-١٨٦.
- (٧) جيمس بكنغهام، رحلتي إلى العراق سنة ١٨١٦، ج ١، ترجمة: سليم طه التكريتي، بغداد، ١٩٦٨، ص ١٩٢؛ علاء موسى كاظم نورس، أحوال العراق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر دراسة لمختارات في كتب الرحالة الأجانب، سلسلة الموسوعة التاريخية المسيرة، بغداد، ط ١، ١٩٩٥، ص ٣٢-٤١.
- (٨) جاسم محمد هادي القيسي، أحوال العراق الاقتصادية والاجتماعية ١٨٣١-١٨٦٩/دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٥، ص ١٠٤.
- (٩) طارق نافع الحمداني، بعض جوانب الحياة الاجتماعية في مدينة بغداد ومصادر وثائقها خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، بحث من كتاب ملامح سياسية وحضارية من تاريخ العراق الحديث والمعاصر، الدار العربية للموسوعات، بغداد، ط ١، ١٩٨٩، ص ٣١-٤٤.
- (١٠) كارستن نيبور، رحلة نيبور إلى العراق في القرن الثامن عشر، ترجمة: محمود حسين الأمين، بغداد، ١٩٦٥، ص ٢٩.
- (١١) عماد عبد السلام رؤوف، تاريخ مشاريع مياه الشرب القديمة في بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٢، ص ٦٧-٦٨.
- (١٢) المصدر نفسه، ص ٧٩-٨١.
- (١٣) رشيد الرماحي، عندما كانت مياه الآبار في بيوتنا، مجلة الف باء، العدد (٥٧٠)، ١٩٧٩، ص ٢٤-٤٥.
- (١٤) عماد عبد السلام رؤوف، تاريخ مشاريع مياه الشرب القديمة في بغداد، مجلة المورد، مج ٨، العدد (٤)، ١٩٧٩، ص ١٧٨.
- (١٥) جيمس ريموند ولستد، رحلتي إلى بغداد في عهد الوالي داود باشا، ترجمة: سليم طه التكريتي، بغداد، ط ١، ١٩٨٤، ص ٧٤-٨١؛ رسول الكركوكلي، دوحة الوزراء في تاريخ بغداد الزوراء، ترجمة/ موسى كاظم نورس، منشورات الشريف الرضي، طهران، ط ١، ١٩٧٢، ص ٢٩٣.
- (١٦) ريجارد كوك، بغداد مدينة السلام، ترجمة: فؤاد جميل ومصطفى جواد، مطبعة شفيق للنشر، بغداد، ط ١، ١٩٦٢، ص ١٤٩-١٥٠.
- (١٧) جبرائيل يوحنا أصغر، مختصر المستفاد في تاريخ بغداد، مخطوطة برقم (١١٠٤)، دار المخطوطات العراقية، الورقة ١٠٥.
- (١٨) جعفر الخياط، صور، من تاريخ العراق في العصور المظلمة، منشورات وزارة الإعلام العراقية، بغداد، ط ١، ١٩٧١، ص ٢٠٢.

- (١٩) هاملتون جب وهارولد بوون، المجتمع الإسلامي والغرب، ج٢، ترجمة: أحمد عبد الرحيم مصطفى، دار المعارف، مصر - القاهرة، ١٩٧٠، ص ١١٤.
- (٢٠) رحلة أوليفيه إلى العراق ١٧٩٤-١٧٩٦، ترجمة: يوسف حبي، بغداد، ١٩٨٨، ص ٨٦-٩٠.
- (٢١) عبد العزيز الدوري، بغداد (كتب دائرة المعارف الإسلامية)، دار الكتاب اللبناني للنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٤، ص ١٤٨؛ أكرم فاضل، بغداد في آثار المستشرقين الفرنسيين، مجلة المورد، العدد (٧)، ١٩٧٩، ص ٤٨٣.
- (٢٢) مكي الجميل، البدو والقبائل الرحالة في العراق، مطبعة الرابطة للنشر، بغداد، ١٩٦٥، ص ٤٧-٤٩.
- (٢٣) علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق، ص ٢٨٨.
- (٢٤) المصدر نفسه، ص ٢٩١.
- (٢٥) جعفر الخياط، الطوائف في بغداد، جريدة البلد، العدد (١٨٧)، ١٤ نيسان ١٩٦٤، ص ٣.
- (٢٦) علاء موسى كاظم نورس، حكم المماليك في العراق ١٧٥٠-١٨٣١، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٥، ص ٢٥٨؛ علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ص ٢٩١.
- (٢٧) الوقف: لغة معناه الحبس والمنع، فيقال وقفت بمعنى حبست، أما اصطلاحاً فهو حبس العين عن تملكها والتصدق بالمنفعة على مصرفاً مباح، والعين أما تكون داراً أو بستاناً أو نقداً. عبد الملك عبد الرحمن السعدي، الوقف وأثره في التحقيق، بغداد، ط١، ٢٠٠٠، ص ٢٣-٢٤.
- (٢٨) محمد سعيد الراوي، خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد، تحقيق: عماد عبد السلام رؤوف، بغداد، ٢٠٠٦، ص ١٤٩-١٥٠.
- (٢٩) المصدر نفسه، ص ١٣٧.
- (٣٠) حامد البازي، البصرة في الفترة المظلمة، بغداد، ١٩٦٩، ص ٨٢.
- (٣١) وميض سرحان ذياب عبد الواحد، موجات الأوبئة والقحط والكوارث الطبيعية في العراق ١٨٣٠-١٩١٧، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٠، ص ١٦٥.
- (٣٢) عزيز جاسم الحجية، بغداديات، ج٢، مطبعة شفيق للنشر، بغداد، ١٩٦٨، ص ١٨١.
- (٣٣) حامد البازي، المصدر السابق، ص ٨٤.
- (٣٤) وبسبب المأساة والكوارث التي خلفها فيضان وطاعون بغداد ١٨٣٠-١٨٣١، سعى الكثير من أهل الخير والميسورين من الطوائف الدينية الأخرى إلى تأسيس جمعيات خيرية فيما بعد هدفها تقديم الدعم والمعونة للفقراء والمحتاجين، فأنشأت الطائفة اليهودية جمعية باسم (Shame Miswa) التي افتتحت في بغداد سنة ١٨٦٨ هدفها تنظيم وتسهيل العمل الخيري، فضلاً عن قيام الطريك إيليا الثاني عشر بتأسيس شركة سنة ١٨٨٠ أسماها شركة الرحمة، هدفها جمع التبرعات من أهل الخير وتوزيعها على المحتاجين والفقراء، وجمعيات أخرى. فيصل السامر، اليهود العراقيون - لمحات تاريخية، ندوة مركز الدراسات الفلسطينية، مجلة الدراسات الفلسطينية، جامعة بغداد، أيار - حزيران، ١٩٧٧، ص ١٠٨.
- (٣٥) إبراهيم خليل أحمد، النشاطات الطبية والخدمات الصحية في العراق ١٢٥٨-١٩٢١، مجلة آداب الرافدين، كلية الآداب، جامعة الموصل، العدد (١٦)، ١٩٨٦، ص ٢٥.

- (٣٦) وميض سرحان ذياب، المصدر السابق، ص ٧٨.
- (٣٧) المصدر نفسه، ص ٧٩.
- (٣٨) علي رضا باشا اللاظ: قائد عسكري ورجل دولة عثماني، ولد في طرابزون، تولى العديد من المناصب العسكرية والوظائف الإدارية في الدولة العثمانية، فقد عمل في شبابه موظفاً في كمرك أزمير ومتسلماً في مغنيسا وعمل كتحداً مع والي حلب، ثم أصبح والياً على العديد من الولايات العثمانية، ومنها حلب، بغداد وديار بكر، وجدة، توفي في الشام عام ١٨٤٥. لمزيد من التفاصيل ينظر: رنا عبد الجبار حسين الزهيري، إيالة بغداد في عهد والي علي رضا اللاظ ١٨٣١-١٨٤٢، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٥، ص ٢٥-٢٩.
- (٣٩) جعفر الخياط، صور من تاريخ العراق في الصور المظلمة، ص ٢٩٤؛ وميض سرحان ذياب، المصدر السابق، ص ٧٩.
- (٤٠) عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج ٦، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٥، ص ٣٥٥.
- (٤١) قاسم الجميلي، المصدر السابق، ص ٢٧٤-٢٧٥.
- (٤٢) جيمس بيلي فريزر، رحلة فريزر إلى بغداد ١٨٣٨، ترجمة: جعفر الخياط، دار الكتب العلمية للنشر، بغداد، ط ٢، ٢٠١٣، ص ١٠٥-١٠٦.
- (٤٣) طارق نافع الحمداني، المدن العراقية كمراكز للنشاط الاقتصادي في العهود المتأخرة ١٥٣٤-١٩١٤، من كتاب ملامح سياسية وحضارية، ص ١٤٠.
- (٤٤) جيمس بلي فريزر، المصدر السابق، ص ١١٢.
- (٤٥) محمد الجمال، العراق العثماني في الاقتصاد العالمي ١٨٠٠-١٩١٤، مجلة دراسات تاريخية، بيت الحكمة، العدد (٣٦)، بغداد، ٢٠١٠، ص ١٥٦-١٥٨.
- (٤٦) رحلة بكنكهام، وصف بغداد، بغداد بأقلام رحالة، ترجمة: محمد علي حلاوي، دار الوراق للنشر، بغداد، ط ١، ٢٠٠٧، ص ١٢١-١٢٢.
- (٤٧) عبد العزيز سليمان نوار، داود باشا والي بغداد، وزارة الثقافة العراقية، بغداد، ط ٢، ٢٠١٣، ص ٢٨٥.
- (٤٨) بطرس نيكلي، تجارة ولايات الشام وولايات العراق والجزيرة والمغرب العربيين في نهاية العهد العثماني (١٨٢٠-١٩١٠)، الحياة الاقتصادية للولايات المتحدة العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني، ج ١، مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني، زغوان، ١٩٨٦، ص ٤٠٨-٤٠٩.
- (٤٩) عبد العزيز سليمان نوار، داود باشا والي بغداد، ص ٢٨٩.
- (٥٠) عبد العزيز سليمان نوار، المصالح البريطانية في أنهار العراق (١٦٠٠-١٩١٤)، دراسة وثائقية للتطورات التي أدت إلى احتكار بريطانيا للملاحة في العراق، القاهرة، ١٩٦٨، ص ٧٢-٧٥.
- (٥١) وادي العطية، تاريخ الديوانية قديماً وحديثاً، النجف، ١٩٥٤، ص ٥٤؛ كليمان هيوار، خطط بغداد، ترجمه وعلق عليه: ناجي معروف، مطبعة العاني للنشر، بغداد، ١٩٦١، ص ٣٤.
- (٥٢) عبد العزيز سليمان نوار، داود باشا والي بغداد، ص ٢٩٣.

- (٥٣) جيمس بلي فريزر، المصدر السابق، ص ١٩٠-١٩١.
- (٥٤) المصدر نفسه، ص ٢٠٢-٢٠٣.
- (٥٥) كامل علاوي الفتلاوي وحسن لطيف الزبيدي، العراق تاريخ اقتصادي، الحقبة العثمانية ١٨٣١-١٩١٤، ج ٢، مراجعة: عماد عبد اللطيف سالم، بيت الحكمة للنشر، بغداد، ٢٠١٢، ص ٢١-٢٢.
- (٥٦) جون آشور، مشاهدات آشور في العراق، ترجمة: جعفر الخياط، مجلة سومر، المجلد ٢١، العدد ١-٢، ١٩٦٥، ص ١٠٣-١٠٥.
- (٥٧) جيمس بيلي فريزر، المصدر السابق، ص ٧٨.
- (٥٨) ج.ج. لوريمر، دليل الخليج، القسم الجغرافي، ج ١، ترجمة: مكتب أمير قطر، (الدوحة- قطر)، (د.ت)، ص ٢٥٢.
- (٥٩) يوسف رزق الله غنمية، تجارة العراق قديماً وحديثاً، مطبعة العراق للنشر، بغداد، ١٩٣٢، ص ٧٤.
- (٦٠) حسين محمد القهواتي، الحياة الاقتصادية في بغداد من القرن التاسع عشر حتى نهاية العصر العثماني، بحث من كتاب حضارة العراق، ج ١٠، بغداد، ١٩٨٥، ص ١٠٤-١٠٨.
- (٦١) قصة الخانات على طريق بغداد- كربلاء- النجف، جريدة الجمهورية، العدد (١١)، ٥ آ ١٩٦٣، ص ٧؛ فكرة الطائي، خانات بغداد، مجلة الرافدين، العدد (١٧)، ١٩٩٢، ص ٣٠.
- (٦٢) جيمس بنكهام، المصدر السابق، ص ٣٢٥؛ رحلة نيبور، المصدر السابق، ص ١٠٧.
- (٦٣) مظفر حسين جميل، سياسة العراق التجارية، مطبعة النهضة للنشر، القاهرة، ١٩٤٩، ص ٥٣-٥٥.
- (٦٤) بطرس نيكي، المصدر السابق، ص ٤١٢.
- (٦٥) عبد العزيز سليمان نوار، داود باشا والي بغداد، ص ٢٨٦.
- (٦٦) آزاد جلال شريف، فيضانات نهر دجلة الاستثنائية وأثرها في الزراعة، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الجغرافية، كلية التربية- ابن رشد، جامعة بغداد، ١٩٨٩، ص ٢٣-٢٤.
- (67) "The Penny Magazine of the Society For The Diffasion of Usfeul Knowledge", No.106, (London, 30 November, 1833), P.460;
- نقلاً عن: قاسم الجميلي، المصدر السابق، ص ٥١.
- (٦٨) آزاد جلال شريف، المصدر السابق، ص ٢٥.
- (٦٩) عماد عبد السلام رؤوف، المدينة العراقية، بحث من كتاب حضارة، ج ١٠، بغداد، ١٩٨٥، ص ١٦٥.
- (٧٠) محمد سلمان حسن، التطور الاقتصادي في العراق، المكتبة العصرية للنشر، بيروت، ١٩٦٥، ص ٣٨١.
- (٧١) أوليا جلي، مقتطفات من مشاهدات أوليا جلي في بغداد، ترجمة: حسين علي الداوقي، مجلة الآباء، العدد ٥-٦، السنة ١٢، أيلول- تشرين الأول ١٩٧٢، ص ٥.
- (٧٢) يوسف عز الدين، داود باشا ونهاية الممالك في العراق، منشورات دار البصري للنشر، بغداد، ط ١، ١٩٦٧، ص ٣٧-٣٨.
- (٧٣) سليمان فائق، تاريخ بغداد، ترجمة: موسى كاظم نورس، مطبعة المعارف للنشر، بغداد، ١٩٦٢، ص ٣٣.

- (٧٤) ياسين العمري، زبدة الآثار الجلية في الحوادث الأرضية، تحقيق: عماد عبد السلام رؤوف، النجف، ١٩٧٤، ص ٧٣.
- (٧٥) جاسم محمد هادي القيسي، المصدر السابق، ص ١٢٣؛ فردوس عبد الرحمن كريم اللامي، الحياة الاجتماعية في بغداد (١٨٣١-١٩١٧)، أطروحة دكتور غير منشورة، كلية التربية- ابن رشد، جامعة بغداد، ٢٠٠٢، ص ١١٥.
- (٧٦) عباس فاضل السعدي، سكان مدينة بغداد عبر مراحلها الزمنية، مجلة دراسات تاريخية، بيت الحكمة، العدد (٣٤)، بغداد، ٢٠١٥، ص ٢٤.
- (٧٧) سعاد هادي العمري، بغداد كما وصفها السياح الأجانب في القرون الخمسة الأخيرة، بغداد، ١٩٥٤، ص ٣١؛ عماد عبد السلام رؤوف، المدينة العراقية، ص ١٦٤-١٦٥.
- (٧٨) رزوق عيسى، نظرة في لغة والعامة، مجلة لغة العرب، ج ٢، شعبان ١٣٤٩هـ/آب ١٩١١، ص ٦٩.
- (٧٩) علي الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، ص ٢٦٠.
- (٨٠) جيمس ريموند ولستدر، المصدر السابق، ص ٣٣.
- (٨١) ريجارد كوك، المصدر السابق، ص ١٥٠.

قائمة المصادر

أولاً- المخطوطات:

- جلال الحنفي، صور من الحياة الاجتماعية في بغداد قبل الحرب العالمية الأولى ومحاورها وخطوطها العامة، مخطوط محفوظ في منزل المؤلف ببغداد.
- جبرائيل يوحنا أصغر، مختصر المستفاد في تاريخ بغداد، مخطوطة رقم (١١٠٤)، دار المخطوطات العراقية، الورقة (١٠٥).

ثانياً:

أ- الكتب العربية والمعرية:

- جعفر الخياط، صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة، منشورات وزارة الإعلام العراقية، بغداد، ط ١، ١٩٧١.
- جيمس بلي فريزر، رحلة فريزر إلى بغداد ١٨٣٨، ترجمة: جعفر الخياط، دار الكتب العالمية للنشر، بغداد، ط ٢، ٢٠١٣.
- جيمس ريموند ولستدر، رحلتي إلى بغداد في عهد الوالي داود باشا، ترجمة: سليم طه التكريتي، بغداد، ط ١، ١٩٨٤.

- جيمس بكنغهام، رحلتي إلى العراق سنة ١٨١٦، ج١، ترجمة: سليم طه التكريتي، بغداد، ١٩٦٨.
- ج.ج. لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج٤، ترجمة: مكتب أمير قطر، الدوحة، (د.ت).
- حامد البازي، البصرة في الفترة المظلمة، بغداد، ١٩٦٩.
- رسول الكركوكلي، دوحة الوزراء في تاريخ بغداد الزوراء، ترجمة: موسى كاظم نورس، منشورات الشريف الرضي، طهران، ط١، ١٩٧٢.
- رحلة أوليفيه إلى العراق ١٧٩٤-١٧٩٦، ترجمة: يوسف حبي، بغداد، ١٩٨٨.
- رحلة بكنغهام، وصف بغداد، بغداد بأقلام رحالة، ترجمة: محمد علي علاوي، دار الوراق للنشر، بغداد، ط١، ٢٠٠٧.
- ريجارد كوك، بغداد مدينة السلام، ترجمة: فؤاد جميل ومصطفى جواد، مطبعة شفيق للنشر، بغداد، ط١، ١٩٦٢.
- سعاد هادي العمري، بغداد كما وصفها السواح الأجانب في القرون الخمسة الأخيرة بغداد، ١٩٥٤.
- سليمان فائق، تاريخ بغداد، ترجمة: موسى كاظم نورس، مطبعة المعارف للنشر، بغداد، ١٩٦٢.
- طارق نافع الحمداني، ملامح سياسية وحضارية من تاريخ العراق الحديث والمعاصر، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ١٩٨٩.
- عباس الغزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج٦، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٥.
- عبد العزيز جاسم الحجية، بغداديات، ج٢، مطبعة شفيق للنشر، بغداد، ١٩٦٨.
- عبد العزيز الدوري، بغداد (كتب دائرة المعارف الإسلامية)، دار الكتاب اللبناني للنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٤.
- عبد العزيز سليمان نوار، داود باشا والي بغداد، وزارة الثقافة العراقية، بغداد، ط٢، ٢٠١٣.

- ، المصالح البريطانية في أنهار العراق ١٦٠٠-١٩١٤ دراسة وثائقية للتطورات التي أدت إلى احتكار بريطانيا الملاحة في العراق، القاهرة، ١٩٦٨.
- عبد الملك عبد الرحمن السعدي، الوقف وأثره في التنمية، بغداد، ط١، ٢٠٠٠.
- علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج١، شركة الورق للنشر، بغداد، ط٢، ٢٠٠٠.
- ، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، دار دجلة والفرات للنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٣.
- عماد عبد السلام رؤوف، تاريخ مشاريع مياه الشرب القديمة في بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٢.
- علاء موسى كاظم نورس، أحوال بغداد في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، دراسة لمختارات مما كتبه الرحالة الأجانب، سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة، بغداد، ط١، ١٩٩٥.
- ، حكم المماليك في العراق ١٧٥٠-١٨٣١، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٥.
- قاسم الجميلي، تاريخ العراق الوبائي في العهد الأخير ١٨٥٠-١٩١٨، مراجعة: هاشم صالح التكريتي، دار دجلة للنشر، (عمان-الأردن)، ط١، ٢٠١٧.
- كارستن نيبور، رحلة نيبور إلى العراق في القرن الثامن عشر، ترجمة: محمود حسين الأمين، بغداد، ١٩٦٥.
- كامل علاوي الفتلاوي وحسن لطيف الزبيدي، العراق تاريخ اقتصادي، الحقبة العثمانية ١٨٣١-١٩١٤، ج٢، مراجعة: عماد عبد اللطيف سالم، بيت الحكمة للنشر، بغداد، ٢٠١٣.
- كليمان هيوا، خطط بغداد، ترجمه وعلق عليه: ناجي معروف، مطبعة العاني للنشر، بغداد، ١٩٦١.
- مجموعة مؤلفين، حضارة العراق، ج١٠، بغداد، ١٩٨٥.
- محمد سعيد الراوي، خير الزاد في تاريخ مساجد بغداد، تحقيق: عماد عبد السلام رؤوف، بغداد، ٢٠٠٦.

- محمد سلمان حسن، التطور الاقتصادي في العراق، المكتبة العصرية للنشر، بغداد، ١٩٦٥.
- مظفر حسين جميل، سياسة العراق التجارية، مطبعة النهضة للنشر، القاهرة، ١٩٤٩.
- مكي الجميل، البدو والقبائل الرحالة في العراق، مطبعة الرابطة للنشر، بغداد، ١٩٦٥.
- هاملتون حب وهارون بوون، المجتمع الإسلامي والغرب، ج٢، ترجمة: أحمد عبد الرحيم مصطفى، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٠.
- وادي العطية، تاريخ الديوانية قديماً وحديثاً، النجف، ١٩٥٤.
- ياسين العمري، زبدة الآثار الجليلة في الحوادث الأرضية، تحقيق: عماد عبد السلام رؤوف، النجف، ١٩٧٤.
- يوسف عز الدين، مخطوطة شعر الأخرس، شاعر العراق في القرن التاسع عشر، مطبعة العاني للنشر، بغداد، ١٩٦٣.
- يوسف رزق الله غنيمه، تجارة العراق قديماً وحديثاً، مطبعة العراق للنشر، بغداد، ١٩٣٢.

ثانياً- الكتب باللغة الإنكليزية:

- A chronicle of The Cormelties in Persia and The Papal of The 17th and 18th Centuries, Vol.1, London, 1939.

ثالثاً- الرسائل والأطاريح الجامعية:

- أزاد جلال شريف، فيضانات نهر دجلة الاستثنائية وآثارها في الزراعة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية- ابن رشد، جامعة بغداد، ١٩٨٩.
- جاسم محمد هادي القيسي، أحوال العراق الاقتصادية والاجتماعية ١٨٦٩-١٨٣١ دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٥.
- رنا عبد الجبار حسين الزهيري، إيالة بغداد في عهد الوالي علي رضا اللاظ ١٨٣١-١٨٤٢، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٥.
- فردوس عبد الرحمن كريم اللامي، الحياة الاجتماعية في بغداد (١٨٣١-١٩١٧)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية- ابن رشد، جامعة بغداد، ٢٠٠٢.

- وميض سرحان ذياب عبد الواحد، موجات الأوبئة والقحط والكوارث الطبيعية في العراق ١٨٣٠-١٩١٧، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٠.

رابعاً- البحوث والدراسات العربية والأجنبية:

- أ- باللغة العربية والمترجمة
- إبراهيم خليل أحمد، النشاطات الطبية والخدمية الصحية في العراق ١٢٥٨-١٩٢١، مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، العدد ١٦، ١٩٨٦.
- أكرم فاضل، بغداد في آثار المستشرقين، مجلة المورد، العدد (٧)، ١٩٧٩.
- أوليا جلبي، مقتطفات من مشاهدات أوليا جلبي في بغداد، ترجمة: حسين علي الداغوقي، مجلة الآباء، العدد ٥-٦، السنة (١٢)، أيلول- تشرين الأول ١٩٧٢.
- بطرس نيكلي، تجارة ولايات برّ الشام وولايات العراق والجزيرة العربيين في نهاية العهد العثماني (١٨٢٠-١٩١٠)، الحياة الاقتصادية للولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني، ج ١، مركز الدراسات والبحوث العربية في العهد العثماني، زغوان، ١٩٨٦.
- جون آشور، مشاهدات جون آشور في العراق، ترجمة: جعفر الخياط، مجلة سومر، مج ٢١، العدد (١-٢)، ١٩٦٥.
- رشيد الرماحي، عندما كانت مياه الآبار في بيوتنا، مجلة ألف باء، العدد (٥٧٠)، بغداد، ١٩٧٩.
- رزوق عيسى، نظرة في لغة بغداد والعامية، مجلة لغة العرب، ج ٢، شعبان ١٣٠٩هـ- آب ١٩١١.
- فيصل السامر، اليهود العراقيون، لمحات تاريخية، ندوة مركز الدراسات الفلسطينية، مجلة الدراسات الفلسطينية، جامعة بغداد، أيار- حزيران، ١٩٧٧.
- سليم وفيق الراوي، بغداد في رحلات الأجانب، مجلة المورد، المجلد الثامن، العدد (٢٤)، بغداد، ١٩٨٠.

- عباس فاضل السعدي، سكان مدينة بغداد عبر مراحلها الزمنية، مجلة دراسات تاريخية، بيت الحكمة، العدد (٣٤)، بغداد، ٢٠١٥.
- عماد عبد السلام رؤوف، تاريخ مشاريع مياه الشرب القديمة في العراق، مجلة المورد، مج ٨، العدد الرابع، ١٩٧٩.
- محمد الجمال، العراق العثماني في الاقتصاد العالمي ١٨٠٠-١٩١٤، مجلة دراسات تاريخية، دار الحكمة، العدد (٣٦)، بغداد، ٢٠١٠.

ب- الإنكليزية:

- "The Panny Magazin of The Society For The Diffusion of Useful Knowledge", No.106, (London, 30 November, 1833.

خامساً: الصحف:

- البلاد لسنة ١٩٦٤.
- الجمهورية، لسنة ١٩٦٣.

السيرة الذاتية للسلطان ابي سعيد

جاسم محمد لعبيبي الساعدي

أ.م.د. سهاد خزعل نجيب الربيعي

الجامعة المستنصرية / كلية التربية

السيرة الذاتية للسلطان ابي سعيد

جاسم محمد لعبيبي الساعدي

أ.م.د. سهاد خزعل نجيب الربيعي

مقدمة:

يعد السلطان أبي سعيد واحداً من السلاطين الاقوياء الذين تولوا العرش الايلخاني، وأنه اتخذ اسلوباً مختلفاً وسياسة مخالفة لاسلافه في حكم دولته، فتمكن من تحقيق الاستقرار السياسي نوعاً ما انعكس على الاوضاع الادارية والعسكرية والعلاقات الخارجية فقد حدث تغير كبير في السياسة الخارجية للدولة الايلخانية في عهده تجاه الممالك في مصر والشام من ناحية وتجاه الغرب الاوروبي من جهة أخرى.

وتناولنا في هذا البحث السيرة الذاتية للسلطان ابي سعيد ، ابتداءً من اسمه وولادته ونسبه واسرته المتمثلة بأبيه وامه واخوته وزوجاته فضلاً عن القابه وصفاته وكيفية اعتلائه عرش الدولة الايلخانية ومن ثم وفاته.

أولاً: اسمه وولادته ونسبه:

١- اسمه:

على غرار ما هو شائع في معظم تسميات^(١) أفراد أسرة هولاكو خان^(٢) (٦٥٦ - ٦٦٣هـ/ ١٢٥٨ - ١٢٦٤م) ترد اختلافات عديدة بشأن كتابة ولفظ اسم السلطان أبي سعيد بن محمد خدابنده أولجايتو^(٣) بن أرغون^(٤) بن أباخان^(٥) بن هولاكو وهو السلطان التاسع في تسلسل الحكام الايلخانيين^(٦).

ورد اسمه بالفاظ مختلفة مثل "ابو سعيد"^(٧) و"بوسعيد"^(٨) و"بو صعيد"^(٩) واللفظ الأول "أبو سعيد" هو اللفظ الأكثر شيوعاً ودقة وذلك حسبما ورد عند مؤرخي الدولة الايلخانية وبعض المؤرخين المسلمين المعاصرين لفترة حكم السلطان أبي سعيد^(١٠).

٢- ولادته:

ولد السلطان أبي سعيد في شهر ذي القعدة سنة ٧٠٤ هـ / ١٣٠٤ م، وهي السنة الثانية من تولي والده السلطان أولجايتو حكم الدولة الايلخانية (٧٠٣ - ٧١٦ هـ / ١٣٠٣ - ١٣١٦ م)^(١١). اما عن يوم ولادته فقد اتفقت المصادر التاريخية على ان ولادة السلطان أبي سعيد كانت في اليوم السادس من شهر ذي القعدة سنة (٧٠٤ هـ / ١٣٠٤ م)^(١٢). لقد ولد السلطان أبي سعيد في مدينة (أوجان)^(١٣) التي كانت في حينها مقر اقامة والده السلطان أولجايتو حيث اعتلى والده عرش الدولة الايلخانية في هذه المدينة^(١٤).

وقد أشار المؤرخ القاشاني في تاريخه ان السلطان أولجايتو احتفل بولادة ابنه المولود بحضور الامراء والوزراء والخواتين واوعز بأن يسلم ابنه الى مرضعة وعندما حضرت المرضعة امام السلطان أولجايتو قال لها: "ان ارضعي ابني هذا غياث الدين والدنيا"^(١٥).

لقد كرست هذه المرضعة^(١٦) حياتها لخدمة أبي سعيد وصارت ترعاه وتحافظ عليه حتى بلغ اشده، ويذكر ان أبا سعيد عندما كبر كان يعاملها بكل حب واحترام وكان يعدّها امّاً له^(١٧)، كذلك اوعز السلطان أولجايتو الى أتابكه^(١٨) الخاص "سونج"^(١٩) بأن يتولى الاشراف على تربيته ورعايته ولده أبي سعيد فكان لهذا الاتابك دور مهم في حياة السلطان أبي سعيد^(٢٠).

لقد تزامنت ولادة السلطان أبي سعيد مع بدء والده السلطان ولجايتو ببناء السلطانية العاصمة الجديدة للدولة الايلخانية وذلك في العام (٧٠٤ هـ / ١٣٠٤ م)^(٢١) حيث اكتمل بناؤها بعد تسع سنوات فظهرت في العام (٧١٣ هـ / ١٣١٣ م) احدى اعظم مدن البلاد الاسلامية^(٢٢) فقد انشأ فيها الكثير من المدارس والمساجد والحمامات والاسواق المختلفة وقد تجمع بها سكان كثيرون من مختلف طبقات المجتمع الايلخاني^(٢٣).

لقد كانت ارض هذه المدينة قبل انشائها محطة للقوافل ومرتعاً لدوابهم ومقراً لإقامة المسافرين في عبورهم من العراق الى أذربيجان^(٢٤) او بالعكس^(٢٥)، لذلك فكر السلطان غازان خان^(٢٦) (٦٩٤ - ٧٠٣ هـ / ١٢٩٥ - ١٣٠٤ م) في اواخر أيامه ان يختط هذه المدينة حيث ينبع نهر أبهر^(٢٧) ونهر زنجان^(٢٨) القصيران. وشرع فعلاً في بنائها لولا ان الاجل لم يمتد به، فاقنّى السلطان أولجايتو (٧٠٣ - ٧١٦ هـ / ١٣٠٣ - ١٣١٦ م) فكرة اخيه في بناء هذه المدينة^(٢٩) والتي مازالت اطلالها باقية لغاية اليوم^(٣٠).

٣- نسبته:

ينتمي السلطان أبي سعيد من قبل أبيه إلى قبيلة (قيات)^(٣١) وهي ترجع في أصلها إلى قبائل المغول المتنوعة والمتعددة وقد نبغ في هذه القبيلة رجال اشداء كان لهم شأن في مجالات الحياة السياسية فكان في مقدمتهم جنكيزخان^(٣٢)، الجد الأعلى^(٣٣) للسلطان أبي سعيد ومؤسس الامبراطورية المغولية^(٣٤).

ولاشك ان لهذا النسب أهمية في تحديد مكانته الشخصية في أسرته فأبي سعيد لم يكن مجرد ابن للسلطان أولجايتو بل كان موضع اهتمام ورعاية والده به خصوصاً بعد وفاة اخوته في عهد والده وبقائه وحيداً من اخوته الذكور. حيث كان هو الوريث الوحيد لأبيه على الحكم^(٣٥). لذلك انعكست هذه المنزلة فيما بعد على شخصيته حيث أصبح ينظر إليه نظرة أكثر مكانة وأهمية وأحقته بوراثة العرش.

أما من قبل أمه فإنه ينتمي إلى قبيلة الاويرات^(٣٦) إحدى القبائل المغولية التي خالفت جنكيزخان في أول الأمر حتى أنهم ناصبوه العدا، إلا أنهم سرعان ما قدموا له فروض الطاعة والخضوع، وعندما أعلن جنكيزخان (٥٧٠ - ٦٢٤ هـ / ١١٧٤ - ١٢٢٦ م)^(٣٧) قيام الامبراطورية المغولية اعتاد المغول ان يقسموا قبائلهم إلى قسمين، قسم ينتمي إلى قبيلة قيات وقسم لا ينتمي إليها فأطلقوا على القسم الأول (بيرون) أبناء النور والاطهار وقد شمل هذا اللقب عدة قبائل مغولية كانت قبيلة الاويرات واحدة منها^(٣٨).

ثانياً: أسرته:

١- أباه:

هو السلطان أولجايتو^(٣٩) محمد خدابنده بن أرغون بن اباقا بن هولاكو مؤسس الدولة الايلخانية بن تولوي^(٤٠) بن جنكيزخان ، الذي درجت مصادر التاريخ الاسلامي على ذكر اسم ابيه بـ"خربنده" كما يقول المؤرخ الذهبي في كتابه ذيل تاريخ الإسلام^(٤١)، وكثير من المصادر التاريخية العربية الاخرى^(٤٢)، ولنا ان نقف على هذه اللفظة او هذا الاسم من خلال آراء بعض المؤرخين.

ف(خدابنده) و(خربنده) هي كلمات فارسية^(٤٣) مركبة كل واحدة منها من كلمتين هما (خدا) بمعنى الله و(بنده) بمعنى عبد، حيث تعني الكلمة الاولى (عبد الله)، والثانية مكونة هي الاخرى من (خرا) بمعنى الحمار، وبنده كما ذكرنا تعني (عبد)، لذا فانها تعني (عبد الحمار)^(٤٤)، وقد ذكر المؤرخ رشيد الدين الهمذاني ان السلطان أولجايتو حتى جلوسه على عرش الدولة الايلخانية كان يحمل اسم خدابنده اي عبد الله^(٤٥)، فضلاً عن ذلك فقد اجمعت المصادر الفارسية على اسم خدابنده^(٤٦). في حين نرى المؤرخ الصفي يقول: "وانما قال ذلك المتهم به"^(٤٧) معللاً قوله في هذا بأن العامة حرفت هذه اللفظة فقالت

(خريندة) بالراء. وقد رد المؤرخ القلقشندي هذا القول بقوله: "قال العامة قصدت بهذا النطق فضلات الانسان"^(٤٨). فضلاً عن ذلك ذكر القلقشندي في موضع آخر ان اسمه "خداينده والعامة تقول خريندة"^(٤٩). وقد وافقه بالرأي المؤرخ ابن العماد بقوله: "انما الناس يحرفونه تهكماً به وبأمثاله كما يقولون في خداينده خريندة"^(٥٠) ومن المستبعد ان تكون العامة تعلم هذا المعنى فالارجح انهم كانوا يقصدون بـ"خريندة" المعنى الذي ذكر سابقاً بحجة ان العامة تقول بذلك ومن خلال ما تقدم يتضح ان اسمه خداينده. وذلك لما أشارت اليه معظم المصادر التاريخية^(٥١).

لقد اشتهر السلطان اولجايتو بأن قدومه مباركاً على الجميع وانه اينما ذهب يجلب الخير ووفرة النعمة وتصبح الحوادث المخيفة سهلة جداً^(٥٢)، ووصف بأنه كان شاباً مليحاً^(٥٣)، واختلفت الآراء في صفاته بين مؤيد ومعارض فقد وصفه العلامة الحلي^(٥٤) بـ"صاحب الرياسة الملكية، المؤيد بالنفس القدسية، الواصل بفكره العالي الى اسمى مراتب المعالي، البالغ بحدسه، الصائب الى معرفة الشهب الثواقب غياث الحق والدين، اولجايتو خداينده محمد خلد الله ملكه، وقرن دولته بالبقاء والنصر والتمكين"^(٥٥) ووصف بأنه كان يحب الخير والصلاح^(٥٦) وموصوفاً بالكرم والسخاء والعمارة^(٥٧)، واكثر مجالسته ومؤانسته مع الفقهاء والزهاد والسادة والاشراف^(٥٨)، ويشير المؤرخ القاشاني الى انه تعلم عادات وتقاليده وثقافة الملوك من صغره وتعلم فنونهم مثل فن الخط حيث تعلم الخط الفارسي، فضلاً عن كيفية استعماله السلاح^(٥٩).

وكان سليم الطبع قليل التعصب^(٦٠)، وكان له من مكارم الاخلاق الرحمة والشفقة بعباد الله ويحرص على عدم سفك الدماء الا بما هو قصاص^(٦١). وكان محباً للنبي وأهل بيته (عليهم السلام)^(٦٢) وكان يحب الصيد ومنذ اليوم الأول لتسلمه السلطة قمع الظلم والجور والعدوان واطفاً الفتنة واقام العدل^(٦٣)، وقد اشار احد الباحثين انه كان يميل للطرب والصور الحسان، فضلاً عن انه كان يحب افعال المتصارعين والملاكمين^(٦٤)، ويذكر ان السلطان اولجايتو مثل اغلب الحكام الايلخانيين يميل الى اللهو والشراب الى حد كبير^(٦٥).

لقد كان عهد السلطان اولجايتو (٧٠٣ - ٧١٦ هـ / ١٣٠٤ - ١٣١٦ م) عهد تنافس بين اصحاب الديانات والمذاهب الاسلامية، حيث تريد كل ديانة ان تكسب السلطان الجديد الى ديانتها، وكل من حالفه الحظ في هذه المنافسة فإنه يأتي بالقوة والمكانة لقومه وديانته^(٦٦)، ونجد هذا الصراع واضحاً، حيث تحول السلطان خلال فترة حكمه من دين الى آخر ورافق هذا التحول تغييراً في الاسم ايضاً^(٦٧).

لقد كان السلطان اولجايتو رجلاً ادارياً ممتازاً وقديراً وقائداً عظيماً وكان من الملوك الايلخانيين الممتازين الذين نهضوا ببلاد فارس نهضة كبيرة وكان عهده عهد رخاء في جميع البلاد حيث اصبح

رعاياه في سرور ورفاه^(٦٨)، وقد ذكر المؤرخ النطنزي ان السلطان اولجايتو "كان ذا صفات جليلة وخصال حميدة لم يقترب طيلة حياته فجوراً وفسقاً"^(٦٩) في حين ذكر المؤرخ الخونساري كذلك بحقه "أنه كان يعتني بالعلماء والصلحاء كثيراً ويحبهم حباً شديداً وانه قد حصل للعلم والفضل في زمن دولته رونق تام ورواج كثير"^(٧٠).

٢- أمه :

تدعى والدة السلطان أبي سعيد "حاجي خاتون"^(٧١) بنت تنكيز كوركمان^(٧٢) زعيم قبيلة الاويرات احدى اشهر القبائل المغولية^(٧٣)، وأمها تدعى توداكاج^(٧٤) الابنة الرابعة لهولاكو خان^(٧٥). كانت حاجي خاتون الزوجة الرابعة للسلطان اولجايتو (٧٠٣ - ٧١٦ / ١٣٠٤ - ١٣١٦ م) كانت لها حظوة ومقام كبير عند السلطان اولجايتو حيث كان يجلها ويحترمها كثيراً فهي ام لولده ووريث عرشه ابو سعيد^(٧٦). كانت هذه الامراة جميلة عفيفة مسلمة تشيعت وتشرفت بمذهب اهل البيت (عليهم السلام) مع زوجها السلطان حيث كانت تسمع وترى المناظرات التي تكون في حضرة زوجها اولجايتو وكانت لها مكانة مميزة بين الخواتين واسرة السلطان^(٧٧).

لقد كان لها دور بارز ومهم في أحداث الدولة الايلخانية خصوصاً بعد وفاة زوجها السلطان اولجايتو سنة (٧١٦ هـ / ١٣١٦ م) حيث ارسلت الرسل لولدها أبي سعيد تستعجل قدومه للعاصمة الايلخانية السلطانية عندما كان في خراسان^(٧٨) والياً عليها لاعتلاء عرش والده الذي ينتظره^(٧٩)، في الوقت نفسه الذي اخذت تعمل مع الامراء والقادة وخصوصاً الامير جوبان^(٨٠) لترتيب اوضاع العرش لأبي سعيد عندما يصل^(٨١). كانت حاجي خاتون على رأس المستقبلين لولدها العائد من خراسان مع عدد كبير من الخواتين والحاشية والقادة والامراء^(٨٢) فقد كان همها الوحيد ان يصل ولدها أبي سعيد ويعتلي عرش والده^(٨٣). وعندما اعتلى السلطان أبي سعيد كانت حاجي خاتون لا تفارق ولدها السلطان وتهدي من روعه في بعض الاحيان لانه كان يرى انه ليس له من الملك غير الاسم^(٨٤).

ويذكر بعض المؤرخين ان حاجي خاتون والدة السلطان أبي سعيد كان لها دور مهم وفعال في إخماد بعض الفتن التي حدثت بعد اعتلاء ولدها أبي سعيد عرش الدولة الايلخانية، فقد اتفقت مع زوجة ولدها ابي سعيد (الخاتون قتلغ شاه) ابنة ايرنجي^(٨٥) خال السلطان اولجايتو عندما تسبب في فتنة مع بعض القادة المغول ضد سياسة الامير جوبان^(٨٦)، كذلك كان لها دور في إخماد فتنة اخرى قادها اخوها علي بادشاه^(٨٧) في عام (٧٢٩ هـ / ١٣٠٠ م)^(٨٨).

ويبدو ان المصادر التاريخية لم تشر الى تاريخ وفاة حاجي خاتون، الا انها ذكرت انها كانت على قيد الحياة بعد وفاة ولدها السلطان أبي سعيد سنة ٧٣٦هـ / ١٣٣٦م حيث كانت في خوف عميق ووجد على ابنها الشاب وعلى إرثه الذي اصبح نهباً للطامعين^(٨٩).

٣- اخوته:

كان للسلطان أبي سعيد (٧١٦ - ٧٣٦هـ / ١٣١٦ - ١٣٣٦م) عدة اخوة من الذكور والاناث فمن الذكور كان له ثلاثة اخوة هم بسطام وبايزيد وطيفور^(٩٠)، وهؤلاء الاخوة الثلاثة للسلطان أبي سعيد لم تسعفا المصادر التاريخية عن سيرهم الذاتية من حيث الولادة والنشأة، سوى ذكر اسمائهم والشيء القليل من المعلومات عنهم.

فهؤلاء الاخوة الثلاثة الذكور ينتسبون الى ام واحدة تدعى "ولترميش"^(٩١) وقد عاش هؤلاء في كنف والدهم السلطان اولجايتو الا انهم توفوا جميعاً في حياة أبيهم^(٩٢). فأكبرهم هو بسطام توفي في موضع يقال "جمجمال"^(٩٣) عن عمر اثنتي عشرة سنة^(٩٤) الا ان المصادر التاريخية لم تذكر سبب وفاته في هذا الموضع وتاريخ وفاته. اما بايزيد فقد كان حاكماً على اقليم خراسان في عهد أبيه وقد توفي في سنة (٧٠٩هـ / ١٣٠٩م)^(٩٥). أما طيفور وهو الأخ الأصغر للسلطان أبي سعيد فقد توفي وهو طفل صغير^(٩٦).

أما اخواته فتشير النصوص التاريخية انه كان للسلطان أبي سعيد اثنان هما "دولندي وساتي بيك"^(٩٧) وقد كانتا متزوجتين من الأمير جوبان قائد الجيش في الدولة الايلخانية^(٩٨).

فالأميرة دولندي هي أكبر ابناء السلطان اولجايتو وامها تدعى (بوجغان)^(٩٩) وهي الزوجة الثانية للسلطان اولجايتو^(١٠٠)، تزوجت هذه الاميرة في زمن والدها اولجايتو من الامير جوبان، وقد انجبت منه ولداً يدعى (جلوخان)^(١٠١). توفيت الاميرة دولندي في زمن حكم أخيها السلطان أبي سعيد في سنة (٧١٩هـ / ١٣١٩م)^(١٠٢). ولم تشر المصادر التاريخية الى اي دور يذكر لها في الدولة الايلخانية. اما الاخت الثانية للسلطان أبي سعيد فهي ساتي بيك وامها هي الزوجة الثالثة للسلطان اولجايتو وتدعى "دقتي خاتون"^(١٠٣).

تزوجت الاميرة ساتي بيك من الامير جوبان بعد وفاة اختها الاميرة دولندي وذلك في سنة (٧١٩هـ / ١٣١٩م)^(١٠٤)، وانجبت منه ولداً يدعى "سورغان"^(١٠٥). كان للاميرة ساتي بيك دور في الحياة السياسية في الدولة الايلخانية في عهد أخيها السلطان أبي سعيد وبعد وفاته، فقد كانت تتاصر الامير جوبان وتدعم موقفه وتحث السلطان مع بقية الخواتين على ذلك اثناء ما تعرض لمؤامرة في عام

١٧١٩هـ / ١٣٣٩م) كادت ان تطيح به وتقضي عليه وعلى مستقبله العسكري والسياسي في الدولة الايلخانية^(١٠٦). وعلى اثر ذلك كان الامير جوبان قد اعجب بسلوك وموقف الاميرة ساتي بيك هذا الاعجاب الذي ادى بالتالي بعد انتصار الامير جوبان على خصومه بنتويجه بالزواج من الاميرة ساتي بيك^(١٠٧).

اما بعد مقتل زوجها الامير جوبان على يد السلطان أبي سعيد في سنة (١٧٢٨هـ / ١٣٣٨م) فقد انعزلت الاميرة ساتي بيك وابنها سورغان الى الكرج^(١٠٨) منشغلة بحزنهما على زوجها الامير جوبان ومقاطعة لأخيها السلطان أبي سعيد حتى وفاته في العام (١٧٣٦هـ / ١٣٣٦م) حيث كان لها دور واضح في الاحداث التي تلت وفاة السلطان اثناء الصراع على السلطة بين الامراء وقادة الجيش الايلخاني^(١٠٩)، وذلك حينما تمكن الامير "حسن بن تمر تاش"^(١١٠) المعروف بحسن الصغير الذي كان احد اقطاب ذلك الصراع السياسي^(١١١) من فرض سيطرته على تبريز سنة (١٧٣٩هـ / ١٣٣٨م)^(١١٢) وعندما رفض اهلها من ان ينصبوا على عرش الدولة الايلخانية احدى من غير نسل هولوكو أو جنكيزخان وافق الامير حسن بن تمر تاش على ذلك ونادى بالاميرة ساتي بيك سلطنة على عرش الدولة الايلخانية وذلك في سنة ١٧٣٩هـ / ١٣٣٨م وذكر اسمها في الخطبة وضربت السكة باسمها^(١١٣).

وفي هذا الصدد ذكر عمر كحالة: "انه وجد بالمتحف البريطاني نقوداً مسكوكة باسم السلطانة ساتي بيك سكت ما بين عامي (٧٣٩ - ٧٤١هـ / ١٣٣٨ - ١٣٤٠م)^(١١٤).

لقد عملت السلطانة ساتي بيك خلال فترة توليها العرش على جمع شتات المملكة الايلخانية وانهاء الصراعات ما بين المتخاصمين على العرش فالتف الامراء والقادة المغول حولها^(١١٥)، الا ان هذا النشاط من قبل السلطانة لم يرق للامير حسن فقد اغاضه وخاف ان ينقلب الامر عليه وتقلت الامور من بين يديه فأخذ يعمل من اجل عزل السلطانة عن العرش بحجة انها لا تستطيع وحدها ادارة الدولة الايلخانية فأجبرها على الزواج من "سليمان خان"^(١١٦) وذلك في سنة (١٧٤١هـ / ١٣٤٠م)^(١١٧) ثم نادى به سلطاناً للدولة الايلخانية (٧٤١ - ٧٤٥هـ / ١٣٤٠ - ١٣٤٤م)^(١١٨).

٤- زوجاته:

كان للسلطان أبي سعيد (٧١٦ - ٧٣٦هـ / ١٣١٦ - ١٣٣٦م) ثلاثة من الزوجات وكان لكل واحدة منهن دور معين في حياة السلطان السياسية والاجتماعية^(١١٩).

فالأزوجة الأولى كانت تدعى (قتلغ خاتون) والتي تزوجها السلطان قبل ان يعتلي عرش الايلخانية عندما كان والياً على خراسان من قبل أبيه السلطان اولجايتو، وهي ابنة ايرنجي خال السلطان اولجايتو وهي من قبيلة "كرايت" (١٢٠) احدى اشهر قبائل المغول (١٢١).

كان لقتلغ خاتون دور مهم في حياة السلطان أبي سعيد فقد كان يحبها ويجلها ولها مقام كبير عنده وكانت هي الاخرى تبادل السلطان الشعور نفسه وقد برهنت على ذلك عندما وقفت الى جانب زوجها ضد ابيها تشاركه حربه (١٢٢) التي قادها السلطان بنفسه ضد الامير إيرنجي والد قتلغ خاتون، حيث طلبت من السلطان أبي سعيد ان تتدخل وتتأشد اباها لعلها تستطيع ان تحقن الدماء في تدخلها. وقد اجابها السلطان أبي سعيد الى مطلبها، الا ان والدها الامير ايرنجي لم يكتثر لرجاء ابنته (١٢٣). وبالرغم من ذلك واصلت الاميرة قتلغ خاتون مساعيها لوقف هذه الفتنة وأخمادها قبل وقوعها فقد تواترت الرسائل من قتلغ خاتون الى ابيها حتى أجابها في آخر الامر بقوله: "ان كان الايلخان حقاً في مقام اللطف والعناية بنا فليأمر بنشر الرايات البيضاء على معسكره" (١٢٤). فقبل السلطان أبي سعيد اقتراحهم ونشر الرايات البيض على المعسكر اجابة لرغبة زوجته قتلغ خاتون (١٢٥)، لكن هذه الحركة من جانب السلطان زادت المخالفين له جرأة وحملوها على محمل الخوف (١٢٦).

فما كان من السلطان أبي سعيد الا ان اعطى الاوامر للجيش بالتأهب لهؤلاء المتمردين وقد كان دور الاميرة قتلغ خاتون دور المساند لزوجها السلطان مؤيدة له تصرفاته تجاه المتمردين عليه (١٢٧). لقد عاشت الاميرة قتلغ خاتون مع السلطان أبي سعيد ترعى مصالحه الشخصية امينة مخلصه له حتى توفيت في سنة (٧٢٧هـ / ١٣٢٧م) فحزن السلطان لموتها كثيراً (١٢٨).

أما الزوجة الثانية فهي (بغداد خاتون) ابنة الامير جوبان بن ملك بن تدان السلدوسي امير الجيوش الايلخانية (١٢٩)، كانت من اجمل النساء وكانت اخص النساء لديه (١٣٠)، والنساء لدى الاترك والمغول لهن حظ عظيم منهم إذا كتبوا امراً يقولون فيه عن امر السلطان والخواتين (١٣١). فكان لكل خاتون حصة من البلاد والولايات. فإذا سافرت تكون في مكان خاص بها (١٣٢)، وقد ظلت على ذلك مدة من الزمن (١٣٣). وفي هذا الصدد اشار المؤرخ ابن فضل العمري. أنه كان يضرب بها المثل وهو يتحدث عن مشاركة نساء المغول لأزواجهن في الحكم بقوله: "ان ما كانت عليه بغداد خاتون امرأة أبي سعيد فاننا ما رأينا في زماننا ولا سمعنا عن قارب زماننا امرأة حكمت بحكمها" (١٣٤).

لقد أشارت المصادر التاريخية بأسهاب عن قصة حب السلطان لهذه الخاتون (١٣٥)، فقد شغفت هذه الفتاة السلطان أبي سعيد حباً من اول يوم رآها فيه وكان له من العمر عشرون سنة تقريباً رغم انها كانت متزوجة من الشيخ حسن (١٣٦)، حيث تزوجا في سنة (٧٢٣هـ / ١٣٢٣م) ولم يكد يمضي عامان

على زواجهما حتى هام بها أبو سعيد^(١٣٧)، وقرر الزواج بها، فطلب من الأمير جوبان ان يطلقها من الشيخ حسن ليتزوجها^(١٣٨) وذلك من وفق أحكام الياسا^(١٣٩). والذي يقضي بأن الخان اذا هوى امرأة متزوجة فعلى زوجها ان يطلقها ويرسلها الى الخان عن طيب خاطر^(١٤٠)، دُهِشَ الأمير جوبان من هذا الطلب واجابه اجابة فهم منها السلطان أنه لا يوافق على طلبه وطلب من ابنته بغداد وزوجها الشيخ حسن ان يبتعدا عن الاورد^(١٤١)، الى قراباغ^(١٤٢) لعله يصرف خاطر السلطان عن هذا الامر^(١٤٣).

لكن السلطان أبي سعيد لم يرجع عن غيه، بل ازداد عشقاً وافتناناً بها، وتغير على الأمير جوبان إذا احس من هذا الصديق رغبة عن عدم اجابة الى طلبه^(١٤٤). وفي تلك الايام ايام افتتانه بها انصرف انصراف كلي عن سياسة المملكة وصار يقضي أيامه في نظم الشعر متغزلاً بها متحسراً لبعده عنها^(١٤٥).

وفي عام (٧٢٨هـ / ١٣٢٨م) وبعد مقتل الأمير جوبان ورغم الاضطراب والتشويش في هذه المدة الذي سببته قضايا الأمير جوبان وابنائوه لم ينسَ أبي سعيد عشقه لبغداد خاتون فأرسل قاضي القضاة الى زوجها الشيخ حسن واجبره على تطليقها^(١٤٦)، وبعد انقضاء عدتها تزوجها وحقق أمله القديم واصبحت تلقب بلقب "خدا وندكار" والتي تعني ولي النعمة، وسرعان ما شغلت هذه السيدة منزلة سامية في بلاط السلطان أبي سعيد واضحت لها الكلمة الاولى في ادارة شؤون العامة، وسار لها الحكم في الممالك، وكانت تركب في موكب من الخواتين وتشد في وسطها السيف^(١٤٧).

وفي عام (٧٣٠هـ / ١٣٣٠م) بدأت مظاهر الخلاف بين السلطان وزوجته بغداد خاتون على اثر وشاية بعض المغرضين للسلطان بأن زوجته بغداد خاتون ترسل زوجها السابق الشيخ حسن سراً من أجل التآمر عليه وقتله^(١٤٨). وازدادت هذه الخلافات حدة بين السلطان وزوجته عندما تزوج السلطان أبي سعيد للمرة الثالثة خصوصاً وان زوجته هذه المرة هي ابنة اخ بغداد خاتون والتي تدعى دلشاد خاتون ابنة خواجه دمشق^(١٤٩) ابن الأمير جوبان والتي تزوجها في العام (٧٣٢هـ / ١٣٣٢م)، فاشتعلت الغيرة في قلب بغداد خاتون^(١٥٠).

لقد اتصفت دلشاد خاتون بعدة صفات وتميزت عن ضررتها بغداد خاتون بعدة مميزات ففضلاً عن الجمال والكرم والادب وحبها للشعر وتعهدتها الشعراء والادباء وتعهدتها للفقراء والاحسان اليهم وحبها لجميع اعمال الخير^(١٥١)، وكانت هذه المرأة هي الزوجة الوحيدة من زوجات السلطان أبي سعيد التي حملت منه وانجبت منه طفلاً كانت بنتاً^(١٥٢)، فأحبها السلطان حباً شديداً وهجر بغداد خاتون عندما علم بحمل زوجته دلشاد خاتون^(١٥٣)، وعلى أثر ذلك ازدادت غيرة وحقد بغداد خاتون على السلطان أبي سعيد وذلك حينما علمت ان دلشاد خاتون حامل من السلطان فجن جنونها واضمرت الحقد في قلبها حتى دعت السلطان الى مخدعها فسمته بمنديل^(١٥٤) وعلى أثره توفي السلطان^(١٥٥). وعندما تبين أن السلطان مات

مسموماً، وان زوجته بغداد خاتون هي من سمته. امر السلطان "أرباخان" ^(١٥٦) الذي تولى الحكم بعد وفاة السلطان أبي سعيد مدة ستة شهور من شهر ربيع الثاني عام (٧٣٦هـ / ١٣٣٦م) لغاية شهر ايلول من السنة نفسها، بقتل بغداد خاتون بعد وفاة أبي سعيد بأيام قلائل ^(١٥٧).

أما دلشاد خاتون فقد استغل على بادشاه الاويراتي خال السلطان أبي سعيد حملها مطالباً أرباخان بالتناحي عن العرش لأن الوريث الشرعي لعرش هو حمل دلشاد سواء كان ذكراً أم أنثى، حيث كانت دلشاد خاتون وحاجي خاتون كانتا قد لجأتا الى الأمير علي بادشاه اثناء فترة الصراع على السلطة في العاصمة السلطانية حينما كان علي بادشاه اميراً وحاكماً على بغداد من قبل السلطان ابي سعيد ^(١٥٨).

وعندما علمت دلشاد خاتون ان طائفة الاويرات وعلي بادشاه اصحاب اطماع وشرور وانهم ان ظفروا بالملك عاثوا بالارض فساداً، كرهت الخاتون دلشاد ان تجعل نفسها سبباً في ظلم وهلاك الناس، فادعت انها غير حامل من السلطان وتنحت بنفسها عن الدخول في هذا المعترك ^(١٥٩)، فلما رأى علي بادشاه ان هذه الخاتون واخته حاجي خاتون ام السلطان أبي سعيد قد تنصلت منه وخافت عواقبها وانتفت الحاجة منها بعد ادعائها بعدم الحمل تركها تذهب من حيث أتت ^(١٦٠)، وعندما عادت الى تبريز كان الشيخ حسن الجلائري ^(١٦١) قد استولى عليها حيث عرض عليها الزواج فتزوج بها حيث فعل ما كان السلطان أبي سعيد قد فعله من زواج امرأته، وبعد زواجها من الشيخ حسن الكبير (الجلائري) اصبح لها حضوة كبيرة وعظيمة عند زوجها ^(١٦٢) واصبحت تشاركه في حكم الدولة التي أسسها والتي عرفت باسم الدولة الجلائرية (٧٣٨-٨١٤هـ / ١٣٣٧-١٤١١م) ^(١٦٣).

ثالثاً: ألقابه وصفاته:

١- القاب

تفيد دراسة الالقاب بصفة خاصة في فهم بعض النظم والاتجاهات فهي تبرز وتوضح ميول الحكام وما يسيطر عليهم من نزعات وتشير الى برنامج حكوماتهم، وبصورة عامة تصبح الالقاب ذات اهمية قصوى اذا درست نشأتها وتطورها على مدى الزمان في ضوء ما يحيط بها من ظواهر اجتماعية وسياسية ودينية، فالالقاب تلقي الضوء على كثير من الاحداث السياسية والاجتماعية في التاريخ فضلاً عن انها تمثل مصدراً مهماً في دراسة تاريخ معين ^(١٦٤).

ومن الجدير بالذكر ان حكام المغول من بيت هولاكو كانوا يلقبون بلقب ايلخان حيث اصبح هذا اللقب هو اللقب الرسمي المتوارث لمن اتى بعده من الايلخانات ^(١٦٥). ومما عرف عن المغول بصورة عامة انهم لا يفخمون باللقاب ^(١٦٦).

وفي عهد السلطان أولجايتو (٧٠٣-٧١٦هـ / ١٣٠٣-١٣١٦م) نرى ان لقب الايلخان قد اختفى من الاستعمال بعد هدايته الى الاسلام^(١٦٧)، حيث لقب بعدة القاب حين اعتلائه عرش الايلخانية بعد ان اقترح عليه امراء النويان^(١٦٨). ومنها لقب السلطان الكبير والمبارك والمغفور له، حيث اصبح لقب السلطان هو اللقب التقليدي الواضح لایلخانات مغول المسلمين^(١٦٩) وهو احد الالقاب التي تلقب بها السلطان أبي سعيد وهو لقب عربي يلحق به صفات متعددة كالسلطان الاعظم والسلطان المعظم والسلطان العادل^(١٧٠). فضلاً عن القاب اخرى لقب السلطان أبي سعيد بها كلقب غياث الدنيا والدين وهو اللقب الذي اطلقه عليه والده عند ولادته حينما قال للمرضعة "ارضعي غياث الدنيا والدين"^(١٧١).

لقد اشتهر السلطان أبي سعيد بأشهر لقب لقب به في المصادر التاريخية وهو لقب "بهادر"^(١٧٢) والذي حاز عليه بجدارة بعد ان قمع فتنة قادها احد الامراء المتنفذين في المملكة^(١٧٣). وانتصر بها انتصاراً كبيراً بفضل شجاعته وحنكته وبراعته في قيادة المعركة ومنذ ذلك الحين لقب "ببهادرخان" هذا اللقب الذي اضيف الى اسمه واضحت المراسيم والمنشورات تصدر من ذلك الوقت متضمنة هذا اللقب في كل انحاء البلاد^(١٧٤).

٢- صفاته:

امتاز السلطان أبي سعيد بصفات عدة، فقد ترجم له عدد من المؤرخين المعاصرين او ممن جاءوا بعده، فظهرت صورته واضحة جلية في صفاته واخلاقه وكرمه واعماله. وقد رسمت صورته من خلال تاريخ الاحداث السياسية والاجتماعية في عصره ونظراً لصفاته المتعددة التي اتصف بها في المصادر التاريخية سوف استعرض اهم تلك الصفات.

كان السلطان أبي سعيد ملكاً فاضلاً شجاعاً^(١٧٥). من خيار ملوك التتار واحسنهم طريقة واثبتهم على الاسلام. فهو أول سلطان يولد من أبوين مسلمين حيث شب وترعرع في بيئة صالحة، تعلم الفقه الاسلامي وقرأ القرآن على يد علماء الدين وكان من اهم افعاله التقريب بين المذاهب الاسلامية والمسلمين^(١٧٦). كان يحب الخير ويكره الظلم ويؤثر العدل وينقاد للشرع^(١٧٧)، كان شاعراً وصاحب ذوق شعري^(١٧٨)، ومحباً للادب والفنون والعلوم الاخرى حيث نالت في عهده حظاً كبيراً من الاهتمام والانتشار فانتعش سوقها وراجت بضاعتها^(١٧٩)، كان يعشق الموسيقى ويجيد الضرب على العود، حيث صنف الكثير من فن الموسيقى^(١٨٠)، وكان الى جانب شاعريته وحبه للموسيقى يحسن الكتابة والخط الجميل. فقد ذكر المؤرخ الصفي: "أنه رأى خطه على ديوان ابي الطيب^(١٨١) كأنه باكوره زهرغالقطر الطيب"^(١٨٢). في حين وصف المقرئ اخلاق السلطان أبي سعيد بقوله: "انه كان محارباً للفجور، أراق الخمر في

سائر مملكته، وابطل بيوت الفواحش، وابتعد أرباب الملاهي واغلق الحانات، وابطل المكوس^(١٨٣)، وهدم الكنائس ورفع شهادة الاسلام ونشر العدل وعمر المساجد، وخلع على من أسلم من أهل الذمة^(١٨٤).

وقد اسهبت المصادر التاريخية في صفات السلطان من اخلاق وكرم وشفقة بعباد الله، فقد ذكر ان ركب الحاج من العراق كان قد حج في سنة (٧٣٢هـ / ١٣٣٢م) وكان المقدم عليهم (امير الركب) بطلاً شجاعاً فلم يتمكن الاعراب من قطع الطريق على الحجاج فلما كانت السنة الثانية خرج الاعراب على الركب ونهبوه واخذوا منه شيئاً كثيراً، فلما عادوا شكوا للسلطان فقال لهم السلطان: "هؤلاء الاعراب في مملكتنا ام في مملكة الناصر محمد بن قلاوون^(١٨٥) فقالوا له: لافي مملكتنا ولا في مملكة الناصر وانما هم في البرية لا يحكم عليهم أحد، يعيشون بقائم سيفهم ممن يمر عليهم ، فقال السلطان هؤلاء فقراء، كم مقدار ما يأخذون من الركب نحن نحملها اليهم من بيت المال كل سنة ولا ندعهم يأخذون من الرعية شيئاً، فقال اصحاب الركب يأخذون ثلاثين الف دينار لعل السلطان يرى المبلغ كثيراً، فقال لهم هذا القدر ما يكفيهم اجعلوها في كل سنة ستين الف دينار، تحمل اليهم من بيت المال في كل سنة بصحبة مسافر او ممثل من عندنا"^(١٨٦). وفضلاً عن كرمه هذا كان سليم الطبع قليل التعصب مقرباً لذوي العلم والدين من جميع المذاهب الاسلامية^(١٨٧).

وبعد التعرف على اهم صفات السلطان أبي سعيد من شجاعة وكرم واخلاق وطبيعة نفس وحبه للعلم والعلماء وسائر فنون الادب والفن بقي ان نذكر جماله وحسن منظره من خلال ما وصفه ابن بطوطة عندما التقى السلطان أبا سعيد في بغداد سنة ٧٢٧هـ بقوله: "أنه كان اجمل خلق الله صورة..."^(١٨٨).

رابعاً: اعتلاؤه عرش الدولة الايلخانية:

كان السلطان محمد أولجاتيو (٧٠٣ - ٧١٦هـ / ١٣٠٤ - ١٣٣٦م)، قد أقطع ولده أبا سعيد حكومة خراسان وذلك في العام (٧١٣هـ / ١٣١٣م) عندما كان عمره تسع سنوات^(١٨٩)، فعاش فيها أبي سعيد يدير شؤونها ويدبر امورها بسبب اهمية هذا الاقليم فهو يعد من اهم اقاليم الدولة الايلخانية والذي كان يعاني من الاضطرابات ووجود المتمردين فيه حيث كان هذا الاقليم من المدن المزدهمة والمعرضة دوماً للحوادث وعبور جيوش الغرباء^(١٩٠). ولكن بتولي أبي سعيد امر خراسان قلت الفتن والاضطرابات وهجمات الجغتاي^(١٩١) عليها، ولم يجرؤ اي جيش غريب من دخول المدينة واضحى أبي سعيد يد السلطان اولجاتيو وولي عهده ونائبه فيها^(١٩٢).

ونظراً لصغر سن أبي سعيد فقد عين له والده في هذه المهمة بعض الامراء والقادة فضلاً عن أتابعه الامير سونج^(١٩٣). وقد كان السلطان اولجايتو قد امر ولده حاكم خراسان بالتصدي لغارات الجغتائيين، وإعادة الامن والاستقرار لهذا الاقليم المهم^(١٩٤).

والظاهر ان هذا الاقليم كان يتعرض لمثل هذه الغارات قبل تعيين أبي سعيد لحكومة خراسان، فقد هوجم هذا الاقليم اكثر من مرة قبل تولي أبي سعيد الحكم في خراسان سنة (٧١٣هـ / ١٣١٣م)^(١٩٥)، حيث قام مغول جغتاي بالتغلغل في أراضي خراسان وعاثوا فيها فساداً مما دعا السلطان اولجايتو (٧٠٣-٧١٦هـ / ١٣٠٤-١٣١٦م) الى ارسال حملة عسكرية لطردهم وذلك في سنة (٧١٢هـ / ١٣١٢م)^(١٩٦) حينما عجز امير خراسان الامير يساول^(١٩٧) من التصدي لهم^(١٩٨)، وقد اتفق ان قام مغول جغتاي بهجوم آخر مع وصول أبي سعيد الى هذا الاقليم إذ كان اميرها (خراسان) الامير يساول غير قادر على مقاومتهم، فالتحق بجيشه لمعسكر أبي سعيد وعملاً معاً على طرد الجغتائيين من هذا الاقليم^(١٩٩)، هذا وقد ظل أبي سعيد طوال مدة حكمه لحكومة خراسان في عهد والده السلطان اولجايتو والتي دامت ثلاث سنوات وبعض السنة دائم الانشغال بدفع خطر أولئك المغول عنها^(٢٠٠).

ويبدو ان سبب هذه المشاكل بين الدولتين الايلخانية والجغتائية كانت ناجمة عن ادعاء كل من الدولتين بحقهما في بعض مناطق بلاد ما وراء النهر^(٢٠١)، حيث كانت الحدود المشتركة بينهما^(٢٠٢). وأغلب الظن ان هذه التوترات والمشاكل كان لها تاريخ طويل منذ تأسيس هذه الايلخانات، عندما وزع جنكيزخان (٥٦١-٦٢٤هـ / ١١٦٥-١٢٢٧م) امبراطوريته الواسعة على اولاده الاربعة^(٢٠٣).

أخذت هذه التوترات تزداد يوماً بعد آخر بين هاتين الايلخانييتين، حتى بلغت حدودها القصوى في عهد السلطان محمود غازان (٦٩٤-٧٠٣هـ / ١٢٩٤-١٣٠٣م)^(٢٠٤) وذلك عندما قامت حكومة ايلخانية جغتاي بتوجيه عدة حملات على املاك الدولة الايلخانية. فتصدى لهم السلطان غازان ووقع بهم الهزيمة وذلك في عام ٦٩٩هـ / ١٢٩٩م^(٢٠٥).

ومع ان صلحاً وقع بين الدولتين الايلخانية والجغتائية في سنة (٧٠٥هـ / ١٣٠٥م) في عهد السلطان اولجايتو (٧٠٣-٧١٦هـ / ١٣٠٣-١٣٣٦م)^(٢٠٦). الا ان مغول جغتاي، استغلوا بعض ظروف الدولة الايلخانية وبعض المشاكل الداخلية فتغلغلوا في اقليم خراسان كما اشرنا سابقاً^(٢٠٧).

لقد استمر هذا الصراع حتى وفاة السلطان اولجايتو واعتلاء العرش الايلخاني من قبل ولده أبي سعيد عام (٧١٧هـ / ١٣٣٧م)^(٢٠٨) حيث ادرك امراء البلاط الايلخاني ووزرائه وقادة الجيش هذا الخطر المتمثل بدولة جغتاي وغيرها من الاخطار التي كانت تحيط بالدولة عند وفاة السلطان اولجايتو عام (٧١٦هـ / ١٣٣٦م)^(٢٠٩).

كان هؤلاء الامراء والقادة والوزراء منقادين للامير جوبان. فأرادوا قبل وفاة السلطان اولجاتيو وقبل حضور الامير سونج الذي كان في طوس^(٢١٠) يشرف على امور حكومة خراسان، ان يبعدوا أبا سعيد عن مربيه الامير سونج^(٢١١)، فيكون أبي سعيد حال حضوره وهو صغير السن وبعيداً عن المخلصين له امثال الامير سونج اداة طيعة في ايديهم، الا ان ابا سعيد وحاشيته كانوا أوفياء للامير سونج فلم يخرجوا عن امره ولم يبارحوا موضعهم الى ان قدم الامير سونج، وارسل من يستطلع الوضع في العاصمة^(٢١٢). وبعد ان اطمأن بأن الاوضاع تسير باتجاه تنصيب الامير أبي سعيد سلطاناً للدولة الايلخانية خلفاً لوالده^(٢١٣). وفي ضوء هذه التطورات تحرك ركب أبي سعيد بمصاحبة اتابكة الامير سونج الى السلطانية، فاستقبل استقبالاً حاشداً من الوزراء والامراء والقادة يتقدمهم الامير جوبان وادخل العاصمة السلطانية باجلال كبير^(٢١٤)، وهناك أقام مجلس عزاء لأبيه السلطان اولجاتيو (٧٠٣ - ٧١٦هـ / ١٣٠٣ - ١٣٣٦م)^(٢١٥).

وفي غرة صفر من عام ٧١٧هـ / ١٣١٧م جلس السلطان أبي سعيد رسمياً على العرش الايلخاني وجلس الى جانبه الامراء والقادة المقربين يتقدمهم الاميران جوبان وسونج^(٢١٦)، ثم بعد ايام قلائل اصدر السلطان أبي سعيد امراً سلطانياً ينص على ترتيب اوضاع الدولة الايلخانية تحت زعامته وهذا ما سنستعرضه في الفصل الثاني.

لقد اختلفت المصادر التاريخية وتباينت الاراء في عمر السلطان أبي سعيد حين اعتلائه العرش في (٧١٧هـ / ١٣١٧م)^(٢١٧)، فالمصادر الفارسية اشارت الى ان عمر السلطان أبي سعيد كان اثنتي عشرة سنة^(٢١٨) عندما اعتلى السلطان أبي سعيد العرش الايلخاني، في حين نرى بعض المصادر العربية قد اشارت الى ان عمره كان ثلاث عشرة سنة^(٢١٩)، والبعض الآخر اشارت الى ان عمره كان احدى عشرة سنة^(٢٢٠)، حين اعتلى السلطان العرش الايلخاني، بينما ذكر المؤرخ ابي الفداء في تاريخه ان أبا سعيد اعتلى العرش الايلخاني وعمره آنذاك عشر سنين^(٢٢١)، في حين اشار المؤرخ القرمانلي انه تولى العرش وعمره ست عشرة سنة^(٢٢٢).

ونحن من بين هذه الآراء المتناقضة نرجح الرأي الذي اشارت اليه المصادر الفارسية وهو ان عمر السلطان أبي سعيد كان اثنتي عشرة سنة وذلك لقرب ومعاصرة هذه المصادر لفترة حكم السلطان أبي سعيد ولكون هذه المصادر اعتمدت في حساب عمر السلطان أبي سعيد على تاريخ وفاة والده السلطان اولجاتيو (٧١٦هـ / ١٣١٦م) حيث عدّت هذه المصادر ان وفاة السلطان اولجاتيو هو التاريخ الحقيقي لتولي السلطان أبي سعيد حكم الدولة الايلخانية لان الشواهد التي واكبت وفاة السلطان اولجاتيو واجماع الامراء والوزراء والقادة على مراسلة السلطان أبي سعيد وهو في خراسان للحضور لاعتلاء العرش هي التي اكدت واعتمدت من قبل المصادر الفارسية المختلفة.

خامساً: وفاته:

توفي السلطان أبي سعيد في ربيع الاول سنة ٧٣٦هـ / ١٣٣٦م كما ذهب أغلب المؤرخين^(٢٢٣). الا ان ابن حجر العسقلاني ذكر ان وفاة السلطان أبي سعيد كانت في سنة (٧٣٧هـ / ١٣٣٧م)^(٢٢٤)، في اذربيجان بالقرب من مدينة أران^(٢٢٥) عندما كان في طريقه لمواجهة مغول القبيلة الذهبية^(٢٢٦) الذين كانوا يعدون العدة للهجوم على مدينة أران. وبينما السلطان في هذه المدينة (أران) كانت الامراض قد فتكت وانتشرت بين افراد جيشه الزاحف لمهاجمة جيش القبيلة الذهبية وقضت على معظمه واصيب السلطان أبي سعيد نفسه بحمى شديدة رقد على اثرها في الفراش لمدة اسبوعين^(٢٢٧)، وقد تبين للأطباء ان سبب هذه الحمى من اثر انتشار السم في بدنه^(٢٢٨)، ويشير اغلب المؤرخين الى ان زوجته بغداد خاتون هي من قامت بتسميمه^(٢٢٩). وقد اعترفت بغداد خاتون بعد ذلك عندما احضرت امام السلطان ارباخان الذي تولى العرش الايلخاني سنة (٧٣٦هـ / ١٣٣٦م) بعد وفاة أبي سعيد وقد بررت بغداد خاتون عملها هذا بسبب جفاء السلطان لها بعد زواجه من دلشاد خاتون، فصارت تظمر الحقد للسلطان أبي سعيد في نفسها فضلاً عن انها كانت متأثرة ومستاءة من السلطان أبي سعيد نتيجة مقتل ابيها واخوته في سنة (٧٢٨هـ / ١٣١٨م) وعلى اثر ذلك أوعز السلطان ارباخان بقتلها وذلك في السنة نفسها التي قتل فيها السلطان أبي سعيد عام (٧٣٦هـ / ١٣٣٦م)^(٢٣٠).

وبعد وفاة السلطان تولى الوزير غياث الدين محمد قيادة الجيش فأمر بالعودة الى العاصمة السلطانية، فضلاً عن أمره بحمل جثمان السلطان أبي سعيد الى العاصمة وقد دفن تحت القبة^(٢٣١) التي كان السلطان قد اقامها بجوار قبر ابيه السلطان اولجاتيو وكان عمره لا يتجاوز الثانية والثلاثين سنة^(٢٣٢).

الخاتمة

من خلال تحليل جوانب سيرته الذاتية وحياته الشخصية قد تبين لنا ان نشأة السلطان أبي سعيد وحياته تختلف اختلافاً جذرياً عن نشأة من سبقه من ايلخانات فارس الذين حكموا الدولة، اذ انه نشأ وترعرع في بيئة اسلامية صالحة فهو أول سلطان مغولي يولد من ابوين مسلمين ولاشك ان لهذه النشأة اثراً كبيراً في سياسته في ادارة الدولة وفي سلوكه مع رعيته، فقد كان محارباً للفجور حيث اراق الخمر وابطل بيوت الفواحش وهدم الكنائس ونشر العدل وعمر المساجد وكان ذا اخلاق وكرم وشفقة برعيته.

فضلاً عن ان السلطان أبا سعيد رغم نشأته الاسلامية التي ذكرناها الا انه لم ينس بعض تقاليد المغول وشرائعهم المتمثلة بأحكام الياسا والتي كانت تنص في احد قوانينها على ان الخان المغولي اذا اعجب بامرأة كانت تهدى اليه بغض النظر اذا كانت متزوجة او غير متزوجة وهو ما حصل مع أبي سعيد عندما رأى بغداد خاتون ابنة الامير جوبان والذي هام بها حباً وعشفاً حيث طلبها للزواج من ابيها

رغم انها كانت متزوجة وعندما رفض الامير جوبان طلبه كان رفضه بداية الخصام مع السلطان أبي سعيد الذي أخذ يتحين الفرصة للفوز بمعشوقته الذي نال منها بعد مقتل ابيها جوبان.

هوامش ومصادر ومراجع البحث:

(^١) فقد ورد في المصادر التاريخية تسميات مختلفة لأسماء عدد من الايلخانات الذين حكموا الدولة الايلخانية بدءاً من هولاكو الذي ورد اسمه بعدة الفاظ مثل: هلاوون، وهلاون وهولا وغيرها. كذلك ورد اسم اباقا خان بعدة الفاظ هو الآخر مثل: ابغا وأبغا فضلاً عن اسم السلطان غازان الذي ورد اسمه في المصادر التاريخية بلفظ غزن وغزان وقازان وللمزيد من التفاصيل ينظر: الجويني، عطا ملك بن محمد (ت: ٦٨١هـ)، تاريخ جهانكشاي، تصحيح وتعليق: حبيب الله عباسي، ط٣، نشر زوار انتشارات علمي وفرهنكي، (طهران، ١٣٨١هـ.ش)، ص ١٤٠؛ الهمذاني، فضل الله بن رشيد الدين (ت: ٧١٨هـ)، جامع التواريخ، تاريخ اسماعيليان، باهتمام: محمد تقي دانش، ط٥، انتشارات، علمي وفرهنكي (طهران، ١٣٨١هـ.ش)، ص ١٥٤؛ حيدر، عبد الرحمن فرطوس، العراق في عهد محمود غازان، رسالة ماجستير غير منشورة، (مقدمة الى مجلس كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٨)، ص ١٧.

(^٢) هولاكو: بن تولوي خان بن جنكيزخان، يرجع نسبه الى قبيلة قيات المغولية، ولد هولاكو في سنة ٦١٣هـ في مدينة قراقورم عاصمة المغول ونشأ فيها، وفي حياة اخيه منكوخان قاد هولاكو الجيوش المغولية مكتسحاً بلاد الشرق الاسلامي حتى وصل الى بغداد عاصمة الدولة العباسية فاسقط الخلافة العباسية سنة (٦٥٦هـ) وعلى اثر ذلك قام نظام سياسي جديد في الشرق الاسلامي اسمه هولاكو يتمثل بالدولة الايلخانية. توفي هولاكو سنة ٦٦٣هـ / ١٢٦٤م تاركاً دولة مترامية الاطراف حكم فيها اولاده واحفاده من بعده. وللمزيد من التفاصيل ينظر: الهمذاني، جامع التواريخ، تاريخ هولاكو، تحقيق: بهمن كريمي، نقله للعربية: محمد صادق نشأت وآخرون، شركة نسبي حاج محمد اقبال وشركائه، (القاهرة، ١٩٦٠م)، مج ٢، ج ١، ص ٤١؛ حيدر، عبد الرحمن فرطوس، الايلخان هولاكو ودوره في نشأة وقيام الدولة الايلخانية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، (مقدمة الى مجلس كلية الاداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٣م)، ص ١٢، ص ٨٥. اما لفظ (خان) التي اضيفت الى اسمه وارتبطت به وبخلفائه من بعده فهي اول الالقاب التي تلقب بها، وتعني الرئيس او الزعيم التابع لسيد الاسرة الاكبر (القآن الاعظم) الذي يحكم الامبراطورية المغولية بأسرها. ينظر: التونجي، محمد، المعجم الذهبي، ط١، دار العلم للملايين، (بيروت، ١٩٦٩م)، ص ٣٥؛ دهمان، محمد احمد، معجم الالفاظ في العصر المملوكي، ط١، دار الفكر (دمشق، ١٩٩٠م)، ص ٢٧.

(^٣) محمد خدابنده اولجايتو: بن اباقا تولى عرش الدولة الايلخانية بعد وفاة اخيه غازان سنة ٧٠٣هـ امه تدعى اوروك خاتون كان يعتنق الديانة المسيحية وكان يسمى نيقولا وذلك بتأثير من والدته وبعد وفاتها اعتنق الدين الاسلامي عندما كان والياً على خراسان من قبل اخيه غازان وذلك بتأثير علماء الاسلام بخراسان، شهد عهده نوعاً من الاستقرار النسبي رغم حدوث معارك في بعض الاحيان مع جيرانه، سواء من المماليك او القبيلة الذهبية، تلقب السلطان اولجايتو بعدة القاب اشهرها كان اولجايتو، وهي التي تعني المبارك والمغفور له والسلطان الكبير، توفي السلطان اولجايتو سنة ٧١٦هـ / ١٣١٦م مخلفاً ولده السلطان أبي سعيد في حكم المملكة الايلخانية. للمزيد من التفاصيل ينظر: الهمذاني، جامع التواريخ، مج ٢، ج ١، ص ١٩؛ المستوفي القزويني، حمد الله بن ابي بكر (ت: ٧٥٠هـ)، تاريخ كزيدة،

باهتمام: عبد الحسين نوابي، نشر امير كبير، (طهران، ١٣٣٦ هـ.ش)، ص ٦٠٦ ص ٦١١؛ القاشاني، ابو القاسم عبد الله بن محمد (ت: ٨٣٦هـ)، تاريخ اولجايتو (تاريخ بادشاه، سعيد غياث الدين والدنيا اولجايتو سلطان محمد)، باهتمام: مهمين همبلي، ط ٢، انتشارات علمي فرهنگي، (طهران، ١٣٨٤ هـ.ش)، ص ١٨ ، ٩٧؛ حافظ ، ابرو ، ذيل جامع التواريخ ، ص ٧.

(٤) أرغون: ابن اباقا بن هولكو (٦٨٣ - ٦٩٠ هـ / ١٢٨٤ - ١٢٩١ م) هو الابن الاكبر لأباقا خان، تولى حكم الدولة الايلخانية بعد مقتل احمد تكودار (٦٨١ - ٦٨٣ هـ) على اثر صراع مع عمه تكودار، شهد عهده تسلط اليهود على مقدرات الدول حيث اسند الوزارة لرجل يهودي يدعى سعد الدولة اليهودي الذي سلط اقراره على ولايات الدول حيث اضطهد المسلمون في حياة هذا الوزير أضطهاداً كبيراً ، توفي ارغون سنة ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م للمزيد من التفاصيل ينظر: الهمذاني، جامع التواريخ، مج ٢، ج ٢، ص ١٢٠، المستوفي القزويني ، تاريخ كزیده ، ص ٥٩٥؛ بياني، شيرين، المغول التركيبية الدينية والسياسية، ترجمة: سيف علي، نشره المركز الاكاديمي للابحاث (بيروت، ٢٠١٣)، ص ٢٩٠؛ الطائي، سعاد هادي حسن ارحيم، اعلام امراء البلاط المغولي، ط ١، نشر دار عدنان، (بغداد، ٢٠١٣ م)، ص ١٨١.

(٥) أباقاخان: هو الابن الاكبر لهولكو (٦٦٣ - ٦٩٠ هـ / ١٢٦٥ - ١٢٨٢ م) تولى العرش الايلخاني بعد وفاة هولكو خان سنة ٦٦٣ هـ ولد سنة ٦٣١ هـ سار على نهج سياسة أبيه في اقرار قوانين الياسا شهد عصره حروب مستمرة مع الممالك في مصر والشام ومع مغول القبيلة الذهبية وحياناً مع مغول جغتاي توفي اباقاخان بعد حكم دام حوالي سبعة عشر سنة وذلك في سنة (٦٨٠ هـ) وللمزيد من التفاصيل ينظر: الهمذاني، جامع التواريخ، مج ٢، ج ٢، ص ٣ ص ٧٨؛ خصباك، جعفر حسين، العراق في عهد الايلخانيين، ط ٥، مطبعة العاني، (بغداد، ١٩٦٨ م)، ص ٧٩ ص ٨٤.

(٦) للمزيد من التفاصيل عن حكام الدولة الايلخانية وسنوات حكمهم . ينظر : ملحق رقم (١) .

(٧) القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص ٤٤؛ خواندمير، غياث الدين بن همام الدين الحسيني (٩٤٢ هـ)، تاريخ حبيب السير في اخبار البشر، باهتمام: جلال الدين همائي، ط ١، كتابخانه خيام، (طهران، ١٣٣٣ هـ.ش)، ج ٣، ص ١٩٨؛ حافظ أبرو، شهاب الدين عبد الله بن لطف بن عبد الله الخوافي (ت: ٨٣٣ هـ)، ذيل جامع التواريخ رشدي، تقديم: خانبايا بياني، ط ١، نشر شركة تضامني علمي، (طهران، ١٣١٧ هـ.ش)، ص ٦٠.

(٨) الصفدي، صلاح الدين بن أبيك (ت: ٧٦٤ هـ)، الوافي بالوفيات، تحقيق: احمد الانرأوط وتركي مصطفى، ط ١، دار احياء التراث العربي، (بيروت، ٢٠٠٠ م)، ج ١٤، ص ٢٠٢؛ ابن كثير عماد الدين ابي الفداء اسماعيل بن عمر (ت: ٧٧٤ هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: عبد المحسن التركي، ط ١، دار هجر، (القاهرة، ١٩٩٨ م)، ج ١٨، ص ١٨.

(٩) ابن تغري بردي، جمال الدين ابي المحاسن يوسف (ت: ٨٧٤ هـ)، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز، ط ١، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، ١٩٨٥ م)، ج ٣، ص ٤٤٣.

(١٠) المستوفي القزويني، تاريخ كزیده، ص ٦٠٧؛ القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص ٤٤؛ خواندمير، تاريخ حبيب السيرة، ج ٣، ص ١٩٨؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص ٦٠؛ ابي الفداء، عماد الدين اسماعيل بن علي (ت: ٧٣٢ هـ)، المختصر في اخبار البشر، تحقيق: محمد زينهم ومحمد عرب، ط ١، دار المعارف، (القاهرة، د.ت)، ج ٤، ص ١١٣؛ ابن

الجزري، شمس الدين ابي عبد الله محمد ابي بكر القرشي (ت: ٧٣٨هـ)، حوادث الزمان وانباء ووفيات الاكابر والاعيان من ابنائه (المعروف بتاريخ ابن الجزري) تحقيق: عبد السلام تدمري، ط١، المكتبة العصرية (بيروت، ١٩٩٨م)، ج٣، ص٨٧٢.

(^{١١}) الشيرازي، اديب شرف الدين عبد الله بن فضل الله (ت: ٧٣٠هـ)، تاريخ وصاف الحضرة (المعروف باسم تجزية الامصار وتجزية الاعصار)، باهتمام: عبد المحمد ايتي، ط٢، نشر: بزوه هشكا، (طهران، ١٣٨٣هـ. ش)، ج٥، ص٣٤١؛ القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص٤٤٧؛ الأمين، حسن، المغول، ص٣٦٧.

(^{١٢}) المستوفي القزويني، تاريخ كزيدة، ص٦٠٧؛ الشيرازي، تاريخ وصاف، ج٥، ص٣٤١؛ القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص٤٤٧؛ إلا أن المؤرخ طقوش يذكر ولادة السلطان أبي سعيد في الخامس عشر من شوال سنة ٧٠٣هـ ينظر: محمد سهيل، تاريخ المغول العظام والایلخانيين، ط١، دار النفائس، (بيروت، ٢٠٠٧م)، ص٣١٨.

(^{١٣}) أوجان: هي ابعد كور فارس حيث تقع في اقصى حدها الغربي على نهر طاب وهو النهر الذي يفصل بين اقليم فارس وخوزستان وهي مدينة كبيرة وذات خيرات واسعة. للمزيد من التفاصيل ينظر: الحموي، شهاب الدين بن عبد الله ياقوت (ت: ٦٢٢هـ)، معجم البلدان، ط١، دار صادر، (بيروت، ١٩٧٧م)، ج١، ص٤٣؛ المستوفي القزويني، حمد الله بن ابي بكر (ت ٧٥٠هـ)، نزهة القلوب، تعليق: بكوشن محمد، نشر كابخانه طهوري، (طهران، ١٣٣٦هـ. ش)، ص٢١٣.

(^{١٤}) التستري، نور الله المرعشي (ت: ١٠١٩هـ)، مجالس المؤمنين، ط١، نشر العتبة الرضوية، (مشهد، ١٣٩٣هـ. ش)، ص٣١٢.

(^{١٥}) تاريخ أولجايتو، ص١٧.

(^{١٦}) لم أجد لها تعريفاً في المصادر التاريخية .

(^{١٧}) القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص١٧.

(^{١٨}) أتابك: هو لفظ مركب من مقطعين هما (اتا) بمعنى أب وأصله (اطا) فقلبت تاء في اللفظ و(بك) بمعنى الامير وبذلك يكون معناها الوالد او الامير وللمزيد من التفاصيل ينظر: دهمان، محمد، معجم الالفاظ، ص١١؛ الشهابي، قتيبة، معجم القاب ارباب السلطان في الدولة الاسلامية من العصر الراشدي حتى بداية القرن العشرين، نشر وزارة الثقافة السورية، (دمشق، ١٩٩٥م)، ص١٥.

(^{١٩}) الامير سونج: هو ابن سانشي بخشي بن ساريجة من قبيلة أیغور التركية، كان من قادة المغول في ايام حكم السلطان غازان (٦٩٤ - ٧٠٣هـ) وعند تعيين اولجايتو حاكماً لبلاد خراسان رافقه سونج واصبح من المقربين لأولجايتو حتى تزويج السلطان اولجايتو من اخته المدعوة عادلة شاه خاتون، وعندما ولد أبي سعيد اصبح سونج اتابكا خاص له وعندما اعتلى عرش الایلخانية سنة ٧١٦هـ، بقى بجوار السلطان يراعى شؤونه الخاصة والعامة، توفي الامير سونج سنة ٧١٧هـ ونقل جثمانه الى مدينة السلطانية حيث دفن فيها. للمزيد من المعلومات ينظر: القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص٧ ص٩؛ حافظ أبرو، ذيل جامع التواريخ، ص٥٣.

(٢٠) ميرخواند، محمد بن سيد برهان الدين (ت: ٩٣٠هـ)، تاريخ روضة الصفا في سيرة الانبياء والملوك والخلفاء، ط١، انتشارات جاب بيروز، (طهران، ١٣٣٩ هـ - ش)، ج٥، ص٣٧٩.؛ الأمين، حسن، المغول بين الوثنية والنصرانية والاسلام، ط١، دار التعارف، (بيروت، ١٩٩٣م)، ص٣٦٧.

(٢١) المستوفي القزويني، تاريخ كزيدة، ص٦٠٧؛ ابن خلدون، عبد الرحمن (ت: ٨٠٨هـ)، تاريخ ابن خلدون، المسمى (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر)، تحقيق: خليل شحادة وسهيل زكار، ط١، دار الفكر، (بيروت، ٢٠٠٠م)، ج٥، ص٦١٩.

(٢٢) الشيرازي، تاريخ وصاف، ج٥، ص٣٥٨؛ اقبال، عباس، تاريخ ايران بعد الاسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية، نقله عن الفارسية: محمد علاء الدين منصور، ط١، دار الثقافة، (القاهرة، ١٩٨٩م)، ص٤٧٧.

(٢٣) خواندمير، تاريخ حبيب اليسر، ج٣، ص١٩٦؛ الجاف، حسن، الوجيز في تاريخ ايران، نشر بيت الحكمة، (بغداد، ٢٠٠٣م)، ص٣٠٧.

(٢٤) ازربيجان: هي اسم لاقليم يلفظ ازربيجان باللفظ الفارسي، يحيطه من الغرب بلاد الروم وبعض حدود بلاد الجزيرة ومن الشرق بلاد الجبل والديلم ومن الشمال بلاد تركستان، وهي بلاد واسعة ومن اهم مدنها تبريز واربيل وغيرها وللمزيد من التفاصيل ينظر: القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت: ٦٨٢هـ)، آثار البلاد واخبار العباد، ط١، دار صادر (بيروت، د.ت) ص٢٨٤؛ القلقشندي، ابي العباس احمد (ت: ٨٢٠هـ)، صبح الاعشى في صناعة الانشا، (د.ت)، المطبعة الاميرية، (القاهرة، ١٩١٤م)، ج٤، ص٢٥٦.

(٢٥) القاشاني، تاريخ أولجايتو، ص٤٧.

(٢٦) غازان خان: هو ابن السلطان أرغون بن اياقا بن هولكو، وهو الابن الاكبر لارغون خان، امه تدعى قولتاق ايكاجي، تولى حكم الدولة الايلخانية سنة ٦٩٤هـ بعد قضاؤه على بايدوخان، وكان عمره ٢٤ سنة اعتنق الاسلام واستبدل اسمه باسم محمود ولقب نفسه سلطان، اصدر فرماناً الزم به المغول بدخول الاسلام، انشأ العديد من المساجد واهتم بالعمارة وكذلك شق الانهار والقنوات واهتم بالزراعة واصدر عدة اصلاحات في البلاد للقضاء على التزوير وتنظيم القضاء وسك العملة توفي السلطان غازان عام ٧٠٣هـ، للمزيد من التفاصيل ينظر: الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢، ج٢، ص١٢٥؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٣٨٤؛ الغياثي، عبد الله بن فتح الله البغدادي (من مؤرخي القرن العاشر الهجري) تاريخ الدول الاسلامية في الشرق، المعروف بالتاريخ الغياثي، تحقيق: طارق الحمداني، ط١، دار مكتبة الهلال (بيروت، ٢٠١٠م)، ج٥، ص٥٥؛ شبولر، بارتولد، العالم الاسلامي في العصر المغولي، نقله للعربية خالد أسعد عيد، راجعه: سهيل زكار، ط١، دار احسان، (القاهرة، ١٩٨٢م)، ص٧٢ ص٧٤.

(٢٧) نهر أبهر: هو نهر صغير ينبع من مدينة أبهر نفسها وانه على الطريق من اذربيجان، وبعد ان يسقي نواحي أبهر يجري نحو قزوین، وان معنى أبهر مركب من آب وهو الماء وهر وهي الرجا كأنه ماء الرجا، ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٨٢.

(٢٨) نهر زنجان: هو نهر صغير يقع الى الشمال الغربي من نهر أبهر على طريق اذربيجان وهو يجري غرب سفيرود وهو اكبر من نهر أبهر. للمزيد ينظر: ابن حوقل، محمد بن ابي قاسم النصيبي (ت: ٣٦٧هـ)، صورة الارض، (د.ت.ج)، ط ١، مطبعة أبريل، (لیدن، ١٩٢٩م)، ص ٢١٨؛ ليسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، نقله للعربية: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، ط ١، مطبعة الرابطة، (بغداد، ١٩٥٤م)، ص ٢٥٧.

(٢٩) القاشاني، تاريخ أولجايو، ص ٤٦؛ يذكر ان السلطان اولجايو قد اهتم بالعمران ومن اهتماماته تشييد مدينة السلطانية التي اكتمل بناؤها سنة ٧١٣هـ / ١٣٠٣م والتي أصبحت عاصمة الدولة الايلخانية في عهده وعهد ولده السلطان أبي سعيد حيث أصبحت مركزاً لتجمع التجار وأهل الحرف المختلفة وقد تنافس الامراء والوزراء في تزيين هذه المدينة وعندما شرع في بناء اسوارها اعز السلطان ببناء قلعة في وسطها كانت تبدو وكأنها مدينة كاملة وقد بنى في داخل هذه القلعة قبة ليدفن بها وعندما توفي سنة ٧١٦هـ دفن فيها وهذه القبة مازالت اطلالها باقية وهي تعرف اليوم في تبريز بالقبلة السلطانية (شاه خدابنده) وهي من الأبنية الرائعة والنماذج الرفيعة للمعمار في عهد المغول. وللمزيد من التفاصيل ينظر: المستوفي القزويني، تاريخ كزیده، ص ٦٠٧؛ الشيرازي، تاريخ وصاف، ج ٥، ص ٣٤١؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص ٨، ص ٩؛ وخلال زيارة الباحث للمدينة وجد منشوراً في مدخل المدينة يشير الى ان السلطان اولجايو خلال احدى زيارته لمدينة النجف بالعراق وبالخصوص عند زيارة الامام علي (B) طلب من علماء النجف ان ينقل قبر امير المؤمنين (B) للتبرك به وليبارك جهوده في بناء عاصمته الجديدة وعندما اكد له العلماء بحرمة نبش القبر ونقله طلب منهم السلطان بعض تراب القبر ليخلطه مع تراب مدينته الجديدة ، وقد كانت زيارته هذه في سنة ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م وفعلاً حصل على هذا التراب وطلب من مستشاريه خلط هذا التراب في البناء ويذكر هذا المنشور انه ببركة تراب قبر الامام علي (B) نرى هذه القبة شامخة لهذا اليوم. ينظر : صورة رقم (١) .

(٣٠) زارها الباحث وشاهد بنفسه قبر السلطان اولجايو والتقط لها الصور بعدسته الخاصة، ينظر: الصور رقم (٢، ٣، ٤ ، ٥، ٦، ٧).

(٣١) قبيلة قيات: هي احدى القبائل المغولية وقد كانت تدعى بورحيقين، وتعني أشهل العينين، كان زعيم هذه القبيلة يدعى يوسكاي وعندما توفي آلت زعامة هذه القبيلة الى ولده جنكيزخان الذي كان صبياً لا يتجاوز عمره الثالثة عشرة، وعلى الرغم من تمرد قبيلته عليه الا انه استطاع ان يوحد القبائل المغولية تحت زعامته وكان نتيجة ذلك قيام امبراطورية المغول للمزيد من التفاصيل ينظر: الجويني ، تاريخ جهانكشاي، ج ١، ص ٢٦؛ الذهبي، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ)، العبر في خبر من غبر، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٨٥م)، ج ٣، ص ١٩٢؛ الصياد، فؤاد عبد المعطي، المغول في التاريخ، ط ١، دار النهضة، (بيروت، ١٩٨٠م)، ص ٢٨.

(٣٢) جنكيزخان: بن يوسكاي بن بهادر بن برتاب بن قبل بن تومنه بن باي سنقر بن قيدو. ولد سنة ٥٤٩هـ في العشرين من ذي القعدة وعندما اصبح عمره ثلاثة عشرة سنة توفي والده يسوكاي الذي كان يتزعم قبيلة قيات المغولية، اما أمه

فكانت تدعى اولون اديكه والتي كان لها دور بارز في حياة ولدها بعد وفاة ابيه، كان اسمه في بداية الامر تموجين وهي كلمة تعني عند المغول القوي الصلد. استطاع بعد ان اشتد عوده وكبر ان يستعين بحلفاء ابيه في توحيد قبيلته وفرض سيطرته عليها ثم بعد ذلك وحد قبائل المغول تحت زعامته فلقب بـ(جنكيزخان) ومعناه ملك الملوك وحاكم العالم اجمع، عمل جنكيزخان على توسيع رقعة امبراطوريته فأسقط العديد من البلدان وعندما توفي سنة ٦٢٤هـ ترك دولة مترامية الاطراف للمزيد من التفاصيل ينظر: الجويني ، تاريخ جهانكشاي، ج ١، ص ٢٦-٢٩؛ العريني، السيد الباز، المغول، ط ١، دار النهضة، (بيروت، ١٩٨٦م)، ص ٤٤، ص ٥٣؛ الاب، هارلود، زندكي نامہ جنكيزخان مغول، ترجمه للعربية: رشيد ياسين ، نشر انتشارات سبهرادب، (طهران، ١٣١٨هـ. ش)، ص ٣٨، عكاشة، ثروت، اعصار من الشرق (جنكيزخان)، ط ٥، دار الشروق، (بيروت، ١٩٩٢م)، ص ٣٢، ص ٩٤.

(٣٣) ينظر : ملحق رقم (٢).

(٣٤) المستوفي القزويني، تاريخ كزیده، ص ٥٨٠؛ مورگان، ديويد، مغول ها، ترجمه للفارسية: عباس مخبر، نشر مركز، (طهران، ١٣٨٩هـ. ش)، ص ٦٨-٧٥. وينظر : خارطة رقم (١).

(٣٥) القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص ١٧؛ بياني، شيرين، مغولات وحكومة ايلخاني وايران، ط ١، نشر مركز تحقيق وتوسعة علوم انساني، (طهران، ١٣٧٧هـ. ش)، ص ٢٤٨؛ اقبال، عباس، تاريخ ايران وعصر المغول ، ط ٥، انتشارات محور، (طهران، ١٣٨٧هـ. ش)، ص ١٦٩.

(٣٦) الاويرات: كلمة تعني في لغة المغول (المؤتلف) كانت هذه القبيلة تسكن في المنطقة الواقعة بين نهر اونن وبحيرة بايكال، كانوا كثيري العدد وكانت لغتهم تختلف قليلاً عن لغة القبائل المغولية الاخرى، وقد تشعبت الى عدة شعب الا انهم كانوا يأتزمون بأمر ملك واحد كان يلقب (بكي) او باكي، بعد ان فرض جنكيزخان سيطرته عليهم صاهرهم، وقد تزوج هولكو أولجاي بنت يورجي كوركان وتزوجت ابنة هولكوخان منكوكان من جاقوركوركان وهكذا بدأت المصاهرات بين قبيلة الاويرات وقبيلة قيات، برز من هذه القبيلة عدة قادة شاركوا في اىصال الدولة المغولية الى ما وصلت اليه ابرزهم ارغون بن كوركان الذي حكم بلاد خراسان في عهد جنكيزخان وعلي بادشاه وغيره. للمزيد من التفاصيل ينظر: الهمذاني ، جامع التواريخ، مج ٢، ج ١، ص ٢٣٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٤٠٥؛ الطائي، سعاد هادي حسن ارحيم، تاريخ الترك والمغول، ط ١، دار ومكتبة عدنان، (بغداد، ٢٠١٤م)، ص ٢٨٢؛ اقبال، عباس، تاريخ ايران، ص ٣٤٦.

(٣٧) الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج ١، ص ١٥٤؛ الهمذاني، جامع التواريخ، مج ٢، ج ١، ص ٢٠٠؛ لامب، هارلود، جنكيزخان، ص ٣٨.

(٣٨) خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج ٣، ص ١٨-٢٠؛ العريني، السيد الباز، المغول، ص ٤٤.

(^{٣٩}) ينظر : تعريف ولقب اولجايتو في ص ٩ .

(^{٤٠}) تولوي خان هو الابن الرابع لجنكيزخان واصغر ابنائه الاربعة اطلق عليه لقب (يكة نويان) و(الغ نويان) اي امير الجيوش او الامير الكبير، كان شجاعاً وسديد الرأي والتدبير كان والده يستشير في معظم الامور والمهمات والمصالح الرئيسية للدولة، كان يشرف على كل ما يملكه والده جنكيزخان ومعسكراته وامواله وخزائنه وذخائره وامرائه وحرسه الخاص. كان نصيبه من ممتلكات ابيه منغوليا وما تشمل من وديان وانهار فضلاً عن العاصمة قراقورم. حكم الامبراطورية المغولية بعد وفاة والده جنكيزخان عامين منذ سنة (٦٢٤ - ٦٢٦هـ) بصفته وصياً على العرش طبقاً للعرف المغولي. توفي تولوي خان في حدود سنة ٦٣٠هـ للمزيد من التفاصيل ينظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج ١، ص ١٧١؛ الهمذاني، جامع التواريخ، القسم الخاص بتاريخ خلفاء جنكيزخان، ترجمة: فؤاد عبد المعطي الصياد، ط ١، دار النهضة، (بيروت، ١٩٨٣م)، ص ١٦٠ - ص ١٧٠؛ شبارو، عصام محمد، السلاطين في المشرق العربي معالم دورهم السياسي والحضاري، ط ١، دار النهضة، (بيروت، ١٩٩٤م)، ص ٤٤.

(^{٤١}) الذهبي، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن احمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ)، ذيل تاريخ الاسلام، تحقيق: مازن بن سالم باوزير، ط ١، دار المغني، (بيروت، ٢٠٠٠م)، ج ٥٣؛ ص ٤٠٤.

(^{٤٢}) النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت: ٧٣٣هـ)، نهاية الارب في فنون الادب، تحقيق: مركز التراث، ط ١، دار الكتب والوثائق القومية، (القاهرة، ٢٠٠٨م)، مج ٣٢؛ ص ١٤؛ ابن خلدون، العبر، ج ٥، ص ٦٢٠؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ٩، ص ٣١٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٨٨.

(^{٤٣}) اسبياج، احمد، فرهنگ داتشگاهي عربي به فارس، ط ١، انتشارات فرحان، (طهران، ١٣٧٩هـ.ش)، ص ٣٧٩، ص ٥٩٥، ص ٧٠٤.

(^{٤٤}) ابن تغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن (ت ٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك القاهرة، تقديم محمد حسين شمس الدين، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٢م)، ج ٨، ص ١٣٤.

(^{٤٥}) جامع التواريخ، مج ٢، ج ١، ص ١٩.

(^{٤٦}) الشيرازي، تاريخ وصاف، ج ٥، ص ٣٨٣؛ المستوفي القزويني، تاريخ كزیده، ص ٦٠٥؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج ٣، ص ١٨٤؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ص ٣٧٨؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص ٧؛ النطنزي، معين الدين (من مؤرخي القرن التاسع الهجري)، منتخب التواريخ، باهتمام: بروين استخري، ط ١، انتشارات اساطير، (طهران، ١٣٨٣هـ.ش)، ص ١١٤؛ القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص ٤٠.

(٤٧) الصفدي، صلاح الدين بن أيك (٧٦٣هـ)، أعيان العصر واعوان النصر، تحقيق: علي ابو زيد وآخرون، ط١، دار الفكر، (دمشق، ١٩٩٨م)، ج٢، ص٧٠. ويذكر المؤرخ ابن تغري بردي كان قد وافق الصفدي في قوله. فقال: "ان خربندة اسم مهمل بمعنى الحمار وان خدابندة معناها بالفارسي (عبد الله) وقد حرفت العامة هذه اللفظة فقالت خربندة". ينظر: النجوم الزاهرة، ج٨، ص١٣٤.

(٤٨) صبح الاعشى، ج٤، ص٤١٩.

(٤٩) صبح الاعشى، ج٤، ص٤٢٠.

(٥٠) ابن العماد، شهاب الدين ابي الفلاح عبد الحي بن احمد العسكري الحنبلي الدمشقي (ت: ١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الارناؤوط، ط١، دار ابن كثير، (بيروت، ١٩٩٢م)، ج١، ص٤٠.

(٥١) ويذكر ان المصادر التاريخية استندت في اطلاقها اسم خربنده على السلطان خدابندة، على رواية مفادها ان المغول جرياً على عاداتهم في تغيير اسماء الذين يحبونهم حتى يكونوا في مأمن من الحسد فكانوا يسمون المولود باسم اول داخل عند ولادته، فلما ولد هذا السلطان كان اول داخل، الحمار وهم يسمونه خربندة فسمي به. ولما اعتنق الاسلام سمي بـ خدابندة. وقد اشتهر هذا السلطان بهذين الاسمين خدابنده وخرابندة وللمزيد من التفاصيل ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٢٣٨؛ الصفدي، اعيان العصر، ج٢، ص٧٠؛ ابن بطوطة، ابو عبد الله محمد بن ابراهيم اللواتي (ت: ٧٧٠هـ)، رحلة ابن بطوطة المسماة (تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار)، ط١، دار صادر (بيروت، ١٩٩٢م)، ص٢٢٧-٢٢٨؛ الصياد، فؤاد، مؤرخ المغول، ص٣٤٦.

(٥٢) القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص١٧؛ الصياد، فؤاد عبد المعطي، مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني، ط١، دار الكتاب العربي (القاهرة، ١٩٦٧م)، ص١٤٠.

(٥٣) ابن حجر، شهاب الدين احمد بن علي العسقلاني، (ت: ٨٥٢هـ) الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، ط٢، مجلس دائرة المعارف العثمانية، (الهند، ١٩٧٢م)، ج٥، ص١١٣.

(٥٤) العلامة الحلي: هو الحسن بن يوسف بن علي بن محمد بن المطهر الحلي، ولد في الحلة عام ٦٤٨هـ كان يلقب بجمال الدين وهو من اكابر العلماء والفقهاء وهو احد تلاميذ نصير الدين الطوسي، كان مشهوراً بالعلوم العقلية والنقلية وله عدة مؤلفات اشهرها منهاج الكرامة في باب الامامة ونهج الحق وكشف الصدق. توفي في سنة ٧٢١هـ ودفن في مرقد الامام علي (عليه السلام) في النجف للمزيد من التفاصيل ينظر: الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٣، ص٢٦١؛ الارديلي، احمد بن محمد (ت: ٩٩٣هـ)، مجمع الفائدة والبرهان في شرح ارشاد الاذهان، تحقيق: اقا مجتبى العراقي وآخرون، ط١، (لا، نا)، (قم المقدسة، د.ت)، ج١، ص٢١؛ البحراني، يوسف بن احمد (ت: ١١٨٦هـ)، لؤلؤة البحرين، تحقيق: محمد صادق، ط١، مؤسسة آل البيت (قم المقدسة، د.ت)، ص٢٢٤؛ جاسم، سامي حمود، المنهج التاريخي في كتابي ابن

المطهر وابن داود الحليين في علم الرجال، اطروحة دكتوراه، غير منشورة، (مقدمة الى مجلس كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٦م)، ص ١٠٠.

(٥٥) البحراني، لؤلؤة البحرين، ص ٢٢٤.

(٥٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ٢٣٨.

(٥٧) ابن الوردي، زين الدين عمر بن المظفر المعروف بابن الوردي (ت: ٧٤٩ هـ) تاريخ ابن الوردي، (د.ت.ح)، ط ١، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٩٩٦م)، ج ٢، ص ٢٦٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٨٨.

(٥٨) القاشاني، تاريخ أولجايتو، ص ٢٢٧؛ الحلي، الحسن بن يوسف بن المطهر (ت: ٧٢٦ هـ)، ارشاد الازدهان، تحقيق: فارس حسون، ط ١، مؤسسة النشر (قم المقدسة، د.ت)، ج ١، ص ١٢٠.

(٥٩) تاريخ أولجايتو، ص ٤٤.

(٦٠) المستوفي القزويني، تاريخ كزيدة، ص ٦٠٦؛ اقبال، عباس، تاريخ ايران، ص ٤٨٠.

(٦١) القاشاني، تاريخ أولجايتو، ص ٨٥؛ العاملي، علي الكوراني، كيف رد الشيعة غزو المغول، ط ١، دار الهدى، (قم المقدسة، ٢٠٠٦م)، ص ١٩٠.

(٦٢) خواندمير، تاريخ حبيب السيرة، ج ٣، ص ١٩٢؛ الشاكري، حسين، المؤتمرات الثلاثة، ط ١، مطبعة ستارة (قم المقدسة، ١٤٦٨ هـ)، ص ٩٦.

(٦٣) القاشاني، تاريخ أولجايتو، ص ٨٧؛ العاملي، علي، كيف رد الشيعة، ص ١٩٢.

(٦٤) العزاوي، عباس، تاريخ العراق بين احتلالين، ط ١، مطبعة بغداد، (بغداد، ١٩٣٥م)، ج ١، ص ٤٤٥.

(٦٥) الصياد، فؤاد، مؤرخ المغول، ص ١٦٩.

(٦٦) بياني، شيرين، المغول، ص ٣٣٩.

(٦٧) ميرخوند، تاريخ روضة الصفا، ج ٥، ص ٣٩٨. ويذكر ان السلطان محمد خوارنده كان مسيحياً وذلك بتأثير والدته المسيحية التي اسمته (نيقولا) تيمناً بالبابا نيقولا وعندما توفيت والدته دخل الاسلام بتأثير اخيه السلطان غازان وتسمى بـ(محمد) ينظر: حافظ ابروا، ذيل جامع التواريخ، ص ٦-٧؛ القاشاني، تاريخ أولجايتو، ص ٩٥؛ كوك ريجارد، بغداد مدينة السلام، نقله الى العربية: فؤاد جميل ومصطفى جواد، مطبعة شفيق، (بغداد، ١٩٩٢م)، ج ١، ص ٢٥٤.

(٦٨) ميرخواند، تاريخ روضة الرضا، ج ٥، ص ٣٧٦.

(٦٩) منتخب التواريخ، ص ١٢٤.

(٧٠) الخونساري، محمد باقر الموسوي (ت: ١٣١٣هـ)، روضات الجنان في احوال العلماء والسادات، ط١، الدار الاسلامية، (بيروت، ١٩٩١م)، ج٢، ص٢٨٢.

(٧١) خاتون: هي لفظة تعني الاميرة، والملكة، والسيدة، وتستعمل في الغالب في معاني التبجيل والاحترام وجمعها خواتين. للمزيد ينظر: النسوي، محمد بن احمد بن علي بن محمد (ت: ٦٣٩هـ)، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تحقيق: احمد حمدي، ط١، دار الفكر، (القاهرة، ١٩٥٣م)، ص٤٤؛ عبد الرحيم، رائد، الفاظ مغولية في أدب العصر المملوكي وكتب مؤرخيه، (بحث في مجلة جامعة النجاح للعلوم الإنسانية، فلسطين، ٢٠٠٨م)، مجلد ٢٢، ص١٣٠٩.

(٧٢) تنكيز كوركاز هو زعيم قبيلة الاويرات تزوج من ابنة هولاكو تودا كاج، وانجب منها علي بادشاه وحاجي واريقاز ايكاجي وهي التي تزوج منها هولاكو خان حيث كان من غير ام وولدت له ابنه اجاي وقد توفيت بعد هولاكوخان وكان لها ولد من غير هولاكو يدعى ايلور قتل في عهد غازان على حدود الروم. للمزيد ينظر: الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢، ج١، ص٢٢٦؛ القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص٧.

(٧٣) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢، ج١، ص٢٣٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٤٠٥؛ اقبال، عباس، تاريخ ايران، ص٣٤٦.

(٧٤) تودا كاج: بنت هولاكو بن تولي بن جنكيزخان، هي الابنة الرابعة لهولاكوخان كانت امها محظية من قلعة توقوز خاتون تزوجت من تنكيز كوركاز من قوم الاويرات وانجبت منه حاجي خاتون وعلي بادشاه ولما توفي تزوجت ابنه سولامش ثم بعد وفاته تزوجها حفيد تنكيز المسمى جيجال كوركاز للمزيد ينظر: الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢، ج١، ص٢٣٠؛ القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص٧.

(٧٥) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢، ج١، ص٢٣٠.

(٧٦) القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص٨.

(٧٧) القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص١٠٧.

(٧٨) خراسان: هي بلاد واسعة أول حدودها ما يلي العراق وآخر حدودها الهند وطخارست وغزنة وسجستان وكرمان، تضم هذه البلاد عدة مدن اشهرها نيسابور وهرات وسرخس وغيرها تشتهر هذه البلاد بأنواع التجارات للمزيد من التفاصيل ينظر: البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت: ٧٣٩هـ)، مرصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، دار الجيل (بيروت، ١٩٩٢م)، مج٢، ص٤٥٥؛ الاضطخري، ابو اسحاق بن محمد (ت: ٣٠٦هـ)، المسالك والممالك، (د. تح)، مطبعة بريل، (لندن، ١٩٢٩م)، ص٢٥٣.

(٧٩) المستوفي القزويني، تاريخ كزيدة، ص٦١٥؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص٧٣؛ الصياد، فؤاد، مؤرخ المغول، ص١٧٢.

(^{٨٠}) جوبان: هو ابن ملك بن تولون السلدوسي، كان امير الجيوش الايلخانية في اواخر عهد السلطان اولجايتو وبداية حكم ابو سعيد. كان هو الحاكم الفعلي للدولة في عهد السلطان أبي سعيد وذلك لصغر سن السلطان، ففرض سيطرته على كل مفاصل الدولة وعين اولاده امراء على معظم الولايات الايلخانية، استمر تسلطه حتى سنة ٧٢٨هـ حيث وقع الخلاف بينه وبين السلطان أبي سعيد الذي ادى بالتالي الى قتله وقتل اولاده في سنة ٧٢٨هـ على يد ملك هراة الذي لجأ اليه للمزيد من التفاصيل ينظر: خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص٢١٢؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٢٢٤.

(^{٨١}) الشيرازي، تاريخ وصاف، ص٣٥٦، ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٣٧٨؛ ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٦٣٠.

(^{٨٢}) الشيرازي، تاريخ وصاف، ص٣٥٨؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٣٧٨؛ القلقشندي، ابي العباس محمد (ت ٨٢١هـ)، مآثر الاناقة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار احمد فرج، ط٢، مطبعة حكومة الكويت (الكويت، ١٩٨٥م)، ج٢، ص١٥٤.

(^{٨٣}) الشيرازي، تاريخ وصاف، ص٣٥٩؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص٤١٧.

(^{٨٤}) ابن بطوطة، الرحلة، ص٢٢٨؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٣٨٠.

(^{٨٥}) ايرنجي: هو خال السلطان اولجايتو، ووالد زوجة السلطان أبي سعيد الخاتون (قتلغ شاه) كان من امراء المغول وكان ممن تسلم امارات عدة في عهد غازان واولجايتو وآخرها في عهد السلطان أبي سعيد امارة الروم والعراق، كان ايرنجي جباراً ظالماً وثنياً، قتل سنة ٧١٩هـ / ١٣١٩م على اثر اشتراكه وقيادته لمؤامرة من اجل الاطاحة بالامير جوبان، للمزيد ينظر: الشيرازي، تاريخ وصاف، ج٥، ص٣٤٥؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٤٨٧؛ الذهبي، ذيل تاريخ الاسلام، ج٥٣، ص٢٠٢؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص١٧١.

(^{٨٦}) الشيرازي، تاريخ وصاف، ص٢٢٨؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٣٨٠؛ حافظ أبرو، ذيل جامع التواريخ، ص٩٩؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص١٨٦. اما عن تفاصيل هذه الفتنة فسننتطرق لها بالتفصيل في الفصل الثاني.

(^{٨٧}) علي بادشاه: هو ابن تنكيز كوركان الاويراتي وامه توداكاج ابنة هولاكوخان واخته حاجي خاتون زوجة السلطان اولجايتو وام السلطان أبي سعيد كان له دور كبير في عهد السلطان أبي سعيد خصوصاً في عمله على تحرير السلطان من سطوة الامراء المتنفذين في الدولة وخصوصاً الامير جوبان واولاده عين حاكماً على اربيل الا انه كان يطمح في تولي منصب جوبان في قيادة الجيوش الايلخانية خصوصاً بعد ان اصبح هذا المنصب شاغراً بعد مقتل جوبان اشتراك الامير علي بادشاه في تمرد قاده بعض الامراء المغول ضد السلطان أبي سعيد من اجل فرض سيطرته على مقدرات الدولة كما كان يفعل جوبان الا انه وبشفاعة اخته ام السلطان نجا من الموت بعد ان عفا عنه السلطان اثر قضاء السلطان على هذا التمرد في اواخر عام ٧٢٩هـ، ابعد الى بغداد حاكماً عليها وبقي في منصبه هذا حتى وفاة السلطان سنة ٧٣٦هـ، وبعد تعيين خلف للسلطان أبي سعيد خرج علي بادشاه وتمرد على هذا الايلخان

المدعو (أرباخان) حيث هاجمه وقتله ونصب ايلخانا جديداً للدولة يدعى موسى خان ذلك عام ٧٣٦هـ واصبح هو قائداً للجيش الايلخانية الا انه لم يبق في هذا المنصب سوى ثلاثة اشهر وقتل. للمزيد ينظر خواندمير، تاريخ حبيب السيرة، ج٣، ص٢٢٧؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص١٥٣؛ القزاز، محمد صالح داود، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ط١، مطبعة القضاء، (النجف، ١٩٧٠م)، ص٤٩٤.

(^{٨٨}) ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٥٢٤؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص١٢٧، اما تفاصيل هذه الفترة فسنستطرق لها في الفصل الثاني.

(^{٨٩}) حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص١٤٣؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ص٥٣٠- ص٥٣٤. النطنزي، منتخب التواريخ، ص١٢٥؛ ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٦٢١؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٠، ص٢٠٣؛ العزاوي، عباس، تاريخ العراق، ج١، ص٥١٦.

(^{٩٠}) القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص٧؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص٧١؛ العزاوي، عباس، تاريخ العراق، ج١، ص٤٤٤.

(^{٩١}) أولترميث: هي الزوجة الثالثة للسلطان اولجايتو حينما كان والياً على خراسان قبل اعتلائه عرش الايلخانية وهي ابنة قتلغ تيمور كوركان من قبيلة الكرايت المغولية المشهورة وامها هي مانقو ابنت جغتاي التي اودلت ثلاثة اولاد. للمزيد ينظر: القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص٧؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص٧١.

(^{٩٢}) القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص٧؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص٧١.

(^{٩٣}) جمجمال: هي من اعمال كرمشاه وهي من الجزء الغربي من اقليم الجبال والذي اقتطعه السلاجقة في عهد السلطان سنجر وسماه كردستان وقد ازدهر هذا الاقليم ازدهاراً عظيماً وفي ايام المغول بنى السلطان اولجايتو عاصمة ثانية له في سلطان آباد وجمجمال قرب حافة جبل بيستون وهي منطقة كثيرة الخيرات. للمزيد ينظر: ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٣٧٨؛ المستوفي القزويني، نزهت القلوب، ص١٦٢؛ ليسترنج، كي، بلدان الخلافة، ص٢٢٨.

(^{٩٤}) حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص٧١.

(^{٩٥}) حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص٧١؛ ابن ابيك الدوادري، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: هانس روبرت، ط١، مكتبة الخانجي، (القاهرة، ١٩٦٠م)، ج٩، ص٣١١.

(^{٩٦}) القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص٧.

(^{٩٧}) خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص٢١٠؛ ميرخواند، تاريخ حبيب السير، ج٥، ص٥٠٤؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢، ص١٦٩؛ فهمي، عبد السلام عبد العزيز، تاريخ الدولة المغولية في ايران، ط١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م، ص٢٢٤.

(^{٩٨}) خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج ٣، ص ٢١١؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج ٥، ص ٥٠٦؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص ١٣٢؛ الذهبي، ذيل تاريخ الاسلام، ج ٥٣، ص ٧٣٣؛ العزاوي، عباس، تاريخ العراق، ج ١، ص ٤٩٢.

(^{٩٩}) بوجغان: هي الزوجة الثانية للسلطان اولجايتو وهي ابنت لكزي كوركان من قبيلة الكرايت وقد تزوجها السلطان في خراسان عندما كان والياً فيها ينظر: القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص ٧.

(^{١٠٠}) الشيرازي، تاريخ وصاف، ج ٥، ص ٣٤٥؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج ٥، ص ٤٨٧؛ الامين، حسن، المغول، ص ٣٧٧.

(^{١٠١}) جلوخان: هو ابن الامير جوبان وكان شاباً صغيراً عندما قتل مع والده في مدينة هراة حيث التجأ أبيه جوبان لملكها غياث الدين الا انه غدر به وقتله املاً بحصوله على جائزة من السلطان أبي سعيد وكان ذلك في سنة ٧٢٨هـ وعندما قتل كان عمره ستة عشر عاماً. للمزيد ينظر: ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج ٥، ص ٥٢٢؛ الامين، حسن، المغول، ص ٣٨٢.

(^{١٠٢}) خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج ٣، ص ٢١٢؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج ٥، ص ٢١٨.

(^{١٠٣}) دقتي خاتون: هي حفيدة جوجي خان من طرف امها كرمان خاتون اما ابوها فهو اولتر بن يورت بزرك خان احد قادة المغول ومن قبيلة قونترات ينظر: الكاشاني، تاريخ اولجايتو، ص ٩.

(^{١٠٤}) حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص ١٣٢؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج ٣، ص ٢١١.

(^{١٠٥}) سورغان بن جوبان ولد في حدود عام ٧٢١هـ / ١٣٢١م عاش مع امه ساتي بيك وعندما قتل ابوه جوبان كان عمره ست سنوات فرحل مع أمه ساتي بيك الى الكرج حتى حدثت الفتنة بعد وفاة السلطان أبي سعيد حيث تجمع أنصار جوبان واحفاده عند ساتي بيك ونصبوها على عرش الدولة الايلخانية عام ٧٣٩هـ وقد عين سورغان حاكماً على بلاد العجم وبعد عزل والدته عن الحكم بقي هو يدير شؤون ولايته. للمزيد ينظر: خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج ٣، ص ٢٢٨؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص ٧١؛ شبولر، برتولد، العالم الاسلامي، ص ١٣٩.

(^{١٠٦}) المستوفي القزويني، تاريخ كزيدة، ص ٦١٣؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ص ٥١٤؛ بياني، شيرين، المغول، ص ٣٧٣؛ اما عن المؤامرة التي تعرض لها الامير جوبان فهي تلك التي قادها الامير ايرنجي والتي سنعرض لها بالتفصيل في الفصل الثاني.

(^{١٠٧}) ميرخواند، تاريخ حبيب السير، ج ٥، ص ٤٦٥؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص ١٠٢؛ أقبال، عباس، تاريخ ايران، ص ٤٩١.

(^{١٠٨}) الكرج: مدينة تقع بين همذان واصفهان في نصف الطريق والى همذان اقرب، وفيها ابنية حسنة جليلة وحمامات وعيون ومنابع وهي اكثر عمارة واكثر تصرفاً في الصناعات والتجارات، للمزيد ينظر: الاضطخري، المسالك والممالك،

ص ١٩٩؛ الادريسي، ابو عبد الله ممد بن عبد الله (ت ٥٥٩هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ط١، عالم الكتب (بيروت، ١٩٨٩م)، ج ٢، ص ٦٧٥.

(^{١٠٩}) ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج ٥، ص ٥٤٦؛ اقبال، تاريخ ايران، ص ٥٠٠.

(^{١١٠}) حسن بن تمرشاش: بن جوبان قائد الجيش الذي قتله السلطان أبي سعيد سنة ٧٢٨هـ، اختفى حسن بن تمرشاش المقلب بالصغير عن الانظار بعد مقتل والده تمرشاش في بلاد الروم واستمر متخفياً حتى عام ٧٣٨هـ حيث راودته فجأة حلاوة الحكم والسلطة وقد اتبع لتحقيق ذلك كل الوسائل والاساليب من خداع ومكر فقد اتصف بالحنكة السياسية اكثر من القوة استمال الكثير من الجوبانيين ومن انصارهم كما انضم اليه امرأ قبيلة الاويرات اتباع علي شاه حتى ان الامير ساتي بيك ايدت ثورته خاض حسن الصغير حروباً كثيرة مع منافسيه على حكم الدولة الايلخانية وخصوصاً مع حسن الجلثي الكبير حقق انتصارات عديدة استطاع ان يحتل تبريز وعندها انتدب ساتي بيك سلطانه على العرش الا انه سرعان ما بدلها وعين بدلاً عنها سليمان شاه قتل حسن الصغير على يد زوجته وذلك سنة ٧٤٤هـ للمزيد من التفاصيل ينظر: ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج ٥، ص ٥٤٤؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج ٣، ص ٢٢٨؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص ٢٠٨؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٥١؛ اشبولر، برتولد، تاريخ مغول در ايران، ترجمه للفارسية محمود مير افتاب، شركة انتشارات علمي وفرهنگي، (طهران، ١٣٧٤هـ. ش)، ص ١٣٩.

(^{١١١}) للمزيد عن هذا الصراع الذي احتدم على السلطة بعد وفاة السلطان أبي سعيد والذي انتهى بتفكك الدولة الايلخانية الى عدة دويلات صغيرة متنازعة على السلطة وبالتالي ادى الى انتهاء الدولة الايلخانية الى الابد وقيام عدة دول مكانها كالدولة الجلثية والسريرية وآل المطهر وغيرها، ينظر: ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج ٥، ص ٥٤٦؛ خواندمير، تاريخ حبيب السيرة، ج ٣، ص ٥٤٦؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص ١٨٠ - ص ٢٢٠؛ اقبال، عباس، تاريخ ايران، ص ٥٠٤ - ٥٢٠؛ طقوش، محمد، المغول العظام، ص ٣٣٣ - ص ٣٤٤.

(^{١١٢}) خواندمير، تاريخ حبيب السيرة، ج ٣، ص ٢٢٨؛ اقبال، عباس، تاريخ ايران، ص ٥٠٤.

(^{١١٣}) خواندمير، تاريخ حبيب السيرة، ج ٣، ص ٢٢٨؛ ابن تغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن يوسف، الدليل الشافي بعد المنهل الصافي، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، ط١، مطبعة الخانجي، (القاهرة، د.ت)، ج ١، ص ٢٦١.

(^{١١٤}) كحالة، عمر رضا، اعلام النساء، ط٢، مؤسسة الرسالة، (بيروت، د.ت) ج ٢، ص ١٤٢.

(^{١١٥}) حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص ٢٠٩؛ بياني، شيرين، المغول، ص ٥٣٥.

(^{١١٦}) سليمان خان: من احفاد يشموت بن هولكو نصبه حسن الصغير ايلخناً على الدولة بعد عزله ساتي بك وذلك في العام ٧٤١هـ استطاع هذا الايلخان ان يسطر سلطته على اذربيجان واران وكرجستان والعراق العجمي قضى معظم حكمه في الصراعات مع المتنافسين على العرش الايلخاني وفي سنة ٧٤٥هـ وبعد وفاة حسن الصغير نشب الصراع بين الجوبانيين انتهى بمقتل سليمان شاه للمزيد ينظر: ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ص ٥٥٥؛ اقبال، عباس، تاريخ ايران، ص ٥٠٤؛ طقوش، محمد، المغول العظام، ص ٣٤٤.

- (^{١١٧}) ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ص ٥٥٦؛ الامين، حسن، المغول، ص ٤١٠.
- (^{١١٨}) خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج ٣، ص ٢٣١؛ طقوش، محمد، المغول العظام، ص ٣٤٤.
- (^{١١٩}) الفاشاني، تاريخ اولجاتيو، ص ٨؛ ميرخواند، تاريخ روضة الرضا، ج ٥، ص ٤٩٥.
- (^{١٢٠}) قبيلة كرايت: هي احدى القبائل المغولية واقواها استطوننت المنطقة الممتدة من أرخون وجبال كنتار حتى سور الصين، اعتنقوا الديانة المسيحية على المذهب النسطوري ما بين سنة (١٠٠٧ - ١٠٠٩م)، وفي عهد جنكيزخان كان (اونك خان) ملكاً على قبائل الكريت وكانت تربطه مع جنكيز علاقة مودة وصداقة غير ان هذه الصداقة لم تدم طويلاً، إذ اضطّر جنكيزخان الى محاربة أونك خان واخضاع قبيله بعد القضاء على ملكهم. للمزيد ينظر: الهمذاني، جامع التواريخ، مج ٢، ج ١، ص ٧٨؛ اشبولر، العالم الاسلامي، ص ٢٠؛ العريني، الباز، المغول، ص ٣٤.
- (^{١٢١}) الهمذاني، جامع التواريخ، مج ٢، ج ١، ص ٧٨؛ الصياد، فؤاد، المغول، ص ٢٨.
- (^{١٢٢}) ميرخواند، تاريخ روضة الرضا، ج ٥، ص ٤٩٥؛ هذه الحرب التي قادها السلطان أبي سعيد ضد ابرنجي والد زوجته قتلغ شاه والتي ادت الى مقتل ابرنجي واصحابه وانتصار السلطان أبي سعيد فيها والتي لقب على اثرها ببهادر خان. ينظر: المستوفي القزويني، تاريخ كزیده، ص ٦١٥؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص ١٠١، وسنستعرض هذه الحرب بالتفصيل في الفصل الثاني.
- (^{١٢٣}) ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج ٥، ص ٤٩٥؛ الامين، حسن، المغول، ص ٣٧٥.
- (^{١٢٤}) خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج ٣، ص ٢١٥؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص ٩٩.
- (^{١٢٥}) حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص ١٠٢؛ الامين، حسن، المغول، ص ٣٧٦.
- (^{١٢٦}) يذكر انه على اثر نشر الرايات البيض على معسكر الايلخان أبي سعيد استجابة لرغبة ابرنجي، فسرت هذه الحركة على ان السلطان قد دخله الخوف والرعب من معسكر اعدائه. فهبوا مندفعين بالجملة على معسكر الايلخان. ووقعت الحرب بين المعسكرين وذلك في سنة ٧١٩هـ للمزيد من التفاصيل ينظر: خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج ٣، ص ٢١٦؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص ١٠٧.
- (^{١٢٧}) حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص ١٠٤؛ طقوش، محمد، المغول العظام، ص ٣٢٣.
- (^{١٢٨}) خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج ٢، ص ٢١٥؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج ٥، ص ٤٩٦.
- (^{١٢٩}) ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج ٥، ص ٥٢٢؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٠، ص ١١١.
- (^{١٣٠}) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ١٣١؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٠، ص ١١١.
- (^{١٣١}) ابن بطوطة، الرحلة، ص ٢٣٠؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٤٢٧.

- (^{١٣٢}) ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج ٥، ص ٥٢٧ .
- (^{١٣٣}) برون، ادوارد، تاريخ أدبي ايران، ترجمة للفرسية : علي أكبر اصغر حكمت، نشر حباب دوم، (طهران، ١٣٣٩ هـ. ش) ص ٢٧.
- (^{١٣٤}) العمري، ابن فضل الله شهاب الدين احمد بن يحيى (ت: ٧٤٩ هـ)، مسالك الابصار في ممالك الامصار، تحقيق: مهدي النجم، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠١٠ م)، ج ٢، ص ١٦٦.
- (^{١٣٥}) المستوفي القزويني، تاريخ كزيدة، ص ٦١٨؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج ٥، ص ٥٢٢؛ حافظ ابرو، ذيل جامع تلوار، ص ١٤٣؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٠، ص ١١١؛ النويري، نهاية الارب، ج ٣٣، ص ٢٥٥؛ اليوسفي، موسى بن محمد بن يحيى (ت: ٧٥٩ هـ)، نزهة النظر في سيرة الملك الناصر، تحقيق: احمد حطيط، ط ١، عالم الكتب، (بيروت، ١٩٨٦ م)، ص ٣٣٥؛ الامين، حسن، المغول، ص ٣٧٦.
- (^{١٣٦}) الشيخ حسن: هو حسن بن اقبغا بن أيلكان المعروف بالشيخ حسن بك الكبير، امه عمه السلطان أبي سعيد ابنة ارغون خان، تولى عدة مناصب في عهد السلطان ابي سعيد منها نائب الخان بعد مقتل جوبان وحاكم بلاد الروم دخل في معارك مع حسن بن تمر تاش بعد وفاة السلطان أبي سعيد حقق في بعضها انتصارات استولى على العراق وبغداد وحكم فيها مستقلاً مؤسساً بذلك الدولة الجلائرية (٧٣٨ هـ - ٨١٤ هـ) توفي الشيخ حسن في عام ٧٥٧ هـ وقد حكم هذه الدولة سبع عشرة سنة تولى حكم الدولة من بعده ابنه اويس. للمزيد ينظر: حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص ١٥٣؛ المستوفي القزويني، تاريخ كزيدة، ص ٦١٨؛ الصفدي، اعيان العصر، ج ٢، ص ١٩١؛ العزاوي، عباس، تاريخ العراق، ج ٢، ص ٩٠.
- (^{١٣٧}) المستوفي القزويني، تاريخ كزيدة، ص ٦١٨؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ٣، ص ٤٤١؛ الامين، حسن، المغول، ص ٣٨٢.
- (^{١٣٨}) المستوفي القزويني، تاريخ كزيدة، ص ٦١٨؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ١، ص ١٤؛ الجاف، حسن، المغول، ص ٣٨٢.
- (^{١٣٩}) الياسا: هو القانون الذي وضعه جنكيزخان، حدد فيه حقوق وامتيازات زعماء القبائل المغولية، والنظام الضريبي في الامبراطورية، ونظام الخدمة العسكرية الى جانب القوانين الاجتماعية والاقتصادية وبالاخص التجارية منها، وقد الزم جنكيزخان نفسه بتنفيذ هذه القوانين والشرائع حتى يحتذى به في ذلك كل شعبه وخلفائه من بعده حول موارد قانون الياسا ينظر: الهمذاني، جامع التواريخ، ج ١، ص ١٨٤؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٤، ص ٣١٠؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص ٣٣؛ حسن، حسن ابراهيم، تاريخ الاسلام، ط ١، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، ١٩٦٧ م)، ج ٤، ص ٣١٠.
- (^{١٤٠}) المستوفي القزويني، تاريخ كزيدة، ص ٦١٨؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج ٥، ص ٥٢٣؛ طقوش، محمد، المغول العظام، ص ٣٢٦.
- (^{١٤١}) الاوردو: لفظ مغولي معناه المعسكر، وقد استعمل في المراجع العربية والفرسية، وفي العصر المغولي للدلالة على معسكر ايلخان الدولة المغولية بفارس. للمزيد ينظر: دهمان، محمد، معجم الالفاظ التاريخية، ص ٥١٤؛ عبد الرحيم، رائد، الفاظ مغولية، ص ١٣٠١.

(^{١٤٢}) قراباغ: تسمية تركية فارسية معناها البستان الاسود، لخصوبة السواد من أرضها وهي اقليم ذات حكم ذاتي تابع لأرمينيا. ينظر: العمري، مسالك الابصار، ج٤، ص١٦١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٨، ص٣٨٢؛ طقوش، محمد، المغول العظام، ص٣٢٤.

(^{١٤٣}) ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٥٠٧؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص١١٧.

(^{١٤٤}) حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص١١٧؛ طقوش، محمد، المغول العظام، ص٣٢٤.

(^{١٤٥}) حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص١١٨؛ طقوش، محمد، المغول العظام، ص٣٢٤. ومن اهم الابيات الشعرية التي نظمها في حب بغداد خاتون ما يلي :

ويذكر انه كتب وانشد ابیاتاً من الشعر والغزل في عشق بغداد خاتون وفراقها ومن ابیات الشعر التي انشدها في حب بغداد خاتون ما يلي: بیا بمصر ولم تا دمشق جان ببني که ارزوی ولم در هوای ب غداد است

وترجمة هذا البيت للعربية: يا قلبي تعالى الى مصر لترى عشق دمشق الروح فان غاية قلبي في هوى بغداد. ينظر: ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٥٠٨؛ فهمي، عبد السلام، تاريخ الدولة المغولية، ص٢٢٩؛ العزاوي، عباس، تاريخ العراق، ج١، ص٤٩٤.

(^{١٤٦}) ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٥٢٧؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص١١٨؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٠، ص١١١.

(^{١٤٧}) ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٥٢٧؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص١١٨؛ النويري، نهاية الارباب، ج٣٣، ص٢٥٥..

(^{١٤٨}) ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٥٧١؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص١٤٦؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص١٤؛ طقوش، محمد، المغول العظام، ص٣٢٧.

(^{١٤٩}) خواجه دمشق: هو أحد ابناء الامير جوبان المتميزين ووالد دلشاد خاتون زوجة السلطان أبي سعيد تولى مناصب كثيرة في الجيش والادارة في عهد السلطان أبي سعيد خصوصاً بعد سيطرة والده جوبان على مقدرات الدولة فقد كان مرافقاً للسلطان يحسب عليه انفاسه كان صاحب الديوان والوزير الاول والمشرف على العاصمة السلطانية وامور القصر السلطاني وامور السلطان أبي سعيد كان سيء الخلق مع الحاشية ظالماً قاسياً جباراً، وعندما علم السلطان أبي سعيد بأفعاله خصوصاً فواحشه مع زوجات أبيه ترصد به حتى قضى عليه متلبساً في بيت إحدى غرف زوجات السلطان فقتل وعلق رأسه في العاصمة وكان مقتله بداية لتصفية والده جوبان واخوته من قبل السلطان أبي سعيد وذلك في العام (٧٢٧هـ). وللمزيد من التفاصيل ينظر: خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص٢١٣؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٥١٢؛ الذهبي، ذيل تاريخ الاسلام، ج٥٣، ص٣٣٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٨، ص٢٩٠.

(^{١٥٠}) المستوفي القزويني، تاريخ كزیده، ص٦٢١؛ ابن بطوطة، الرحلة، ص٢٣٠.

- (^{١٥١}) حافظ أبرو، ذيل جامع التواريخ، ص ١٣٨؛ العزاوي، عباس، تاريخ العراق، ج ٢، ص ٧٩.
- (^{١٥٢}) حافظ أبرو، ذيل جامع التواريخ، ص ١٥١؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفاء، ج ٥، ص ٥٤٠؛ ويبدو ان المصادر التاريخية لم تشر الى اسم الفتاة التي ولدها دلشاد خاتون من نسل السلطان أبي سعيد والتي ولدت بعد وفاة السلطان ابي سعيد.
- (^{١٥٣}) خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج ٣، ص ٢١٩؛ المستوفي القزويني، تاريخ كزيدة، ص ٦٢٣.
- (^{١٥٤}) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٠، ص ٢١٠؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ٣، ص ٤٤٢.
- (^{١٥٥}) المستوفي القزويني، تاريخ كزيدة، ص ٦٢٣؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج ٣، ص ٢١٩.
- (^{١٥٦}) أرباخان: هو ابن جوشكاب احد احفاد اريق بوقا بن تولي خان بن جنكيزخان تولى حكم الدولة الايلخانية بعد وفاة السلطان ابي سعيد. وذلك بعد ترشيحه من قبل الوزير خواجه غياث الدين معللاً ذلك بأن السلطان أبي سعيد كان قد أوصى به وقد وافقه كبار الامراء والقادة على ذلك. بدأ السلطان ارباخان سياسته بتصفية خصومه من الامراء المنافسين له على الحكم ففر أكثرهم وتجمعوا ضده بقيادة الامير علي بادشاه الذي عارض تنصيبه منذ البداية فقاد علي بادشاه حرباً ضد السلطان ارباخان انتهت بقتله وقتل وزيره غياث الدين. للمزيد من التفاصيل ينظر: المستوفي القزويني، تاريخ كزيدة، ص ٦٢٣؛ النطنزي، منتخب التواريخ، ص ١٢٦؛ اقبال، عباس، تاريخ إيران، ص ٤٩٧.
- (^{١٥٧}) خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج ٣، ص ٢١٩؛ النطنزي، منتخب التواريخ، ص ١١٧؛ الأمين، حسن، المغول، ص ٣٩٠-٣٩١.
- (^{١٥٨}) خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج ٣، ص ٢٢٧؛ القزاز، محمد، الحياة السياسية، ص ٤٩٤.
- (^{١٥٩}) حافظ ابرو: ذيل جامع التواريخ، ص ١٥١؛ العزاوي، عباس، تاريخ العراق، ج ١، ص ٥٢٥.
- (^{١٦٠}) حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص ١٥١؛ العزاوي، عباس، تاريخ العراق، ج ١، ص ٥٢٥.
- (^{١٦١}) الجلائري: نسبة الى قبيلة الجلائر وهي قبيلة من نسل المغول من اولاد نوكون من قبيلة دورليكين عاشت هذه القبيلة عيشة بدوية وقد اصابتها مجاعة وحدث بينها وبين قبيلة قيات معركة وقد توطدت هذه العلاقة عندما ظهر جنكيزخان حيث صاروا من اتباعه وقد برز من هذه القبيلة رجال خدموا الدولة المغولية منهم أق بوغا الذي كان امير الامراء في زمن الايلخان كيخاتو وقتل في فتنة الايلخان بايدو ثم ظهر أخوه حسين الذي تزوج بنت الايلخان أرغون وفي عهد السلطان أبي سعيد كان زعيم هذه القبيلة هو الشيخ حسن الذي انتهى به المطاف لتأسيس الدولة الجلائرية التي حكمت العراق وإيران ما يقرب من ٩٠ سنة للمزيد ينظر: الهمذاني، جامع التواريخ، مج ٢، ج ١، ص ٢٣٠؛ النطنزي، منتخب التواريخ، ص ١٣٣؛ العريني، البار المغول، ص ٣٨؛ العزاوي، عباس، تاريخ العراق، ج ١، ص ٦٣.

(^{١٦٢}) حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص ١٥٤؛ النطنزي، منتخب التواريخ، ص ١٣١؛ العزاوي، عباس، تاريخ العراق، ج ٢، ص ٧٩. ويذكر ان الشيخ حسن الكبير كان قد تزوج دلشاد خاتون في العام ٧٣٧هـ / ١٣٣٧م وقد اُنجبت منه عدة اولاد منهم الشيخ اويس الذي تسلم مقاليد حكم الدولة الجلائرية بعد وفاة ابيه ا لشيخ حسن والامير قاسم والشيخ زاهد وابنة تدعى دوندي، توفيت دلشاد خاتون في الثامن من ذي القعدة سنة ٧٥٢هـ / ١٣٥٣م ونقل جثمانها الى مشهد الامام علي (عليه السلام) في النجف الاشرف وللمزيد ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٤، ص ١٨؛ ابن بطوطة، الرحلة، ص ٢٣١؛ كحالة، عمر، اعلام النساء، ج ٢، ص ١٤٢؛ العزاوي، عباس، تاريخ العراق، ج ٢، ص ٨٠.

(^{١٦٣}) حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص ١٥٥؛ النطنزي، منتخب التواريخ، ص ١٣٣؛ الجاف، حسن، الوجيز، ص ٣٦٧.

(^{١٦٤}) الباشا، حسن، الالقاء الاسلامية في التاريخ والوثائق والاثار، ط ١، الدار الفنية (القاهرة، ١٩٨٩م)، ص ٢.

(^{١٦٥}) القزاز، محمد، الحياة السياسية، ص ١٣٨.

(^{١٦٦}) العمري، مسالك الابصال، ج ٢، ص ٣٠.

(^{١٦٧}) القزاز، محمد، الحياة السياسية، ص ١٤٠.

(^{١٦٨}) النويان: لفظ مغولي لأمرء وقادة المغول الكبار، ونوين معناها رئيس تومان اي رئيس فرقة مكونة من عشرة آلاف، ينظر: العمري، مسالك الابصار، ج ٣، ص ٢٠٧.

(^{١٦٩}) الكاشاني، تاريخ اولجايتو، ص ١٨؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص ٧.

(^{١٧٠}) النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص ٣٨؛ العزاوي، عباس، تاريخ العراق، ج ١، ص ٢٦.

(^{١٧١}) القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص ١٧؛ بياني، شيرين، المغول، ص ٥٢١.

(^{١٧٢}) بهادر: بالدال المضمومة، كلمة تركية مغولية مأخوذة من بخاتر، والمعنى الاصلي لها وهو الشجاع او المقدام، ثم اطلق لقباً للتشريف في بلاد الاسلام، للمزيد ينظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان، دول الاسلام، تحقيق: حسن اسماعيل مروة ومحمود الارناؤوط، دار صادر (بيروت، ١٩٩٩م)، ص ٢٥٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٩٣.

(^{١٧٣}) خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج ٣، ص ٢٠٦؛ اقبال، تاريخ ايران، ص ٤٩١؛ وهي الفتنة التي قادها الامير ايرنجي وبعض الامراء من اجل الاطاحة بالامير جوبان والتي سنورد تفاصيلها في الفصل الثاني وللمزيد عنها ينظر:

ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج ٥، ص ٤٩١ - ص ٤٩٧؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص ٩٦ - ص ١٠٠؛
الصفدي، اعيان العصر، ج ١، ص ٦٦٦.

(١٧٤) خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج ٣، ص ٢٠٧؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج ٥، ص ٤٩٣؛ اقبال، تاريخ ايران،
ص ٤٩١.

(١٧٥) خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج ٣، ص ٢١٩؛ العزاوي، عباس، تاريخ العراق، ج ١، ص ٤٤٧.

(١٧٦) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٨، ص ٣٨٣؛ الذهبي، ذيل تاريخ الاسلام، ج ٥٣، ص ٤٠٤.

(١٧٧) خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج ٣، ص ٢٢١؛ اقبال، عباس، تاريخ المغول، انتشارات سبهرادب، (طهران،
١٣٨٨ هـ. ش)، ص ٣٥٧.

(١٧٨) الذهبي، ذيل تاريخ الاسلام، ج ٥٣، ص ٤٠٤؛ ابي الفداء، المختصر في اخبار البشر، ج ٤، ص ٣٨. وللمزيد عن
شعر السلطان ينظر : ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج ٥، ص ٥٠٨؛

(١٧٩) النطنزي، منتخب التواريخ، ص ١٢٥؛ فهمي، عبد السلام، تاريخ الدولة المغولية، ص ٢٢٩.

(١٨٠) خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج ٣، ص ٢٢١؛ اقبال، عباس، تاريخ المغول، ص ٣٧٥.

(١٨١) أبو الطيب المتنبّي : هو أحمد بن الحسين بن حسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي، ولد بالكوفة سنة (٣٠٣هـ/
٩١٥م) في محلة تسمى كندة واليها نسبته ونشأ بالشام ثم تنقل في البادية يطلب الادب وعلم العربية وايام الناس، قال
الشعر صبيّاً واشتغل بفنون الادب ومهر بها وكان من المكثرين من نقل اللغة والمطالعين على غريبها وحواشيها، ولا
يسأل عن شيء الا استشهد فيه بكلام من منظوم الشعر، وفد على سيف الدين بن حمدان صاحب حلب سنة ٣٣٧هـ،
فمدحه وحظي عنده، مضى الى مصر ومدح كافوراً الاخشدي، وطلب ان يوليه فلم يوليه فغضب ابو الطيب وانصرف
يهجوه، قصد العراق وزار بلاد فارس ورحل الى شيراز وعاد يريد بغداد فالكوفة، فعرض له فأتك بن ابي جهل الاسدي
في الطريق بجماعة من اصحابه، وكان مع المتنبّي جماعة ايضاً، فاقتتل الفريقان فقتل ابو الطيب ابنه محمد وذلك سنة
٣٥٤هـ، اعتنى العلماء بديوانه، فشرحوه حتى وصل شرحه الى اربعين شرحاً. وللمزيد من التفاصيل عن حياته ينظر:
ابن خلكان، ابي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر (ت: ٦٨١هـ)، وفيات الاعيان وابناء الزمان، تحقيق:
احسان عباس، ط ١، دار صادر، (بيروت، د.ت) مج ١، ص ١٢٠؛ ابن الجوزي، ابي الفرج عبد الرحمن بن علي بن
محمد (ت: ٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تحقيق: محمد عبد القادر وعطا ومصطفى عبد القادر، ط ١، دار
الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٢م)، ج ١٤، ص ١٦٥؛ الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي بن ثابت (ت:

٤٦٣هـ)، تاريخ مدينة السلام أخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها وواديها، تحقيق: بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الاسلامي (بيروت، ٢٠٠١م)، مج٥، ص١٦٤- ص١٦٥.

(^{١٨٢}) الصفدي، أعيان العصر، ج٢، ص٦٩.

(^{١٨٣}) المكوس: جمع للاسم مكس: وهو الجباية، والمكوس ضريبة تؤخذ ممن يدخل البلد من التجار. للمزيد ينظر: ابن منظور: ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب، تحقيق: يوسف البتاعي وآخرون، ط١، مؤسسة الاعلامي، (بيروت، ٢٠٠٥م)، مج٢، ص٣٧٥٨؛ ابن زكريا، ابي الحسن احمد بن فارس (ت: ٣٦٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، ط١، مؤسسة الاعلامي، (بيروت، ٢٠١٤م)، ص٨٣٢.

(^{١٨٤}) المقرئزي، تقي الدين ابي العباس احمد بن علي بن عبد القادر العبيدي (ت: ٨٤٥هـ)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٧م)، ج٣، ص٣٠.

(^{١٨٥}) الناصر محمد بن قلاوون: هو سلطان المماليك في مصر والشام، ناصر الدين ابو الفتح بن السلطان المنصور سيف الدين قلاوون، ولد سنة (٦٨٤هـ / ١٣٤٢م)، ولي امر السلطنة سنة (٦٩٨هـ / ١٢٩٩م) كان ملكاً عظيماً دانت له البلاد والملوك توفي سنة (٧٤١هـ / ١٣٤٢م) للمزيد من التفاصيل ينظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (٩١١هـ)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط١، دار احياء التراث العربي، (القاهرة، ١٩٦٨م)، ج٢، ص١١٣؛ اليوسفي، نزهة النظار، ص٣٩. وينظر: حسن، أسامة، الناصر محمد بن قلاوون، ط١، دار الأمل (لا.ب.، ١٩٩٧م)، ص١٧، ص٣٩.

(^{١٨٦}) خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص٢١٧؛ المقرئزي، السلوك، ج٣، ص١٢؛ الذهبي، ذيل تاريخ الاسلام، ج٥٣، ص٤٠٤.

(^{١٨٧}) خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص٢١٧.

(^{١٨٨}) ابن بطوطة، الرحلة، ص٢٢٨.

(^{١٨٩}) خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص١٣٥؛ أقبال، عباس، تاريخ المغول، ص٣٣٨.

(^{١٩٠}) ميرخاندا، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٤٨٦؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص٦١.

(^{١٩١}) الجغتاي او الجغتائيون: هي احدى دول المغول التي تأسست بعد وفاة جنكيزخان عندما وزع ممتلكات الامبراطورية على اولاده الاربعة وكانت هذه المملكة من حصاة ولده جغتاي المتوفي سنة ٦٣٨هـ حيث حكم هذه المملكة ثلاث عشرة سنة كان جغتاي ملكاً عادلاً وكان والده جنكيزخان يقول للامراء من كان يريد التفقه في معرفة القوانين واصول

الملك عليه ان يتبع ولدي جغتاي عندما توفي جغتاي خلفه في الحكم اولاده واحفاده، كانت هذه المملكة مجاورة للدولة الايلخانية من جهة الشرق للمزيد من التفاصيل ينظر: الهمذاني، جامع التواريخ، خلفاء جنكيزخان، ص ١٥٠؛ شبولر، برتولد، العالم الاسلامي، ص ٢٨٥.

(١٩٢) حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص ٦١.

(١٩٣) القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص ٨٤، ينظر: ترجمة الامير سونج في الفصل الاول، ص ١٢.

(١٩٤) حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص ٦٨.

(١٩٥) حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص ٦٨؛ طقوش، محمد، المغول العظام، ص ٣١٠.

(١٩٦) خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج ٣، ص ١٣٦؛ الامين، حسن، المغول، ص ٣٧٣.

(١٩٧) الامير يساول: اشارت المصادر الفارسية الى انه كان امير خراسان في عهد السلطان اولجايتو وعندما وصل الامير ابي سعيد حاكماً على خراسان سنة ٧١٣هـ انضم الامير يساور اليه واصبح من المقربين له وبعد ان اعتلى السلطان عرش الايلخانية كان الامير يساول حاكماً على خراسان بعد ان انفرد هذا الامير بحكم خراسان تكبر وتجبر فأصبح ظالماً اغتصب الكثير من الاموال بالجور من اهالي اقليم خراسان وعندما عجز هذا الامير عن الوقوف بوجه الامير يسور ارسل في طلبه السلطان بعد ان فر من القتال ضد الامير يسور فقتل في الطريق وهو متوجه الى السلطان وذلك في سنة ٧١٧هـ للمزيد من التفاصيل ينظر: ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج ٥، ص ٤٥٦؛ المستوفي القزويني، تاريخ كزيدة، ص ٦١٢.

(١٩٨) ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج ٥، ص ٤٥٦؛ طقوش، محمد، المغول العظام، ص ٣١٨.

(١٩٩) المستوفي القزويني، تاريخ كزيدة، ص ٦١٧؛ الامين، حسن، المغول، ص ٣٦٣.

(٢٠٠) حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص ٦٦؛ اقبال، عباس، تاريخ المغول، ص ٣٣٥.

(٢٠١) بلاد ما وراء النهر: هي من أخصب اقاليم الارض منزلة واكثرها خيراً، فمياه هذا الاقليم أعذب مياه وابردها، وهواؤها صحي وفي هذه البلاد كور عدة وعظيمة امثال بخارى وسمرقند واشروسنه والصغد وفرغانه وكش وخوارزم وغيرها من القصبات والكور الصغيرة، ويشتهر هذا الاقليم بانتاج القمح والشعير والرز وغيرها وكذلك بأنواع مختلفة من الفواكه كالتفاح والرمان والخوخ وغيرها. وللمزيد من التفاصيل ينظر: ابن حوقل، صورة الارض، ص ٤٩٣؛ البكري، ابو عبيد الله بن عبد العزيز محمد (ت: ٤٨٧هـ) المسالك والممالك، تحقيق: جمال طلبة، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠٣م)، ج ٢، ص ٢١؛ ليسترنج، كي، بلدان الخلافة، ص ٤٧٦.

- (٢٠٢) خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص١٣٦؛ أقبال، عباس، تاريخ ايران، ص٥٤٨.
- (٢٠٣) الهمذاني، جامع التواريخ، خلفاء جنكيزخان، ص٢٨؛ ويذكر ان اولاد جنكيزخان الاربعة هم كل من جوجي، وجغتاي، واوكتاي، وتولوي، وقد نسبت مملكة جغتاي الى الابن الثاني لجنكيزخان جغتاي للمزيد من التفاصيل ينظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج١، ص١٤٤، ص١٦١.
- (٢٠٤) الهمذاني، رشيد الدين فضل الله (٧١٨هـ)، جامع التواريخ، تاريخ غازان خان، تحقيق: امير حسين جهانگلو، (طهران، ١٣٣٦ ق.ش)، ص١٤ ص١٨؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٣٩٤.
- (٢٠٥) المستوفي القزويني، تاريخ كزيرة، ص٦٠٥؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٤٠٢.
- (٢٠٦) القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص١٦، الشيرازي، تاريخ وصاف، ص٤٦٧؛ طقوش، محمد، المغول العظام، ص٣١٨.
- (٢٠٧) القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص٢١٠؛ الأمين، حسن، المغول، ص٣٧٣. وينظر ص٤٤.
- (٢٠٨) المستوفي القزويني، تاريخ كزيرة، ص٦١٥؛ حافظ أبرو، ذيل جامع التواريخ، ص٧٣.
- (٢٠٩) ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٤٧٨؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص٧٣.
- (٢١٠) طوس: هي من مدن خراسان تحوي هذه المدينة على آثار وابنية اسلامية اهمها مرقد الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام)، وتضم هذه المدينة مدينتين الاولى الطايران والثانية نوقان، وهي مدينتها العظمى، معظم أهلها من العجم، وللمزيد من التفاصيل: المستوفي القزويني، نزهة القلوب، ص١٨٥؛ الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٤٩.
- (٢١١) ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٤٧٩؛ العزاوي، عباس، تاريخ العراق، ج١، ص٤٤٧؛ اما الامير سونج فينظر ترجمته في ص١٢.
- (٢١٢) خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص١٧٢؛ حافظ أبرو، ذيل جامع التواريخ، ص٧١.
- (٢١٣) ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٣٧٨؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص١٧٢.
- (٢١٤) ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٣٧٨؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص٧٢.
- (٢١٥) حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص٧٢؛ أقبال، عباس، تاريخ المغول، ص٣٣٩.
- (٢١٦) المستوفي القزويني، تاريخ كزيرة، ص٦١١؛ الشيرازي، تاريخ وصاف، ص٣٥٦؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٣٧٩؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص١٩٨؛ ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٦٢٠؛ القلقشدي، مآثر الاناقة، ج٢، ص٣٠٨.

- (^{٢١٧}) خواندمير، تاريخ حبيب السير، ص ١٩٨؛ اقبال، عباس، تاريخ المغول، ص ٣٤٠.
- (^{٢١٨}) المستوفي القزويني، تاريخ كزیده، ص ٦١٥؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج ٣، ص ١٩٩؛ الشيرازي، تاريخ وصاف، ص ٦٤٨؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص ٧٣.
- (^{٢١٩}) ابن خلدون، العبر، ج ٥، ص ٦٢٠؛ القلقشندي، مآثر الاناقة، ج ٢، ص ٣٠٨؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٨، ص ٧٤؛ اليوسفي، نزهة النظر، ص ٣٣٥؛ اليافعي، ابو محمد عفيف الدين عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان (ت: ٧٦٨هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقضان، وضع حواشيه، خليل منصور، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٧م)، ج ٤، ص ٢٥٥.
- (^{٢٢٠}) الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج ٤، ص ٦٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٨، ص ١٥٤؛ ابن الوردي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٥٦؛ الصفدي، أعيان العصر، ج ٢، ص ٧٠؛ النويري، نهاية الارب، ج ٧، ص ٤١٩.
- (^{٢٢١}) المختصر في اخبار البشر، ج ٤، ص ٩٦.
- (^{٢٢٢}) القرمانى، احمد بن يوسف (ت: ١٠١٩هـ)، أخبار الدول وآثار الاول في التاريخ، تحقيق: احمد حطيط وفهمي سعيد، ط ١، دار الكتب، (بيروت، ١٩٩٩م)، ج ٢، ص ٤٩٧.
- (^{٢٢٣}) المستوفي القزويني، تاريخ كزیده، ط ٦٢؛ الشيرازي، تاريخ وصاف، ص ٣٥٨؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج ٥، ص ٥٣٤؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج ٣، ص ٢١٩؛ ابن بطوطة، الرحلة، ص ٢٣٠؛ ابن خلدون، العبر، ج ٥، ص ٦٢١؛ الذهبي، ذيل تاريخ الاسلام، ج ٥٣، ص ٤٠٢؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٠، ص ٢٠٣؛ العزاوي، عباس، تاريخ العراق، ج ١، ص ٥١٦.
- (^{٢٢٤}) الدرر الكامنة، ج ١، ص ٥١.
- (^{٢٢٥}) أران: هي ولاية واسعة من نواحي ارمينية، قصبته مدينة برذعة وهي اكبر مدن أران وتشتهر هذه المدينة بكثرة البساتين والعمارات وتنتج الكثير من الفواكه وفيها عدد من المساجد، يحد مدينة أران نهران هما نهر أرس ونهر الكر. وللمزيد من التفاصيل ينظر: القزويني، آثار البلاد، ص ٤٦٣؛ المستوفي القزويني، نزهة القلوب، ص ١٦٠.
- (^{٢٢٦}) القبيلة الذهبية: أو قبيلة القفجاق هي واحدة من أهم القبائل المغولية التي تأسست بعد ان وزع جنكيزخان أملاكه على اولاده الاربعة فكانت هذه القبيلة من نصيب ابنه جوجي الذي توفي في حياة أبيه فتوزعت املاكه بين اثنين من ابناء جوجي هما أوردا وباطوا، شغلت هذه القبيلة منطقة واسعة تمتد من نهر ارتش شرقاً الى أرض البلغار غرباً ومن روسيا وبلاد الصقالبة شمالاً الى مملكة الايلخانيين في فارس وآسيا الصغرى فضلاً عن بلاد ما وراء النهر وتركستان في الجنوب، وقد عرفوا باسم مغول القبيلة الذهبية نسبة الى خيامهم ذات اللون الذهبي. وللمزيد من التفاصيل ينظر:

خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج ٣، ص ٧٥؛ الرمزي، م. م (ت: ١١٣٠هـ)، تلفيق الاخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزام وبلغار وملوك التتار، المطبعة الكريمة، ط ١، (أرنبورغ، ١٩٠٨م)، ص ٥٠٢، شبولر، برتولد، العالم الاسلامي، ص ٩٩؛ طقوش، محمد سهيل، تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند، ط ١، دار النفائس، (بيروت، ٢٠٠٧م)، ص ١٣.

(٢٢٧) خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج ٣، ص ١٤٢؛ المستوفي القزويني، تاريخ كزیده، ص ٦٢١.

(٢٢٨) المستوفي القزويني، تاريخ كزیده، ص ٦٢١؛ الأمين، حسن، المغول، ص ٣٩٠.

(٢٢٩) المستوفي القزويني، تاريخ كزیده، ص ٦٢١؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج ٣، ص ١٤٢؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج ٥، ص ٥٣٤؛ الشيرازي، تاريخ وصاف، ص ٣٥٦؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص ١٤٣ - ص ١٤٤؛ النطنزي، منتخب التواريخ، ص ١١٧.

(٢٣٠) خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج ٥، ص ١٤٣؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج ٥، ص ٥٣٥؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص ١٤٥؛ العزاوي، عباس، تاريخ العراق، ج ١، ص ٥٢٠.

(٢٣١) حيث وجد الباحث اثناء زيارة قبر السلطان أبي سعيد في العاصمة السلطانية حجراً تشبه حجر الكاشاني الذي يستخدم في مرقد الائمة المعصومين في كربلاء والنحف وهي على شكل مربع ومزخرف بالزخارف الاسلامية مكتوب عليها الشهيد سعيد وللاسف كلمة أبي متأكلة بعض الشيء. وللمزيد ينظر: الصور رقم (٨، ٩، ١٠، ١١).

(٢٣٢) المستوفي القزويني، تاريخ كزیده، ص ٦٢١؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص ١٤٣ - ص ١٤٤.

أثر مصر في المفاوضات الدولية
(١٨٨٩-١٩٢٢)

انتصار حسين أحمد
أ.م.د. ابتسام محمود جواد

أثر مصر في المفاوضات الدولية (١٨٨٩-١٩٢٢)

انتصار حسين أحمد

أ.م.د. ابتسام محمود جواد

المقدمة:

لم تكن هناك علاقات سياسية مباشرة هامة بين مصر واثيوبيا في عهد منليك مثلما كان في عهد سلفه يوحنا فان كانت هناك علاقات سياسية بين البلدين وان كانت بصورة غير مباشرة تأثرت بالصراع الدائر بين ثلاث دول اوروبية هي بريطانيا وفرنسا وايطاليا في هذه المنطقة.

اتخذت فيه اثيوبيا تحت حكم منليك الثاني اتجاها مضادا وذلك لتأييده لفرنسا ونشاطها المعادي لبريطانيا ومصر بحكم انها خاضعة لها • وايضا لايطاليا التي كانت تسير في ذلك الوقت في ركاب بريطانيا • وكان مجال هذا الصراع بين الدول الاوروبية والافريقية.

Abstract

There were no significant direct political relations between Egypt and Ethiopia under Menelik as it was during the reign of his predecessor, John, there were political relations between the two countries that were indirectly affected by the conflict between the three European countries, namely Britain, France and Italy in this region.

Taken as Ethiopia under the rule of Menelik II trend counter so as to Taida to France and its anti-Britain, Egypt, by virtue of it's subject to a and also to Italy, which was traveling at the time in the passenger Britain was the area of the conflict between European and African countries.

أولاً: واقع العلاقات الثنائية في عهد منليك (١٨٨٩-١٩٢٢)

لقد تأثرت العلاقات السياسية بين البلدين في عهد منليك الثاني بالصراع الدائر بين ثلاث دول أوروبية بريطانيا وفرنسا وايطاليا في تلك المنطقة، إذ اتخذت اثيوبيا اتجاهاً مؤيداً لفرنسا ونشاطها المعادي

لبريطانيا ومصر بحكم كونها خاضعة لهم، وأيضاً إيطاليا التي كانت تسير في ذلك الوقت مع بريطانيا، وكان مجال ذلك الصراع بين تلك الدول الأوروبية والأفريقية السودان والثورة المهدية^{(١)(٢)}.

وهكذا يمكن القول ان العلاقات الثنائية في عهد مينليك الثاني^(٣) تحولت (من صراع حربي إلى صراع دبلوماسي سياسي لم ينتج عنه حرب علنية قائمة بين الطرفين آنذاك.

وعند احتضار الإمبراطور يوحنا^(٤)، قبل وفاته تم الاعتراف بأبنة الغير شرعي من جاشا وأوصى به رعيته وقادة جيشه تمهيداً لتتصيبه إمبراطوراً من بعده غير ان ذلك لم يتم، إذ لم يصلوا إلى اتفاق فيما بينهم على ذلك الاتجاه وعاد القادة إلى مملكته تيجرى بعد وفاة يوحنا بالغلابات ولم يكن بينهم من يؤيد من جاشا سوى الرأس^(٥) الولا^(٦) وعندما عاد إلى تيجرى التف شعبه حوله كونهم حاقدين حقداً شديداً على شوا، فضلاً عن اعتقادهم بأنهم سادة اثيوبيا وان تتصيب منليك امبراطوراً يحرمهم من تلك السيادة^(٧).

وعليه، رأى منليك ان من الأنسب في تلك الظروف ان يترك سكان تيجرى لشهور عدة تحت رحمة الاعتداءات الإيطالية بهدف أذلالهم وكسر شوكتهم^(٨).

وبذلك تلاقت مطامع إيطاليا مع اهداف منليك مما أدى إلى عقد معاهدة بينهما تحقق لمنليك من خلالها الارتقاء للعرش وتحقيق مطامع إيطاليا الاستعمارية بشرق افريقيا ، إذ عرفت تلك المعاهدة أوتشالي Ucciali نسبة إلى القرية الأثيوبية التي وقعت فيها^(٩).

ثانياً: معاهدة اوتشالي:

تباحث منليك مع الكونت انتوني في شأن اقامة معاهدة بين إيطاليا واثيوبيا وتم الاتفاق على ابرام معاهدة في الثاني من ايار عام ١٨٨٩ بين الإمبراطور منليك الثاني والكونت بيترو اونتونلي عن جانب الإيطالي في مدينة وتشالة، اثيوبيا^(١٠). تكونت من ثمانية عشر مادة، إلا أن موادها لم تعلن بها أي دولة أخرى، محاولة من إيطاليا لأخفاء مطامعها الحقيقية. إذ ان نسخة كاملة من تلك المعاهدة وصلت إلى الحكومة البريطانية في تشرين الثاني عام ١٨٨٩ بطريقة غير رسمية. اوضحت لهم محاولة فرض نفوذ الايطاليين على اثيوبيا وتأمين مركزهم فيها، وتنفيذ برنامج توسعي في السودان الشرقي^(١١).

مما يعرض حوض النيل للأخطار والأطماع التوسعية إذ نصت إحدى مواد المعاهدة على تنازل اثيوبيا لبعض مناطقها الحدودية لأيطاليا ومنها المناطق الواقعة على الضفة اليمنى لنهر المآرب ومدينتي كيرين واسمرة والطريق المؤدي إلى كسلا ووادي نهر النيل، مما أثار مخاوف بريطانيا الحريصة على امن مصر وحوض نهر النيل ... وفي ذلك الصدد اشار الرحالة الانكليزي وعلى رأسهم سير صمويل بيكر،

ان من يسيطر على اعالي النيل يستطيع ان يسيطر على مصر ^(١٢). ولذلك رياض باشا يضغط على سير ايفيلين يارنج حول ضرورة استرجاع السودان لحاجة مصر الشديدة اليه. إلا أن مصر عجزت عن اعادة فتح السودان بسبب ميزانيتها المطربة فلم تستطع تحمل نفقات فتح السودان ^(١٣).

وهكذا تأثرت مصر ومصالحها في شرق السودان إلى حد كبير بعقد منليك تلك المعاهدة مع ايطاليا بسبب تطلعات ايطاليا في المنطقة على حساب حقوق مصر المسلوبة في مقابل اعتراف ايطاليا بوصاية بريطانيا على مصر وعلى املاكها السابقة ^(١٤).

ومن الجدير بالذكر ان جميع المفاوضات التي اقيمت بين بريطانيا وايطاليا لم يكن هناك تمثيل حقيقي لمصر أو للدولة العثمانية ، بل كانت بريطانيا تتستر وراء مصالح مصر وتعمل على صيانتها الا انها في الواقع كانت تحافظ على مصالحها في منطقة وادي النيل ^(١٥).

وبذلك يمكن القول ان منليك بعقد تلك المعاهدة قد ساهم دون ان يدرك في تدعيم الاحتلال البريطاني لمصر ضاباً محاولات فرنسا في اجلاء بريطانيا، فعلى الرغم من دعمها لحكم منليك في اثيوبيا ، الا انها اضررت بمصر ومصالحها في السودان.

وبعد تلك الأحداث انتهز منليك الفرصة وتوج نفسه في تشرين الثاني عام ١٨٨٩ إمبراطوراً لأثيوبيا ^(١٦). وارسل بعد التتويج إلى دول أوروبا رسائل للحصول على اعترافها بوصفه إمبراطوراً على اثيوبيا ^(١٧). وعلى اثر ذلك بعثت حكومتا بريطانيا والمانيا ببرقيتين متشابهتين إلى منليك اكدتا له ان ذلك التتويج كان لابد ان يتم عن طريق ايطاليا لا بواسطة مباشرة.

ومما اثار ذلك غضب منليك وانتهاز الفرنسيون والروس تلك الفرصة فأطلعتا على الترجمة الإيطالية للمادة السابعة عشر من معاهدة ، امتثالي الخاصة بفرض الحماية على اثيوبيا ^(١٨).

وفي ضوء ذلك غضب الإمبراطور منليك اثر الترجمة الخاطئة للمادة السابعة عشر وأرسل رسالتين إلى ملك ايطاليا احتج في الأولى على الاهانة التي انزلها به الأيطاليون وطلب منه ان يأمر بتصحيح ذلك واعلان ذلك الخطأ للدولة الصديقة التي بلغتها بتلك المادة ^(١٩) .

وطلب في الثانية ترسيم الحدود بين ارتيريا ونيجرى بصورة تدخل فيها الأراضي الواقعة شرقي نهر المأرب في نطاق اثيوبيا وبالرغم من تحول منليك عن صداقته للأيطاليين فأنهم حاولا الحفاظ على صداقته معهم لما في ذلك من تقوية مركز مندوبيها في المؤتمرات الدولية عندما يكون لديهم معاهدة معترف لهم فيها من إمبراطور اثيوبيا في حماية ايطاليا لبلاده، كما استمرت فرنسا في تحريض منليك

على تهديد حقوق مصر في السودان وإعالي النيل^(٢٠)، وبالتالي تهديد الوجود البريطاني في مصر، بهدف دفعه إلى إعادة حدود اثيوبيا القديمة^(٢١). وعلى اثر ذلك أرسل منليك منشوراً في العاشر من نيسان عام ١٨٩١م إلى الحكومات الأوروبية، حدد فيه حدوده الغربية بضم الغضارف وكركوج على النيل الأزرق، ومن كركوج يمتد خط حدود إلى ملتقى نهر السوبات بالنيل الأبيض ومن هناك يسير خط الحدود موازياً للسوبات متضمناً أقاليم اريولا جالا حتى بحيرة سيمورن^(٢٢). وذكر بأنه سيحاول ان يعيد الحدود القديمة لأثيوبيا للوصول للخرطوم وبحيرة نيانزا ، ودعا القوي الأوروبية إلى إعادة حدوده الساحلية أو بعبارة أخرى طرد ايطاليا من ارتيريا، وفي ذات الوقت حذرهم من الاعتداء على بلاده ... وبذلك نستطيع القول ان فرنسا قد نجحت في زعزعة سلطة نفوذ ايطاليا في اثيوبيا، إذ ان موقف ، منليك ومخاطبته قد انهدت من جانبها الصداقة والتحالف مع ايطاليا كما تصاعدت الخلافات بين أثيوبيا وايطاليا إلى حد ان منليك ارسل إلى جميع الدول الأوروبية منشوراً في ٢٧ شباط عام ١٨٩٣ الغى فيه معاهدة اوتشالي المعقودة بينه وبين ايطاليا^(٢٣).

ثالثاً: تحديد الحدود بين السودان واثيوبيا:

تم تحديد الحدود السودانية الأثيوبية من خلال المعاهدة التي عقدت في الخامس عشر عام ١٩٠٢ المتضمنة تحديد الحدود بين اثيوبيا والسودان المصري البريطاني^(٢٤) . ابتداءً من الحدود من فور ام حجر على نهر سنيت إلى القلاجات فالنيك الأزرق جنوب فامكه فنهر بارو ونيبور واكروالي مليل ومنها إلى نقطة تقاطع الخط السادس من خطوط العرض الشمالي مع الخط الخامس والثلاثين من خطوط الطول شرق جرينتش، فيما خضعت الأجزاء السفلى من المطيرة والنيل الأزرق والسوبات للحكم المصري البريطاني في السودان وتعهد منليك قبل ملك بريطانيا بعدم تشييد او السماح بتنفيذ أي بناء في النيل الأزرق^(٢٥)، وبحيرة انسانا او نهر السوبات يكون من شأنه منع جريان المياه إلى النيل الا بالاتفاق مع حكومة جلالة ملك بريطانيا وحكومة السودان، إلى جانب التعهد بعدم السماح لحكومة السودان اختبار قطعة أرض بجوار ايتانج Itang على نهر بارو لايزيد طولها عن ٢٠٠٠م ولا تزيد مساحتها عن ٤٠٠.٠٠٠ الف متر لأحتلالها وإدارتها بوصفها محطة تجارية ما دام السودان خضع للحكم المصري البرياني، وقد اتفقا على الا تستخدم تلك الأرض في الأغراض السياسية أو الحربية. كما وافق منليك على منح الحكومة البريطانية وحكومة السودان الحق في انشاء خط حديدي عبر الأراضي الأثيوبية لربط السودان بأوغندا الناحية الشرقية، كون ان الناحية الغربية منخفضة وكثيرة المستنقعات^(٢٦).

وبموجب تلك المعاهدة، استقرت الأوضاع في حدود السودان مع اثيوبيا، وانعكس ذلك على العلاقات بين مصر واثيوبيا التي تحسنت اخيراً بعد انتهاء مشكلة الحدود التي كانت عاملاً أساسياً لتوتر تلك العلاقات.

رابعاً: موقف مصر من معاهدة ١٩٠٢

استغلت بريطانيا عند احتلالها مصر بتوقيع معاهدة ١٥ مايو عام ١٩٠٢ مع اثيوبيا وتدعيم نفوذها في السودان، إذ وضعت تلك المعاهدة حداً للصراع الدولي بين الدول الأوروبية لصالح بريطانيا، وعدت انتصاراً للسياسة الاستعمارية البريطانية^(٢٧)، إذ لم تستطع الحصول عليها الا بسبب احتلالها لمصر والسودان وادعائها برعاية مصالح مصر في تحديد الحدود مع اثيوبيا، وحقوقها التاريخية والطبيعية في منابع النيل الأثيوبية، فضلاً عن حصولها على مركز تجاري مهم بالقرب من حدود السودان، وتعهدها من منليك قضي بعدم فيضان وتدفق النيل من بلاده إلى السودان ومصر الا بعد موافقتها. وكان ذلك بحد ذاته اعترافاً رسمياً من اثيوبيا بمصالح بريطانيا في تلك المنطقة، وان ثلث اثيوبيا أصبح تحت النفوذ البريطاني^(٢٨).

ويلاحظ على المعاهدة ان الحكومة البريطانية قد تجاهلت حق مصر في التوقيع عليها، وبالرغم من حقوقها الطبيعية التاريخية في منابع النيل الأثيوبية وحقوقها بوصفها شريكة في حكم السودان الا انها وقعت على معاهدة عدوة في عام ١٨٨٤، وذلك لان بريطانيا وطدت احتلالها في مصر واصبحت تتحدث بأسمها وهو مالم تستطع ان تقوم به في بداية عهد الاحتلال^(٢٩). ومما قاد إلى احتجاج خديو مصر وعدم حضور مندوبه للتوقيع على المعاهدة اما السودان فكان له صفة قائمة بذاتها في نظام ادارته حولت التعاقد او الاتفاق بأسمه كما جاء في نصوص المعاهدة إذ ان تلك المسألة من شؤون السيادة عليه أي (مصر وبريطانيا) ولو انه تعاقد بتلك الصفة لكان الحاكم العام له هو المتحدث عنه الا ان المتحدث كان ممثلاً ببريطانية ولم يكن لينقل بذلك الامر دون خديو مصر^(٣٠). وقد نتج عن التجاهل البريطاني لمصر في الأمور المتعلقة بالسودان، وقوع خلافات عديدة بين اللورد كرومر والخديو عباس حلمي الثاني. نتيجة ارتباط المصالح بين مصر وبريطانيا في تحديد حدود السودان وتنميته اقتصادياً والحفاظ على منابع النيل الأثيوبية^(٣١)، الامر الذي جعل الحكومة المصرية الخاضعة لبريطانية لاتحفل كثيراً باحتجاج الخديو ، او بعبارة اخرى انها وافقت على المعاهدة بل انها تقوم به بجميع الإجراءات التي تروم بريطانيا بتحقيقها^(٣٢).

خامساً: تأسيس بنك الحبشة:

سعت بريطانيا بعد دعمها لنفوذها السياسي في اثيوبيا بمعاهدة ١٥/ايار/١٩٠٢^(٣٣)، إلى تدعيم نفوذها الاقتصادي أيضاً، فحاولت استقطاب التجارة الأثيوبيا إلى السودان ومصر عن طريق المحطة التجارية التي حصلت عليها في المعاهدة المذكورة في حدود السودان مع اثيوبيا، بدلاً عن ميناء جيبوتي الفرنسي^(٣٤).

وعلى هذا اصبح من الضروري انشاء نظام مصرفي في البلاد لاسيما بعد تأسيس العاصمة اديس ابابا وانفتاح البلاد على العالم الأوربي وبالذات بعد انتصار عدوة، وتدفع الأوربيين عليها، رفض منلين أول مشروع لتأسيس بنك اثيوبي لأن مقدمه كان فرنسياً، على ان ضرورة وجود بنك اثيوبي عادة إلى الظهور مرة اخرى في اوائل شهر مايو عام ١٩٠٣ جعلت منليك يطلب في أوائل من ايار ١٩٠٣ من المعتمد البريطاني هارينجتون انشاء بنك اثيوبي بوصفه بداية لتأسيس نظام مصرفي في اثيوبيا فطلب المعتمد البريطاني من حكومته المساعدة والتدعيم في انشاء ذلك النيل^(٣٥). إذ ارسل هارينجتون برقية إلى وزارة الخارجية البريطانية عارضاً عليها رغبة الإمبراطور الأثيوبي تلك والتعهد بتنفيذها رجال المال والتجارة في بريطانيا إذ حول طلب بعد عام ونصف إلى اللورد كرومر في مصر إلى السير الوين بالمر Sir Eluin Palmer مدير البنك الأهلي المصري موضحاً له ان منليك اعطى امتياز لمدة خمسين عاماً لشركة مصرفية لها اختصاصات تتعلق بالمصارف^(٣٦).

وبعد وصول الامتياز إلى البنك الأهلي المصري، وتقديم ماك جيلفرى تقريره في ١٥/اذار/ عام ١٩٠٥ مذكياً قيام بنك الحبشة، سعى المسئولون في البنك الأهلي المصري إلى الحصول على ديكرينو من الخديو عباس حلمي الثاني السماح بأقامة البنك طبقاً للقانون المصري^(٣٧)، وبالفعل صدر الدكريز في ٣٠ ايار عام ١٩٠٥ ، الذي وافق على عقد الشركة الأبتدائية المحرر بصفة عرقية في القاهرة في ٢٩ ايار من العام ذاته بين الأجانب سير الدين بالمر، ف، ت. رولت، وماك جيلفرى وجميعهم من رعايا بريطانيا، وبوهو بفار، روفائيل فنرى، هيمبرت ايبانو وهم من رعايا ايطاليا، الفريد فييت من رعايا المانيا، والمقيمين في القاهرة إذ أسسوا شركة مساهمة مصرية سميت (بنك الحبشة)^(٣٨).

وهكذا جاء بنك الحبشة على انه فرع للبنك الأهلي المصري، وله وضعه الخاص بإدارة اديس ابابا والقاهرة، وعين محافظاً له ومدير تنفيذي تمثل بسماك جيلفرى وهيئة ادارية مكونة من جنسيات مختلفة غلبت عليهم الجنسية البريطانية^(٣٩)، والبالغ عددهم ثمانية ، اثنان من الأثيوبيين فقط ، منهم

منليك للرئيس الشرقي للبنك الرأس تساما بدلاً عن ماكونين الذين توفى عام ١٩٠٦، اما بقية العاملين في البنك كانوا من اليونانيين والأيطاليين والفرنسيين والبريطانيين^(٤٠).

وبمجرد اعلان تأسيس البنك بدأت اجراءات طرح اسهمه للاكتتاب العام وتحديد أول شهر تشرين الثاني عام ١٩٠٥ موعداً لبدء بيع اسهمه في مصر وسائر العواصم الأجنبية الأخرى إذ بلغ عدد الاسهم ١٠٠٠.٠٠٠ سهم قيمة كل سهم منها خمسة جنيهات، واخذت المجموعة المصرية البريطانية ربع تلك الاسهم، والمجموعة الفرنسية والأيطالية الربع الثاني منها^(٤١)، وعلى أثر ذلك افتتح الإمبراطور منليك البنك في ١٥ شباط عام ١٩٠٦، في قصر الرأس ماكنين، والذي عد المركز الرئيسي للبنك حتى ك ٢ عام ١٩١٠ عندما انتقل إلى مبنى جديد صممه وبناءه المهندسون الإيطاليون، كذلك انشئت فروع للبنك في ديرداوا في عام ١٩٠٨ وجورى وجامبيل، سايو Sayo في عام ١٩١٢، وفي دبسى وجيبوتي عام ١٩٢٠^(٤٢).

وقد ظل البنك خاضعاً للبنك الأهلي المصري طوال تلك المدة (١٩٠٦-١٩٣١) في ادارته وتوجيه سياسته ، إذ تم تأميمه عام ١٩٣١ واصبح خاضعاً إلى الحكومة الاثيوبية منذ ذلك التاريخ، وكانت جمعيته العمومية تعقد في مصر سنوياً بمقر البنك الأهلي المصري بالقاهرة^(٤٣).

سادساً: موقف مصر من المعاهدة الثلاثية ١٩٠٦:

يعود التفكير في ان تنفذ الدول الثلاث (انكلترا وفرنسا وايطاليا) عملاً مشتركاً ازاء اثيوبيا إلى منتصف عام ١٩٠٢ أي إلى وقت توقيع المعاهدة البريطانية الاثيوبية في ١٥ مايو عام ١٩٠٢ وكان هذا العمل المشترك كما صرح ماتيني حاكم مستعمرة ارتيريا الايطالي هو مساعدة واختيار من يخلف منليك على عرش اثيوبية^(٤٤). على ان بريطانيا خاض من ذلك الوقت على من ان تنجح فرنسا في تعيين مرشحها او قد يؤدي هذا العمل إلى تقسيم اثيوبيا وبالتالي تهديد مصالح بريطانية ومصر وتلى ذلك ان دخلت الدول الثلاث الأوروبية في مفاوضات اشترك بها اللورد كرومر معتمد بريطاني في مصر الذي حرص في هذه المفاوضات على الحفاظ على حقوق مصر وبريطانيا في منابع النيل الاثيوبية وصيانة وحدة اثيوبيا وتحديد الحدود الغربية للنفوذ الفرنسي السياسي في اثيوبيا^(٤٥). وظلت المفاوضات جارية بين الدول الثلاث بشأن تحديد مناطق النفوذ لكل منها في اثيوبيا حتى الرابع من يوليو ١٩٠٦ ، بعد تاريخ توقيع المعاهدة الثلاثية الذي تزامن مع ازدياد خطر التغلغل الألماني في المنطقة ذاتها من خلال تمويل مشروع السكك الحديد^(٤٦). وعلى الرغم من ان الجانب الاثيوبي اعلن رفضه ، فقد اعلن منليك رفضه

المعاهدة الملزمة له من حيث التطبيق لبنودها كافة ، وأصبحت سارية بعد توقيعها النهائي في ١٣ ك ١٩٠٦. إذ اكدت تقسيم اثيوبيا إلى ثلاث مناطق نفوذ للدول الأوربية الثلاث، فشملت المنطقة البريطانية إقليم بحيرة تسانا وحوض النيل الأزرق، والمنطقة الفرنسية تمثلت الخط الحديدي الممتد من أديس ابابا إلى جيبوتي، والمنطقة الإيطالية تمثلت البعثة ، من الأرض شريط الصومال الإيطالي بارتيريا ... كما جاء في المادة الرابعة من تلك المعاهدة انه اذا حدث اضطراب يؤدي إلى انقلاب فعلي في الدول الثلاث فعليها بذل الجهود للاحتفاظ بوحدة البلاد الأثيوبية، وضمان سلامة ثلاثة امور متمثلة بمصالح بريطانيا ومصر في وادي النيل ولاسيما ما يختص بمجرى مياهه^(٤٧).

والثاني مصالح ايطاليا في الصومال وبنادر وغيرها من المستعمرات الأخرى والثالث مصالح فرنسا في سواحل الصومال والخط الحديدي بين جيبوتي - اديس ابابا والعمل عليه - اما المادة الأخيرة فتمنع من تشكيل احدى تلك الدول نظاماً يضر بمصالح الدولتين الأخيرتين^(٤٨).

ويلاحظ في تلك المعاهدة ان بريطانيا تجاهلت مصر مرة أخرى في التوقيع عليها مثلما تجاهلتها في معاهدة عام ١٩٠٢ مع ان مصر اهتمت باستقرار الحالة السياسية في اثيوبيا حرصاً على مصالحها في وادي النيل وحدودها المشتركة في السودان مع اثيوبيا، والتي تستأثر بالطبع في حالة حدوث الاضطرابات الداخلية فيها، ويلاحظ ان توقيع الدولتين الأخيرين (فرنسا وايطالي) على المعاهدة هو اعتراف منها بأحتلال بريطانيا لمصر لأنه كما جاء في المادة الرابعة ما معناه ان مصالح بريطانيا واحدة وان توقيع الأخيرة على المعاهدة يعني انها صاحبة السيادة على الأولى. ويلاحظ كذلك على المعاهدة ان تقسيما لمناطق النفوذ كان لتلافي الخطر الذي قد ينجم عن تصادم المصالح بين الدول الثلاث في حالة انهيار البلاد^(٤٩).

واذا نظرنا إلى طبيعة العلاقات الثنائية المصرية الاثيوبية ضمن تلك المدة التاريخية، وابتداءً من عام ١٩٠٢، وحتى عام ١٩٢٢، نجد ان تلك العلاقات لم تكن متينة ومتطورة مثلما كانت في القرن ١٩ ويرجع سبب ذلك إلى كثرة الاضطرابات التي عمت اثيوبيا ونشوب الحرب العالمية الأولى فيما بعد، فضلاً عن انشغال مصر بثورة ١٩١٩ .. الا انها اتخذت شكلاً جديداً على الصعيد السياسي بعد عام ١٩٢٢ والمتسم بقوة العلاقات سياسياً واقتصادياً وحيوياً.

الخاتمة

تطورت العلاقات السياسية بين البلدين بصورة كبيرة بعهد منليك فقد تحولت العلاقة بعهد من صراع حربي الى صراع دبلوماسي سياسي لم يؤد الى حرب علنية قائمة بين طرفين . فقد انتهج سياسة جديدة تختلف عن السابق من خلال عقد عدة اتفاقيات بين الدول الاوربية ومصر وبهذه السياسة استقرت الاوضاع في تلك الفترة

اما الفترة الممتدة بين ١٩٠٧ - ١٩٢٢ اخذت العلاقات المصرية الاثيوبية بالركود ولم تتطور بالشكل المرسوم لها اذ لم تكن متينة ومتطورة مثلما كانت في القرن التاسع عشر كونها شهدت اضطرابات كثيرة في اثيوبيا فضلا عن ان الاثيوبيين نظروا الى مصر نظرة دينية وليست نظرة سياسية للحصول على تايبيد الكنيسة المصرية في صراعاتهم الداخلية الى جانب ذلك عدم محاولة مصر التدخل في صراعات اثيوبيا الداخلية ونشوب الحرب العالمية الاولى فيما بعد وانشغال مصر في ثورة ١٩١٩ .

الهوامش :

(1) Mathew, D. : Ethiopia the Study of Polity, P.225.

(2) الثورة المهدية: اعلن محمد احمد المهدي ثورة ضد القوى الحاكمة في السودان في آب ١٨٨١ وكان المهديون يدعون الى بعث نقاوة الاسلام واقامة المساواة العامة والاخوة واعادة تقسيم الاموال والممتلكات بصورة متساوية المصريين مع السودانيين حقق المهدي عدة انتصارات على القوات المصرية والانكليزية عام (١٨٨٥) وتمكن في هذا العام من السيطرة على الخرطوم وقتل الجنرال جوردون ، وفي العام نفسه توفي المهدي .

f.Wingate ,Mahdism and Egyptian Sudan, Fran Cass, London, 1968. Pp.16-17.

(3) منليك الثاني : ملك اقليم شوا منذ عام ١٨٦٢ كان رهينة لدى الملك فيودور الثاني ، استطاع الهرب الى مملكة ابيه بعد الاضطرابات التي حدثت في مجدلا بعد عام ١٨٦٨ ، استطاع توسيع املاك اثيوبيا عام ١٨٨٩ ، هزم الايطاليين في معركة عدوه عام ١٨٩٦ ، اصيب بالشلل عام ١٩٠٦ مما اقعه عن ممارسة حكمه توفي ١٩١٣ .

Kofidark wah, mnilek and the Eethiopim Empire 1889-1913, Londo Heinenmann, 1975,p.8-20.

(٤) يوحنا : استطاع الوصول لحكم بعد صراع مع الحكام الاثيوبيين وبعد وفاة ثيودور قام بالقضاء على منافسيه ، الا انه واجه منافسه شديدة من منليك الثاني ملك اقليم شوا لذلك عقد اتفاقية معه عام ١٨٨٢ يتولى بها منليك ولاية العهد على ان يكون خاضعا ليوحنا، شهد عهده العديد من الحروب بين اثيوبيا ومصر ، المهديين، قتل في معركة القلابات عام ١٨٨٩.

Zewde Japre Sellassie ,Yohannes, Of Ethiopia Apolitical Piography, Oxford, Clarendon , 1975, p.10-20.

(٥) الراس: لقب يطلق على حكام الولايات او كبار الامراء ، وزعماء القبائل او قادة الجيش في اثيوبيا.

(6) Mathew, Op. Cit., P.226.

(7) Berekeley. G. The Cam Paign of Adowa and the ris of Menelik, P.9.

(٨) علي إبراهيم عبده، المنافسة الدولية في اعالي النيل (١٨٨٠-١٩٠٦)، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٨، ص ١١٠.

(٩) رجب حراز ، الأستعمار الإيطالي في شرق افريقيا، ص ٢٤٧.

(١٠) محمد فؤاد شكري، مصر والسودان، ص ٤٢٠.

(11) Shibik, M. British Poicy in the Sudan 1882-1902, London, 1952, P.319.

(١٢) فاروق عثمان اباطة، المصدر السابق، ص ٥٢٣.

(١٣) علي محمد بركات، السياسة البريطانية واسترداد السودان (١٨٨٩-١٨٩٩)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧، ص ٦٨٦.

(14) Shibik, M. : Op. Cit., PP.331-332.

(15) Marcus, H. Ethio-British Negotions Concerning Western border with Sadan, 1896-1902, P.81.

(16) Longriggis: Op. Cit., P.120.

(١٧) رجب حراز ، الاستعمار الايطالي في شرق افريقيا، ص ٢٦٨.

(18) Berekeley, G. : Op. Cit., PP.32-33.

(١٩) علي إبراهيم عبده، المصدر السابق، ص ١٦٦.

(٢٠) رجب حراز ، التوسع البريطاني في شرق افريقيا، ص ٣٠٠.

(٢١) علي إبراهيم عبده، المصدر السابق، ص ١٦٠.

(22) Green Field, R. Ethiopia anew Political History, PP.969-465.

- (٢٣) رجب حراز ، التوسع البريطاني في شرق افريقيا، ص ٣٠٨-٣١٤.
- (٢٤) محمد محمود السروجي، المصدر السابق، ص ٢١٦-٢١٧.
- (٢٥) علي محمد بركات، المصدر السابق، ص ١٨٣.
- (٢٦) علي إبراهيم عبده، المصدر السابق، ص ٣٣٨-٣٣٩؛ محمد محمود السروجي، المصدر السابق، ص ٢١٨.
- (٢٧) علي إبراهيم عبده، المصدر السابق، ص ٣٢٨.
- (28) Greenneid, R: Ethiopia Anew Pditicol History, P.125.
- (٢٩) علي إبراهيم عبده، المصدر السابق، ص ٣٢٩.
- (٣٠) محفظة ٣ السودان، ملف السودان، ج ٢، مذكرة عن الحدود بين السودان واثيوبيا، فبراير عام ١٩٤٧.
- (٣١) علي إبراهيم عبده، المصدر السابق، ص ٣٣٠.
- (32) Hertslet, E. Op. Cit., P.130.
- (٣٣) اللورد كرومر: تقرير عن المالية والإدارة والحالة العمومية في مصر والسودان، سنة ١٩٠١، ص ١٠٠.
- (٣٤) علي إبراهيم عبده، المصدر السابق، ص ٣٣٧.
- (35) Pankhhurst, B. Op. Cit., P.495.
- (36) Ibid, Op. Cit., P.250.
- (٣٧) الوقائع المصرية، العدد ٦٢، القاهرة، ٥ يونيو سنة ١٩٠٥.
- (٣٨) الوقائع المصرية، العدد ٦٣، القاهرة ٣ يونيو سنة ١٩٠٥.
- (٣٩) رمزي نادر، كتاب حاضر الحبشة ومستقبلها، القاهرة، ١٩٢٠، ص ٥٠-٥١.
- (40) Powel, A. : Op. Cit., P.293.
- (41) Pankhurst, R. Op. Cit., P.496.
- (42) Pankhurst, R. Op. Cit., P.497.
- (43) Marcus, H. Op. Cit., P.205.
- (44) Ibid, Op. Cit., P.206.
- (٤٥) علي إبراهيم عبده، المصدر السابق، ص ٣٤٣.
- (٤٦) صلاح الدين حافظ، صراع القوى العظمى حول القرن الأفريقي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٢، ص ٧٠.
- (47) Mac Callam E.P., ivalries in Ethiopia, P.35.

(48) Marcus, H. Op. Cit., PP.211-212.

(٤٩) زاهر رياض، تاريخ اثيوبيا، ص ١٣٠-١٣١.

قائمة المصادر والمراجع:

1- Mathew, D. : Ethiopia the Study of Polity, P.225.

2- Mathew, Op. Cit., P.226

3- Berekeley. G. The Cam Paign of Adowa and the ris of Menelik, P.9.

٤- علي إبراهيم عبده، المنافسة الدولية في اعالي النيل (١٨٨٠-١٩٠٦)، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٨، ص ١١٠.

٥- رجب حراز، الأستعمار الإيطالي في شرق افريقيا، ص ٢٤٧.

٦- محمد فؤاد شكري، مصر والسيادة على السودان الوضع التاريخي للمسألة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤١، ص ٤٢٠.

7- Shibik, M. British Poicy in the Sudan 1882-1902, London, 1952, P.319.

٨- فاروق عثمان اباطة، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر (١٨٣٩-١٩١٨)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦، ص ٥٢٣.

٩- علي محمد بركات، السياسة البريطانية واسترداد السودان (١٨٨٩-١٨٩٩)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧، ص ٦٨٦.

10- Shibik, M. : Op. Cit., PP.331-332.

11- Marcus, H. Ethio-British Negotions Concerning Western border with Sadan, 1896-1902, P.81.

12- Longriggis: Op. Cit., P.120.

١٣- رجب حراز ، الاستعمار الايطالي في شرق افريقيا، ص ٢٦٨.

14- Berekeley, G. : Op. Cit., PP.32-33.

١٥- علي إبراهيم عبده، المصدر السابق، ص ١٦٦.

١٦- رجب حراز ، التوسع البريطاني في شرق افريقيا، ص ٣٠٠.

١٧- علي إبراهيم عبده، المصدر السابق، ص ١٦٠.

18- Green Field, R. Ethiopia anew Political History, PP.969-465.

١٩- رجب حراز ، التوسع البريطاني في شرق افريقيا، ص ٣٠٨-٣١٤.

٢٠- محمد محمود السروجي، العلاقات بين مصر واثيوبيا خلال القرن التاسع عشر، مطبعة المصري، الإسكندرية، ١٩٦١، ص ٢١٦-٢١٧.

٢١- علي محمد بركات، السياسة البريطانية واسترداد السودان (١٨٨٩-١٨٩٩)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧، ص ١٨٣.

٢٢- علي إبراهيم عبده، المصدر السابق، ص ٣٣٨-٣٣٩؛ محمد محمود السروجي، المصدر السابق، ص ٢١٨.

٢٣- علي إبراهيم عبده، المصدر السابق، ص ٣٢٨.

24- Greenneid, R: Ethiopia Anew Pditicol History, P.125.

٢٥- علي إبراهيم عبده، المصدر السابق، ص ٣٢٩.

٢٦- محفظة ٣ السودان، ملف السودان، ج ٢، مذكرة عن الحدود بين السودان واثيوبيا، فبراير عام ١٩٤٧.

٢٧- علي إبراهيم عبده، المصدر السابق، ص ٣٣٠.

28- Hertslet, E. Op. Cit., P.130

٢٩- اللورد كرومر: تقرير عن المالية والإدارة والحالة العمومية في مصر والسودان، سنة ١٩٠١، ص ١٠٠.

٣٠- علي إبراهيم عبده، المصدر السابق، ص ٣٣٧.

31- Pankhurst, B. Op. Cit., P.495.

32- Ibid, Op. Cit., P.250

٣٣- صحيفة الوقائع المصرية، العدد ٦٢، القاهرة، ٥ حزيران عام ١٩٠٥.

٣٤- صحيفة الوقائع المصرية، العدد ٦٣، القاهرة ٣ حزيران عام ١٩٠٥.

٣٥- رمزي نادر، كتاب حاضر الحبشة ومستقبلها، القاهرة، ١٩٢٠، ص ٥٠-٥١.

36- Pankhurst, R. Op. Cit., P.496.

37- Pankhurst, R. Op. Cit., P.497.

38- Marcus, H. Op. Cit., P.205.

39- Ibid, Op. Cit., P.206.

٤٠- علي إبراهيم عبده، المصدر السابق، ص ٣٤٣.

٤١- صلاح الدين حافظ، صراع القوى العظمى حول القرن الأفريقي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٢، ص ٧٠.

42- Mac Callam E.P., ivalries in Ethiopia, P.35.

43- Marcus, H. Op. Cit., PP.211-212.

٤٤- زاهر رياض، تاريخ اثيوبيا، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٦ ص ١٣٠-١٣١.

تجارة اكسوم مع بعض الدول

م.م. غادة فاضل علي

أ.د. سهيلة مزبان حسن

تجارة اكسوم مع بعض الدول

م.م. غادة فاضل علي

أ.د. سهيلة مزبان حسن

التجارة مع اليمن:

وتجارة اكسوم قديمة مع جيرانهم اليمانيين^(١). فقد ذكرنا سابقاً قرب المسافة وقصرها بين اليمن والحبشة هو البحر الاحمر ومضيف باب المندب الذي لم يكن يشكل عائقاً كبيراً بين الشاطئين. وهناك امور طبيعية ساعدت على سهولة الاتصال، فقد عرف الانسان ركوب البحر منذ فترة قديمة سبقت الميلاد، ووجدت ظواهر طبيعية منها وجود البحار وهبوب الرياح الموسمية على هذا الجزء باذات مما سهل انتقال السفن ما بين شبه الجزيرة العربية وبين الاجزاء الشرقية للقارة الافريقية^(٢). فكان عمل السبئيين دور الوسيط في نقل البضائع من الحبشة الى الشام والعراق^(٣). (واقام حكام سبأ مستوطنة لهم على سواحل افريقيا المقابلة للجزيرة العربية هي مملكة اكسوم)^(٤) فنلاحظ ان الاحباش حاربت اليمن وسيطرة عليها حوالي مرتين وكان من وراء ذلك الاستيلاء على ثرواتها الاقتصادية والتجارية كونها تقع على اهم الطرق التجارية التي تربط بين الهند اي اسيا وافريقيا الى البحر الابيض المتوسط^(٥). وابرز ما قام به (عيزانا ملك اكسوم) خلال حكمه في القرن الرابع الميلادي بحملات ناجحة على مناطق اليمن الساحلية لشعوب حمير وريدان وسبأ وسيطر عليها لحماية تجارته^(٦). وعبر موسكاتي^(٧): ان هناك نقوش عربية جنوبية وجدت في اثيوبيا، ونقوش اثيوبية ويونانية خلفها ملوك اكسوم، وهذه النقوش تسجل احداثاً قام بادوارها الاكسوميون عبر البحر الاحمر. وفي السنوات الالف الاولى قبل ميلاد المسيح استقر سكان حافة الجزيرة العربية الاولى الذين بعثوا بملكة سبأ الى سليمان واحتكروا التجارة البحرية في سواحل بلاد العرب وافريقية والمحيط الهندي في شمال اثيوبيا وانشأوا مملكة اكسوم القوية^(٨). وكانوا الامراء العرب من سلالة ملكة سبأ بجنوب الجزيرة هم اول القادمين للتجارة لا لغزو وكانوا يداومون في تجارتهم واختلطوا باهل الساحل وتزوجوا منهم واقاموا محطات تجارية^(٩).

وكانت سفن سيراف وعمان في تجارة منتظمة مع شرق افريقيا، فتسير السفن على طول الساحل حتى عدن ثم حول ساحل الصومال، والتوقف في ميناء عدن الكبير يجلب النفع، وكان العرب ينحدرون على طول الساحل الشرقي الافريقي الى ارض الزنج طلباً للرقيق والعنبر^(١٠).

وقد اشتغل العرب منذ قبل الميلاد بالوساطة التجارية بين بالدول والموانئ التي يسافرون ويتنقلون اليها وفيما بينها وقايضوا سلعة اخرى وخاصة تلك التي يحصلون عليها من الصين والهند^(١١).

وكانوا التجار العرب يخلطون منتجات الهند بمنتجات بلاد الصومال وارثيريا ومملكة اكسوم (كانت قديماً تعتبر بلاد واحدة) والتي كانوا يوجهونها بقوافل، اما باتجاه سوريا عن طريق مأرب - واما باتجاه طيبة عن طريق وادي الجازوس^(١٢).

وهذه العلاقات التجارية لم تتوطد وتقم الا بنزوح العرب الى شرق افريقية واستقرارهم فيها وتأسيسهم امبراطورية عربية تنشر نفوذها على الساحل الشرقي الافريقي^(١٣).

فجاءت هذه الافواج العربية من الجنوب تحمل مظاهر الحضارة السبئية الزاهرة وعلموا السكان استعمال المعادن وانظمة الري والزراعة وفن الكتابة وجلبوا حيوانات معهم، واصبحت المرتفعات الشمالية من الحبشة مركزاً لنشر التجارة الراقية، كما فرضوا لغتهم العربية وثقافتهم ثم اختلطوا معهم وتزوجوا، فحمل المعنيون والسبئيون لواء التجارة في البحر الاحمر حتى وصلوا وادي النيل^(١٤).

بالرغم من طرد الاحباش من اليمن ونهاية سيطرتهم، استمرت العلاقات التجارية والاجتماعية بينهما مزدهرة حتى ظهور الاسلام، وقيام الدولة العربية الاسلامية بالسيطرة على الطرق التجارية في البحار القريبة المحيطة والدول ايضاً حتى اخذت اليمن تجهز بلاد الحبشة بالامتعة اللازمة التي يحتاجها التجار^(١٥).

وزيد مدينة من تهائم اليمن، من فرضة اليمن ومجمع التجار من الحجاز ومصر والحبشة، وعدن المدينة الاكثر اهمية من اعظم المراسي باليمن على ساحل البحر محط رحال التجار، بحيث لا يخلو اسبوع من عدة سفن وتجار واردين عليها وبضائع ومتاجر متنوعة^(١٦)، مما يؤكد ان السفن التجارية كانت وظلت في حركة دائمة بين ساحل الحبشة وموانئها وبين عدن في اليمن تحمل البضائع والسلع^(١٧).

وينقل لها متاع السند والهند والصين اضافة للزنج والحبشة وفارس^(١٨).

واشار ابن حوقل^(١٩): فلا تنقطع هداياها ومبارها اذ كان ملوك اليمن يتسلمون الهدايا من ملكة

الحبشة، مما يدل على عمق العلاقات اليمنية والحبشية.

التجارة مع البجة والنوبة:

ارض البجة: هي ديار صغيرة تمر في الجنوب بين نهر النيل وبحر القلزم وهم فيما بين الحبشة والنوبة، والنوبة- فلها حد الى ارض مصر من نواحي الصعيد وحد الى هذه البرية التي بين ارض السودان ومصر، وحد لها الى ارض البجة وبراري بينها وبين القلزم، ارض لا تسلك^(٢٠).
واوضح Budge^(٢١): ان كوش او النوبة ذلكما البلدين هما متصلان من دون شك جغرافياً وعرقياً، وان كلاً منهما مسكونين من اناس من ذوي الوجوه المحروقة ذات البشرة الداكنة اي اللون البني او الاسود.

والبجة بشرتهم اشد سواداً من الحبشة في زي العرب لا قرى لهم ولا مدن ولا زرع الا ما ينقل اليهم من مدن الحبشة ومصر والنوبة من تجارات مختلفة^(٢٢). والبجا هم من اصفر السودان لوناً، وموطنهم في جنوبي صعيد مصر مما يلي الشرق، فيما بين بحر القلزم ونهر النيل، بالقرب من الديار المصرية، يسكنها التجار^(٢٣).

اما بلاد النوبة مما يلي مصر في نهاية جنوبها مما يلي المغرب على ضفتي النيل الجاري الى مصر، على الجانب الجنوبي بينها وبين النوبة جبال منيعة، والوانهم تميل الى الصفاء وبعضهم شديد السواد^(٢٤).

والنوبة مدينة كبيرة ومجمع تجار النوبة والحبشة^(٢٥).

وكانت البضائع تحمل من بلاد الحبشة الى باضع^(*) في البجة، فيبيعون ويشترون^(٢٦). فليس هناك مجال لمقارنة تجارة الاكسوميين والنوبيين فضلاً عن البجا وغيرهم، من حيث القيمة المادية بتجارة بيزنطة وايران لذلك العهد^(٢٧).

التجارة مع مصر:

في ضوء الشواهد التاريخية والاثرية ان العلاقة بين مصر والاجزاء الجنوبية منها تتعلق بالتجارة، فمثلاً استغلال ذهب النوبة من التلال الواقعة بين النيل والبحر الاحمر فقد بدأ في فترة ما قبل عهد الاسرات، وكانت هناك علاقات منتظمة بسواحل ارتيريا والصومال وجنوب شبه الجزيرة العربية حيث انها كانت تنتج اصناف من البخور يشعلونها بكميات وفيرة في المعابد المصرية، وكانت الطرق البرية خلال النوبة اقدم من ذلك بكثير وكانت تستخدم وادي النيل ووادي عطبره، والتجار حملوا معهم الماعز والفؤوس الحجرية الى زنج شاهيناب، وفي بداية عصر الاسرات كانت مصر تزخر بانواع شتى من البضائع

كالعاج والابخشاب الصلبة، وتروي النقوش بنحو ٢٢٧٥ ق.م ان حرخوف وهو خادم الفرعون مرنرع (من الاسرة السادسة ٢٢٤١-٢٢٤٢ ق.م) قد قام باربعة حملات الى الجنوب وعاد وهو محمل (٣٠٠ حمار) بالبخور والابنوس والعاج والجلود (البومر انجات)^(*) حتى انه جلب معه احد الاقزام اي ربما استطاع ان يتوغل جنوباً حتى النيل الازرق وهي مناطق جنوب الحبشة^(٢٨).

وقد ذكر Budge^(٢٩): ان (آسا) من السلالة الخامسة قامت ألتهه باستت بجلب الاقزام الى مصر من ارض الارواح.

وكانت الحبشة يتقايضون مع بلاد النوبة والمصريين بالذهب والعاج وجلود الحيوانات وخشب الابنوس والاحجار الثمينة مقابل حصولهم على الطعام وضروريات الحياة الاخرى. ذكر العمري^(٣٠): ان النوبة تلي مصر في نهاية جنوبها على ضفتي النيل الجاري الى مصر، وقاعدتها دنقلة ومدنها اشبه بالقرى.

فالنوبة اذن تقع على مفترق طرق افريقي بالغ الاهمية مما يجعلها ملتقى للحضارات القائمة في الشرق والغرب والشمال والجنوب من افريقيا فضلاً عن حضارات الشرق الادنى وحضارات اسيا واوربا، والبحوث الاثرية اظهرت ان المنطقة من (حافة المرتفعات الاثيوبية في الجنوب حتى الجزء المصري من النيل في الشمال)^(*) تسودها نفس الثقافات او متقاربة نوعاً ما^(٣١).

وعرف العرب سكان وادي النيل من اسوان الى جنوبي الخرطوم الحالية باسم النوبة^(٣٢). وعليه فاللحبشة علاقاتها التجارية القديمة بمصر الفرعونية عن طريق البحر الاحمر من ارتيريا، او عن طريق النيل بالصعود حول مجاري العطبره او بجوار نهر دندر^(٣٣).

لذا فان مصريي الدولة القديمة كانت لهم صلات بافريقيا الوسطى (شمال اثيوبيا)، وان النوبة وسكانها قد اسهموا اسهاماً كبيراً حتى تصبح الصلات ممكنة^(٣٤). وكانت النوبة (زمن الفراعنة) مقسمة الى منطقتين شاسعتين الاولى بين نحن (في مصر العليا) والجنبل الثاني التي تعرف باسم (واوات)، ثم جميع المنطقة الواقعة جنوباً بين الجنبلين الثاني والرابع تسمى (كوش)^(٣٥).

ولم يلبثوا المصريون ان استخدموا (كوش) اسماً للدلالة على بلاد جنوبية واسعة، فقد كانت بالاصل منطقة نوبية محدودة ورد ذكرها لأول مرة في عهد الدولة الوسطى^(٣٦). اي في منطقة النيل الاوسط^(٣٧). يراجع خارطة رقم (٢) (النوبة في عهد الدولة الحديثة).

خارطة (٢) عن مملكة كوش والجنادل وكرمه والدولة الوسطى



النوبة في عهد الدولة الحديثة

من رسم الباحثة خارطة من الفصل التاسع من ضمن كتاب افريقيا العام، النوبة قبل نباتا بقلم نجم الدين محمد شريف، المجلد الثاني، ص ٢٧٣.

وقد كانت مملكة كوش تهيمن على النوبة بأسرها جنوباً بعد انهيار الدولة الوسطى في مصر على اثر غزو الهكسوس، ثم انتهى امرها عندما فتح تحتمس الاول النوبة الى ما وراء الجندل الرابع^(٣٨). والاسم الجغرافي لكوش يرتبط بكرمه^(٣٩)، لان الرموس التي وجدت في مدافن كرمه تظهر بوضوح انها حكام وطنيين اقوياء كانت لهم علاقات تجارية ودبلوماسية مع ملوك الهكسوس في مصر، فالمرجح ان كرمه هي عاصمة مملكة كوش^(٣٩).

نستنتج اهمية النوبة الاقتصادية في عهد الدولة الوسطى اذ ان زاد نشاطهم باستخراج المعادن من النوبة للحصول على العقيق الاحمر والفيروز والصوان اضافة للنتاج الرئيسي كان الذهب في مناطق

حول وادي العلاقي ووادي قبقيه في الصحراء الشرقية على طول وادي النيل، وكانت الواردات المصرية من النوبة تشمل العاج والابنوس والبخور والزيت وغيرها كثير^(٤٠).

والاسرة الخامسة والعشرين او (الاسرة الاثيوبية) وهي قد انحدرت اصولها من بعض اللاجئين المصريين الذين قدموا من طيبة، وهناك بعض التشابه الاسماء في البلاط الاثوبي وفي الاصل ترجع هذه الاسرة الى اصل ليبي وربما كانوا خلفاء لملوك كرمه القدامى^(٤١).

وتمتد النوبة الاصلية قلب الامبراطورية (على طول نهر النيل عبر اودية نباتا، ودنقلة، وكرمه)، ونباتا^(*) هي العاصمة الاولى والقديمى لامبراطورية كوش وزادت فيها الصبغة الافريقية وظلت محتفظة باسمها كوش القديم، وهي حضارة افريقية ارتبطت بالحضارة المصرية، ولها تيارات ثقافية من البحر المتوسط وخاصة (بعد تأسيس الاسكندرية)(٤٢)، وقد ورد كوش في (التوراة في اعمال الرسل، الاصحاح الثامن، عن رجل حبشي...) ان هذه المنطقة المشار اليها هي فوق الجندل الاول (النوبة او السودان المصري) اي بلاد كوش ومروى قد عرفت في اصقاع بعيدة بعلاقات مع العالم الخارجي^(٤٣).

واطلق اسم كوش على الاقليم الواقع جنوبي وادي حلفا وعاصمته نباتا ويحكمه نائب ملك ويحمل لقب (صاحب كوش)، وفي نظر الاشوريين فان كوش امتدت وقتذاك الى الشلال الرابع، واشير الى ملوك نباتا باسم (كوش)^(٤٤).

ثم بعد ذلك اصبحت مروى فريسة لجيرانها وكان المرويون في كفاح مستمر ضد غارات القبائل البدوية الاكسوميين (Axumites في الجنوب) والبلبيين^(**) البدو (Blemmyes من الشرق) والنوباويين (Nubas من الغرب) وبعدها شيئاً فشيئاً اطيح بامبراطورية مروى. وحوالي عام ٣٣٠م استطاعت مملكة اكسوم (الي نشأت في مرتفعات الشمالية للحبشة) ان تصل الى اوج قوتها^(٤٥).

ويبدو ان البلبيين يمثلون الشعبة الشمالية للبا اخذوا ينظمون حياتهم الجديدة في الصحراء الشرقية بالسيطرة على وسائل النقل والتجارة بين النيل والبحر الاحمر^(٤٦).

نستنتج ان وقوع امبراطورية كوش على مفترق الطرق التجارية والقوافل التي تسير ما بين البحر الاحمر واعالي النيل والمنطقة الصحراوية الواقعة ما بين وادي النيل وتشاد، فلا غرابة يكون للتجارة الخارجية دوراً هاماً في الاقتصاد المروي واغلب السلع مجلوبة من مناطق بعيدة في الجنوب ونحو جنوب الجزيرة العربية، والطريق الرئيسي للتجارة يسير بمحاذاة النيل ما بين مروى ونباتا والنوبة السفلى ونقطة انطلاق القوافل نحو مناطق البحر الاحمر وشمال اثيوبيا وكردفان ودارفور ثم تدريجياً في الاوقات

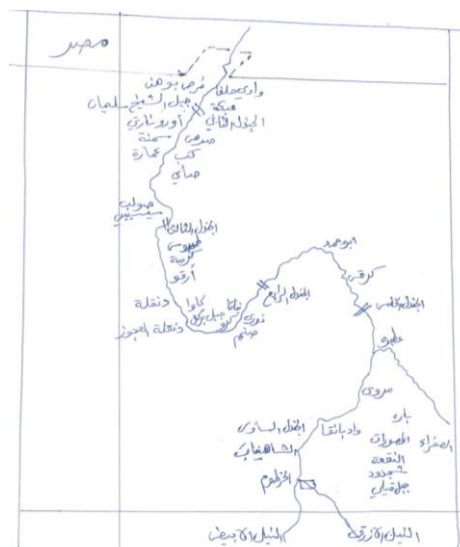
المتأخرة مع بداية القرن الاول قبل الميلاد تحول الطريق الرئيسي من محور النيل الى البحر الاحمر وانكمش حجم البضائع المصدرة من مروي حيث صار الحصول عليها بالامكان من شمال اثيوبيا حيث كان نجم مملكة اكسوم قد بدأ في الصعود^(٤٧). وقد اختلط تاريخ دولة اكسوم بكاملاً من دولة نباتا-ومروي، وايضاً قد تعددت الاسماء منها كوش او اثوبيا^(٤٨).

واوضح دافيدسون^(٤٩): ان الهجرة والاغارة والاتصال لم ينقطع بين الشمال والجنوب، فقد تنوعت طرق الاغارة والتجارة والهجرة لعدة اسباب سياسية كانت ام اقتصادية او زراعية فاتجهت جنوباً من فزان للنيجر او بجوار الساحل جنوباً على البحر الاحمر وحول القرن الشرقي الافريقي، ولكن كانت الزراعة هي مفتاح الموقف فقد نشأت كل الحضارات القديمة في وديان الانهار العظيمة واصبحت حياة القبائل على التنقل والترحال تشد رجالها من ارض القبيلة الام الى اخرى وكانت تصطدم بمهاجرين او رحل جدد للاستيطان.

فتستنتج ان مصريين الدول القديمة كانوا على اتصال مباشر او غير مباشر مع الجنس البشري الذي يعيش في الغابات الاستوائية، فان موطن هؤلاء الاقزام (الذي ذكرناه في ص ٦٢) يمتد نحو الشمال الى ابعد بكثير مما هو عليه الان، وهذا الموطن يظل بعيداً جداً الى الجنوب من النوبة، وقد جيء بذلك القزم من بلاد (بنت) لان موقع بلاد بنت لابدانة كان في موضع ما من ساحل افريقيا الشرقي الممتد من ارتيريا الى الصومال حالياً^(٥٠). يراجع خارطة رقم (٣) يوضح النوبة العليا السودانية.

خارطة (٣)

النوبة العليا السودانية



النوبة العليا السودانية (ف. وي. هينتز، ١٩٦٧، ص ٢٦).

من رسم الباحثة واعتماداً الفصل الثامن من كتاب تاريخ افريقيا العام، المجلد الثاني، ص ٢٤٠.

(ونعتقد ان بلاد بنت ام بونت، هي نباتا التي تقع ما بين دنقلة والجنبل الرابع)

فقد عرف المصريين القدماء اثيوبيا باسم (بونت او ارض الآلهة) اي الطوائف التي شملت اكثر دقة انتاج البخور، المناطق التي امتدت في افريقيا الشرقية والجزيرة العربية، على جانبي البحر الجنوبي^(٥١).

وهناك نقوش باسم (اوسركاف مؤسس الاسرة الخامسة ٢٥٦٠ ق.م) على صخور الجنبل الاول عند اسوان ما يؤكد ان هذا اول اتصال مباشر بعث بسفنه الى بلاد بنت مع المناطق الجنوبية البعيدة، وقد عادت السفن محملة بالمر والابنوس والمعادن (الذهب والفضة وغيرها)^(٥٢).

فكان نهر النيل الطريق التجاري منذ عصور بعيدة على الرغم من وقوف مملكة النوبة المسيحية في طريقهم فاتحين او مهاجرين^(٥٣).

ولفتت انظار الفراعنة المنتجات ذات قيمة مثل (الخشب والعاج والحيوانات الثمينة وغيرها) جاءوا بها عن طريق نهر النيل، وعن طريق البحر الاحمر، حتى وصلت الى الاسواق السودانية ايضاً^(٥٤).

ويعد المصريون القدماء اول الذين اتصلوا بشرق افريقيا واعتبروها جزء من بلاد النوبة (كوش) في ذلك الوقت عن طريقين: الاول عن طريق الغرب متتبعين نهر النيل، والثاني عن طريق البحر بعد وصولهم الى الشاطئ الصومالي بحثاً عن التوابل والبخور والعاج والذهب التي كانت تشتهر بها بلاد القرن الافريقي في فترة الالف الثالثة ق.م حيث جلبوا معهم الى ملكهم (بيبي الثاني) القروود والحيوانات الاخرى وبعض الاقزام، وفي عهد الاسرة الثامنة عشر اي القرن السادس عشر ق.م تكررت هذه الرحلات في تاريخ الملكة حتشبسوت والمسجلة على جدران معبد الدير البحري في الاقصر^(٥٥).

وكان (كوش والكوشيتيس، اي نوبيا والنوبيين، واثيوبيا والاثوبيين) عرفوا ان موقع كوش في جنوب مصر^(٥٦).

وكانت بلاد كوش دولة مستقلة والتي اخترقها طرق التجارة الرئيسية، ثم في القرن السادس ق.م، بدأ اهل كوش بالتوسع جنوباً واصبحت عاصمتهم عند المنطقة الصحراوية جنوباً عند منطقة الشلالات وربما كانت الى الجنوب قليلاً من الخرطوم وعاصمتهم عند مروى شمال مصب نهر عطبرة^(٥٧).

ومن المعروف ان الساحل الاتيري كان حلقة اتصال بين الاحباش وكثير من الامم الاخرى ويرجع تاريخ هاذ الساحل الى فترة اقدم من قيام دولة اكسوم حوالي القرن الثالث ق.م، فكانت تقيم جاليات يونانية

تشتغل بالتجارة وسفنهم ترسو بميناء عدول اشهر واهم ميناء تجاري حيث استعمل لتصدير انواع العاج والرقيق والذهب وجلود الحيوانات وغيرها كثير^(٥٨).

وفي نفس الوقت الذي سمح للنوبيين بالعمل ما يرغبون به، اكتشف التجار الرومان طرق القوافل التي تربط بين النيل والمقاطعات الغنية جنوباً، ورغب الامبراطورات ان (فيسبيان وتيتوس) ببناء واعادة بناء المعابد لانهم رغبوا بتأسيس علاقات صداقة مع القبائل هناك في الجنوب من اجل التجارة^(٥٩).

وفي القرن الاولى من العصر المسيحي قام التجار الاغريق ايضاً والذين ربطتهم علاقات تجارية مع تجار اكسوم عن طريق ميناء أدوليس (Adulis) بتعليمهم كيفية زيادة ثروتهم ورفع مستواهم المعاشي^(٦٠).

ثم صارت اكسوم اكبر سوق تجاري للعاج في شمال شرق افريقيا، وهذا ما عرفناه من البحارة الاكسندريين مع بداية العصر المسيحي، وكان ملكها على علاقات تجارية باغريق الاسكندرية يتحدث لغتهم ويتناول طعامه في صحاف من الذهب والفضة، ويتسلح بأسلحة جديدة مستوردة وكانت قوافله وحملات صيدة تجوب جنوب اعالي النيل وجنوبه^(٦١).

وهذا ما دلت عليه الحفريات الاثرية انه قامت علاقات قديمة بين الحبشة وحوض البحر المتوسط ووادي النيل والشرق الاوسط وخاصة العرب وفارس والهند. وتتبى الحفريات والرسوم والنقوش بحضارات قوية، فمثلاً في مصر كما ذكرنا دار اسطول الفرعون وشق عباب البحار محاولاً لاستشكاف القارة ومعرفة طرقها ومسالكها، ثم بعث القرطاجيون رحلات عديدة منها (رحلة هانون) في القرن السادس قبل المسيح وقفت عند ساحل افريقيا تحمل الالف المستعمرين، ثم اتصل الرومان بطرق القوافل والحملات العسكرية لجلب الذهب والعاج وغيره من الجنوب، اذ كان بعض الاقدميين على علم بهذه البلاد وكانت هناك اسرار تخفى خبايا الطرق التجارية تبعاً لخطر المنافسة^(٦٢).

وقد اسهم التجار الوافدين على الحبشة بنشاط كبير في التجارة الشرقية بين مصر والهند والصين، وقد كان لبعض المدن الحبشة وموانئها مثل (عدل) ومكانها الحالي ميناء زيل جنوبى مصوع كمراكز تجارية هامة، بحكم توسط موقعها بين بلاد جنوبى اسيا وشرقيها وشرقي افريقية وبلاد البحر الاحمر وخاصة مصر) وكان يتم فيه عمليات التبادل التجاري^(٦٣).

اضافة لهذا ان ميناء (عدل)^(*) كان يقع على طريق التجارة البري الذي يربط داخل بلاد الحبشة وشاطئ البحر الاحمر، وهو طريق دائري يبدأ من (عدل، وعدوه، واكسوم، واسمرة). ثم ينتهي من حيث

يبدأ في عدل وتصل القوافل في بضعة ايام (٦٤). والطريق من عدولي الى اكسوم فيأخذ اثني عشر يوماً^(٦٥).

والسفير البيزنطي (بوليان) في رحلته الى اكسوم توجه من الاسكندرية مصعداً في النيل ليأخذ الطريق على البحر الهندي (الاحمر) الى بلاد الهند (المقصود بها اكسوم والجنوب العربي معاً) الى اثوبيا، فقد كان عليه ان يجتاز البحر الاحمر مرتين في طريقه من بلاد العرب الى اثوبيا بسفن محلية موصلة الواحها بالحبال^(٦٦).

وقد اقترح الملك البيزنطي ان تقطع اكسوم علاقاتها التجارية مع الفرس وتغير خط سير القوافل التجارية المحملة بالبضائع من الهند ودول الشرق عن طريق المحيط الهندي ونزع الوساطة من ايدي الحميريين الذين شغلوا بالتبادل التجاري مع الامبراطورية البيزنطية ويجعلها مع الاسكندرية، عن طريق نهر النيل محاولاً انتزاع تجارة الحرير الصيني من ايدي الفرس، وبالرغم من ذلك فان العلاقات (البيزنطية الاكسومية) لم تزدهر بالصورة المرغوب فيها. وبالمقابل فان الاثيوبيين لم يقطعوا علاقاتهم التجارية مع ايران والتي كتب عنها (قزما حوالي ٥٤٨-٥٥٠م) الذي ابحر الى الهند، والحكومة الساسانية لم تكشف عن عداء ضد الاكسوميين^(٦٧).

وهناك موانئ (مصوع وسواكن) فتخصصت بنقل تجارة الحبشة والنوبة وتصلها بجرأ سفن الحبشة، وبرأ قوافل النوبة محملة بالرقيق والشمع والعسل، وتصل متاجرها لمصر بطريق البحر الاحمر لسهولته^(٦٨).

وتمر السفن التجارة الداخلية للبحر الاحمر بمينائي بربرة وزيلع وكلاهما مركز تجمع تجارة الحبشة والنوبة، وتخدم التجارة الداخلية والخارجية في مصر مجموعة من الطرق الملاحية والنهرية والبرية من اسوان الى دمياط ورشيد والاسكندرية، ومن قوص وقنا وما يقابها من موانئ عيذاب والقصير على البحر الاحمر^(٦٩).

وقوص مدينة ومركزاً تجارياً واسع وسوقاً واسعة لتجارة افريقيا الوسطى واليمن والحبشة والهند، وقد اتجهت منه القوافل شرقاً في الصحراء الى مينائي القصير وعيذاب، وتستغرق الرحلة الى القصير من (١٧-٢٠ يوماً) وتصلها بجرأ سفن التجارة من الحبشة واليمن وبلاد العرب والهند وزنبار، وهي على ثلاثة ايام بالقوافل.

وعذاب مركز على البحر الاحمر بها تجمع الحجاج وتجار الشرق وطلع الحبشة واليمن التي تصلها بحرًا^(٧٠).

وقد وصف ابن جبير^(٧١) قوص بقوله: انها مدينة حافلة بالاسواق مركزاً لتجمع التجار اليمنيين والهنود وارض الحبشة ومحط للرحال.

واهم ما يثبت تأكيد العلاقات بين مصر والحبشة هو دخول النصرانية للحبشة وغيرها عن طريق الاسكندرية وكنسيته^(٧٢). وهذا اهم رابط لتحقيق اكبر قدر من قوة العلاقات التي تجمعهما.

وهناك طريق اخر هو بالسير في محاذاة الساحل الافريقي حتى رأس التوابل، اي ربما الوقوف عند سوقطرة مثل بدء الرحلة الى الهند. وكان ثمة تجار يونان في مصر يتجرون مع موانئ ساحل الصومال، واخرون في ادولس بمملكة اكسوم وصلوا في تجارتهم الى اوبوني بعد رأس التوابل مباشرة واهم صادراتهم هي (العاج والجلود والقرفة والرقيق)^(٧٣).

ويبدو ان ساسو^(*) كانت الحد الجنوبي للرحلات التجارية للاكسوميين واهل عدولي في نطاق العالم الكوشي-النيلي، وانه ابحرت السفن العدولية بالمحيط الهندي الى الجنوب الشرقي الى البنادر وزنجبار، وهذا ما دلت عليه معثورات السكة والخوف بان علاقات ساحل افريقيا الشرقي المطل على المحيط الهندي استمرت استمرت مع اقطار البحر الاحمر الى القرنين السادس والسابع الميلادي^(٧٤).

المصادر

اولاً: المصادر

- ١- ابن الاثير: عز الدين ابو الحسن علي (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: ابي الفداء عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.
- ٢- ابن جبير: ابو الحسين محمد بن احمد بن جبير الكنانى الاندلسي (٦١٤هـ)، رحلة ابن جبير، ط٣، بريل، لندن، ١٩٠٧.
- ٣- ابن حوقل: ابو القاسم النصيبي، كتاب صورة الارض، دار صادر بيروت، ط٢، طبع في مدينة ليدن بمطبعة بريل، ١٩٣٨.
- ٤- ابن خرداذبه: ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٣٠٠هـ)، المسالك والممالك، طبع في ليدن مطبعة بريل، ١٨٨٩.

- ٥- الاصطخري: ابي اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي (ت ٣٤٦هـ)، المسالك والممالك، دار صادر، بيروت.
- ٦- البكري: ابو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت ٤٨٧هـ)، المسالك والممالك، تحقيق: ادريان فان ليوفن واندي فاري، الدار العربية للكتاب، قرطاج، ١٩٩٢.
- ٧- الحموي: شهاب الدين ابو عبد الله البغدادي، (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٧.
- ٨- العمري: احمد ابن يحيى بن فضل الله (ت ٧٤٩هـ)، مسالك الابصار في ممالك الامصار، تحقيق: مصطفى ابو ضيف احمد، مطبعة الدار البيضاء الجديدة، ١٩٨٨.
- ٩- العمري: مسالك الامصار في ممالك الامصار في الحيوان والنبات والمعادن، تحقيق: د. عبد الحميد صالح حمدان، مكتبة مدبولي، ط ٢، ١٩٩٦.
- ١٠- القرمانى: ابو العباس احمد بن يوسف بن احمد الدمشقي (ت ١٠١٩هـ)، اخبار الدول واثار الاول في التاريخ، عالم الكتب، بيروت، ١٩٧٨.
- ١١- القلقشندي: ابو العباس احمد بن علي (ت ٨٢١هـ)، صبح الاعشى في صناعة الانشاء، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة، القاهرة.
- ١٢- الهمداني: الحسن بن احمد بن يعقوب (ت ٣٣٤هـ)، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي، الاكوع، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٩.

ثانياً: المراجع

- ١- أ.م.هـ. شريف: الساحل الافريقي الشرقي ودوره في التجارة البحرية من ضمن كتاب تاريخ افريقيا العام.
- ٢- آدم بالتعاون مع ج فركوتير: شحاته، اهمية النوبة حلقة اتصال بين افريقيا الوسطى والبحر المتوسط، من ضمن كتاب تاريخ افريقيا العام، اليونسكو، ١٩٨٥.
- ٣- الافغاني: سعيد، اسواق العرب في الداخلية والاسلام، ط ٢، دمشق، دار الفكر، ١٩٦٠.
- ٤- اوليفر وفيج: رولاند، وجون، موجز تاريخ افريقية، ترجمة: د. دولت احمد صادق، مراجعة د. محمد السيد غلاب، الدار القومية للتأليف والترجمة.

- ٥- الحاكم وبمساعدة أ. هريك، ج. فركوثير: احمد محمد علي، حضارة نباتا ومروى، من ضمن كتاب تاريخ افريقيا العام.
- ٦- حتي: فيليب واخرون، تاريخ العرب المطول، ط٤، دار الكتب، بيروت، ١٩٦٥.
- ٧- حسن: حسن ابراهيم، انتشار الاسلام في القارة الافريقية، ط٢، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٣.
- ٨- حوراني: جورج فضلوا، العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة واولئ القرون الوسطى، ترجمة وزاد عليه: د. السيد يعقوب بكر، راجعه وقدم له: د. يحيى الخشاب، مكتبة الانجلو المصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة، القاهرة-نيويورك.
- ٩- الخشاب والمشهداني: وفيق ود. ابراهيم، افريقيا جنوب الصحراء، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ١٩٧٨.
- ١٠- د. لكلان: امبراطورية كوش، من ضمن كتاب تاريخ افريقيا العام.
- ١١- دافيدسون: باسيل، افريقيا القديمة، ترجمة نبيل بدر وسعد زغلول، مراجعة محمود شوقي الكيال.
- ١٢- رفة: فيليب، الجغرافية السياسية الافريقية، تقديم: د. عز الديم فريد، ط٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٦.
- ١٣- رياض ومنسي: زاهر، عبد العليم السيد، اثيوبيا، مركز كتب الشرق الاوسط، ١٩٦٣.
- ١٤- الطيبي: امين توفيق، الحبشة عربية الاصول والثقافة، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ١٩٩٣.
- ١٥- فهمي: نعيم زكي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- ١٦- الفيتوري: د. عطية مخزوم، دراسات في التاريخ شرق افريقيا وجنوب الصحراء، منشورات جامعة قان، يونس- بنغاري، ١٩٩٨.
- ١٧- كوبيشانوف: يوري يخايلوفنش، الشمال الشرقي الافريقي في العصور الوسيطة المبكرة، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، عمان، ١٩٨٨.
- ١٨- محمود: محمود عرفه، العرب قبل الاسلام احوالهم السياسية والدينية واهم مظاهر حضارتهم، عين للدراسات والبحوث الانسانية، ١٩٩٥.
- ١٩- مسعد: د. مصطفى محمد، الاسلام والنوبة في العصور الوسطى، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٠.

- ٢٠- موسكاتي: سبتينو، الحضارات السامية القديمة، ترجمة: السيد يعقوب بكر، راجعه محمد القصاص.
- ٢١- النقيرة: محمد عبد الله، انتشار الاسلام في شرقي افريقية ومناهضة الغرب له، دار المريخ.
- ٢٢- هنري س: عبودي، معجم الحضارات السامية، جروس بدس، طرابلس، لبنان، ط٢، ١٤١١هـ/١٩٩١.

ثالثاً: الكتب الانكليزية

- 1- Courier: Africa's Lost past, October, 1959, the greatness of Ethiopia, by Jean Dovesse.
- 2- Sir. Bidge, Ahistory of Ethiopia, Nubia and Abyssinia.

الهوامش:

- (١) حتي: فيليب واخرون، تاريخ العرب المطول، ط٤، دار الكتب، بيروت، ١٩٦٥، ص١٥٥.
- (٢) حسن: حسن ابراهيم، انتشار الاسلام في القارة الافريقية، ط٢، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٣، ص٢٦، ٢٧، الخشاب والمشهداني: وفيق ود. ابراهيم، افريقيا جنوب الصحراء، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ١٩٧٨، ص١٨ وفيها ايضاً ان الرياح الموسمية في فصل الشتاء تتجه من الشمال الشرقي نحو الجنوب الشرقي فتنتقلهم من سواحل شبه الجزيرة باتجاه السواحل الشرقية للقارة الافريقية، اما في فصل الصيف فتهب نحو الشمال الشرقي فتنتقلهم من السواحل الشرقية نحو شبه الجزيرة العربية والخليج العربي، وقد عرف هذه الحقيقة عرب الجنوب مثل سبأ وحضرموت وعملوا بها لصالحهم في التجارة. النقيرة: محمد عبد الله، انتشار الاسلام في شرقي افريقية ومناهضة الغرب له، دار المريخ، ص٣١ ويضيف ايضاً ان معرفة التجار العرب المهاجرين بالفلك وتحديد الاتجاهات بالشمس والقمر والكواكب الاخرى ساعدهم اكثر في تحكمهم بالطرق التجارية، ص٣٢.
- (٣) الافغاني: سعيد، اسواق العرب في الجاهلية والاسلام، ط٢، دمشق، دار الفكر، ١٩٦٠، ص١٨.
- (٤) محمود: محمود عرفة، العرب قبل الاسلام احوالهم السياسية والدينية واهم مظاهر حضارتهم، عين للدراسات والبحوث الانسانية، ١٩٩٥، ص٢٥٦.
- (٥) الطيبي: امين توفيق، الحبشة عربية الاصول والثقافة، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ١٩٩٣، ص٤٩.
- (٦) رياض ومنسي: زاهر، عبد العليم السيد، اثيوبيا، مركز كتب الشرق الاوسط، ١٩٦٣، ص١٨.
- (٧) موسكاتي: سبتينو، الحضارات السامية القديمة، ترجمة: السيد يعقوب بكر، راجعه محمد القصاص، ص٢١٣ وقد ترجم هذه النقوش عن لتمان.

(^٨) دافيدسون: باسيل، افريقيا القديمة، ترجمة نبيل بدر وسعد زغلول، مراجعة محمود شوقي الكيال، ص ٢٨.

(^٩) دافيدسون: افريقيا القديمة، ص ٤٨.

(^{١٠}) حوراني: جورج فضلو، العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة واوائل القرون الوسطى، ترجمة وزاد عليه: د. السيد يعقوب بكر، راجعه وقدم له: د. يحيى الخشاب، مكتبة الانجلو المصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة، القاهرة-نيويورك، ص ٢٣٠، ٢٣١.

(^{١١}) النقيرة: انتشار الاسلام في شرقي افريقية ومناهضة الغرب له، ص ٢٥.

(^{١٢}) الخشاب والمشهداني: افريقيا جنوب الصحراء، ص ١٧، ١٨.

(^{١٣}) حسن: انتشار الاسلام، ص ٢٨.

(^{١٤}) Sir. Bidge, Ahistory of Ethiopia, Nubia and Abyssinia, Vo. 1, p. 130.

(^{١٥}) البكري: ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت ٤٨٧هـ)، المسالك والممالك، تحقيق ادريان فان ليوفن واندي فاري، الدار العربية للكتاب، قرطاج، ١٩٩٢، ج ١/ص ٣٢٧.

(^{١٦}) القلقشندي: ابو العباس احمد بن علي (ت ٨٢١هـ)، صبح الاعشى في صناعة الانشاء، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة، القاهرة، ج ٥/ص ١٠، ١١.

(^{١٧}) الهمداني: الحسن بن احمد بن يعقوب (ت ٣٣٤هـ)، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي، الاكوع، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٩، ص ٥٣، ابن الاثير: عز الدين ابو الحسن علي (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق ابي الفداء عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧، مجلد ١١/ص ٣٩٧، القلقشندي: صبح الاعشى، ج ٥/ص ١٠، ١١.

(^{١٨}) ابن خرداذبه: ابي القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٣٠٠هـ)، المسالك والممالك، طبع في مدينة ليدن المحروسة، بمطبعة بريل، ١٨٨٩، ص ٦١.

(^{١٩}) ابو القاسم النصيبي، كتاب صورة الارض، دار صادر بيروت، ط ٢، طبع في مدينة ليدن بمطبعة بريل، ١٩٣٨، ج ١/ص ٢٤.

(^{٢٠}) ابن حوقل: صورة الارض، ج ١/ص ١٦.

(^{٢١}) Ahistory of Ethiopia, Vol.1, p. 6.

(^{٢٢}) ابن حوقل: م.ن، ص ٥٠؛ والاصطخري: ابي اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي (ت ٣٤٦هـ)، المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، ص ٣٥.

(^{٢٣}) القلقشندي: صبح الاعشى، ج ٥/ص ٢٧٣، ٢٧٤.

(^{٢٤}) القلقشندي: م.ن، ج ٥/ص ٢٧٥.

(^{٢٥}) القرمانلي: ابو العباس احمد بن يوسف بن احمد الدمشقي (ت ١٠١٩هـ)، اخبار الدول واثار الاول في التاريخ، عالم الكتب، بيروت، ١٩٧٨، ص ٣٩٢.

- (*) جزيرة في بحر اليمن، وكلامهم بالحبشية، وتأتيهم الحبشة باننياب الفيلة وبيض النعام وغير ذلك فيبيعون ويشترون منهم، الحموي: شهاب الدين ابو عبد الله البغدادي، (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٧، ج ١/ص ٣٢٤، وابن حوقل: صورة الارض، ج ١/ص ٤٣.
- (٢٦) القلقشندي: م.ن، ج ٨/ص ١١؛ العمري: مسالك الامصار في ممالك الامصار في الحيوان والنبات والمعادن، تحقيق: د. عبد الحميد صالح حمدان، مكتبة مدبولي، ط ٢، ١٩٩٦، ص ٤٥، ٤٦.
- (٢٧) كوبيشانوف: يوري يخايلوفنش، الشمال الشرقي الافريقي في العصور الوسيطة المبكرة، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، عمان، ١٩٨٨، ص ٣٠١.
- (*) وهي سلاح خشبي قديم ترمي منه القذيفة فتترد الى صاحبها، آدم بالتعاون مع ج. فركوتير: شحاته، اهمية النوبة حلقة اتصال بين افريقيا الوسطى والبحر المتوسط، الفصل ٨ من ضمن كتاب تاريخ افريقيا العام، اليونيسكو، ١٩٨٥، المجلد الثاني، ص ٢٥٢-٢٥٣.
- (٢٨) اوليفر وفيج: رولاند، وجون، موجز تاريخ افريقية، ترجمة د. دولت احمد صادق، مراجعة د. محمد السيد غلاب، الدار القومية للتأليف والترجمة، ص ٤٠، دافيدسون: افريقيا القديمة، ص ٢٣.
- (29) Ahistory of Ethiopia, V.1, p.11, 6.
- (٣٠) العمري: احمد ابن يحيى بن فضل الله (ت ٧٤٩هـ)، مسالك الابصار في ممالك الامصار، تحقيق: مصطفى ابو ضيف احمد، مطبعة الدار البيضاء الجديدة، ١٩٨٨، ج ٤/ص ٤٦.
- (*) وتاريخياً انه ذلك الجزء من حوض النيل الواقع بين غرب الحدود الشمالية الغربية لاثيوبيا الحالية وبين مصر والذي يضم وادي النيل نفسه واجزاء من النيلين الابيض والازرق بجميع روافدها فوق خط العرض ١٢ شمالاً كالعطبره والرهد والدندر، والنوبة كانت ولا تزال ديار شعب اسود بشرتهم اشد دكنه منهم بكثير واسماهم الاغريق ومن بعدهم الرومان (بالاثيوبيين) اي (ذوي البشرة المحروقة). يراجع آدم بالتعاون مع ج. فركوتير: اهمية النوبة حلقة اتصال بين افريقيا الوسطى والبحر المتوسط، المجلد الثاني، من ص ٢٣١-٢٣٢.
- (٣١) آدم بالتعاون مع ج. فركوتير: اهمية النوبة، المجلد الثاني/ من ص ٢٢٩-٢٣٢.
- (٣٢) مُسعد: د. مصطفى محمد، الاسلام والنوبة في العصور الوسطى، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٠، ص ١١.
- (٣٣) دندره: بليد على غربي النيل من نواحي الصعيد دون قوص وهي بلد طيب ذات بساتين ونخل كثير وكروم، الحموي: معجم، ج ٢/ص ٤٧٧-٤٧٨، ورقلة: فيليب، الجغرافية السياسية الافريقية، تقديم: د. عز الدين فريد، ط ٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٣٣٥.

(^{٣٤}) آدم مع ج. فركوثير: اهمية النوبة، الفصل الثامن من ضمن كتاب تاريخ افريقيا العام، المجلد الثاني، ص ٢٤١.

(^{٣٥}) شريف: نجم الدين محمد، النوبة قبل نباتا، الفصل التاسع من ضمن كتاب تاريخ افريقيا العام، المجلد الثاني، ص ٢٧٦.

(^{٣٦}) شريف: النوبة قبل نباتا، المجلد الثاني، ص ٢٥٦.

(^{٣٧}) ج. لكلا: امبراطورية كوش، الفصل العاشر من ضمن كتاب افريقيا العام، المجلد الثاني، ص ٢٨٣ هامش رقم (٧).

(^{٣٨}) شريف: النوبة قبل نباتا، المجلد الثاني، ص ٢٦٤.

(*) كرمه: من خلال التنقيبات الاثرية والقبور المكتشفة وطرق الدفن اكدت ان كرمه هي المحطة التجارية المصرية ومركز ثقافة نوبية ومقر اسرة حاكمة محلية، خلال عهد الدولة الوسطى وهو الموقع الوحيد الذي تم فحصه في منطقة دنقله وهي غنية بمواقع كرمه التاريخية، أي ان الحد الجنوبي للدولة الوسطى تقع فوق الجندل الثالث اي جنوبه بمسافة قصيرة امتد تاريخها (١٧٣٠ ق.م - ١٥٨٠ ق.م).
يراجع شريف: النوبة قبل نباتا، الفصل التاسع، المجلد الثاني، ص ٢٦٠-٢٦٣.

(^{٣٩}) شريف: النوبة قبل نباتا، المجلد الثاني، ص ٢٦٤.

(^{٤٠}) شريف: م.ن، ص ٢٧٨.

(^{٤١}) لكلا: امبراطورية كوش: نباتا ومروى، الفصل العاشر من ضمن كتاب افريقيا العام، المجلد الثاني، ص ٢٨١، ٢٨٢ (امتد تاريخها من ١٥٨٠-١٠٨٥ ق.م) واسماء الحكام حتى مجئ (الارا) الذي خلفه كاشتا والذي يشق اسمه من كوش.

(*) والعاصمة نباتا عند سفح جبل برقل او (بركل قريباً من الشلال الرابع) ثم انتقلت العاصمة جنوباً الى مروى، وقد شملت منطقة اواسط السودان وامتدت جنوباً حتى سنار على النيل الازرق وكوستي على النيل الابيض، وهي العاصمة الدينية ومركز ملكي وديني وظل الملوك يدفنون فيها، ومروى - كانت تتمتع بموقع ممتاز على الطريق بين البحر الاحمر واعالي النيل وتشاد فاذن هي تجارية وزراعية وفيها معدن الحديد وانتاجه الضخم كل ذلك اعطى مروى اهمية لنقل العاصمة من نباتا اليها. يراجع لكلا: امبراطورية كوش: نباتا ومروى، الفصل العاشر من ضمن كتاب افريقيا العام، المجلد الثاني، ص ٢٨٥، ٢٨٨، ٣١٨. ويراجع مسعد: الاسلام والنوبة، ص ٣.

(^{٤٢}) لكلا: امبراطورية كوش، المجلد الثاني، ص ٢٨٥.

(^{٤٣}) لكلا: م.ن، المجلد الثاني، ص ٢٩٥.

(^{٤٤}) Budge, A history of Ethiopia Nabia, 1, p. 2.

ويراجع مسعد: الاسلام والنوبة، ص ٨.

(**) هم بدو محبين للقتال سموا بقبائل البجة القاطنين في الصحراء الشرقية، يراجع نفس المصدر، ص ٣٠٠.

(٤٥) لكلان: امبراطورية كوش، المجلد الثاني، ص ٢٩٦.

(٤٦) مسعد: الاسلام والنوبة، ص ٤١ (البجا- الاسم الذي عرف به سكان الصحراء الشرقية في العصور الوسطى، هامش ٧٥-ص ٤١).

(٤٧) الحاكم: احمد محمد علي وبمساعدة أ. هريك، وج. فركوتير، حضارة نباتا ومروى، الفصل السادس عشر من ضمن كتاب افريقيا العام، المجلد الثاني، ص ٣٢٢.

(٤٨) مسعد: الاسلام والنوبة، ص ٩ هامش (٢٧).

(٤٩) افريقيا القديمة، ص ١٣-١٥.

(٥٠) واحتمال وجود الاقزام في مصر يعني ضمناً وجود صلات بين وادي النيل الادنى وافريقيا شبه الاسنوائية وان الممر النوبي قد لعب دوراً هاماً في هذا الاتصال، فالمرجح ان الصلات بين مصر وافريقيا الوسطى تعود الى عهد بعيد جداً لان (كلمة دينيج) ترد في نصوص الاهرام اي في عهد الاسرة الخامسة ويؤكد ايضاً وجود نص من الاسرة السادسة عن وصول دينيج الى مصر من قبل في عهد الفرعون (دكارع- اسيسي) الملك قبل الاخير في الاسرة الخامسة، وفي عهد (الملك بيبى الثاني عام ٢٢٠٠ ق.م) جلبت حملة مصرية من الجنوب القصي (قزماً للرقص المقدس) وقد وصف هذا الشخص بدنينج بمعنى في النصوص الهيروغليفية (ضئيل الحجم نيمو) اي انه واحد من جنس الاقزام. يراجع آدم بالتعاون مع ج. فركوتير: اهمية النوبة، الفصل الثامن من ضمن كتاب افريقيا العام، المجلد الثاني، ص ٢٣٩، ٢٤١، دافيدسون: افريقيا القديمة، ص ٢٣.

(51) Courier, October, 1959, the greatness of Ethiopia, by Jean Doresse, p. 30.

(٥٢) دافيدسون: افريقيا القديمة، وقد وضع ان العلاقات استمرت بين ملوك الفراعنة المصريين والاسر التي حكمت الواحدة بعد الاخرى منها، وصولهم الى ناحية رشيد لاقليم دنقلة بمعنى وصولهم الى الجندل الرابع على بعد ٤٠٠ ميل اي الى ما يعرف الان بالخرطوم وعلى بعد ٣٠٠ ميل عن ميرو عاصمة الكوشيين، واستمرت سيطرة المصريين على بلاد كوش وتجارته مع الدول المجاورة، ص ٢٣ و ٢٤ (ويقصد بميرو هي مروى باختلاف اللهجات).

(٥٣) حسن: انتشار الاسلام في القارة الافريقية، ص ١٣٩.

(54) Courier, the greatness of Ethiopia, Jean Doresse, p. 31.

(٥٥) الفيتوري: د. عطية مخزوم، دراسات في التاريخ شرق افريقيا وجنوب الصحراء، منشورات جامعة قازيونس-بنغازي، ١٩٩٨، وفيه ايضاً ان رمسيس الثالث غزا بلاد العرب وبنى اسطولاً انزله في البحر الاحمر وارسله الى بلاد بونت وكان هدفه تذليل طرق التجارة البحرية بين مصر وبلاد الشرق

حيث استطاع ان ينشئ (طريقاً برياً بين القصير على البحر وقط على النيل بالصعيد، والقصير احد موانئ مصر في الجنوب والتي يعمل بالتجارة الافريقية)، وطريقاً (بحرياً بين المحيط الهندي والبحر الاحمر عن طريق بلاد العرب والساحل الافريقي)، ص ٦٥، ٦٦.

(⁵⁶) Budge, Ahistory of Ethiopia Nubia, V.1, p. 109.

(^{٥٧}) اوليفر: موجز تاريخ افريقية، ص ٤٣.

(^{٥٨}) الفيتوري: دراسات في التاريخ شرق افريقيا، ص ٧٢، ٧٣.

(⁵⁹) Budge, Ahistory of Ethiopia, V.1, p. 88.

(⁶⁰) Budge, Ahistory of Ethiopia, V.1, p. 9.

(^{٦١}) اوليفر: موجز تاريخ افريقية، ص ٤٦.

(^{٦٢}) العمري: احمد سويلم، الافريقيون والعرب، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٧، ص ٣٢، ٣٣.

(^{٦٣}) النقيرة: انتشار الاسلام في شرقي افريقية، ص ٦٤، ٦٥.

(*) وميناء عدل هو (دوليس) مدينة حبشية تقع على البحر الاحمر كانت من المرافئ التجارية المهمة في عهد المقدونيين والرومان واسمها الحالي زيلع. يراجع هنري س: معجم الحضارات السامية، ص ٥٦.

(^{٦٤}) النقيرة: انتشار الاسلام، ص ٦٥.

(^{٦٥}) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الافريقي، ص ١٠٥.

(^{٦٦}) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الافريقي، ص ١٠٤، ١٠٥.

(^{٦٧}) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الافريقي، من ص ١٠٨-١١٠.

(^{٦٨}) فهمي: نعيم زكي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٣-١٩٧٣، ص ١٤١.

(^{٦٩}) فهمي: م.ن، ص ١٤٢ واسوان هي اهم ابواب مصر الجنوبية بالنسبة لتجارة النوبة وعن طريقها شهدت مصر نشاطاً تجارياً كبيراً. (وفي الاساطير المتأخرة تحكي عن عملاء تجاريين لملوك اكسوم قدموا للمتاجرة باسوان في بداية القرن الرابع عشر) يراجع كوبيشانوف: الشمال الشرقي، ص ٢٩٦.

(^{٧٠}) فهمي: طرق التجارة، ص ١٤٣ وص ١٢٥ فيما ان (طريق عيذاب-قوص-النيل-القاهرة) ظل الطريق الاول لتجارة مصر الشرقية من الصين والهند واليمن حتى اواخر القرن ١٣ ثم استخدم طريق البحر الاحمر الى السويس بجرأ ثم براً للقاهرة.

(^{٧١}) ابو الحسن محمد بن احمد بن جببر الكنانى الاندلسي (ت ٦١٤هـ)، رحلة ابن جببر، ط ٣/بريل (لیدن ١٩٠٧)، ص ٦٠.

(^{٧٢}) رياض: د. زاهر، تاريخ اثيوبيا، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٢٢٥.

(^{٧٣}) حوراني: العرب والملاحة، ص ٧٦، ٧٧.

(*) موقع بلاد ساسو هو داخل حدود اثيوبيا الجنوبية الغربية والجنوب الشرقي للسودان الحاليين اي بنواحي ولجة وبني شنقول والنواحي المتاخمة لها. يراجع كوبيشانوف: الشمال الشرقي الافريقي، ص ٣٩٧.

(^{٧٤}) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الافريقي، ص ٣٩٨، ٣٩٩.

مستعمرة مساشوستس
(١٦٢٠-١٦٦٠)

تقوى علي رضا
أ.م.د. سعاد رؤوف شير محمد
الجامعة المستنصرية

مستعمرة مساشوستس (١٦٢٠-١٦٦٠)

تقوى علي رضا

أ.م.د.سعاد رؤوف شير محمد

المقدمة:

أستوطن القارة الأمريكية منذ اكتشافها عام ١٤٩٢ عدد كبير من المهاجرين الانكليز والأوربيين، وقد أرتبط نشوء المستعمرات الأمريكية بجملة ظروف ومتغيرات وذلك لما شهدته أوربا من اضطرابات سياسية واقتصادية ودينية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، أسهمت في فتح باب الهجرة الى العالم الجديد لأولئك الباحثين عن حياة رغيدة بعيداً عن مساوى العالم القديم. ولعل الوازع الديني كان أساساً في هجرة العديد من الانكليز هرباً من الاستبداد الديني لأسرة آل ستيوارت، لاسيما الجماعات البيوريتانية التي هاجرت الى أمريكا الشمالية عام ١٦٢٠، وأسهموا في بناء مجتمع حظي بنوع من الحكم الذاتي. إذ منح التاج الانكليزي موثيق خاصة خولتهم في اختيار حاكماً وعدد من المساعدين لإدارة شؤونهم الإدارية والسياسية، وأسسوا المجالس التشريعية والتمثيلية .

وفق مما تقدم، دفعت مبررات علمية وقفت وراء كتابة هذا البحث تتلخص في معرفة مسار هذا التوجه لدى الانكليز ومعطيائه، وما حققوه من فوائد جراء هذا الاندفاع، وطبيعة التأثير والتأثير الذي تركوه في المناطق التي وصلوا إليها حتى النصف الثاني من القرن السابع عشر.

أولاً:- بداية وصول البيوريتان وتأسيس مستعمرة بلايموث :

تمتعت أمريكا الشمالية بموقع جغرافي مهم ساعد في وصول الأوربيين إليها، إذ أنها تقع بين خطي عرض (٣٠ ° - ٧٠ °) شمال خط الاستواء، ويحدّها من الشرق المحيط الأطلسي، ومن الغرب المحيط الهادي، ومن الشمال المحيط المتجمد الشمالي، وفيما يحدها خليج المكسيك من الجنوب^(١)، وفر لها وحسب تقديرنا المتواضع، أقاليم مناخية شبيهة بتلك التي تحياها قارة أوربا. إذ دخلت انكلترا كغيرها من الدول الأوروبية المنافسة الاستعمارية، ومع وجود منافس بحري واستعماري قوي مثل اسبانيا ساعدها في التفكير في الاستيطان والتوسع في قارة أمريكا الشمالية، وجاءت التغيرات السياسية، والاضطهاد الديني في انكلترا، ومحاولات الحكومة الانكليزية للتخلص من العناصر المعارضة الى جانب البحث عن فرص اقتصادية، عوامل أساسية في توسع الاستيطان في الأرض الأمريكية^(٢).

بدأ البيوريتان هجرتهم في أحلك ساعات الكفاح من أجل التحرر من الاضطهاد الديني هرباً من الملاحقة التي كانوا يتعرضون لها من قبل حكومة انكلترا، وبهذا تكون حرية المعتقد أحد الدوافع الرئيسة للهجرة للعالم الجديد، علماً أن البحث عن ملاذ آمن لم يقتصر على الانكليز بل شمل أيضاً الفرنسيين والألمان والهولنديين وغيرهم، الذين مزقتهم الصراعات الدينية المحتدمة في القارة الأوروبية^(٣).

وفي خضم الظروف الصعبة التي عانى منها البيوريتان - الانفصاليين - في أثناء تواجدهم في ليدن، كانوا يبحثون عن وسيلة لتنفيذ إلى العالم الجديد من خلال المساهمة مع شركات المستثمرين^(٤).
وجدير بالذكر، أن الانفصاليين رشحوا، أما الذهاب إلى غويانا (Guena) التي ذاعت شهرتها ذلك الوقت من خلال تأثير السير والتر رالي (Walter Raleigh) (١٥٨٣-١٦١٨)^(٥) أو الذهاب إلى مستعمرة فرجينيا^(٦) فيما كان جيرانهم الهولنديين يعملون على إقناعهم بالذهاب إلى نهر هدسون والاستيطان تحت رعاية الشركة الهند الغربية الهولندية^(٧).

لم تقتصر عاطفة الانفصاليين تجاه وطنهم الأم، فاخاروا العيش تحت علم حكومتهم وحمايتهم بموجب تسوية مع شركة لندن^(٨) لإقامة مستوطنة زراعية في الجزء الشمالي من مستعمرة فرجينيا، وتمهيداً لهذا الأمر أرسل القس جون روبنسون نائبين اثنين هما روبرت كوشمان (Robert Cushman) (١٥٧٧-١٦٢٥)^(٩)، وجون كارفر (John Garver) (١٥٧٦-١٦٢١)^(١٠) إلى لندن للتفاوض لأجل الحصول على براءة اكتشاف في الأرض من الشركة وميثاق من الملك جيمس الأول^(١١)، حاملين معهم التماساً خاصاً أوردوا فيه: "نحن جميعاً كنا محرومين من حليب بلدنا الأم، وتحملنا صعاب العيش في بلد غريب، ولقد ارتبطنا ببعضنا الآخر بموجب رباط قوي ومقدس، التزمنا بفضله وبرعاية كل فرد منا، وأنا على الضد من سابقينا لم نكن لنتراجع ونعود إلى انكلترا بمجرد أن نواجه صعوبات ما"^(١٢).

أعجب أعضاء شركة لندن بما ذكره الانفصاليين، حتى أنهم رغبوا بمنحهم الإذن مع امتيازات واسعة، كما أن بعض أعضاء الشركة لم يشكوا في نجاح قضيتهم الهادفة إلى قيام الملك جيمس الأول بمنحهم حرية الدين^(١٣)، وعلى الفور، أرسلت الشركة التماساً إلى الملك ليمنح مقدمي الطلب حرية المعتقد الديني، وعلى أن يمنحهم الميثاق، ويبدو أن الثمار التي حصدها من بذل جهودهم هذه إعلان الملك عدم اضطهادهم، أو التحرش بهم إذا ما تصرفوا بشكل سلمي، لكنه رفض منحهم ميثاق خاص بذلك^(١٤).

وعلى أية حال، تمكن الانفصاليين من التفاوض مع شركة لندن للحصول على براءة الاكتشاف والتجارة في أمريكا، وبالرغم من الانقسامات داخل أعضاء الشركة التي أدت إطالة أمد المفاوضات بين الطرفين حتى نهاية عام ١٦١٩، إلا أنهم منحوا الإذن بموجب ختم شركة لندن وضمن نطاق حدودها^(١٥).
شرعت شركة لندن بوضع الآليات والترتيبات اللازمة للهجرة مع الانفصاليين والممولين المغامرين من التجار، وفق الشروط الآتية^(١٦):

أولاً: ان يدفع المغامرين والمزارعين الذين قرروا الهجرة، وبعمر السادسة عشر فما فوق، عشرة باوندات كل شخص.

ثانياً: ان الأشخاص الفقراء من المهاجرين والذين لا يملكون المال، بإمكانهم تقديم تجهيزات منزلية بقيمة عشرة باوندات بدلاً من المال. علماً أنَّ العشر باوندات سيتم احتسابها عشرون باوند أي حصة مضاعفة عند التقسيم.

ثالثاً: ان الأشخاص المهاجرين والمغامرين سيستمررون بمشاركتهم المالية لمدة سبع سنوات إلا في حال بعض العوائق غير المتوقعة حينها على الشركة ككل ان توافق على الوقت الذي ستبقى فيه كل الأرباح والفوائد التي حصل عليها من التجارة والمرور والعمل والصيد حتى يتم تقسيمها.

رابعاً: عند وصولهم الى المستعمرة عليهم ان يختاروا عدد من الأشخاص الملائمين ليقوموا بتهيئة سفنهم وقواربهم من اجل الصيد، ويتم توظيف الآخرين في العديد من الاستخدامات مثل بناء البيوت والطلاء وصنع بعض السلع المفيدة للمستعمرة.

خامساً: عند انتهاء السبع سنوات، فأن رأس المال والأرباح أي المنازل والأراضي والسلع والمنقولات ستقسم بالتساوي بين المغامرين.

سادساً: من يقدم الى المستعمرة في نهاية السبع سنوات، سيكون مرحباً به.

سابعاً: يسمح لكل شخص يريد حمل زوجته أو أطفاله أو خدمه، وان الشخص بعمر ستة عشر عاماً وما فوق له حصة واحدة في التقسيم، أو ان قام بمنحها تجهيزات حصة مضاعفة، ومن يكون بين عمر عشرة سنوات وستة عشر عام فسيتم احتساب سهم واحد لكل طفلين عند التقسيم.

ثامناً: ان الأشخاص الذين يتوفون قبل نهاية السبع سنوات فأن منفذي الوصية سيأخذون حصصهم عند التقسيم بما يتناسب وجودهم في المستعمرة.

تاسعاً: ان الأشخاص الذي يقدمون الى المستعمرة وهم دون عمر عشرة سنوات لن يكون لهم في التقسيم أكثر من خمسون اكرًا من الأرض (فدان من الارض).

عاشراً: على المهاجرين اخذ اللحم والشراب والملابس وكل التجهيزات الغذائية بعيداً عن المخازن العامة وطلع تلك المستعمرة.

يبدو ان هذه الشروط قد حددت نقطتين تم الاختلاف فيهما لاحقاً أولها، ان تحسين البيوت والأراضي ولاسيما الحدائق والحقول المنزلية يجب ان تبقى بدون تقسيم، وتعود بالكامل الى المزارعين عند نهاية السبع سنوات. وثانيها، ان يتمتع المزارعين بيومي عطلة في الأسبوع من اجل استخداماتهم الخاصة، ولإراحة أنفسهم والاهتمام بعوائلهم^(١٧)، وربما ان تغيير هذين الشرطين كانا مؤثرين لاسيما للفقراء الذين غامروا بأنفسهم فضلاً عن عقاراتهم، لكن روبرت كوشمان أعرب للمتذمرين منهم بأنهم طالما

تم ترتيب الشروط فأن التصميم بالكامل سيسقط الى الأرض، فالضرورة ليس لها قانون، مما أجبرهم على السكوت^(١٨).

صفوة القول، أن المزارعين واجهوا صعوبات جمّة قبل وبعد نفاذ السبع سنوات، ووجدوا مشاقاً في حساب الأرباح وتقسيمها مع المغامرين بالرغم من ان ارباح نفود المغامرين لم تكن كبيرة، ومع ذلك فقد غامر أولئك بأرواحهم واستمروا بأعمال الفلاحة.

انطلقت رحلة التجار المغامرين من انكلترا من مدينة بليموث على ظهر السفينة ماي فلاور (Mayflower) في ايلول ١٦٢٠، ورحلة البيوريتان - الانفصاليين - من هولندا من ميناء ساوثامبتون (Southampton) على ظهر السفينة سبيدول (Speedwell)^(١٩) في آب من العام نفسه، ولم تستطع الجماعة الأخيرة ان تشق الطريق بسبب ترشيح الماء داخل سفينتهم فانضمت الى جماعة ماي فلاور^(٢٠) ليصبح عددهم ١٠٢ شخصاً بين رجل وامرأة وطفل، ثلثهم من الانفصاليين تقريباً^(٢١)، والعدد الباقي ضم خليطاً من الأفراد ممن رغبوا في الهجرة الى العالم الجديد، وبالرغم من ان الاذن الذي منح لهم كان يلزم باستيطانهم في المنطقة العائدة لشركة لندن، لكن الرياح غيرت مسار سفينتهم بعيداً باتجاه الشمال مما جعلها ترسو في المنطقة التي تعرف برأس كود (Cape Cod)^(٢٢)، ضمن المنطقة المخصصة لشركة بليموث في الحادي عشر من تشرين الثاني ١٦٢٠^(٢٣).

وبسبب تزلزلت البيوريتان ومضايقتهم لركاب السفينة لأسباب طائفية أوشك أولئك الركاب على التمرد مما شكل دافعاً لوضع ميثاق ماي فلاور (May Flower Compact) الشهير الذي دفع عليه جميع الرجال البالغين، والبالغ عددهم ٤١ رجلاً وقد أكد الميثاق فكرة سيادة الشعب وحقه في اختيار حكومة وفقاً لأرادته، كما أكد حق الجميع في الحرية والمساواة والديمقراطية، وسن القوانين التي تخدم مصلحة الجميع ووجوب تنفيذها واحترامها، إذ جاء فيه: "بسم الله آمين، نحن الموقعون أدناه، نحن الاتباع المخلصين لجلالة الملك جيمس... كانت رحلتنا لغرس أول مستعمرة في الجزء الشمالي من فرجينيا، نحن نتفق أمام الله وبحضور بعضنا مع البعض الآخر ونتحد في كيان مدني سياسي، من اجل تنظيم ورعاية أفضل، وتعزيزاً لما ذكر آنفاً، أننا سوف نؤسس القوانين والمراسيم والدساتير الوظائف العادلة والمتساوية للجميع وبما يتلائم مع المصلحة العامة للمستعمرة"^(٢٤).

اختار المستوطنون بعد توقيعهم ميثاق ماي فلاور، حاكماً لهم وهو جون كارفر الذي وصف على انه "السيد التقى المعتمد" واستقر المهاجرين عند كاب كود، وأطلقوا على المنطقة اسم بليموث التي تعد اول مستوطنة تأسست في المنطقة الشمالية^(٢٥).

وفي تطور ذي صلة، كُلف الملك جيمس في تشرين الاول ١٦٢٠ بتشكيل مجلساً مؤسساً في مدينة ديفون في انكلترا، عُرف بـ "مجلس نيونغلاند" ليشرف على جهود الاستعمار في امريكا الشمالية^(٢٦) بين خطي عرض ٤٠ و ٤٨ ومن المحيط الاطلسي الى المحيط الهادي مع صلاحية احتكار السمك

في المياه القريبة من الساحل، وختمت الوثيقة بأسم فيرديناندو جورجيز (Ferdinando Georges) (١٥٦٥-١٦٤٧) وجون ميسون (John Moson) (١٥٨٦-١٦٣٥)^(٢٧)، ضم مجلس نيوانغلاند أربعين رجلاً ممن لديهم رؤى عديدة لتنظيم العقارات الإقطاعية على نطاق واسع، وكان على كل عضو دفع (١١٠) جنيه استرليني إلى خزانة المجلس، ولقد انضم إلى هذا المجلس بعضاً من أعضاء شركة بلايموث^(٢٨)، وتجدر الإشارة أن مجموعة الانفصاليين لم يبالوا بهذا المجلس وحكومته بل قاموا بتنظيم حكومة مدنية خاصة بهم وبأشروا بتسديد مديونيتهم إلى شركة لندن من خلال إرسال شحنات من السمك والفراء والأخشاب^(٢٩).

تعرض مستوطنو بلايموث في عامهم الأول إلى مصاعب جمة منها نقص الغذاء وقسوة الشتاء فضلاً عن الأمراض التي جلبوها معهم أثناء رحلتهم الطويلة في المحيط الأطلسي، إذ مات ما يقارب نصفهم بسبب إصابتهم بمرض داء الاسقربوط المسبب عن نقص فيتامين C بسبب عدم تناول الخضر^(٣٠)، إلا أن وضعهم أخذ بالتحسن في عام ١٦٢١ وقاموا لمناسبة حصادهم للموسم الأول احتفالاً أصبح أساساً لعيد الشكر (Thanksgiving) الذي يحتفل به الأمريكيون في الوقت الحاضر^(٣١).

اختير وليام برادفور حاكماً لمستعمر بلايموث في عام ١٦٢١ وتم إعادة انتخابه كل سنة حتى وفاته، وكان له دوراً ملموساً في تحسين وإدارة شؤون المستعمرة، فقد رحب برادفور بسفينة (Fortune) التي جلبت المزيد من الانفصاليين من مدين ليدن في التاسع من تشرين الثاني ١٦٢١^(٣٢)، فيما أرسل عدد من الرجال بقيادة القائد العسكري مايلز ستانديش (Myles Standish) (١٥٨٤-١٦٥٦) لاستطلاع المنطقة المحيطة والذي اصدر بدوره العديد من التوجيهات والتحذيرات في كيفية التقدم والتراجع في الحالات الحرجة^(٣٣). لاسيما بعد ملاحظة آثار السكان الأصليين (الهنود الحمر)، كما وجدوا الكثير من الذرة الهندية وحبوب الفاصوليا ولوبيا والبقلاء^(٣٤)، وبمرور الوقت تمكن الانفصاليون من التعرف على اثنين من زعامات الهنود هما ساماست (Samaset) (١٥٩٠-١٦٥٣) وسكوانتو (Squanto) (١٥٨٥-١٦٢٢) الذي زار انكلترا وألم باللغة الانكليزية مما ساعد مستوطنو بلايموث في التعرف على جغرافية المنطقة وطريقة صيد السمك وزراعة الذرة^(٣٥).

عمل سكوانتو على زيادة وشائج العلاقة الودية بين مستوطنو بلايموث والهنود الحمر، الأمر الذي اثمر عن قيام زعيم قبائل وامبانوكاس ماساسويت (Massasoit) (١٥٨١-١٦٦١) بزيادة الانفصاليين وهو زعيم القبيلة الهندية الوامبانواغ (Wampanoags)^(٣٦) التي ينتمي إليها سكوانتو وساماست وتبادلا الهدايا معهم حتى عقدت "معاهدة السلام"^(٣٧) بين الجانبين في الثاني والعشرين من آذار ١٦٢١ ولمدة خمسون عاماً^(٣٨).

أدركت قبيلة ناراجانسييت (Narragansetts) الهندية التي تقطن في نيوانغلاد خطر استيطان الانكليز بجوارهم فيما خشي المستوطنون أنفسهم من تعاظم نفوذ هذه القبيلة، لاسيما وان أفرادها الذين

يزيدون عن خمسة آلاف قد يشكلون خطراً وتهديداً للمستوطنين والقبائل الهندية الأخرى^(٣٩)، وعليه قام برادفورد بإيجاد وسيلة لحماية المستعمرة من خلال تحصينها بأربعة حصون وثلاث بوابات تغلق كل ليلة وعليها حرس طوال اليوم.^(٤٠)

حصل مستوطنوا بلايموث على رخصة من مجلس نيوانغلاد في عام ١٦٢١ لكن لم تمنحها هذه الرخصة حدوداً ومناطق خاصة، سوى تخويل المستعمرة لعمل حصصاً فردية من الأراضي (في أي مكان لم يسكن مسبقاً)، لكنها حصلت على ملكية الأرض من مجلس نيوانغلاند في عام ١٦٣٠ والذي عُرف حدودها وأثبتت الملكيات الى الراضي الى الأبعد شمالاً حتى نهر كينبيك وأعطت المستعمرة حرية التجارة وصيد الاسماك^(٤١).

ان استقرار الانفصاليين في بلايموث، مثلاً حدثاً مهماً أثبت قدرة الناس على العيش والاستقرار في نيوانغلاند، ومع ذلك يعي المجتمع فيها بسيطاً وبدائياً ولم يجذب سوى القليل من المهاجرين، إذ ان الهجرة الكبيرة من البيوريتان (المتطهرين) لم تبدأ الا بعد مرور عشرة سنوات من استقرار الانفصاليين.

ثانياً: - تأسيس مستعمرة مساشوستس:

قام مجلس نيوانغلاند بمحاولات عدة لإنشاء مستعمرة في الأجزاء الشمالية من المحيط الاطلسي، ففي التاسع والعشرين من حزيران ١٦٢٣ فوّض المجلس روبرت جورجيز (Robert Gorges) (١٥٩٥-١٦٢٠) لإدارة المجلس وتنظيم شؤونه مع صلاحيات واسعة وشرع جورجيز بالإبحار لتأسيس مستوطنة ولكنه فشل في مخططة^(٤٢). ويبدو ان الإصرار والعزيمة لإيجاد حياة أفضل على المستوى الاقتصادي في امريكا الشمالية هي من دفعت فريقاً آخر مكون من ١٢٠ فرد في عام ١٦٢٤ أطلقوا على أنفسهم (مغامرو دورشستر) (Adventurers Dorchester) بأشراف جون وايت (John White) (١٥٧٥-١٦٤٨)، ضمت هذه المجموعة عدد من التجار ورجال الدين البيوريتان لتأسيس مستوطنة لصيد السمك في كيب آن (Cape Ann) ولكنهم فشلوا ايضاً في انجاز مشروعهم وقاموا بحل الشركة وبيع بضائعهم المخزنة الى شخص يدعى روجر كونانت (Roger Conant) (١٥٩٢-١٦٧٩).

نجح كونانت في عام ١٦٢٦ ومعه بعض من مغامرو دورشستر الذين رغبوا في تحقيق مسعاهم، الاستقرار في مكان يدعى من قبل الهنود نومكيغ (Naumkeag)^(٤٣)، وفي عام ١٦٢٨ حصل القس البيوريتاني جون وايت (John White) (١٥٧٥-١٦٤٨) على هذه الأرض من مجلس نيوانغلاد^(٤٤)، وقام بتسميتها سالم (Salem) والتي تعني (السلام) في اللغة العبرية^(٤٥).

ونظراً لسوء الاوضاع في انكلترا عقب تولي شارل الاول (Charles I) (١٦٢٥-١٦٤٩)، إذ توترت العلاقة بين الملك والبرلمان، عقب تمسك الأول بالحق الالهي في الحكم، الأمر الذي افضى الى حل البرلمان^(٤٦)، وتوسله سياسة قمعية بحق المعتقدات الدينية للبيوريتان،

وعلى يد وليام لاود (William Laud) (١٥٧٣-١٦٤٤)^(٤٧) الذي عين أسقف لندن عام ١٦٢٨ فقام بمنع تزمّت البيوريتان في منابرهم وبالع في إشاعة الكثير من ممارسات الكتلكة^(٤٨).

في ضوء ذلك، أدرك البيوريتان ان الإصلاح الديني لن يكون ممكناً في كنيسة انكلترا في ظل حكم شارل الأول، مما دفع نفر من دعاة الكنيسة الذين حظر عليهم مزاولة الوعظ الى جمع رعيّتهم من حولهم واقتفوا اثر الانفصاليين في بلايموث بحثاً عن الحرية الدينية في امريكا، ومن الجدير بالذكر، أن هؤلاء كانوا على خلاف المجموعة الأولى فلم يكونوا منفصلين عن الكنيسة الانكليكانية بل من غير المنسجمين مع ثوابتها^(٤٩)، ففي التاسع عشر من آذار ١٦٢٨ حصلت شركة نيوانغلاد على وثيقة مخولة من قبل الملك للاستيطان في اراضي امريكا^(٥٠).

عمّد زعماء البيوريتان من حملة الأسهم في شركة نيوانغلاند الى شراء جميع أسهمها، وبالفعل منحت الشركة في الرابع من آذار ١٦٢٩ الميثاق وبأذن من الملك الى مجموعة من البيوريتان الذي ينحدرون من عائلات نبيلة ذات ثروة وتعليم، فلم يرغبوا بالهجرة الى العالم الجديد مجرد اتباع لاسيما وإنهم كانوا يتطلعون الى الحرية التي أرادوا معها إقامة حكومة دينية تنسجم وطموحاتهم^(٥١)، وقد تبنت الشركة الميثاق باسم (شركة خليج مساشوستس) ما منعهم سلطة كاملة للسيطرة على الحكومة التي يبغون العيش تحت ظلها، فيما تضمن الميثاق بنوداً نصت على انتخاب حاكم ونائب الحاكم ومجلس مساعدين مكون من ثمانية عشر شخصاً، وان يتم عقد اجتماعاتهم اربع مرات في السنة^(٥٢).

دشنت شركة خليج مساشوستس اسطولاً مكون من احدى عشر سفينة في الاول من نيسان ١٦٣٠، بقيادة جون ونثروب (John Winthrop) (١٥٨٨-١٦٤٩)^(٥٣)، إذ نجحوا في تأسيس مستعمرة مساشوسس^(٥٤)، وقام وينثروب ببناء مدينة بوسطن في السابع عشر من أيلول من العام نفسه، واتخذها عاصمة لهم، وأصبح وينثروب حاكماً للمستعمرة وعُين توماس داولي (Thomas Dudley) (١٥٧٦-١٦٥٣)^(٥٥) نائب له^(٥٦).

دخلت موجة كبيرة من المهاجرين البيوريتان بين المدة (١٦٣٠-١٦٤٠)، وأطلق المؤرخون والباحثين على هذه الهجرة بـ(الهجرة العظمى)^(٥٧) التي حملت المهاجرين الانكليز اغلبيهم من البيوريتان الى تأسيس العديد من المدن، واقامت العديد من المستوطنات المجاورة لساليم وبوسطن وعلى ساحل خليج مساشوستس، ومنها كامبريدج (Cambridge)، شارلستاون (Charleston)، دورجستر (Dorchester)، روكسبري (Roxbury)^(٥٨)، ووترتاون (Watertown)، هينغهام (Hingham)، بارنستابل (Barnstable)، ويموث (Weymouth)^(٥٩)، ونكرد (Concorde)، سدبوري (Sudbury)، ديدهام (Dedham)، ماربلهيد (Marblehead) وايبسوتيش (Ipswich) وغيرها^(٥٩).

وكننتيجة للنمو السريع لمستعمرة مساشوستس، قام وينثروب بجهود كبيرة للحفاظ على أمن وإدارة المستعمرة، وألقى جل اهتمامه في وضع قاعدة دينية لحكومته، إذ اصدر في عام ١٦٣١ أمر بأن لا يسمح للرجال الاحرار (Freemen)^(٦٠) المشاركة بانتخاب الحاكم ومساعديه مالم يكونوا أعضاء في الكنيسة^(٦١).

وضع قادة مستعمرة مساشوستس أفكارهم موضع التطبيق، فلم ينصب اهتمامهم على كسب المنافع بقدر ما كانت لديهم الرغبة في ادارة ديمقراطية، صحيح أنهم تحدثوا عن الحرية الدينية إلا ان المعنى المقيد للغاية عن الحرية خصوا به أنفسهم، وليس غيرهم من المهاجرين، اذ ان الصفة البيوريتانية للمستعمرة جرت صيانتها عبر التأكيد على تقييد الحقوق السياسية لأعضاء الكنيسة، فالعضوية الكنسية مفتوحة أمام الذوات الذين يتمتعون بصفات حسنة وعقيدة معلنة، ومصديق عليها من قبل المشايخ البيوريتانيين، وفي اطار هذا النظام نال قرابة خمس البالغين من سكان مساشوستس الامتياز، اي بمعنى حقهم في المشاركة في الانتخاب^(٦٢).

رفضت بعض الشخصيات الطريقة المتشددة التي حكم بها البيوريتان المستعمرة، وكان اول من رفع لواء المعارضة هو توماس هوكر (Thomas Hooker) (١٥٨٦-١٦٤٧)^(٦٣) الذي اختلف مع وينثروب وبعض قادة البيوريتان حول طريقة الحكم في المستعمرة ومسألة الحريات الدينية فيها، فهاجر بمعية ٦٠ شخص من الرجال والنساء الى وادي نهر كونكتيكت (Connecticut)^(٦٤) وأسسوا في المدة ١٦٣٥-١٦٣٦ عدداً من المدن منها هارتفورد (Hartford) وندسور (Windsor) وذرسفيلد (Wethersfield)، وقد اتحدت هذه المدن فيما بينها ليأسسوا مستعمرة كونكتيكت^(٦٥)، ووضعت دستورها الذي عرف بقوانين كونكتيكت الأساسية (Fundamental orders of Connecticut) في التاسع من كانون الثاني ١٦٣٩^(٦٦).

ومن ضمن الشخصيات التي نبذت التسلط الكنيسي وسياسة الاستبداد التي طغت على المستعمرة هو روجر وليامز (Roger Williams) (١٦٠٣-١٦٨٣)^(٦٧) الذي وصل الى بوسطن في عام ١٦٣١ كوزير مشيخي (Baptist) الا انه ذو عقل تحقيقي قلق سرعان ما توصل الى استنتاج مفاده: ان البيوريتان وغيرهم من الفصائل الدينية الأخرى لا يملكون بحق أية معرفة يقينية بإرادة الله، لذا ما تزال الحقيقة غير معروفة وفي طور الاكتشاف، وبالتالي دعى الى تأسيس كامل للحرية الدينية والفكرية، وكان هو أول من طرح فكرة جدار الفصل بين الكنيسة والسلطة السياسية^(٦٨).

ومن ذلك حاول وليامز اقناع الناس بأنه لا توجد حكومة او لا يحق للحكومة بأن تفرض سلطتها على المسائل الدينية وطرح تساؤلات اخرى حول حق البيوريتان في استيطان الأرض التي تخص الهنود في مجتمع يؤمن بأن غرض الحكومة الأساس هو فرض أوامر الله على أية حال عُدت تعاليمه معرضة للفتنة، فوجدت حكومة مساشوستس انها مجبرة على نفيه في عام ١٦٣٦^(٦٩)، وكانت قبيلة ناراجنسيت

الهندية قد عرضت عليه الاستضافة وقدمت له المأوى اذ اشترى وليامز ارضاً من التي يمتلكها الهنود وأطلق عليها اسم بروفيدانس (Providence)، والتحق به جماعة من إتباعه المخلصين وأسسوا بذلك مستعمرة رود ايلاند (Rhode Isla) عام ١٦٣٦^(٧٠).

بعد ان نفي وليامز من المستعمرة، ظهر تهديد جديد للأمن المدني والديني في ماساشوستس تمثل بقدم السيدة آن هاتشينسون (Ann Hutchinson) (١٥٩١-١٦٤٣)^(٧١) الى بوسطن عام ١٦٣٤، والتي أخذت تثير الصراع عندما بينت ان رجال الدين في ماساشوستس قاطبة يفتقرون الى نعمة الخلق السماوي ولذلك يقودون أتباعهم الى الجحيم^(٧٢)، كما أوضحت بأن الله يمنح الخلاص دون الاكتراث بحسنات البشر، وأنكرت في خطاباتهما ما أكده البيوريتان بأن السلوك الحسن قد يكون علامة على الخلاص والوصول الى الجنة، وأكدت بأن الروح المقدسة موجودة في قلوب المؤمنين الحقيقيين بما يعفيهم من مسؤولية الانصياع لقوانين الله^(٧٣)، إذ أعلنت بأنها تعرف إرادة الله من خلال الإلهام الشخصي، لذا انتقدت بجرأة اداء الوزراء البيوريتان الذين اتهموها بالهرطقة، واعتبر رجال الدين البيوريتان ان وجود هذه المرأة في المستعمرة مؤامرة خطيرة قسمت المستعمرة الى معسكرات عدائية هددت بتدمير التجربة البيوريتانية في المستعمرة^(٧٤)، الأمر الذي دفع بالمحكمة العامة الى التحقيق معها في تشرين الثاني ١٦٣٧ فوُجعت في سقطة ادعائها بأن الله بعث لها وحياً من السماء وبالنسبة للبيوريتان كان هذا الادعاء كفراً، فأصدر أمر نفيها من المستعمرة واستقرت في مستعمرة رود ايلاند^(٧٥).

تطور الاستيطان من سكان ماساشوستس الى بقاع اخرى إذ تمكنت جماعة من معتقدات مختلفة في عام ١٦٣٨ الهجرة من ماساشوستس لغرض التجارة وصيد السمك وأسسوا بذلك مستعمرة نيوهامبشير (Newhampshire)^(٧٦)، فيما أخذت مجموعة أخرى وأسسوا مستوطنة ماين (Maine)، وظلت هاتان المنطقتين^(٧٧) تابعتين الى ماساشوستس حتى ١٦٧٩، ففي تلك السنة انفصلت نيوهامبشير وأصبحت مستعمرة ملكية قائمة بذاتها^(٧٨).

دفعت زيادة إعداد المستوطنين في مستعمرة ماساشوستس وغيرها من المستعمرات التي أنشأت، الى هياج الهنود الحمر الذين انبروا الى الدفاع عن أراضيهم، وأدى هذا التنازع الى حوادث قتل فردية تحولت فيما بعد الى جماعية وكانت غالباً ما تنتهي لصالح المستوطنين الانكليز نظراً لقوة أسلحتهم وتقدمهم الحضاري^(٧٩).

ان خشية سكان ماساشوستس من تهديد قبائل البيكون التي سكنت الجزء الجنوبي الشرقي من كونكتيكت، لاسيما ومحاولاتها المستمرة لطرد المستوطنين الجدد على طول نهر كونكتيكت، والمخاوف من تعاظم دور الهولنديين في الغرب، مال باتجاه جذب مستعمرات نيوانغلاند لبعضها الآخر^(٨٠). ولعل اول مقترح للاتحاد بين مستعمرات نيوانغلاند، طرح من قبل حاكم ورجال دين مستعمرة كونكتيكت في عام ١٦٣٧ وفي عام ١٦٤٠ ابدى حاكم مستعمرة ماساشوستس موافقته على المقترح شريطة، استثناء رودايلاند

من الاتحاد المزمع^(٨١)، على خلفية اختلاف نظريتها للمؤسسة الدينية عما هو سائد في مستعمرات نيوانغلاند، وشيوع افكار الهرطقة فيها أو تعاطفها مع القبائل الهندية، مما دفع بحاكم ماساشوستس جون وينثروب إلى تذكير المجتمعين قائلاً: "نحن ليس لنا حديث معهم، ولسنا راغبين في ان يكون لنا معهم ما هو أكثر من الضروري، أو ما تتطلبه الإنسانية"^(٨٢). اما مين، فيبدو ان ادعاءات ماساشوستس بها، ولكون جل مستوطناتها من الانكليكان، اقنع المستعمرات الأخرى بعدم جدوى تقديم دعوى لها ولأنها قد تؤدي خسارة حضور ماساشوستس^(٨٣).

اجتمع رجال المستعمرات آنفة الذكر لمراعاة اعتبارات اتحادهم والذي ضم مندوبوا بلايموث، ماساشوستس، كونكتيكت ونيوهافن ليعلنوا في التاسع عشر من آذار ١٦٤٣ قيام المستعمرات المتحدة لنيوانغلاند، او ما يعرف تاريخياً باتحاد نيوانغلاند الكونفدرالي (New England Confederation)^(٨٤) وحددت فقرات الاتحاد وتمت الموافقة على اتخاذ مجلساً مكوناً من ثمانية مفوضين بواقع عضوين من كل مستعمرة، ويتم انتخابهم سنوياً ويجتمع هؤلاء المفوضين مرة واحدة في السنة أو في أية حالة طارئة لمناقشة المسائل المدنية والعسكرية المتعلقة بالمستعمرات المتحدة كلها، وقد ناقشت المستعمرات مصالح اتحادها وأهدافهم المشتركة، والمخاطر المحيطة بهم^(٨٥).

ونظراً لكون مستعمرة ماساشوستس في امريكا الشمالية جزء لا يتجزأ من املاك الامبراطورية الانكليزية، فإن ما يحدث من تطورات سياسة كان يتردد صداه في المستعمرة، فعندما جنح الملك شارل الاول نحو الاستبداد والتفرد في الحكم بدون استشارة البرلمان، وفرض قوانين لجمع الضرائب والقروض الاجبارية، وحل البرلمان لمرات عديدة، وميوله للكاثوليك ومعاداته للبيوريتان دفعت الطبقة الوسطى من الانكليز ينحازون الى البروتستانتية وزعماء الكنيسة البيوريتانية البارزين الى الوقوف بوجه^(٨٦)، ففي عام ١٦٤٢ بدأت اولى فصول الحرب في انكلترا بين مساندي الملك والقوى المؤتلفة آنفة الذكر بقيادة اوليفر كرومويل (Oliver Cromwell)

(١٦٥٨-١٥٩٩)^(٨٧) قائد جيوش البرلمان الانكليزي^(٨٨)، حيث تمكن الأخير من الانتصار، وإعدام شارل الأول في الثلاثين من كانون الثاني ١٦٤٩، معلناً بتأسيس حكومة دكتاتورية عسكرية بزعامة كرومويل الحامي (Protector) استمرت لغاية ١٦٦٠^(٨٩).

انعكست هذه الاحداث على واقع مستعمرة ماساشوس، فعند اندلاع الحرب الأهلية استأنفت هجرة البيوريتان الى ماساشوستس بل ان مئات منهم عادوا من خليج ماساشوستس للقتال ولمشاركة اخويتهم في انكلترا ليتبوأ المناصب المهمة والمفيدة^(٩٠).

يفهم من خلال مما تقدم، ان ماساشوستس احتضنت رجال دين ذوي تعليم أكفاء للمهمة التي أخذوها على عاتقهم لتكوين مجتمع ديني وسياسي مبني على المساواة في حقوق الناس وإطاعة [الرب]

كالسلطة العليا لسن القوانين والحكم، وكانت الميزة الخاصة في شخصياتهم هي الاعتبار المقدس للوحي الإلهي، متوحدين بالإقناع بضرورة حكومة مدنية ثيوقراطية لأجل إقامة نظام اجتماعي عادل، وفي خلاف ذلك تسلط معتقدتهم وفكرهم الديني البيوريتاني الذي طغى على المستعمرة، فعلى الرغم من ان سبب هجرتهم من انكلترا هو تسلط الكنيسة الانكليكانية، إلا أنهم أسسوا مستعمرة دينية متسلطة في أمريكا.

الهوامش:

- (١) محمد حامد الطائي، وآخرون، جغرافية العالم الجديد (الأمريكتين)، بغداد، ١٩٨٠، ص ٧-٨.
- (٢) Alma Holman Burtou, History of the United States, New York, 1899, P. 76;
- عبد الله حميد العتاي، قصة ظهور أمريكا: التطورات الداخلية في المستعمرات، ١٦٠٧-١٧٧٤، بغداد، ٢٠١٠، ص ٢.
- (٣) هاشم صالح التكريتي، مقدمة في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية الحديث (من الاكتشاف الى الاستقلال)، بغداد، ٢٠١٣، ص ٦٢-٦٣.
- (٤) J. A. Doyle, English Colonies American: The Puritan Colonies, Vol.2, New York, 1886, P. 43.
- (٥) والتر رالي: ولد رالي في مدينة ديفون في انكلترا عام وهو كاتب قصصي وشاعر، كان احد المقربين الى الملكة اليزابيث، درس في جامعة أكسفورد في انكلترا، وقام بتمويل عدة حملات استكشافية الى أمريكا ومنها حملة الى دوانوك في عام ١٥٨٣ والتي عرفت بـ (المستعمرة الضائعة) ساءت علاقته مع الملكة عندما اثار غضبها بزواجه من إحدى وصيفاتها، ووضع في السجن في برج لندن، وعندما أطلق سراحه تمكن من الهرب مع زوجته ليستقر في مزرعة ريفية، وفي عام ١٥٩٥ قاد حملة استكشافية واكتشف منطقة اسمها غويانا (والتي تعرف حالياً فنزويلا) ووصف هذه المنطقة في كتابه الشهير المعنون (إمبراطورية غويانا الواسعة الغنية والجميلة) واعتبر هذا الكتاب واحداً من أفضل الكتابات حول الرحلات الاليزابية، اعدم رالي في عام ١٦١٨ بتهمة التمرد على الملك جيمس الأول محاولاً استرضاء الأسبان. ينظر: Alan Hager Encyclopedia of British Writers: 16th, 17th and 18th Centuries, New York, 2005, PP. 328-329.
- (٦) تأسست مستعمرة فرجينيا عام ١٦٠٧، نسبة لاكتشاف أول مستوطنة فيها هي مستوطنة جيمستاون التي أطلقوا عليها هذا الاسم تيمناً للملك جيمس الأول، وتعد هذه المستوطنة أولى المناطق التي استقر فيها المهاجرون الانكليز في أمريكا الشمالية. ينظر:
- عبد الفتاح حسن ابو علي، تأريخ الأمريكيتين والتكوين السياسي للولايات المتحدة الأمريكية، الرياض، ٢٠٠١، ص ٢٩.
- (٧) Frederick Freeman, The History of Cap Cod: The Annals of Barnstable Country Include The district of Mashpee, Vol.1, Boston, 1860, P.59.
- (٨) فتح الملك جيمس الأول ميثاقاً في العشرون من نيسان ١٦٠٦ الى شركة فرجينيا والتي تكونت من فرعيين هما شركة لندن وشركة بلايموث، وبموجب هذا الميثاق فتحت شركة لندن امتيازاً بتأسيس مستوطنات في الأراضي الواقعة بين خطي عرض ٣٤° و ٤١° على الساحل الأمريكي، ومنعت شركة بلايموث إقامة مستعمرة بين خطي عرض ٣٨° و

٤٥ على الساحل الأمريكي، وقد حققت شركة لندن نجاحاً ملموساً في تأسيس أول مستوطنة دائمة في أمريكا هي مستوطنة جيمستاون ١٦٠٧، فيها ان شركة بلايموث لم يكتب لها النجاح. ينظر: محمد محمود النيرب، المدخل في تأريخ الولايات المتحدة الأمريكية، ج١، الاسكندرية، ١٩٩٧، ص ٣٣.

(٩) روبرت كوشمان. رجل ديني مهم من كنيسة سانت اندرو كانتربري ومنظم رحلة ماي فلادور في عام ١٦٢٠، تولى منصب وكيل في لندن لمجموعة الانفصاليين، قام بنشر العديد من الشعارات الدينية في انكلترا التي أثارت السلطات الانكليزية فألقت القبض عليه وحوكم في عام ١٦٠٤ بتهمة نشره الفتنة، إلا أنه برئ في الخامس عشر من تشرين الأول من العام نفسه. هاجر مع عائلته الى هولندا في عام ١٦١١، وقد عرض مبادئه الدينية في كتيبه الشهير الذي كتبه عام ١٦١٩ بعنوان "صرخة حجر"، نشر في العام ١٦٤٢. توفي في عام ١٦٢٥. ينظر الى:

Eugene Aubrey Stratton, Plymouth Colony, Its History and People, 1620-1691, Ancestry, 1986, PP. 275-276.

(١٠) جون كارفر: ولد كافر في عام ١٥٧٦، في يوركشاير في انكلترا، وكان احد الشماسين البيوريتان (الانفصاليين)، كما كان احد التجار المعروفين في لندن، استأجر سفينة ماي فلادور التي حملت الانفصاليين من هولندا الى العالم الجديد، وقدم مساعدات مالية الى الانفصاليين المتواجدين في هولندا، وكان أول من وقع على ميثاق ماي فلادور، وانتخب بالاجماع اول حاكم لمستعمرة بلايموث في الحادي عشر من تشرين الثاني ١٦٢٠ ولغاية الخامس والعشرون من آذار ١٦٢١، وتوفي في الثاني عشر من نيسان ١٦٢١. ينظر الى:

Caryn Hannan, Massachusetts Biographical Dictionary, Vol.I, Hamburg, 2008, P.82.

(11) J.A. Doyle, History of the United States, P.62.

(12) Thomas Hutchinson, The History of Massachusetts: from First Settlement There of in 1628 until The year 1750, Vol.1, Salem, 1975, P.12.

(13) John T. Wheel, Op.Cit, P.10.

(14) J.A.Doyle, English Colonies....., P.40.

(15) George B.Cheever, The Journal of the Pilgrims At Plymouth, in New England, in 1620 : Reprinted from the Original Volume, New York, 1849, P.105.

(16) W.H. Baytelt, The Pilgrim Fathers, The founders of New England in the reign of James the first, London, 1853, PP.100-102.

(17) W.H.Bartlett, Op.Cit,P.102.

(18) George B. Cheever, Op.Cit,P.109.

(19) كانت حمولة سفينة سيبيويل ٦٠ طناً، في حين ان حمولة سفينة ماي فلادور ١٨٠ طناً. ينظر الى:

Oscar Theodore Bark and Hugh Talmag lefler, Colonial America, New York, 1958, P.76.

(20) Oscar Theodore Bark and Hugh Talmag lefler, Op.Cit,P.76.

(21) Danielle Smith-Llera, Exploring the Massachusetts, Capstone press, 2016, P.13.

(٢٢) كاب كود: شبه جزيرة رمالية وتمتد ٦٥ ميلاً في المحيط الأطلسي ويتراوح عرضها بين

(٢-١) ميل، أطلق عليها هذا الاسم من قبل المستكشف الانكليزي (بارثولوميو غوسنولد)

(Bartholomew Gosnold) الذي زار شواطئها في عام ١٦٠٢ واتخذ منه مخزن كبير من سمك القد، وكاب كود

تعني (سمك القد). ينظر: ايرل شينك مايرز، ولاياتنا الخمسون، ترجمة احمد عزت طه، القاهرة، ١٩٦١، ص ٨.

(٢٣) هاشم صالح التكريتي، المصدر السابق، ص ٦٢.

(24) Frederick Freeman, Op.Cit, PP.63-64.

- (25) Joseph Bauuad, Plymouth and the Pilgrims, or Incidents of Adventure in the History of the firsts settlers, Boston, 1856, P.27.
- (26) Oscar Theodore Bark and Hugh Talmage lefler, Op.Cit,P.81.
- (27) John M.Blum and others, Op.Cit, P.13.
- (28) Oscar Theodere Bark and Hugh Talmage lefler, Op.Cit,P.81.
- (29) John M.Blum and others, Op.Cit, P.15.
- (٣٠) فرحان زيادة وإبراهيم فريجي، تاريخ الشعب الأمريكي، أشراف فيليب متي، بيروت، ١٩٤٦، ص ١٤.
- (٣١) إيرل شنيك ميرز، حضارة العالم الجديد من عصر الاستكشافات الى عصر الذرة، ترجمة فؤاد جميل، بغداد، ١٩٥٨، ص ٢٧.
- (32) Mary Schuyler Phillips, Colonial Massachusetts, Ohio, 1916, P.13
- (33) William Benton, The Annals of America; 1492-1754 Discovering a New world, Vol.1. London, P.66.
- (34) John T. Wheel Wright, Op.Cit,P.40.
- (35) Francis Baylies, An Historical Memoir of the Colony of New Plymouth from 1620 to 1641, Vol.1, Boston, 1820, P.68.
- (٣٦) قدر عدد افراد هذه القبيلة قبل مجيء الانكليز اكثر من (١٢,٠٠٠) وكان يقب رئيس القبيلة أو زعيمها ب (Sachem) أي (الزعيم)، ينظر :
- Katheen W.Deady, The Massachusetts Bay colony, New York, 2006, P.4.
- (٣٧) ينظر نص المعاهدة في:
- Richard Tetek, Relations between English Settlers and Indians in 17th century New England , Diploma thesis, Masaryk University, Brno, 2012, P.36.
- (38) Rocharch Tetek, Op.Cit, P.36.
- (39) Ibid, P.8.
- (40) Marry Schuyler Philips, Op.Cit, P.1 .
- (41) Oscar Theodore Bark and Hugh Talmage Lefler, Op.Cit,PP.78-79.
- (42) Thomas Hutchison, Vol.1, Op.Cit, P.14.
- (43) Caleb H. Snow, A History of Boston: The Metroplis period, Boston, 1828, P.22.
- (44) Emma Willard, History of the United States or Republic of American, New York, 1852, P.40.
- (45) Joseph B. Felt, Annals of Salem, Vol.1, Boston, 1845, P.8.
- (46) Alan Brinkley, American History, A survey, New York, 2007, P.42.
- (٤٧) وليام لاود: ولد لاود في تشرين الاول ١٥٧٣، درس في جامعة اكسفورد في انكلترا، حصل على شهادة الماجستير عام ١٥٩٤ والدكتوراه فسي عام ١٥٩٨، كان معادياً للبيوريتان، وقد عينه الملك شارل الاول في عام ١٦٣٧ رئيساً لأساقفة كانتبري، وتولى دوراً رئيسياً في إدارة البلاد بوصفه احد مستشاري الملك، سياسته الدينية المتعسفة كانت سبباً في اندلاع الحرب الأهلية في انكلترا، اعدم لاود في عام ١٦٤٥.
- ينظر :
- Ronald Hifritze and William B, Robison, Historical Dictionary of Sturat England 1603-1699, London, 1996, P.284.
- (48) J.C. Ryle, The Priest of Puritan and the Preacher, New York, 1856, PP.98-99.
- (٤٩) وزارة الخارجية الامريكية، موجز التأريخ الأمريكي، مكتب الإعلام الخارجي، U.S.A ، ٢٠٠٦، ص ١٢.

(50) David Pulsifer and Joseph Barlow felt, Record of the Company of the Massachusetts bay in New England: from 1628 to 1641, Vol. I, Cambridge, 1850, P. xvi; John M. Blum and others, Op.Cit, P.19.

(٥١) جراح عبد الله قاسم البديري، الرق في المستعمرات البريطانية في أمريكا الشمالية حتى عام ١٧٧٥، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة ذي قار، ٢٠١٤، ص ١١٤.

(52) Salma Hale, History of the United States from there first settlement as Colonies to the close the war with Great Britain in 1815, London, 1827, p.36; Thomas Hustchinson, Op.Cit, P.20.

(٥٣) جون وينثروب: ولد وينثروب في عام ١٥٨٨ في ادوارد ستون في انكلترا من أسرة عرفت بثرائها وارسقراطيتها، درس القانون في جامعة كامبريدج وعكف على دراسة الكتاب المقدس، وكان من ابرز قادة البيوريتان وأكثرهم تزمناً، كان اول حاكم لمستعمرة مساشوستس للمدة (١٦٣٠-١٦٤٩) شهدت مستعمرة مساشوستس تطوراً ملحوظاً خلال ادارته الحكيمة في شؤونها، توفي في بوسطن عام ١٦٤٩. ينظر الى :

Jennifer L. Herman, Massachusetts encyclopedia, Vol., I, 2008, PP. 142-144.

(٥٤) توماس دادلي: ولد دادلي في تشرين الاول ١٥٧٦ في نورثامبتون في انكلترا، تلقى تعليمه في كنف عائلته، هاجر مع جون وينثروب الى امريكا في عام ١٦٣٠ على ظهر السفينة (ارابيلا)، وفي العام نفسه اختير نائب الحاكم، حظي بشعبية كبيرة بين مستوطن مساشوستس، كان غير راضياً عن جون وينثروب حتى وقع خلافاً بينهما بشأن الميثاق ومعاملة الاحرار، تولى دادلي حكم مستعمرة مساشوستس اربع مرات (١٦٣٤-١٦٣٥، ١٦٤٠-١٦٤١، ١٦٤٥-١٦٤٦، ١٦٥٠-١٦٥١)، توفي في الواحد والثلاثون من تموز ١٦٥٣، ينظر الى :

Jennifer L. Herman, Op.Cit, PP. 144-145.

(55) Henry Cabot Lodge, Historic Towns Boston, London, 1891, pp.15-17.

(٥٦) عبد الله حميد العتابي، قصة ظهور أمريكا التطورات الداخلية في المستعمرات الأمريكية ١٦٠٧-١٧٧٤، بغداد، ٢٠١٠، ص ٤٠؛ هاشم صالح التكريتي، المصدر السابق، ص ٦٤.

(٥٧) تعود تسمية مساشوستس الى لغة (الالغونكيين) وهي إحدى لغات الهنود الحمر في أمريكا الشمالية، والتي تعني (قرب الجبل الكبير) أو (فوق التل الأعلى). ينظر الى :

ايرل شنيك مايرز، ولاياتنا الخمسون، ص ٧؛ هاشم صالح التكريتي، المصدر السابق، ص ٦٤.

(58) Danielle Smith- Llera, Op.Cit,P. 17.

(59) Thomas Hutchinson, Vol.1, Op.Cit, PP.25-26;

ايرل شنيك مايرز، ولاياتنا الخمسون، ص ١١.

(٦٠) استخدم مصطلح "الرجل الحر" في امريكا في القرن السابع عشر ونعني بأن اي رجل يحق له انتخاب ممثلين من التجمع في مستعمرته، وفي مستعمرة مساشوستس عندما مزجت شركة خليج مساشوستس والمستعمرة معاً، أصبح رجل حر الشركة هو رجل حر للمستعمرة ايضاً، اي بمعنى ان الرجل الحر يحق له التصويت، وفي عام ١٦٣١ اختير قرابة ١١٨ من الذكور البالغين كرجال احرار لهم حق التصويت في المستعمرة. ينظر الى :

Joseph Hopkins Twichell, John Winthrop: First Governor of the Massachusetts colony, New York, 1892,P. 79.

(61) Alden Bradford, Op.Cit,P.28.

(٦٢) هنري بامفورد باركيز، تأريخ الولايات المتحدة الأمريكية تمدد اوروبا (المرحلة الممهدة لاكتشاف العالم الجديد) حتى نمو المثالية الاجتماعية (١٤٩٢-١٨٥٠)، ترجمة علي البديري، بغداد، ٢٠١٣، ص ٩٩.

(٦٣) توماس هوكر: ولد توماس في عام ١٥٨٦ في ماريفيلد في ليسترشاير في انكلترا، درس الآداب في جامعة كامبردج، وحصل على شهادة الماجستير فيها في عام ١٦١١، وهو احد زعماء الآباء الحجاج، وواعظ ديني في "الكنيسة سانت ماري" في تشيله سفورد في انكلترا، ونظراً لسياسة وليام لاود القمعية بحق المعتقدات البيوريتانية، هاجر هوكر الى هولندا عام ١٦٢٩، ثم هاجر الى مساشوستس وبسبب خلافه مع الحاكم جون وينثروب قام بالهجرة الى نهر كونكتيكت وهو المؤسس لمستعمرة كونكتيكت عام ١٦٣٦، توفي بمرض وباء الطاعون في عام ١٦٤٧ عن عمر ناهز ٦١ عام. ينظر الى :

Alan Heimert and Andrew Delbanco, The Puritans in America; A narrative Anthology, Massachusetts, 1985, PP.22-23.

(64) Emma Willard, Op.Cit, PP.46-47.

(65) Merle Burke, United States History: The Growth of our Land, Chicago, 1961, p.28.

(66) Stephen L. Schechter, Roots of the Republic: American founding documents interpreted, New York , 1990, P. 24.

(٦٧) روجر وليامز: من ابرز رجال الدين البيوريتان ومؤسس مستعمرة رودايلاند ومن رواد الحرية الدينية في المستعمرات الانكليزية في امريكا الشمالية، ولد في عام ١٦٠٣ ودرس القانون في جامعة كامبرج، وصل الى مستعمرة مساشوستس في عام ١٦٣١ واستقر في بوسطن، دعى الى الفصل بين الكنيسة والدولة، وأدى تمسكه الشديد بأرائه الى النفي من مساشوستس عام ١٦٣٥، توفي في مستعمرة رود ايلاند في عام ١٦٨٣. ينظر الى :

Spencer C. Tucker and others, The Encyclopedia of North America Indian wars, 1607-1890: A Political Social and military History, Vol.1: A-L, Oxford, P.847.

(٦٨) هنري بامفورد باركيز، المصدر السابق، ص ١٠٠

(69) Charles A. Beard and William C. Bagley, The History of the American People, New York, 1920, P.54.

(70) Merle Burke, Op. Cit, P. 27

(٧١) آن هاتشينسون: اسمها آن ماربوي هاتشينسون (Anne Marbury Hutchinson) ولدت في تموز ١٥٩١، وهو بيوريتانية ومرشدة روحية، تزوجت في عمر ٢١ سنة من تاجر القماش البيوريتاني وليام هاتشينسون، كانت امأً لخمس عشرة طفلاً، تأثرت بالواعظ البيوريتان جون كوتون (John Cotton) وعندما علمت ان كوتون هاجر الى امريكا في عام ١٦٣٣، ليقوم بالوعظ في كنيسة بوسطن، التحقت به في العام التالي مع زوجها وأولادها، توفيت في عام ١٦٤٣. ينظر الى :

Lyune E. Ford, Encyclopedia of Women and American politics, New York, 2008, p. 251.

(٧٢) هنري بامستورد باركيز، المصدر السابق، ص ١٠٠.

(73) John M. Blum, Op. Cit, P.22

(74) Alan Heimert and Andrew Delbanco, Op.Cit, PP.154-155.

(75) David D. Hal, the Antinomian controversy 1636- 1638: A Documentary History, second Edition, Burham and London, 1990, P.311.

(76) James Alton James and Alber Hart Sanford, American History, New York, 190p.63.

(٧٧) منحت الحكومة الانكليزية عام ١٦٢٣ الى شخصين انكليزيين هما فرناندو جورجيز وجون ميسون قطعتين من الارض شمال مساشوستس بين نهري ميريماك وكينباك، وقام هذان الشخصان بعد ست سنوات باقتسام المنطقة فيما بينهما فأخذ ميسون الجزء الغربي وأطلق عليه اسم نيوهامبشير واخذ جورجيز الجزء الشرقي واسماه مين، وقد فشل هذان في عملية تطور الاستيطان في منطقتيهما الامر الذي شجع بعضاً من سكان مساشوستس وفتح الطريق امامهم للهجرة والاستيطان فيها. ينظر:

James and Albert, Op.Cit, P.63.

هاشم صالح التكريتي، المصدر السابق، ص ٦٥؛ جراح عبد الله قاسم البديري، المصدر السابق، ص ١١٦.

(78) Merle Burke, Op.Cit, P.28.

(٧٩) عبد العزيز سليمان نوار وعبد المجيد ننعلي، تأريخ الولايات المتحدة الامريكية، بيروت، ١٩٧٣، ص ٤٥.

Francis Newtown Thorpe, A History of the American People, Chicago, 1901, P. 72.

(80) Samuel Adams Darke, the Making of New England; 1580-1643, New York, 1896, p.242

(81) Henry Steele Commager, documents of American History, New York, 1949, P.26.

(٨٢) نقلاً عن: زيدان حسان حاوي الشويلي، الدستور الأمريكي (دراسة تاريخية)، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، بغداد، ٢٠١٢، ص ٦٠.

(83) Samuel Adamas Drake, Op.Cit, P.243.

(84) Howard W. Preston, documents Illustrative of American History 1603-1863 with introductions and references, New York, 1886, P.85.

(85) Howard W. Preston, Op.Cit, P.85; Jon L. Wakelyn, America's founding charters: Primary Documents of Colonial and Revolutionary Era Governance, Vol. I, London, 2006, PP.273-276.

(86) James and Albert, Op.Cit, P.63

(٨٧) اوليفر كرومويل: قائد انكليزي عسكري وسياسي، ينتمي الى طبقة النبلاء الوسطى، ولد في الخامس والعشرين من نيسان ١٥٩٩ في هينتنجون في انكلترا، انتخب عضواً في البرلمان الانكليزي عن مدينة كامبريدج عام ١٦٢٨ برز كرومويل عند اندلاع الحرب الاهلية في انكلترا، إذ دخلها الى جانب جيش البرلمانين ضد انصار الملك شارل الاول، حسم كرومويل النزاع في عام ١٦٤٨، عندما عقد جلسة خاصة للبرلمان، والذين اصدر الحكم بإعدام الملك عام ١٦٤٩، حوّل كرومويل انكلترا الى كومنوالث جمهوري ابتداء من أيار ١٦٥٣، وأصبح حامياً لأنكلترا واسكتلندا وايرلندا في كانون الاول ١٦٥٣. ينظر الى:

Hugh James Rose , A new General Biographical Dictionary , Vol.6, London, 1853, P.42-404.

(88) D. Mount field, The Church and Puritans A short Account of the puritans: Their Ejection from the church of England and the Efforts to Restore them, London, 1881, P.34

(89) Henry Offley Wakeman, The Church and puritans 1570-1660, London, 1807, PP.169-170.

(90) George Chalmers, Political Annals : Of the present United Colonies from their settlement to the pace of 1763, Book 1, London, 1870, p.166.

العمارة الإسلامية في الفترة التيمورية

سلوى إبراهيم توفيق

أ. م. د. فاروق محمد علي

جامعة بغداد - كلية الآداب

قسم الآثار - الإسلامي

العمارة الإسلامية في الفترة التيمورية

سلوى إبراهيم توفيق

أ. م. د. فاروق محمد علي

الملخص باللغة العربية:

أولى التيموريين جُل اهتمامهم الى العمارة والفنون، حيث اعتمدوا في مفرداتهم على عناصر العمارة السلجوقية والنمط المحلي للمناطق التي خضعت لسيطرتهم؛ وقد دأب التيموريين على تخريج العناصر الفنية والمعمارية بشكل متقن للغاية مما منحها بالنتيجة هوية فريدة. يتضح هذا بجلاء في العديد من المباني التي أُقيمت في المناطق التي خضعت لسيطرة الدولة التيمورية؛ فمن ابرز مفردات الفن والعمارة شواخص فريدة اتسمت بعناصرها المعمارية واسلوب تقبيب مُميز الى جانب جملة من الابتكارات الفنية التي تتجلى بوضوح في نوعية الزخارف وانماطها والمواد التي استخدمت لتنفيذ الزخرفة مما أضفت بالنتيجة مزيداً من الجلال الى المباني .

Abstract

The Timurid paid great attention to the art and architecture by drawing on Seljuq architecture and the local pattern of the areas that went under their control. They, effectively, worked on tailoring their design with the domestic ones to produce a unique identity to their arts. This is clearly illustrated in many of the buildings established during this era; for instance, the use of turquoise and blue tiles to form an intricate linear and geometric pattern to cover the facades of buildings are one of those factors.

حرص تيمور^(١) على اقامة شواخص معمارية تعكس مدى هيمنته وتُخلد اسمه، فبالرغم من كونه قائد عسكري يتسم بالصفات العسكرية والرغبة في اجتياح الاراضي سعيًا منه الى مد الرقعة الجغرافية للإمبراطورية التيمورية فقد عمل ايضاً على استقدام عدد كبير من المهرة الى سمرقند كالنحاتين والحجارين وعمال الجص من أذربيجان وأصفهان ودلهي وعمال الفسيفساء من شيراز والنساجين وصانعي الزجاج والخزافين من دمشق بحيث اوضحت المدينة غير كافية لتسع هذا العدد الهائل من اصحاب الحرف.^(٢)

وفي الوقت الذي يكون فيه تيمور في مدينته لاسيما إبان فترات الاستراحة من الحملات العسكرية، كان وقتها يُولي جُل اهتمامه بالإشراف المباشر على مشاريع البناء التي اتسمت بعظمتها والتي توجي للناظر مدى حرصه على إضفاء الجلل إليها.^(٣) وعلى الرغم من أن تيمور كان قد ركز جهده المعماري على مدينة سمرقند، لكنه أيضا لم يغفل عن إقامة مبانٍ في مدن أخرى، حيث أمر بتشييد آق سراي في شهربز، ومسجد وضريح خوجة احمد يسوي.

ويمكن القول ان أبرز الشواخص المعمارية التي تُنسب الى فترة تيمور توجد في سمرقند، حيث أمر تيمور بتشييد الكثير من المباني الدينية والمدنية والحدائق الغناء والقصور التي تزخر بجدرانها الحجرية وأرضياتها ذات الأنماط المعقدة والمموهة بالذهب. لم يرث الحكام التيموريين اللاحقين شغف التوسع الإقليمي والعسكري من جدهم تيمور، بل آثروا الميل نحو حب الهندسة المعمارية. وحتى بالنسبة للنساء من سليلات تيمور، فقد كان لهن دور بارز فيما يخص انخراطهن وشغفهن بالعمارة والهندسة، هنا لابد من الإشارة الى الامبراطورة گوهرشاه، زوجة شاه رخ، التي يُنسب اليها إقامة مسجد في مشهد (٨٠٨-٨٢١هـ/١٤٠٥-١٤١٨م) ومجمع يضم ضريح ومسجد ومدرسة في هرات في (٨٢٠-٨٤١هـ/١٤١٧-١٤٣٧م).^(٤)

يمكن لنا ان نتصور ان انتقال العاصمة التيمورية من سمرقند الى هرات افضى الى انتقال التركيز المعماري من سمرقند إلى تلك المدينة؛ ومع ذلك واصل التيموريين تشييد المباني في سمرقند، لاسيما اولوغ بيك^(٥) الذي كان حاكما للمدينة تحت والده شاه رخ.^(٦) لابد من ملاحظة ان الحلول المعمارية والفنية التي تجلت في مفردات العمارة التيمورية، نجدها ايضا قد انعكست في نتاجات معمارية اخرى في سمرقند وهرات وباكو وتبريز^(٧) لكن ذروة العمارة التيمورية تتجلى بشكل واضح في مباني سمرقند.^(٨) فمن أبرز الشواخص هو قصر آق سراي الذي يقع في شمال شرق مدينة شهرسبز^(٩) مسقط رأس تيمور وعاصمته الأولى قبل سمرقند، شُرع ببناء القصر في عام (٧٨٢هـ/١٣٨٠م) بعد عودته وانتصاره في جرجانية.^(١٠)

ما تبقى من عمارة القصر حالياً هو الإيوان، (لوح ١) الذي يتسم بارتفاعه الشاهق وضخامة وصلادة بناءه إضافة الى وجود اجزاء من الجدران التي ربما توفر فكرة جلية عن طبيعة الزخرفة المتبعة وانماطها. وقد خضع هذا الإيوان الى سلسلة من اعمال التأهيل التي استندت على الوصف المذكور في المدونات الأدبية بوصفها مصدرا رئيسيا لإعادة بناء القصر، إذ لم تكن اعمال التنقيب والحفر في الموقع كافية للكشف عن النظام التخطيطي لمجمع القصر، فليس من الواضح موقع هذا الإيوان المتبقي من أقسام القصر الأخرى.

وبغية الحصول على معلومات قد تميظ اللثام عن الغموض الذي يكتنف النظام التخطيطي و/ أو وصف القصر لابد من تصفح كتاب روي غونزاليس دي كلافيجو- المبعوث الإسباني إلى بلاط تيمور- الذي ألفه في عام (٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م) عقب زيارته للمبنى حينما كان قيد الإنشاء؛ والمصدر الثاني بابر^(١١)، الذي يعطي وصفاً للمجمع في كتابه (بابرنامه)^(١٢) بعد زهاء قرن من اكتمال بناء القصر. وقد ولد هذان المصدران فرضيتين فيما يتعلق بالهيكل القائم، إذ يعتقد البعض أن الإيوان المتبقي كان يمثل إيوان المدخل الرئيسي للقصر والمذكور في كتاب كلافيجو والذي وصفه بأنه على شكل إيوان مشيد على وفق طراز البشتاق ومزدان بالزخارف، بينما يجادل آخرون بأنه يمثل الإيوان المركزي للمجمع الذي يمثل بلاط تيمور. بينما تستند الفرضية الثانية إلى وصف كل من كلافيجو وباربر للإيوان الرئيسي، اللذان يشيران إلى نفس العنصر من دون الإشارة إلى وجود إيوان مدخل ملحوظ.^(١٣)

يبلغ ارتفاع الإيوان نحو (٣٠م) ويمتد لنحو (٢٢م) ويتكون الهيكل المتبقي من مسطحين مستطيلين متقابلة وأقواس منهارة. يحيط بالإيوان الأكبر إطار يضم فتحة المدخل ويوجد على كل جانب منها برج أسطواني. وتشير المصادر التاريخية إلى أن الارتفاع الأصلي للأبراج كان يتراوح بين (٦٠ و ٧٠ م)، أما الإيوان الثاني فهو اصغر حجماً يبلغ عرضه (١٣ م).^(١٤)

وانني أرحح هنا ان الوصف الذي خرج به كلافيجو يتناغم مع النظام التخطيطي السائد في المدارس والذي تنسب نواته الاولى الى السلاجقة من خلال اعتماد الصحن او الساحة الوسطية كمحور للمبنى، مع الاخر بنظر الاعتبار الغرض المتوخى من المبنى والوظيفة البنائية لذلك جاء الاختلاف هنا يتجلى بوجود مجموعات الغرف المتنوعة الاحجام والقاعات لاسيما قاعة الحريم ذات الزخارف المميزة. فالفكرة العامة للنظام التخطيطي هذا تقضي بالاعتماد على المحور الوسطي الذي تطل عليه مرافق البناء الاخرى مع الاخذ محض الاعتبار جانب المساحة المخصصة للمبنى والغرض المتوخى من اجل تحديد نظام من الزخارف وانماط معينة تتناسب مع هوية المبنى سواء أكانت مبنى تعليمي او دار سكن او قصر يتسم بالثراء.

ويشير الوصف الموجد في المصادر الأدبية بالنسبة للقطع المتبقية من البلاط المزجج، الى انها تتميز بثناء مكوناتها حيث ان بقايا البلاط هو عبارة عن مزيج فريد من أنماط مختلفة وتقنيات متنوعة من التزجيج التي كانت مستخدمة في ذلك الوقت. كما وتمثل زخرفة القصر مثالا مذهلا على استخدام الألوان في العمارة في الأراضي الإسلامية الشرقية، إذ نجد في كل برج من البرجين اللذان يعقان على جانبي الإيوان، بقايا لنمط زخرفي

متعرج يغطي الأبراج وأجزاء من الجدار؛ وتكسو الجدران الداخلية للإيوان لوحات الزخارف النباتية والنقوش الخطية التي شكلها البلاطات السداسية بتقنية " هافترانكي " ^(١٥). علاوة على ذلك، يتسم الإيوان المتبقي بثرائه بالأشرطة الكتابية، حيث يوجد شريط كتابي مدون على جدار البرج الشرقي يشير إلى عام (٧٩٧هـ / ١٣٩٥م) الذي يبدو ربما أنه يشير إلى بدء العمل الزخرفي وليس سنة الشروع ببناء المجمع بأكمله الذي، وفقا للمصادر الأدبية، كان قد شرع ببنائه في عام (٧٨٢هـ / ١٣٨٠م)، كما يُشير توقيع الفنان إلى أن الفنانين كانوا قد استقدموا من تبريز إلى شهرسبز للقيام بزخرفة القصر، وهناك إشارة أيضا وردت في كلا المصدرين التاريخيين المشار إليهما في اعلاه إلى أن هناك لفيف من الحرفيين والفنانين كانوا قد استقدموا من خوارزم لبناء القصر. ^(١٦)

وقبل الخوض في تحليل الايدولوجية التي اتبعتها تيمور في الشواخص التي تركها، لابد لنا من أن نُعرِّج أيضا على ضريح الخوجة احمد ^(١٧) الذي شُيد في مدينة توركستان في جنوب كازاخستان، وهي لا تتبع جغرافيا إلى مناطق الصغد لكن المنطقة كانت جزء من الإمبراطورية التيمورية المترامية الأطراف. يقع مبنى الضريح في منطقة كانت سابقا مركز للقوافل التجارية عُرف باسم خزرت ويوجد قربه قلعة تاريخية، وكان المكان في السابق يمثل الخلوة والتي فيما بعد أصبحت مدفن الخوجة احمد الذي امر تيمور بإقامة الضريح في مكانه تكريماً للشيخ احمد ^(١٨)؛ شُرع ببناء الضريح في عام (٧٩١هـ / ١٣٨٩م) لكن بناء الضريح توقف ولم يكتمل عقب وفاة تيمور. ^(١٩)

وقد مكّن بناء الضريح في الوقت كانت فيه العديد من مناطق آسيا الوسطى تشهد ثراء في اقامة المباني التي تعكس إيديولوجية تيمور السياسية من تبادل الأفكار والتقنيات عبر أرجاء الإمبراطورية؛ فعمال البناء الذين استقدمهم تيمور من المدن المغتصبة لبناء المشاريع وتوظيف المهندسين المعماريين من فارس لقيادة أنشطة البناء الرئيسية ساهموا في الخروج بنمط زخرفي يعتمد على إدخال العناصر الفارسية في النمط التيموري. كما أن رعاية تيمور العامة للفنون جعل من التيموريين أعظم رعاة للثقافة والفن الإيرانيين.

يجاور الضريح بقايا ابنية مساجد وحمامات ترتقي إلى القرون الوسطى وإلى الشمال من الضريح يوجد جزء من جدار القلعة كان قد أعيد بناؤه في السبعينيات ليفصل المنطقة التاريخية عن المدينة الحديثة.

يُعد الضريح واحد من أفضل الشواخص القائمة للعمارة التيمورية، إذ انه يمثل اللبنة الأساس لبداية النمط المعماري التيموري للعمائر الجنائزية، فالترتيبات المكانية التجريبية، والحلول المعمارية المبتكرة لقوالب الأقبية والقبة، والزخرفة باستخدام البلاط المزجج، جعلت منه هيكلًا نموذجياً لهذا الفن المميز، الذي انتشر لاحقاً في كافة أرجاء الإمبراطورية وخارجها، وقد أدرج الموقع ضمن لائحة التراث العالمي.^(٢٠) (لوح ٣)

شرع البناء برئاسة كبير البنائين خواجه حسين شيرازي من إيران^(٢١) وأفيد أن تيمور بنفسه شارك في تصميم الهيكل، حيث اقترح الترتيبات المكانية التجريبية وأنواع القباب والقبوات المستخدمة، وقد نفذت هذه الابتكارات في وقت لاحق في عدد من الصروح الدينية في مدن أخرى. يُنظر إلى الضريح على أنه نموذج أولي يمثل بداية نمط معماري جديد توج لاحقاً بأثار سمرقند، ونواة للعمارة التي تطورت لاحقاً بهويتها تطور المغولية في الهند.

التخطيط العام للضريح مستطيل الشكل (٦٢.٧×٤٥.٨م) وارتفاعه (٣٨.٧٠م) واتجاه البناء من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي. يُمكن الوضع غير المكتمل للبناء إجراء فحص أكثر تدقيقاً لكيفية التصميم والبناء لاسيما واجهة المدخل والأقسام الداخلية.

المادة الاولى المستخدمة في البناء هي الغاناش^(٢٢) الذي صنع في مصنع يقع في ساوران؛ كما استخدمت طبقات من الطين تصل إلى عمق (١.٥م) وذلك لمنع اختراق المياه للأساس الأصلي للبناء؛ وقد تم استبدالها بالخرسانة المسلحة في أعمال الترميم الحديثة.^(٢٣)

يقع المدخل الرئيسي للضريح في الجهة الجنوبية الشرقية، وهو يفضي الى قاعة رئيسية بقياس (١٨.٢×١٨.٢م) يطلق عليها محلياً اسم كازانديك (بمعنى: غرفة النحاس). ويغطي هذا القسم أكبر قبة مشيدة من الطوب موجودة في آسيا الوسطى يبلغ قطرها (١٨.٢م)، (لوح ٤) ويوجد في وسط الكازانديك مرجل برونزي يُستخدم لأغراض دينية.^(٢٤)

يقع القبر في نهاية الجزء المركزي من المبنى في الشمال الغربي، حيث يوجد التابوت في الوسط؛ يعلو سقف هذا الجزء قبة مزدوجة يبلغ ارتفاع الجزء الداخلي منها (١٧م) والخارجي (٢٨م)، بدن القبة من الخارج مصلع تكسوه قطع البلاط المزجج الأخضر سداسية المقطع مموهه بالزخارف باللون الذهبي؛ يضم مجمع الضريح ايضاً أكثر من ٣٥

غرفة بما فيها قاعات للاجتماعات، وغرفة الطعام، ومكتبة ومسجد. وتكسو جدران الغرف والقاعات من الداخل الزخارف الهندسية باللون الأزرق ويغطي البلاط المزجج الجدران الخارجية للضريح ليشكل أنماط هندسية واشطرة كتابية بالخط الكوفي لآيات من القرآن الكريم. كما اشتمل تخطيط المجمع على مؤذنتين لكن لم يتسن انجازهما بعدما توقف البناء في عام (٨٠٨هـ / ١٤٠٥م). اتُخذت قباب الضريح بنمط بنائي مزدوج مما يسر بالنتيجة إقامة قباب ضخمة اضحت فيما بعد ميزة للعمارة التيمورية لا سيما في مباني الأضرحة؛ علاوة على ذلك نجد استخدام المقرنصات او الاقواس الركنية التي تسمح بالنتيجة للانتقال من الشكل المربع الى المثلث او الى القاعدة المضلعة ذات ١٦ ضلع وصولا الى قمة القبة.^(٢٥) (لوح ٥).

اما فيما يخص الجانب المتعلق بالعناصر الزخرفية، فإن استخدام البلاط المزجج، والفسيفساء، والطوب المزخرف، والخط الإسلامي يعد من العناصر الزخرفية الجوهرية في العمارة التيمورية. علاوة على ذلك، فإن التقدم في تقنيات صناعة الخزف مكن من الانتاج الضخم للبلاط المزجج لاستخدامه في مختلف الوظائف الزخرفية.

الخاتمة :

اتبع تيمور نهجاً مميزاً مع المكون المجتمعي في كل مكان من الأماكن التي خضعت لسيطرته وهذا ربما يُعزى في المقام الأول الى الرغبة في ارساء دعائم رصينة لدولته عبر المكون المجتمعي، متخذاً من الدين والتعليم مظلة له، من خلال بناء المدارس والمساجد أو تأهيل ما هو قائم منها، علاوة على إنشاء المجمعات متعددة الأغراض التي تخدم جملة من الاهداف من ضمنها التعليمية والدينية وتوفير اماكن اقامة للمسافرين.

ولم يكن الاهتمام حكراً على الجانب الديني والتعليمي، بل تعداه ليغطي كافة المناحي المجتمعية وسبل العيش والسكن للعامة؛ وهذا بطبيعة الحال يشمل التخطيط العمراني للمدينة والأحياء السكنية والدروب والسكك والأزقة وكل ما هو بذي صلة بذلك.

المصادر الأجنبية

1. Blair, Sheila, and Jonathan Bloom, (**The Art & Architecture of Islam 1250-1800**), Yale University Press, New Haven 1994.
2. Bozorg-nia, Zohreh (**Mi'mārān-i Īrān : az āgāz-i dawrah-'i Islāmī tā pāyān-i dawrah-'i Qājār**), Sāzmān-i Mīrāt-i Farhangī-yi Kišwar, Tihārān 2004.

3. Dale, Stephen Frederic, (**The garden of the eight paradises: Bābur and the culture of Empire in Central Asia: Afghanistan and India 1483–1530**), Brill 2004.
4. Dalen, Benno van, (**Ulugh Beg: Muḥammad Ṭaraghāy ibn Shāhrukh ibn Tīmūr**), Biographical Encyclopedia of Astronomers, Springer, New York 2007.
5. Eraly, Abraham (**Emperors of The Peacock Throne: The Saga of the Great Moghuls**), Penguin Books Limited 2007.
6. Forbes Manz, Beatrice, (**Temūr and the Problem of a Conqueror's Legacy**), Journal of the Royal Asiatic Society 1998, Third. 8(1).
7. Gérard Chaliand, (**Nomadic Empires: From Mongolia to the Danube**) translated by: A.M. Berrett, Transaction Publishers 2004.
8. Golombek, Lisa, and Donald Wilber, (**The Timurid Architecture of Iran and Turan**), Princeton University Press, Princeton, NJ 1988.
9. Hillenbrand, Robert, (**Islamic Architecture Form, Function and Meaning**), Columbia University Press, New York 1994.
10. ICOMOS Evaluation of Mausoleum of Khawaja Ahmed Yasawi World Heritage Nomination, World Heritage Centre, UNESCO.
11. J. J. Saunders (The History of the Mongol Conquests), University of Pennsylvania Press, Pennsylvania 2001.
12. New Encyclopedia Britannica Macropodia Volume 22, Encyclopedia Britannica Inc., USA 1995.
13. Pander, Klaus (**Schar-e Sabs in Zentralasien**), Aktualisierte Auflage, DuMont Reiseverlag, 2004.
14. Pope, Arthur U, and Phyllis Ackerman, (**A Survey of Persian Art from Prehistoric Times to the Present**), Tehran: Soroush Press, 1977.
15. Robert L. Canfield, Robert L. (**Turko-Persia in Historical Perspective**), Cambridge University Press, Cambridge 1991.
16. Ro'i, Yaacov, (**Islam in the Soviet Union: From the Second World War to Gorbachev**), C. Hurst & Co. Publishers, UK 2000..
17. Saxena, Manjari (**The holy shines through the glazed walls**), Gulf News 2009.

18.The New Encyclopedia Britannica Macropodia, Encyclopedia Britannica, Inc. USA 1995, Vol. 22.

19.V.V. Barthold, (Ulugbek and his time) Petrograd 1918.



نوح (١)

واجهة آق ساري

المصدر (Aga Khan Award for Architecture)

تسلسل الصورة : IAA13370



لوح (٢)

واجهة المدخل _ آق سراي

المصدر (MIT Libraries, Aga Khan Visual Archive)

تسلسل الصورة : ICA0078



لوح (٣)

خوجة احمد يسوي

المصدر (Sheila Blair and Jonathan Bloom)

تسلسل الصورة : ICA0048



لوح (٤)

قباب ضريح خوجة احمد يسوي

المصدر (Sheila Blair and Jonathan Bloom)

تسلسل الصورة : ICA0050



لوح (٥)

قباب ضريح خوجة احمد يسوي

المصدر : (Sheila Blair and Jonathan Bloom- MIT Libraries, Aga Khan Visual Archive)

تسلسل الصورة : ICA0051

Bibliography

1. Blair, Sheila, and Jonathan Bloom, (**The Art & Architecture of Islam 1250-1800**), Yale University Press, New Haven 1994.
2. Bozorg-nia, Zohreh (**Mi'mārān-i Īrān : az āgāz-i dawrah-'i Islāmī tā pāyān-i dawrah-'i Qājār**), Sāzmān-i Mīrāt-i Farhangī-yi Kišwar, Tihārān 2004.
3. Dale, Stephen Frederic, (**The garden of the eight paradises: Bābur and the culture of Empire in Central Asia: Afghanistan and India 1483–1530**), Brill 2004.
4. Dalen, Benno van, (**Ulugh Beg: Muḥammad Ṭaraghāy ibn Shāhrukh ibn Tīmūr**), Biographical Encyclopedia of Astronomers, Springer, New York 2007.
5. Eraly, Abraham (**Emperors of The Peacock Throne: The Saga of the Great Moghuls**), Penguin Books Limited 2007.
6. Forbes Manz, Beatrice, (**Temūr and the Problem of a Conqueror's Legacy**), Journal of the Royal Asiatic Society 1998, Third. 8(1).
7. Gérard Chaliand, (**Nomadic Empires: From Mongolia to the Danube**) translated by: A.M. Berrett, Transaction Publishers 2004.
8. Golombek, Lisa, and Donald Wilber, (**The Timurid Architecture of Iran and Turan**), Princeton University Press, Princeton, NJ 1988.
9. Hillenbrand, Robert, (**Islamic Architecture Form, Function and Meaning**), Columbia University Press, New York 1994.
10. ICOMOS Evaluation of Mausoleum of Khawaja Ahmed Yasawi World Heritage Nomination, World Heritage Centre, UNESCO.
11. J. J. Saunders (The History of the Mongol Conquests), University of Pennsylvania Press, Pennsylvania 2001.
12. New Encyclopedia Britannica Macropodia Volume 22, Encyclopedia Britannica Inc., USA 1995.
13. Pander, Klaus (**Schar-e Sabs in Zentralasien**), Aktualisierte Auflage, DuMont Reiseverlag, 2004.
14. Pope, Arthur U, and Phyllis Ackerman, (**A Survey of Persian Art from Prehistoric Times to the Present**), Tehran: Soroush Press, 1977.

15. Robert L. Canfield, Robert L. (Turko-Persia in Historical Perspective), Cambridge University Press, Cambridge 1991.
16. Ro'i, Yaacov, (Islam in the Soviet Union: From the Second World War to Gorbachev), C. Hurst & Co. Publishers, UK 2000..
17. Saxena, Manjari (The holy shines through the glazed walls), Gulf News 2009.
18. The New Encyclopedia Britannica Macropodia, Encyclopedia Britannica, Inc. USA 1995, Vol. 22.
19. V.V. Barthold, (Ulugbek and his time) Petrograd 1918.

الهوامش:

(^١) قائد عسكري ومؤسس السلالة التيمورية (٧٧١-٩١٣هـ / ١٣٧٠-١٥٠٧ م)، ولد في قرية كش في أوزبكستان في (٧٣٦هـ/١٣٣٦م) لأم تنحدر أصولها لسلالة جنكيز خان، أتقن فنون الحرب الشائعة عند القبائل الصحراوية من الصيد والفروسية ورعي السهام، حتى غدا فارساً ماهراً، متقناً لرمي السهام. وهو من أول الحكام في العائلة التيمورية، حكم للفترة من (٧٧١-٨٠٧هـ / ١٣٧٠-١٤٠٥م) وقام بحملات عسكرية شرسة أدت إلى اغتنام مجتمعات بأكملها. لمزيد من المعلومات:

J. J. Saunders (The History of the Mongol Conquests), University of Pennsylvania Press, Pennsylvania 2001, P. 173; Josef W. Meri, Ibid, P. 812; Forbes Manz, Beatrice, (Temür and the Problem of a Conqueror's Legacy), Journal of the Royal Asiatic Society 1998, Third. 8(1), P. 25; Gérard Chaliand, (Nomadic Empires: From Mongolia to the Danube) translated by: A.M. Berrett, Transaction Publishers 2004, P.75.

(^٢) من محاضرة الدكتورة ليزا كولومبيك، جامعة فكتوريا، في ٢٢ شباط ١٩٨٨ - المحاضرات الرقمية المدونة - جامعة فكتوريا؛ Blunt, Ibid, P. 143.

(^٣) Lisa Golombek and Donald Wilber, Ibid, Vol. 1, P. 44-217.

(^٤) Lisa Golombek and Donald Wilber, Ibid, Vol. 1, P. 44-217.

(^٥) ميرزا محمد طارق بن شاه رخ (٧٩٦-٨٥٣هـ / ١٣٩٤-١٤٤٩ م)، حفيد تيمورلنك (٧٣٦-٨٠٨هـ / ١٣٣٦-١٤٠٥م) لابنه معين الدين شاه رخ وزوجته گوهر دشا، ولي على سمرقند، واتسم بمعرفته بالرياضيات وعلوم الفلك والهندسة الفضائية حيث وضع جداول لحساب التوابيع المثلثية، الى جانب اسهاماته في مجال العمارة. اغتيل بأمر من نجله عبد اللطيف ميرزا عندما كان في طريقه الى مكة بعد ان هاجم هرات. لمزيد من المعلومات:

V.V. Barthold, (Ulugbek and his time) Petrograd 1918 , P. 37; Dalen, Benno van, (Ulugh Beg: Muḥammad Ṭaraghāy ibn Shāhrukh ibn Tīmūr), Biographical Encyclopedia of Astronomers, Springer, New York 2007, P. 1157-9.

(^٦) Lisa Golombek and Donald Wilber, Ibid, P. 137.

(⁷) The New Encyclopedia Britannica Macropædia , Encyclopedia Britannica, Inc. USA 1995, Vol. 22 P. 94

(⁸) Lisa Golombek and Donald Wilber, Ibid, P. 137.

(⁹) شهرسبز مدينة في أوزبكستان اسمها يعني (المدينة الخضراء) تقع في محافظة قشقة داريا تبعد مسافة (٨٠ كم) تقريبا عن سمرقند اسمها القديم (كيش).

Pander, Klaus (**Schar-e Sabs in Zentralasien**), Aktualisierte Auflage, DuMont Reiseverlag, 2004, V. 5, P. 235–239.

(^{١٠}) أوركنج (جرجانية) عاصمة محافظة خوارزم في غرب أوزبكستان تقع على نهر جيحون على مسافة ٤٥٠ كم عن بخارى.

(^{١١}) ظهير الدين مُحَمَّد بَابُر پادشاه سلسيل تيمور وحاكم فرغانة ومؤسس سلالة المغول الهندية (٩٣٧-٩٣٧ هـ / ١٥٢٦-١٤٣٠ م).

Robert L. Canfield, Robert L. (**Turko-Persia in Historical Perspective**), Cambridge University Press, Cambridge 1991, P. 20; Eraly, Abraham (**Emperors of The Peacock Throne: The Saga of the Great Moghuls**), Penguin Books Limited 2007, P.18–20.

(^{١٢}) بابرنامه: المذكرات الشخصية لظهير الدين مُحَمَّد بَابُر تمثل السيرة الذاتية، وهو مدون باللغة الجغائية السائدة في آسيا الوسطى وإمبراطورية مغول الهند، ولغة الأدب المشتركة حتى أوائل القرن العشرين. لمزيد من المعلومات:

Dale, Stephen Frederic, (**The garden of the eight paradises: Bābur and the culture of Empire in Central Asia: Afghanistan and India 1483–1530**), Brill 2004, P. 15,150.

(¹³) Blair, Sheila, and Jonathan Bloom, (**The Art & Architecture of Islam 1250-1800**), Yale University Press, New Haven 1994, P. 37.

(¹⁴) Golombek, Lisa, and Donald Wilber, (**The Timurid Architecture of Iran and Turan**), Princeton University Press, Princeton, NJ 1988, P. 271-76.

(¹⁵) Pope, Arthur U, and Phyllis Ackerman, (**A Survey of Persian Art from Prehistoric Times to the Present**), Tehran: Soroush Press, 1977, P. 1146-47

(¹⁶) Hillenbrand, Robert, (**Islamic Architecture Form, Function and Meaning**), Columbia University Press, New York 1994, P. 423-26;

(^{١٧}) شاعر وفيلسوف تركي ينحدر من مدينة توركستان في جمهورية كازاخستان عاش للفترة من (٤٨٥-٥٦١ هـ/ ١٠٩٣-١١٦٦ م) وكان شيخاً مشهوراً في مدينة إسفجاب (سايرام) التي ولد فيها، أتبع المذهب الحنفي والتصوف واضحى ذي تأثير فعال في تطور نهج التصوف في ارجاء المناطق الناطقة باللغة التركية. لمزيد من المعلومات:

Ro'i, Yaacov, (**Islam in the Soviet Union: From the Second World War to Gorbachev**), C. Hurst & Co. Publishers, UK 2000, P. 373.

(^{١٨}) ربما يُعزى السبب في إقامة مبنى الضريح إلى سعي تيمور الدؤوب لكسب دعم السكان المحليين في المناطق التي خضعت لسيطرة الإمبراطورية التيمورية من خلال استخدام السبغة الدينية لأسباب

سياسية. فعلى سبيل المثال في مدينة ياسي في كازاخستان أمر ببناء ضريح أكبر للشيخ احمد يسوي، بهدف تمجيد وتعزيز ونشر الإسلام، وتحسين إدارته المباشرة للمناطق الخاضعة للإمبراطورية التيمورية، لاسيما ان مدينة ياسي لم تتعرض للضرر الكبير جراء غزو المغول لخوارزم مما شجع اسباط المغول بمرور الوقت على الاستقرار فيها والاندماج مع سكانها واعتناق الاسلام.

(¹⁹) ICOMOS Evaluation of Mausoleum of Khawaja Ahmed Yasawi World Heritage Nomination, World Heritage Centre, UNESCO; New Encyclopædia Britannica Macropædia Volume 22, Encyclopædia Britannica Inc., USA 1995. P. 94.

(^{٢٠}) منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) ، مكتب اسيا والباسفيك، ٥ تموز ٢٠٠٣.

(²¹) Bozorg-nia, Zohreh (*Mi'mārān-i Īrān : az āgāz-i dawrah-i Islāmī tā pāyān-i dawrah-i Qājār*), Sāzmān-i Mīrāt-i Farhangī-yi Kišwar, Tihrān 2004, P. 140.

(^{٢٢}) الغاناش: لفظة محلية تُطلق على خليط من الطوب المحروق المخلوط بالموونة (عجينة صلدة تتكون من مواد مختلفة مثل الطين و الصلصال والإسمنت النورة والرمل) للربط ولملء الفراغات مع الجبس والطين.

(²³) ICOMOS Evaluation of Mausoleum of Khawaja Ahmed Yasawi World Heritage Nomination, World Heritage Centre, UNESCO.

(²⁴) ICOMOS Evaluation of Mausoleum of Khawaja Ahmed Yasawi World Heritage Nomination, World Heritage Centre, UNESCO.

(²⁵) Blair, Sheila, and Jonathan Bloom, Ibid, P.74; Saxena, Manjari (*The holy shines through the glazed walls*), Gulf News, 2009-09-14.

الحياة العلميّة لمدينة بَجَّانَة
الاندلسية للفترة ٩٢-٤٥٩هـ / ٧١١-١٠٦٧م

**Scientific life of the Bjana city
Andalusia for the period
92-459A.H / 711-1067A.D**

احمد كاظم عويد
أ. د. : صباح خابط عزيز سعيد
جامعة بغداد - كلية الاداب
قسم التاريخ - ماجستير اسلامي

الحياة العلمية في مدينة بَجَّانَة الأندلسية

احمد كاظم عويد

أ. د. : صباح خابط عزيز سعيد

المقدمة:

لعلّ التاريخ الأندلسي يشهد الكثير من الثورات العلمية في أغلب مدنه ، ولا يخفى علينا أن الحركة العلمية هي عمادها بأدواتها المتمثلة بالعلماء وعلومهم بأنواعها ومراكزها ، ولكون مدينة بَجَّانَة هي الأساس في دراستنا هذه ، فمن الواجب علينا ان نعرّج على الحركة العلمية فيها لكونها جزءا لا يتجزأ عن الأندلس ، كما أن المجريات التاريخية والعلمية التي شهدتها المنطقة أثرت بشكل مباشر في التقدم العلمي في مدينة بَجَّانَة وغيرها من المدن الأندلسية^(١).

ومن الواضح جدا أن الأندلس اعتمدت في بادئ أمرها على التراث الإسلامي بالشرق ، وكان هذا الاعتماد إما عن طريق استقدام العلماء المشاركة إلى الأندلس^(٢)، أو من طريق رحلة الأندلسيين إلى المشرق للترؤد بالعلم والتحصيل في مختلف العلوم والآداب^(٣).

The history of Andalusia is witnessing many scientific revolutions in most of its cities. It is no secret to us that the scientific movement is rooted in its tools of scientists and their sciences of various types and centers. As the city of Bijana is the basis of this study, it is incumbent on us to overlook the scientific movement because it is an integral part of Andalusia , And the historical and scientific experiences of the region directly affected the scientific progress in the city of Bijana and other Andalusian cities.

It is very clear that Andalusia initially adopted the Islamic heritage of the Orient, and this dependence was either by bringing the Oriental scholars to Andalusia

المبحث الأول: الاتصال العلمي بين بَجَّانَة والمدن الأندلسية والحواضر الإسلامية

الاتصال العلمي بين بَجَّانَة والمدن الأندلسية والحواضر الإسلامية

تشير المصادر إلى حرص الأندلسيين على التزود بالعلم ، فالمقري يؤكد: "أنهم أحرص الناس على التميز ، فالجاهل الذي لم يوفقه الله للعلم يجهد أن يتميز بصنعة ، ويربأ بنفسه أن يرى فارغا عالة على الناس ، لأن هذا عندهم في نهاية القبح ، والعالم عندهم معظم من الخاصة والعامة ، يشار إليه ويحال عليه ، وَيَنْبُه قدره وذكره عند الناس ، وَيُكْرَم في جوار أو إبتتاع حاجة ، وما أشبه ذلك. ومع هذا فليس لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم ، بل يقرأون لأن يعلموا لا لأن يأخذوا جارياً ، فالعالم منهم بارع لأنه يطلب ذلك العلم بباعث من نفسه يحمله على أن يترك الشغل الذي يستفيد منه ، وينفق من

عنده حتى يعلم ، وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء ، إلا الفلسفة والتنجيم ، فإن لهما حظاً عظيماً عند خواصهم ، ولا يُتظاهر بهما خوف العامة ، فإنه كلما قيل فلان يقرأ الفلسفة أو يشتغل بالتنجيم اطلقت عليه العامة زنديق، وقيدت عليه انفاسه ، فإن زل في شبهة رَجْمُوهُ بالحجارة أو حرقوه قبل أن يصل أمره للسلطان ، أو يقتله السلطان تقرباً لقلوب العامة ، وكثيراً ما يأمر ملوكهم بإحراق كتب هذا الشأن اذا وجدت ، وبذلك تقرب المنصور بن ابي عامر لقلوبهم أول نهوضه وإن كان غير خال من الاشتغال بذلك في الباطن^(٤).

ويوضح لنا ابن خلدون أهداف الرحلة وأهميتها قائلاً : "إن الرحلة في طلب العلوم و لقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم والسبب في ذلك : أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل : تارة علماً وتعليماً والقاء؛ وتارة محاكاة وتقليداً بالمباشرة. إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاماً وأقوى رسوخاً . فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها . والاصطلاحات ايضا في تعليم العلوم مخلفة على المتعلم ، حتى لقد يظن كثير منهم أنها جزء من العلم ولا يدفع عنه ذلك إلا مباشرته لإختلاف الطرق فيها من المتعلمين . فلقاء أهل العلوم وتعدد المشايخ يفيد تمييز الاصطلاحات ، بما يراه من اختلاف طرقهم فيها"^(٥).

والملاحظ أن الأندلس بعد افتتاحها من المسلمين كانت " لا يعني أهلها بشيء من العلوم إلا بعلوم الشريعة وعلم اللغة ، إلى أن توطد الملك لبني أمية بعد أهلها بالفتنة ، فتحرك ذوو الهمم منهم لطلب العلوم وتنبهوا لإثارة الحقائق"^(٦).

ومن الجدير بالذكر أن الرحلات العلمية عندما بدأت بين علماء المشرق والأندلس لم تتوقف بل شملت كل العصور الأندلسية ، فلم تقتصر على عصر معين ، أو بمجرد إنتهاء عصر الخلافة (٣١٦-٤٢٢هـ / ٩٢٨-١٠٣١م)، أو تمزق الأندلس في عصر الطوائف (٤٢٢-٤٨٤هـ / ١٠٣١-١٠٩١م) ، أو حتى تقلص مساحاتها في العصور اللاحقة، الامر الذي لم يؤثر في حركتها العلمية واستمرارها^(٧).

ففي صدر المائة الخامسة ، وهي ضمن حدود دراستنا ، والنصف الأول منها يقول ابن صاعد الأندلسي : " فلم تزل الرغبة ترتفع من حينئذ في طلب العلم القديم شيئاً فشيئاً وقواعد الطوائف تتمصر قليلاً قليلاً إلى وقتنا هذا ، فالحال بحمد الله افضل ممّا كانت عليه بالأندلس في إباحة تلك العلوم والإعراض عن تحجير طلبها إلى أن زهد الملوك في هذه العلوم وغيرها ، واشتغال الخواطر بما دهم الثغر من طلب المشركين عاما من أطرافها وضعف أهلها عن مدافعتهم عنها قلل طلاب العلم وصيرهم افرادا بالأندلس ، فمن كان عنده علم بشيء من العلوم الرياضية فداوم عناية الحكم (المستتصر بالله) بذلك في أيام أبيه الناصر لدين الله إلى وقتنا هذا "^(٨).

لا يمكن لأي أمة أن تنهض بمجتمعها ، ما لم تمتلك ثقة كبيرة بقدرتها على الوفاء بمتطلبات النهوض واستيعاب المتغيرات ، ومما تمت الإشارة إليه هو النهوض العلمي في مشروعية المدن الإسلامية

وتشكيلها قوة علمية مُهابة ، إذ نجد المجتمعات الاسلامية تجمعها الهوية الفكرية الواحدة ، والتاريخ الحضاري الواحد وعلى هذا الأثر ثمة سؤال يطرح هنا ، ما علاقة اتصال بَجَّانة العلمي والمدن الإسلامية وقاعدة الرسوخ التي تقدمت ؟

اذ لا غرو في توافق الأطر العلمية للتوازنات الذهنية والفكرية في المنظومة الإسلامية ، ونوعية العلوم التي تدرس ، على أن المشتركات قائمة في طروحات الجدل والاكتساب العلمي بين المجتمعات الإسلامية ،ومن هنا نجد مقومات الإتصال العلمي لمدينة بَجَّانة الاندلسية والمدن الإسلامية الأخرى قائمة بالجديّة الحاصلة فيما تركه العلماء ،من علوم تم النقل بها والعروج إلى بَجَّانة إذ من العلماء الذين لهم مأخذ الاختلاف في تبصير الدائرة الدينية للخليفة الحكم المستنصر الأموي كما هو الحال مع محمد بن عبد الله بن سيد البَجَّاني (ت ٣٦٣هـ / ٩٧٤م) والذي تُودي بصاحب (تهذيب المستخرجة)^(٩)، بعد أن استحصل على هذه الرفعة من التنقلات العلمية بين الشام ومصر ومكة إذ مركز الرؤى الدينية والاجتهادات الفقهية والمقارنات الفكرية، وعلى أثر ذلك هذبها للخليفة الحكم آنذاك واشتهر بها ، وقد يتبادر إلى الذهن ما الداعي في عمل هذا العالم البَجَّاني في (المستخرجة) ، وكيف تقرب للمستنصر ؟ فهل هناك رؤى وردت في محل ما ورد في المستخرجة ، على أنها أكذوبة وفيها خطأ كبير^(١٠) ، على الرغم من ثقل العالم الذي ألفها وهو أحمد بن مروان ويعرف (بالرصافي)^(١١) ، إذ روى عن يحيى بن يحيى ، وسعيد بن حسان ، وعبد الملك بن حبيب ، وأنه على رأي الكثير كان قيّم في الجمع وهو من أَلَفَ المستخرجة للعتبي^(١٢) وتوفي في سنة (٢٦٨هـ / ٨٨١م)^(١٣) ، وعلى أثر هذا قام محمد السيد البَجَّاني بتسكين آراء الناقل والسامع والراوي (للمستخرجة) وتجلّى في دراساته لها وعمل على تهذيبها من حيث صدق الراوي و اتصاله بالمروية في المستخرجة ، وبيان إصاباتها المروية في أحقية كاملة بالوارد العلمي لها ، لذا نجده من هامات بَجَّانة العلمية في وضع لبنات الوضع العلمي الاساسي للعلوم ونسبت له بعد ما كانت هي أصلاً مسجلة باسم : محمد بن احمد العتبي .

ومن هذا نجد التّمييز الذي حصل في بَجَّانة ، من حيث الاختلافات والمقاربات في صُنع الحدث العلمي في حقّهم التاريخية ، قد جعل من أوجهم العلمي يتجلّى للحكام والخلفاء الذين كانوا في ضمن سيطرتهم وفي مدار سماعات العلوم في محتوى المدن الاسلامية .

ومن العلماء الذين برزوا من بَجَّانة ، ويشهد لهم التاريخ ولم ينتبه لهم علماء العصر ، منهم محمد بن عبد الملك الخولاني والذي يعرف ويكنى أبا عبد الله ومحل وفاته في بَجَّانة سنة (٣٦٤هـ / ٩٧٤م) ، إذ عمل على اختصار المدونة^(١٤)، التي كانت محطة إضافة من العلماء في حال حصولهم على أي معلومة ، يضيفها في المدونة دون التفحص والتدقيق فيما إذا كان موجوداً أم لا ، وان يحدث تناقضاً أم لا ، فيما ورد في متن المدونة إذ نجد هذا العالم البَجَّاني قام بتهذيب المدونة وعمل على إظهار المفيد منها.

ومنهم أيضا من كان بُعد أكثر في ركائز المذاهب الإسلامية وكتبها ، إذ تذكر الروايات منهم فيمن اشتغل بصحيح البخاري وعمل تصنيفه بحسب كتب المصنفات ، قام برواية (النسفي) له وهو العالم محمد بن فرح بن سبعون النحلي المعروف بابن أبي سهل من أهل بَجَّانة صاحب كنية أبي عبد الله وتوفي فيها سنة (٣٦٧هـ / ٩٧٧م)^(١٥)، إذ تعد هذه الخطوة منه بالمبادرة الشجاعة في حل رموز المصنف وترسية كتاباته في جانب المصنفات وما دليل ذلك إلا هي الثقة في ما تُصَدِّره أقلام البجانيين من علامات ذات منزلة رفيعة بوجوب الاحتياط الديني العلمي ، وإلا كيف تكون له الجرأة في التدخل بكتاب تعتمد عليه أربعة مذاهب إسلامية متفقة عليه بالصحة فيما ورد ، هذا من جانب .

من جانب آخر فإن أساليب الإقناع والحجج العلمية الرصينة دعت إلى الأخذ بالعمل على إيراد المصنف ، وهذا يحسب في جانب علماء بَجَّانة وإنفرادهم فيه ، وتذكر المصادر ارتحاله إلى مكة ومجالسة العلماء وإلى الشرق عامة أين ما وجدت دور العلم لينهل منها ، ومن يرتاد تلك الدور من علماء أفاضل ، إذ سمع منهم إقامة المقارنات العملية والعلمية في مطارحات الدين والمذاهب والروايات وما يؤخذ ، إذ يضعه على طاولة النقاش وعمل على تلك الرؤى التي تنبأها ومن زيارته لمصر سمع الكثير ، وعلى أثر الصيت العلمي الذي تمتع به استقدمه المستنصر بالله إلى قرطبة وسمع منه علماء قرطبة آنذاك واستدلوا به وكان ذلك في سنة (٣٦١هـ / ٩٧٢م)^(١٦).

تشير المصادر المهمة والمعاصرة لمدينة بَجَّانة ولا سيما تاريخ علماء الأندلس لابن الفريسي إلى العديد من العلماء البجانيين، والذي يعطينا دلائل كبيرة على أنها كانت مركزا مهما لإستقطاب العديد من العلماء والفقهاء للسمع من كبار علمائها ،فضلاً عن تسجيل رحلات للبجانيين إلى المدن الأندلسية الأخرى للسمع والتزود بالعلم ، وهذا يبين الأدوار الكبيرة لأهل بَجَّانة في رقد الحياة العلمية عن طريق اسهاماتهم في التلاحق الفكري فشدوا الأزر للتعلم في مدينتهم أو للارتحال طلبا للعلم والتزود به من مدن المشرق الاسلامي وحواضره فعادوا وأقرأوا الناس في بَجَّانة وغيرها من المدن الأندلسية.

ومن أبرز هؤلاء العلماء فضل بن سلمة بن جرير بن منخل الجهني (ت٣١٩هـ / ٩٣١م) سمع ببَجَّانة والبيرة ، وحدث عنه أهل قرطبة في جماعة من أهل البيرة وبَجَّانة وتدمير^(١٧) . وحفص بن محمد بن حفص التميمي (ت٣٢٥هـ / ٩٣٦م) من أهل لورقة سمع من فضل بن سلمة ببَجَّانة ولازمه ، وقرأ عليه المدونة وواضحة بن حبيب^(١٨) . و سعيد بن مخارق بن غسان من أهل البيرة توفي ببرجة (ت٣٣٧هـ أو ٣٣٨هـ / ٩٤٨-٩٤٩م) سمع من فضيل بن سلمة ببَجَّانة^(١٩) . وحسن بن عبد الله بن حسن التميمي (ت٣٣٨هـ / ٩٤٩م) سمع من فضل بن سلمة وغيره ببَجَّانة^(٢٠) . وسعيد بن عثمان بن منازل (ت٣٤٥هـ / ٩٥٦م) سمع ببَجَّانة والبيرة وقرطبة^(٢١) . وسعيد بن فلحون بن سعيد (ت٣٤٦هـ / ٩٥٧م) سمع بالبيرة وقرطبة^(٢٢) ومن أبرز من سمع منهم أحد السبعة الذين كانوا البيرة من رواة سحنون وهو سعيد بن النمر بن سليمان بن الحسين الغافقي (ت٢٧٣هـ / ٨٨٦م) من أهل بَيْرَة من اعمال المرية^(٢٣) . ومالك

بن طوربل الثقفي توفي بمدينة أوريولة من عمل تدمير سنة (٣٥٤هـ / ٩٦٥م) من اهل لورقة سمع من عالم بَجَّانَة فضل بن سلمة^(٢٤).

وهناك علماء أندلسيون سمعوا ببَجَّانَة كذلك ، كانوا في زمن الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦٦-٩٧٦م) وابنه هشام المؤيد (٣٦٦-٤٠٣هـ/٩٧٦-١٠١٢م) منهم أحمد بن سعيد بن مقدس من أهل البيرة سمع من سعيد بن فحلون ، وكان قد نسخ للحكم المستنصر بالله كثيرا^(٢٥). وحامد بن غلاب بن سلام من اهل البيرة سمع ببَجَّانَة من فضل بن سلمة^(٢٦). وعبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن شمر بن نمير من أهل قرطبة ، سمع ببَجَّانَة من سعيد بن فحلون^(٢٧) ، وعلي بن معاذ بن سمعان البَجَّاني روى عن عبد الملك بن حبيب ، وأجاز لابن نبات و غيره ، من قرطبة، وكان لغويا نسابا استقدمه المستنصر بالله ليقتبس من علمه ، وكان عنده جميع كتب عبد الملك بن حبيب وروايته ، وأقام بقرطبة بحومة مسجد سلمة نحو من سنة ثم عاد الى بَجَّانَة مسكنه^(٢٨). وعثمان بن سعيد بن عثمان بن منازل (ت ٣٦٤هـ / ٩٧٤م) سمع ببَجَّانَة من فضل بن سلمة عالمها، وبالبيرة^(٢٩)، ومحمد بن فرح بن سبعون البجلي (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م) سمع من شيوخ بلده ، وسمع منه ببلده^(٣٠). وعلي بن محمد بن أحمد بن يحيى الكلابي (ت ٣٦٩هـ / ٩٧٩م) من أهل البيرة سمع ببَجَّانَة من علي بن الحسن المري وسعيد بن مخلوف^(٣١). ومسعود بن خيران بَجَّاني (ت ٣٧١هـ / ٩٨١م) سكن قرطبة وله كتب كثيرة^(٣٢). ومحمد بن أحمد بن مسعود (ت ٣٧٨هـ / ٩٨٨م) من اهل البيرة روى ببَجَّانَة عن فضل بن سلمة ، وسمع منه جماعة من الناس ، وسمع منه ابن الفرضي صاحب كتاب تاريخ علماء الاندلس^(٣٣). وحريش بن ابراهيم من أهل وادي آش سمع من فضل بن سلمة ببَجَّانَة وقرطبة^(٣٤). وعلي بن عياش الانصاري (ت بعد سنة ٣٨٠هـ بقليل / ٩٩٠م) نزل بَجَّانَة وأقرأ بها فضلا عن قرطبة وتطيلة حتى إستقر بها^(٣٥)، ومسعود بن علي بن مروان سمع من علماء قرطبة وكان يقرأ عليه في المسجد الجامع ببجاجة ويسمع منه و حَدَّث عنه مجاهد البَجَّاني^(٣٦) ومجاهد هذا هو مجاهد بن أصبغ بن حسان (ت ٣٨٢ أو ٣٨٣ هـ / ٩٩٢-٩٩٣م) سمع بالمرية وبَجَّانَة و أجاز لابن الفرضي الكثير من الكتب التي رواها ، وكان ينزل قرية وذكر بين بجاجة والمرية^(٣٧)، وعلي بن عمر بن حفص بن عمرة بن نجيح بن سليمان بن عيسى الخولاني (ت ٣٨٤هـ / ٩٩٤م) سمع ببَجَّانَة عن سعيد بن فحلون ، وعلي بن الحسن المري ومسعود بن علي ، وسمع الناس عليه تفسير القرآن ليحيى بن سلام وغيرهم^(٣٨). وعلي بن معاذ بن سمعان بن موسى (ت ٣٨٩هـ / ٩٩٨م) سمع الناس منه ببَجَّانَة وقرطبة وسمع منه ابن الفرضي نفسه^(٣٩). ومحمد بن عرامة البَجَّاني روى عنه محمد بن ذي النون البَجَّاني^(٤٠) وابن ذي النون هذا هو محمد بن عبد الله بن محمد بن سعيد بن ذي النون (ت ٣٩٠هـ / ٩٩٩م)، سمع من سعيد بن فحلون وعديد من الشيوخ في بلده وسمعوا منه في بَجَّانَة وقرطبة ، وكتب عنه ابن الفرضي حكايات وأجاز له الحديث^(٤١). ويوسف بن سعيد المعافري

القرطبي السكن البجاني الأصل (ت ٣٨٨هـ / ٩٩٨) سمع ببجَّانة من خزر بن مصعب ، وأحمد بن جابر بن عبيدة^(٤٢).

ويتحدث العالم ابن الفرضي صاحب كتاب تاريخ علماء الأندلس عن نفسه ويقول بأنه زار بَجَّانة وسمع بنفسه من عالمها محمود بن حكم بن منذر بن عبد الله بن محمد الاسدي (ت ٣٩٤هـ / ١٠٠٣م) وقد أجاز له جميع روايته^(٤٣)، كما يذكر ابن الفرضي أن أحمد بن سعيد بن سفيان بن عبد الملك قد سمع منه بعض أصحابه بقوله: "وقد سمع منه بعض أصحابنا"^(٤٤) وهذا يعني أن القرطبيين وغيرهم من باقي المدن الأندلسية قد حضروا لبجَّانة و أخذوا من علمائها، ومحمد بن أحمد بن الخلاص البجاني (ت في حدود ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م) رحل فسمع بقرطبة من علمائها ، وسمعوا منه جماعة من أهل الجزيرة الخضراء^(٤٥)، وعثمان بن دليم (ت ٤٣٤هـ / ١٠٤٢م) سمع بالأندلس من غير واحد ، وتفقّه ببجَّانة على شيوخها قبل الفتنة^(٤٦). وعثمان بن سعيد الأموي (ت ٤٤٤هـ / ١٠٥٢م) من أهل قرطبة من ربض قُوتة راشه لكنه سكن في مدينة دانية بعد بدء الفتنة سنة (٣٩٩هـ / ١٠٠٨م) روى بقرطبة ، وسمع بأستجة ، وبجَّانة ، وسرقسطة وغيرها من بلاد الثغر من شيوخها كثيرا^(٤٧). وأحمد بن سعيد بن عمر المعافري البجاني (ت ٤٥٩هـ / ١٠٦٦م) روى في بَجَّانة وسرقسطة ، وروى عنه ابنه أبو مروان عبد الملك^(٤٨).

وليس هذا فحسب بل إننا إذا ما تتبعنا تراجم هؤلاء البجانيين سنجد كثيرا منهم من رحل خارج الأندلس للحواضر الإسلامية الأخرى في المشرق والمغرب الإسلامي وغيره ،فهذا أحمد بن واضح رحل مرات كثيرة حاجا وتاجرا ، وطلب العلم^(٤٩)، وكان لخزر بن معصب الغساني رحلة إلى المشرق في مصر كتب وحدث فيها، وسمع منه جماعة من الناس في بلده^(٥٠). ومسعود بن علي بن مروان رحل حاجا وتاجرا فسمع بمصر عن علماء كثر، ولما عاد كان يقرأ عليه في المسجد الجامع ببجَّانة ويسمع منه^(٥١). وسعيد بن مرتاح العطار له رحلة لاسكندرية حدث عن علمائها^(٥٢) . وعبد الملك بن سانخ رحل إلى المشرق رحلتين سمع فيها و ناظر^(٥٣)، وعبد السلام بن أحمد بن عقبة (ت تقريباً من ٣٠٠هـ / ٩١٢م) له رحلة إلى المشرق سمع فيها من عديد من العلماء هناك،^(٥٤) وقاسم بن عاصم بن خيرون بن سعيد المرادي ففضلاً عن كونه تاجرا ، دخل بغداد فسمع عن كثير من العلماء هناك^(٥٥) . وعبد الرحمن بن عبد الله بن خالد الهمذاني الوهراني ابن الخزّاز (ت ٤١١هـ / ١٠٢٠م) رحل و روى بالشرق بمرورهم ومصر والقيروان والعراق ، ثم عاد وسمع منه كبار علماء الاندلس فيما بعد^(٥٦) ، وعبد الحكم بن إبراهيم القيرواني الأصل نزل ببجَّانة ثم رحل الى مصر وقرأ على علمائها ثم نزل بجَّانة وأقرأ الناس بها^(٥٧) . وعلي بن احمد الازدي رحل إلى مصر ثم عاد وأقرأ الناس ببجَّانة^(٥٨). وعيسى بن محمد ، له رحلة إلى المشرق و سمع بمصر عن علمائها^(٥٩).

وهناك الكثير من البجَّانيين الذين يشار إليهم بالبنان كانت لهم رحلات وانجازات كثيرة أفادوا منها بلادهم ،سنتتبع هذه الإنجازات في المبحث القادم ، وممن برزوا كذلك في العلوم الشرعية والحصول على

إجازات من خارج الأندلس هم محمد بن سعيد بن حكم (ت ٣٠٣هـ / ٩١٥م) رحل إلى القيروان فلقى رجال سحنون^(٦٠). وفضل بن سلمة بن جرير بن منخل الجهني (ت ٣١٩هـ / ٩٣١م) رحل رحلتين إلى القيروان أقام فيها عشرة أعوام ، ولقي جماعة من اصحاب سحنون^(٦١) . وسعيد بن سفيان (ت ٣٢٩هـ / ٩٤٠م) الذي رحل للمشرق وسمع من علمائها^(٦٢) ، ويحيى بن مسعود اللورقي (ت ٣٣٣هـ / ٩٤٤م) رحل حاجا فكتب في رحلته حديثا كثيرا^(٦٣). وعلي بن الحسن المري (ت ٣٣٥هـ / ٩٤٦م) رحل فسمع بإفريقية سنة (٢٧٤هـ / ٨٨٧م) ثم انصرف وسمع الناس منه كثيرا في بَجَانَة^(٦٤) ، وعبد الملك بن إدريس بن نافع (كان حيا سنة ٣٤٨هـ / ٩٥٩م) رحل إلى المشرق حاجا وسمع بمصر ثم قفل إلى الأندلس^(٦٥) ، وعمر بن محمد بن إبراهيم العامري ابن الرِّقَّا (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م) له رحلة إلى المشرق سمع فيها عن كثير من العلماء ثم حدث عنه^(٦٦) ، و محمد بن عرامنة روى عن علماء بتونس وقفصة ، ثم عاد فسمع منه محمد بن ذي النون البَجَانِي^(٦٧) ، وابن ذي النون هذا توفي سنة (٣٩٠هـ / ٩٩٩م)^(٦٨) ، رحل إلى المشرق سنة ٣٠٥هـ / ٩١٧م ، فتردد هناك أعواما ، وسمع سماعا كثيرا بمصر والشام ، ومكة^(٦٩) ، ومحمود بن حكم بن منذر بن عبد الله بن محمد الأسدي (ت ٣٩٤هـ / ١٠٠٣م) رحل إلى المشرق فسمع بمصر والاسكندرية من علماء كثر ، وأقام في رحلته نحو عشرة أعوام سمع الناس منه كثيرا^(٧٠). ومحمد بن يبقى بن يوسف بن أرميلوث العبدي (كان حيا سنة ٤٠٢هـ / ١٠١١م) له رحلة إلى المشرق سمع فيها من العلماء هناك^(٧١) ، واحمد بن قاسم بن أيوب القيسي (ت ٤٢٢هـ / ١٠٣١م) له رحلة إلى المشرق حج فيها ، وروى فيها^(٧٢) ، ومحمد بن قاسم بن شمعة الضبي المقرئ (ت ٤٤٢هـ / ١٠٥٠م) ، له رحلة إلى المشرق أخذ فيها عن جماعة^(٧٣). وإبراهيم بن عمارة أبي اسحاق (ت ٤٤٣هـ / ١٠٥١م) له رحلة إلى المشرق سنة (٤٠٥هـ / ١٠١٤م) و لقي العلماء^(٧٤). وقاسم بن محمد بن سيد قومه (ت ٤٥٧هـ / ١٠٦٤م) رحل وحج ، ثم أقرأ بجامعة المرية^(٧٥).

وهكذا تعد الرحلة في طلب العلم من أهم عناصر الكمال في التعليم^(٧٦) ، وتعددت أسبابها التي تأتي في مقدمتها تأدية فريضة الحج الى بيت الله الحرام وزيارة قبر الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) فضلا عن لقاء الفقهاء والعلماء والمشايخ من العالم الاسلامي، كما تتطلب رحلة العلماء داخل وخارج البلد الى التكسب وهذا يعني العمل بالتجارة طلبا للمعيشة والنفع المادي^(٧٧).

المبحث الثاني: ازدهار العلوم والأدب في مدينة بَجَانَة الأندلسية

ازدهار العلوم والأدب في مدينة بَجَانَة الأندلسية :

إهتم أهل الأندلس بالعلم والتعليم، حيث مُجِد العلماء والفقهاء، ورجال الأدب ،وكان لهؤلاء القيادة والريادة في المجتمع الأندلسي، ومن عُرف بالعلم أصبح في مقام التكريم والإجلال ويشير الناس إليه بالبنان، وهم مختارين غير مدفوعين ينفقون من أموالهم الخاصة للحصول على التعليم^(٧٨)، حتى أن العلامة ابن خلدون إمتدح العلم والتعليم من الاندلس بأن لهم من ذكاء العقول وخفة الاجسام وقبول ما لا يوجد لغيرهم^(٧٩) ، وكان إعتقاد دراستهم على منهج دقيق يسوده فقه مالك^(٨٠)، حتى أن ابن خلدون قد

فَصَّل الطريقة المتبعة في الاندلس ، وسائر البلاد الاسلامية ، ومدحها بقوله : " وأما أهل الأندلس فأفادهم التفنن في التعليم وكثرة رواية الشعر والترسل ودراسة العربية من أول العمر، حصول ملكة صاروا بها أعرف في اللسان العربي"^(٨١)، وكان " تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان على التدرج شيئاً فشيئاً و قليلاً قليلاً"^(٨٢)، ثم برعوا وصاروا أصحاب أدب وعلوم متقدمة^(٨٣) ، وتقووا في علوم اللسان وبرعوا في الفصاحة^(٨٤).

أولاً : العلوم النقلية (الشرعية و اللسانية):

١- العلوم الشرعية:

نالت علوم الفقه والتفسير والقراءات والحديث والتصوف ، درجة كبيرة من الاهتمام ، فمن خلال المرور على تراجم علماء مدينة بَجَّانة في الكتب ذات الاهتمام بالتراجم والسير يتبين لنا جلياً هذا الاهتمام والتميز والابداع بتلك العلوم^(٨٥)، ومما نهض بالعلوم في الاندلس إقبال أهل العلم على الرحلة الى الشرق بالإقامة فيه الشهور والسنين حتى يتزودوا بالعلم ما استطاعوا، فكانت بغداد قبلتهم فهي مدينة العلم الاولى فمن لم يرحل لبغداد فليس بعالم^(٨٦) وابن الفريسي نفسه تردد بالمشرق لسنتين كان في بغداد خلالها في سنتي ٣٨٢-٣٨٣هـ/ ٩٩٢-٩٩٣م^(٨٧).

وعلم التفسير هو كشف المراد عن اللفظ والتأويل^(٨٨) ويبحث في أحوال القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى ، او علم نزول الآيات القرآنية من حيث أسباب نزولها وترتيبها مكية ومدنية، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وعامها ومطلقها ومقيد، ومجملها ومفسرها وحلالها وحرامها ووعدا وعيدها، وامرها ونهيها وعبرها وامثالها^(٨٩). أما علم القراءات هو مذهب من مذاهب النطق في القرآن يذهب به امام من أئمة القراءات مذهباً يخالف به غيره. وهي ثابتة بأسانيدها الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٩٠). واما علم الحديث فإنه علم يشتمل على أقوال النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأفعاله وروايتها ، وضبطها وتحرير ألفاظها^(٩١).

والفقه العلم بالشيء، العلم والفهم له والفطنة، وفي الاصطلاح هو العلم بالاحكام الشرعية العلمية المكتسب من ادلتها التفصيلية، وهو مستنبط بالرأي والاجتهاد، ويحتاج فيه الى النظر والتأمل^(٩٢).

ومن خلال ما تقدم فكتب السير والتراجم مليئة بالعلماء الذين رحلوا إلى المشرق من مدن الأندلس عامة ومدينة بَجَّانة خاصة ومن هؤلاء البَجَّانيون :

- ١- وهب بن أخطل بن رزيق مولى لقريش يكنى أبا القاسم سمع الحديث وروى سمع منه أحد شيوخ ابن الفريسي^(٩٣).
- ٢- أحمد بن سليمان أبو جعفر (ت ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م) من أهل القيروان سكن بَجَّانة روى عن سحنون بن سعيد، وكان يذهب مذهب العراقيين^(٩٤).

- ٣- أحمد بن جابر بن عبدة أبو القاسم كان في عصر الخلافة، سمع وروى وحدث، وكان بشاور الاحكام بموضعه، وولي الصلاة^(٩٥).
- ٤- أحمد بن وضاح أبو القاسم سمع وروى الحديث ، وكان حافظا للفقهِ ، بصيرا بالمناظرة عليه، متكلماً فيه ، وشاور ببلده الى أن توفي وكان في عصر الخلافة^(٩٦).
- ٥- أحمد بن سعيد بن سفيان بن عبد الملك أبو القاسم سمع وروى الحديث وحدث به ، وكتب باجازه تفسير ابن سلام وغير ذلك من روايته، وسمع عليه بعض أصحاب ابن الفرضي^(٩٧).
- ٦- خرز بن مصعب الغساني ابو مروان ، سمع وكتب في رحلته للشرق وحدث و سمع من جماعة من الناس^(٩٨).
- ٧- سعيد بن مرتاح العطار أبو عثمان ، حدث وسمع منه جماعة^(٩٩).
- ٨- عبد الله المعروف بالعطيتر، روى عن جماعة وكان ثقة في روايته، حسن الضبط لها ، مات بميورقة^(١٠٠).
- ٩- عبد الله بن محمد القضاعي أبو محمد سمع وحدث^(١٠١) .
- ١٠- علي بن حسين، سمع الواضحة، وكان معدودا في أهل العلم ببجّانة، ومشاورا عند الحكام بها^(١٠٢).
- ١١- علي بن سعيد بن حميدة أبو الحسن من أهل الحديث، حدث عن جماعة^(١٠٣).
- ١٢- عمر بن حفص سمع عن جماعة من العلماء، وكان بصيرا بالفتيا، ولم يكن بالضابط^(١٠٤).
- ١٣- قاسم بن محرز العطار أبو محمد ، كان كُتَّابَة للحديث ، كثيرا العناية به . قال ابن الفرضي: "رأيت اسمه وانتسابه على كثير من كتب شيوخنا الذين رحلوا الى المشرق"^(١٠٥).
- ١٤- محمد بن عرامة سمع وروى عن جماعة في إفريقية ورؤي عنه من أهل بَجَّانَة^(١٠٦).
- ١٥- مسعود بن علي بن مروان أبو القاسم سمع عنه جماعة ورحل حاجاً وسمع بمصر ، كان يقرأ عليه في المسجد الجامع ببجّانة ويسمع منه^(١٠٧).
- ١٦- مطرف بن هدبة معدودا في فقهاء بَجَّانَة ، وكان حفظه صالحا^(١٠٨).
- ١٧- هيتون بن حمود الوراق حدث عن عبد الله بن احمد الفقيه المقدسي^(١٠٩).
- ١٨- عبد الملك بن ساخنخ أبو مروان صحب فضل بن سلمة البجّاني ، وثققه عنده ، وكان حافظا للرأي ومتصرفا في الفقه وعبارة الرؤيا ، رحل إلى المشرق رحلتين سمع فيهما وناظر^(١١٠).
- ١٩- مغيث بن وقّا ، أحد العلماء في بَجَّانَة موصوفا بالعدل والمذاهب الجميلة^(١١١).
- ٢٠- أحمد بن رشيد بن أحمد البجّاني الخزاز أبو القاسم ، روى وسمع وحدث عنه جماعة ، وكان فقيها من فقهاء بَجَّانَة^(١١٢).
- ٢١- عيسى بن محمد ، روى وسمع بالأندلس ورحل إلى المشرق فسمع من علماء مصر^(١١٣).

- ٢٢- قاسم بن عاصم بن خيرون بن سعيد المرادي أبو محمد (ت ٣٠٠هـ / ٩١٢م) سمع من العلماء ، وكان له ابن غني بالعلم ، وكان حافظاً للمسائل ، ودرس بقرطبة ، وناظر بها ، وفيها توفي حدثاً^(١١٤).
- ٢٣- عبد السلام بن محمد بن عقبة (قريباً من سنة ٣٠٠هـ / ٩١٢م) روى وحدث عن جماعة من العلماء في الاندلس رحلة الى المشرق. وكان علم الحديث أغلب عليه من المسائل والرأي^(١١٥).
- ٢٤- محمد بن سعيد بن حكم (ت ٣٠٣هـ / ٩١٥م) سمع كتب عبد الملك بن حبيب من ابنه ورحل فلقي رجال سحنون وكان مفتياً ببجّانة^(١١٦).
- ٢٥- احمد بن سليمان بن مضر الصّباحي وقيل نصر المزيّ^(١١٧) (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م) ذكره ابن الفرضي على انه من علماء مَرِيّة بَجَّانَة^(١١٨).
- ٢٦- محمد بن يزيد بن أبي خالد أبو عبد الله (ت ٣١٧هـ / ٩٢٩م) مُحدّث مشهور منسوب الى بلده بَجَّانَة^(١١٩).
- ٢٧- عبد السلام بن علي (ت ٣١٨هـ / ٩٣٠م) سمع وروى وحدث^(١٢٠).
- ٢٨- فضل بن سلمة بن جرير بن منخل الجهني ابو سلمة (ت ٣١٩هـ / ٩٣١م) سمع بالاندلس ، ورحل فسمع بالقيروان واضحة ابن حبيب ، وغير ذلك ، وكان حافظاً للفقهاء على مذهب مالك ، بعيد الصوت فيه . كان يرحل اليه للسمع منه والتفقه عنده. حجّث عنه اهل الاندلس^(١٢١) له كتاب في اختصار الواضحة ، وتبتيهات في الفقه^(١٢٢).
- ٢٩- ضمام بن عبد الله بن نجيه العامري مولى لهم (ت في نحو ٣٢٠هـ / ٩٣٢م) وكان في عداد المحدثين البارزين^(١٢٣).
- ٣٠- ياسين بن محمد بن عبد الرحيم الانصاري أبو لؤي (ت نحو ٣٢٠هـ / ٩٣٢م) مشهور ببلده سمع و روى و حدث ، وروى تفسير يحيى بن سلام^(١٢٤).
- ٣١- يوسف بن سليمان بن عبد الله بن وهب بن حبيب بن مضر المزيّ المعروف بابن البطيني ابو عمر (ت ٣٢٩هـ / ٩٤٠م)، سمع وروى، وكان رجلاً صالحاً ورعاً، وربما شاوره الحكام مع نظرائه^(١٢٥).
- ٣٤- سعيد بن سفيان (ت ٣٢٩هـ / ٩٤٠م)، سمع و روى ، ورحل الى المشرق، ثم خلط في آخر عمره فوضع ذلك منه^(١٢٦).
- ٣٥- يحيى بن مسعود اللورقي ابو زكريا (ت ٣٣٣هـ / ٩٤٤م) صحب فضل بن سلمة ، ورحل حاجاً فكتب في رحلته حديثاً كثيراً. وكان حافظاً للمسائل ، وكان قد شُور مع أصحابه^(١٢٧).
- ٣٦- علي بن الحسن المري أبو الحسن (ت ٣٣٤هـ / ٩٤٤م) سمع وروى وحدث ، رحل فسمع بإفريقية وروى تفسير القرآن ليحيى بن سلام وذلك سنة ٢٧٤هـ / ٨٨٧م ، ثم انصرف فسمع الناس منه كثيراً ، وحدث منه الكثير ، منهم ابن الفرضي الذي قال : " حدثنا بكتاب التفسير عنه علي بن نجيح الالبيري "^(١٢٨).

- ٣٧- سلمة بن الفضل بن سلمة ابو الفضل (ت ٣٣٨هـ/ ٩٤٩م) سمع من ابيه ، وكان مذكورا في أهل العلم معدودا معهم^(١٢٩).
- ٣٨- سعيد بن عثمان بن منازل أبو عثمان المعروف بابن الشقاق (ت ٣٤٥هـ / ٩٥٦م) ، كان فقيها مبرزاً حافظاً ، محدثاً^(١٣٠).
- ٣٩- سعيد بن مخلون بن سعيد ابو عثمان (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) أصله من البيرة ، وسكن بجانة سمع بالاندلس ، ورحل الى المشرق منتقلا بين مدنه سمع وحدث ، وكان صدوقا فيما روى ، غير أنه لم يكن حسيص العقل، وكانت له اخلاق كريمة جدا ، وطال عمره فاحتاج الناس اليه وانفرد بروايته، وكتب عن عبد الملك بن حبيب "الواضحة" وغير ذلك^(١٣١).
- ٤٠- الحسين بن يعقوب ابو علي روى عن سعيد بن مخلون (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) كتاب الواضحة لعبد الملك بن حبيب السلمي ، سمع وروى وحدث ، وله مسائل في الفقه^(١٣٢).
- ٤١- عبد الملك بن ادريس بن نافع (كان حيا سنة ٣٤٨هـ / ٩٥٩م)، من أهل بَجَانَة ، سكن قرطبة، رحل الى المشرق حاجا وسمع بمصر كتاب الوقف والابتداء عن نافع بن أبي نعيم من رواية ورش في سنة (٣٤٥هـ/ ٩٥٦م) ثم قفل إلى أرض الاندلس، وكتب الخليفة الحكم المستنصر من كتابه وقول به شهر رمضان سنة ٣٤٨هـ/ ٩٥٩م^(١٣٣).
- ٤٢- حسين بن محمد القرشي المرواني ، من ولد مروان بن الحكم من أهل حران ، قدم الاندلس نحو سنة (٣٥٠هـ / ٩٦١م) وكان رجلا صالحا^(١٣٤).
- ٤٣- عيسى بن محمد بن عيسى بن ايوب اب الاصبع المعروف بالبجاني ويقال له عيسون (ت ٣٥٥هـ/ ٩٦٥م) سمع عن جلة من العلماء ، كتب في الوثائق حتى فقه فيها ، ونبل في عقدها وكان مشاورا في الاحكام ، صدرا فيمن يستفتي ، وكان مرشحا لاحكام الشرطة ، فعوجل دونها . وصف بالمروءة واثنى عليه كثير من العلماء^(١٣٥).
- ٤٤- محمد بن عبد الله بن سيد ابو عبد الله (ت ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م) ، كان فقيها ، حافظا للسائل ، بوب المستخرجة للحكم المستنصر^(١٣٦).
- ٤٥- عثمان بن سعيد بن عثمان بن منازل ابو سعيد (ت ٣٦٤هـ/ ٩٧٤م) ، سمع وحدث^(١٣٧).
- ٤٦- محمد بن عبد الملك الخولاني النحوي أبو عبد الله (ت ٣٦٤هـ / ٩٧٤م) ، كان حافظا للمسائل ، متصرفا فيها ، وكان يناظر عليها ، واختصر المدونة ، سمع الناس منه ، وكف بصره قبل موته بأعوام^(١٣٨).
- ٤٧- محمد بن فرح بن سبعون البجلي أبو عبد الله المعروف بابن ابي سهل (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)، سمع من شيوخ بلده ورحل الى المشرق فسمع في بلدانه. روى مصنف البخاري، رواية النسفي. استقدمه

- الحكم المستنصر الى قرطبة سنة ٣٦١هـ/٩٧١م فسمع منه غير واحد من أصحاب ابن الفرضي^(١٣٩).
- ٤٨- احمد بن خالد بن زيد الاسدي ابو القاسم المعروف بابن أبي هاشم (ت ٣٦٨هـ/٩٧٨م)، محدث، حدث عن فضل بن سلمة وغيره ، وكان يتولى الصلاة والخطبة ببجَّانة^(١٤٠).
- ٤٩- عمر بن يوسف بن عمر ابو حفص (ت نحو سنة ٣٧٠هـ / ٩٨٠م) ، سمع وحدث كثيرا ، سمع موطأ ابن وهب وقد رأى ابن الفرضي نسخة منه برواية سحنون^(١٤١).
- ٥٠- مسعود بن خيران ابو القاسم (ت ٣٧١هـ/٩٨١م) ، سكن قرطبة وسمع فيها ، وله رحلة الى المشرق سمع فيها سماعات كثيرة^(١٤٢).
- ٥١- علي بن عبيد الله الباهلي أبو الحسن (ت ٣٧٦هـ / ٩٨٦م) ، كان فقيها مذكورا ببجَّانة^(١٤٣).
- ٥٢- احمد بن مسعود ابو القاسم (ت ٣٧٦هـ/٩٨٦م) سمع وحدث في بَجَّانة والمدن الأندلسية الأخرى^(١٤٤).
- ٥٣- احمد بن وليد بن عبد الحميد بن عوسجة الانصاري أبو عمر (ت ٣٧٦هـ/٩٨٦م) المعروف بابن اخت عبَّون ، له رحلة الى الشرق ، سمع وحدث فيها ، وكان ينسب الى اعتقاد مذهب محمد بن مسرة ، وهو احد النفر الذين استتابهم محمد بن يبقى القاضي^(١٤٥).
- ٥٤- قاسم بن اسماعيل بن يونس بن معاوية بن عبد الجبار بن عبد الله بن اسماعيل بن يونس بن جشم المعافري أبو محمد (ولد سنة ٣٢٥هـ/٩٣٦م) ، وحدث عن علماء بَجَّانة وعلماء قرطبة ، وسمع الناس منه كثيرا من روايته^(١٤٦).
- ٥٥- قاسم بن عبد الله بن محمد العذري ابو محمد (ت بعد ٣٧٦هـ / ٩٨٦م) روى بإفريقية عن جماعة من العلماء ، وحدث عنه جماعة من أهل الأندلس^(١٤٧).
- ٥٦- نزار بن كوثر أبو القاسم (ت نحو ٣٨٠هـ / ٩٩٠م)، روى عن جماعة وحدث وكتب عنه ، وكان قد تصرف في الاحكام ببجَّانة^(١٤٨).
- ٥٧- عمر بن محمد بن ابراهيم العامري أبو حفص المعروف بابن الرفا (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م) ، رحل للمشرق سمع وروى عن عديد من العلماء ، وحدث بكتابه " احكام القرآن " ، لإسماعيل وسمع منه وأخذ عنه^(١٤٩).
- ٥٨- مجاهد بن أصبغ بن جسان ابو الحسن (ت ٣٨٢ او ٣٨٣هـ / ٩٩٢-٩٩٣م) ، سمع التفسير ليحيى بن سلام، والواضحة وكثيرا من جوامع عبد الملك بن حبيب من أكابر العلماء في بَجَّانة وغيرها . كتب الناس عليه كثيرا. ويذكر ابن الفرضي أنه قرأ عليه كتاب " شرح غريب الموطأ لابن حبيب، وكتاب فساد الزمان له، والناسخ والمنسوخ له. و اجاز لنا جميع ما رواه وكان شيخا ، صالحا ، طاهرا سمعتهم يثنون عليه كثيرا"^(١٥٠).

- ٥٩- محمد بن أفلح ابو عبد الله (ت ٣٨٥هـ / ٩٩٥م)، سمع وحدث بقرطبة على اكابر علماء الأندلس وكان حليما ، وافر المروءة^(١٥١).
- ٦٠- يوسف بن سعيد المعافري ابو عمرو (ت ٣٨٨هـ / ٩٩٨م) ، كان رجلا صالحا ، حافظا للمسائل ، مقنيا بالفقه ، خيرا فاضلا ، سمتا و قورا ، معتزلا عن الناس . حدث ببسير^(١٥٢).
- ٦١- خضر بن سامح البجاني (ت ٣٨٩هـ / ٩٩٩م) وهو من علماء بَجَانَة ومحدثيها^(١٥٣).
- ٦٢- علي بن معاذ بن سمعان بن موسى ابو الحسن (ت ٣٨٩هـ / ٩٩٩م) سمع بمدن الاندلس وبلده ، سمع الناس منه ببجانة وقرطبة ، وسمع ابن الفرضي منه^(١٥٤).
- ٦٣- محمد بن عبد الله بن محمد بن سعيد بن ذي النون ابو عبد الله (ت ٣٩٠هـ / ٩٩٩م) سمع من اكابر علماء بجانة وشيوخها، وكان معدودا في فقهاء بَجَانَة ، حدث وسمع منه غير واحد بقرطبة وبجانة ، قال ابن الفرضي بأنه كتب عنه حكايات وأنه أجاز له حديثه وكان يدفع عن السماع عن سعيد بن فحلون^(١٥٥).
- ٦٤- محمد بن احمد بن محمد القيسي المعروف بابن الخلاص ابو عبد الله (ت ٣٩٤هـ / ١٠٠٣م) عني بالسنن والآثار ورحل الى المشرق سنة ٣٥٠هـ / ٩١٧م) وبقي اعواما حتى كتب عن مائة وسبعين شيئا في مصر والشام ومكة ، وكان زاهدا ، فاضلا منقبضا ، وكان حافظا للحديث كتب عنه ابن الفرضي في بجانة ، وأجاز له جميع روايته ، وأدب بالقرآن ، وسمع منه غير واحد^(١٥٦).
- ٦٥- محمد بن حكم بن منذر بن عبد الله بن محمد الاسري ابو عبد الله (ت ٣٩٤هـ / ١٠٠٣م) ، رحل للمشرق وسمع عن العديد من العلماء ، واقام فيها عشرة اعوام ، سمع الناس منه كثيرا ، وحدث ، وسمع الناس منه ، منهم ابن الفرضي وأجاز له جميع روايته ، وكان شيئا صالحا طاهرا صدوقا ، مقلا^(١٥٧).
- ٦٦- يوسف بن افلح ابو عمر (كان حيا ٣٨٩هـ / ٩٩٩م) ، سمع وروى بالاندلس ، سمع منه ابو عمرو عثمان بن عبد الله بن دليم وغيره سنة ٣٩٨هـ / ٩٩٩م) وأخوه محمد بن أفلح مذكور في كتاب ابن الفرضي^(١٥٨).
- ٦٧- يحيى بن احمد بن جابر بن عبيدة ابو زكريا (كان حيا سنة ٣٩٣هـ / ١٠٠٢م) روى عن سعيد بن مخلوف وغيره ، وحدث عنه العديد من العلماء في الاندلس وأجاز لهم^(١٥٩).
- ٦٨- احمد بن عيسى بن سليمان بن عبد الواحد بن خيار بن عبد الله الاشجعي ابن ابي هلال (ت نحو ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م) ، سمع وروى عن علماء بَجَانَة ورحل للمشرق روى فيها عن جلة من العلماء وحدث عنه علماء الاندلس بعد عودته وسمع هو منهم وكان رجلا صالحا قدم طليطلة مجاهدا^(١٦٠).
- ٦٩- ملوك البجاني (ت قريبا من ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م) ، ادرك الائمة والعلماء ، وكان مجاب الدعوة^(١٦١).

٧٠- يوسف بن خلف بن سفيان بن عمر بن أسود الغساني أبو عمر (ت ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م) ، سكن قرطبة ، سمع وحدث ، وكان يؤم في مسجده ، ويعلم القرآن كان مقتتعا في دنياه ، متقللاً منها ، منقبضاً عن الناس ، مقبلاً على ما يعنيه ، وعمر نحو الثمانين سنة^(١٦٢).

٧١- محمد بن يبقى بن يوسف بن أرميلوت العبدي الصيدلاني أبو عبد الله (كان حياً سنة ٤٠٢هـ / ١٠١١م) ، له رحلة إلى المشرق سمع فيها جماعة من العلماء ، وأسرت الروم وسكن بعد ذلك المريّة^(١٦٣).

٧٢- احمد بن محمد بن أبي الحصن الجدلي ابو القاسم (ت ٤٠٥هـ / ١٠١٤م) ، مقري متقدم في الاقراء^(١٦٤) وكان ذا ضبط للقراءة وذا أدب وعلم ، أقرأ الناس ببلده وبها توفي^(١٦٥).

٧٣- عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد الهمداني الوهراني يعرف بابن الخزاز ، وهو البجاني (ت ٤١١هـ / ١٠٢٠م) ، روى الحديث بالمشرق في العراق ومصر ومرو والقيروان ، وسمع منه اكابر العلماء في الاندلس ، وكان يجلب كتبه معه الى قرطبة كل عام ، فيقرأ عليه من خلال ذلك الى ان وقعت الفتنة القرطبية سنة ٣٩٩هـ / ١٠٠٨م فأصبح متقللاً بين مدينة بجانة و المرية ، فكان على ذلك متقللاً الى ان مات^(١٦٦).

٧٤- احمد بن قاسم بن أيوب القيسي (ت ٤٢٢هـ / ١٠٣١م) ، كانت له عناية بالعلم ، ورحلة الى المشرق حج فيها ، وروى بها^(١٦٧).

٧٥- عثمان بن دليم ابو عمر (ت ٤٣٤ هـ / ١٠٤٢م) ، كان من الفقهاء المذكورين ، سمع بالاندلس من غير واحد ، وتفقّه ببجانة على شيوخها قبل الفتنة سنة ٣٩٩هـ / ١٠٠٨م^(١٦٨)، قال ابن الابار هو عثمان بن عبد الله بن اسماعيل بم دليم من اهل بَجَانة وأصله من جزيرة ميورقة ، وقيل من الجزيرة الخضراء يكنى ابو عمرو^(١٦٩).

٧٦- احمد بن الحسن بن عثمان الغساني ابو عمر (ت في حدود سنة ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م) يعرف بابن أبي رثال ، كان فقيها نظارا ، جرت له بعض المسائلات في القيروان ، فوضع مائة مسألة في فنون شتى سألهم عنها وكتبها في دفتر وترك بين كل مسألتين بياضا للجواب . اولها : في تفضيل النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لفاطمة (عليها السلام) ، او في سيادة فاطمة (عليها السلام) أخواتها ، ولم يقم بالقيروان إلا اثني عشر يوما او نحوها وانصرف في الصحبة خوف هجوم الشتاء وتورّع عن حال السلطان ، وهو احد شيوخ المقرئ ابي داود حدث عنه بتلك المسائل المائة^(١٧٠).

٧٧- محمد بن قاسم بن شمعة الضبي المقرئ ابو عبد الله (ت ٤٤٢هـ / ١٠٥٠م) ، كان مقرئاً أخذ الناس عنه ، وكانت له رواية عن ابي القاسم الوهراني وغيره ، وله رحلة الى المشرق أخذ فيها عن جماعة ، وكان من أهل الفضل والجلالة^(١٧١).

- ٧٨- ابراهيم بن عمارة ابو اسحاق (ت ٤٤٣هـ / ١٠٥١م) ، رحل إلى المشرق سنة (٤٤٥هـ / ١٠١٤م) ولقي العلماء . وكان من اقبل العناية بالعلم المذكورا بالفهم^(١٧٢).
- ٧٩- عبد الله بن خلوف بن موسى الزواعي المعروف بابن أبي العظام (ت ٤٤٣هـ / ١٠٥١م) ، صاحب صلاة الفريضة وأحكام الجهة ببجَّانة ، كان من أهل التلاوة والاجتهاد في العبادة ، من عباد الله الصالحين^(١٧٣).
- ٨٠- احمد بن رشيق التغلبي ابو عمر (ت ٤٤٦هـ / ١٠٥٤م) ، قرأ القرآن وسمع وروى الحديث وشوور في المرية ، ونوظر عليه في الفقه ، وكان له حافظا^(١٧٤).
- ٨١- احمد بن ابي الربيع المقرئ ابو عمر (ت ٤٤٦هـ / ١٠٥٤م) ، كان من أهل القراءات والآثار ، قرأ على جماعة من العلماء ، وتصدر للإقراء ، وتوفي بالمرية^(١٧٥).
- ٨٢- محمد بن عبد الملك الغساني ابو عبد الله (ت ٤٤٨هـ / ١٠٥٦م) ، كان فقيها مشاورا خطيبا ببلده^(١٧٦).
- ٨٣- عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن بن مالك الغساني ابو القاسم (ت ٤٥٤هـ / ١٠٦٢م)، روى عن عديد من العلماء وحَدَّث^(١٧٧).
- ٨٤- احمد بن حصين ابو عمر (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م)، كان فقيها على مذهب مالك، معتنيا بالآثار وكتب عنها بخطة كثيرا^(١٧٨).
- ٨٥- قاسم بن محمد بن سيد قومه ابو محمد (ت ٤٥٧هـ / ١٠٦٤م) ، رحل وحج ولقي جماعة من العلماء هناك وأقرأ بجامع المرية وله ست وثمانون سنة^(١٧٩).
- ٨٦- احمد بن سعيد بن عمر المعافري البجَّاني ابو عمر (ت ٤٥٩هـ / ١٠٦٦م)، روى عن محمد بن عبد الله بن سعيد البجَّاني مختصر المستخرجة من تأليفه، حدَّث وروى عنه ابن مروان عبد الملك وجماعته من العلماء في طليطلة وسرقسطة، وكان من اهل العناية والرواية سماع العلم^(١٨٠).
- ٨٧- الحسن بن مالك ابو علي (ت ٤٦٦هـ / ١٠٧٣م)، كان من اهل الجلالة والصلاح والخطابة^(١٨١).
- ٨٨- ابراهيم بن احمد بن محمد بن اسود الغساني ابو اسحاق (ت ٤٦٧هـ / ١٠٧٤م)، سمع وروى عن جلة من العلماء، وكان من اهل العناية بالعلم، مشهورا بالصلاح والفهم متواضعا^(١٨٢).
- ٨٩- محمد بن عمر البكري ابو عبد الله (ت ٤٧١هـ / ١٠٧٨ او ١٠٧٩م)، كانت له عناية بالعلم^(١٨٣).
- ٩٠- احمد بن يحيى بن يحيى (ت ٤٧٢هـ / ١٠٧٩م)، من كبار فقها، ببجَّانة وكان يستفتي في الحلال والحرام^(١٨٤).
- ٩١- عبد الله بن ابي المطرف ابو محمد المعروف بابن قبال (ت ٤٨١هـ / ١٠٨٨م)، كان من اهل العلم و الحج والدراية والصلاح والرواية^(١٨٥).

٢- العلوم اللسانية (علوم اللغة والأدب) :

كشفت المصادر الاندلسية على اشتغال الجانبين في علوم اللغة والنحو والادب بفرعيه الشعر والنثر ، فاللغة هي اصوات يعبر عنها كل قو عن اغراضهم ، ولغوت اي تكلمت ، واللغو النطق ، يقال : هذه لغتهم اي يلغون بها اي ينطقون ، واللغة هي الالفاظ الموضوعية للمعاني^(١٨٦) . اما النحو فهو إعراب الكلام العربي ، ونحا الشيء ينحاه وينحوه اذا حرفه ، ومنه سمي النحو لأنه يحرف الكلام الى وجوه الاعراب^(١٨٧) .

اما الادب فهو الاجادة في فني النظم والنثر ، او ما يعبر عن معنى الحياة بأسلوب لطيف وجميل سواء ذلك شعرا ام نثرا^(١٨٨) .

والادب بشقيه فطري يحرك العواطف ، ويوقظ الشعور ، ويثير النفوس ، اذا كان منثورا او خطابة ، او منظوما كالشعر والذي يعد مهما جدا في تقييد مآثرهم ، وتهويل امرهم^(١٨٩) ، وهما قمة البلاغة^(١٩٠) .

تميزت الأندلس بطابعها اللغوي بعد ان توفرت عوامل عدة في هذا التمييز ، فكان تعدد المراكز الثقافية المستند الى ظهور حواضر جديدة استقطبت الادب والعلم ، نتيجة قدوم ارباب العلم واللغة والادب من المشرق والمغرب ، فضلا عن الرحلات العلمية الكثيرة لاهل الاندلس لتلك الربوع وإفادتهم من علمائها بكافة تخصصاتهم ، وارتيادهم المراكز الثقافية هناك واطلاعهم على حركة التأليف والنتاجات العلمية الغزيرة هناك . ومن هنا فقد ظهرت كوكبة من هؤلاء العلماء في بَجَّانة ومنهم :

- ١- محمد بن عبد الملك الخولاني ابو عبد الله كان نحويا بارعا حتى اصبح يعرف بالنحوي^(١٩١) .
- ٢- عبد الملك بن ساخنخ ابو مروان ، كان محترفا بالعربية^(١٩٢) .
- ٣- محمد بن عبد الله بن يحيى بن يحيى الليثي ابو عبد الله (ت ٣٣٩هـ / ٩٥٠م) ، كان قاضيا على بَجَّانة ، متعرفا في علم الاعراب ، ومعاني الشعر ، شاعرا مطبوعا^(١٩٣) .
- ٤- احمد بن وليد بن عبد الحميد بن عوسجة الانصاري ابو عمر (ت ٣٧٦هـ / ٩٨٦م) ، فضلا عن كونه محدثا ، فقد حَدَّث بتاريخ ابن البرقي ، عن ابي الحسن الصغير^(١٩٤) .
- ٥- محمد بن افلح ابو عبد الله (ت ٣٨٥هـ / ٩٩٥م) ، كان بصيرا بالنحو^(١٩٥) .
- ٦- علي بن معاذ بن سمعان بن موسى ابو الحسن (ت ٣٨٩هـ / ٩٩٨م) ، كان فصيحا شاعرا ، عالما بالسب ، طويل اللسان مفوهاً ، كثيرا الاذى بشعره^(١٩٦) ، ذكر المراكشي بأنه كان لغويا نسابة استقدمه الحكم المستنصر بالله ليقبض من علمه^(١٩٧) .
- ٧- محمد بن مسعود ابو عبد الله البَجَّاني الغساني (كان في حود ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م) ، اصله من بَجَّانة ، وسكن قرطبة فنسب اليها ، كان شاعرا مشهورا منتجعا للملوك ، كثير الشعر ، مليح الغزل ، طيب الهزل^(١٩٨) . قال ابن سعيد المغربي عنه : " انه كان كثير الغوص على دقيق المعاني ، ونسب عند

المنصور بن ابي عامر الى الزندقة فسجنه في المطبق مع الشريف الطلق، وكان الطليق غلاما وسيما، وكان ابن مسعود كلفا به، وله فيه اشعارا كثيرة^(١٩٩).

٨- الغسانية البجَّانية، اديبة شاعرة تمتدح الملوك كانت في بَجَّانة ، لها قصيدة حسنة في الامير خيران العامري، صاحب المرية عارضت بها ابا عمر احمد بن دراج في شعر قاله فيه^(٢٠٠).

٩- عثمان بن دليم ابو عمر (ت ٤٣٤هـ/ ١٠٤٢م)، كان من الالباء الصالحين^(٢٠١).

١٠- احمد بن الحسن بن عثمان الغساني من أهل بَجَّانة المرية (ت في حدود ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م)، كان له حظ في الادب والشعر^(٢٠٢).

١١- عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن مالك الغساني ابو القاسم (ت ٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م)، كان فصيحاً لغوياً مقنيا بالعلم^(٢٠٣).

١٢- ابو محمد بن قليب البجَّاني ادب شاعر ، له كتاب في القوافي، قال عنه الحميدي انه راه وانشد له شعرا في الريا من يتغنى في الربيع والازهار وخصوبة الارض والامطار والروائح الزكية^(٢٠٤).

ثانيا : العلوم العقلية:

١- العلوم الطبية:

يعد علم الطب من أبرز العلوم التي حازت على اهتمام وعناية الأندلسيين، وذلك بفضل الاشعاع الفكري والحضاري الذي شهدته بلادهم في عصر الخلافة (٣١٦-٤٢٢هـ/ ٩٢٨-١٠٣١م)، فبعد أن كانوا أقل دراية ومعرفة بالطب باعتمادهم على كتب النصارى^(٢٠٥) وإن أغالب المشتغلين به هم من أهل الذمة^(٢٠٦)، ثم بزغ عصر الخلافة فدخلت الكتب الطبية من المشرق ، وجميع العلوم في صدر دولة عبد الرحمن الناصر لدين الله^(٢٠٧).

في مدينة بَجَّانة، وبالرغم من شح المعلومات عن حقيقة دور الطب والاطباء في هذه المدينة إلا أن تميز المدينة ببعض المشافي الطبيعية كان يعطي انطبعا عن معرفة الطب وأنواع العلاجات فيها ، كما يعطي إشارة واضحة على توافر الأمكنة لتلقي العلاج المتمثلة بالبيمارستانات ، فقد حباها الله تعالى بهذه المشافي تمثلت بحمّات المياه الحارة التي استخدمت كعلاج نافع للكثير من الامراض ولا سيما الجلدية والفالج والخدر وغيرها ، وقد تركزت تلك المشافي في مدينة بَجَّانة يقصدها المرضى ويسكنون بها ، وأكثر من يواظب عليها يبرأ من مرضه^(٢٠٨)، اذ كانت فيها عينان من المياه المعدنية الساخنة ، الأولى كانت تقع في شرقها على بعد ثلاثة أميال من جبلها ويحتوي مأوها على معدن الكبريت، اذ بنى صهريجا الى جانب العين يدفع بالمياه ، بعد أن يتمتلئ إلى أحواض صغيرة مخصصة لعلاج المرضى، وكان أهالي القرية الساكنين بالقرب من الحمة الساخنة يتولون رعاية المرضى وتوفير احتياجاتهم ، وقريتهم هذه تعرف بقرية الحمة وصفها الإدريسي بقوله : "ويذكر المتجولون في أقطار الأرض أن ما مثل هذه الحمة في المعمور من الأرض ولا أتقن منها بناء ولا أسخن منها ماء والمرضى والمعلون يقصدون إليها من كل

الجهات فيلزمون المقام إلى أن تستقل علهم و يشفوا من أمراضهم^(٢٠٩)، كما ويصفها الحميري بقوله: " الحِمة العجيبة الشأن ليس لها نظير في بلاد الأندلس في طيب مائها وعذوبته وصفائه ولدونته ونفعه وعموم بركته يقصدها أهل الأسقام و العاهات من جميع النواحي فلا يكاد يخطئهم نفعها "^(٢١٠). في حين كانت الحمة الثانية تقع شمال المدينة ويحتوي ماؤها على معدن النحاس وكان يقصدها أيضا المرضى من جميع نواحي الأندلس للاستمتاع بأجوائها الصحية والانتفاع بمياهها المعدنية^(٢١١)، ويضيف القزويني عن بنايات هذه الحمة قائلا: " وعلى الحمة بيتان أحدهما للرجال على الحمة نفسها، والآخر للنساء يدخله الماء من بيت الرجال. وقد بنى بيتاً ثالثاً مفروشاً بالرخام الأبيض، يأتيه الماي من قناء ويختلط بماء الحمة حتى يصير فاترا، ويدخله من لا يستطيع دخول ماء الحمة وتخرج فضلتها تسقي الزروع والأشجار"^(٢١٢).

والظاهر أن الحمة تتوافر على ثلاثة غرف واحدة للرجال وأخرى للنساء ،والثالثة لمن لا يستطيع تحمل حرارة الحمة مباشرة. وجلبت بعد ذلك العيون اهتمام الاطباء الى درجة التأليف . وممن الفوا في هذا الجانب ابن وافد كتابه "العلاج بالحمامات والينابيع الطبية والعقاقير النباتية"^(٢١٣)، وقصدها الكثير من العلماء والفقهاء والناس للاستشفاء بهذه الحِمَّات^(٢١٤) مع توافر الأماكن الخاصة بإيوائهم كالفنادق والدور للإقامة بها حتى الشفاء^(٢١٥) واشتهارها بهذا الأمر جعل ابن الخطيب يصرح قائلا بأن الحمة: " للصيد والحجل والصحة"^(٢١٦).

ومن أبرز أطباء بَجَّانة هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حامد البَجَّاني المعروف بابن النباش، الذي اعتنى بصناعة الطب واهتم كثيرا بعلاج مرضاه في داخل بَجَّانة وخارجها واكتسب شهرة واسعة وصيتا بعيدا^(٢١٧).

٢- الفلسفة و علم الكلام:

لم يهتم الاندلسيون للفلسفة في بادئ الأمر إلا أن توطد الملك لبني امية فأنصرف الناس إلى الاشتغال بالعلوم المختلفة ومن بينها الفلسفة^(٢١٨)، ويكاد يجمع الباحثون على أن العقلية الإسبانية أو الأندلسية في المراحل الإسلامية الاولى لم تكن مهياة لأن تقبل الفكر الجديد المشوب بالفلسفات الطبيعية الجامعة على الرغم من اعتماد الأندلس في هذه الفترة على الشرق في ثقافته العقلية، وتعدد الرحلات بينهما^(٢١٩)، وعلى هذا فالأندلس لم تشهد قبل عصر الخلافة نشاطا ملحوظا في ميدان الفلسفة إلا ما يذكر عن الأمير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام (٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢١-٨٢٥م) من أنه كان مهتما بالعلم وجمع الكتب راغبا فيما يختص منها بالفلسفة وعلوم الأوائل ، وإنه كان يبحث في اقتنائها من خارج الاندلس ، ولهذا نسب إليه أنه أول من أدخل الفلسفة للأندلس^(٢٢٠).

ومن الواضح أن الأسباب التي أدت إلى عدم اشتغال الأندلسيين بالفلسفة في الأندلس قبل عصر الخلافة إلى أمور أهمها انشغال الأندلسيين آنذاك بالدراسات الدينية كالحديث والفقه والدراسات اللغوية

والأدبية، وينتقمون على من يشتغل بها فهي "علم ممقوت بالأندلس لا يستطيع صاحبه إظهاره فلذلك تخفى تصانيفه"^(٢٢١)، فمن اشتغل بالفلسفة اتهم بالكفر والزندقة^(٢٢٢).

ومعنى هذا أن الفلسفة وجدت مقاومة ومعارضة في الأندلس، كما وجدت تلك المقاومة والمعارضة من قبل في المشرق^(٢٢٣).

ولطالما كان للرحلات العلمية الى المشرق^(٢٢٤) الأثر الأبرز في ظهور الفلسفة وعلم الكلام وتطوره في الأندلس بشكل حقيقي في خلافة الحكم المستنصر بالله (٣٥٠-٣٦٦هـ / ٩٦١-٩٧٦م) الذي اتسمت فترته بحركة علمية نشيطة كان للفلسفة نصيبا كبيرا منها حتى قال ابن صاعد الأندلسي " فكثرت تحرك الناس في زمانه إلى قراءة كتب الأوائل وتعلم مذاهبهم"^(٢٢٥) ولا سيما ما يوافق الشرع والتحلي بالأخلاق والآداب الحسنة، وحسن السيرة دون ان تشكل تعارض مع العقيدة^(٢٢٦).

فالعالم أبو عبد الله البجَّاني الأندلسي كان قد نزل مصر وكان أشعريا من أهل الكلام^(٢٢٧) ويبدو انه هاجر بلده متوجها إلى مصر فنزلها لما لاقاه من ضغوطات على الأرجح دعتة الى الهجرة. أما أحمد بن وليد بن عبد الحميد بن عوسجة الانصاري البجَّاني (ت ٣٧٦هـ / ٩٨٦م) فقد كان ينسب إلى اعتقاد مذهب محمد بن مسرة. وهو أحد النفر الذين إستتابهم محمد بن يبقى القاضي^(٢٢٨).

ومحمد بن عبد الله بن مسرة بن نجيج القرطبي (ت ٣١٩هـ / ٩٣١م) كانت له طريقة وآراء فلسفية تلقاها تلاميذه فكان " يقول بالاستطاعة ، وإنفاذ الوعيد ، ويحرف التأويل في كثير من القرآن. وكان مع ذلك يدعي التكلم على تصحيح الاعمال ، ومحاسبة النفوس على حقيقة الصدق ... وكان له لسان يصل به الى تأليف الكلام ، وتمويه الالفاظ، واخفاء المعاني"^(٢٢٩) فاتهم بالزندقة والخروج على الدين ، فخرج هاربا إلى المشرق وعاد بعد ذلك بثوب آخر لكنه انكشف فتركه الكثير في الأخذ عنه^(٢٣٠) وتمت متابعته هو وجماعيته ومن يؤمن به وبثت العيون والجواسيس لملاحقتهم في مده خلافة عبد الرحمن الناصر لدين الله^(٢٣١).

ولأجل هذا وجد ابن مسرة أن عليه أن يعمل على تخفيف حدة هذه المقاومة، وأن يمهدها أرضا ثابتة في البيئة الأندلسية، وأن يثبت اتفاق الفلسفة والدين، أو العقل والوحي في رسالته التي ألفها لذلك، وهي رسالة (الاعتبار) أو (البصيرة)، عالج فيها إثبات أن العقل والوحي طريقان يؤديان إلى شيء واحد ، وأن الفلسفة والدين نهجان مختلفان من حيث الوسيلة ولكنهما متفقان من حيث الغاية، إلا أن الدين يبدأ من الأعلى إلى الأسفل، بينما العقل يبدأ من الأسفل ويأخذ طريقاً متدرجاً حتى يصل إلى أعلى، فالفيلسوف كالنبي في طلب الحق، وهداية الناس إلى الخير، وإن كان الحق يأتي إلى النبي مباشرة من الله تعالى، بينما يسمى الفيلسوف إليه بالنظر والفكر، وقد ينجح في مسعاه إذا توفرت لديه النية الصحيحة. ولأن الموضوع فلسفي، والناس آنذاك يضطهدون الفلسفة و يعادونها، فأن المؤلف اضطر لستر أسمه

بصفة محبة إلى نفوس أهل بلده ، وهي صفة (الفقيه)، وذلك ليضمن عدم إحراقها من جهة ، ولئلا يتعرض للإيذاء ، من يقتنيها^(٢٣٢).

وعلى الرغم مما واجهته الفلسفة وعلم الكلام والتجيم في زمن الحاجب المنصور محمد بن أبي ماهر، وقلة اعداد اصحابها وضعف نشاطهم ، إلا أنهم استقروا والبعض الآخر هاجر ، ثم عاودوا نشاطهم بعد سقوط دولة بني امية وخلافتهم في الأندلس سنة ٤٢٢هـ / ١٠٣١م^(٢٣٣).

وممن برز في هذا الجانب أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حامد البجاني المعروف بابن النباش، ففضلا عن مهنته في الطب وتفوقه بها، إلا أنه كان ذو معرفة جيدة بالعلم الطبيعي ومشاركة في العلم الإلهي ، وتحقق في الأخلاق والسياسة ، وله بصر بصناعة المنطق^(٢٣٤).

ومما تقدم نجد أن الفلسفة وعلم الكلام كانا قد مرا بظروف متباينة ازدهرا في وقت واضمحلا في آخر تبعا للظروف السياسية وتوجهات الحكام ، فضلا عن كونهما يتعارضان مع الشرع أم لا، رغم أن البعض كان له آراء وأقوال لا تتعارض مع ذلك الشرع، لذا فإن العقوبات ومتابعة منتحلي هذه العلوم قد اجبروا على التخلي والانصراف مما كانوا يشتغلون به ، ثم يعودوا في ظل تحسن الظروف السياسية او الانفتاح العقائدي.

الهوامش:

(١) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٩٠ ؛ ابن الفريسي ، تاريخ علماء الاندلس ، صفحات عديدة في جزئين ، ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق مكي ، ص ٤٦ ، ابن بسام الشنتريني ، ق ١ ، ج ١ ، ص ٣٧.

(٢) الفلاح ، هناء عبد الرضا حمودي ، الحياة الثقافية والعلمية بالاندلس في عصر الامارة العربية الاموية من سنة ١٣٨-٣١٦هـ / ٧٥٦-٩٢٩م ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة بغداد ، كلية الاداب (بغداد ، ١٩٨٨) ، ص ٣١ وما بعدها.

(٣) المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ٥ وما بعدها.

(٤) المقرئ ، نفح الطيب ، ج ١ ، ص ص ٢٢٠-٢٢١.

(٥) عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المغربي (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م) ، المقدمة (بيروت ، دار الفكر ، ٢٠٠٧) ، ص ص ٥٩١-٥٩٢.

(٦) ابن صاعد الاندلسي ، ابو القاسم صاعد بن احمد (ت ٤٦٢هـ / ١٠٧٠م) ، طبقات الامم ، تحقيق وتعليق حسين مؤنس (القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٩٨) ، ص ٨٥.

(٧) الحجي ، عبد الرحمن علي ، التاريخ الاندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة ، ط ٧ (دمشق ، دار القلم ، ٢٠١٠) ، ص ص ٣٠٤-٣٠٥ ، ٣٣٨ ، ٤٤١-٤٤٨ ، ٤٨٦ ، ٥٣٨-٥٤٥ ، ٦٠٣ ، بعيون ، سهى ، اسهام العلماء المسلمين في العلوم في الاندلس عصر ملوك الطوائف ٤٢٢-٤٧٩هـ / ١٠٣١-١٠٨٩م (بيروت ، دار المعرفة ، ٢٠٠٨) ، ص ٥٥ وما بعدها.

(٨) طبقات الامم ، ص ص ٨٨-٨٩.

- (٩) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ٧٠ ، السمعاني ، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي المروزي (٥٦٢هـ / ١١٦٦م) ، كتاب الانساب ، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وآخرون (حيدر آباد ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٩٦٢م) ، ج ٢ ، ص ٨٢-٨٦ ؛ الضبي ، بغية الملتبس ، ص ٨٥ .
- (١٠) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ١٠ .
- (١١) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٣٧ .
- (١٢) العتبي : هو محمد بن احمد بن عبد العزيز بن عتبة بن ابي عتبة بن محمد (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٩م) بن عبيد الله بن يزيد مولى عمرو بن عتبة بن ابي سفيان صخر بن حرب : انظر : ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ٩ .
- (١٣) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٣٧ .
- (١٤) السمعاني ، الانساب ، ج ٢ ، ص ٦٨ .
- (١٥) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ٨١ .
- (١٦) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ٨١ .
- (١٧) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٣٠٨-٣٠٩ .
- (١٨) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ١١٨ .
- (١٩) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ١٦٢ .
- (٢٠) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ١١٢ .
- (٢١) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ١٦٢ .
- (٢٢) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ٦٢ .
- (٢٣) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ١٦٢-١٦٣ .
- (٢٤) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ١٥٦ .
- (٢٥) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٥٨ .
- (٢٦) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ١٠٨ .
- (٢٧) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٢١٥ .
- (٢٨) المراكشي ، الذيل و التكملة ، س ٥ ، ص ٤١٠ .
- (٢٩) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٢٧٣ .
- (٣٠) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ٧٤ .
- (٣١) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٢٧٩ .
- (٣٢) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ١١٨ .
- (٣٣) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ٨٣ .
- (٣٤) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ١٢٢ .
- (٣٥) المراكشي ، الذيل و التكملة ، س ٨ ، ق ١ ، ص ١٦٠ .
- (٣٦) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ١١٨ .
- (٣٧) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ١٣٣ .
- (٣٨) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٢٨٠ .

- (٣٩) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٢٨٠.
- (٤٠) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ٦٣-٦٤.
- (٤١) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ٩٥.
- (٤٢) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ١٨٣؛ الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص ٢٠٧.
- (٤٣) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ١١١.
- (٤٤) تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٦٣.
- (٤٥) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص ٤٨؛ الضبي ، بغية الملتبس ، ص ٤٩-٥٠.
- (٤٦) ابن بشكوال ، الصلة ، ج ٢ ، ص ٣٢٥.
- (٤٧) ابن بشكوال ، الصلة ، ج ٢ ، ص ٣٢٥-٣٢٦.
- (٤٨) ابن الابار ، التكملة ، نشر الحسيني ، ج ١ ، ص ١٩.
- (٤٩) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٥١.
- (٥٠) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ١٣٦؛ الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص ٢٠٧؛ الضبي ، بغية الملتبس ، ص ٢٦٦.
- (٥١) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ١١٨.
- (٥٢) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ١٦٦.
- (٥٣) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٢٤٩.
- (٥٤) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٢٥٨.
- (٥٥) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٣١٤.
- (٥٦) الضبي ، بغية الملتبس ، ص ٣٣٩؛ ابن بشكوال ، الصلة ، ج ١ ، ص ٢٦٠-٢٦١.
- (٥٧) ابن الابار ، التكملة ، تحقيق الهراس ، ج ٣ ، ص ١٣٩.
- (٥٨) ابن الابار ، التكملة ، تحقيق الهراس ، ج ٣ ، ص ١٧٣.
- (٥٩) ابن الابار ، التكملة ، تحقيق الهراس ، ج ٤ ، ص ٥.
- (٦٠) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ٢٧.
- (٦١) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٣٠٨.
- (٦٢) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ١٦١.
- (٦٣) ابن الابار ، التكملة ، تحقيق الهراس ، ج ٣ ، ص ١٦٧.
- (٦٤) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٢٧٨.
- (٦٥) ابن الابار ، التكملة ، تحقيق الهراس ، ج ٣ ، ص ٦٨.
- (٦٦) ابن بشكوال ، الصلة ، ج ١ ، ص ٣١٦.
- (٦٧) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ٦٣-٦٤.
- (٦٨) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ٩٥.
- (٦٩) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ٩٩؛ و ينظر الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص ٤٨.
- (٧٠) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ١١٠-١١١.

- (٧١) ابن بشكوال ، الصلة ، ج ٢ ، ص ٣٨٩ .
- (٧٢) ابن بشكوال ، الصلة ، ج ١ ، ص ٤٩ .
- (٧٣) ابن بشكوال ، الصلة ، ج ١ ، ص ٤١٩ .
- (٧٤) ابن بشكوال ، الصلة ، ج ١ ، ص ٩١ .
- (٧٥) ابن بشكوال ، الصلة ، ج ٢ ، ص ٣٧٥ .
- (٧٦) ابن خلدون / المقنعة ، ص ٥٩١ .
- (٧٧) أحمد ، أحمد رمضان ، الرحلة والرحالة المسلمون (جدة ، دار البيان العربي ، د.ت.) ، ص ١٣ ؛ العريني ، يوسف بن علي بن ابراهيم ، الحياة العلمية في الاندلس في عصر الموحدين (الرياض ، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة ، ١٩٩٥م) ، ص ٥٦ .
- (٧٨) المقرئ ، نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٢٢٠ .
- (٧٩) المقدمة ، ص ٤٣٨ .
- (٨٠) ابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) ، وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق احسان عباس (بيروت ، مطبعة الغريب ، ١٩٦٨م) ، ج ٣ ، ص ١٢٧ ؛ القاضي عياض ، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي (ت ٥٤٤هـ / ١١٤٩م) ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، لمعرفة أعلام مذهب مالك ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي (الرباط ، الاوقاف والشؤون الاسلامية ، ١٩٨٥م) ، ج ١ ، ص ٢٦-٢٧ .
- (٨١) المقدمة ، ص ٥٨٩ .
- (٨٢) المقدمة ، ص ٥٨٣ .
- (٨٣) المقدمة ص ٥٨٩ .
- (٨٤) المقرئ ، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، تحقيق مصطفى السقا و آخرون (القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٩-١٩٤٠-١٩٤٣) ، ج ١ ، ص ١١٦ .
- (٨٥) حسين ، محمد الخضر ، علماء الاسلام في الاندلس (القاهرة ، المطبعة السلفية ، ١٣٤٧هـ) ، ص ٩٥ و ما بعدها .
- (٨٦) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٢٥٩ .
- (٨٧) تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ١٣٣ .
- (٨٨) ابن منظور ، محمد بن مكرم الافريقي المصري (ت ٧١١هـ / ١٣١١م) ، لسان العرب (بيروت ، دار الصادر ، د.ت) ، ج ٥ ، ص ٥٥ (مادة فسر) .
- (٨٩) السيوطي ، جلال الدين (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) ، الاتقان في علوم القرآن (القاهرة ، مطبعة مصطفى بابي) ، ج ٢ ، ص ٤ .
- (٩٠) القطان ، علوم القرآن (القاهرة ، المطبعة الحسينية بمصر ، د.ت) ، ص ٦٢ .
- (٩١) الطيبي ، الحسين بن عبد الله (ت ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م) ، الخلاصة في اصول الحديث ، تحقيق صبحي السامرائي (بغداد ، مطبعة الارشاد ، ١٩٧١م) ص ٩ .
- (٩٢) الجرجاني ، السيد الشريف ابي الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني الحنفي (ت ٨١٦هـ / ١٤١٣م) ، التعريفات ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، ط ٣ (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٩) ، ص ١٤٧ .

- (٩٣) تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ١٤٦ ، الحميدي ؛ جذوة المقتبس ، ص ٣٥٠ و قال انه توفي سنة (٢٢٠هـ/٨٣٥م) ؛ الضبي ، بغية الملتبس ، ص ٤٤٤ .
- (٩٤) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٦٩ .
- (٩٥) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٥١ .
- (٩٦) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٥١ .
- (٩٧) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٦٣ .
- (٩٨) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ١٣٦ ؛ الضبي ، بغية الملتبس ، ص ٢٩٦ .
- (٩٩) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ١٦٦ .
- (١٠٠) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٢١٢ .
- (١٠١) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٢١٦ .
- (١٠٢) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٢٧٨ .
- (١٠٣) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٢٧٩ .
- (١٠٤) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٢٨٧ .
- (١٠٥) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٣٢١ .
- (١٠٦) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٦٣-٦٤ .
- (١٠٧) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ١١٨ .
- (١٠٨) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ١٢٢ .
- (١٠٩) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ١٥٤ .
- (١١٠) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٢٤٨ .
- (١١١) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ١٣٤ .
- (١١٢) ابن بشكوال ، الصلة ، ج ١ ، ص ص ٣١-٣٢ .
- (١١٣) ابن الابار ، التكملة ، تحقيق الهراس ، ج ٤ ، ص ٥ .
- (١١٤) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٣١٤ .
- (١١٥) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٢٥٨ .
- (١١٦) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ٢٧ .
- (١١٧) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص ١٢٧ ؛ الضبي ، بغية الملتبس ، ص ١٨٥ .
- (١١٨) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٤ .
- (١١٩) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص ١٠٤ .
- (١٢٠) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٢٥٨ .
- (١٢١) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ص ٣٠٨-٣٠٩ .
- (١٢٢) الضبي ، بغية الملتبس ، ص ٤١١ .
- (١٢٣) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ١٩١ ، ج ١ ، ص ١٩١ ؛ الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص ٢٣٧ ، المقري ، نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ص ٦٤٥-٦٤٦ .

- (١٢٤) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ١٨٤ ؛ الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص ٣٧٢ ؛ الضبي ، بغية الملتبس ، ص ٤٧٧ .
- (١٢٥) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ١٨٠ .
- (١٢٦) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ١٦١ ؛ الضبي ، بغية الملتبس ، ص ٢٨٦ .
- (١٢٧) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ١٦٧ .
- (١٢٨) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٢٧٨ ؛ الضبي ، بغية الملتبس ، ص ٣٩٢ .
- (١٢٩) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ١٧٨ .
- (١٣٠) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ١٦٢ ؛ الضبي ، بغية الملتبس ، ص ٢٨٩ .
- (١٣١) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ١٦٢-١٦٣ .
- (١٣٢) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص ١٩٢ ؛ الضبي ، بغية الملتبس ، ص ٢٤٦ .
- (١٣٣) ابن الابار ، التكملة ، تحقيق الهراس ، ج ٣ ، ص ٦٨ .
- (١٣٤) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ١١٥ .
- (١٣٥) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٢٩٣-٢٩٤ .
- (١٣٦) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٧٠ ؛ الضبي ، بغية الملتبس ، ص ٨٥ .
- (١٣٧) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٢٧٣ .
- (١٣٨) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ٧١ ؛ الضبي ، بغية الملتبس ، ص ١٢٣ .
- (١٣٩) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ٧٤ .
- (١٤٠) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٥٦ .
- (١٤١) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٢٨٨ .
- (١٤٢) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ١١٨ .
- (١٤٣) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٢٧٩ .
- (١٤٤) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٦٢ .
- (١٤٥) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٦٢ .
- (١٤٦) ابن بشكوال ، الصلة ، ج ٢ ، ص ٣٧١ .
- (١٤٧) ابن بشكوال ، الصلة ، ج ٢ ، ص ٣٧١ .
- (١٤٨) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ١٣٩ .
- (١٤٩) ابن بشكوال ، الصلة ، ج ٢ ، ص ٣١٦-٣١٧ .
- (١٥٠) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ١٣٣ .
- (١٥١) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ٩٢ .
- (١٥٢) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ١٨٣ .
- (١٥٣) الضبي ، بغية الملتبس ، ص ٢٦٦ .
- (١٥٤) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٢٨١ .
- (١٥٥) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ٩٥ .

- (١٥٦) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج٢ ، ص ٩١-١٠٠ ؛ و قيل توفي في حدود ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م ينظر الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص ٤٨ ؛ الضبي ، بغية الملتمس ، ص ص ٤٩-٥٠.
- (١٥٧) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج٢ ، ص ١١٠-١١١.
- (١٥٨) ابن الابار ، التكملة ، تحقيق الهراس ، ج٤ ، ص ١٩٨.
- (١٥٩) ابن بشكوال ، الصلة ، ج٢ ، ص ص ٥٠٩-٥١٠.
- (١٦٠) ابن بشكوال ، الصلة ، ج١ ، ص ٣٢.
- (١٦١) ابن بشكوال ، الصلة ، ج٢ ، ص ص ٤٨٤-٤٨٥.
- (١٦٢) ابن بشكوال ، الصلة ، ج٢ ، ص ٥١٩.
- (١٦٣) ابن بشكوال : الصلة ، ج٢ ، ص ٣٨٩.
- (١٦٤) الضبي ، بغية الملتمس ، ص ١٥٢.
- (١٦٥) ابن بشكوال ، الصلة ، ج١ ، ص ٣٩.
- (١٦٦) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص ٢٦٦ ؛ ابن بشكوال ، الصلة ، ج١ ، ص ص ٢٦٠-٢٦١ ؛ الضبي ، بغية الملتمس ، ص ٣٣٩.
- (١٦٧) ابن بشكوال ، الصلة ، ج١ ، ص ٤٩.
- (١٦٨) ابن بشكوال ، الصلة ، ج٢ ، ص ٣٢٥ ؛ الضبي ، بغية الملتمس ، ص ٣٨٢.
- (١٦٩) التكملة ، تحقيق ابن الهراس ، ج٣ ، ص ١٦٦-١٦٧.
- (١٧٠) ابن الابار ، التكملة ، نشر الحسيني ، ج١ ، ص ص ٤٢-٤٣ ؛ المراكشي ، الذيل والتكملة ، السفر الاول ، ص ٩٤.
- (١٧١) ابن بشكوال ، الصلة ، ج٢ ، ص ٤١٩.
- (١٧٢) ابن بشكوال ، الصلة ، ج١ ، ص ٩١.
- (١٧٣) ابن بشكوال ، الصلة ، ج١ ، ص ص ٢٣١-٢٣٢.
- (١٧٤) ابن بشكوال ، الصلة ، ج٢ ، ص ٣٧٥.
- (١٧٥) ابن بشكوال ، الصلة ، ج٢ ، ص ٣٧٥.
- (١٧٦) ابن بشكوال ، الصلة ، ج٢ ، ص ٤٢٠.
- (١٧٧) ابن بشكوال ، الصلة ، ج٢ ، ص ٢٧٧.
- (١٧٨) ابن بشكوال ، الصلة ، ج١ ، ص ٦٥-٦٦.
- (١٧٩) ابن بشكوال ، الصلة ، ج٢ ، ص ٣٧٥.
- (١٨٠) ابن الابار ، التكملة ، نشر الحسيني ، ج١ ، ص ١٩.
- (١٨١) ابن بشكوال ، الصلة ، ج١ ، ص ١٢٧.
- (١٨٢) ابن بشكوال ، الصلة ، ج١ ، ص ٩٣.
- (١٨٣) ابن بشكوال ، الصلة ، ج٢ ، ص ٤٣٢.
- (١٨٤) ابن بشكوال ، الصلة ، ج١ ، ص ٧٠.

- (١٨٥) ابن بشكوال ، الصلة، ج١، ص٢٣٩.
- (١٨٦) ابن منظور، لسان العرب، ج١٥، ص ص ٢٥٢، ٢٥١.
- (١٨٧) ابن منظور، لسان العرب، ج١٥، ص ص ٣٠٩، ٣١٠.
- (١٨٨) ماجد، عبد المنعم، تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى (القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٢)، ص ١٨٩.
- (١٨٩) حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م)، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون (استانبول، وكالة المعارف، ١٩٤١)، ج٢، ص٣٦٨.
- (١٩٠) ابن خلدون، المقدمة، ص٦٢١.
- (١٩١) ابن الفريسي، تاريخ علماء الأندلس، ج٢، ص٧١.
- (١٩٢) ابن الفريسي، تاريخ علماء الأندلس، ج١، ص٢٤٩.
- (١٩٣) ابن الفريسي، تاريخ علماء الأندلس، ج٢، ص٥٧.
- (١٩٤) ابن الفريسي، تاريخ علماء الأندلس، ج١، ص٦٢.
- (١٩٥) ابن الفريسي، تاريخ علماء الأندلس، ج٢، ص٩٢.
- (١٩٦) ابن الفريسي، تاريخ علماء الأندلس، ج١، ص٢٨١.
- (١٩٧) الذيل والتكملة، تاريخ س٥، ص٤١٠.
- (١٩٨) الحميدي، جذوة المقتبس، ص ص ٩٦-٩٧؛ الضبي، بغية الملتبس، ص١٢٣-١٢٤.
- (١٩٩) المغرب، ج٢، ص ص ١٩١-١٩٢؛ وينظر ابن بسام الشنتريني، الذخيرة، ق١، ج١، ص ص ٤٣٤-٤٣٨؛ المقري ، نفح الطيب، ج٣، ص ص ٣٨٨-٣٨٩.
- (٢٠٠) الحميدي، جذوة المقتبس، ص ص ٤٠٠-٤٠١؛ ابن بشكوال، الصلة، ج٢، ص ٥٣٤؛ الضبي ، بغية الملتبس ، ص ص ٥٠٩-٥١٠؛ ابن سعيد المغربي، المغرب، ج٢، ص ١٩٢؛ المقري، نفح الطيب، ج٤، ص ١٧٠.
- (٢٠١) ابن بشكوال، الصلة، ج٢، ص٣٢٥.
- (٢٠٢) ابن بشكوال، الصلة، ج١، ص ص ٤٢-٤٣؛ المراكشي ،الذيل والتكملة، السفر الاول ، ص ٩٤.
- (٢٠٣) ابن بشكوال، الصلة، ج٢، ص٢٧٧.
- (٢٠٤) الحميدي، جذوة المقتبس، ص ص ٣٧٧-٣٧٨؛ الضبي ، بغية الملتبس، ص ٤٧٩؛ ابن سعيد المغربي، المغرب، ج٢، ص ١٩١.
- (٢٠٥) ابن جليل ، ابو داود سليمان بن حسان الاندلسي (ت بعد ٣٧٧ هـ / ٩٨٧م) ، طبقات الاطباء والحكماء ، تحقيق فؤاد سيد (القاهرة ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية ، ١٩٥٥) ص ٩٢ ؛ ابن صاعد الاندلسي ، طبقات الامم ، ص ١٠٠.
- (٢٠٦) ابن جليل ، طبقات الاطباء ، ص ٩٢ وما بعدها
- (٢٠٧) ابن جليل ، طبقات الاطباء ، ص ص ٩٧-٩٨.
- (٢٠٨) القزويني ، آثار البلاد ، ص ٥٠٩ ، بودالية و بالمداني ، اشكال العلاج الطبي ، ص ١٠٩.

- (٢٠٩) الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ٢ ، ص ٥٦٦ ، ينظر : زينل ، نهاد عباس ، الانجازات العلمية للأطباء في الاندلس و أثرها على التطور الحضاري في أوربا - القرون الوسطى ٩٢-٨٩٧هـ / ٧١١-١٤٩٢م (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠١٣ م) ، ص ص ٣٢٥-٣٢٦ .
- (٢١٠) الروض المعطار ، ص ٧٩ ، وينظر : زينل ، الانجازات العلمية للأطباء في الاندلس ، ص ٣٢٦ .
- (٢١١) الروض المعطار ، ص ٨٠ .
- (٢١٢) آثار البلاد ، ص ٥٠٩ .
- (٢١٣) بودالية وبلمداني ، اشكال العلاج الطبي ، ص ١٠٩ ..
- (٢١٤) ابن الابار ، المعجم ، ص ص ٣١٥، ٢٧، ٢٢ ؛ والتكملة ، تحقيق الهراس ، ج ٤ ، ص ٢٨٩ .
- (٢١٥) القزويني ، اثار البلاد ، ص ٥٠٩ ؛ وينظر : بوتشيش ، ابراهيم القادري ، المغرب و الاندلس في عصر المرابطين المجتمع - الذهنيات - الاولياء (بيروت ، دار الطليعة للطباعة و النشر ، ١٩٩٣) ، ص ١٠٤ .
- (٢١٦) ابن الخطيب ، مشاهدات ، ص ١٢٤ .
- (٢١٧) ابن صاعد الأندلسي ، طبقات الامم ، ص ص ١٠٧، ٩٩ ، ابن ابي اصيبعة ، موفق الدين ابو العباس احمد بن القاسم السعدي الخزرجي (ت ٦٦٨هـ / ١٢٧٠م) ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ضبط وتصحيح وفهرسة محمد باسل عيون السود (بيروت ، دار الكتب العلمية ١٩٩٨) ، ص ٤٥٧ .
- (٢١٨) ابن صاعد الاندلسي ، طبقات الامم ، ص ٨٤ .
- (٢١٩) عبد المقصود ، عبد المقصود عبد الغني ، التوفيق بين الدين والفلسفة عند فلاسفة الإسلام في الأندلس (القاهرة ، مكتبة الزهراء ، ١٩٩٣) ، ص ١١ .
- (٢٢٠) ابن سعيد المغربي ، المغرب ، ج ١ ، ص ٤٥ ؛ السيوطي ، جلال الدين (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط ٤ (القاهرة ، مطبعة العجالة الجديدة ، ١٩٦٩) ، ص ٥٥٦ .
- (٢٢١) المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ١٨٦ .
- (٢٢٢) المقرئ ، نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٢٢١ .
- (٢٢٣) عبد المقصود ، التوفيق بين الدين والفلسفة ، ص ١١ .
- (٢٢٤) ابن صاعد الاندلسي ، طبقات الامم ، ص ٨٧ ؛ القفطي ، ابو الحسن جمال الدين علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م) ، تاريخ الحكماء باختصار الزوزني المسمى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب اخبار العلماء بأخبار الحكماء (بغداد ، مكتبة المثنى ، ١٩٠٣) ص ٢٤٣ ؛ ابن ابي أصيبعة ، عيون الانباء ، ص ٤٤٤ .
- (٢٢٥) ابن صاعد الاندلسي ، طبقات الامم ، ص ٨٧ .
- (٢٢٦) ابن صاعد الاندلسي ، طبقات الامم ، ص ص ١١١، ١٠٧ ؛ ابن ابي أصيبعة ، عيون الانباء ، ص ٤٥٧ .
- (٢٢٧) ابن الابار ، التكملة ، نشر الحسيني ، ج ٢ ، ص ص ٩٠٩-٩١٠ .
- (٢٢٨) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٦٢ .
- (٢٢٩) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ٣٩ ؛ وينظر : ابن خاقان ، ابو نصر الفتح بن خاقان بن محمد بن عبد الله القيسي (ت ٥٢٩هـ / ١١٣٤م) ، مطعم الانفس ومسرح التأنس في ملح اهل الاندلس ، تقديم وتحقيق وتعليق مديحة الشرقاوي (القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، ٢٠٠١) ، ص ١٤٤ .
- (٢٣٠) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ٣٩ .

- (٢٣١) ابن حيان ، المقتبس ، نشر شالميتا وآخرون ، ص ص ٢٩-٣٠.
- (٢٣٢) عبد المقصود ، التوفيق بين الدين والفلسفة ، ص ص ١١-١٢.
- (٢٣٣) ابن صاعد الاندلسي ، طبقات الامم ، ص ص ٨٨ ، ٨٩.
- (٢٣٤) ابن صاعد الاندلسي ، طبقات الامم ، ص ص ٩٩ ، ١٠٧.

المصادر و المراجع

- القرآن الكريم
- اولا: المصادر الاولى:
- ابن الابار ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي البلبسي (ت ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م):
- التكملة لكتاب الصلة " غني بنشرها السيد عزت العطار الحسيني (ج ١ ، ج ٢ ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٩٥٥ - ١٩٥٦).
- التكملة لكتاب الصلة ، تحقيق عبد السلام الهراس (٤ أجزاء ، بيروت ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٥).
- الادريسي ، أبو عبد الله بن محمد (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٤م) :
- نزهة المشتاق في اختراق الافاق (بيروت ، عالم الكتب ، ١٩٨٩) .
- ابن ابي أصيبعة ، موفق الدين ابو العباس احمد بن القاسم السعدي الخزرجي (ت ٦٦٨هـ / ١٢٧٠م) :
- عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ضبط وتصحيح وفهرسة محمد باسل عيون السود (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٨).
- ابن بشكوال ، أبو القاسم خلف بن عبد الملك الانصاري القرطبي (ت ٥٧٨هـ / ١١٨٢م):
- الصلة ، تحقيق صلاح الدين الهواري (صيدا - بيروت ، المكتبة العصرية ، ٢٠٠٣).
- الجرجاني ، السيد الشريف ابي الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني الحنفي (ت ٨١٦هـ / ١٤١٣م) :
- التعريفات ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، ط ٣ (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٩).
- ابن جلجل ، ابو داود سليمان بن حسان الاندلسي (ت بعد ٣٧٧ هـ / ٩٨٧م):
- طبقات الاطباء و الحكماء ، تحقيق فؤاد سيد (القاهرة ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية ، ١٩٥٥).
- حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله (ت ١٠٦٧هـ / ١٦٥٦م) :
- كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون (استانبول ، وكالة المعارف ، ١٩٤١) .
- الحميدي ، ابو عبد الله محمد بن ابي نصر فتوح (ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م) :
- جذوة المقتبس في ذكر بلاد الاندلس ، تحقيق صلاح الدين الهواري (صيدا، بيروت ، المكتبة العصرية ، ٢٠٠٤م).
- الحميري ، محمد بن عبد المنعم (ت ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩م) :
- الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق : احسان عباس ، ط ٢ (بيروت ، مطابع هيلدبرغ ، ١٩٨٤).
- ابن حيان ، ابو مروان حيان بن خلف بن حسين القرطبي (ت ٤٦٩هـ / ١٠٧٦م) :
- كتاب المقتبس في تاريخ رجال الأندلس " القسم الثالث " ، إعتنى بنشره عن النسخة المخطوطة المحفوظة بالخرانة البديليانة بإكسفورد الأب ملشور م. أنطونية (باريس : بولس كتنر الكتبي ، ١٩٣٧) .

- المقتبس من أنباء أهل الأندلس ، تحقيق وتقديم وتعليق محمود علي مكي (القاهرة ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، ١٩٧١) . وطبعة أخرى (بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٧٣) . وطبعة أخرى (الرياض ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ٢٠٠٣) .
- المقتبس في أخبار بلد الأندلس ، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي (بيروت ، مطبعة سميا ، ١٩٦٥) .
- المقتبس ، ج ٥ ، إعتنى بنشره بيدرو شالميتا وآخرون (مدريد ، المعهد الاسباني العربي للثقافة ، ١٩٧٩) .
- ابن خاقان ، ابو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله القيسي الاشبيلي (ت ٥٢٩هـ / ١١٣٤م) :
- مطح الانفس ومسرح التأنس في ملح اهل الاندلس ، تقديم وتحقيق وتعليق مديحة الشراوي (القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، ٢٠٠١) .
- ابن الخطيب الغرناطي ، لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن احمد السلماي (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م) :
- مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد العرب و الاندلس (مجموعة من رسائله) ، نشر وتحقيق احمد مختار العبادي (الاسكندرية ، مطبعة جامعة الاسكندرية ، ١٩٥٨م) .
- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المغربي (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) :
- تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر (بيروت ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، ١٩٧٩م) .
- المقدمة (بيروت ، دار الفكر ، ٢٠٠٧) .
- ابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) :
- وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق احسان عباس (بيروت ، مطبعة الغريب ، ١٩٦٨م) .
- ابن سعيد المغربي ، علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م) :
- المغرب في حلي المغرب ، تحقيق شوقي ضيف ، ط٤ (القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٥) .
- السمعاني ، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي المروزي (٥٦٢هـ / ١١٦٦م) :
- كتاب الانساب ، تح : عبد الرحمن بن يحيى العلمي اليماني وآخرون (حيدر آباد ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٩٦٢م) .
- السيوطي ، جلال الدين (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) :
- الاتقان في علوم القرآن ، ط٣ (القاهرة ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٧٠هـ) .
- تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط٤ (القاهرة ، مطبعة العجالة الجديدة ، ١٩٦٩) .
- ابن صاعد الاندلسي ، ابو القاسم صاعد بن احمد (ت ٤٦٢هـ / ١٠٧٠م) :
- طبقات الامم ، تحقيق وتعليق حسين مؤنس (القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٩٨) .
- الضبي ، ابو جعفر احمد بن يحيى بن عميرة (ت ٥٩٩هـ / ١٢٠٣م) :
- بغية الملتبس في تاريخ رجال اهل الاندلس ، تحقيق صلاح الدين الهواري (صيدا - بيروت ، المكتبة العصرية ، ٢٠٠٧م) .
- الطيبي ، الحسين بن عبد الله (ت ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م) :
- الخلاصة في اصول الحديث ، تحقيق صبحي السامرائي (بغداد ، مطبعة الارشاد ، ١٩٧١م)

- ابن الفرضي ، ابو الوليد عبد الله بن محمد الازدي (ت ٤٠٣هـ / ١٠١٢م) :
- تاريخ علماء الاندلس ، تحقيق صلاح الدين الهواري (صيدا - بيروت ، المكتبة العصرية ، ٢٠٠٦) .
- القاضي عياض ، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي النسبتي (ت ٥٤٤هـ / ١١٤٩م) :
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، لمعرفة أعلام مذهب مالك ، تحقيق محمد بن تلويت الطنجي (الرباط ، الاوقاف والشؤون الإسلامية ، ١٩٨٥م) .
- القزويني ، زكريا ، محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م) :
- آثار البلاد و اخبار العباد (بيروت ، دار صادر ، ١٩٨٨م) .
- القفطي ، ابو الحسن جمال الدين علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م) :
- تاريخ الحكماء باختصار الزوزني المسمى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب اخبار العلماء بأخبار الحكماء (بغداد ، مكتبة المثنى ، ١٩٠٣) .
- المراكشي ، أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري الاوسي (ت ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م) :
- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة تحقيق محمد بن شريفة وإحسان عباس بتقسيم العمل وليس بالاشتراك كما يلي :
- تحقيق إحسان عباس ، بقية السفر الرابع (بيروت ، مطابع سميا ، ١٩٦٤) .
- تحقيق إحسان عباس ، السفر الخامس (بيروت ، مطابع سميا ، ١٩٦٥) .
- تقديم وتحقيق وتعليق محمد بن شريفة ، السفر الثامن (الرباط ، مطبعة المعارف الجديدة ، ١٩٨٥) .
- المقدسي ، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر البناء الشامي المعروف بالبشاري (ت بعد ٣٧٨هـ و قبل ٣٨١هـ / ٩٨٨-٩٩١م) :
- احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، تعليق محمد امين الضناوي (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٣م) .
- المقري، شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م) :
- - نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق احسان عباس (بيروت ، دار الصادر ، ١٩٦٨م) .
- - أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون (القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٩-١٩٤٠-١٩٤٣) .
- ابن منظور ، محمد بن مكرم الافريقي المصري (ت ٧١١هـ / ١٣١١م) :
- لسان العرب (بيروت ، دار صادر ، د.ت) .
- ثانيا: المراجع الحديثة العربية والمترجمة :
- أحمد ، احمد رمضان :
- الرحلة والرحالة المسلمون (جدة ، دار البيان العربي ، د.ت.) .
- بعيون ، سهى :
- اسهام العلماء المسلمين في العلوم في الاندلس عصر ملوك الطوائف ٤٢٢-٤٧٩هـ / ١٠٣١-١٠٨٩م (بيروت ، دار المعرفة ، ٢٠٠٨) .
- بوتشيش ، ابراهيم القادري :
- المغرب والاندلس في عصر المرابطين المجتمع - الذهنيات - الاولياء (بيروت ، دار الطليعة للطباعة و النشر ، ١٩٩٣) .

- الحجي ، عبد الرحمن علي :
- التاريخ الاندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة ، ط٧ (دمشق ، دار القلم ، ٢٠١٠) .
- حسين ، محمد الخضر :
- علماء الاسلام في الاندلس (القاهرة ، المطبعة السلفية ، ١٣٤٧هـ).
- زينل ، نهاد عباس :
- الانجازات العلمية للطباء في الاندلس و أثرها على التطور الحضاري في اوربا - القرون الوسطى ٩٢-٨٩٧هـ/٧١١-٤٩٢م (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠١٣ م) .
- عبد المقصود ، عبد المقصود عبد الغني :
- التوفيق بين الدين والفلسفة عند فلاسفة الإسلام في الأندلس (القاهرة ، مكتبة الزهراء ، ١٩٩٣).
- العريني ، يوسف بن علي بن ابراهيم :
- الحياة العلمية في الاندلس في عصر الموحدين (الرياض ، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة ، ١٩٩٥م)
- القطن ، مناع بن خليل :
- علوم القرآن (القاهرة ، المطبعة الحسينية بمصر ، د.ت)
- ماجد ، عبد المنعم :
- تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى (القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٢)، ص ١٨٩.
- ثالثا : الدوريات :

- توتية ، بودالية ونوال ، بالمداني :
- اشكال العلاج الطبي في الاندلس خلال القرنين (٤-٥هـ/١٠-١١م) ، مجلة دراسات ، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية جامعة مر (الجزائر، ٢٠١٥).
-
- رابعا: الرسائل والاطاريح الجامعية:
- الفلاحي ، هناء عبد الرضا حمودي :
- الحياة الثقافية والعلمية بالاندلس في عصر الامارة العربية الاموية من سنة ١٣٨-٣١٦هـ/٧٥٦-٩٢٩م ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة بغداد ، كلية الآداب (بغداد ، ١٩٨٨) .

خان حسين خواجه في الحلة
" دراسة ميدانية "

دنيا فاضل عباس
أ.د.رفاه جاسم السامرائي

خان حسين خواجه في الحلة " دراسة ميدانية "

دنيا فاضل عباس

أ.د.رفاه جاسم السامرائي

خان حسين خواجه

يقع خان حسين خواجه في محلة ٢٠٦ ، زقاق ٥٨ ، رقم مبنى الخان ٣٠٤ مدينة الحلة ، محافظة بابل من الخانات الداخلية لمدينة بابل وسمي هذا الخان نسبة إلى بانيه السيد حسين بن رضا بن احمد خواجه الذي شيده في العصر العثماني المتأخر سنة ١٨٨٠م ليكون مخزنًا للحبوب والتمور ومركزًا تجاريًا لأسرته^(١)، مما يؤكد ذلك صورة الختم الذي استخدم في الخان لأتمام المعاملات التجارية من قبل ادارة الخان في العصر العثماني (لوح-١٢٨) ، ومن الجدير بالذكر أن الغرض الرئيسي من التشييد ليكون مستشفى (بيمارستان) في الحلة بعد أخذ موافقة الباب العالي في تركيا إلا أن الادارة العثمانية رفضت لعدم تمكنها من تأثيث المستشفى وتجهيزها بالمعدات اللازمة فأهملته^(٢) فاستغل كمخزن للحبوب والتمور وبعد فترة وجيزة أرغمته السلطة العثمانية على اتخاذه ثكنة عسكرية^(٣) ، ودخل الخان التاريخ من أكثر من باب في العهدين العثماني والبريطاني في مدينة الحلة ، وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ١٩١٨م أستغل الخان في تأسيس أول مستشفى في الحلة^(٤) وعرفت عند الأهالي بأسم (قسطخانه) أو (خستخانه) ويذكر الطبيب البريطاني هاري سندرسن في مذكراته عن عمله في الحلة أن الطبيب العسكري كامبل بك هو الذي قام بإنشاء هذه المستشفى فقد تم وضع اليد على بناية الخان الذي يعود الى موظف تركي كبير^(٥) ، لأتخاذه كمستشفى واشتملت هيئة الموظفين فيه على مساعد جراح من الدائرة الطبية الهندسية يدعى (أمنفال سنغ) فضلاً عن صيدلي هندي أيضاً. وكان لهذه المستشفى دور كبير في معالجة المرضى والمصابين خصوصاً بعد ان أجتاح وباء الكوليرا (الهيبضه) مدينة الحلة ومرض الطاعون سنة ١٩١٩م^(٦).

وقد تضاربت الأخبار بشأن مدة استعماله بوصفه مستشفى فقد ذكرنا سابقاً أنه استخدم كمستشفى عام ١٩١٨ م ، لكن الاستاذ صادق شاهين وهو أحد أحفاد المرحوم حسين خواجه حيث ذكر أن الخان

استعمل كمستشفى لمدة ١٠ أعوام (١٩٢٢-١٩٣٢ م)^(٧) . وعلى الأرجح ان الخان استعمل كمستشفى في ١٩١٨م لانتشار الامراض أثر مخلفات الحرب .

وبعد ذلك أعيد استعمال الخان للأغراض التجارية ، فمنذ ثمانينات القرن الماضي الى الوقت الحاضر استعمل معمل للنجارة من قبل صاحبه حسين جابر صكر^(٨) ، ويقع الخان أو المستشفى بالتحديد في محلة المهديّة في زقاق متعرج يربط سوق العلاوي بمنطقة التابية ويبعد عن مرقد العلامة الجليل علاء الدين الشفهيّ مسافة خمسين متراً تقريباً^(٩) .

ومن الجدير بالذكر أن الخان لم يطرأ عليه أي تغييرات ، لوجود وصية من صاحب الخان ونصها لا يغير ولا يباع ولا يشتري وحسب الوقفية الصادرة من دائرة التسجيل العقاري ملكية الخان وقف ذري^(١٠) .

تخطيط الخان (مخطط-١٣) :

مستطيل الشكل غير منتظم الأضلاع ابعاده (٢٨،٤٤×١٧،٩١م) يتألف من طابقين وساحة وسطية مكشوفة تحيط بها جميع المرافق البنائية وله مدخل رئيسي ومما يلفت النظر له الركن الشمالي الشرقي للخان مشطوف من الخارج وتتوج بصفوف من المقرنصات (لوح-١٢٩) .

المدخل (١)

فتح في ضلعه الشرقي مدخل بعرض ٢،٢٣م وأرتفاع ٢،٤٠م له باب حديدية ذات مصراعين حديثة أضيفت بدلاً عن الباب الخشبية الأصلية المرصعة بمسامير حديدية^(١١) ، وتنخفض الباب الحديدي عن الشارع الفرعي بمقدار ٨٠،٠م (لوح - ١٣٠) توجّ المدخل بعقد مستقيم ويعلوّه واجهة كسيت بالجص ، ويعلوها إطار من الجص مزخرف بأطباق نجمية جميلة (لوح-١٣١) .

ويعلو الواجهة شناشيل عددها ثلاثة واحدة فوق واجهة المدخل ، والأخرى في الركن الشمالي الشرقي ، والثالثة في الركن الجنوبي الشرقي ويفصل الشناشيل حنايا صماء (شكل -٧) عددها ثمانية كل أربعة من الحنايا محصورة بين اثنين من الشناشيل والحنايا مبنية من الآجر وتبرز بشكل بسيط ويعلوها عقد نصف دائري وترتفع بحدود ٣٠،٥٠م عن أرضية الشارع (لوح-١٣٢) .

المجاز

بعد اجتياز المدخل نصل الى ممر (مجاز) مستطيل الشكل ابعاده (٢.٦٠×٢.٢٣ م) وارتفاعه ٣.٨ م بلطت أرضيته حديثاً بمادة الأسمنت أما سقفه مبني بالأجر مع الجص ويلاحظ في سقف المجاز جسر خشبي محفور من الجانبين ، لتثبيت محاور الباب الخشبية المزلة (لوح -١٣٣) وفي نهاية المجاز مدخل يعلوه عقد منبطح (لوح -١٣٤).

الساحة الوسطية (الفناء)

مستطيلة الشكل ابعادها (٦.٦٦×١٤.٨٣ م) مكشوفة (لوح -١٣٥) تحيط بها أقسام الخان القسم الشرقي يتكون من ثلاثة أواوين وسلم يؤدي الى الطابق العلوي ، ويتكون القسم الجنوبي من أكناج عدد اثنتان وحجرة كبيرة وحجرة مضافة ، ويتألف القسم الغربي من أربعة أكناج ، وحجرة في الركن الشمالي الغربي ، ويضم القسم الشمالي سلماً ثانياً يؤدي الى الطابق العلوي وحجرة مستطيلة .

الجناح الشرقي في الطابق الأرضي

يضم هذا الجناح المدخل والمجاز المار الذكر وثلاثة أواوين الأيوان (٢) على يسار الداخل من المدخل ابعاده (٢×٠.٩،٣ م) وارتفاعه ٣.١٠ م ويتوج مدخله عقد نصف دائري (لوح -١٣٦). وفي الجدار الشمالي للأيوان حنية ابعادها (٠.٨٠×٠.٧٥ م×١ م) ويعلوها عقد نصف دائري ، ونجد حنية أخرى في الجدار الجنوبي للأيوان ابعادها (٠.٩٠×٠.٤٠×٠.٩٧ م) (لوح-١٣٧). وترتفع أرضية الأيوان عن أرضية الساحة الوسطية بحدود ٠.٦٠ م وتم تسقيف الأيوان بقبو نصف اسطواني .

الإيوان (٣) على يمين الداخل ابعاده (٠.٢×٠.٢×١.٥ م) يتصدر مدخله عقد نصف دائري ، ويوجد في الجدار الشمالي للإيوان حنية بعرض ٠.٩٦ م وعمق ٠.٤١ م وارتفاع ٠.٧٦ م، وفي الجدار الجنوبي حنية أخرى بعرض ٠.٩٧ م وعمق ٠.٧٣ م وارتفاع ١.٤ م ، والحنايا في كلا الأيوانين يعلو كل منها عقد نصف دائري ويبدو أن هذه الأواوين استعملت لخزن الحبوب والتمور ، وإلى جانب هذا الإيوان أيوان (٤) أبعاده (٠.٢×٠.١×٠.٥ م) و يتوج مدخله عقد نصف دائري وهو أصغر حجماً من الإيوانين السابقين ويضم في داخل جداره الشرقي حنية ابعادها (٠.٧٣×٠.٩٧×٢.٥ م) يعلو عقد نصف

دائري ، وعند اقدام العقد نجد خشبة وضعت بصورة عرضية تستعمل لربط الدلو فوق البئر الموجود في هذا المكان سابقاً وإلى جانبه فتحة مستطيلة الشكل بعرض ٠.٣٨م وعمق ٠.٤٥م (لوح - ١٣٨) وفي الركن الجنوبي الشرقي سلم يتقدمه مدخل توج بعقد مفصص ارتفاعه ٠.٦٥م ويعلوه واجهة من الجص ويليهما إطار ويعلوه عقد نصف دائري (لوح - ١٣٩) ، والسلم مكون من ١٦ درجة وأدعت من الدرجة الثالثة بخشبة مستطيلة الشكل يتوسطها مسمار حديدي استعملت للأسناد وتقوية درجات السلم ، وتم تسقيف السلم بقبو نصف دائري ، ويليه عوارض خشبية وضعت بعد القبو مباشرة (لوح - ١٤٠) وينعطف الصاعد الى جهة اليسار، ليصل الى الطابق العلوي للخان واحيط من الأعلى بسياج من الخشب ، وقضبان الحديد الملوية (لوح - ١٤١).

الجنح الجنوبي في الطابق الأرضي

يشتمل على أكناج عدد ٢ يتصدر مدخلهما عقد نصف دائري ، ويتقدم هذه الأكناج طارمات تحيط بالساحة المكشوفة وهذه الطارمات تستند على أعمدة من الجذوع النخيل وعليها زخارف بسيطة أضيفت من صاحب الخان إبعاد هذه الطارمات (٣، ٣٥×٧٥،٢ م).

الكنج (١) مستطيل الشكل غير منتظم الأضلاع ابعاده (٢،٣×٦،١٥ م) وفي الضلع الجنوبي إيوان صغير ابعاده (١،١٥×١،٤٥×٣،٢٠م) وفي الضلع الشرقي للكنج حنية مغلقة وتم تسقيفه بعوارض من جذوع للنخيل والحصير .

ويتقدم الكنج من ضلعه الشمالي بعد فتح المدخل حجرة مضافة حديثة مربعة الشكل أبعادها (٣،٩٣×٣،٣٥م) لها مدخل بعرض ٨٥،٠م عليه باب خشبية ذات مصراعين وإلى جانب الباب نافذة محاطة بإطار خشبي وعوارض خشبية تخترقها قضبان الحديد ، وفي الضلع الجنوبي للحجرة حنية عرضها ١،٥٠م وعمقها ٠،٩٦م وارتفاعها ١،٨٠م ، وفي الضلع الشرقي فتحة مربعة الشكل غلفت بمشبك معدني .

الكنج (٢) مستطيل الشكل ابعاده (٢،٧٦×٦،٣٠ م) وفي الضلع الجنوبي للكنج إيوان صغير عرضه ١،١٦م وعمقه ٠،٩٦م وارتفاعه ٣م ، كما يوجد في الضلع الغربي للكنج نافذة عدد ٢ مشتركة مع حجرة تقع الى جانب الكنج عرضه ٠،٥٠م وارتفاعه ٠،٦٥م.(لوح-١٤٢) يمثل صورة الجناح الجنوبي في الطابق الأرضي للخان.

والى جانب الكنج الثاني مدخل بعرض ٦٥،١م يؤدي الى ممر صغير ابعاد (١.٥٦×٢م) فتح في ضلعه الجنوبي للممر مدخل يؤدي الى حجرة مستطيلة (٤) ابعادها (٦.٨٧×٩.١٣م) مع كسرة في الجدار الشرقي بحدود ٢.٢٦م ولمدخل الحجرة باب خشبي تدعمه المسامير الكبيرة ويعلو الباب نافذة (الوح-١٤٣) ويتوسط الحجرة كتف أبعاده (٦٥،١م × ٩٠،٠م) مبني من الآجر ويستمر وصولاً الى السقف لأسناد سقف الحجرة (الوح -١٤٤) وفي الجدار الجنوبي للحجرة نجد دخلتان الأولى بعرض ١٦م عمق ٠.٧٥م وارتفاعها ٢.٦٠م أما الدخلة الثانية عرضها ١.١٠م وعمقها ٠.٥٦م وارتفاعها ١.٨٠م (الوح-١٤٥).

وفي الضلع الغربي نوافذ مفتوحة على الكنج الثاني وفي الضلع الشرقي للحجرة هناك ثلاث دخلات صغيرة ذات قواعد منحدرية نحو الداخل الدخلة الأولى أبعادها (١.٧٠م×٠.٥٠م×٠.٦٠م) والثانية (٠.٣٠م×٠.٧٠م×١.٦٠م) والثالثة (٠.٦٠م×٠.٧٠م×١.٤٦م).

الجناح الغربي من الطابق الأرضي

يتألف هذا الجناح من أربعة أكناج (الوح-١٤٧) يتقدم كل كنج طارمة ويعلو مدخل كل كنج عقد نصف دائري، الكنج (١) صغير يتقدمه طارمه بأبعاد (٢.٨م×٢م) تستند على أعمده من جذوع ذات الزخارف البسيطة ، والكنج ابعاده (٤.٥٨م×٤.٠٣م) وفي الضلع الجنوبي لكنج يوجد إيوان ابعاده (٢.٨٠م×٣.١٥م) وارتفاعه ٢.٣٠م ويعلوه عقد نصف دائري ، وفي الضلع الشرقي للإيوان دخلتان عدد ٢ الدخلة الأولى ارتفاعها ١.٤٥م وعرضها ٠.٥٣م وعمقها ٠.٢٩م الدخلة الثانية ارتفاعه ١.٢٠م وعرضها ٠.٥٠م وعمقها ٠.٢٧م ، والى جانبه الكنج (٢) مستطيل الشكل أبعاده (٧.٨م×٣،٤م) تم تسقيفه بعوارض خشبية والحصر .

الكنج (٣) : مستطيل الشكل ابعاده (٣.٤×٧.٨٧) .

الكنج (٤) : مستطيل الشكل ابعاده (٣.٤×٧.٩٥) .

وفي الركن الشمالي الغربي حجرة (٥) ابعاده (٧.٩٦×٥.٥١م) تطل واجهتها بعقود نصف دائرية (الوح -١٤٨) تستند على دعائم، ويتقدم عقود الحجرة مدخل لمجاز يتقدم الحجرة ، وفي نهاية المجاز إيوان صغير ابعاده (١.٣٠م×١.٨٠م) مسقف بقبو منخفض وارتفاع الإيوان (٢.٦٠م) وتم تسقيف الحجرة بعوارض خشبية والحصران واستعملت العقود ، لأسناد السقف وتقويته .

الجناح الشمالي في الطابق الأرضي

يبدأ هذا الجناح بسلم تتقدمه طارمة تطل على الساحة الوسطية وفي الضلع الشرقي لطارمة باب مغلقة لخزانة تستخدم لحفظ الحاجات (لوح-١٤٩) ويتقدم السلم مدخل بعرض ٠.٨٠م ويعلوه عقد مفصص مماثل لعقد السلم في الركن الجنوبي الشرقي وإلى جانب السلم حجرة يتصدرها مدخل له باب خشبية في داخلها قضبان حديدية عدد ٢٢ وفي كل جهة من جهتي الباب وتستند على جذوع النخيل يعلوها سلم مشبك ارتفاعه عن الباب ١.٢٦م وعرضه ٠.٧٢م ، أما أبعاد المدخل (١.٥٠م × ٢.٧٠م) يؤدي إلى مجاز يتوج مدخله عقد نصف دائري قائم على دعامة مشتركة مع العقد الثاني للحجرة ، وفي الضلع الجنوبي للمجاز نافذة ذات طلاقتين عرضه ٧٥،٠م وارتفاعه ٠.٣٢م ، وسقف هذا المجاز بقبو نصف اسطواني (لوح - ١٥٠) ، أما الحجرة فقد توج مدخلها بعقود نصف دائرية قائمة على دعائم أبعادها (٠.٨٤م × ٢.٤٢م × ٢.٣م) هناك عقود أخرى في وسط الحجرة تستند على هذه العقود القباب التي تغطي سقف الحجرة من جهة وعقود أخرى قائمة في الضلع الشمالي للحجرة من جهة أخرى . وفتح في القبة الوسطى كوة دائرية الشكل ٢٥،٠م استخدمت للتهوية كما في (لوح - ١٥١).

الجناح الشرقي في الطابق العلوي

يضم ثلاثة شناشيل تطل على الخارج واحدة فوق المدخل (لوح - ١٥٢) والثانية في الركن الشمالي الشرقي ، والثالثة في الركن الجنوبي الشرقي تفصل بينها أربعة حنايا بين كل اثنين من الشناشيل ، ثلاثة من هذه الحنايا متشابهة في الأبعاد بعرض ٠.٨٣م وعمق ٠.٣٠م وارتفاعها ٢.٢٠م ، وأما الأخيرة مختلفة بعمق ٠.٥٠م وعرض ٠.٨٥م وارتفاعه ٢.٢٠م (لوح-١٥٣) ، الشناشيل الثلاثة متشابهة و محمولة على كوابيل (مساند) من الخشب مرتبة بمسامير حديدية كبيرة الحجم ويعلو هذه الكوابيل حشوة عرضية مربعة الشكل زينت بزخرفة هندسية قوامها خطوط مائلة تعلوها مشبكات خشبية تغطي القسم الأسفل من النوافذ المتحركة وثبت أمامها قضبان حديدية على امتداد النوافذ ، لغرض الحماية والتقوية وتعلوها حشوة واحدة متصلة تزينها ثمانية تشكيلات هندسية متصله مع بعضها مكونة من معينات متداخلة .

ومن داخل الخان يتقدم هذه الشناشيل والحنايا رواق أبعاده (١٤.٨٣ × ١.٢٠م) ويتقدمه أعمده خشبية مضلعة الشكل عددها ٥ تعلوها تيجان مقرنصة ويفصل بين كل عمود وآخر سياج (محجر)

معمول من مساند خشبية حصرت ، بينها قضبان حديدية ويطل هذا السياج على الساحة الوسطية من الأعلى (لوح - ١٥٤).

الجناح الجنوبي في الطابق العلوي (مخطط - ١٤)

يبدأ هذا الجناح بعد الصعود من السلم الواقع في الركن الجنوبي الشرقي والذي يشتمل على غرفة مستطيلة الشكل تقريباً أبعادها (٦.١٤ × ٤.٢١ م) لها مدخلان : الأول يطل على رواق رصفت أرضيته بالفرشي ويوجد فتحة مربعة (٠.٤٠ × ٠.٤٠ م) استعملت للتهوية (البادكير) (لوح-١٥٥) وسقف الرواق بعوارض خشبية وحصران وهذا الرواق يتقدم هذا القسم الثاني ويتصدره ٤ أعمدة مفصولة بسياج خشبي وقضبان من الحديد (شكل-٨)، وتميزت الأعمدة بشكلها المضلع ويعلوها تيجان تتكون من عدة حطات من المقرنصات ، ثم حطة مربعة مثبتة بمسامير حديدية (لوح-١٥٦) ، المدخل الأول للغرفة بعرض ٠.٩٥ م وارتفاعه ٢.٣٠ م له باب خشبية ذو مصراعين المصراع الأيسر ثابت وزين كل مصراع بمستطيلات من الأعلى والأسفل ويتوسطها ورده من أربعة فصوص ويعلو الباب حلقة حديدية تخرج منها سلسلة حديدية ، لتثبت في حلقة أخرى مثبتة في اسكفة الباب ليتم غلق الباب بها، ويعلو الأسكفة عقد نصف دائري زين باطنه بقطعة خشبية متصلة مع الباب بهيئة محارة شمسية وعلى جانبي الباب نافذتان في الجانب الأيمن وواحد كبير في الجانب الأيسر ويعلوه فتحة غلفت بمشبك معدني ويعلو كل نافذة عقد نصف دائري بعرض ٠.٨٥ م وارتفاع ٢ م ويتقدم كل نافذة قضبان حديدية أما المدخل الثاني للغرفة يقع في الضلع الغربي بعرض ٠.٩٥ م وارتفاع ٢.٥٠ م له باب خشبي مماثل لباب المدخل الأول ويعلوه عقد نصف دائري ويعلو العقد فتحة مستطيلة محاطة بإطار خشبي تخترقه قضبان حديدية وإلى جانب الباب نافذة بعرض ٠.٨٠ م وارتفاع ٢ م (شكل - ٩) ، كما يوجد في الضلع الجنوبي للحجرة باب خشبية للخرانة استعملت لخرن الأشياء ذات مصراعين بعرض ٠.٨٥ م وطول ٢.٣٦ م زين بزخرفة مشابهة لزخرفة باب الغرفة (لوح-١٥٧) ويعلو أسكفه الباب مستطيلان وتم زخرفة الباب بمستطيلات رتبت بشكل مستطيل عمودي يدنو أفقي ويعلو الباب شكل محارة نفذت من خلال عدد من الضلوع الخشبية التي تشع من مركز في الباب ، ويوجد داخل الخزانة حنيتين الأولى في الضلع الجنوبي للخرانة والثانية في الضلع الشرقي بأبعاد ٠.٧٦ م عرضها و ٠.٣٨ م عمقها و ٢.١٥ م ارتفاعها لكلا الحنيتين ويعلوها عقد نصف دائري مع بداية اقدام العقد رف مبني من الجص ارتفاعه ٠.٧٠ م عن الارتفاع الكلي للحنية وعمقه ٠.٤٠ م وحنية في الضلع الغربي للخرانة ارتفاعها ١.٧٦ م وعمقها ٠.٧٠ م غير منتظمة الشكل

يعلوها عقد نصف دائري ويوجد في داخلها رف بداخل العقد بني من الجص بارتفاع ٠.٧١م وعمق ٠.٧٠م وهناك رف في الضلع الشمالي للخزانة بشكل مستطيل مبني من الجص بارتفاع ٠.٧م وبعرض ١.١٠م وعمق ٠.٥٠م .

ويوجد في الضلع الجنوبي للحجرة ايضاً ٥ حنايا . الحنية الأولى بعرض ٠.٧٧م وبأرتفاع ١.٧٠م وعمق ٠.٢٣م ويعلوها عقد نصف دائري. الحنية الثانية بشكل خزانة صغيرة ذات باب خشبي يعلوها عقد المحارة الشمسية وعمق الحنية ٠.٧٣م وارتفاعها ٠.٦٠م ويوجد اسفل الحنية فتحة احيطت بجدار مبني من الجص الى منتصفها بارتفاع ٠.٤٠م استعملت لوضع الاشياء بداخلها (لوح-١٥٨)

أما الحنايا الثلاثة بعرض ٠.٨٠م وارتفاع ٢.٢٠م وعمق ٢.٤٥م متشابهة في الابعاد ، وفي الضلع الشرقي للحجرة شناويل المظلة على الخارج .

ويطل المدخل الثاني للحجرة والنافذة على دهليز (٢) ابعاده (٣×٥،٨٠م) يتوج مدخله عقد مدبب بأرتفاع ٣.١٥م (لوح -١٥٩) ويوجد تحت العقد في الضلع الشرقي للدهليز فتحة مستطيلة الشكل ابعادها (٠.٤٥×٠.١٥×٠.٧٠م) ويقابلها فتحة في الضلع الغربي للدهليز متشابهة لها في الشكل والابعاد .

وفي الضلع الشرقي للدهليز: ثلاث حنايا الحنية الأولى : يوجد داخلها نافذة الحجرة عمقها ٠.٤٤م وعرضها ٠.٨٠م وارتفاعها ٢م ويليها فتحة مستطيلة استعملت لوضع الشموع ، للأضاءة ، وتقابلها في الضلع الغربي أيضاً ابعادها (٠.٢٣×٠.٢٨×٠.٥٨م) (لوح-١٦٠) أما الحنيتين الآخريتين فهما متشابهتان في الأبعاد بعرض ٠.٨٤م وعمق ٠.٢٦م وارتفاع ٢.١٠م يعلو هذه الحنايا عقود نصف دائرية. وفي الضلع الجنوبي للدهليز حنيتين بعرض ٠.٨٠م وعمق ٠.٣٥م وارتفاع ١.٧٠م. (لوح-١٦١) في الضلع الغربي للدهليز غرفتين وأما ارضية الدهليز رصفت بالفرشي وتم تسقيفه بعوارض خشبية والحصر .

ويلي الدهليز غرفة (٣) مستطيلة الشكل ابعادها (٣.٣٥×٦.٠٧م) للغرفة مدخلان الاول يطل على الرواق بعرض ٠.٩٨م وارتفاع ٢.٣م له باب خشبية مشابهة لباب الغرفة السابقة وعلى جانب المدخل اربع نوافذ (لوح -١٦٢) نافذتان في كل جانب ، ويعلو هذه النوافذ في كل منها عقد نصف دائري ، والمدخل الثاني للغرفة ، يطل على الدهليز بعرض ٩٨،٠م وفي كل جانب من جوانب المدخل نافذة يعلوها عقد نصف ، وجميع نوافذ الغرفة وذات ابعاد مماثلة بعرض ٠.٨٠م وارتفاع ١.٩٥م ،

ويوجد في الضلع الشرقي للغرفة ثلاث حنايا الحنية الأولى بعرض ٠.٨٠م وعمق ٠.٨٧م وارتفاع ٢.١٣م ويعلوها عقد مزدوج وفي الجزء العلوي من الحنية فتحة محاطة بإطار خشبي ارتفاعها ٠.٤٠م وبعرض ٠.٣٤م استعملت للأضاءة والتهوية (لوح-١٦٣).

الحنية الثانية : بعرض ٠.٩٤م وعمق ٠.٩٤م وارتفاع ٠.٢٦م يعلوها عقد نصف دائري وفتح في اعلاها ايضاً فتحة بعرض ٠.٣٢م وارتفاع ٠.٤٠م .

أما الحنية الثالثة : فهي بعرض ٠.٨٤م وعمقها ٠.٨٠م وارتفاعها ٢.٢٦م ويعلوها عقد نصف دائري وفي جزءها العلوي فتحة ارتفاعها ٠.٤٠م وبعرض ٠.٣٢م .

وفي الضلع الجنوبي للغرفة مدخل يؤدي الى غرفة(٤) وهو المدخل الاول ابعاده (٠.٨٥م×٢.١٥م) له باب خشبية مزخرفة بنفس زخرفة ابواب الغرف السابقة ، يعلوها عقد نصف دائري وعلى يمين ويسار المدخل نوافذ اغلقت بأبواب صغيرة يعلوها يغطي باطنها محارة الشمسية ويعلو المدخل والأبواب فتحات عددها ٤ استعملت للتهوية(لوح-١٦٤)

أما المدخل الثاني للغرفة يطل على الدهليز بعرض ٠.٩٨م وعلى يسار الداخل الى الغرفة نافذة تطل على الدهليز ايضا.

والى جانبه حنية بعرض ٠.٨٥م وعمق ٠.٤٠م وارتفاع ٢.٠٤م يعلوها رف ثم يليها عقد نصف دائري ، ونجد في الضلع الشرقي ثلاث حنايا الحنية الأولى عرضها ١م وعمقها ٠.٧٤م وارتفاعها ٢.٢٠م ويعلو الحنية فتحة تطل على الخارج عرضها ٠.٣٤م ومحاطة بإطار خشبي ومغلقة حالياً لتجنب الأتربة والأمطار ويعلو الحنية عقد نصف دائري ، أما الحنية الثانية عرضها ٠.٧٦م وعمقها ٠.٤٠م وارتفاعها ٢.٣٨م يعلوها فتحة وعقد نصف دائري ، الحنية الثالثة عرضها ٠.٨٣م وعمقها ٠.٤٦م وارتفاعها ٠.٤٠م ويعلو فتحته وعقد نصف دائري ، وفي الضلع الجنوبي للغرفة حنية يعلوها رف مبني من الجص ارتفاعها ١.٦٠م وعرضها ٠.٨٢م وعمقه ٠.٣٤م ويعلوها عقد نصف دائري (لوح -١٦٥).

والى جانب هذه الحنية مدخل له باب خشبي يؤدي الى حجرة صغيرة مستطيلة الشكل استعملت على الأغلب لخزن الحاجات الخاصة بالمسافرين والمدخل عرضه ٠.٨٠م وارتفاعه ٢.٢٠م يعلوها عقد نصف دائري.

في الضلع الشرقي حنية يعلوها عقد نصف دائري عرضها ٠.٨٤م وعمقها ٠.٤٠م وارتفاعها ٢.٤٠م وفي الجزء العلوي فتحة ارتفاع ٠.٤٠م وعرضها ٠.٤٠م محاط بإطار خشبي .

وفي الضلع الجنوبي حنيتين الأولى عرضها ٠.٧٩ م وارتفاعها ٢.٣٠ م يعلوها عقد نصف دائري وفي الجزء العلوي رف ارتفاعه ٠.٦٠ م يعلوه العقد الدائري.

أما الحنية الثانية : فهي غير منتظمة الابعاد عرضها ٠.٨٠ م وعمقها في اوسع مكان لها ٠.٦٨ م وفي اقل مكان ٠.٣٠ م ويعلوها رف مبني من الجص ويليه عقد نصف دائري.

والى جانب هذه الغرفة حنية أخرى عرضها ٠.٩٩ م وارتفاعها ١.٦٦ م، يعلوها عقد نصف دائري وفي الجزء العلوي للحنية رف ، والى جانبها حنية استعملت خزانة للملابس لها باب خشبي ذو مصراعين والحنية غير منتظمة الشكل ارتفاعها ٢ م يعلوها عقد نصف دائري في الجزء العلوي فيها رف بني من الجص، وسقفت الحجرة بعوارض خشبية ورصفت ارضيتها بالفرشي.

وفي نهاية رواق هذا القسم مدخل بعرض ٠.٨٧ م يؤدي الى سلم مكون اثني عشرة درجة ذات قياس واحد طولها ٠.٨٥ م وعمقها ٠.٣٠ م وارتفاعها ٠.٣٠ م ومدعمة كل درجة بقطعة خشبية مثبتة بمسمار من الحديد في وسطها واغلق السلم من الأعلى وربما كان الغرض من انشائه بناء طابق ثاني للخان (لوح -١٦٦) ويوجد تحت السلم فتحة ارتفاعها ٠.٦٠ م وعرضها ٠.٣٩ م وعمقها ٠.٧٠ م

الجناح الغربي في الطابق العلوي

يشتمل على غرفة (١) مضافة من قبل صاحب الخان لها مدخلان يطل الأول على الرواق والى جانبه نافذة والمدخل والنافذة مشابهة للأبواب والنوافذ السابقة بكل التفاصيل ويعلو المدخل فتحة مغلقة (لوح-١٦٧).

والمدخل الثاني يطل على السطح عرضه ٠.٨٠ م وارتفاعه ٢.٣ م ويعلو فتحة أغلقت بمشبك معدني ناعم (لوح-١٦٨).

الغرفة مستطيلة الشكل ابعادها (٤.٣٨×٥,٦ م) ويضم ايضاً السطح الذي يتقدم الحجرة ابعاده (٣.٢٠×٥,٦ م) اما السطح الذي يليه ابعاده (٦.٢٥×٩.٣٠ م) (لوح-١٦٩).

الجناح الشمالي من الطابق العلوي

بعد انعطاف الصاعد من السلم الى جهة اليمين يصل الى مدخل يؤدي الى الرواق الذي يتقدم هذا القسم ويتصدره اعمدة خشبية عدد ٥ يفصل بينها سياج ما عدا العمود الواقع على يمين الصاعد من السلم (لوح-١٧٠) وهي مشابهة للأعمدة الضلع الشرقي للخان.

وعلى يمين الصاعد من السلم غرفة (١) مستطيلة غير منتظمة الاضلاع للحجرة مدخل بعرض ٠.٦٠م وارتفاعها من مستوى الدكة ١.٨٥م ، والدكة طولها ٠.٦٠م وعرضها ٠.٢٧م وللحجرة دخله في الضلع الشمالي عرضها ٠.٨٥م وارتفاعها ١.٤٥م.

وفي الضلع الجنوبي نافذة من الخشب ومدعمة بقضبان حديد عرضها ٠.٧٥م وارتفاعه ١م ويوجد في الضلع الغربي دخلتان عرضها ١.٣٠م وارتفاعها ١.٨٥م وعمقها ١٢م .

والى جانب الغرفة مدخل عرضه ٠.٧٠م وارتفاعه ١.٩٥م (لوح-١٧٠) له دكة طولها ٠.٧٠م وعرضها ٠.٢٤م ، ويوجد في الضلع الشرقي نافذة مشتركة مع الحجرة يغطيها مشبك معدني ناعم ، وفي الضلع الشمالي دخلة غير منتظمة الشكل وعمقها ٠.٥٣م وارتفاعها ٢.١٥م وفي اسفلها صفيين من الطابوق (لوح - ١٧٢) وفي الضلع الغربي يوجد دخلتين بعرض ٠.٩٥م وارتفاع ١.٤٥م وعمقها ٠.٨٠م ، وعلى يسار الصاعد من السلم مدخل (٢) عرضه ٠.٩٠م يؤدي الى ممر طوله ١.١٠م ويؤدي بدوره الى سلم يتكون ١٢ درجة مغلق ايضاً (لوح - ١٧٣) ومقابل مدخل السلم دخله في الضلع الشمالي عرضها ٠.٨٠م وهي غير منتظمة الشكل ارتفاعها ١.٨٠م وعلى جهة يسار الصاعد هناك نافذتان الاولى بعرض ٠.٦٧م وارتفاع ٠.٦٠م ومحاطة بإطار خشبي ، ومدعم بقضبان الحديد والثانية تشبه النافذة الاولى. (لوح- ١٧٤) .

والى جانب مدخل السلم ايوان (٣) ابعاده (١،٢×٤.١م) يتوج مدخله عقد مدبب (لوح-١٧٥) يمثل صورة للقسم الشمالي للخان ، والى جانب الإيوان غرفة مستطيلة الشكل ابعادها (٣.٦٣×٥.٤١م) لها مدخل بعرض ٠.٨٥م يعلو المدخل نافذة بعرض ٠.٨٧م وارتفاعه ٠.٧٠م محاطة بإطار خشبي مدعم بقضبان حديد، في الضلع الشرقي للحجرة ثلاث حنايا أثنان متشابهتان بعرض ٠.٧٥م وعمق ٠.٤٠م وارتفاع ١.٧٥م ، وفي الجزء العلوي ثلاثة نوافذ تشترك مع الإيوان ويعلو كل حنية عقد نصف دائري (لوح-١٧٦) .

اما الحنية الوسطى فهي تختلف فعرضها ٠.٩٦م وعمقها ٣.٨٠م وارتفاعها ٢.٤٥م وفي اعلاها نافذة تشترك مع الإيوان عرضه ٠.٩٤م ونجد في الضلع الشمالي (٥) حنايا (لوح - ١٧٧) وفي الضلع الغربي شناسيل مبنية بالطابوق (لوح-١٧٨). وفي الضلع الجنوبي مدخل ونوافذ مطلة على الرواق. وسقفت الغرفة بالخشب والحصران .

- صيانة الخان لم يجرِ عليه اعمال صيانة من قبل الهيئة العامة للآثار والتراث لكن هناك اعمال صيانة من قبل المتولي على الخان وعلى نفقته الخاصة من أهمها :-
- ١- إعادة بناء جداره المتساقط ، بسبب الرطوبة بمادة الطابوق الحديث والأسمنت في الطابق الأرضي
 - الضلع الغربي من الخان في الحجرة التي تقع في الركن الشمالي الغربي من الخان .
 - ٢- استعمال مادة الأسمنت لأكساء اماكن متفرقة من السلاالم وفي الطابقين .
 - ٣- استعمال مادة الجص في معالجة الشقوق الحاصلة نتيجة تقادم الزمن ولاسيما في الجدران ونجد ذلك في الحجرة التي تقع في الضلع الشمالي من الخان .
 - ٤- اكساء جميع جدران الخان بمادة الأسمنت .
- تم تسجيل هذه المعلومات من خلال مشاهدتي اثناء القيام بالعمل الميداني لخان حسين خواجه بتاريخ ٢٠١٧/١١/١٩م.



لوح 129



لوح 130



لوح 131



لوح 132



لوح 133



لوح 134



لوح 135



لوح 136



لوح 137



لوح 138



لوح 139



لوح 140



لوح 141



لوح 142



لوح 143



لوح 144



لوح 145



لوح 146



لوح 147



لوح 148



لوح 149



لوح 150



لوح 151



لوح 152



لوح 153



لوح 154



لوح 153



لوح 154



لوح 155



لوح 156



لوح 157



لوح 158



لوح 159



لوح 160



لوح 161



لوح 162



لوح 163



لوح 164



لوح 165



لوح 166



لوح 167



لوح 168



لوح 169



لوح 170



لوح 171



لوح 172



لوح 173



لوح 174



لوح 175



لوح 176



لوح 177



لوح 178



لوح 128

الهوامش:

- (^١) مقابلة شخصية مع احمد حاتم العكام من مواليد ١٩٦٧ بتاريخ ٢٠١٨/١/١٦
- (^٢) عوض ، عبد الرضا ، تأريخ الطب والأطباء في الحلة ، ط٤ ، دار الفرات ، ، الحلة ، ٢٠١٥ م ، ص ٩١.
- (^٣) مقابلة شخصية مع احمد حاتم العكام بتاريخ ٢٠١٨/١/١٨
- (^٤) مقابلة شخصية مع احمد حاتم العكام بتاريخ ٢٠١٨/١/١٨
- (^٥) باشا ، سندرسن ، مذكرات سندرسن باشا طبيب العائلة المالكة في العراق ، ١٩١٨-١٩٤٦ ، ترجمة سليم طه التكريتي ، مكتبة المثنى ، ١٩٨٠ م ، ص ٤٤.
- (^٦) الحداد ، سعد ، القسطنطانيه أول مستشفى في الحلة ، تقرير منشور في شبكة العراق الثقافية ومنشورًا أيضًا في جريدة المدى ، ٢٠٠٤ ، وللمزيد من المعلومات زيارة الموقع الإلكتروني WWW.IRAQCENTER.NET
- (^٧) مقابلة شخصية مع احمد حاتم العكام بتاريخ ٢٠١٨/١/٢٠.
- (^٨) مقابلة شخصية مع صاحب الخان حسين جابر صكر من مواليد ١٩٥١ بتاريخ ٢٠١٧/١١/٢ م.
- (^٩) عوض ، حسنين كامل ، تأريخ الصيدلة في الحلة ، ط١ ، دار الضياء ، النجف الأشرف ، ٢٠٠٩ ، ص ٣٩.
- (^{١٠}) مجدي ، صلاح مهدي ، خان الخواجه في الحلة ، تقرير لجنة المسح الأثري ٢٠٠٥-٢٠٠٧ ، مفتشية آثار وتراث بابل ، قسم التراث ، أضبارة رقم ١٤.
- (^{١١}) مجدي ، خان الخواجه في الحلة ، أضبارة رقم ١٥ .

**شركة فرجينيا ودورها في تأسيس
مستعمرة فرجينيا (١٦٠٦ - ١٦٢٤)**

**ناطق عزيز شناوة الساعدي
أ.م.د مأمون شاكر اسماعيل
الجامعة المستنصرية
كلية التربية - قسم التاريخ**

شركة فرجينيا ودورها في تأسيس مستعمرة فرجينيا (١٦٠٦ - ١٦٢٤)

ناطق عزيز شناوة الساعدي

أ.م.د. مأمون شاكر اسماعيل

المقدمة:

ان قلة الدراسات حول بدايات التاريخ الحديث لأمريكا الشمالية، وتسلط الضوء على المُستعمرات الأمريكية مُجمعةً، وكثرة الكتابات حول تاريخ الولايات المتحدة الحديث والمعاصر (منذ إعلان الإستقلال حتى يومنا هذا)، بعد ان أبدى المؤرخون والباحثون العراقيون والعرب إهتماماً ملحوظاً في هذا المجال، دفعنا الى الخوض بهذا المضمار، لعلنا نرفد المكتبات العربية بصورة عامة، والمكتبات العراقية بصورة خاصة، بمعلومات مُفيدة، ومن خلالها يُفتح باب الدراسات أمام هذه الجزئيات. فضلاً عن ذلك، فان موضوع الدراسة يُعد من الموضوعات المهمة والجديرة بالبحث، والتي إفتقرت اليها المكتبة التاريخية العراقية لعدم وجود دراسة أكاديمية سابقة في هذا المجال.

تناول هذا البحث المدة الزمنية (١٦٠٧-١٦٢٤)، التي تُعد من المراحل المهمة في تاريخ مستعمرة فرجينيا. ومن هذا المُنتطق جاء عنوان البحث بِـ (شركة فرجينيا ودورها في تأسيس مستعمرة فرجينيا ١٦٠٦ - ١٦٢٤)، ولاريب أن لإختيار عام ١٦٠٦ أهمية لانتُخفى على باحثي هذه المدة، ففيها دُشنت شركة لندن أول رحلة لها لتأسس بدورها على أرض الواقع أول مستوطنة دائمية انكليزية، في امريكا الشمالية.

إن أهمية هذه الدراسة تأتي في انها الأولى من حيث إنفرادها بتناولها لمثل هكذا موضوع وهكذا مُدة تاريخية، ولم يسبقها دراسة يمكن للباحث الإستفادة منها، كذلك قلة المصادر العربية التي تتحدث بالتفصيل عن مُدة الدراسة، وأن معظم الكتب الموجودة هي مُترجمة عن اللغة الانكليزية، ولذلك حاول الباحث الإستعانة بالمصادر الاجنبية، علّه يفتح الطريق أمام الباحثين لمن يُريد دراسة هذه المُدة ومرافقها من حوادث في أمريكا الشمالية.

إقتضت طبيعة الموضوع تقسيم البحث الى مُقدمة وثلاثة محاور، فضلاً عن الخاتمة التي بينت بدورها أهم النتائج التي أمكن التوصل إليها في ضوء ما توافر من المعلومات الواردة في متن المحاور، ثم قائمة بالمصادر.

تتاول المحور الاول تأسيس شركة فرجينيا عام ١٦٠٦، بفرعيها (لندن وليموث)، وكذلك أهم مجاء بميثاقها، وأهم رحلاتها الإستكشافية الى العالم الجديد.

وتتطرق المحور الثاني الى دور الشركة في تأسيس اول مستعمرة انكليزية دائمية في امريكا الشمالية، والى الصعاب التي واجهتها، وإقتضت طبيعة الموضوع الى تقسيم هذا المحور الى ثلاث مراحل.

فيما ذهب المحور الثالث الى أسباب الغاء رخصة الشركة، وتحول فرجينيا الى مستعمرة ملكية تابعة للتاج الانكليزي.

أولاً: تأسيس شركة فرجينيا ١٦٠٦:

عُدَّ عام ١٦٠٣ من الأعوام المهمة في سجل تاريخ انكلترا الحديث، إذ رافق حدث وفاة الملكة اليزابيث الاولى Elizabeth I (١٥٣٣-١٦٠٣)، حدث مهم آخر تمثل بتوحيد تاجي انكلترا واسكتلندا معاً في اتحاد شخصي^(١) Personal Union، وكان ذلك مع جلوس أول ملوك آل ستيفارت Stuart Family، (جيمس السادس) James VI، ملك اسكتلندا، على عرش انكلترا^(٢)، حاملاً لقب (جيمس الاول)^(٣) James I، الذي إعتبر ان من حقه ان يرث كل الشاطئ الشرقي لأمريكا الشمالية، الواقع بين خطي العرض (٣٤) و(٤٥) شمالاً^(٤).

كما وتركزت الرحلات والإستكشافات الانكليزية الأثر البالغ في نفوس التجار الانكليز، إذ دفعهم ذلك للمغامرة مجدداً، واضعين نصب أعينهم أسباب فشل انكلترا في محاولاتها الأولى لخلق مستعمرة في العالم الجديد، لاسيما وانه سبق وان أسس الرأسماليون الانكليز، في نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر، شركات تجارية للتبادل التجاري مع روسيا، والشرق الاوسط، وجزر الهند الشرقية، وقد عادت عليهم بالاموال الطائلة. وعلى هذا الاساس صار رأيهم إستثمار تلك الاموال في أعمال الاستعمار، رغبةً منهم في توسيع السلطة في انكلترا، والكسب عن طريق الامتيازات التجارية، وبيع الاراضي، وكسب الهنود الحمر الى الدين المسيحي، وكذلك الرغبة في تحسين أحوال الفقراء في انكلترا من خلال توفير فرص العمل في بلاد جديدة مليئة بفرص النجاح^(٥).

وبفضل معاهدة السلام الموقعة مع اسبانيا عام ١٦٠٤، باتَ بمقدور الانكليز توفير رؤوس الأموال والطاقت للإستعمار^(٦). وبذلك أظهرت أربعة مجموعات على الأقل إهتمامها بذلك الشأن، نذكر منها: تجار لندن، وأبرزهم السير (توماس سمث) Sir Thomase Smith؛ وعدد من تجار بليموث، بما في ذلك السير (فرناندو جورج) Ferdinando Gorges، وأبناء السير (همفري جلبرت)، وتجار برستول،

وأُتباع (ايرل ساوشامبتن) Earl Saushamptn، الذي كان تواقاً الى إنشاء مستعمرة كاثوليكية^(٨). وقد نتج عن ذلك الإهتمام إتحاد قادة هذه المجاميع، وقدموا إلتماساً للملك حول الحصول على ميثاق ملكي لتأسيس شركتين هما: شركة لندن London Company، وشركة بليموث Plymouth Company، من أجل تأسيس مستعمرة في فرجينيا^(٩).

وفقاً للمعطيات الآنف ذكرها، وجد (جيمس) الأول نفسه في حيرة من أمره، إذ ان تأسيس المستعمرات في أراضٍ تدعي اسبانيا ملكيتها، من المُحتمل ان تؤدي الى تقويض السلام الذي تم عقده معها للتو. هذا من جانب، ومن ناحيةٍ أخرى شعوره بالغضب حيال رفض اسبانيا تزويج إحدى أميراتها لأبنه. علاوةً على ذلك كانت تتملكه الرغبة في الحصول على دعم أصحاب رؤوس الأموال الانكليز، ونشر مجد بلاده في العالم الجديد^(١٠). الأمر الذي دفعه، في العاشر من نيسان من عام ١٦٠٦، الى منح ميثاق^(١١) شركة فرجينيا Virginia Company، الذي نصّ على دمج الشركتين، وإستعمار الساحل الاطلسي لأمريكا الشمالية، من كندا شمالاً الى فلوريدا جنوباً، والذي يقع بين خطي العرض (٣٤°) و(٤٥°) شمالاً. فَخَصِّصَتْ المنطقة الجنوبية المحصورة بين خطي العرض (٣٤°) و(٤١°) شمالاً الى شركة لندن، والمنطقة الشمالية المحصورة بين خطي العرض (٣٨°) و(٤٥°) شمالاً الى شركة بليموث، كما وأعطى الحق للشركتين في إقامة المستعمرات في المنطقة المُتداخلة، والتي تقع بين خطي العرض (٣٨°) و(٤١°)، بشرط ان لا تقل المسافة التي تفصل بين مستعمرة وأخرى عن مائة ميل^(١٢).

كما تضمنت بنود الإمتياز (الميثاق) اموراً عدة، منها حق الشركة في فرض الضرائب، وسن القوانين، وضرب النقود، وكذلك تمتع الرعايا الانكليز الذين سيقيمون في تلك المستعمرات، وأطفالهم الذين يولدون هناك بكافة الحريات، والمزايا، والحصانات، كما لو انهم لازالوا في بلدهم الام؛ هذا على ان يبقوا خاضعين للسلطة الملكية^(١٣). إذ ان ميثاق فرجينيا جعل كل السلطة بيد التاج. أما فيما يخص الدوافع، فان الدافع الوحيد الذي ذكره هذا الميثاق لإنشاء المستعمرات هو "نشر الديانة المسيحية بين الكفرة والمتوحشين الساكنين في تلك الارحاء"^(١٤).

هذا وما ان حصلت الشركتان على ما كانتا تصبوان اليه، من خلال منحهما الميثاق المنشود، حتى عمَدَ اعضائها، وبجدية تامة، الى العمل على جذب المستوطنين، وترغيبهم في إيجاد مستعمرة لهم في العالم الجديد. وقد لاقت نداءاتهم تلك الإجابة من قبل فئات عديدة في المجتمع الانكليزي، منهم العاطلين عن العمل، والفلاحين الذين فقدوا أراضيهم، والمُزارعين الذين طُردوا من أعمالهم نتيجةً لإنهيار النظام الإقطاعي القديم^(١٥). وكذلك الحال بالنسبة للجنود العائدين من الحرب، والنُبلاء المغامرين^(١٦). كما لاقت تلك النداءات قبولاً من بعض الذين كانوا على خلاف مع الكنيسة الرسمية، من خلال "تطلعهم الى قفار

امريكا الشمالية كملجاً لحرية العبادة^(١٧). وبذلك فان العديد من هذه الفئات أصبحوا في خدمة هذه الشركات، التي كانت تهتم في المقام الأول بالأرباح^(١٨).

دشنت شركة بليموث أول حملة لها الى العالم الجديد في الثاني عشر من آب عام ١٦٠٦، وكانت بقيادة (هنري جالبنز) Henry Chalbns، الذي إتخذ مساراً جنوبياً مع حوالي ثلاثون رجلاً، ولكن هذه الحملة لم تُكَلِّل بالنجاح، بسبب إستيلاء الاسبان عليها^(١٩)، الذين كانوا يطالبون بكل امريكا الشمالية^(٢٠). وفي هذه الأثناء ترأس (مارتن برنج) Martin Pring، و(توماس هانهام) Thomas Hanham، حملة بحرية ثانية، لم تؤدِ الى إنشاء مستوطنة، لكنها عادت بأكثر الإكتشافات دقة عن الساحل الشرقي لأمريكا الشمالية^(٢١).

وفي الأول من أيار عام ١٦٠٧، أبحرت ايضاً من بليموث حملة أكبر، تألفت من حوالي مائة رجل، تحت قيادة (بوفام) و(رالي جلبرت)، وبعد ثلاث أشهر من إبحارها، وصلت الى مصب نهر كنك، وقد بنى المستوطنون هناك حصن سانت جورج St. George، وكنيسة، وحوالي خمسة عشر منزلاً^(٢٢). لكن مستعمرة كنك هذه قُدر لها ان تكون مستعمرة "سيئة المصير"^(٢٣)، إذ فشلت بعد مرور سنة واحدة فقط. ويمكن ان يُعزى ذلك الفشل الى عدة أسباب منها: الشحة المستمرة في الطعام والمؤن، وصعوبة الطقس المتمثل بدرجات الحرارة المنخفضة مع الانجماد، إضافة الى الطبيعة العدائية للهنود المجاورين لهم، وكذلك نمو السخط بين المستوطنين لعدم العثور على المناجم، وعدم تحقيق غايتهم في العثور على ممر الى الشمال الغربي. كما كان هناك تكاسل وصراعات بين السكان، وعدم إستقرار، وإضطرابات في جميع الأمور. وكنتيجة لتلك الإضطرابات، والمصاعب، والعراقيل، عاد الناجون الى انكلترا في ربيع عام ١٦٠٨^(٢٤)، ليضعوا بذلك حداً لهذا الجهد الكبير من جانب شركة بليموث، والتي انصب اهتمامها لاحقاً على مناطق صيد السمك في نيوفاوندلاند، بدلاً من الاستيطان^(٢٥). لتتفرد بعد ذلك شركة لندن، التي قُدر لها ان تفتح باب في استيطان امريكا الشمالية، التي غدت الى الحال الذي نعرفه اليوم باسم الولايات المتحدة الامريكية وما جاورها من بلدان القارة الشمالية.

ثانياً: دورها في تأسيس مستعمرة فرجينيا ١٦٠٦ - ١٦٢٤:

١- المرحلة الاولى ١٦٠٧ - ١٦٠٩:

لم تعر شركة لندن أي إهتمام لإحتجاجات الإسبان المُطالبين بجميع أراضي امريكا الشمالية^(٢٦)، كما تخلت عن فكرة إرسال رحلة بحرية لإستكشاف الأرض. فبادرت في العشرين من كانون الأول عام ١٦٠٦، الى إرسال ثلاث سفن صغيرة، وهن كلاً من: سارة كونستنت Sarh Constant، وغود سييد Good Speed، ودسكفري Discovery. على متنها مائة وأربعين رجلاً وأربعة صبيان^(٢٧)، بضمنهم

(غوسنولد) Gosnold، و(جون راتكليف) John Ratcliff، و(وينغفيلد) Wingfield، الذي كان تاجراً، ورجل الدين (هانت) Hunt، و(جون سميث) John Smith^(٢٨)، المطلع بحكم رحلاته على بلدان عديدة، والذي تكونت لديه الرغبة عن طريق معرفته بـ(غوسنولد)، في الالتحاق بالحملة المتوجهة الى الارض التي سيثبت فيها قدرته^(٢٩).

وتجدر الإشارة إلى أن ما لا يقل عن نصف المستوطنين كانوا سادة محترمين Gentlemen، ليس لديهم الخبرة في الاعمال اليدوية، كما لم يكن معهم الكثير من العمال، عدا بعض الميكانيكيين، وبقيّة المهاجرين كانوا جنوداً وخدماء^(٣٠). البعض كان مدفوعاً بدافع الفضول لزيارة البلد الذي أُشيع عنه بأنه مسكون بعرق جديد من البشر، والبعض بدافع الكسب والحصول على الذهب والفضة^(٣١).

وفي الوقت ذاته، سُلمَ صندوق مغلق الى الكابتن (كريستوفر نيوبورت) Christopher Newport، وقد نصت التعليمات على عدم فتحه لحين وصول المهاجرين الى امريكا^(٣٣)، وكان يوجد بداخله ورقتان مختومتان، الأولى تحتوي على أسماء المجلس الذي سيحكم هناك، والآخرى تحتوي على إرشادات دقيقة حول إختيار الموقع، وإستكشاف المنطقة، ومعاملة السكان المحليين^(٣٤). وفي أثناء الرحلة، عمّ السخط على متن السفن، بسبب إتهام (سمث) بنيته لقتل بعض الرجال البارزين، والإستيلاء على الحكومة، وتنصيب نفسه ملكاً على فرجينيا. وبناءً على ذلك الإتهام تم إحتجازه^(٣٥).

وتجدر الإشارة أيضاً، الى ان وجهة تلك السفن الثلاث كانت الى جزيرة رونوك، لكن ولحسن الحظ دفعتهم عاصفة الى مدخل خليج تشيزابيك^(٣٦). وهكذا وبعدَ رحلة مُلأى بالمخاطر، دامت لأربعة أشهر، وصلَ [الناجون]^(٣٧) البالغ عددهم مائة وخمسة رجال، الى فرجينيا، في السادس والعشرين من نيسان عام ١٦٠٧، وعند دخولهم الى خليج تشيزابيك، أطلقوا على الرأسين -شبه الجزيرتين المُمتدتين في البحر- الموجدتين عند مدخل الخليج، تسمية (هنري) Henry و(تشارلز) Charles، تيمناً بأسماء أمراء العائلة المالكة^(٣٨). وبروحية عالية همّوا بإكتشاف هذه البلاد، فسارت قواربهم في أحد الانهار الذي أطلقوا عليه إسم نهر جيمس James River، على شرف ملك انكلترا^(٣٩).

وفي الثالث عشر من آيار ١٦٠٧، نزلَ المستوطنون في مكان أطلقوا عليه اسم جيمس تاون^(٤٠) James Town، على شرف ملك انكلترا، والذي يقع في شمال نهر جيمس. وكان الموقع حينها شبه جزيرة منخفضة^(٤١). لكن شبه الجزيرة هذه كانت عادةً ما تتأثر بفيضان المد، الامر الذي سبغ عليها صفة الجزيرة^(٤٢).

وبعد مرور يومين، فُتحت التعليمات الموضوعة في الصندوق المغلق، ووجدوا إنها تحتوي على أسماء أعضاء مجلس المستعمرة، وكان من بينهم كلاً من (غوسنولد) و(سمث) و(وينغفيلد) و(نيوبورت)

و(راتكليف). وتم انتخاب (وينغفيلد) رئيساً، والتصويت على إستبعاد (سمث) من مقعده في المجلس، بعد ان تم اطلاق سراحه من الاحتجاز. واحتوت تلك التعليمات أيضاً على إرشادات تنص على التواجد قرب نهر قابل للملاحة، ويفضل ان يكون نهراً له فرع يتوجه نحو الشمال الغربي، على أمل العثور على الممر المنشود، كما أكدت على ضرورة الاستقرار في جزيرة تبعد مائة ميل عن البحر، وفي مكان ليس مكتظاً بالغابات^(٤٣).

وبالامكان ذكر مقطع من التعليمات الذي نص على الآتي: "لا تقيموا مزارعاً في الاماكن المنخفضة او الرطبة، لانها ليست صحية. يمكنكم ان تحكموا على نقاوة الهواء من خلال النظر الى الناس، لان سكان اراضي الساحل المنخفضة تكون عيونهم دامعة، وبطونهم وسيقانهم منتفخة، لكن اذا بدا على السكان الاصليين القوة، والنظافة، فان هذه علامة حقيقية على كون التربة ممتازة"^(٤٤).

على النقيض من ذلك، خالف قادة المستعمرة تلك التعليمات، وذلك من خلال إختيارهم موقعاً منخفضاً، وسبخاً، ومحاطاً بالهنود، ومليئاً بالبعوض الحامل لمرض الملاريا. الامر الذي أدى الى حصد ما يقارب من نصف أرواح المستوطنين خلال الاشهر الست الاولى، بسبب الحمى، والامراض، وسهام الهنود، والجوع^(٤٥). وعلى اثر ذلك اصاب الاحباط المستوطنين، مما دفعهم الى أن يصححوا وضعهم ومسارهم، وأدركوا انهم لم ينصفوا (سمث)، فقاموا وبناءً على طلبه بمحاكمته، ونال بموجب تلك المحاكمة "البراءة المشرفة"^(٤٥).

نصت التعليمات على تقسيم المستوطنين الى ثلاث مجموعات، الأولى تعمل على تحصين الموقع، والثانية تعمل على زرع المحاصيل، والثالثة تستكشف النهر والأراضي المحيطة به، وكانت الأخيرة بقيادة الكابتن (نيوبورت). وتم تنفيذ تلك التعليمات بشكل جزئي^(٤٦). وبعد ان أفرغوا السفن، تم تقطيع الاشجار الكبيرة من أجل إستخدام جذوعها، في بناء حصن، وكنيسة، ومخازن، ومنازل، وأسوار عالية، ليحموا أنفسهم من خطر الهنود المحتمل^(٤٧).

وفي الحادي والعشرين من شهر آيار، أبحر القبطان (نيوبورت) مع ثلاثة وعشرين رجلاً، في رحلة إستكشافية، لم تتعدى حدود مجرى نهر جيمس، ماضياً بعيداً حتى موقع ريتشموند Richmond الحالي، وقد عوملوا بترحيب من قبل الهنود^(٤٨)، إذ إلتقوا بالزعيم الهندي المحلي (بوهاتن) Powhatan، وهو زعيم إتحاد كبير للقبائل الهندية، يضم حوالي خمسة وثلاثين قبيلة هندية، وقدموا له المشروبات الكحولية، الأمر الذي ترك "الملك مترنحاً"^(٤٩). وفي السابع والعشرين من الشهر ذاته، عادت المجموعة، وعلمت بان المستوطنين كانوا مُلزمين بالدفاع عن أنفسهم لصد هجوم ضخم، من قبل مائتي هندي "متوحش"؛ مما دفع (نيوبورت) للمضي قدماً في إتمام تحصينات المدينة، وإكمال سياج الاوتاد، والحصن، كما قدم

النصائح للمستوطنين، وأصرَّ على أهمية الإنسجام، والإدارة الجيدة^(٥٠). وبحلول منتصف شهر حزيران، شَعَرَ المستوطنون بالامان من خطر هجمات الهنود، وهو شعور خاطئ في ظل وجود حوالي خمسة آلاف منهم على بُعد ستين ميلاً^(٥١). ومن بعد ذلك أبحر (نيوبورت) في الثاني والعشرين من شهر حزيران، عائداً الى انكلترا^(٥٢).

ومهما يكن من الأمر، فإن من المفيد ذكره هو عدم إلتزام المستوطنين بنصائح (نيوبورت)، فما ان غادر الأخير جيمس تاون حتى إندلعت النزاعات والانقسامات. فد (غوسنولد) الرجل الأكثر تأثيراً في المستعمرة توفي، و(وينغفيلد) لم يكن ذو شعبية، وقد أُبعد عن منصب الحاكم، وأخذ مكانه (راتكليف) ولكن لم ينجح. أما (ريد) Reed حكم عليه بالموت^(٥٣)، بسبب إعتدائه على الحاكم. و(كيندال) Kendal اتهم بالتآمر والعصيان، وعلى أثر ذلك أُعدم بالرصاص^(٥٤).

وبحلول شهر أيلول لم يبق سوى (٤٧) سبعة وأربعون شخصاً، وفي نهاية العام إنخفض هذا الرقم مجدداً الى (٣٨) ثمانية وثلاثون. ولربما يرجع ذلك الى عدم بناء مستوطنة على أساس صحيح، وبتعبير أدق انها كانت أقرب الى مزرعة، إمتلكها حملة أسهم شركة لندن، الذين إمتلكوا الأرض وإختاروا المستوطنين، وإختياراتهم تلك لم تكن صائبة، كونهم جأؤوا بالعديد من السادة الوجهاء، والقليل من العمال. وجعلوا من السكان خدماً وموظفين، ووجهوا آلية العمل والإنتاج، وحددوا ما يشحن اليهم من مواد كالأصباغ، ولحاء السافراس العطر المجفف، وغيرها. كما ان إعتمااد المستوطنين بدرجة كبيرة على سفن المؤنة القادمة من انكلترا، كان يسبب مصدر قلق دائم لديهم، لعدم إنتظام مواعيد وصول هذه السفن^(٥٥).

بناءً على ما تقدم، أخذ (سمث) على عاتقه تأمين المؤن للمستعمرة، وفي إحدى جولاته تعرض لهجوم من بعض الهنود، وبعد قتالٍ شرس، قُتل من كان معه^(٥٦)، وهرب الى إحدى المستنقعات، ولكنه أُسر من قبل الهنود، فأخذ مكبلاً من قرية الى قرية، ولم يقتلوه حينها، إذ انه إستطاع ان يسر ناظرهم بالبوصلة التي كان يحملها في جيبه، وعند وصولهم الى زعيمهم بوهاتن، أمر بقتله بعد إستشارة زعماء القبائل، إلا ان تدخل الاميرة (بوكاهونتاس) Pocahontas، ابنة زعيم القبيلة التي اعجبت به أدى الى إطلاق سراحه، وأرسل معه أدلاء ومؤن الى المستوطنة^(٥٧). وبني (سمث) بذلك علاقات جيدة مع الهنود، كما وأطلق لقب إمبراطور على زعيمهم بوهاتن^(٥٨).

عند عودة (سمث) الى المستوطنة، واجه عدااء (راتكليف)، الذي أثبت من خلال تصرفاته الغير محسوبة انه "حاكم احمق، وغير متمكن"، إذ وجه الأخير إتهامات غير مبررة بحق (سمث)^(٥٩). كما وجد عدد المستوطنين إنخفض الى ثمانية وثلاثون، معظمهم قرر ان يترك البلاد، بسبب سياسة الحاكم الغير

مسؤولة، التي تمثلت بتبذير الملكية العامة، وفرض الجهد الغير ضروري على المستوطنين، وذلك بالزامهم ببناء منزل له لغرض الترفيه. وقد استطاع (سمث) من إقناع غالبيتهم بالعدول عن الرحيل، وأما البقية ممن صعدوا المركب، فقد هددهم عن طريق توجيه مدافع الحصن نحوهم، ولتقادي خطر نيران المدافع والغرق، أسرعوا عائدين الى أدرجهم^(٦٠).

هكذا كان الحال في جيمس تاون، إذ وصف البروفسور (ادوارد تشاننغ) Edward Channing الوضع البائس في صيف ١٦٠٨، بالتالي: " مع معاناة الرجال من المرض والجوع، ووجود نهر مظلم أمامهم، وغابة ومستنقع مهلك ورائهم، والهنود المستعدين لقتلهم مختبئين خلف كل شجرة وشجيرة، كانت هناك حاجة ملحة لقائد، لكن الحصن عند نهر جيمس خلا من مثل هكذا شخص... عندما وصل (نيوبورت) الى الموقع بعد ستة اشهر من الغياب، لم يتمتع بالحياة والحرية من اعضاء المجلس سوى (راتكليف) و(مارتن) Martin. كان (غوسنلد) قد مات من المرض، وتم اعدام (كندال)، بينما تواجد (وينغفيلد) والكابتن (سمث) في السجن، وانتظر ثانيهما موعد اعدامه"^(٦١).

على أثر ذلك، وما ان وصل (نيوبورت) الى جيمس تاون، مع كمية من المؤن ومئة وعشرين سجيناً احضروا للإقامة في المستعمرة، حتى بادر الى خلع (راتكليف) وتعيين محله (سمث) رئيساً في ايلول ١٦٠٨. فرض الأخير إنضباطاً صارماً، كان على الأرجح السبب وراء إنقاذ المستعمرة من الفشل. وكان لموت، وإستبعاد، ومغادرة، معظم أعضاء المجلس، الفضل في إنفراده في السلطة، فوجه أفراد المستعمرة لبناء منزل من الحجارة، وحفر بئر، وإنشاء عشرين منزلاً. ومن خلال صفقات ذكية، تمكن من الحصول على الذرة لينقذ بذلك من معه من الجوع^(٦٢). كما عارض وبقوة فكرة البحث عن الذهب^(٦٣)، واضعاً شعار "من لا يعمل لن يأكل"^(٦٤)، وأجبر المستوطنين عوضاً عن ذلك على زراعة حوالي أربعين أكرًا من الارض بالذرة، وتربية الدواجن^(٦٥). كذلك شجع تجريب صناعة القطران، والزفت، والزجاج. ووجد الوقت ليستكشف بنفسه جزءاً كبيراً من أراضي تشيزابيك^(٦٦). لقد كان جاداً في كل إرشاداته، إذ علم الرجال المحترمين كيفية إستخدام الادارة، وحرث الارض. كما شجع المرأتين (الانكليزيتين)، والبولنديين الثمانية، والميكانيكيين الالمان، الذين أحضرهم (نيوبورت)^(٦٧).

على الرغم من القيادة الفعالة التي مارسها (سمث)، إلا ان المستعمرة بقيت قريبة من حافة الهاوية. شركة لندن شعرت بالاستياء، بسبب عدم قدرتها على الحصول على عوائد مناسبة تقي لتغطية حجم الاموال التي صُرفت^(٦٨). كما كان من نتائج استمرار الشركة لإرسال المزيد من المستوطنين، غضب الهنود الذين قرروا مهاجمة جيمس تاون، لولا تحذير (بوكاهونتاس) للمستوطنين، الذي افشل هجومهم. كما ان إصابة (سمث) البالغة، والتي وقعت في حادث عرضي، أجبرته على العودة الى انكلترا لغرض

تلقي العلاج، الامر الذي جعل المستوطنين يفقدون صديقهم المفضل^(٦٩). فأصبحت المستعمرة دون قيادة^(٧٠). ومما زاد الطين بلة، هو شركة لندن التي جعلت الامور اسوأ، من خلال مطالبتها للمستوطنين بان يشحنوا السفن بالزفت، والقيصر، والحديد^(٧١).

من الجدير بالذكر، ان الشركة في لندن، اطلعت على التقارير التي كتبها بعض أعضاء مجلس فرجينيا، من الذين عادوا الى بلدهم، والتي وصفت بها قيادة (سمث) بالمستبدة^(٧٢). وكذلك بات واضحاً للعيان الخسائر المالية الناجمة عن الارسال المستمر للرجال والمؤن، فادرك قادة الشركة الحاجة الملحة لاعادة التنظيم، وتوفير رأسمال جديد، وسلطات حكم أكبر^(٧٣).

٢- المرحلة الثانية ١٦٠٩ - ١٦١٨:

بدا جلياً ان فرجينيا لم تكن كباقي المستعمرات كالمكسيك مثلاً، إذ انها لا تحتوي على ثروات معدنية يسهل إستخراجها، ولا يوجد بها ممر غير معروف عبر القارة، ولم تنتج عمالة محلية مفيدة. بالتالي ارتكزت آمال الشركة على فكرة جديدة مفادها "اذا تم توطين المستعمرة بعدد كافٍ من المستوطنين، وتم تمويلهم جيداً، فانها ستنتج الكثير من المحاصيل والمنتجات العادية كالغبن، والسكر، والتبغ، والقطن، والخشب، والتي بالاستطاعة بيعها في انكلترا، وجني ارباح ممتازة"^(٧٤). ولربما رأت الشركة بذلك ان فكرة مثل هذه يمكن الإعتماد عليها كأساس لإستئناف عملية البحث عن إمكانيات ربحية.

وعليه، قدم أعضاء الشركة إلتماساً للملك، بغية الحصول على ميثاق جديد. وتم لهم ذلك في آيار عام ١٦٠٩. إذ تمت صياغة الميثاق الثاني^(٧٥) من قبل السير (ادون سانديز) Sir Edwin Sandys، الذي صرح قائلاً ان الغرض منه هو: "إنشاء دولة حرة لا يمتلك سكانها حكومة مفروضة عليهم، وانما حكومة راضين عنها"^(٧٦).

تجدر الإشارة، ان هذا الميثاق أقصى شركة بليموث، كما ان شركة لندن التي دارت مشروع المستعمرة أصبح اسمها شركة فرجينيا^(٧٧). وأكد على تمتع حامل كل سهم "بجميع الحريات والامتيازات كما لو انه بدأ منذ السنة الاولى"، اي منذ عام ١٦٠٦. ووضع آلية لتوزيع الاراضي كأرباح لحملة الأسهم كل سبع سنوات^(٧٨). كذلك حدد الميثاق حدود المستعمرة بمائتي ميل شمال وجنوب الموقع الذي يُعرف باسم نقطة الراحة Point comfort^(٧٩). رافق ذلك حملة دعائية إستثنائية، من خلال الترويج للإستيطان من على منابر لندن، وإرتفعت أسعار الأسهم في أسواق التجار المالية. ولبرهة من الوقت أصبح دعم شركة فرجينيا قضية وطنية^(٨٠).

بموجب الميثاق الاول عام ١٦٠٦، تألفت الحكومة المحلية في المستعمرة من مجلس يتم تعيينه، الذي بدوره يقوم باختيار رئيسه. نتج عن ذلك نشوب صراعات بين أعضائه، وإنفراد (سمث) بالسيطرة على المستعمرة. بموجب الأنظمة الجديدة لعام ١٦٠٩، تم منح جميع السلطات في المستعمرة لحاكم يتم تعيينه، يحصل على المشورة من المجلس، دون أن يخضع له. وان سلطات الحاكم لا تقيد إلا "بالحريات، والامتيازات، والحصانات" التي يتمتع بها جميع الانكليز، وبالتعليمات التي تصدرها الشركة^(٨١). وبتعبير أدق، قوض الميثاق الجديد المجلس الذي يعمل في المستعمرة، وحل محله حاكم يمتلك القوة^(٨٢).

على ضوء ذلك، تم تسمية اللورد (ديلاور) Lord De Lawarr، حاكماً للمستعمرة مدى الحياة. وبعد مدة قصيرة تمكنت الشركة، في حزيران عام ١٦٠٩، ان ترسل إسطولاً بقيادة السير (توماس غيتس) Sir Thomas Gats، كحاكم مؤقت ينوب عن (ديلاور)، مع خمسمائة رجل، ومئة امرأة، وكميات كبيرة من المعدات والتجهيزات. لسوء الحظ بدا مصير هذه الرحلة مشؤوماً، إذ ضربت عاصفة السفينة التي حملت المسؤولين الذين تم تعيينهم حديثاً، وإنتهى بها المطاف مُحطمةً على سواحل جزر برمودا Bermuda Islands^(٨٣)، مما أعطى، وعن طريق الصدفة، الفرصة للانكليز لإعلان أحقيتهم بهذه الجزر^(٨٤). أما الاربعمائة الناجون، فُدر لهم ان يصلوا الى جيمس تاون، لكنهم عانوا من الإرهاق بسبب مخاطر الرحلة الطويلة، والأمراض التي إنتشرت بين صفوفهم مُسبقاً، والتسمم جراء تناولهم طعام السفن الذي فسد خلال تلك الرحلة^(٨٥).

في هذه الأثناء، حلت أحداث كارثية على جيمس تاون. فما ان علم الهنود برحيل الرجل الذي أخافهم كثيراً، حتى بادروا بمهاجمتها بقوات موحدة. كما حصلت بعد ذلك مجاعة مخيفة، وصلت شدة الأمر الى حد قيام المستوطنين بإلتهام جلود الخيول، وجثث الهنود الذين قتلوهم، حتى جثث رفاقهم لم تسلم منهم^(٨٦). بل ذهب الأمر إلى أبعد من ذلك، عندما قام أحد المستوطنين بتمليح، وأكل أجزاء من زوجته، بعد ان قتلها^(٨٧). ووصف ذلك الشتاء الفضيع لعام ١٦٠٩-١٦١٠، بوقت المجاعة Starving time. ولم يبقى على قيد الحياة من الخمسمائة مستوطن سوى ستون منهم فقط^(٨٨).

على أية حال، ففي آيار ١٦١٠، وعلى قوارب بدائية وصل (غيتس)، قادماً من برمودا، الى جيمس تاون، فوجد الناجون بحالة يرثى لها. غير قادرين حتى على الخروج من الحصن لتأمين وقودهم من الغابة^(٨٩). وإيماناً منه بان الوضع كان ميؤساً منه، وضع الناجين على متن السفن ليجر عائداً الى انكلترا ، وحال وصول السفن الى مصب نهر جيمس، إلتقوا باللورد (ديلاور) الذي جاء برفقة ثلاث سفن، على متنها مائة وخمسون مستوطناً، وقدرراً كافياً من المؤن. أفنع (ديلاور) المستوطنين بالرجوع الى جيمس تاون. وهكذا تم إنقاذ المستعمرة مرة أخرى^(٩٠).

على أثر ذلك، أخذ (ديلاور) يعمل على إعادة الانضباط والثقة^(٩١)، فبدأت الزراعة السليمة، وأعاد العلاقات الحسنة مع الهنود. كما ان الشركة أرسلت ستمائة مستوطن، مع المئات من الحيوانات الأليفة، وكميات من المعادن. وانشأت مستوطنات جديدة في هنريكو Henrico - التي سميت على شرف الامير (هنري) أمير ويلز^(٩٢) - الواقعة في أعلى نهر جيمس (موقع رتشموند الحالي). وتم فرض الانضباط الإجتماعي بقسوة عن طريق مجموعة قوانين نُشرت عام ١٦١٢ تحت إسم "قوانين مقدسة، وأخلاقية، وعرفية"^(٩٣)، نصت على "تقسيم المجتمع المحلي الى فيالق عسكرية ملتزمة بالخدمة الانزامية، في مشاريع عامة، خاضعة لعقوبات شديدة في حال التقصير في العمل أو اداء الواجبات العسكرية"^(٩٤). وبمعنى آخر، تم فرض الاحكام العرفية^(٩٥).

حكم (ديلاور) فرجينيا للمدة ١٦١٠-١٦١٨، ورغم عودته الى انكلترا عام ١٦١١، بسبب تدهور حالته الصحية، إلا ان المستعمرة استمرت تُحكم بالتناوب من قبل نائبيه كل من (ديل) عام ١٦١١، و(غيتس) للمدة ١٦١١-١٦١٤، ومن ثم (ديل) مجدداً لغاية ١٦١٦^(٩٦). على اية حال، فما ان توفر الانضباط والتعزيزات، حتى سارت المستعمرة ببطء وصعوبة نحو الاعتماد على الذات^(٩٧). فزُرِعَ التبغ كمحصول يعود بالمال^(٩٨)، واستبدل نظام الشيوخ بنظام ايجار الاراضي، واستوطنت مناطق جديدة، وانشأت بلدات جديدة منها هامبتون (الحالية) Hampton، وبنيت حصون جديدة، واصلحت المنازل في جيمس تاون^(٩٩).

في عام ١٦١٢، بدت الشركة بحاجة الى حَمَلَت أسهُم جُدد، بالنظر لعجز حوالي مائتي عضواً فيها عن دفع إشتراكاتهم، كما حرص (ديلاور) وزعماء الشركة، الذين كانت لديهم الرغبة في الحصول على سيطرة مباشرة على المستعمرة، على ضم جزر برمودا الى المستعمرة. وبناءً على ذلك قدمت الشركة التماساً للتاج رجت فيه الحصول على ميثاق جديد، وحصلت عليه فعلاً في آذار عام ١٦١٢. وبموجب الميثاق الثالث اصبح من حق الشركة تعيين الحاكم والمجلس في المستعمرة، ووضع القوانين والمراسيم الضرورية على ان لا تتعارض مع قوانين وتشريعات المملكة الام في انكلترا^(١٠٠). وعلى هذا الاساس انتقلت السيطرة على الشركة والمستعمرة من التاج الى حملة اسهم شركة فرجينيا^(١٠١)، بعد ان حصلت على امتيازات اضافية^(١٠٢). كما تم تأسيس مستوطنة جديدة في برمودا^(١٠٣).

لعلنا لا نجانب الحقيقة بالإشارة الى ان أحد أسس بناء المستوطنات الانكليزية في هذا الجزء من العالم، كان قائماً الى حدٍ ما على المكر والخداع، إذ بدا ذلك واضحاً عند أغلب قادة الانكليز، الذين إنعدمت عندهم الثوابت عند الشروع لتحقيق غاياتهم. على أية حال، فقد كان للقبطان (صامويل آرغال) Samuel Argall^(١٠٤)، نصيبٌ مما يذكر. ففي رحلة عام ١٦١٢، علم بوجود الاميرة (بوكاهونتاس) في

الجوار، وأقنعها بالصعود على متن سفينته، وعاملها بإحترام. لكنه إحتجزها وحملها الى جيمس تاون. وبذلك إفترض حكام المستعمرة ان إحتجاز الاميرة لديهم سيمنحهم السطوة على الهنود^(١٠٥). إلا ان (بوهاتن) شعر بالسخط من خيانة الانكليز، فعرض الفدية، رافضاً في الوقت ذاته الموافقة على أي شرط للسلام، حتى يستعيد إبنته. وأثناء تواجدها في جيمس تاون، تزوجت الاميرة الشابة، بعد ان تمت موافقة والدها الذي عزف عن حضور مراسيم زفافها، من المزارع الشاب (جون رولف) John Rolfe، الذي نجح في إستمالتها. وبذلك عُدَّ ذلك الزواج أول مصاهرة انكليزية - هندية في المستعمرة. وقد إعتنقت (بوكاهونتاس) الديانة المسيحية، وأطلق عليها اسم (ريبيكا) Rebecca، كما وحَلَّ السلام مع الهنود^(١٠٦).

من الجدير بالذكر، ان (رولف) وزوجته، التي كانت تحظي بالمكانة والاحترام، قاما برحلة الى انكلترا، وتم إستقبالهما، وبإحترام كبير، من قبل الملك والملكة. وأثناء العودة توفيت الاميرة الشابة، تاركةً ورائها ابناً واحداً^(١٠٧)، والذي إنحدرت منه أكثر العائلات إحتراماً، وفخراً بالنسب، في فرجينيا^(١٠٨).

ومهما يكن من أمر، فعلى الرغم من إمتلاء حُجرات السفن العائدة الى لندن بالتبغ، وبعض المنتجات البسيطة، إلا ان ذلك لم يعد بالأرباح الكافية، التي تدفع للمستثمرين الذين استثمروا كميات كبيرة من أموالهم. على أثر ذلك، بقي الوضع المالي للشركة ضعيفاً، لدرجة انه في عام ١٦١٦، وعند إنتهاء مدة السبع سنوات، لم يكن بمقدور الشركة ان توفر عمليات المسح الضرورية لتوزيع الاراضي الموعود بها كإرباح للمستثمرين، بناءً على ما نص به ميثاق ١٦٠٩ من توزيع مائة أكر^(١٠٩) Acre لكل سهم عند انتهاء المدة^(١١٠). كما ان تعداد سكان فرجينيا، وبالرغم من التعزيزات الاخيرة، لم يزد عن ثلاثمائة وخمسون مستوطن، منهم ستون امرأة، وطفل واحد، ومائتي خادم^(١١١). وبخطوة أخرى، كانت غير موفقة، عُيِّن (أرغال)، عام ١٦١٧، بمنصب نائب الحاكم، الذي إمتازت حكومته بالقسوة والبطش. ونتيجة لطمعه طُرِدَ من المستعمرة^(١١٢). لذا توجب على الشركة القيام بجهد آخر، من أجل إنقاذ نفسها، وتحقيق الأرباح لتغطية كمية الأموال التي تم إستثمارها.

٣- المرحلة الثالثة ١٦١٨ - ١٦٢٤:

شهد عام ١٦١٨ إطلاق آخر جهد، من قبل شركة فرجينيا، لتحويل المستعمرة الى مشروع مربح^(١١٣). بعد ان تسلمت مقاليد إدارة الشركة مجموعة جديدة برئاسة السير (ادون ساندنيز)، الذي بدأت بعده مرحلة جديدة من تاريخ المستعمرة^(١١٤). تبنت الشركة، وبتأثير من (ساندنيز)، سياسة رباعية الجوانب للمستعمرة، من خلال التشريع بواسطة ممثلي الشعب، ومنح الاراضي للأفراد، والتشجيع على الهجرة، وحرية التجارة^(١١٥).

على أثر ذلك، تم تملك المستوطنين مساحات شاسعة من الأراضي، ليكون لديهم صوت في حكومة المستعمرة. إذ مُنح كل مستوطن (قديم) مئة أكر من الأرض، كما وضع نظام حق الرأس Head Right، لغرض التشجيع على الهجرة، والذي أعطى لكل شخص يهاجر على حسابه خمسون أكر^(١١٦)، وخمسون إضافية لكل خادم يجلبه معه. أما الخدم، الذين يهاجرون على حساب الشركة، فكانوا يمنحون الأرض بعد إنتهاء مدة خدمتهم في الشركة، على أن يدفعوا رسم بدل عنها، كنوع من الضريبة، كونهم عُدوا مالكين، وليس مستأجرين^(١١٧). وعلى ضوء ذلك، أصبح نظام حق الرأس، حافزاً مهماً للهجرة، على الرغم من أن عملية مسح الأرض كانت أمراً مكلفاً ومعقداً^(١١٨).

وفي نيسان عام ١٦١٩، وصل الى جيمس تاون الحاكم الجديد السير (جورج يردلي) Sir George Yeardley، مع تعليمات عقد المجلس الذي يتم إنتخابه من قبل المستوطنين بشكل حر، ليُشرع القوانين والأوامر التي يراها مناسبة ونافعة، مع الأخذ بنظر الإعتبار حق الشركة في الموافقة على هذه القوانين والأوامر أو رفضها. وبذلك اجتمع أول مجلس تشريعي في العالم الجديد، في كنيسة جيمس تاون الصغيرة^(١١٩)، في الثلاثين من حزيران من عام ١٦١٩. وتألّف هذا المجلس من الحاكم، ومجلس من ستة مستشارين، وجمعية من عشرين ممثلاً، يمثلون البلديات الأربع والمزارع الكبرى (اثنين عن كل بلدة أو مزرعة كبيرة). كما واتبع هذا المجلس التنظيم العام والاجراءات المتبعة في مجلس العموم الانكليزي، إذ تم إنتخاب متحدث، وكاتب، وضابط نظام، وتم تعيين اللجان. بعد ذلك تم الاتفاق على ضرورة قراءة مسودات القانونين ثلاث مرات قبل ان تصبح قوانين نافذة. وعُدت هذه الجلسة، التي دام امدها ستة ايام فقط، من اقصر الجلسات في التاريخ الامريكي، بسبب حرارة الجو الذي اثر سلباً على صحة الحاضرين. كما انها كانت الوحيدة التي عقدت خلال حكم الشركة^(١٢٠).

على أثر ذلك، ازدهرت الهجرة الى فرجينيا، فتوافد المئات من المهاجرين، جُلهم من الرجال. ولغرض توطينهم وخلق إرتباط مع الأرض، من خلال ادخال عنصر الديمومة والثبات على المستعمرة، أرسلت الشركة، في العام ذاته، تسعين فتاة شابة برسم الزواج، وستين اخرى في العام الذي تلاه. وتم بيعهن الى المزارعين كزوجات، مقابل مئة وخمسون رطلاً من التبغ - الذي يباع الرطل منه بثلاثة شلنات - للفتاة الواحدة. وفي إجراء آخر، مبني على أمر الملك، نقلت الشركة مئة شخص من العاطلين عن العمل، والمساجين، الى المستعمرة^(١٢١).

كما ان هناك حدثٍ مميز، تجدر الإشارة اليه، وقع في نهاية شهر آب من عام ١٦١٩، تجسد في وصول سفينة هولندية الى نهر جيمس تحمل عشرون افريقياً، تم بيعهم على المستوطنين، الذين إشتروهم لأغراض العمل في الحقول^(١٢٢). لكن عُدّ الحدث الأهم في ذلك العام، عندما عُلق العمل بقوانين (دليل)

العرفية. إذ باتَ بمقدور سكان المستعمرة، مرة أخرى الحصول والتمتع بجميع الحريات والامتيازات والحصانات، كما لو كانوا داخل انكلترا^(١٢٣).

وعلى أثر إرسال (٤٥٠٠) مهاجر الى فرجينيا، بدأت الشركة بتطبيق برنامجها الاقتصادي الجديد، إذ أُجبرت تلك الجموع على بذل جهود مكثفة من أجل إنتاج محاصيل ومنتجات ثابتة. فأخذ الحرفيون على عاتقهم إنتاج القطران، والزفت، والحديد، والسفن، والملح، والعديد من المنتجات الخشبية. كما جُربت زراعة محاصيل إستوائية وشبه إستوائية، وأيضاً إنتاج النبيذ والحريز. بدت تلك التجربة مغامرة عظيمة من قبل أصحاب المشاريع الذين تسلموا زمام إدارة الشركة، لكنها في واقع الامر كانت مغامرة ميؤس منها، بعد إستنزافها لما تملكه الشركة من سيولة مالية^(١٢٤)، كما وأثرت -بواقع الحال- تلك السياسة على المستعمرة من خلال تحويلها من منتجة للمواد الغذائية اللازمة للعيش الى منتجة للمحاصيل التجارية، بهدف تحقيق الارباح العاجلة^(١٢٥).

لكن من المنصف القول ان فرجينيا، في أوائل عام ١٦٢٢، بدت مزدهرة، يسودها القانون، والنظام، والإستقرار، والعمران الذي إمتد بعيداً، في مستوطنات جديدة، على طول ضفاف نهر جيمس^(١٢٦). وكان حاكم المستعمرة آنذاك السير (فرانسيس وايت)^(١٢٧) Sir Francis Wyt، الذي أحضر معه دستوراً مكتوباً، وضع على اساس النظام الانكليزي^(١٢٨). إذ باتَ واضحاً للعيان ان الشركة لن تتجو من محنتها هذه إلا من خلال سلسلة من النجاحات الاعجازية وبدون اي هامش للخطأ، وان وقوع اي كارثة مهما كان حجمها، تعني النهاية الحتمية لها^(١٢٩).

وفي الثاني والعشرين من آذار عام ١٦٢٢، وقعت الكارثة النهائية. إذ قام الهنود بمهاجمة سلسلة من المزارع المجردة من الدفاعات، على إمتداد النهر، وذلك على أثر حرمانهم من أراضيهم، وخوفهم من هذا النمو المفاجئ للمستوطنات الانكليزية. فقتلوا ما يقارب (٣٤٧) ثلاث مائة وسبعة وأربعون مستوطن، بما في ذلك النساء والاطفال^(١٣٠). ولم تتعرض المستعمرة لدمار مادي فحسب، بل لإنهيار المعنويات، خوفاً من ان يكرر الهنود هجماتهم^(١٣١). كما ان المئات ممن أفلتوا من سهام وسكاكين الهنود، لقوا حتفهم في الشتاء اللاحق علي يد مرض الطاعون الذي تقشى بعد تلك المذبحة^(١٣٢). وبعد مرور سنتين على المذبحة، أي في عام ١٦٢٤، لم يتبق على قيد الحياة سوى (١٢٧٥) مستوطن من بين (٨٥٠٠)، كانوا قد غامروا بالاستيطان في فرجينيا. وعلى أثر ذلك، تم الغاء ميثاق الشركة نهائياً، فأضحت فرجينيا مستعمرة ملكية، تابعة للتاج^(١٣٤).

ثالثاً: إلغاء رخصة الشركة وتحول فرجينيا الى مستعمرة ملكية:

قَدَر تعلق الأمر بأسباب إلغاء رخصة الشركة، لربما يعود وبصورة مباشرة الى أمرين هما: المذبحة الهندية، وإفلاس الشركة. لكن هنالك أسباب وعوامل داخلية وخارجية لعلها تُعد غير مباشرة جديرة بالإشارة إليها. إذ فيما يخص الداخلية منها، فيمكن القول ان الميثاق الثالث، الذي سحب البساط من تحت الملك، من خلال حصول الشركة على صلاحيات أكبر، وجعلها في موضع القوة كما أشرنا سابقاً، عُدَّ أول مسمار نُقِيَ في نعش الشركة، إذ قسم الشركة الى مجموعتين: الاولى خاضعة للبلاط وتُدعى حزب البلاط، بزعامة (ديل) ومن ثم (توماس سميث) Thomas Smith، وكانت تسعى للحفاظ على هيمنة الملك، والحكم الدكتاتوري، والكنيسة الرسمية، وإستمرار الاحكام العرفية في فرجينيا. أما المجموعة الثانية، فهي حزب البلاط بزعامة (سانديز)، التي كانت تدعو الى الزعامة البرلمانية، وحرية العبادة، وتوسيع الحقوق السياسية للمستعمرة^(١٣٥)، من خلال إنهاء الادارة العسكرية للمستعمرة، والسماح للمستعمرين بالعيش كالانكليز الاحرار^(١٣٦).

في عام ١٦١٨، تمكن حزب البلاط من السيطرة على الشركة، وذلك لتمتعه بالتفوق العددي. وعلى الرغم من مقولة الملك الشهيرة: "اختر الشيطان ان أردت، لكن لا تختار السير ادون سانديز"، إلا انه تم اختيار (سانديز) أميناً للخزنة (مديراً اعلى للشركة)، والذي أعلن سابقاً بان الملك حكم فقط "بموافقة الشعب". وهذا بدوره أبغض الملك، الذي طالما أظهر العداء لـ (سانديز) وجماعته في الشركة^(١٣٧).

كما ان للخسائر الفادحة بالارواح، منذ بداية الاستيطان في هذا الجزء من العالم، وعودة بعض المستوطنين الى بلدهم الام، بسبب تردي الاوضاع^(١٣٨)، كان لهما الدور في تغيير مجرى الأحداث، وبالتالي فان الشركة، من حيث غرضها الاصلي، فشلت فشلاً ذريعاً في تحقيق الغاية، على الرغم من فتحها لابواب الاستيطان الانكليزي في اراضي امريكا الشمالية، واختبارها للامكانيات الاقتصادية لهذه المنطقة^(١٣٩).

زاد الأمر تعقيداً، عدم التزام المستوطنين بتصدير التبغ الى لندن، بعد ان حَضَرَ الملك، في عام ١٦٢١، بيع هذا المنتج الى هولندا. واعتراضهم على التعرفة الكمركية التي فرضها الملك، والتي كانت بمقدار (١٠%) على الباوند^(١٤٠)، مُتذرعين بان ميثاق الشركة حدد التعرفة الكمركية بمقدار (٥%)^(١٤١).

ومن العوامل الاخرى، عدم الرضا الذي شاع بين صفوف حملة الأسهم في انكلترا، نتيجة لعجز الشركة عن تحقيق الأرباح، لاسيما وانها أنفقت أكثر من (٢٠٠,٠٠٠) الف جنيه استرليني، وهو مبلغ ضخم في ذلك الوقت^(١٤٢). فبات واضحاً ان المشروع الاستثماري -الذي كان يدعو الى القيام باستثمارات كبيرة في عدد من المشاريع- طموحاً أكثر من اللازم، وخارج

حدود الموارد المالية المتوفرة للاستمرار في دعمه. وبذلك بدا من الصعب مزج الاستثمار وجني الأرباح في آنٍ واحد. علاوةً على ذلك تمزق الشركة بسبب الخلافات الداخلية التي نجمت عن سوء إدارة التمويل، والعجز عن إصلاح الوضع المزري في المستعمرة، حتى أصبحت تلك الخلافات فضيحة عامة، إقتضت الضرورة فيها الى تدخل الملك^(١٤٣).

أما الاسباب الخارجية، فتمثلت بالمؤامرات والدسائس الاسبانية، وكما يلي:

١. قيام السفير الاسباني في لندن، وتنفيذاً لأوامر بلاده، بمراقبة المشروع منذ بداية إنطلاقه، مُستخدماً كل الوسائل الممكنة، التي من شأنها ان تجعل الملك يرفض إستمراره^(١٤٤).
 ٢. إرسال اسبانيا ثلاثة جواسيس الى فرجينيا، وعندما إعتقلوا هناك طالبت الحكومة الانكليزية إطلاق سراحهم، مُدعية بأنهم أبرياء من التهمة الموجهة اليهم^(١٤٥).
- هَيأت هذه العوامل والأسباب للملك الارضية المناسبة لان يخطو خطوته، مدعوماً بجماعة (توماس سمث) داخل الشركة، فسارع الى تعيين لجنة لدراسة واقع حال الشركة، بعد ان قام بمصادرة جميع سجلاتها، كما تم اعتقال وسجن نائب أمين الصندوق نيكولاس فيرار Nicholas Ferrar . وقد وصلت هذه اللجنة الى فرجينيا في خريف عام ١٦٢٣^(١٤٦)، وبعد دراسة من قبلها لاوزاع الشركة هناك، أظهر تقريرها بان "الشركة كانت تُدار بشكل سيء للغاية، وانها كانت على شفير الافلاس"، كما اتهمت الشركة "بوضع خطط للربح الشخصي"، وبمسؤوليتها عن "نسبة الموت، والمعاناة العالية في المستعمرة، والعجز عن توفير الحماية الكافية للمستوطنين". على اثر ذلك، أصدرت محكمة قضاة الملك امراً، طلبت بموجبه من الشركة إيضاح هذه التهم. ولما كان دفاع الشركة عن نفسها غير مرضٍ، قررت المحكمة في حزيران ١٦٢٤، ان الشركة فشلت في تحقيق أهدافها، وانه يجب إبطال ميثاقها. وعلى هذا الاساس أصبحت فرجينيا مستعمرة ملكية خاضعة للسيطرة المباشرة للتاج، واستمرت شركة فرجينيا في العمل كوكالة تجارية لحوالي عقد آخر من الزمن^(١٤٧).

من الجدير بالذكر ان قرار محكمة قضاة الملك جاء ليثبت حكم الملك في انكلترا، من خلال القضاء على المعارضة البرلمانية المتمثلة بحزب البلاد، والتي كانت تمثل حقوق الشعب، إذ لم يتوقع أحد حينما عقدت الجلسة بان المحكمة ستتخذ قراراً غير القرار الذي يكون بصالح الملك من خلال إسقاط الشركة وحزب البلاد^(١٤٨).

اما فيما يخص مستوطني في فرجينيا، فلم تؤثر مسألة إلغاء الرخصة على حقوقهم، إذ ورث مزارعوها الارض التي حصلوا عليها من قبل الشركة، وأصبحوا أغنياء، وظهرت منهم أولى الاسر الشهيرة^(١٤٩). وإستناداً الى القاعدة التي نص عليها القانون الانكليزي، والتي تقتضي "بان الارض التي لا

مالك لها تعتبر ملكاً للملك^(١٥٠)، تحولت ملكية الاراضي التي لم توزع مسبقاً الى الملك، الذي صار له الحق في منحها لمن يشاء، مقابل شروط ميسرة، ورسم بدل صغير كوسيلة لتوفير التمويل العام. الحق ان التاج إهتم بتطوير وتوسيع المستعمرة، ولم يهتم بتحقيق الارباح للمستثمرين، كما انه ابطل نظام المؤن القادم من الشركة، وخلق الاعتماد على الذات، وحفز المشاريع الحرة. كما كان لاهتمام التاج بالتجارة، والدفاع العسكري، وتطوير مجتمع سياسي معتمد على ذاته، قيمة لا تقدر في بناء فرجينيا. نتيجة لذلك، قفز التعداد السكاني لفرجينيا من ١٢٧٥ في عام ١٦٢٤ الى ٥٠٠٠ في عام ١٦٣٥، وهو العام الذي شهد قدوم ١٦٠٠ مستوطن الى جيمس تاون^(١٥١). وبحلول عام ١٦٤٢، وهو العام الذي وصل فيه السير (وليام بيركلي) Sir William Berkeley ليشغل منصب الحاكم لمعظم السنوات الاربع والثلاثين التالية، كانت الشخصية الأساسية للحياة في أول مستعمرة انكليزية دائمية واضحة المعالم. ومنذ ذلك الحين فصاعداً، شهدت المستعمرة نمواً مستمراً في التعداد السكاني، والثروة، والثقافة، والقوة^(١٥٢). لاسيما بعد الهزيمة النهائية للعدو التقليدي، المتمثل بالهنود الحمر عام ١٦٤٦، وكسر شوكة كونفدراليتهم (تجمعهم القبلي) على أثر أسر زعيمهم، ومن ثم قتله عام ١٦٤٦^(١٥٣).

الخاتمة:

إنفردت شركة فرجينيا، التي قُدرَ لها ان تفتح باب الإستيطان في امريكا الشمالية -التي غدت الى الحال الذي نعرفه اليوم باسم الولايات المتحدة الامريكية وما جاورها من بلدان القارة الشمالية- في تحقيق الغايات الإستعمارية لانكلترا. وعلى الرغم من فشلها وإبطال ميثاقها عام ١٦٢٤، إلا ان الناظر الى المحصلة النهائية يجد ان الشركة أصابت النجاح. فهي التي فتحت أراضي امريكا الشمالية للإستيطان الانكليزي، واستوطنت جزء صغير من هذه الاراضي (وان كان ذلك على حساب تكلفة باهضة في الارواح الانكليزية والهندية). كذلك دورها في إختبار الامكانيات الاقتصادية لمنطقة تشيزبيك، وفي ما خلفت وراءها من الإرث في نظام حكم القانون، الذي يمكن ان نرى آثاره في نظام الحكم الذاتي، على الرغم من بدائيته.

كما كان لتطور النظام السياسي في فرجينيا، من خلال انشاء أول مجلس تشريعي في أمريكا الشمالية، تأثيراً كبيراً على مؤسسات المستعمرات اللاحقة. إذ يعود الفضل اليه في تثبيت هكذا نوع من الحكومات، وما رافقها من ضمانات خاصة بحقوق وحريات الناس في امريكا الشمالية الى تجارب فرجينيا.

في جيمس تاون التقت ثقافات ثلاث قارات معاً، وعملت جنباً إلى جنب مع بعضها البعض، وحاربت بعضها البعض (في وقت لاحق)، لتنتج نمط حياة جديدة في نهاية المطاف، وكانت عملية

طويلة وقاسية، تخللتها تشريد للسكان الاصليين (الهنود)، وخلق مؤسسة الرق والعبودية. وكافحت هذه العرقيات لخلق أمة جديدة تشكلت مع التنوع الثقافي، ولربما تُعد هذه الخاصية واحدة من الخصائص المميزة لهذه الامة. وبدأت في فرجينيا المشاريع الحرة، وظهرت الملكية الخاصة، وشهدت حراكاً اجتماعياً واقتصادياً. ففي عام ١٦١٩، تم اتخاذ اولى الخطوات نحو حكومة تمثيلية، لتضع بدورها الحجر الأساس لدستور الولايات المتحدة.

المصادر والهوامش:

(1) George Park Fisher, The Colonial era, New York, 1895, p.30.

(٢) يذكر ان عرش انكلترا انتقل الى آل ستيوارت بناءً على وصية الملكة (الزابيث)، وذلك لعدم وجود من يرثها، نتيجةً لعزوفها عن الزواج. ومع اتحاد التاجين استمر العمل بوجود حكومتين منفصلتين لكل من انكلترا واسكتلندا حتى عام ١٧٠٧، حينما صادق برلمان الاخيرة على معاهدة الوحدة بينهما، واصبح يمثل اسكتلندا في البرلمان خمسة واربعون نائباً. وبهذا الاتحاد اصبح يطلق عليهما بريطانيا، وبقيّة هذه التسمية الرائجة الى يومنا هذا بالنسبة لانكلترا. ينظر: تشارلز وماري بيرد، تاريخ الولايات المتحدة الامريكية، ج ١، دمشق، ١٩٦٠، ص ١٣؛ هنري بامفورد باركيز، تاريخ الولايات المتحدة الامريكية: تمدد اوربا (المرحلة الممهدة لاكتشاف العالم الجديد) حتى نمو المثالية الاجتماعية ١٤٩٢-١٨٥٠، ترجمة وتعليق: علي البديري، مراجعة: بيداء محمود احمد، بغداد، ٢٠١٣، ص ٥٤.

(٣) جيمس الاول: ولد في ١٩ حزيران ١٥٦٦، بأدنبرة في اسكتلندا. وهو الابن الوحيد لملكة اسكتلندا (ماري ستيوارت) Mary Stuart، ابنة الملك (هنري الثامن)، التي حكمت للمدة ١٥٤٢-١٥٦٧، باسم (ماري الاولى). وعُرف منذ ٢٤ تموز ١٥٦٧ باسم (جيمس السادس)، بعد تنازل امه عن العرش، والتي اعدمت في عام ١٥٨٧. بقيّ العوبة بيد المتنافسون وقادة الحركات طوال فترة الوصاية وما بعدها. شغل العرش الانكليزي للمدة ٢٤ آذار ١٦٠٣ لغاية ٢٧ آذار ١٦٢٥، باسم (جيمس الاول). عُرف بتأييده للحكم الملكي المطلق، المستند الى نظرية الحق الالهي، ولم يعط البرلمان سلطة تشريع القوانين، واصدارها، وفرض الضرائب وقد اثار تبرم النبلاء الجدد، والبرجوازية، والبرلمان من سياسته الداخلية والخارجية حتى وفاته عام ١٦٢٥. ينظر:

- The New Encyclopedia Britannica, Vol.6, London, 1980, p.481.

(4) Oscar Theodore Bark and Hugh Talmge Lefler, Colonial America, New York, 1958, p.35.

(٥) عبد الفتاح حسن ابو عليّة، تاريخ الامريكيتين والتكوين السياسي للولايات المتحدة الامريكية، الرياض، ١٩٨٧، ص ١٨.

(٦) تشارلز وماري بيرد، المصدر السابق، ص ص ١٢-١٣.

(٧) Oscar Theodore Bark and Hugh Talmge Lefler, op.cit, p.36.

(٨) Robert Beverley, The History of Virginia: In Four Parts, Richmond, 1855, p.16.

(٩) I bid, p.18.

(١٠) Oscar Theodore Bark and Hugh Talmge Lefler, op.cit, p.36.

(١١) مسودة الميثاق وضعت من قبل السير (جون بوفام) Sir John Popham، بينما أنيطت كتابته لرجل القضاء الشهير، السير (ادوارد كوك) Sir Edward Coke. ينظر:

- I bid, p.36.

(١٢) Emma Willard , History of the United States: or Republic of America, New York, 1852, p.20; op.cit, p.32; Henry Steele Commager, Documents of American History, New York, 1944, p.8.

(١٣) George Park Fisher, op.cit, p.p.33-34; Merle Burke, United States History: The growth of our land, Chicago, 1961, p.21;

ستيفن فنسنت بنيه، امريكا، ترجمة: عبد العزيز عبد المجيد، القاهرة، ١٩٤٥، ص ١٤.
للمزيد عن الميثاق ينظر:

- Henry Steele Commager, op.cit, p.p.8-10;

تشارلز وماري بيرد، تاريخ الولايات المتحدة الامريكية، ج ٢، دمشق، ١٩٦٠، ص ٣١٣-٣١٤.

(١٤) Oscar Theodore Bark and Hugh Talmge Lefler, op.cit, p.35.

(١٥) Mary G. Kelty, The Story of the American People, New york, 1952,p.113;

فرانكلين أشر، موجز تاريخ الولايات المتحدة، ترجمة: مهيبه مالكي الدسوقي، القاهرة، ١٩٥٤، ص ١٦-١٥.

(١٦) Mary G. Kelty, op.cit,p.113.

(١٧) مقتبس في: فرانكلين أشر، المصدر السابق، ص ١٧.

(١٨) Susan F. Martin, A Nation of Immigrants, New York, 2011, p.3.

- (19) Oscar Theodore Bark and Hugh Talmge Lefler, op.cit, p.37; Merle Burke, United States History: The growth of our land, Chicago, 1961, p.21.

(٢٠) فرانكلين أشر، المصدر السابق، ص ١٦.

- (21) Oscar Theodore Bark and Hugh Talmge Lefler, op.cit, p.37.

- (22) Merle Burke, op.cit, p.21.

- (23) Oscar Theodore Bark and Hugh Talmge Lefler, op.cit, p.37.

- (24) I bid, p.p.37-38; Merle Burke, op.cit, p.21.

- (25) Oscar Theodore Bark and Hugh Talmge Lefler, op.cit, p.38.

(٢٦) فرانكلين أشر، المصدر السابق، ص ١٦.

(٢٧) ليس كل العدد اعلاه من المستوطنين، اذ يتفق احد الباحثين مع عدد من المؤرخين بان المستوطنين كان عددهم مائة وخمسة فقط، وتسعة وثلاثون بحاراً كانوا يشكلون طاقم السفن الثلاث. ويذكر ايضاً بان نصف عدد المستوطنين كانوا سادة، وضمت الرحلة ايضاً ثمانية عمال، واربعة نجارين، واثنين من عمال البناء، واثنين من الجراحين، وواعظ، وحداد، وخياط، وحلاق، وعازف درامز، واربعة اولاد. ولم تضم هذه الرحلة اي امرأة. ينظر:

- Ainsworth Rand Spofford, Virginia hundred years age, Records of the Columbia Historical Society, Vol.11, historical society of Washington D.C., 1908, p.103.

(٢٨) جون سمث: جندي ومغامر انكليزي، ولد عام ١٥٨٠. عمل في صباه لدى احد التجار، وعندما بلغ الخامسة عشر عاماً تخلى عن عمله، ليعيش حياة مليئة بالمغامرات. سافر الى العديد من الدول. والتحق بجيش امبراطور النمسا، وجرح في احدى المعارك مع الاتراك، التي وقع على اثرها في الاسر، واستطاع ان يهرب من اسره الى روسيا. تجول بعدها في العديد من الدول الاوربية، وزار المغرب. في عام ١٦٠٤ عاد الى انكلترا، وبدأ يتقرب ويتزلف الى التجار الذين كانوا حينها ينظمون حملة شركة لندن الى فرجينيا، وتم التعاقد معه كمرتزق. وبعد عودته من فرجينيا عام ١٦٠٩، ابصر الى العالم الجديد مرتين في خدمة شركة بليموث، الاولى عام ١٦١٤ كانت لتعيين الخط الساحلي للمنطقة التي أطلق عليها اسم انكلترا الجديدة New England، والثانية، عام ١٦١٥، استولى عليها القراصنة، وتمكن من الهرب منهم. ألف العديد من الكتب، منها: خارطة فرجينيا ١٦١٢ مع شرح البلد، والتاريخ العام لفرجينيا، وانكلترا الجديدة، وجزر الصيف. توفي عام ١٦٣١. للمزيد ينظر:

- Salma Hale, History of the United States: from their first Settlement as colonies to the close of the war with great Britain in 1815, London, 1827, p.p.13-14; Allen Weinstein and David Rubel, The Story of America: Freedom and form settlement to super power, New York, 2002, P.39.

(29) Quoted in: Salma Hale, op.cit, p.14; George Park Fisher, op.cit, p.p.34-35.

(30) George Park Fisher, op.cit, p.35.

(31) Salma Hale, op.cit, p.13.

(32) كريستوفر نيوبورت: بحار انكليزي استحق الشهرة بسبب رحلاته العديدة. كلفه مجلس شركة لندن بأن يكون قائداً ومسؤولاً عن جميع السادة والجنود والبحارة وغيرهم من الأشخاص المتوجهين الى فرجينيا. قاد خمس رحلات منفصلة إلى فرجينيا، ١٦٠٧-١٦١١، وأخرى الى جزر الهند الشرقية. رُفِعَ إلى رتبة أميرال. وعُرفنا لما قدمه هذا البحار خلدت مدينة مزدهرة في فرجينيا اسمه، وهي مدينة نيوبورت نيوز City of Newport News. ينظر:

Ainsworth Rand Spofford,

- op.cit, p.104.

(33) Salma Hale, op.cit, p.13; George Park Fisher, op.cit, p.34.

(34) George Park Fisher, op.cit, p.p.34-35.

(35) Robert Beverley, op.cit, p.19; Salma Hale, op.cit, p.14.

(36) Salma Hale, op.cit, p.p.14-15.

(37) أُشيعَ عند اغلب الباحثين، ان (٣٩) تسعة وثلاثون رجلاً لقوا حتفهم في هذه الرحلة. لكن بدا واضحاً ان هذا العدد ما هو إلا عدد البحارة الذين اقلوا راجعين - فيما بعد - الى بلادهم مع (نيوبورت)، كما اشرنا سابقاً. ويذهب الى ذلك احد الباحثين العراقيين من خلال تحفظه على موت العدد اعلاه. وهذا لربما يؤيد لنا عدم تسجيل اي حالة وفاة في تلك الرحلة. ينظر: عبد الله حميد العتابي، قصة ظهور امريكا: التطورات الداخلية في المستعمرات الامريكية (١٦٠٧ - ١٧٧٤)، بغداد، ٢٠١٠، ص ٢٦.

(38) Robert Beverley, op.cit, p.20; Oscar Theodore Barck and Hugh Talmage Lefler, op.cit, p.38.

(39) Mary G. Kelty, op.cit, p.115.

(٤٠) قُدِّرَ لهذا الموقع ان يكون له شأناً رفيعاً ودوراً بارزاً في مجريات أحداث امريكا الشمالية في تاريخها الحديث. إذ وردت في دليل تاريخي صادر عن ولاية فرجينيا الامريكية قبل أكثر من مئة عام، العبارة التالية: "إذا كان الشرق البعيد لديه مكة (المكرمة)، وفلسطين لديها قُدسها، وفرنسا لديها مدينة لورديس، وايطاليا لديها مدينة لورتو، فان امريكا ليس لديها سوى مدينة جيمس تاون كمركز تاريخي ومقام للبطولة". ينظر: جريدة الشرق الاوسط، لندن، العدد ١٠٣١٤، ٢٣ شباط ٢٠٠٧.

(41) Salma Hale, op.cit, p.14; George Park Fisher, op.cit, p.35.

(42) Robert Beverley, op.cit, p.20.

(43) Salma Hale, op.cit, p.14; Oscar Theodore Barck and Hugh Talmage Lefler, op.cit, p.38.

(44) Quoted in: Oscar Theodore Barck and Hugh Talmage Lefler, op.cit, p.38.

(45) Salma Hale, op.cit, p.17; Ainsworth Rand Spofford, op.cit, p.106.

(46) Salma Hale, op.cit, p.17.

(47) Oscar Theodore Barck and Hugh Talmage Lefler, op.cit, p.39.

(48) Mary G. Kelty, op.cit, p.115.

(49) George Park Fisher, op.cit, p.p.38-39; Oscar Theodore Barck and Hugh Talmage Lefler, op.cit, p.39.

(50) Oscar Theodore Barck and Hugh Talmage Lefler, op.cit, p.39.

يذكر ان شركة لندن كان لديها علم مسبق (من خلال تجربة رونوك) بانه من الاسلام لها ان تكسب ودّ ذلك الاتحاد القبلي، الذ كان يضم بين ثناياه العديد من القبائل الهندية، وذلك من خلال التعامل معه بالحُسنَى. للمزيد ينظر:

- Mery K. Geater and W. A. Speck, Colonial America from James town to york town, New York, 2002, p.41.

(51) Ainsworth Rand Spofford, op.cit, p.113; George Park Fisher, op.cit, p.38.

(52) Oscar Theodore Barck and Hugh Talmage Lefler, op.cit, p.39.

(53) George Park Fisher, op.cit, p. 38.

(٥٤) لا توجد دلائل تاريخية تشير الى اعدام (ريد)، لربما استبعد فيما بعد عن المستوطنة ولم يعدم.

(55) George Park Fisher, op.cit, p.36; Ainsworth Rand Spofford, op.cit, p.p.103-104; Oscar Theodore Barck and Hugh Talmage Lefler, op.cit, p.40.

(56) Oscar Theodore Barck and Hugh Talmage Lefler, op.cit, p.40.

(٥٧) يذكر انه كان مع (سمث) اثنان من الانكليز، واثنان من الادلاء الهنود. ينظر:

- John Esten Cooke, Virginia a history of the People, New York, 1883, p.34.

(58) Salma Hale , op.cit, p.p.16-17.

(59) George Park Fisher, op.cit, p.37.

(60) I bid, p.37.

(61) Salma Hale, op.cit, p.p.17,19; John Esten Cooke, op.cit, p.35.

(62) Oscar Theodore Barck and Hugh Talmage Lefler, op.cit, p.p.40-41.

(63) I bid, p.41; Merle Burke, op.cit, p.23.

(64) John M. Blum and others, the National Experience: a history of the United States to 1877, Vol.1, New York,1973, p.12.

(65) Quoted in: Mary G. Kelty, op.cit, p.117.

(66) John M. Blum and others, op.cit, p.13.

(67) Oscar Theodore Barck and Hugh Talmage Lefler, op.cit, p.41.

(68) George Park Fisher, op.cit, p.38.

(69) Oscar Theodore Barck and Hugh Talmage Lefler, op.cit, p.41.

(70) I bid, p.20; Mary G. Kelty, op.cit, p.118.

(71) Merle Burke, op.cit, p.23.

(72) Mary G. Kelty, op.cit, p.118.

(73) John M. Blum and others, op.cit, p.13.

(74) Oscar Theodore Barck and Hugh Talmage Lefler, op.cit, p.41.

(75) Quoted in: Jeanne Boydston and others, op.cit, p.38.

(76) Henry Steele Commager, op.cit, p.p11-12.

- (77) Oscar Theodore Barck and Hugh Talmage Lefler, op.cit, p.41.
- (78) Merle Burke, op.cit, p.23.
- (79) Oscar Theodore Barck and Hugh Talmage Lefler, op.cit, p.p.41-42..
- (80) George Park Fisher, op.cit, p.39; Oscar Theodore Barck and Hugh Talmage Lefler, op.cit, p.42.
- تقع نقطة الراحة عند مدخل خليج تشيزابيك. واطلقت هذه التسمية على هذا الموقع من قبل المستوطنين وبحارة السفن الثلاث المتعبين، وذلك عندما رست سفنهم للاستراحة من الرحلة الشاقة، وكان ذلك في السادس والعشرين من نيسان عام ١٦٠٧. ينظر:
- Oscar Theodore Barck and Hugh Talmage Lefler, op.cit, p.37.
- (81) Robert A. Divine and others, America Past and Present, New York, 1998, p.27; Henry J. Sage, U.S History I: United States history 1607-1865, Virginia, 2010, p.23.
- (82) Jeanne Boydston and others, op.cit, p.39.
- (83) Merle Burke, op.cit, p.23.
- (84) Paul Johnson, op.cit, p.25.
- (85) Oscar Theodore Barck and Hugh Talmage Lefler, op.cit, p.42.
- (86) Jeanne Boydston and others, op.cit, p.39.
- (87) Salma Hale, op.cit, p.20; Oscar Theodore Barck and Hugh Talmage Lefler, op.cit, p.p.42-43; Paul Johnson, op.cit, p.25.
- (88) Robert A. Divine and others, op.cit, p.27.
- (89) Salma Hale , op.cit, p.21; Mary G. Kelty, op.cit, p.118.
- (90) Paul Johnson, a history of the American people, New York, 1997, p.26; Nicholas Guyatt, Providence and the Invention of the United States, 1607-1876, New York,2007, p.21.
- (91) Salma Hale, op.cit, p.21; Ainsworth Rand Spofford, op.cit, p.112; Oscar Theodore Barck and Hugh Talmage Lefler, op.cit, p.43.

(٩٢) يُذكر ان (ديلاور) وصف موقع المستعمرة بأنه مكان غير سليم ومثير للاشمئزاز.

ينظر: - Ainsworth Rand Spofford, op.cit, p.106.

(٩٣) Keith A. Donahoe, Assurance and Frustation: From Ireland and the Netherlands to Jamestown, A Thesis Submitted to the Faculty of the Graduate School of the University of Louisville in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Arts, University of Louisville, 2010, p.31.

(٩٤) عُرفت أيضاً هذه القوانين باسم "قوانين ديل"، نسبة الى المارشال السير (توماس ديل) Thmas Dale، الذي احضر معه مجموعة من القوانين العُرفية القاسية كان قد طبقها في هولندا. ضمت هذه القوانين اكثر من عشرين جريمة عقوبتها الاعدام، من بينها التحدث بالسوء على الثالث المقدس، وتدنيس اسم الرب، والاستهزاء بالانجيل، وعدم احترام المسؤولين في السلطة. اما عقوبة الذي يمتنع عن حضور المراسيم الدينية، فكانت قطع جزء من حصص الطعام عند المخالفة الاولى، والجلد العلني في الثانية، والعمل الاجباري كمجذف في القادس - سفينة شراعية كبيرة ذات مجاذيف - عند المخالفة الثالثة. وعقوبات اخرى عديدة. كما لم يُسمح لاي شخص بالتجارة مع الهنود، او قتل الماشية، او الدواجن، او تدمير المحاصيل، او مغادرة المستعمرة بدون رخصة من السلطات. على اثر ذلك اعتبر البعض حكم ديل استبدادي. ينظر:

- George Park Fisher, op.cit, p.41; Oscar Theodore Barck and Hugh Talmage Lefler, op.cit, p.p.44-45.

(٩٥) Quoted in: Jeanne Boydston and others, op.cit, p.39.

(٩٦) Robert A. Divine and others, op.cit, p.27.

(٩٧) Merle Burke, op.cit, p.23.

(٩٨) Jeanne Boydston and others, op.cit, p.40.

(٩٩) أقبل المستوطنون على زراعة التبغ، بسبب الطلب الكبير عليه في الاسواق الاوربية، الامر الذي يؤمن ربحاً كبيراً. كما ان زراعة التبغ، عند صرف نفس الجهد والمال، كانت تعطي ربحاً اكثر بست مرات من زراعة الحبوب. ينظر: هاشم صالح التكريتي، مقدمة في تاريخ الولايات المتحدة الامريكية الحديث: من الاكتشاف الى الاستقلال، بغداد، ٢٠١٣، ص ٩٢.

(١٠٠) Oscar Theodore Barck and Hugh Talmage Lefler, op.cit, p.43.

(١٠١) I bid, p.p.43-44.

للمزيد عن ميثاق ١٦١٢ ينظر:

- Henry Steele Commager, op.cit, p.p12-13.

(102) Jeanne Boydston and others, op.cit, p.40.

(103) Salma Hale, op.cit, p.22.

(104) George Park Fisher, op.cit, p.41.

(١٠٥) صامويل آرغال: قبطان قاسي ومتعجرف. ارسل من قبل (دليل) عام ١٦١١ باتجاه الشمال لتدمير مستوطنات الفرنسيين التي اعتبرت داخل حدود مستعمرة فرجينيا. وفي السنة التالية، قاد حملة أخرى احرق خلالها المنازل المهجورة في تلك المناطق. وفي عام ١٦١٣، ارسل على رأس حملة ثالثة لابعاد الفرنسيين من المستوطنات المحاذية للحدود الشمالية للمستعمرة. وفي طريق العودة، بعد ان انجز الهدف من الحملة، مرَّ بمستوطنة التجارة الهولندية في نهر هدسون Hudson River، واعلن حاكمها خضوعه لملك انكلترا. ينظر:

- Salma Hale, op.cit, p.22; George Park Fisher, op.cit, p.p.41-42.

(106) Charles Campbell, Introduction to the history of the Colony and Ancient dominion of Virginia, Richmond, 1847, p.40; Paul Johnson, op.cit, p.26.

(107) Robert Beverley, op.cit, p.28; Paul Johnson, op.cit, p.26.

(108) Robert Beverley, op.cit, p.p.28-29; Salma Hale, op.cit, p.22.

(109) Ainsworth Rand Spofford, op.cit, p.119; Paul Johnson, op.cit, p.26.

(١١٠) الأكر: وحدة لقياس المساحة تساوي ٤٨٤٠ ياردة مربعة، اي ما يعادل ٤٠٠٠ متر مربع. ينظر: هنري بامفورد باركيز، المصدر السابق، ص٨٨.

(111) Jeanne Boydston and others, op.cit, p.40.

(112) Oscar Theodore Barck and Hugh Talmage Lefler, op.cit, p.46.

(113) George Park Fisher, op.cit, p.42.

(114) Robert A. Divine and others, op.cit, p.28.

(115) Jeanne Boydston and others, op.cit, p.40.

(116) Oscar Theodore Barck and Hugh Talmage Lefler, op.cit, p.46.

(117) Jeanne Boydston and others, op.cit, p.41.

(118) Robert A. Divine and others, op.cit, p.28.

(119) Jeanne Boydston and others, op.cit, p.41.

(120) George Park Fisher, op.cit, p.43.

(121) Oscar Theodore Barck and Hugh Talmage Lefler, op.cit, p.47; Jeanne Boydston and others, op.cit, p.41.

(122) Salma Hale, op.cit, p.p.23-24; George Park Fisher, op.cit, p.44.

(123) Robert Beverley, op.cit, p.37; John Esten Cooke, op.cit, p.124; Thomas L. Purvis, Almanacs of American life: Colonial America to 1736, New York, 1999, p.326.

(124) George Park Fisher, op.cit, p.42; Oscar Theodore Barck and Hugh Talmage Lefler, op.cit, p.48; Jeanne Boydston and others, op.cit, p.41.

(125) Jeanne Boydston and others, op.cit, p.42.

(١٢٦) عبدالله حميد العتابي، المصدر السابق، ص ٣١.

(127) John Esten Cooke, op.cit, p.p.124-125.

(١٢٨) فرانسيس وايت: وهو من عائلة انكليزية مرموقة، تزوج من ابنة السير ادوين سانديز شقيق السير جورج سانديز صاحب اكبر اسهم في شركة فرجينيا. حكم فرجينيا مرتين، الاولى (١٦٢١-١٦٢٦)، والثانية (١٦٣٩-١٦٤٢). عزله الملك شارل الاول (١٦٢٥-١٦٤٩) عام ١٦٤٢، لتردي حالته الصحية وكبر سنه. مات عام ١٦٤٤، ودفن في فرجينيا. ينظر: كفاح احمد محمد، التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في جيمس تاون وقيام انتفاضة ناثنيل بيكون ١٦٧٦، مجلة الاداب، العدد (١١٠)، بغداد، ٢٠١٤، ص ٣٨٨.

(129) George Park Fisher, op.cit, p.44.

(130) Jeanne Boydston and others, op.cit, p.42.

(131) Joseph Emerson, Questions and Supplement to goodrichs history of the United States, Boston, 1850, p.40; Jeanne Boydston and others, op.cit, p.42.

(132) Allen Weinstein and David Rubel, op.cit, p.48.

(133) Henry J. Sage, op.cit, p.24.

(134) Jeanne Boydston and others, op.cit, p.42.

(135) George Park Fisher, op.cit, p.42; Oscar Theodore Barck and Hugh Talmage Lefler, op.cit, p.46.

(١٣٦) عبدالله حميد العتابي، المصدر السابق، ص ٣٠.

(137) George Park Fisher, op.cit, p.p.46-47; Oscar Theodore Barck and Hugh Talmage Lefler, op.cit, p.p.46,51.

(138) George Park Fisher, op.cit, p.46.

(139) Jeanne Boydston and others, op.cit, p.42.

(١٤٠) الباوند: وحدة لقياس الاوزان، وتساوي رطل انكليزي، اي ما يعادل (٤٥٣) غراماً. ينظر: هنري بامفورد باركيز، المصدر السابق، ص ٨٧.

(141) George Park Fisher, op.cit, p.46.

(142) Merle Burke, op.cit, p.24.

يرى احد الباحثين ان موضوع خسارة الشركة ما هو إلا تلاعب اصحاب الشركة انفسهم في حسابات سجلات الشركة، الغير خاضعة لاي رقابة حكومية، بهدف التهرب من دفع الضرائب الكبيرة للملك، الامر الذي دفع الملك الى الغاء الرخصة رغبة منه في الاستحواذ على اكبر قدر من الاموال. ينظر: كفاح احمد محمد، المصدر السابق، ص ص ٣٨٧-٣٨٨.

(143) Oscar Theodore Barck and Hugh Talmage Lefler, op.cit, p.p.51-52.

(144) George Park Fisher, op.cit, p.46.

(145) Keith A. Donahoe, op.cit, p.31.

(146) John Esten Cooke, op.cit, p.p.130-131.

(147) Oscar Theodore Barck and Hugh Talmage Lefler, op.cit, p.52.

(148) John Esten Cooke, op.cit, p.132.

(149) Henry J. Sage, op.cit, p.24.

(١٥٠) هاشم صالح التكريتي، المصدر السابق، ص ٧٩.

(151) Oscar Theodore Barck and Hugh Talmage Lefler, op.cit, p.52.

(152) Jeanne Boydston and others, op.cit, p.43.

(153) Keith A. Donahoe, op.cit, p.35.

الإجراءات المتخذة لحماية الموروث الحضاري الرافديني

عباس عبد منديل

أ.د نواله أحمد محمود المتولي

أ.م.د لى عبد الباقي محمود

الإجراءات المتخذة لحماية الموروث الحضاري الرافديني

عباس عبد منديل

أ.د. نواله أحمد محمود المتولي

أ.م.د. لمي عبد الباقي محمود

يعني مفهوم الحماية تحديداً بأنه، سائر الإجراءات الضرورية المتخذة ضمن نظام وقاية شامل لضمان سلامة التراث الثقافي المادي عند سائر المخاطر التي يتعرض لها^(١)، وأن فكرة حماية الموروث ومنذ بداياتها قطعت شوطاً طويلاً لكي تصل الى مستوى الأنظمة الحديثة، فالمنجزات الإنسانية الحالية هي نتيجة تراكمات مدة زمنية طويلة، وأن مصطلح الحماية يتعدى مفهوم الحفاظ على هذه المفاهيم، ويتضمن المزيد من التدابير التي تعزز دراسة الموروث وتطوير النشاط الإبداعي من طرق علمية وفنية^(٢).

أولاً: إجراءات الحماية ضمن المفهوم القديم

يظهر أن إجراءات الحماية للموروث الرافديني لم تكن وليدة الصدفة، بل نتجت عن دراسة وتحليل وتقييم لما انتجه الفكر الرافديني، ووضع المفاهيم والأسس الصحيحة لمعالجة كل سلبية نتجت عنه، فقد عمدوا الى إتخاذ مختلف الأساليب للحد منها. وهي:

١ - التغليف

مما لاشك فيه، أن عملية التغليف من أجل حماية الأبنية من العوامل البيئية هي فكرة قديمة، فهناك إشارات عدّة الى قيام سكان بلاد الرافدين القدماء بهذا الإجراء من أجل حماية موروّثهم. فقد قاموا بتغليف المباني الدينية ومنها الزقورات بالآجر لعمل حماية للزقورة المبني باللبن، ولعل أبرز زقورة تم الحفاظ عليها هي زقورة (ننا) اله القمر في مدينة أور يتضح ذلك من خلال سمك جدران التغليف^(٣)، فقد غلفت الجدران السفلى منها بغلاف آجري بأرتفاع (٣٠ سم) ويبرز عن لب الزقورة بمسافة (٢٥ - ٧٥ سم)، مما يشكل ما يشبه الجدار الثاني حول الزقورة^(٤). (مخطط-١)

غلفت بعض الأبنية المهمة باللبن الصلد بدلاً من الآجر، كما هو الحال في تغليف زقورة الوركاء التي شيدها الملك أور نمو التي كرسّت للآلهة عشتار في حرم (أنانا) على أنقاض معابد أقدم^(٥). (صورة-١)

لقد ظهر أسلوب آخر في عملية التغليف ومن العصر البابلي القديم وذلك ببناء جدار ثانٍ حامٍ يصل ارتفاعه إلى متر أحياناً، وهو ما يطلق عليه بجدار (الكيسو) وذلك لحماية أسس البناء وتقوية قواعد الجدران من العوامل البيئية المؤثرة^(٦).

لقد قام الملك نبوخذنصر الثاني، بتغليف مصطبة زقورة بورسبا المبنية باللبن، إذ يذكر في نص له: (أنا نبوخذنصر رمت مصطبتها المشيدة باللبن وغلافها الآجري الذي تكسر ورفعت ما كان ساقطاً)^(٧).

مما لا شك فيه، لقد غُلف المعمار الآشوري المباني المهمة المبنية باللبن بالمواد المتوفرة، ومنها الحجر، ففي زقورة نمرود (كالح) استعمل حجر الحلان المشذب في تغليف الأجزاء السفلى منها في حين استعمل الآجر في الأجزاء العليا منها^(٨)، وغلفت أسفل جدران غرف قاعات القصور الآشورية بالألواح الجدارية، ففضلاً عن الهدف الأساس الخاص بتزيين جدران القاعات بمشاهد النحت البارز، إلا أنها في الوقت نفسه توفر حماية لأجزاء معلومة من جدران اللين وعلى وجه الخصوص السفلى منها نتيجة تعرضها لعمليات التنظيف والملامسة والإحتكاك، وحمايتها من تأثيرات المياه والعوامل الطبيعية^(٩)، كون أن الحجر يمتاز بصلابته ومقاومته للعوامل الطبيعية^(١٠). (شكل - ١)

غلفت بعض أسوار المدن ومنها سور مدينة آشور المبني باللبن بحجارة الكلس^(١١)، وكذلك برج بوابة شمش المشيدان باللبن، في حين غلف مدخل البوابة بالألواح الرخام^(١٢).

استعمل الآجر أيضاً في تغليف البناء المشيد باللبن للحفاظ عليه من مياه الأمطار والتأثيرات الجوية الأخرى^(١٣) وهذا ما نراه في استعماله في تشييد القصور والابنية المعرضة للمياه، وعلى وجه الخصوص في العصر البابلي الحديث^(١٤). (شكل - ٢)

استعملت صفائح المعادن لتغليف الأخشاب أيضاً، في بعض المباني المهمة ومنها المعابد، ففي نص للملك نبوخذنصر الثاني حول بناء زقورة بابل وإستعماله لخشب الصنوبر القوي وتغليفها بالصفائح البرونزية^(١٥)، وأهتم الملك نبونائيد (٥٥٥-٥٣٩ ق.م) بإكمال بناء المعابد والزقورات في المدن المختلفة وتجديد المتهدم منها وتغليفها بالآجر ومنها زقورة أور^(١٦).

يظهر لنا أن إستمرارية هذا النوع من إجراءات الحماية ما زال قائماً، فقد سعت بعثات التنقيب والصيانة إلى إيجاد أفضل السبل العلمية الممكنة في عمليات معالجة وحدات بنائية مهمة من أجل صون واجهاتها الخارجية.

٢- التحشية:

توصل سكان بلاد الرافدين القدماء أيضاً الى أسلوب آخر من أجل حماية مبانيهم من عوامل التلف المختلفة وهو التحشية، وأن أقدم دليل الى ذلك، هو قيامهم بتحشية المصاطب^(١٧) التي تقام عليها المعابد، ولعل أقدمها معابد مدينة أريدو من عصر العبيد، وكذلك في موقع قالينج آغا والتي تعود الى الطبقة الرابعة من عصر الوركاء، إذ ملء بدنّها بالأتربة النظيفة والممزوجة بكسر الفخار^(١٨)، أو تملأ بمداميك من الطين غير المنتظم والخالي من الشوائب أو الممزوج بالتبن وكسر الفخار والحجر من أجل زيادة صلابتها وقدرة تحملها لثقل البناء، كما هو الحال في مصطبة المعبد الكلسي في الوركاء^(١٩).

كما لجأوا الى وضع فجوات أو ممرات وحجرات أو قنوات في لب المباني المهمة ومنها الزقورات وتحشيتها في أغلب الأحيان، ربما لتجفيف بدن الزقوراتي من الرطوبة أثناء عملية جفاف اللب^(٢٠)، فقد إستعملت في زقورة (كرانا) تل الرماح^(٢١)، فجوة صغيرة توسطت الزقورة تبلغ أبعادها (٤.٥ × ٣ م) وبعمق (٤ م) وقد ملئت بالتراب المخلوط بالشوائب وقد سقفت بقبو وبأرتفاع (١٠ م) ثم أكمل البناء الى قمة الزقورة^(٢٢). (مخطط- ٢)

٣- التأهيل

ظهر أن تأهيل العمائر تعدّ من أهم المعضلات التي تواجه الموروث الرافديني وعلى مر العصور وعلى وجه الخصوص ما يرافقها من قلة الخبرات وغياب مبادئ الحماية والحفاظ في هذا المجال، ولعل أقدم نموذج هو القيام بنقل أنقاذ الزقورة في مدينة بابل وبأمر من الأسكندر المقدوني لغرض إعادة بنائها بعد الدمار الذي حلّ بها نتيجة تخريبها من قبل الملك الفارسي (احشويرش)^(٢٣)، وبالفعل فقد تم رفع أنقاذها وأصبح موقعها في ذلك شبه خالياً، لكن الاسكندر توفي قبل المباشرة بإعادة البناء، فلم يهتم أحد من بعده بهذا المشروع^(٢٤)، ومما زاد الأمر سوءاً، ما قام به السراق من سرقة آجر هذه الزقورة، فقد تركت خندقاً مملوءاً بالمياه^(٢٥)، ربما أن هذا العمل يفسر لنا إندثار الزقورة وحصولنا على المعلومات عنها من المدونات التاريخية فقط دون العثور على دليل مادي^(٢٦)، بإستثناء بعض البقايا القليلة من الجزء الأسفل من الغلاف الخارجي المشيد بالآجر وكتلة مشيدة من اللبن مضلعة الشكل تبلغ حوالي (٨٥ م) طولاً وبأرتفاع حوالي (٩ م)^(٢٧).

٤- التسقيف:

يظهر أن سعي سكان بلاد الرافدين الى حماية موروّثهم من أثر العوامل بأشكالها كافة، تضمنت مختلف أنواع إجراءات الحماية ومنها عملية التسقيف، فالمواد التي كانت تستخدم في التسقيف تختلف بحسب توفرها في كل منطقة، فعملية التسقيف لبيوت المنطقة الشمالية يختلف عنه في المنطقة الجنوبية من بلاد لرافدين، لكن يظهر بشكل عام تستعمل الاخشاب وأغصان الأشجار للتسقيف^(٢٨)، إذ توضع هذه

الجنوع بأبعاد متساوية على جدارين متقابلين ثم توضع فوقها اغصان الاشجار وجذوعها وتغطي بحصير يفرش عليها الطين منعا لتسرب مياه الامطار الى داخل البيت^(٢٩)، ويضمن تصريف مياه الامطار بوساطة المزاريب الفخارية^(٣٠)، وقد استمر استعمال هذه المواد في التسقيف مع تغيرات يسيرة في اسلوب التسقيف او نوع جذوع الاشجار المستعملة، ويمكن ان نجد هذه الطريقة حتى الوقت الحاضر في الشمال والجنوب لمعظم الأبنية الريفية لبلاد الرافدين^(٣١). (صورة - ٢)

أن عملية التسقيف لم تتضمن سطوح المباني فقط، فقد تعدى ذلك المجالات الأخرى ومنها تسقيف الأعمال الفنية، كما هو الحال في منحوتة (شيروملكتا)^(٣٢)، إذ نقرت المنحوتة في الحجر على شكل محراب مستطيل وبارز من الأعلى بهيئة مظلة، وعملت حفر دائرية حول المحراب منقورة في الصخر بشكل هندسي منتظم، ويتراوح قطرها بين (٥٠) الى (٦٠) سم من المحتمل أنها كانت أماكن لإعمدة ركبت فيها لتحمل سقيفة لكي تحفظ المنحوتة من عوامل العبث وتخريب العوامل الجوية^(٣٣). كذلك ينطبق الحال في منحوتة تمثل الملك نرام سين في (فتحة دربندكاور) في محافظة السليمانية. (صورة - ٣)

٥- التصريف

لقد تنبه سكان بلاد الرافدين الى حماية عمائرهم من خطر تأثير المياه، يظهر ذلك من خلال استعمال مختلف الأساليب التي تحد من تدهور تلك المباني من جرائها، فقد استعملت المصاطب التي تقام عليها المعابد لحماية تلك المباني من خطر الفيضانات^(٣٤)، وتسيير إنسيابية تصريف المياه وعدم تجمعها داخل المعبد^(٣٥).

استعملت الجرار أيضاً في عملية التصريف، ففي معبد آنو (المعبد الأبيض) في مدينة الوركاء مثلاً، استعملت الجرار المفتوحة من القاع على شكل شريط يتكون من (٢-٤) صفوف على جدرانها ووضعت بشكل أفقي في لب المصطبة المبنية باللبن ويعتقد أنها استعملت للتهوية والتخلص من الرطوبة^(٣٦)، كذلك الحال فيما يتعلق بزقورة أور، إذ يتخلل بدنها ثقب أفقية تعمل كشبكة تهوية تمنع تجمع الرطوبة وللحفاظ على الجفاف الدائم للزقورة، كما أنها تقوم بسحب مياه الأمطار التي تسقط على سطح الزقورة ويمتصها البدن لتستخرج من هذه الثقوب^(٣٧). لقد أحتوت الطبقة السفلى من زقورة أور على طلعات ودخلات كانت أكبر الطلعات عن كل زاوية من زواياها التي أحتوى بعضها على قناة تصريف مياه الأمطار وقد شيدت من الآجر المكسو بالقار وبدرجة ميلان من الداخل الى الخارج لتسهيل عملية أنسياب المياه^(٣٨)، يظهر أن هذا التخطيط ينم على حس عالي بمفهوم الجمالية وعدم تشويه واجهة الزقورة بتلك مجاري التصريف. (مخطط - ١)

لقد إستعملت الاقنية الفخارية المدفونة تحت ارضية الغرف والحمامات لتصريف المياه. وكانت فوهة المجرى تسد بشبكة من الفخار لمنع دخول الحيوانات وربما للصصوص أيضاً^(٣٩).

إستعملت (الأنابيب الفخارية) أيضاً في نقل المياه دون أن تسمح بتسرب المياه منها^(٤٠)، وتعمل أيضاً على تصريف مياه الامطار بعيداً عن السقوف والجدران وطرحها إلى الخارج، كما هو الحال في قصر جمدة نصر (المبنى الإداري) العائد الى العصر الشببي بالكتابي، إذ صنعت هذه المزاريب من الطين المفخور على شكل قطع منفصلة طول الواحدة منها ٤٥ سم تم ثقب نهايتها الضيقة من اجل تثبيت الواحدة مع الأخرى او لتثبيتها على سطح المبنى^(٤١)، وإستعملت أيضاً في القصر المزدوج في مدينة أريدو (تل أبو شهرين)^(٤٢) والذي ربما يعود الى اواخر عصر فجر السلالات الثاني وبدايات العصر الثالث، إذ تميز بوجود نظام جيد ومتميز لتصريف المياه الثقيلة والزائدة، فقد كُشِفَ عن مجرى مركزي عمودي (بالوعة)، وذلك باقامة عدة جرار كبيرة تقوم الواحدة فوق الاخرى بعد ان يتم ثقب قواعدها لإنسياب المياه، مع تغطية فوهتها ببناء كبير عند قمة المجرى، وقد ارتبطت هذه المجاري مع بعضها من خلال قناة أو مجرى أفقي، بوساطة أنابيب فخارية، تم تغطيتها بالواح من الحجر الكلسي، أمتدت تحت أرضية عتبات مداخل الغرف والى الساحة والغرف الامامية ومنها الى خارج القصر من تحت ارضية المدخل الشمالي الرئيس^(٤٣).

عثر على مجاري تصريف وسط تباليط شوارع بعض المدن العائدة الى العصر الأكدي كموقع (تبة كورا)^(٤٤)، وهي تتألف من خطين متوازيين من قطع حجارة مستوية مصفوفة ومغطاة بقطع حجارة اخرى، وعثر على ما يماثلها في موقع تل أسمر^(٤٥) والعائدة لنفس العصر^(٤٦)، كما تم الكشف في موقع بزيخ^(٤٧) والذي أستوطن منذ أواخر عصر السلالات السومرية وحتى العصر البابلي القديم، عن صف من الأنابيب الفخارية المتداخلة مع بعضها وأن لكل أنبوب قطران أحدهما اكبر من الآخر وتم إدخال الطرف الضيق من الأنبوب في الطرف الأوسع من الأنبوب الآخر بشكل متوالي^(٤٨). (صورة - ٤)

أشار الرحالة نيبور^(٤٩) (Karsten Niebhr) في رحلته سنة (١٧٦١-١٧٦٧ م)، في وصفه لزقورة بورسبا بوجود قنوات أفقية تخترق البدن من جهة الى أخرى لغرض دخول الهواء ومنع تكون الرطوبة في هيكل البناء^(٥٠).

٦-التحصين

مما لاشك فيه، كان لوسائل التحصين دور مهم في حفظ الكثير من المدن الرافدينية القديمة وما تضمه من مباني ذات أغراض متعددة، ومن تلك التحصينات (الأسوار) التي كانت تحيط بالمدن نفسها أو تلك التي تحيط بالوحدات البنائية المهمة (كالدينية والرسمية).

لقد أظهرت التنقيبات الأثرية أن سكان القرى الأولى في بلاد الرافدين كانوا يعيشون في مجموعات صغيرة، وكانت المنازل هذه متصلة مع بعضها بعض بشوارع متوازية^(٥١)، وأن بعض من هذه القرى كان محاط بتحصينات دفاعية مهمة كالخنادق والأسوار^(٥٢)، وقد عرفت أهميتها في تحصين المستوطنات وتقوية دفاعاتها منذ الألف التاسع ق.م، وعثر على أقدم أشكالها في قرية أريحا^(٥٣)، أما أقدم سور في بلاد الرافدين، فهو في تل الصوان ويعود إلى الألف السادس-الخامس ق.م^(٥٤)، وتمتاز التحصينات بضخامتها ومثانة مواد بنائها كما هو الحال لتحصينات مدينة شادوبم (تل حرمل)^(٥٥)، ويعد الجانب الأمني من أهم الأسباب التي أدت إلى إنشاؤها^(٥٦). (شكل ٣-)

سوّرت بعض المباني الدينية بسور كما هو الحال في زقورة الوركاء، أو وجود أسوار تحيط بمنطقة معينة ضمن المدينة، كالسور المقدس (التيمنوس) الذي يضم داخله معابد من حقب مختلفة ويحيط بسور الزقورة الآنف الذكر^(٥٧).

كذلك أسوار مدينة نينوى من العصر الآشوري الحديث التي تتميز بضخامتها وأنتظامها وبروزها عن وجه السور، ووظيفتها تدعيم السور للنقوية والدفاع، وهي منفذة بطريقة الإنحدار التدريجي نحو الداخل (السبط)^(٥٨).

لقد سعى سكان بلاد الرافدين لإختيار مواقع المدن فوق روابي طبيعية محمية من خطر الفيضانات كاختيار موقع مدينة أريدو جنوب بلاد الرافدين^(٥٩).

يظهر أن تلك الإستحكامات، أسهمت في حماية الموروث الرافديني من خلال الوظيفة التي أنشئت من أجلها، فالأسوار مثلاً حافظت على المنجزات الحضارية من التخريب المتعمد نتيجة الغزوات العسكرية على مواقع المدن قديماً وكذلك نلاحظ أنها أسهمت في درء خطر بعض الظواهر الطبيعية وعلى وجه الخصوص الفيضانات وإرتفاع مناسيب المياه، إذ تشكل سداً منيعاً يقي المدن من الانجراف مع السيول المدمرة.

٧- التدعيم.

يظهر أن سكان بلاد الرافدين قد توصلوا قديماً إلى إبتكار وسائل تدعيم عدّة، من أجل حماية مبانيهم فيما يتعلق بالجانب العماري. ويبدو أن بعض العناصر المعمارية كانت أحد الأسباب المهمة في حفظ المورث الرافديني، فقد ظهرت تلك العناصر المعمارية في مواقع كثيرة ومنها على سبيل المثال، موقع تل حسونة، فقد كشف في الألف السادس قبل الميلاد وفي الطبقة الرابعة من تل حسونة^(٦٠)، وأن البيوت البدائية كانت تدّعم جدران غرفها من الداخل بطلعات والتي تقوم بدعم البناء وتقويته وحمل ثقل السقف^(٦١)، وظهرت هذه الطلعات في الطبقة (١، ٢) من تل الصوان وكانت وظيفتها كركائز للربط بين الجدران والحد من دفع الجدران إلى الخارج مما يزيد من قوة البناء^(٦٢)، أو لإعطاء الجدران قوة اضافية

سائدة والتقليل من حدة العوامل والمؤثرات الطبيعية من رياح وأمطار والتخفيف من أشعة الشمس على واجهات المباني أثناء فصل الصيف^(٦٣). (شكل - ٤)

قد تلتصق تلك الدعائم بالجدار من الداخل أو الخارج، كما يظهر من عدم انتظام المسافات بين تلك الدعائم نتيجة التفاوت في التصاق الجدران الداخلية بالخارجية في عدة نقاط، مما يظهر عدم إهتمام سكان بلاد الرافدين بتقوية بيوتهم أكثر من إهتمامهم بمظهرها الخارجي^(٦٤)، وقد عدّت تلك الطلعات البداية الاولى لنشأة الأبراج^(٦٥). وربما يظهر لنا بداية التفكير في الحفاظ على عمائرهم أطول مدة ممكنة. (مخطط-٣)

كان ظهور الأبراج لأول مرة في تل الصوان^(٦٦) بشكله المألوف ووظيفته المعروفة في دعم الجدران الخارجية أو في إسناد الأسوار^(٦٧)، كما تميزت البروج الدفاعية في مدينة أور والتي تعود الى العصر البابلي القديم مقامة على مصاطب أو قواعد بنائية ومنفذة بطريقة (السبط) أيضاً^(٦٨).

أن وجود السلالم في المباني، قد تؤدي الى حفظ جدرانها، كما هو الحال في زقورة أريدو التي تعرضت الى عوامل التعرية الشديدة بإستثناء ضلعها الجنوبي الشرقي وذلك لوجود السلالم فيها التي عملت على الحفاظ عليه من تأثير مياه الامطار والرياح الشديدة^(٦٩).

لقد إستعملت في بناء القصور، الجدران السمكية والمدعمة بالطلعات والدخلات، وعلى وجه الخصوص القصور الأولى في كيش وأريدو من عصر فجر السلالات^(٧٠)، ومن العصر البابلي القديم كقصر زمريليم^(٧١) في مدينة ماري^(٧٢)، إذ إمتاز بثخن جدرانها والذي بلغ بحدود (٣-٤) م^(٧٣)، ويستعمل السمك الكبير على وجه الخصوص بالاقسام المهمة وخاصة اجنحة الاستقبال في باقي القصور، للقواطع التي تمثل قلب المبنى، والتي تحيط بالساحات الرئيسية، والجدران التي تميزت بكثرة المداخل ولاسيما المفتوحة عند زوايا الساحات الرئيسية الامامية التي تخلف مواقع ضعيفة، خاصة في هذه الاركان لعدم وجود نقاط التقاء او مفاصل ركنية لتتماسك بها الجدران المحيطة لهذه المناطق، وذلك لغرض تامين ارتفاعات عالية، لتزيد من فرص ديمومة البناء لفترات طويلة وحمايته من الاختراق تسلقا، ولتحمل ثقل السقوف الجانبية التي تربط جدرانها مع الاقسام الاخرى^(٧٤)، كما أن ثخن الجدران يؤمن عزلاً حرارياً تاماً يحدّ من تأثيرات أشعة الشمس أو الرياح الباردة^(٧٥). (مخطط-٤)

٨-التقوية

لقد ظهر الإهتمام المتزايد في أسس المباني، ربما مع مراعات نوعية المواد الإنشائية المستعملة وطريقة البناء لغرض تقوية المباني، فعلى سبيل المثال، شيدت المباني القديمة وعلى وجه الخصوص المعابد على أسس وأنقاض المعابد السابقة، نظراً لقدسيتهما مما نتج بما يطلق عليه بالمصطبة والتي ترتفع عن مستوى

الأرض، وإن أحد أسباب إستعمالاتها من أجل حماية المباني المقدسة من السيول التي تسببها الأمطار، لاسيما ان المواد المستعملة في البناء هي الطين واللبن^(٧٦)، ولتلافي الرطوبة الارضية، كإقامتها على ارض صخرية صلبة مثل زقورة دوركوريكالزو وآشو أو برفع العديد من تلك المباني على مصاطب مشيدة من اللبن مثل زقورة اور، تل الرماح، بورسبا، سبار وغيرها^(٧٧)، كذلك ينطبق الحال في حماية جدران اللبن بتشييد مصطبة من صفوف حجر الحلان كما في مدينة نمرود^(٧٨). (شكل-٥)

روعت الزيادة في سمك أسس بعض المباني الدينية والديوية لاسيما الجدران الخارجية المحيطة للزيادة في القوة والتحصين والإستحكام ولأسباب دفاعية عمارية ومناخية^(٧٩)، وإستعملت مادة الرمل في لفرش أرض بعض المباني الدينية قبل البدء بالبناء وبسمك قليل وذلك لمنع تصدع الأبنية، إذ تخلق تلك المادة طبقة متساوية مقاومة للضغط ولمنع دخول الحشرات المخرقة والفئران من النفوذ الى جسم البناء، إذ من الصعوبة أن تبني هذه الحشرات لها ثقوباً في الرمل لسرعة إنهيائه عليها^(٨٠)، وكما بينا سابقاً، من أن الرمل يستعمل لتحاكي تهديم الأبنية نتيجة الهزات الأرضية.

لقد إستعملت بعض المزايا العمارية في بعض المباني الرئيسية التي تمثل أحد مراكز القوة الإقتصادية والإدارية، لما يتميز به من تمايز عماري وتفرّد بنائي عن باقي أبنية المنطقة الواحدة، ومنها عدم إستقامة الجدران الخارجية، بل تكون بشكل متدرج في حالة من التقدم والتراجع، وقد يمثل أسلوب عماري متميز لزيادة قوة ومنعة هذه الجدران وتماسكها تماشياً مع اطوالها الكبيرة وقلة سمكها نسبياً كما هو الحال في مبنى القصر في تل خيط قاسم^(٨١). (مخطط-٥)

من المزايا العمارية الأخرى، فقد شيد سكان بلاد الرافدين بعض المباني بميل جدرانها نحو الداخل ويزداد كلما أرتفع البناء ومنها الزقورات، أن هذا الميلان يعطي للزقورة قوة ومثانة^(٨٢).

قوّيت بعض الأبنية في بلاد الرافدين بوضع حزم أو حصران القصب والبردي من أجل الحفاظ على البناء من التداعي والإنهيار، أن الغرض من طبقات القصب وقاية المبنى من الغطس بشكل غير متكافئ وعلى وجه الخصوص لو كانت الأرض رخوة^(٨٣)، كما تعمل على شد أجزاء البناء الى بعضه فضلاً عن تخفيف الرطوبة، كما هو الحال في إستعمال حصران من القصب والبردي داخل جدران صفوف اللبن في زقورة (أي - أنا) في الوركاء وفي زقورة أور^(٨٤)، وفي بدن زقورة عرقوف وبسمك (٥ سم) بين كل ٦ - ٨ صفوف وإستخدام حزم القصب داخل القنوات الأفقية التي تخترق بدنها^(٨٥).

إستعملت طريقة الحل والشد أيضاً في عملية بناء صفوف اللبن أو الأجر لغرض تقوية البناء وذلك بإستعمال أنصاف القطع^(٨٦).

لقد شيدت أسوار وأبراج تل طايه^(٨٧) بالحجارة الكلسية غير المنهدمة، إذ روعي في بناء الصفوف السفلية استعمال أحجار ذات حواف مشطوفة رصفت بشكل صفوف أفقية ودقت في الأرض بقوة لتكون بذلك قاعدة قوية تتحمل ثقل البناء^(٨٨).

تختلف درجة تلف السطوح المكسوة بالملاط باختلاف نوعية وطبيعة الملاط واختلاف سمكه ودرجة مساميته^(٨٩)، فقد يستعمل الملاط الطيني في إكساء الجدران (اللطش) ممزجاً بالقش وذلك لتقوية الجدران ومنع التشققات^(٩٠).

١٠- الطلاء

أما الطلاء، فباعتقادنا لا يختلف كثيراً عن الإكساء، وربما يكمن الفرق في صعوبة الفصل بين المادة المستعملة في الطلاء عن الجسم المطلي عكس عملية الإكساء، كونه يحضر الطلاء في الغالب من نفس طينة الآنية وفي النادر من طينة تختلف عن طينتها، أو لأن الآنية تطلى به قبل تسخينها بالكورة وفي هذه الحالة يكون الطلاء ثابتاً لا يزول، أما إذا أضيف إلى الآنية بعد التسخين فإنه يزول بسهولة عند فركه باليد أو غسله بالماء^(٩١).

يستعمل الطلاء أيضاً لسد المسامات والشقوق والحفر وتصبح سطوح الجدران ناعمة ملساء^(٩٢)، وتضمنت أعمال الطلاء الواح الطين المعدة للكتابة أيضاً، إذ كان تغطي بعضها بطبقة خفيفة من الطين الناعم المنقى جيداً لتساعد على طبع العلامات بدقة^(٩٣).

١١- أعمال الصيانة والترميم

لعل مفهوم مباديء الصيانة والترميم لدى حكام بلاد الرافدين تظهر واضحة من خلال إشارات لبعض النصوص التي تهتم بهذا الجانب، وربما أن أقدم إشارة إلى صيانة وترميم الموروث المادي لبلاد الرافدين من خلال نص الملك الآشوري شمشي أدد الأول^(٩٤)، في نص له لبناء معبد الآلهة عشتار في مدينة نينوى، إذ يذكر (عندما يصبح المعبد والزقورة خراباً عسى أن يجددهما الحاكم الذي يأتي من بعدي)^(٩٥)، وبالفعل فقد قام الملوك من بعده بترميم قمم الزقورات التي شيدها الملك شمشي أدد الأول بعد أن أصبحت متهدمة^(٩٦)، ومنها نص الملك أسرحدون^(٩٧) الذي يذكر فيه إعادته لبناء زقورة مدينة بابل بعد أن هدمها والده ونصه: (أنا جددت بناءها بمكانها القديم نفسه بقياس واحد - أنا بنيت زقورة ايتمنانكي - بنيتها كالسابق)^(٩٨)، ونص يعود للملك نبوخذنصر الثاني والخاص بإعادة صيانة وترميم زقورة بورسبا نتيجة سقوط قماتها بمرور الزمن وإن الأمطار بدأت تنفذ إلى بدن الزقورها مما أدى إلى إنتفاخ الآجر، إذ يذكر: (سيدي العظيم حرك قلبي لأعيد بناءها، لم أغير مكانها ولم أبدل الأسس-شيدت قماتها وبنيتها من جديد كما كانت أوقات تأسيسها)^(٩٩).

لقد أظهرت لنا الكتابات الموجودة على لوحين من الرقم الطينية والتي عثر عليها القنصل البريطاني (ج.أ. تيلر) سنة ١٨٤٥ في مدينة أور والمحفوظة في المتحف البريطاني، من أن الملك البابلي نبونائيد قام بعملية الترميم والحفاظ على المباني الأثرية، إذ يقول ما نصه: (لقد أعدت هذا الزيجورات الى حالته السابقة ورممته بالآجر والملاط). كما أنه سجل أسم المشيد الأصلي لهذا البناء وهو الملك اور - نمو^(١٠٠). مما يؤيد أن الحفاظ على الموروث من خلال الصيانة والترميم هو فكرة قديمة.

١٢- التزجيج^(١٠١)

يعدُّ التزجيج من الصناعات التزييقية التي ظهرت في بلاد الرافدين القديمة ومنذ بداية العصر الاشوري الوسيط (١٥٠٠ - ٩١١ ق.م). ويستعمل لطلاء الاواني الفخارية والاجر^(١٠٢).

تعدُّ تقنية التزجيج نقطة إنعطاف مهمة لتاريخ أهم صناعتين أعتمدتا في العراق القديم، ألا وهما صناعة الفخار والآجر، فقد أضافت مزايا مهمة لهما كعدم الترشيح والصلابة والملمس الناعم وسهولة تنظيفها، كما تضمنت تلك التقنية الدمى (المجسمات الفخارية) أيضاً^(١٠٣).

أن صانع الزجيج في بلاد الرافدين القديمة قد تنبّه الى جملة من الإجراءات للتغلب عن العيوب التي ترافق عملية التزجيج كحالات التجزع (التكسر) أو ظهور بؤر بسبب الغازات المنبعثة أثناء عملية التزجيج أو سيلان الطلاء نتيجة إختلاف في كثافته ولزوجته^(١٠٤).

يظهر أن لصناعة التزجيج دوراً مهماً في حماية الموروث الرافديني والحفاظ عليه، نظراً لما تمتاز به المقتنيات الاثرية المزججة سواء أكانت المنقولة أم غير المنقولة من مزايا، ففيما يتعلق بالمواد المنقولة أكتسبت الآنية الفخارية سطوح صقيلة ولماعة وصلابة نسبية جعلت من سطوحها صعبة الحك او الخدش مع سهولة تنظيفها^(١٠٥)، فضلاً عن خاصية عدم الترشيح^(١٠٦) والتي ربما أسهمت في حفظ الكثير من المواد المحفوظة داخلها، أما المواد غير منقولة ومنها الآجر المزجج، ففضلاً عن الناحية الجمالية للابنية التي كسيت به، فأن له القدرة على مقاومة عوامل البيئة^(١٠٧)، كما لم تتغير الوانها الزاهية^(١٠٨)، فقد إستعمل التزجيج في تكسية أقسام من الجدران الداخلية أو الخارجية في بعض المباني الدينية كالمعابد أو الدنيوية كالقصور والبوابات كبوابة عشتار في بابل.

١٣- التجفيف

لعل عملية التجفيف إرتبطت بشكل مباشر بعملية الفخر (الشي) وهي إحدى المراحل المهمة لإنتاج الفخار بأشكاله كافة، كذلك تضمنت مواد الإنشاء المعمولة من الطين. فعملية التجفيف هي التخلص من الماء الموجود ضمن تركيبة الطين، وتبدأ بعد تشكيل الطين حسب الشكل المطلوب^(١٠٩).

أن التجربة والخبرة في صناعة الفخار والأجر، أسهمت في عملية التطور التقني لتلك الصناعة وبمفاصلها وكافة منها عملية التجفيف، فقد ثبت أن عملية التجفيف يجب أن تتم ببطء لمنع تشقق وتصدع الطين بسبب عملية النقل والأنكماش المتفاوتة، فضلاً عن وضع القطع في الظل وليس بصورة مباشرة تحت أشعة الشمس، لمنع تشقق القطعة في أثناء عملية التجفيف^(١١٠).

١٤- الفخر (الشوي)

توصل سكان بلاد الرافدين الى معرفة طريقة الفخر منذ القدم، وذلك بصنع أوانيهم الفخارية، فقد عثر على تلك الاواني في بقايا المواقع الحضارية المختلفة في القسم الشمالي والجنوبي من بلاد الرافدين^(١١١). تعود أقدم عملية شي للفخار إلى الألف السابع قبل الميلاد^(١١٢)، وبواسطة كور خاصة وقد مثلت على ختم يعود لعصور ما قبل التاريخ^(١١٣)، كما وجدت نماذج من الأفران في الأرجحية ويارم تبة^(١١٤). لقد دعت الرغبة بالمحافظة على الأواني الطينية من التلف وزيادة قوتها، قيام الصناع إلى فخرها بعد الانتهاء من تجفيفها، لتستطيع بذلك مقاومة العوامل الخارجية المؤثرة مثل الحرارة والرطوبة^(١١٥)، فمهما كانت درجة نقاوة الاواني المصنوعة من الطين واتقان صنعها وجفافها فانها تتحلل عند تعرضها للماء وتعود إلى مادتها لاصلية الرخوة^(١١٦)، كما تمثل صناعته مرحلة حضارية متطورة، إذ استطاع أن يبني منه مسكناً أكثر ملائمة لحمايته من تطرفات الطقس وحفظ موجوداته^(١١٧).

أن عملية فخر الطين المستعمل في العمارة الرافدينية قد ظهر في عصر الوركاء في منتصف الألف الرابع ق.م بشكل مسامير "مخاريط" فخارية لتزيين الجدران وإظهار النقوش عليها^(١١٨).

تعتمد عملية الفخر على عاملين أساسيين هما؛ شدة الحرارة ومقدار الاوكسجين المتوفر للجو المحيط^(١١٩)، وتختلف درجة الحرارة من (٤٥٠-٨٠٠م)، وكانت عملية الفخر تتم في افران خاصة اما في موقد مكشوف أو في كوره وقد تستغرق عملية الفخر ساعات أو ايام حسب درجات الحرارة وطرز الفرن الذي تتم فيه^(١٢٠)، وتساعد درجات الحرارة عند عملية الفخر أيضاً في تحديد درجة المسامية، فكلما كانت درجة الحرارة قليلة تكون المسامات قليلة وكلما ارتفعت تكون المسامات كبيرة^(١٢١)، وتكلف عمليات الفخر الكثير من الوقود للوصول الى درجة الحرارة اللازمة لحرقه وهو أمر لم يكن سهلاً آنذاك^(١٢٢).

مع تقدم صناعة الفخار تنوعت أساليب الصنع والزخرفة، وتنوعت الأشكال والإستعمالات، وهي تتطلب مهارة فنية كبيرة^(١٢٣).

أن ما أكتشف من الواح الطين المكتوبة في اثناء التنقيبات لم يكن وافياً لغرض قرائتها، وقد تكون تعرضت الى التهشم أثناء التنقيب، فضلاً عن تأثرها بعوامل الزمن عليها، ان محاولة شيها من قبل بعثة

التنقيب من دون تنظيفها بصورة جيدة، قد يعرضها في بعض الأحيان الى التلف نتيجة ما يعلق باللوح من تراب قبل دخولها الفرن، إذ يترك جزءا منها متعذر الازالة بعد ان تم تحويلها الى فخار^(١٢٤).

يمكننا القول، أن عملية الفخر لمادة الطين كان لها أبلغ الأثر في حفظ الموروث الرافديني. فقد بدأت صناعة الفخر تتطور ومنها إبتكار دولا ب الفخار والتي ساعدت على زيادة انتاجه وتحسينه. (شكل - ٦)

١٥- التخطيط

لقد كان هدف الإنسان الرافديني الاساس، السيطرة على قوى الطبيعة الجبارة وتسخيرها بما يلئم ظروف معيشته واستمراره في البقاء في إطار إمكانياته وقدراته^(١٢٥)، فقد حاول تنظيم محيطه البيئي والحياتي في مجالاته المختلفة، فقد اخضع مناطق إلى عمليات التخطيط ومتغيراته على مر الزمن وباستمرار، فالتخطيط كان يمثل ضرورة اجتماعية ووسيلة فعالة للنهوض المادي والاجتماعي للسكان^(١٢٦)، وقد إختلفت تخطيطات مدنه بإختلاف القوى المسيطرة والموجهة للحياة في المراحل المختلفة من تطور هذه المدن^(١٢٧).

يمكن القول أن عملية التخطيط المنظم الذي أتبعها الإنسان الرافديني أسهمت في حفظ موروثه، عبر إستلهاهم الفكر التخطيطي الناجح وعبر العصور المختلفة ومعرفة أفضل الأساليب للحفاظ على منجزاته.

١٦- إستمرارية السكن

مما لاشك فيه أن أستمرار السكنى في المواقع الأثرية تعدّ من الأمور المهمة في ديمومة الموقع وحمايته لا سيما لو أستمر السكن الى الوقت الحاضر. فمدن كركوك واربيل أستمر السكنى فيها ومنذ العصور ما قبل التاريخ^(١٢٨). كذلك ينطبق الامر على المباني ذات الطابع الديني كالمعابد مثلاً، فمنذ نشأة المعابد ساد تقليد خاص قوامه تشييد المعابد المتعاقبة في الموقع نفسه على أسس المعابد السابقة وأنقاضها وذلك من أجل نيل حماية الآلهة والأرواح التي كانت المدينة السابقة تسترضيها^(١٢٩)، وانه يمثل موضعاً من المواضع المقدسة التي اكتسبت قدسيته؛ لارتباطها بالآلهة وآمن بها الناس إيماناً عميقاً^(١٣٠).

ثانياً: إجراءات الحماية ضمن المفهوم الحديث

أما الوقت الحاضر، فأن المعنى الواسع لمفهوم (الحماية) لا يتضمن حماية الموروث الحضاري عن طريق صونه وتأمين أداء مهامه فحسب، إنما المساعدة على تطور هذا النوع من النشاط الابداعي وإتساع دائرة رعايتها الثقافية^{١٣١}.

تعتمد كثير من الدول لا سيما تلك التي تمتلك موروثاً حضارياً كبيراً، الى إعطاء إهتمام واسع لحماية موروثها، وهذا ما يتضح من خلال أنشطتها المختلفة سواء أكان ذلك على مستوى الحماية العلمية؛ مثل

أعمال التنقيب العلمي والصيانة والترميم وإقامة الدراسات والبحوث والقيام بالأعمال المتحفية المختلفة، أم على المستوى القانوني وعبر الوسائل المختلفة، مثل سن التشريعات الدولية أو الوطنية أو الإتفاقيات وإصدار التوصيات الخاصة أو وضع موثيق وقرارات لإتفاقيات معنية بحماية التراث الثقافي بجوانبه كافة، ويمكن توضيحها بالآتي؛

١- الحماية العلمية

قد تتضمن الحماية الجوانب العلمية والبحثية لحماية الموروث نظراً لوجود تجاوزات تفرضها الطبيعة متمثلة بالعوامل البيئية من جهة والتي قد تحتاج الى تدخل دولي للمساعدة، أو عوامل بشرية من جهة أخرى، والتي تؤدي بدورها إلى تخريبه وربما ضياعه، فالمواقع الأثرية في أثناء سكنها قديماً تتعرض الى جملة من العوامل المؤثرة، منها عوامل طبيعية متمثلة بالفيضانات والأمطار والرياح وغيرها أو عوامل بشرية كالغزوات العسكرية أو الحرائق أو النباش وغيرها^(١٣٢)، وقد تتعرض تلك المواقع والمباني المنفردة الى الدمار والتخريب المستمر بسبب التداعي والهدم لأسباب لها علاقة بالموقع نفسه أو لأسباب بشرية^(١٣٣).

لقد أسهمت التقنيات الحديثة بحماية الموروث الحضاري، والمتمثلة بالأدوات والآلات وأجهزة التحكم بالحرارة والرطوبة وغيرها، وأجهزة المعلوماتية والأنترنت في حفظه وتوثيقه، وكذلك أجهزة الإنذار من السرقة والحرائق، فضلاً عن التقنيات العلمية الحديثة التي تستعمل في الترميم للحفاظ على الأثر وإستدامته^(١٣٤).

فالحماية هنا تأتي من وجهة نظر الباحث، هي وسيلة بإستعمال أساليب الصون بغية الوصول الى الهدف المرجو إلا وهو الحفاظ على الموروث الرافديني من التلف.

٢- الحماية القانونية:

تأخذ الحماية شكل آخر وهي الحماية القانونية نظراً لما يمثله هذا الموروث من قيمة مادية من جهة ومعنوية من جهة أخرى، فقد تطاله كثير من التجاوزات البشرية، وهناك نوعان من مصادر الحماية القانونية للموروث الرافديني، وتتمثل بالآتي^(١٣٥):

أ- في القوانين والإحكام التنظيمية الوطنية، وذلك من خلال إدراج النصوص ضمن تشريعات الدولة والتي تكفل توفير الحماية الفاعلة لموروثها وقد تكون تكون تلك النصوص ضمن دستور لدولة أو ضمن قوانين الآثار والتراث.

ب- المواثيق والقوانين الدولية، كالإتفاقيات الدولية والإقليمية المتعلقة بحماية التراث الثقافي، والتي تضع على عاتق الدولة الإلتزام بحماية تراثها بما يتلائم مع الأحكام المنصوصة في تلك الإتفاقيات.

لم تستثني تلك الحماية أيضاً، أعمال التنقيب الأثري والمعلومات المستحصلة منها على الرغم من أنها ليس لها وجه مادي ملموس، فقد عالجت نصوص قوانين الآثار العراقية تلك المسألة وجعلتها من الأموال العامة^(١٣٦).

تضمنت تلك الحماية أيضاً إيجاد السبل الكفيلة وبمساندة المجتمع الدولي فيما يخص الحد من التهديد المتزايد لا للأسباب التقليدية للإنذار فحسب، وإنما أيضاً للأحوال الاجتماعية والإقتصادية المتغيرة مما تزيد من عوامل الإلتاف والتدمير والأشد خطراً، كما أن الحماية الوطنية ناقصة في أغلب الأحيان، لذا توجب إبداء المساعدة الدولية من خلال إجراءات الحماية والصون كونها تمثل تراثاً عالمياً وعبر لجان حماية التراث المختلفة^(١٣٧).

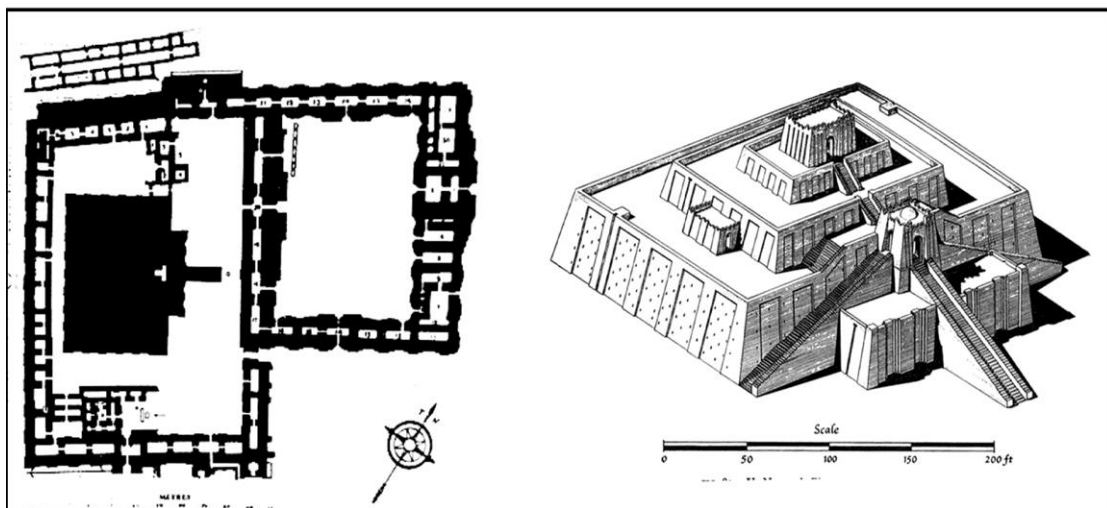
يرى الباحث، أن الحماية القانونية، هي وسيلة توفرها التشريعات الدولية والداخلية بغية الوصول الى الهدف المرجو إلا وهو عدم التجاوز على الموروث الرافديني مما يسبب الضياع والتلف. ولن تتحقق الحماية الفعالة إلا بتطبيقها مجتمعة وذلك لأن التراث بمختلف أشكاله لا يعني هوية بعينها، بقدر ما يعني حضارة الأمة والإنسانية جمعاء.

٣- الحماية الإدارية:

ان هناك وجه آخر للحماية، إلا وهي الحماية الإدارية، وعبر قيام المؤسسات ذات الشأن سواء أكانت الدولية أم المحلية الحكومية منها وغير الحكومية، فهي تمثل نوع آخر من الحماية والتي بإعتقادنا ذات أهمية قصوى في حماية الموروث المادي الإنساني ومنها الموروث الرافديني، لأنها تتمحور حول طبيعة التنظيم أو الكيان الإداري المعني بشكل رئيس بإدارة التراث الثقافي، وما تتضمنه هذه الإدارات من إجراءات، والتي تختلف من بلد لآخر بحسب الظروف الاجتماعية والإقتصادية والدينية والمؤثرات الخارجية التي يتعرض لها كل بلد^(١٣٨).

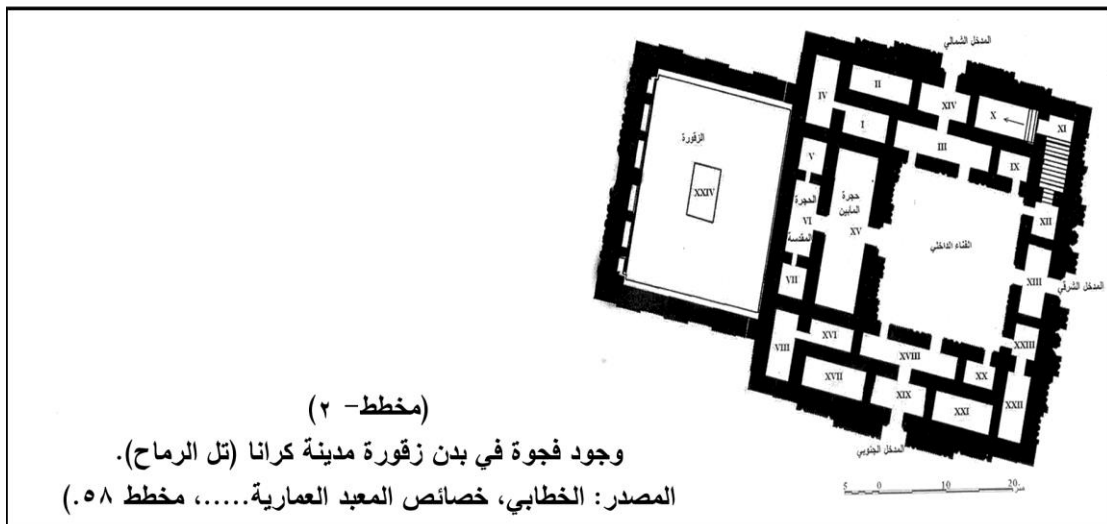
٤- الحماية الأمنية:

من أنواع الحماية الأخرى للموروث الحضاري، هي الحماية الأمنية والتي ترتكز على ثلاث مستويات (دولية، إقليمية ومحلية)، وأن عمليات الإعتداء على الموروث الحضاري الإنساني تحدث بشكل مستمرة في كل بقاع العالم، وكان لابد من وجود جهات أمنية مختصة وعلى المستويات الثلاث من خلال إصدار أنظمة توضح العقوبات المترتبة على هذه الجرائم^(١٣٩).



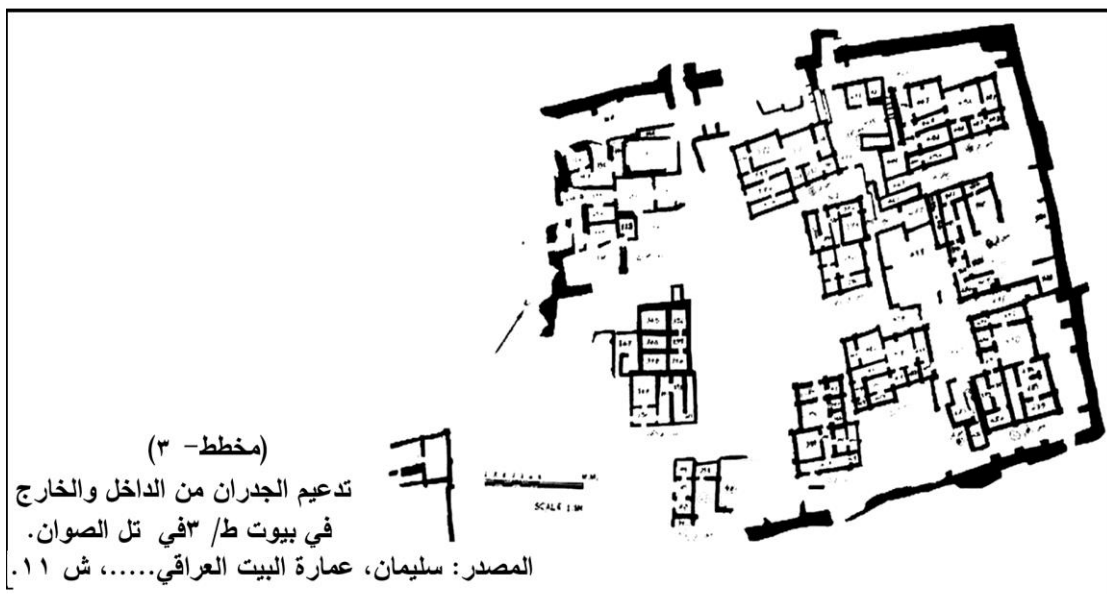
(مخطط - ١)

يوضحان سمك آجر التغليف الذي يغطي لب البناء في زقورة أور.
المصدر: مورتكارت، الفن في العراق القديم، ص ١٩٥.



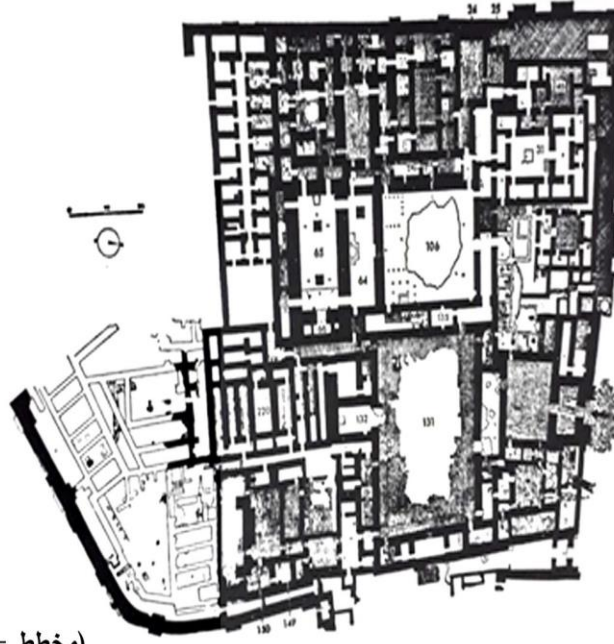
(مخطط - ٢)

وجود فجوة في بدن زقورة مدينة كرانا (تل الرماح).
المصدر: الخطابي، خصائص المعبد العمارية.....، مخطط ٥٨.



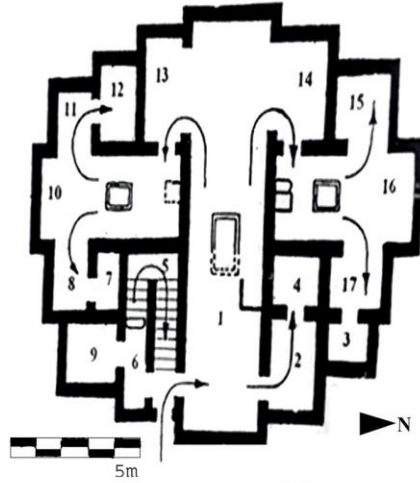
(مخطط - ٣)

تدعيم الجدران من الداخل والخارج
في بيوت ط/ ٣ في تل الصوان.
المصدر: سليمان، عمارة البيت العراقي.....، ش ١١.



(مخطط - ٤)

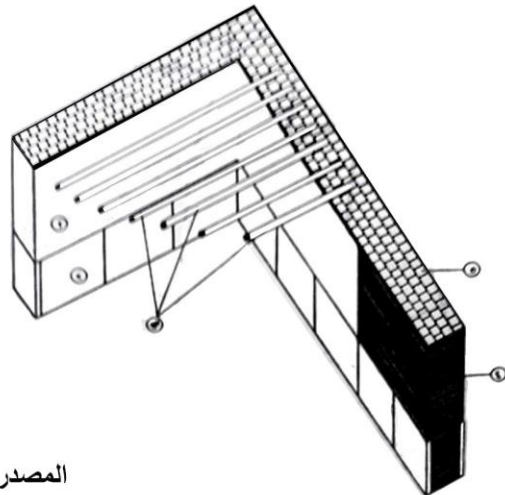
التدعيم بواسطة الجدران السمكية المدعمة بالطلعات والدخلات في قصر زمريلم.
المصدر: مورتكارت، الفن في العراق القديم، ص ٢٥٣.



(مخطط - ٥)

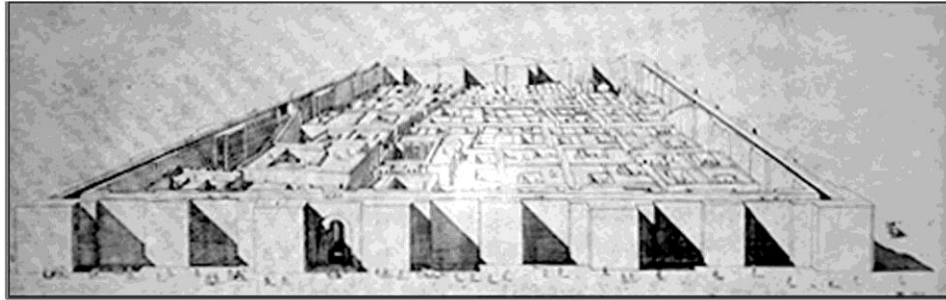
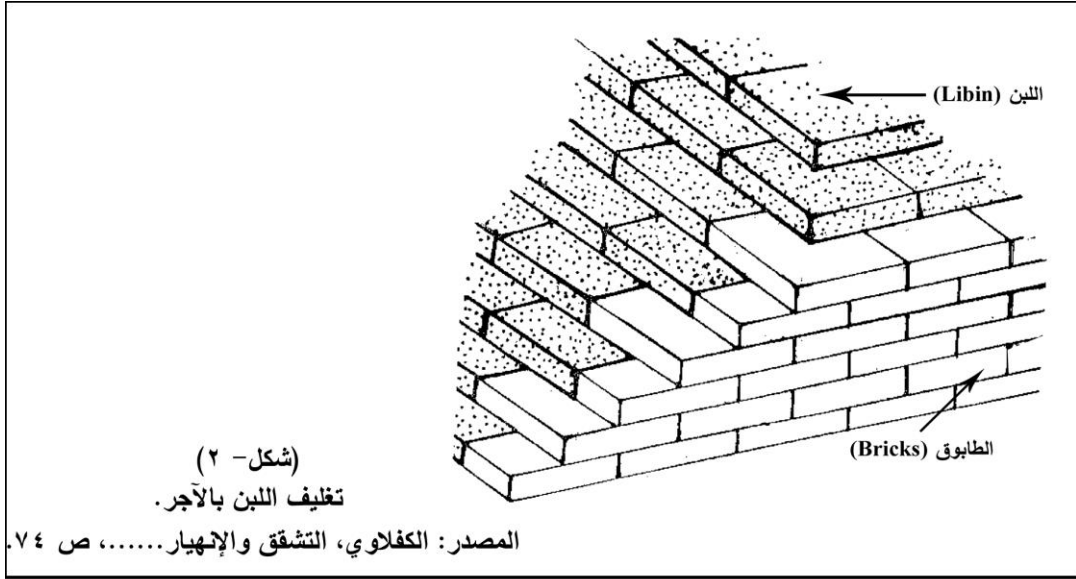
تقوية الجدران الخارجية لبعض
المباني ببناءها بشكل متدرج.

المصدر: حسين، عمارة القصور.....، ش ٧.

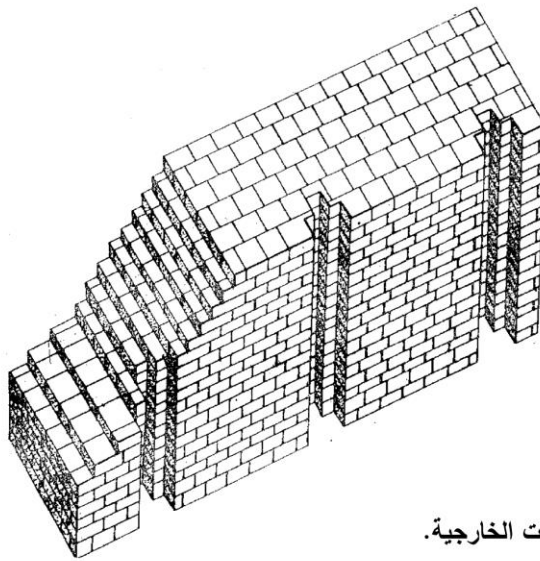


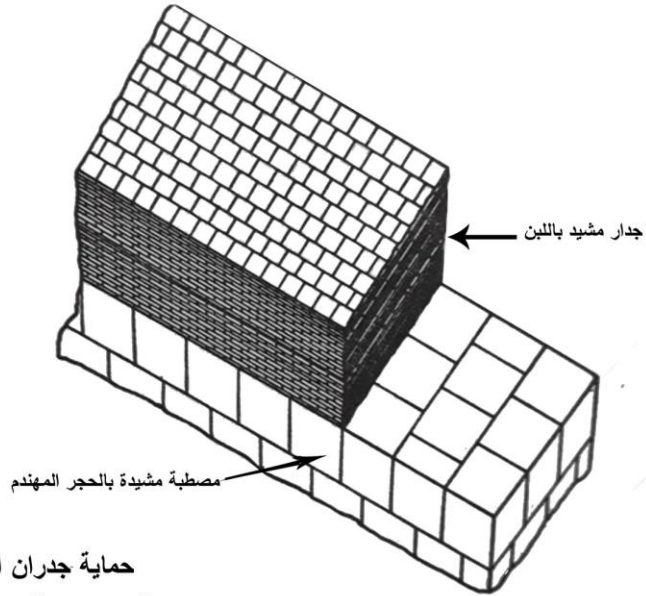
(شكل - ١)

حماية الأجزاء السفلى من جدران اللبن.
المصدر: مظلوم، مواضع إستعمال اللبن.....، ص ٣٣.



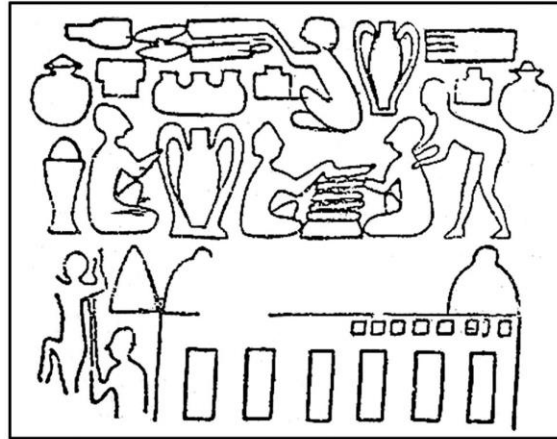
(شكل - ٣)
إستحكامات مدينة حرمل (شادوبم) كما ينبغي أن تكون حسب تنقيبات مديرية الآثار القديمة.
المصدر: باقر، طه، تل حرمل (شادوبم القديمة)، مديرية الآثار العامة، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٩، ش ٢.





(شكل - ٥)

حماية جدران اللبن بتشييد مصطبة من حجر الحلان.
المصدر: مظلوم، مواضع إستعمال اللبن.....، ص ٣٦.



(شكل - ٦)

صناعة الفخار في العراق القديم.
المصدر: أحمد، الحرف والصناعات اليدوية.....، ص ٢٠٥.



(صورة - ١)

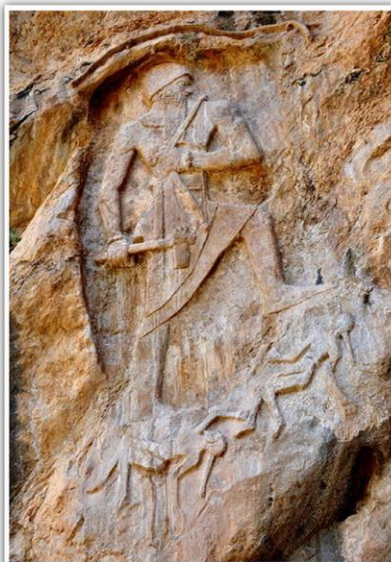
زقورة أننا في الوركاء المغلفة بالطين.

المصدر: Van. Ess, M., "Excavations in Uruk – Warka", German Archaeological Institute Orient Department – Baghdad 50 years of research in Iraq 1955-2005, Lebanon, 2005, p30.



(صورة- ٢)

إستمرار أسلوب التسقيف حتى الوقت الحاضر.
المصدر: ملف يابل/ أرشيف قسم التصوير/
الهيئة العامة للآثار والتراث.



(صورة- ٣)

منحوتة دربند كاور في محافظة السليمانية
وقد سقفت بطلعة من الكتلة الصخرية نفسها.
المصدر: تصوير (الباحث).



(صورة- ٤)

أنابيب فخارية تستخدم في عملية التصريف.
الصبيحاي، التنقيبات الأثرية.....، ص ١٩٠.

- (^١) مسعود، أماني نور الدائم محمد، حماية واستغلال الممتلكات الثقافية المادية في السودان - متحف السودان القومي نموذجًا، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الخرطوم، (ب.ت)، ص ١٥.
- (^٢) خلف، حسام عبد الأمير، نحو قانون دولي للتراث، ط١، مكتب الهاشمي للكتاب الجامعي، بغداد، ٢٠١٦، ص ٣٧-٣٨.
- (^٣) مورتكات، أنطوان، الفن في العراق القديم، ترجمة وتعليق: الدكتور عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، وزارة الاعلام، مطبعة الاديب البغدادية، بغداد، ١٩٧٥، ص ١٩٥.
- (^٤) جرك، أوسام بحر، الزقورة ظاهرة حضارية متميزة في العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد/ كلية الآداب، ١٩٩٨، ص ٨٣.
- (^٥) Parrot, A., Ziggurats et Tour de Babel, Paris, 1949, p. 126.
- (^٦) الجادر، وليد محمود، "جدران المعابد العراقية المشيدة من الطابوق (الكيسو)"، مجلة سومر، مج ٤٩، ج ٢، ١، بغداد ١٩٩٧-١٩٩٨، ص ١٢٢-١٣٤.
- (^٧) جرك، الزقورة ظاهرة حضارية.....، ص ٢٥.
- (^٨) بنيت الزقورة من قبل الملك آشور ناصر بال الثاني وأكملها الملك شلمنصر الثالث وتحتل الزقورة الزاوية الشمالية الغربية من المدينة.
- Mallowan, N., Nimrud and its Remains, Vol. 1, Landon, 1966, p. 69.
- (^٩) مظلوم، طارق، "مواضع استعمال اللبن وحمايته في الابنية الآشورية"، مجلة التراث والحضارة، العدد ٧-٥، المركز الأقليمي لصيانة الممتلكات الثقافية في الدول العربية، ١٩٨٣-١٩٨٥، ص ٣٢.
- (^{١٠}) حبيب، طالب منعم، سنحاريب سيرته ومنجزاته ٧٠٤ - ٦٨١ ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد/ كلية الآداب/ قسم الآثار، ١٩٨٦، ص ٢١٣.
- (^{١١}) الشمري، ابراهيم سرحان، البرج في العمارة العربية الإسلامية في العراق حتى نهاية العصر العباسي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد/ كلية الآداب/ قسم الآثار، ١٩٩٦، ص ١٦.
- (^{١٢}) مظلوم، طارق، "تينوى في ظل التنقيبات الأثرية (١٩٦٥-١٩٦٧)"، مجلة سومر، مج ٢٣، ج ١-٢، مديرية الآثار العامة، ١٩٦٧، ص ١٣٩.
- (^{١٣}) الكفلاوي، سامي عبد الحسين، التشقق والإنهيار في المباني التاريخية وطرق الصيانة والحفاظ عليها، ط١، الهيئة العامة للآثار والتراث، مطبعة سومر، بغداد، ٢٠٠٦، ص ٧٤.
- (^{١٤}) آل قباط، عثمان غانم محمد، الكتابة المسمارية على الأجر من الألف الاول قبل الميلاد (٩١١-٥٣٩ ق.م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل/ كلية الآداب/ قسم الآثار، ٢٠٠٣، ص ٨.

- (١٥) جرك، الزقورة ظاهرة حضارية.....، ص ٢٣.
- (١٦) جرك، الزقورة ظاهرة حضارية.....، ص ٢٥ - ٢٧.
- (١٧) عبارة عن تعلية إصطناعية صلبة من التراب تقام ليشيد عليها المعبد لغرض تميزه عن بقية المباني المحيطة به وإعطائه صفة السمو والرفعة ولحماية أسس البناء (المعبد) من تأثير العمياه الجوفية ودخول مياه السيول والأمطار أيضاً ومنع دخول الأتربة والأوساخ اليها وتجنب إنتهاكها وتدنيسها من الحيوانات السائبة والضارة وحمايتها من السرقة.
- الخطابي، علي سالم عبد الله، خصائص المعبد العمارة من عصر فجر السلالات الى نهاية العصر البابلي القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل/ كلية الآداب، ٢٠١١، ص ١٧٩.
- (١٨) حجارة، إسماعيل، "التنقيب في قالينج آغا (أربيل)"، مجلة سومر، ج ٢، ١، مج ٢٩، مديرية الآثار العامة، بغداد، ١٩٧٣، ص ١٤ - ١٥.
- (١٩) الخطابي، خصائص المعبد.....، ص ١٩٠.
- (٢٠) جرك، الزقورة ظاهرة حضارية.....، ص ١٣٩.
- (٢١) تل الرماح، وهو الاسم الذي يطلق على موقع مدينة كرانا القديمة، وهي إحدى المدن المهمة التي قامت في القسم الشرقي من الجزيرة خلال الألف الثاني قبل الميلاد. ويقع تل الرماح على بعد (١٣ كم) إلى الجنوب من مدينة تلغفر الحالية. وقد نقت فيه بعثة التنقيب الاثرية المشتركة من المدرسة البريطانية للبحوث الاثرية وجامعة بنسلفانيا برئاسة ديفيد اوتس خلال السنوات ١٩٦٤ - ١٩٧١م. صالح، قحطان رشيد، الكشاف الاثري في العراق، المؤسسة العامة للآثار والتراث، بغداد، ١٩٨٧، ص ٤١.
- (٢٢) جرك، الزقورة ظاهرة حضارية.....، ص ١٣٩.
- (٢٣) جميل، فؤاد، "أريان يدون أيام الأسكندر الكبير في العراق"، مجلة سومر، مج ٢١، ج ٢، ١، مديرية الآثار العامة، ١٩٦٥، ص ٢٨٤ - ٢٨٥.
- (24) Parrot, , Ziggurats et Tour....., p. 9-10.
- (٢٥) أوتس، جون، بابل تاريخ مصور، ترجمة: سمير عبد الرحيم الجليبي، بغداد، ١٩٩٠، ص ٢٣٨.
- (٢٦) كالتورا وكتابات المؤرخين والرومان ك (هيرودوتس وزينف ويوديودور الصقلي وسترابون وأريان) وكتب الرحالة ك (بنيامين التظلي ونيبور وغيرهم). جرك، الزقورة ظاهرة حضارية.....، ص ٣٣ وما بعدها.
- (٢٧) شميت، يوهان جورج، "تاريخ تشييد الزقورة في بابل إستناداً الى نتائج التنقيبات في ١٩٦٢"، مجلة سومر، مج ٤١، عدد خاص، المؤسسة العامة للآثار والتراث، ١٩٨٥، ص ٦٥.

(^{٢٨}) حسين، حميد محمد، "أثر البناء على عمارة البيت العراقي عبر العصور"، مجلة بين النهرين، العددان ٤٩-٥٠، بغداد، ١٩٨٥، ص ٧٠.

(^{٢٩}) سليمان، موفق جرجيس، عمارة البيت العراقي القديم في عصور ما قبل التاريخ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد/ كلية الآداب / قسم الآثار، ١٩٧٦، ص ٢١٣.

(^{٣٠}) الرواي، فاروق ناصر، "دراسة تسقيف العمائر العراقية القديمة"، مجلة التراث والحضارة، العدد ١٢ - ١٤، بغداد، ١٩٩٠-١٩٩٢، ص ٥٠.

(^{٣١}) سليمان، عمارة البيت العراقي.....، ص ٢١٣.

(^{٣٢}) تقع منحوتة (شيروملكتا) في السفح الجنوبي الشرقي من سفح جبل سدك وعند فتحة وادي بندوايا وتبعد قرية بندوايا عن قرية القوش حوالي (٧) كم وعن مكان المنحوتة (١.٥) كم. الأمين، محمود، "إستكشافات أثرية جديدة في شمال العراق"، مجلة سومر، مج ٤، ج ١، مديرية الآثار القديمة العامة، مطبعة التفيض، بغداد، ١٩٤٨، ص ١٨٦.

(^{٣٣}) الأمين، "إستكشافات أثرية....."، ص ١٨٨.

(^{٣٤}) الجادر، وليد محمود، "المدنية والبناء في بلاد وادي الرافدين"، مجلة كلية الآداب، العدد ٢٣، بغداد، ١٩٧٨، ص ٨١.

(^{٣٥}) الخطابي، خصائص المعبد.....، ص ١٨١.

(^{٣٦}) جرك، الزقورة ظاهرة حضارية.....، ص ٥٢.

(^{٣٧}) سعيد، مؤيد، "العمارة من عصر فجر السلالات الى نهاية العصر البابلي الحديث، حضارة العراق، ج ٣، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٥، ص ١٣٩.

(³⁸) Woolly, S, L, Excavations at Ur, (UE). London, 1963, p.132.

(^{٣٩}) الاغا، وسناء حسون يونس حسن، الطين في حضارة بلاد الرافدين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل/ كلية الآداب، ٢٠٠٤، ص ١٠٧.

(^{٤٠}) جرك، الزقورة ظاهرة حضارية.....، ص ٩٥.

(⁴¹) Matthews , R , Secrets of the Dark Mound (Jemdet Nasr 1926-1928), London. 2002 , p.11 .

(^{٤٢}) يقع القصر على بعد (١ كم) الى الشمال من تل ابو شهرين (مركز المدينة) التي تقع على بعد ٤٠ كم غرب مدينة الناصرية ، وهي من المدن السومرية المهمة كونها مركز لعبادة الاله انكي - ايا ، وتضم سبعة من التلول الاثرية التي تشير الى ادوار حضارية مهمة، واطلق على القصر بالتل الشمالي، نقتب فيه مديرية الآثار القديمة العامة في العراق برئاسة الاستاذ فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى وسيتون لويد. إذ كشفت التنقيبات فيه عن اربعة طبقات بنائية مرقمة من الاعلى ، شغلت بناية القصر الطبقة الثانية منها ، وتعود جميعها الى عصر فجر السلالات ، بدلالة

استخدام اللبن المستوي - المحذب يُنظر: لويد، سيتون، وسفر ، فؤاد، "حفريات مديرية الآثار القديمة العامة في أريدو"، مجلة سومر، مج ٤، ج ٢، مديرية الآثار القديمة العامة، ١٩٤٨، ص ٢٧٦-٢٨٤.

- Lloyd, S; "Abu Shahrein : A Memorandum", Iraq, Vol 36, 1974 , p. 129-136.

(٤٣) حسين، أثير أحمد، عمارة القصور في بلاد الرافدين الى نهاية العصر البابلي القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد/ كلية الآداب، ٢٠٠٩، ص ١٠٠.

(٤٤) تقع في محافظة نينوى على بعد (٢٢ كم) شمال شرق الموصل، وأسمه من التركمانية بمعنى (التل الكبير) ويتكون من ستة وعشرين طبقة سكنية نبدأ من عصر حلف وتنتهي في منتصف الالف الثاني ق.م وقد نقت فيه بعثة امريكية سنة ١٩٢٧ و ١٩٣٠-١٩٣٨. صالح، الكشف الاثري.....، ص ٤٠.

(٤٥) يقع تل اسمر في المثلث الكائن بين نهري دجلة وديالى ضمن محافظة ديالى وهو الموضع القديم لعاصمة مملكة اشنونا. وقد نقت فيه البعثة الامريكية التابعة للمعهد الشرقي في شيكاغو برئاسة فرانكفورت ١٩٢٩-١٩٣٢ وأستأنفت في موسم ١٩٣٤-١٩٣٥ صالح، الكشف الاثري.....، ص ١٢٣-١٢٥.

(٤٦) محمد، رعد عبد القادر عباس، العصر الاكدي - معطياته الحضارية والفنية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد/ كلية الاداب، ١٩٩٦، ص ١٠٥.

(٤٧) تقع أطلال هذا الموقع في محافظة ذي قار جنوب العراق وعلى بعد (٢٩٠) كم جنوب بغداد. ، ضمن الحدود الإدارية لناحية قلعة سكر. للمزيد ينظر: الصبيحاي، حيدر فرحان حسين، "التنقيبات الأثرية في موقع بزيخ للموسمين الأول والثاني ٢٠٠١-٢٠٠٢"، مجلة سومر، مج ٥٢، ج ١-٢، الهيئة العامة للآثار والتراث، مطبعة سومر، بغداد، ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤، ص ١٦٩.

(٤٨) الصبيحاي، "التنقيبات الأثرية، ص ١٧٦.

(٤٩) رحالة دنماركي ولد سنة ١٧٣٣م ومختص بعلم الفلك والجغرافية واللغات الشرقية المعاصرة وأحد أفراد البعثة التي أرسلت من قبل ملك الدنمارك في عام (١٧٦١ و ١٧٦٧) والتي زارت عدداً من مدن العراق القديمة لجمع المعلومات العلمية والآثار. وقد اسفرت جهوده المحدودة تلك في القرن التالي الى حل رموز الكتابة المسمارية ونشر ابحاثه بمجلدين الاول سنة ١٧٧٤ والثاني سنة ١٧٧٨. الامين، محمود، "رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر"، مجلة سومر، مج ٩، ج ٢، مديرية الآثار القديمة العامة، ١٩٥٣، ص ٢٥٠.

(50) Parrot., Ziggurats et Tour de, p. 13.

(٥١) الدباغ، تقي، "من القرية إلى المدينة"، موسوعة الموصل الحضارية، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٩١، ص ٣٤-٣٦.

- Al-Wailly , F. & Al-Soof ,B., " The Excavation at Tell Es-sawwan First Preliminary Report_". Sumer , vol.21 , Baghdad, 1965, p.18 .

(^{٥٢}) أحد أساليب وانماط التحصينات الدائمة وهو تحصين صناعي محكم البناء ومشيد من مواد انشائية مختلفة يحيط بالمدينة أو المستوطن لغرض الحماية والعزل أي حماية المدينة من الظروف الطبيعية وهجمات الأعداء وكذلك عزل داخل المدينة، أو حماية وعزل المجمعات الرسمية عند نشوب الفتن والثورات الداخلية، ويختلف السور في حجمه وشكله ومواد بنائه حسب العصور الحضارية. للمزيد ينظر: الأعظمي، محمد طه محمد، الاسوار والتحصينات الدفاعية في العمارة العراقية القديمة، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد / كلية الاداب/ قسم الآثار، ١٩٩٢، ص ١٩٢.

(^{٥٣}) تقع أريحا (تل السلطان) جنوب غرب آسيا وغرب الاردن شمال غرب الاردن ويعود تاريخها الى بدايات العصر الحجري الحديث. وتقدر مساحته بحدود (٣٠٠×١٦٠م).

Mellaart, J. The Neolithig of the Near East, London, 1975, p. 48-51.

(^{٥٤}) يقع تل الصوان على الضفة الشرقية لنهر دجلة وعلى بعد حوالي عشرة كيلومترات جنوب سامراء. وهي تعود الى فترة العصر الحجري الحديث ويرجع تاريخها الى أوائل الالف السادس ق.م).

- جورج، دوني، عمارة الالف السادس قبل الميلاد في تل الصوان، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد/ الاداب/ الآثار، ١٩٨٦، ص ١١٠-١١١.

(^{٥٥}) الدباغ، وآخرون، طرق التنقيبات الاثرية، (ب.م)، جامعة بغداد، ١٩٨٣، ص ٦٨.

(^{٥٦}) الأعظمي، الاسوار والتحصينات الدفاعية، ص ٤٨ - ٤٩.

(^{٥٧}) جرك، الزقورة ظاهرة حضارية.....، ص ٨٩.

(^{٥٨}) أندريه، فالتر، إستحكامات آشور، (مترجم)، (ب.م)، ١٩٨٧، ص ٣٣-٣٥.

(⁵⁹) Safar, & et. al, Eridu, Baghdad, 1982, p.44-47 .

(^{٦٠}) يقع تل حسونة على نحو خمسة وثلاثون كيلو متر جنوب الموصل وعلى نحو خمسة عشر كيلو متر من الضفة اليمنى لنهر دجلة وعلى بعد كيلومترين في الجهة الشمالية من القرية التي عرف بأسمها، وهو يعود الى فترة العصر الحجري الحديث ويقدر تاريخه بنحو (٥٨٠٠ - ٥١٠٠ ق.م). للمزيد ينظر:

Loyed, S., & Safar, "Tell Hassuna Excavations' JNES, Vol 1. No.4, 1944-1954, , p. 255-289.

(^{٦١}) الشمري، البرج في العمارة.....، ص ١٠.

(⁶²) AL. Wailly. & Abu AL-Soof., " The Excavations", p.19-21.

(^{٦٣}) مظلوم ، "مواضع استعمال اللبن"، ص ٩٥ .

(^{٦٤}) سليمان، عمارة البيت العراقي.....، ص ١٦٤.

- (٦٥) الشمري، البرج في العمارة.....، ص ٩، ١٠.
- (٦٦) يقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة وعلى بعد حوالي عشرة كيلومترات جنوب سامراء. ويعود تل الصوان الى العصر الحجري الحديث (الألف السادس قبل الميلاد)، وهو من المواقع المحصنة تحصيناً دفاعياً منتظماً، إذ أن المستوطن محاط بخندق وسور دفاعي موازي له. يوخنا، دوني جورج، عمارة الالف السادس قبل الميلاد في تل الصوان، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد/ كلية الآداب/ قسم الآثار، ١٩٨٦، ص ١١٠-١١١.
- ابراهيم، جابر خليل، "تخطيط المدن"، موسوعة الموصل الحضارية، الموصل، ١٩٩١، ص ٤٢٥.
- (٦٧) يوخنا، عمارة الالف السادس.....، ص ٥٧.
- (٦٨) يقصد به الإنحدار التدريجي نحو الداخل كلما أرتفعت الأسس الى الأعلى. ووظيفته زيادة ثبات البرج والتقليل من المواد الإنشائية وتخفيف الثقل على أساسها. وقد أستمّر هذا النمط منذ العصور القديمة حتى الوقت الحاضر. الشمري، البرج في العمارة.....، ص ١٥.
- (٦٩) جرك، الزقورة ظاهرة حضارية.....، ص ٨٦.
- (٧٠) الشمري، البرج في العمارة.....، ص ٢٩.
- (٧١) أحد ملوك مملكة ماري الواقعة على الفرات الاوسط قرب البوكمال السورية وقد حكم بنحو (١٧٨٢-١٧٥٩ ق.م) وقد نجح في الاستقلال في العصر البابلي القديم. ويعد الملك زميرليم من الملوك الاقوياء، وهو الباني الحقيقي للسلالة التي اقامها والده في مدينة ماري، كان له دور فاعل في مجرى الاحداث السياسية ضمن هذا العصر. الاعظمي، محمد طه محمد، حمورابي - ١٧٩٢-١٧٥٠ ق.م، دائرة الآثار والتراث، شركة عشتار للطباعة، بغداد، ١٩٩٠، ص ٣٩-٤٠.
- (٧٢) (تل الحريري حالياً)، تقع على الضفة اليمنى لنهر الفرات إلى الشمال الشرقي من البوكمال. تم الكشف عنها سنة ١٩٣٣ من قبل البعثة الفرنسية برئاسة اندريه بارو، يشكل موقعها حلقة مهمة في السيطرة على عقدة الطرق الرئيسية، التجارية والعسكرية إذ كانت جسراً لعبور الموجات القادمة من الغرب الى بلاد الرافدين، وهي منطقة مهمة من المناطق الحدودية لبادية الجزيرة. يُنظر: بصره جي، كنوز المتحف العراقي، مديرية الآثار العامة، بغداد، ١٩٧٢، ص ٣٨-٣٩.
- (٧٣) حسين، عمارة القصور.....، ص ١٨١.
- (٧٤) حسين، عمارة القصور.....، ص ١٨٢، ٢١٩.
- (٧٥) الأعظمي، محمد طه، "البيئة وأثرها على العمارة العراقية القديمة (المشاكل والحلول)، وقائع ندوة العمارة والبيئة، دائرة التراث العربي والإسلامي - ٢٠٠١، مطبعة المجمع العلمي، ٢٠٠٣، ص ٥٥.
- (٧٦) حول أهمية إقامة المصاطب، ينظر: جرك، الزقورة ظاهرة حضارية.....، ص ٥٠، ٦٠ وما بعدها.
- (٧٧) جرك، الزقورة ظاهرة حضارية.....، ص ١٦٥.
- (٧٨) مظلوم، مواضع استعمال اللبن.....، ص ٣٥.

- (٧٩) حسين، عمارة القصور.....، ص ١٣٦.
- (٨٠) الجميلي، عبد الاله عبد الرزاق، " نتائج أعمال الصيانة والتحريات والتنقيب في زقورة عقرقوف - الموسم العاشر والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر"، مجلة سومر، مج ٢٧، ج ١-٢، مديرية الآثار العامة، ١٩٧١، ص ٧٠.
- (٨١) يقع تل خيط قاسم في شمال منطقة حوض حميرين، وبالقرب من قرية (عيون خشالات) وهو تل منبسط وواطيء وبأبعاد (٢٠٠×١٥٠ م) ، وهو يمثل خمسة مواقع أو تلؤل. وقد كشف فيه عن ثلاث طبقات بنائية تعود الى عصر العبيد. يُنظر: حسين، عمارة القصور.....، ص ٤٢.
- (٨٢) جرك، الزقورة ظاهرة حضارية.....، ص ٩٨.
- (٨٣) شميت، "تاريخ تشييد الزقورة، ص ٦٥.
- (٨٤) الجميلي، "نتائج أعمال.....، ص ٧٠.
- (٨٥) نيبور، كارستن، رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر، ترجمة: محمود حسين الأمين، بغداد، ١٩٦٥، ص ٤٢ - ٤٣.
- (٨٦) الجميلي، "نتائج أعمال.....، ص ٧٠.
- (٨٧) يقع تل طايه، على بعد (٧) كم الى الجنوب الشرقي من قضاء تلغفوقد تم التنقيب فيه لأول مرة من قبل بعثة تنقيب بريطانية سنة ١٩١٥، ويعود الى أواخر الألف الثالث قبل الميلاد. صالح، الكشف الاثري.....، ص ٤٣.
- (88) Reade, J.E, "Tell Taya, 1967. Sumnary Report", Iraq, Vol, 30, 1968, p. 260.
- (٨٩) قادوس، عزت زكي حامد، مبادئ ترميم الآثار، الحضري للطباعة، الإسكندرية، ٢٠١٢، ص ٤١.
- (٩٠) الصبيحاي، التنقيبات الأثرية.....، ص ١٦٩.
- (٩١) الدباغ، تقي، "الفخار في عصور ما قبل التاريخ"، حضارة العراق، ج ٣، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٥، ص ١١.
- (٩٢) الدباغ، تقي، "مقدمة في علم الآثار"، الموسوعة الصغيرة، العدد ٨٨، بغداد-١٩٨١، ص ٥٦.
- (٩٣) سليمان، عامر، الكتابة المسمارية، الموصل، ٢٠٠٠، ص ٧٣.
- (٩٤) من الملوك الآشوريين الأوائل (١٨١٥ - ١٧٨٢ ق.م)، وهو من أصل آموري الذين وسعوا من نفوذ الدولة الآشورية في العصر الآشوري القديم، فقد تمكن من ضم مملكة ماري ومناطق مهمة من سوريا ولبنان وسواحل البحر الأبيض المتوسط. القصير، أحمد لفته رهمه، الفعاليات الآشورية في آسيا الوسطى، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القادسية/ كلية التربية، ٢٠٠١، ص ٤٩.
- (95) Gragson, Assyrian Royal Inscriptions, Vol. 1, Wiesbaden, 1972, p. 23.
- (96) Grayson, Assyrian Royal....., p.32.

(٩٧) اسرحدون (٦٨١ - ٦٦٩ ق.م)، خلف والده سنحاريب كانت بداية فترة حكمه غير مستقرة ثم تمكن من السيطرة بعد الحصول على تأييد سكان آشور وبدأ بإكمال أعمال أسلافه. محمد علي، ياسمين عبد الكريم، الأثاث في العصر الآشوري الحديث - ٩١١-٦١٢ ق.م، الهبة العامة للآثار والتراث، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٩، ص ٢٩.

(٩٨) جرك، الزقورة ظاهرة حضارية.....، ص ١٨.

(٩٩) جرك، الزقورة ظاهرة حضارية.....، ص ٢٤.

(١٠٠) فريدمان، أستيله، التنقيب عن الماضي أو الكشف عن الحضارات القديمة، ترجمة: أحمد محمد عيسى، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٠، ص ١٠٠.

(١٠١) طلاء رقيق ذو تركيب زجاجي شبه شفاف أو معتم يندمج على سطح الآنية الفخارية ليكون طلاء معدنيًا ملونًا، وهو عبارة عن تفاعل المواد الحمضية والقلوية بمساعدة عناصر أخرى كدرجات الحرارة أو نوع المواد نفسها. القيسي، ناهض عبد الرزاق، الفخار والخزف - دراسة تاريخية آثارية، عمان، ٢٠٠١، ص ١٠٩.

(١٠٢) الجميلي، قصي صبحي عباس، "فن وصناعة التزجيج في العراق القديم - دراسة تحليلية في ضوء الأدلة الأثرية"، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد ١٢، جامعة بغداد، ٢٠٠٩، ص ٣.

(١٠٣) الشمري، عباس عبد منديل، التوثيق الآثاري والعرض المتحفي - المتحف العراقي إنموذجاً، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد/ كلية الآداب/ قسم الآثار، ٢٠١٣، ص ٢٠١.

(104) Rothenberg, P., The Complete Book Of Ceramic Art, London, 1972, p.158.

(١٠٥) النعيمي، علي هاشم خيري، الفخار الآشوري تطوره وانتشاره، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد/ كلية الآداب، ١٩٩٥، ص ٦١.

(١٠٦) صالح، عبد العزيز، وشاكر، سحر نافع، "مقومات الفخار وصناعاته عبر العصور"، مجلة التراث والحضارة، العدد ١٢-١٤، المركز الأقليمي لصيانة الممتلكات الثقافية في الدول العربية، بغداد، ١٩٩٠-١٩٩٢، ص ٦٨.

(١٠٧) الجميلي، "فن وصناعة التزجيج"، ص ٧.

(١٠٨) الشكرجي، جابر عزيز، "الحرف والصناعات الفخارية"، مجلة بين النهرين، العدد ٢٨٠، ١٩٧٩، ص ٣٤٣.

(١٠٩) الساعدي، محمد عيسى جعفر، اللقى الأثرية المكتوبة - إكتشافها ومعالجتها وأهميتها في الدراسات الآثارية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد - كلية الآداب - قسم الآثار، ٢٠١٥، ص ١٠.

(١١٠) الدباغ، "الفخار في عصور....."، ص ١٤.

(١١١) باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج ١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦، ص ٦٠-٦٣.

(١١٢) Sasson, J. M., Civilization of the Ancient Near East, Vol. III, Now York, 1995, p.1559.

(١١٣) أحمد، سهيلة مجيد، الحرف والصناعات اليدوية في بلاد بابل وآشور، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل/ كلية الاداب، ٢٠٠٠، ص ٢٠٩.

(١١٤) أحد مواقع سهل سنجار ويقع جنوب غرب مدينة تلغفر في محافظة نينوى وعلى بعد (٧ كم)، نقت فيه بعثه سوفيتيه برئاسة كرونيوف في عام ١٩٦٩م وقد كشفت عن اثنا عشر طبقة سكنية. الدباغ، تقي، "الثورة الزراعية والقرى الأولى"، حضارة العراق، ج ١، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٥، ص ١٣٠.

(١١٥) سليمان، "اللغة والكتابة"، ص ٣٥٤.

(١١٦) الأغا، الطين، ص ٨٦.

(١١٧) التميمي، عباس علي، "الطابوق - صناعته وقياساته في العراق القديم"، مجلة سومر، مج ٣٨، ج ١-٢، المؤسسة العامة للآثار والتراث، بغداد، مطابع جامعة الموصل، ١٩٨٢، ص ٩.

(١١٨) سفر، فؤاد، "حفريات مديرية الآثار القديمة العامة في مدينة اريدو"، مجلة سومر، مج ٣، ج ١، مديرية الآثار القديمة العامة، بغداد، ١٩٤٧، ص ٢٢١.

(١١٩) بارو، أندريه، بلاد آشور (نينوى وبابل)، ترجمة: عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، بغداد، ١٩٨٠، ص ٢٥٢.

(١٢٠) الأغا، الطين، ص ٨٦.

(١٢١) محمود، خناو محمد، دمى والواح فخارية من العصر البابلي القديم نماذج مختارة غير منشورة في المتحف العراقي دراسة فنية حضارية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة صلاح الدين/ كلية الآداب / قسم الآثار، أربيل، ٢٠١٣، ص ٣٨.

(١٢٢) ابراهيم، جابر خليل، "تخطيط المدن"، موسوعة الموصل الحضارية، الموصل، ١٩٩١، ص ٢٣٤.

(١٢٣) أحمد، الحرف والصناعات، ص ٢٠٤، ٢٠٧.

(١٢٤) البدري، عبد اللطيف، من الطب الاشوري، المجمع العلمي العراقي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٧٦، ص ٢.

(١٢٥) الشمري، عباس عبد منديل، التوثيق في العراق القديم - دراسة تأريخية آثارية، رسالة ماجستير غير منشورة/ معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، ٢٠١١، ص ١١.

(١٢٦) عبد الله، محمد أحمد، تاريخ تخطيط المدن، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨١، ص ٩.

(١٢٧) حمدان، جمال، جغرافية المدن، القاهرة، (ب ت)، ص ٧٠-٧١.

- (١٢٨) حنون، نائل، حقيقة السومريين - ودراسات أخرى في علم الآثار والنصوص المسمارية، الطبعة الاولى، دار الزمان للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠٧، ص ١٦٣.
- (١٢٩) بوتس، دانيال. تي، حضارة وادي الرافدين - الاسس المادية، ترجمة: كاظم سعد الدين، ط١، مطبعة السجى، بغداد، ٢٠٠٦، ص ١٠.
- (١٣٠) باقر، طه، "معابد العراق القديم"، مجلة سومر، مج ٣، ج ١، مديرية الآثار القديمة العامة، ١٩٤٧، ص ١٢.
- (١٣١) الكساندروف، اميل ، الحماية القانونية للممتلكات والمنشآت الثقافية، ترجمة: رؤوف الكاظمي، مديرية الدراسات الاعلامية ، بغداد، (ب.ت)، ص ١١-١٣.
- (١٣٢) الدباغ، طرق التنقيبات الأثرية، ص ٦٥.
- (١٣٣) ماراسوفيج، المدن التاريخية.....، ص ١١.
- (١٣٤) الهياجي، ياسر هاشم عواد، "دور المنظمات الدولية والإقليمية فيحماية التراث الثقافي وإدارته وتعزيزه"، مجلة أدوماتو، العدد ٣٤، جامعة الملك سعود، الرياض، ٢٠١٦، ص ٩٢.
- (١٣٥) عبد الأمير، حسام، النظام القانوني للتراث لثقافي في العراق، مكتب السيسبان للطباعة، بغداد، ٢٠١٤، ص ١١٥، ١٤١.
- (١٣٦) المادة (٣٥) // الفقرة (١)، قانون الآثار والتراث رقم (٥٥) لسنة ٢٠٠٢، جريدة الوقائع العراقية، ج ٢، العدد ٣٩٥٧، مجموعة القوانين والانظمة.
- (١٣٧) الديباجة، "اتفاقية لحماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي"، القرارات والتوصيات، سجلات المؤتمر العام، مج ١، المؤتمر العام لمنظمة اليونسكو، الدورة (١٧)، باريس، ١٩٧٢.
- (١٣٨) الهياجي، ياسر هاشم عواد، إدارة مواقع الجذب السياحي التراثية - مدينة صنعاء القديمة إنموذجاً، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود، الرياض، ٢٠١٣، ص ٣٣.
- (١٣٩) الهياجي، "دور المنظمات الدولية....."، ص ٩٢.

قائمة المصادر والمراجع

١. ابراهيم، جابر خليل، "تخطيط المدن"، موسوعة الموصل الحضارية، الموصل، ١٩٩١.
٢. أحمد، سهيلة مجيد، الحرف والصناعات اليدوية في بلاد بابل وآشور، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل/ كلية الاداب، ٢٠٠٠.
٣. الأعظمي، محمد طه محمد، الاسوار والتحصينات الدفاعية في العمارة العراقية القديمة، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد / كلية الاداب/ قسم الآثار، ١٩٩٢.

٤. الأعظمي، محمد طه محمد، حمورابي - ١٧٩٢-١٧٥٠ ق.م، دائرة الآثار والتراث، شركة عشتار للطباعة، بغداد، ١٩٩٠.
٥. الأعظمي، محمد طه، "البيئة وأثرها على العمارة العراقية القديمة (المشاكل والحلول)، وقائع ندوة العمارة والبيئة، دائرة التراث العربي والإسلامي - ٢٠٠١، مطبعة المجمع العلمي، ٢٠٠٣.
٦. الاغا، وسناء حسون يونس حسن، الطين في حضارة بلاد الرافدين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل/ كلية الآداب، ٢٠٠٤.
٧. آل قباط، عثمان غانم محمد، الكتابة المسمارية على الآجر من الألف الأول قبل الميلاد (٩١١-٥٣٩ ق.م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل/ كلية الآداب/ قسم الآثار، ٢٠٠٣.
٨. الأمين، محمود، "إستكشافات أثرية جديدة في شمال العراق"، مجلة سومر، مج ٤، ج ١، مديرية الآثار القديمة العامة، مطبعة التفيض، بغداد، ١٩٤٨.
٩. الامين، محمود، "رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر"، مجلة سومر، مج ٩، ج ٢، مديرية الآثار القديمة العامة، ١٩٥٣.
١٠. أندريه، فالتر، إستحكامات آشور، (مترجم)، (ب.م)، ١٩٨٧.
١١. أوتس، جون، بابل تاريخ مصور، ترجمة: سمير عبد الرحيم الجلبي، بغداد، ١٩٩٠.
١٢. بارو، أندريه، بلاد آشور (نينوى وبابل)، ترجمة: عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، بغداد، ١٩٨٠.
١٣. باقر، طه، "معابد العراق القديم"، مجلة سومر، مج ٣، ج ١، مديرية الآثار القديمة العامة، ١٩٤٧.
١٤. باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج ١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦.
١٥. البديري، عبد اللطيف، من الطب الاشوري، المجمع العلمي العراقي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٧٦.
١٦. بصره جي، كنوز المتحف العراقي، مديرية الآثار العامة، بغداد، ١٩٧٢.
١٧. بوتس، دانيال. تي، حضارة وادي الرافدين - الاسس المادية، ترجمة: كاظم سعد الدين، ط ١، مطبعة السجى، بغداد، ٢٠٠٦.
١٨. التميمي، عباس علي، "الطابوق - صناعته وقياساته في العراق القديم"، مجلة سومر، مج ٣٨، ج ١-٢، المؤسسة العامة للآثار والتراث، بغداد، مطابع جامعة الموصل، ١٩٨٢.
١٩. الجادر، وليد محمود، "المدنية والبناء في بلاد وادي الرافدين"، مجلة كلية الآداب، العدد ٢٣، بغداد، ١٩٧٨.

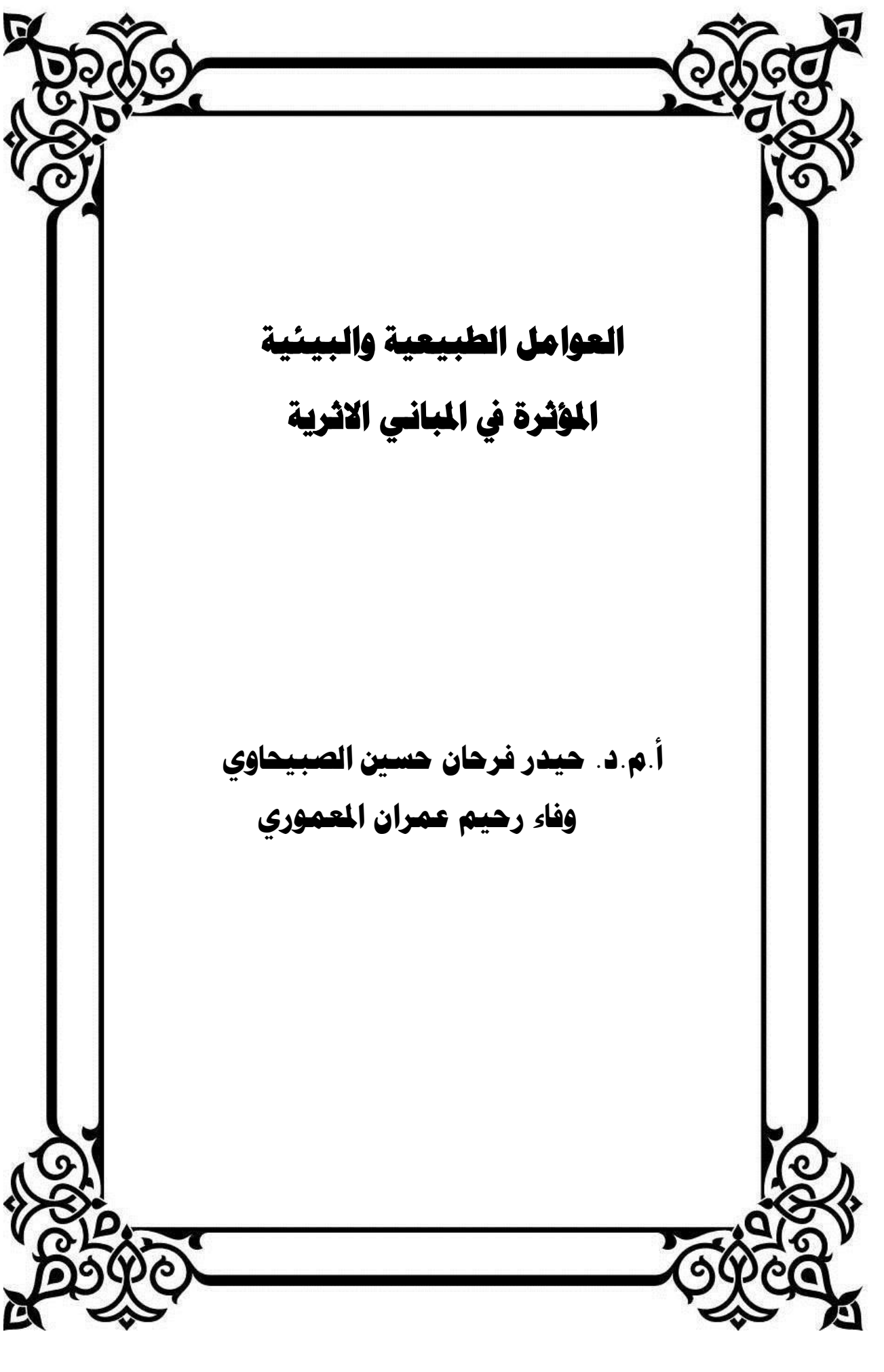
٢٠. الجادر، وليد محمود، "جدران المعابد العراقية المشيدة من الطابوق (الكيسو)"، مجلة سومر، مج ٤٩، ج ١، ٢، بغداد ١٩٩٧-١٩٩٨.
٢١. جرك، أوسام بحر، الزقورة ظاهرة حضارية متميزة في العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد/ كلية الآداب، ١٩٩٨.
٢٢. جميل، فؤاد، "أريان يدون أيام الأسكندر الكبير في العراق"، مجلة سومر، مج ٢١، ج ١، ٢، مديرية الآثار العامة، ١٩٦٥.
٢٣. الجميلي، عبد الاله عبد الرزاق، " نتائج أعمال الصيانة والتحريات والتنقيب في زقورة عرقوف - الموسم العاشر والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر"، مجلة سومر، مج ٢٧، ج ١-٢، مديرية الآثار العامة، ١٩٧١.
٢٤. الجميلي، قصي صبحي عباس، "فن وصناعة التزجيج في العراق القديم - دراسة تحليلية في ضوء الأدلة الأثرية"، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد ١٢، جامعة بغداد، ٢٠٠٩.
٢٥. جورج، دوني، عمارة الألف السادس قبل الميلاد في تل الصوان، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد/ الاداب/ الآثار، ١٩٨٦.
٢٦. حبيب، طالب منعم، سنحاريب سيرته ومنجزاته ٧٠٤ - ٦٨١ ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد/ كلية الآداب/ قسم الآثار، ١٩٨٦.
٢٧. حجارة، إسماعيل، "التنقيب في قالينج آغا (أربيل)"، مجلة سومر، ج ١، ٢، مج ٢٩، مديرية الآثار العامة، بغداد، ١٩٧٣.
٢٨. حسين، أثير أحمد، عمارة القصور في بلاد الرافدين الى نهاية العصر البابلي القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد/ كلية الآداب، ٢٠٠٩.
٢٩. حسين، حميد محمد، "اثر البناء على عمارة البيت العراقي عبر العصور"، مجلة بين النهرين، العددان ٤٩-٥٠، بغداد، ١٩٨٥.
٣٠. حمدان، جمال، جغرافية المدن، القاهرة، (ب ت).
٣١. حنون، نائل، حقيقة السومريين - ودراسات أخرى في علم الآثار والنصوص المسمارية، الطبعة الاولى، دار الزمان للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠٧.
٣٢. الخطابي، علي سالم عبد الله، خصائص المعبد العمارة من عصر فجر السلالات الى نهاية العصر البابلي القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل/ كلية الآداب، ٢٠١١.
٣٣. خلف، حسام عبد الأمير، نحو قانون دولي للتراث، ط ١، مكتب الهاشمي للكتاب الجامعي، بغداد، ٢٠١٦.

٣٤. الدباغ ، تقي، "الفخار في عصور ما قبل التاريخ"، حضارة العراق، ج٣، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٥.
٣٥. الدباغ، تقي، "الثورة الزراعية والقرى الأولى"، حضارة العراق، ج١، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٥.
٣٦. الدباغ، تقي، "مقدمة في علم الآثار"، الموسوعة الصغيرة، العدد ٨٨، بغداد-١٩٨١.
٣٧. الدباغ، تقي، "من القرية إلى المدينة"، موسوعة الموصل الحضارية، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٩١.
٣٨. الرواي، فاروق ناصر، "دراسة تسقيف العمائر العراقية القديمة"، مجلة التراث والحضارة، العدد ١٢-١٤، بغداد، ١٩٩٠-١٩٩٢.
٣٩. الساعدي، محمد عيسى جعفر، اللقى الأثرية المكتوبة - إكتشافها ومعالجتها وأهميتها في الدراسات الآثرية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد - كلية الآداب- قسم الآثار، ٢٠١٥.
٤٠. سعيد، مؤيد، "العمارة من عصر فجر السلالات الى نهاية العصر البابلي الحديث، حضارة العراق، ج٣، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٥.
٤١. سفر، فؤاد، "حفريات مديرية الآثار القديمة العامة في مدينة اريدو"، مجلة سومر، مج٣، ج١، مديرية الآثار القديمة العامة، بغداد، ١٩٤٧.
٤٢. سليمان، عامر، الكتابة المسمارية، الموصل، ٢٠٠٠.
٤٣. سليمان، موفق جرجيس، عمارة البيت العراقي القديم في عصور ما قبل التاريخ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد/ كلية الآداب / قسم الآثار، ١٩٧٦.
٤٤. الشكرجي، جابر عزيز، "الحرف والصناعات الفخارية"، مجلة بين النهرين، العدد ٢٨٠، ١٩٧٩.
٤٥. الشمري، ابراهيم سرحان، البرج في العمارة العربية الإسلامية في العراق حتى نهاية العصر العباسي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد/ كلية الآداب/ قسم الآثار، ١٩٩٦، ص١٦.
٤٦. الشمري، عباس عبد منديل، التوثيق الاثاري والعرض المتحفي - المتحف العراقي إنموذجاً، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد/ كلية الاداب/ قسم الآثار، ٢٠١٣.
٤٧. الشمري، عباس عبد منديل، التوثيق في العراق القديم - دراسة تأريخية آثرية، رسالة ماجستير غير منشورة/ معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، ٢٠١١.
٤٨. شميت، يوهان جورج، "تاريخ تشييد الزقورة في بابل إستناداً الى نتائج التنقيبات في ١٩٦٢"، مجلة سومر، مج٤١، عدد خاص، المؤسسة العامة للآثار والتراث، ١٩٨٥.
٤٩. صالح، عبد العزيز، وشاكر، سحر نافع، "مقومات الفخار وصناعته عبر العصور"، مجلة التراث والحضارة، العدد ١٢-١٤، المركز الأقليمي لصيانة الممتلكات الثقافية في الدول العربية، بغداد، ١٩٩٠-١٩٩٢.

٥٠. صالح، قحطان رشيد، الكشاف الأثري في العراق، المؤسسة العامة للآثار والتراث، بغداد، ١٩٨٧.
٥١. الصبيحاي، حيدر فرحان حسين، "التنقيبات الأثرية في موقع بزيخ للموسمين الأول والثاني ٢٠٠١-٢٠٠٢"، مجلة سومر، مج ٥٢، ج ١-٢، الهيئة العامة للآثار والتراث، مطبعة سومر، بغداد، ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤.
٥٢. عبد الأمير، حسام، النظام القانوني للتراث لثقافي في العراق، مكتب السيستان للطباعة، بغداد، ٢٠١٤.
٥٣. عبد الله، محمد أحمد، تاريخ تخطيط المدن، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨١، ص ٩.
٥٤. فريدمان، أستيله، التنقيب عن الماضي أو الكشف عن الحضارات القديمة، ترجمة: أحمد محمد عيسى، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٠.
٥٥. قادوس، عزت زكي حامد، ميادىء ترميم الآثار، الحضري للطباعة، الإسكندرية، ٢٠١٢.
٥٦. قانون الآثار والتراث رقم (٥٥) لسنة ٢٠٠٢، جريدة الوقائع العراقية، ج ٢، العدد ٣٩٥٧، مجموعة القوانين والانظمة.
٥٧. القصير، أحمد لفته رهمه، الفعاليات الآشورية في آسيا الوسطى، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القادسية/ كلية التربية، ٢٠٠١.
٥٨. القيسي، ناهض عبد الرزاق، الفخار والخزف - دراسة تاريخية أثرية، عمان، ٢٠٠١.
٥٩. الكساندروف، اميل ، الحماية القانونية للممتلكات والمنشآت الثقافية، ترجمة: رؤوف الكاظمي، مديرية الدراسات الاعلامية ، بغداد، (ب.ت).
٦٠. الكفلاوي، سامي عبد الحسين، التشقق والإنهيار في المباني التاريخية وطرق الصيانة والحفاظ عليها، ط ١، الهيئة العامة للآثار والتراث، مطبعة سومر، بغداد، ٢٠٠٦.
٦١. لويد، سيتون، وسفر ، فؤاد، "حفريات مديرية الآثار القديمة العامة في أريدو"، مجلة سومر، مج ٤، ج ٢، مديرية الآثار القديمة العامة، ١٩٤٨.
٦٢. محمد علي، ياسمين عبد الكريم، الأثاث في العصر الآشوري الحديث - ٩١١-٦١٢ ق.م، الهيئة العامة للآثار والتراث، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٩.
٦٣. محمد، رغد عبد القادر عباس، العصر الاكدي - معطياته الحضارية والفنية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد/ كلية الاداب، ١٩٩٦.
٦٤. محمود، خناو محمد، دمى والواح فخارية من العصر البابلي القديم نماذج مختارة غير منشورة في المتحف العراقي دراسة فنية حضارية، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة صلاح الدين/ كلية الآداب / قسم الآثار، أربيل، ٢٠١٣.
٦٥. مسعود، أماني نور الدائم محمد، حماية واستغلال الممتلكات الثقافية المادية في السودان - متحف السودان القومي نموذجاً، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الخرطوم، (ب.ت).
٦٦. مظلوم، طارق، "مواضع استعمال اللبن وحمايته في الابنية الآشورية"، مجلة التراث والحضارة ، العدد ٥-٧، المركز الأقليمي لصيانة الممتلكات الثقافية في الدول العربية، ١٩٨٣-١٩٨٥.
٦٧. مظلوم، طارق، "تينوى في ظل التنقيبات الأثرية (١٩٦٥-١٩٦٧)"، مجلة سومر، مج ٢٣، ج ١-٢، مديرية الآثار العامة، ١٩٦٧.

٦٨. مورتكات، أنطوان، الفن في العراق القديم، ترجمة وتعليق: الدكتور عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، وزارة الاعلام، مطبعة الاديب البغدادية، بغداد، ١٩٧٥.
٦٩. النعيمي، علي هاشم خيرى، الفخار الاشوري تطوره وانتشاره، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد/ كلية الآداب، ١٩٩٥.
٧٠. نيبور، كارستن، رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر، ترجمة: محمود حسين الأمين، بغداد، ١٩٦٥.
٧١. الهياجي، ياسر هاشم عواد، "دور المنظمات الدولية والإقليمية فيحماية التراث الثقافي وإدارته وتعزيزه"، مجلة أدوماتو، العدد ٣٤، جامعة الملك سعود، الرياض، ٢٠١٦.
٧٢. الهياجي، ياسر هاشم عواد، إدارة مواقع الجذب السياحي التراثية- مدينة صنعاء القديمة إنموذجاً، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود، الرياض، ٢٠١٠.
٧٣. يوخنا، دوني جورج، عمارة الالف السادس قبل الميلاد في تل الصوان، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد/ كلية الآداب/ قسم الآثار، ١٩٨٦.
٧٤. اليونسكو، "اتفاقية لحماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي"، القرارات والتوصيات، سجلات المؤتمر العام، مج ١، المؤتمر العام لمنظمة اليونسكو، الدورة (١٧)، باريس، ١٩٧٢.
- قائمة المصادر الأجنبية

1. Al-Wailly , F. & Al-Soof ,B,. " The Excavation at Tell Es-sawwan First Preliminary Report_ " . Sumer , vol.21 , Baghdad, 1965.
2. Gragson, Assyrian Royal Inscriptions, Vol. 1, Wiesbaden, 1972.
3. Lloyd, S; "Abu Shahrein : A Memorandom", Iraq, Vol 36, 1974.
4. Loyed, S., & Safar, "Tell Hassuna Excavations' JNES, Vol 1. No.4, 1944-1954.
5. Mallowan, N., Nimrud and its Remains, Vol. 1, Landon, 1966.
6. Matthews , R , Secrets of the Dark Mound (Jemdet Nasr 1926-1928), London. 2002.
7. Mellaart, J. The Neolithig of the Near East, London, 1975.
8. Parrot, A., Ziggurats et Tour de Babel, Paris, 1949, p. 126.
9. Reade, J.E, "Tell Taya, 1967. Sumnary Report", Iraq, Vol, 30, 1968.
10. Rothenberg, P., The Complete Book Of Ceramic Art, London, 1972.
11. Safar, & et. al, Eridu, Baghdad, 1982.
12. Sasson, J. M., Civilization of the Ancient Near East, Vol. III, Now York, 1995.
13. Woolly, S, L, Excavations at Ur, (UE). London, 1963.



العوامل الطبيعية والبيئية المؤثرة في المباني الاثرية

**أ.م.د. حيدر فرحان حسين الصبيحاوي
وفاء رحيم عمران المعموري**

العوامل الطبيعية والبيئية المؤثرة في المباني الاثرية

أ.م.د. حيدر فرحان حسين الصبيحاي

وفاء رحيم عمران المعموري

لاشك أن الطبيعة هي محور حياة الإنسان والمحفز الأول على العمل والإبداع، وتتزايد أهمية الطبيعة على مر العصور، وهي محاولة الإنسان لفهم كرتة الأرضية وموقعها وما يدور حولها ، ويتفق معظم العلماء والباحثين على إن البيئة الطبيعية هي العامل الأساس في ظهور الحضارات وتطورها، وكان لأبناء الرافدين منذ ظهور الحضارات القديمة مروراً بالحضارات العربية قبل الإسلام والحضارة الإسلامية المتعاقبة على هذه الأرض المعطاء عناية واسعة في دراسة البيئة الطبيعية ومحاولة تسخير هبات الله لخدمة بني البشر، والتكيف مع ظروف البيئة الطبيعية لخلق أجواء ديمومة الحياة وتطورها، كون البيئة هي الرافد والأساس الذي تستند عليه مقومات التطور وبناء الحضارات، وفي تخطيط التكوينات المعمارية، ويلاحظ ذلك أيضاً في المدينة العربية الإسلامية ، إذ إن المناخ أثر بصورة مباشرة وفعالة وكان له الأثر الواضح في تخطيط الشوارع وتمديد اتجاهاتها، وتشابهت هذه التأثيرات في معظم المدن الإسلامية، سيما أن أغلب تلك المدن يقع في المناطق الحارة فتلاحقت المباني وتدرجت مقاييس الشوارع وأصبحت الساحات المكشوفة عنصراً رئيساً في تخطيط التكوينات المعمارية المختلفة وأخذت الواجهات والعناصر المعمارية الأخرى المتصلة بالتهوية والإضاءة أنماطاً متشابهة فتكررت أمثلتها في المدن الإسلامية المختلفة^(١).

بمعنى آخر إن الإنسان اضطر إلى التكيف مع المناخ وعناصره المختلفة، إذ استخدم قواه العقلية والجسدية وسائل للتخفيف من قساوة الطبيعة، وتعد العمارة هي إحدى تلك الوسائل التي ابتدعها الإنسان إذ استخدام المواد البنائية والحلول البنائية للتغلب على تلك البيئة^(٢).

لهذا يمكن القول إن الطبيعة وعواملها لها الأثر الأكبر على المواد البنائية، بل حتى على طريقة التصميم وتوزيع الفضاءات واستخدامات المبنى الذي فرضته البيئة أحياناً والتي اختلفت من مكان لآخر حسب طبيعة المنطقة المقام فيها المبنى، والتي أصبحت فيما بعد ميزة حضارية تتمتع بها البلدان تبعاً لطرز البناء والتصميم التي عبرت عن خصائص الفكر الإنساني التي كفلت له التعامل بصيغ علمية

عكست قدرته المعرفية على تجاوز المشاكل التي حالت بينه وبين تطلعاته في بناء حضارة مدنية تطاول الزمان. (٣)

وعليه فإن للبيئة أثرها في كل مكان و زمان على المباني والصروح التاريخية من حيث الرطوبة والأمطار والرياح والإشعاع الشمسي ، وغيرها وكل هذه الأسباب منفردة أو مجتمعة تؤدي الى التلف التدريجي للمباني ومن ثم الى الانهيار ولكي تتم الصيانة بصورة فعالة للمباني عليها تشخيص الأضرار ومن ثم تتم المعالجة وفقاً لطبيعة الضرر ومن أهم الأضرار التي تصيب المباني هي:

أولاً- الرطوبة:

وهي عبارة عن جزيئات بخار ماء منفردة ذات طاقة عالية وهناك حد أقصى لكمية بخار الماء الذي يستطيع الهواء الاحتفاظ به، والنقطة التي يصبح عندها الهواء مشبعاً تسمى نقطة التشبع وهي الحد الأقصى لبخار الماء في الهواء والذي يصل إلى حالة اتزان مع سطح مستوٍ من الماء الخالص أو الثلج الموجودين عند درجة حرارة الهواء نفسها، والموجود في حالة اتزان مع سطح مستوٍ من الماء الخالص أو الثلج الموجودين عند درجة حرارة الهواء نفسها، وتختلف قيمة التشبع مع اختلاف درجة الحرارة، فأنا نستطيع تحديد هذه العلاقة بشكل كمي، ويمكن التعبير عن كمية البخار عن طريق ضغط بخار الماء، والذي يعرف بأنه القوة بالنسبة لوحدة المساحة التي تخلقها حركة جزيئات البخار، وهناك قانون خاص في علم الجغرافية يعرف باسم (الديناميكية الحرارية) لتحديد كمية البخار في الجو بصورته البخارية والسائلة^(٤).

والرطوبة نوعان : الأول هو الرطوبة المطلقة ، والثاني هو الرطوبة النسبية، وتعني الرطوبة المطلقة الكمية الحقيقية لبخار الماء المتواجد بالهواء وتقاس بعدد الغرامات في المتر المكعب الواحد من الهواء، ومن هنا عرفت أيضاً باسم الرطوبة الكلية وتعتمد الرطوبة المطلقة في تشبعها على درجة الحرارة في حالة انخفاضها أو ارتفاعها، أما الرطوبة النسبية فهي نسبة بخار الماء في حجم معين من الهواء وبين كمية بخار الماء المطلوب لتشبع القدر نفسه، وبين حجم الهواء وهو في درجة الحرارة نفسها، وبهذا يتضح الفرق بينهما وبين الرطوبة المطلقة أو الموجودة بالفعل في الهواء^(٥).

أما النسبة المئوية لكمية الرطوبة الموجودة في الهواء، وإلى كمية الرطوبة التي يمكن أن يستوعبها الهواء عند التشبع فتسمى الرطوبة النسبية وتقل هذه النسبة في فصل الشتاء والخريف لتصل إلى أقصاها

في فصل الصيف ويعد الهواء جافاً إذا كانت رطوبته النسبية أقل من ٥٠% ومتوسط الرطوبة إذ كانت ٦٠-٧٠% ورطباً وشديد الرطوبة إذا زادت النسبة عن ٧٠% ، وإن ارتفاع نسبة الرطوبة يشير إلى تضرر المبنى بالعفن التي تعتاش في ظروف تلك النسبة الملائمة لها^(٦)، فهي تقوم بواسطة جهازها الانزيمي بعملية تحليل السليلوز الموجود في الخشب الى مواد بسيطة التركيب قابله للذوبان في الماء كذلك تقوم بأكسدة هذه المواد وتحويلها الى ثاني اوكسيد الكربون لتحويلها الى طاقة لازمة لاستمرار وجودها وهذا يؤدي الى انكماش الخشب وضعف قوته الميكانيكية الساندة للجدران او السقوف او أي مكان اخر في البناء نظرا لكثرة استخدامه في المباني الاثرية والتراثية^(٧).

ويوجد ثلاث انواع من العفن التي تصيب المباني بسبب الرطوبة منها التعفن البني وهو احد انواع الفطريات ويتميز هذا النوع بتحليل السليلوز بسرعه عالية اكبر من غيره اذ تتخلل الخيوط الفطرية الى داخل الخشب وتقوم بتفكيك النسيج الخشبي وهذا ما أكدته الفحوصات المختبرية ، فعند اخذ عينات من الاخشاب المصابة وجد ان الخيوط الفطرية ملتصقه بها بلورات الكالسيوم والبوتاسيوم كما وجدت ثقب في الجدران نتيجة لاستهلاك السكريات وصولا الى الجدران صورة رقم (٢) ، وهناك نوع اخر من العفن وهو العفن الابيض وهو احد انواع الفطريات القادر على تغطية السطوح في اشكال اسفنجية وعادة ما تتكاثر عن طريق استنساخ الجراثيم في المناطق ذات الرطوبة العالية و يتميز هذا النوع من العفن ايضا بوجود الخيوط الفطرية التي تساعد على تغلغه الى داخل الخلية العضوية وبصورة اعمق وقد اثبتت الفحوص المختبرية ان هذا النوع من العفن يهاجم اخشاب البلوط بصورة اكثر من الاخشاب الاخرى صورة رقم (٣) ، والنوع الثالث من العفن وهو ما يسمى بالتعفن الطري وهو الاكثر انتشارا في المباني التراثية إذ يمتاز هذا النوع بكونه يهاجم الصفيحة الخشبية بكاملها وبصورة عامه فان اصابة الاخشاب والمباني بالفطريات تعتمد على درجة الحرارة والرطوبة وفي جميع انواع الفطريات فان المباني قد تتضرر بفعل مهاجمة تلك الفطريات للأخشاب الساندة للجدران والسقوف التي تتضرر وتصبح قابله للكسر والتهشم مما يفقد خواصه الميكانيكية وتضعف مقاومته للدعم والاسناد اضافه الى فقدانه اللون والشكل^(٨).

ويمكن قياس درجة الرطوبة في المباني، منها جهاز المرطاب الشعري (Hygro meter) وهو مقياس الرطوبة التقليدي لقياس محتوى الرطوبة في بيئة رطبة أو هوائية بمقدار النسبة المئوية للماء في

مادة معينة ، إذ يستند الى قدرة الشعرة الموجودة فيه والتي تتمدد نتيجة ارتفاع الرطوبة وتنقلص عندما يكون الجو جافاً، وهذا المقياس موثوق به بالنسبة لقيمة الرطوبة التي تزيد عن ٢٠% صورة رقم (٤)^(٩).

وهناك مصادر عدة للرطوبة منها:

١ . الأمطار: وهي أحد العناصر التي تسبب ضرراً للمباني ، وأحد مصادر الرطوبة داخل مواد البناء ، إذ لا يمكن أن نتصور مباني بأمن عن تأثير الأمطار ولا يوجد تدابير وقائية تمنع وصولها إلى تلك المباني الأثرية والترابية، والتي يختلف حجم تضررها بحسب موقع البناء ومادته الإنشائية، ويتوقف حجم الضرر على معدل تساقط الأمطار وسرعة الرياح والتركيب المسامي لمواد البناء ووجود الشروخ في المونيات ومواد البناء ، ومن أخطار الأمطار هو تفكك مونة البناء وتساقط الملاط من على الجدران وضياع النقوش والألوان وتحرك الأساسات وإذابة ونزح المواد الرابطة لحبيبات الكتل الحجرية وإذابة الأملاح وحملها إلى أماكن مختلفة^(١٠).

وقد أضافت لنا الهندسة المعمارية حلولاً لمعالجة كميات الأمطار ومنع تسربها الى داخل المباني ومنها عمل بروزات بنائية في أعلى الجدران لتعمل كمظلة أو قبة تحمي البناء كما مبين في الشكل رقم (١)، والحل الثاني هو عمل غطاء للسطح العلوي للجدار بشكل منحدر يصرف مياه المطار نحو الخارج أو يقلل الامتصاص إلى أقل حد ممكن كما مبين في الشكل رقم (٢)^(١١)، ومن أكثر أنواع الأغشية استعمالاً في الوقت الحاضر هي ألواح الألمنيوم وهي مادة لا تصدأ بالعوامل الجوية بسرعة ويسهل استعمالها كمادة عازلة لكسوة الأسطح الخارجية للجدران والقباب والقبوات نظراً لصيانتها غير المكلفة وسهولة تركيبها، فضلاً عن سعرها المناسب وخفة وزنها قياساً بالعوازل الأخرى للسقوف كألواح الحديد والاستانلس استيل^(١٢).

٢ . التكاثف: وهو عملية يتحول بها بخار الماء بعد التشبع الى الحالة السائلة في شكل جسيمات دقيقة والمطر الذي يسقط بصورة مائلة قليلاً ما يدخل الى البناء لكنه يبرد مسبباً التكاثف على وجهه الداخلي، إذ يحتوي الهواء البارد على كمية من بخار الماء أقل مما هو عليه في الهواء الساخن ونتيجة لذلك تقترب الرطوبة إلى الجدران عندما يبرد الهواء المحمل بالرطوبة بفعل عملية التكاثف ، وانخفاض درجة حرارة الهواء ، ومن نتائج التكاثف ظهور قطرات مائية على سطوح الجدران ، وأيضاً ظهور قطرات مائية على شكل بقع متفرقة على الجدران، وللتكاثف ميزة كونه ظاهرة غير

مستمرة الحدوث وتحدث دائماً بسبب الحرارة الواطئة عندما يتواجد الماء بفعل التكاثف، إذ يكون تواجده غزيراً في الجص ونادراً في مادة الجدار الداخلية وتعتمد معالجة التكاثف على رفع درجة حرارة الجدار أما بالتدفئة أو بالتهوية الجيدة للغرف بالنسبة للمباني غير المأهولة^(١٣).

٣. **المياه الجوفية:** وهي المياه المتكونة تحت سطح الأرض التي تسير من خلال مسامات تربتها إلى أن تستقر على منسوب معين يكاد يكون ثابتاً لكل منطقة وتتساب المياه الجوفية كالمياه السطحية من المناطق المرتفعة إلى المناطق المنخفضة^(١٤)، وللمياه الجوفية تأثيران هما: التأثير الكيميائي الذي يعمل على إذابة المواد البنائية التي تحتوي على كاربونات الكالسيوم محدثة فجوات في التربة تسبب انهيار المباني، والتأثير الآخر هو التأثير الميكانيكي للمياه الجوفية، إذ أن التربة المشبعة بالمياه تكون أقل تماسكاً بفعل ضغط المياه على الأسس، وبعد مرور زمان كافٍ يتخذ الماء مسام أخرى مصحوباً بزيادة ضغط المبنى وزيادة الإجهاد على التربة الضعيفة التي تفقد قابليتها على الحمل ، بسبب زيادة نسبة المياه الجوفية، إذ أن الكثافة الثقيلة للتربة المغمورة تقارب نصف توازنه فضلاً عن تضرر الأجزاء العليا منه بالرطوبة بفعل الخاصية الشعرية التي تعمل على جلب الأملاح من التربة تسبب تهشم وتفتت المادة البنائية^(١٥).

ويظهر ذلك واضحاً في مئذنة الكفل في محافظة بابل والتي تعود الى (٧١٦-٧٣٦هـ) وتشير المصادر التاريخية الى إن السلطان سعيد بهادر خان بن السلطان أولجياتو أتم بناء هذه المنارة بعد وفاة والده، ومئذنة الكفل هي من أروع مآذن العراق وتتألف من خمسة أقسام (القاعدة- البدن- الحوض- الرقبة- الشرفة) قاعدتها مربعة الشكل طول ضلعها ٥م وارتفاعها ٥.٩ م أما البدن فإنه ذو شكل اسطواني ومشيدة من الحجر^(١٦).

ولقد تعرضت المئذنة نتيجة عوامل الطبيعية من أمطار ورياح وحرارة ورطوبة وغيرها من عوامل التعرية وباقي المؤثرات التي أدت إلى تلف وخراب غالبية أجزاء المنارة العمرية والزخرفية صورة رقم (٥) ، وهذا ما حث إحدى القائمين على شؤون المرقد للقيام بصيانة بعض أقسامها البنائية وترميم نقوشها الزخرفية بغية المحافظة على معالم هذا الأثر بالاشتراك بين مديرية الأشغال العامة ومديرية الآثار العامة عام ١٩٣٩م، وقد كانت صيانة الاثنتين يشوبها بعض الهفوات وهذا ما أشارت إليه أحد الوثائق إلى تصرف أحد البنائين تصرفاً سيئاً ، وذلك بتغيير أماكن الكتابة وإحلال أحدها محل الأخرى، مما أدى إلى

تشويه الكتابة الأصلية وهذا ينافي شروط الصيانة الأثرية وأشارت الوثيقة إلى إيقاف العمل في حينه، ورفع ما كتب حديثاً وإعادة الأسطر المحولة إلى أماكنها الأصلية^(١٧).

والمئذنة هي احد المنشآت البنائية في الكفل التي تعرضت لخطر المياه الجوفية والرطوبة العالية اضافة الى العوامل الجوية الاخرى، ففي عام (٢٠٠٧) أجريت دراسات وبحوث مشتركة عن واقع حال الموقع، بين دائرة الآثار وشركة الإديسي لعمل الدراسات والبحوث المختبرية والهندسية حول ميلان المئذنة والتشققات الحاصلة في بدنها وبقية مرافق الموقع، فضلاً عن دراسة أعدتها الشركة الإيرانية (أيمن سازه فدك) عام (٢٠١٣) والتي حددت الاضرار في القاعدة والبدن للمئذنة^(١٨).

وتتلخص تلك الأضرار في نسبة ميلان المئذنة الواضح والمتأثر بالعوامل الطبيعية كالأمطار والرياح والحرارة اضافة الى نسبة الرطوبة العالية في قاعدتها بفعل المياه الجوفية التي أضرت بأسس القاعدة، الامر الذي أدى الى فقدان كسوة الجدران المتمثلة بالطلاء الجصي نتيجة ارتفاع منسوب الرطوبة الى مستوى عالٍ من قاعدة المئذنة وبقية جدران الأبنية الأخرى في الكفل^(١٩)، كذلك انهيار بعض المقرنصات أسفل بدن المئذنة ووجود ثقب متعدد في رقبة المئذنة مع تعرية وتآكل أغلب الأجر^(٢٠) الصور رقم (٧٦).

أما عن كيفية التخلص من المياه الجوفية فهناك طريقة معتمدة في العراق وهي طريقة الميزل القاطع وتتلخص هذه الطريقة بإيقاف وصول الماء إلى تربة المبنى وأساسه بعمل تصميم خاص يناسب الموقع ويتم عن طريقه تصريف مياه المنطقة وحمايتها من تأثيرات المياه الأرضية وذلك بالحفاظ على منسوب ثابت للمياه الجوفية باستخدام أنابيب مثقبة وبأقطار مناسبة ومغطاة بطبقة من المواد المرشحة كما تم ذلك في مبنى المدرسة المستنصرية في بغداد التي أثبتت التجربة نجاحها^(٢١).

ثانياً: الإشعاع الشمسي ودرجة الحرارة:

تعد الطاقة الشمسية الأساس الذي تقوم عليه جميع أشكال الحياة على كوكب الأرض وينقسم الإشعاع الشمسي الى ثلاثة أنواع رئيسية حسب المدى الطيفي، **النوع الأول**: هو مجموعة الأشعة البنفسجية وأشعة أكس وأشعة جاما، **والنوع الثاني**: الأشعة المرئية وتمثل كميتها إجمالي الإشعاع الشمسي

بنحو ٤٠%، أما النوع الثالث: الأشعة الحرارية تحت الحمراء وتشكل ٤٦% من إجمالي الإشعاع الشمسي في حين يتعرض الجزء الواصل إلينا من هذه الأشعة أثناء رحلته إلى الأرض إلى التشتت والتبعثر والامتصاص بتأثير الغازات و المواد العالقة وأوضححت قياسات الأقمار الاصطناعية أن نحو ٤٩% من الإشعاع الشمسي المتجه نحو الأرض يؤثر بنسبة ٥١% التي تستهلك في العمليات الطبيعية مثل التحول الحراري صورة تكاثف بخار الماء والتساقط والرياح والتيارات المائية والتمثيل الكلوروفيلي وغيرها (٢٢).

إن شدة الإشعاع الشمسي وطول مدة سطوعه على سطح الأرض وكذلك زاوية سقوطه، فضلاً عن اختلاف طول الليل والنهار على مدار العالم ووضع الأرض بالنسبة للشمس أدى إلى تباين تلك النسب من منطقة إلى أخرى، فمثلاً أن منطقتنا العربية تتميز بطول فصل الصيف مما أدى إلى أن تكون أشعة الشمس عمودية وذات درجات حرارة عالية وصلت إلى أكثر من ٥٠%، وهذا ما دفع المعمار الإسلامي إلى إيجاد حلول بنائية لعدة ضرورات بيئية منها ارتفاع درجات الحرارة صيفاً فاستحدثت وظيفة البادكير وغيرها من الحلول (٢٣).

لم يقتصر تأثير الإشعاع الشمسي على طبيعة تخطيط المباني فحسب، بل انعكس ذلك التأثير على طبيعة المادة البنائية نفسها، إذ أن شدة الإشعاع الشمسي وارتفاع درجات الحرارة صيفاً وانخفاض تلك النسب شتاءً أدت إلى خلخلة توازن البناء نتيجة تمدد الجدران وانكماشها بصورة متكررة مسببة قوى وإجهادات للمبنى (٢٤)، والتي تظهر بصورة ملحوظة في المناطق ذات الطابع الصحراوي ، إذ يكون الجو صحواً والرطوبة النسبية قليلة ترتفع درجة الحرارة وتسخن الجدران إلى درجة عالية بفعل الإشعاع الشمسي وأثناء الليل تنخفض درجة الحرارة فتبرد السطوح الخارجية للجدران نتيجة فقدانها الحرارة من سطوحها الخارجية المعرضة للجو بينما يظل باطن الجدران ساخناً، إذ أن الجدار غير متجانس لاحتوائه على معادن عدة لكل منها معامل تمدد خاص وقابلية خاصة لفقدان والاكتساب الحراري تبعاً لمادتها الإنشائية ولونها، فالمواد التي تكون غامقة تكون قابلية امتصاصها للأشعة أكبر كمية من تلك التي تكون ذات لون فاتح، وكذلك فإن كثافة مادة البناء تعمل على رفع مقاومته الحرارية إذ أن المباني المشيدة من جدران سميكة يمكنها المحافظة على درجات حرارتها ومنع التدفق والتوصيل إلى داخل المبنى وقابليتها على نقل الحرارة والرطوبة والتبخر وغيرها تكون قليلة قياساً بالجدران القليلة السمك (٢٥)، وهناك عدة مصطلحات يرد

ذكرها عندما يتم التطرق لتأثير الحرارة على المباني منها: التخلف الزمني (Time lag) وهو الفارق الزمني في وصول الموجة الحرارية من السطح الخارجي للعنصر الإنشائي وإلى السطح الداخلي للمبنى وأيضاً معامل النقص وهو النسبة بين أقصى تغير في درجات الحرارة للسطح الداخلي للبناء وخارجيه خلال ٢٤ ساعة^(٢٦)، وأيضاً مقياس العزل الحراري وهو ما يسمى بمعامل النقل الحراري وهو قابلية الجدار أو السقف لتسريب الحرارة بين داخل وخارج المبنى والذي عن طريقه يمكن معرفة نسبة العزل الحراري من حيث مقاومته للرطوبة والحرارة والحريق والعزل الصوتي^(٢٧).

لذا فإن الاختلاف الحراري في مواسم السنة ونسبة الإشعاع الشمسي وزاويته على المبنى يؤثر تأثيراً سلبياً على المبنى مسبباً حدوث ميلان وتحذب وتشققات وتهشمات في أغلب أجزائه^(٢٨)، وهذا ما نراه واضحاً في المنارة الحدباء قبل سقوطها على يد داعش الإجرامي في عام (٢٠١٧) ، إذ تميزت هذه المئذنة بظاهرة التحذب وهو أحد المؤثرات الفيزيائية للإشعاع الشمسي التي تطرأ على الأبنية، فقد تظهر هذه الظاهرة في الأبراج والمآذن عندما تكون أشعة الشمس مركزة على جهة معينة مدة طويلة نسبياً والجهة المعاكسة معرضة إلى إشعاع شمسي أقل وأحياناً تتعرض إلى رطوبة جوية فيحصل هناك فارق بدرجات الحرارة بين الجهتين يؤدي إلى حدوث تمدد وانكماش، إذ أن الجدران المعرضة لأشعة الشمس تتمدد والجهة الأخرى تكون في حالة انكماش بفعل البرودة ونتيجة لهذا الفارق حصل التحذب والميلان في الجزء العلوي من المئذنة الذي يحوي الحوض والرقبة والذي انهار وأعيد بناؤه في فترات أخرى لاحقة ، وذلك بمعالجة بدن المئذنة من تأثير الاجهادات بطريقة تثبيت أسسها بالركائز الحديدية الجذرية عام (١٩٨١)^(٢٩) .

ثالثاً- الأملاح:

تعد الأملاح من العوامل التي تشكل ضرراً على المباني لما لها من تأثيرات كيميائية وإنشائية على المبنى ، إذ تؤدي إلى تصدع الجدران وتشويهها، ويمكن تقسيم الأملاح التي تعمل على تلف المبنى على نوعين ، هما:

أ- الأملاح الذائبة.

ب- الأملاح غير الذائبة.

إذ أن التربة تحتوي على الكثير من الأملاح المختلفة مثل الكلوريدات والكبريتات والفسفات والنترات والكربونات التي تعد من أهم العوامل المساعدة في تلف المباني الأثرية عند ذوبانها بالماء وتنتقل إلى البناء بمساعدة الرطوبة والتبخر^(٣٠).

أما الأملاح غير الذائبة فهي تكون في المادة الإنشائية المكونة للبناء مثل الطابوق والجص فتتفاعل الأملاح في داخلها مع عناصر الرطوبة أو الماء محدثة تفاعلات كيميائية مضرّة بالمبنى^(٣١)، فالماء هو العامل المحرك لحركة الأملاح التي تظهر بشكل متبلور أو متزهر نتيجة امتصاص الطابوق للماء، وغالباً ما يحتوي على كميات كبيرة من غاز ثنائي أكسيد الكربون ويكون مذاباً فيه وبذا يكون عبارة عن حامض الكربونيك المخفف الذي يذيب قسماً من كربونات الكالسيوم ويحولها إلى كربونات الكالسيوم الحامضية، وهي مادة قابلة للذوبان بالماء تعمل على السطح وإن هذه المادة قلقة وغير ثابتة إذ سرعان ما تفقد ماؤها وتتحول إلى أملاح الكلس التي تترسب على وجه البناء بشكل متبلور أو غير متبلور وهو ظهور كتل ملحية على شكل بلورات صغيرة جداً وتنتشر بكثرة أحياناً في أسس المباني والجدران وكل هذا يعتمد على مسامية المواد الإنشائية ونوع القيمة المستعملة فيها ويظهر ذلك جلياً في صنع الطابوق مثلاً الذي يحتوي طينته على الغرين والرمل إضافة إلى ترسبات الطينة نفسها التي يمكن أن تحتوي على أملاح كثيرة فضلاً عن درجة الحرارة بالجو والرطوبة النسبية ومستوى الماء الأرضي وهذه العوامل منفردة أو مجتمعة تؤثر على ظهور نسبة الأملاح على المباني^(٣٢).

وتلعب الرطوبة مع درجة الحرارة دوراً كبيراً في عملية إذابة وإعادة بلورة الأملاح ، ففي حالة ارتفاع نسبة الرطوبة وانخفاض درجة الحرارة تذوب الأملاح القابلة للذوبان في الماء وتنتشر داخل مسام الأحجار الخاملة والطابوق والجص ، وفي حالة تبخر الماء وارتفاع درجة الحرارة تكون الفرصة متاحة لبلورة الأملاح ويمكن لبلورات الملح أن تتفاعل بزيادة حجمها نتيجة تعرضها للهواء^(٣٣)، ويمكن التخلص من الأملاح بواسطة طريقة المبزل القاطع والتي تم التطرق إليها في الحديث عن المياه الجوفية^(٣٤).

والطريقة الثانية هي تقوية المادة الضعيفة في البناء بمواد لا تسد مسامها ومن أفضل المواد التي يمكن استخدامها في هذا الغرض محلول النيو سليكوز في الأسيتون أو محلول الكلاتون الذائب في الكحول الأيثيلي الساخن (٩٠%) ، ويمكن إزالة الأملاح من السطوح غير المنقوشة وغير الملونة وإذا كانت ملونة يفضل تثبيت الألوان قبل البدء باستخلاص الأملاح بالمحاليل التي لا تسد مسام المواد وغالباً

ما تستخدم طريقة الحمامات المائية وهي تغطية السطوح الملونة بعد تثبيتها وغير الملونة كذلك بالماء العذب وبعض المحاليل لإزالة عوالق الأملاح^(٣٥).

وهناك طريقة أخرى تقتضي بأكساء الجدران بعد غسلها بالماء بطبقة جديدة خفيفة مشابهة لخواص المادة الأصلية وذات مسامية عالية بحيث تسمح بحدوث التبلور، بين الأكساء القديم والجديد مما يؤدي الى تقشر طبقة الأكساء الجديد بعد مدة دون أن يحدث ضرراً على المادة الأصلية وبذلك تكون عملية الأكساء هذه هي للمحافظة على مظهر البناء بين فترة وأخرى^(٣٦).

وعلى الرغم من كثرة طرق معالجة الأملاح إلا أن بعضها يكون له عيوب في المعالجة، فهناك طرق تستمد في معالجتها على استعمال حامض الكلوريك المخفف وهذا الحامض يفاعل كربونات الكالسيوم في الأوجه المعرضة للملح، إذ ان عيوب هذه الطريقة تتلف الوجه وتقلل من تماسكه إذا احتوت المادة المراد معالجتها سواءً أكانت طابوقاً أم حجراً أم جصاً على مواد كلسية بنسبة عالية التي يمكن أن يتلفها الحامض عند إذابته، لذلك يجب فحص المواد قبل أن تتم معالجتها ليتسنى معرفة تركيبها الكيميائي وقيمة ذلك التركيب لتتم معالجته بصورة مناسبة وصحيحة، والمعالجة الأهم في جميع الأضرار هو منع وصول المؤثرات أيّاً كان نوعها للمباني، فبالنسبة لمعالجة الأملاح فإن المؤثر الفعال في ظهورها هو الرطوبة سواءً أكانت من الأسس بفعل الرطوبة وخاصة (التوصيل الشعري) أم من السطوح بفعل سواء تصريف مياه الأمطار^(٣٧).

رابعاً - الرياح

يأتي ذكر الرياح في الوطن العربي وفي العراق بعد الضغط الجوي نتيجة للترتيب الدراسي لعناصر المناخ وليس بالنسبة للدور الذي تحتله الرياح كعنصر مؤثر في طبيعة المناخ، لأن الأمطار في العراق والوطن العربي لها الصدارة من حيث الأهمية كعنصر مؤثر في الطبيعة والمناخ بصورة عامة، ولاشك أن الرياح تقوم بعاملين عامل هدمي متمثل بالنحت والتعرية بإحدى الوسائل وهي التذرية وتتم بواسطة قوة دفع الهواء وضغطه واحتكاكه بالسطح فحيثما وجدت مساحة من سطح الأرض الجافة المحتواة على مواد متفككة أو قليلة التماسك مثل حبيبات الرمل الخشنة التي تحملها بعيداً عن مصادرها، والوسيلة الأخرى للرياح التحزيز وتتم بواسطة الرياح المحملة بالرمل، إذ تعمل هذه الرياح على نحت الصخور والمواد

الأخرى في طريقها محدثة خطوطاً دقيقة فيها وتكون عادة في اتجاه الريح وهذا ما نراه في الصخور الصحراوية والمباني التي تعمل على تأكلها^(٣٨).

وبالنسبة للعراق بصورة عامة فإنه يتأثر بنوعين من الرياح، رياح شمالية غربية قادمة من البحر المتوسط وغالباً ما تكون رطبة وباردة، ورياح شرقية ناتجة عن الضغط الأسوي وغالباً ما تلتقي هذه الرياح في وسط وجنوب العراق محدثة أمطاراً تؤدي إلى ارتفاع الرطوبة النسبية في تلك المناطق^(٣٩)، وأن اتجاه الرياح وسرعتها لها أثر في تلف المباني فعندما يكون اتجاه هبوب الرياح موازياً لسطح البناء يكون نحت الرياح بشكل خطوط مستقيمة وغائرة تساهم في تلف معالم البناء وزخارفه وكتاباته، وأما إذا كان اتجاهها عمودياً فيكون النحت على شكل تجاويف دائرية، وكلما زادت سرعة الرياح وشدتها فهي تزداد خطورة على ذلك لقدرتها على حمل حبيبات الرمال الأكثر والأكبر^(٤٠).

ولا يقتصر تأثير الرياح فقط على النحت والإرساب بل لها تأثير كبير في عملية التغير المفاجئ الذي يحدث في درجات الحرارة نتيجة احتفاظها عند انتقالها بدرجة الحرارة القادمة منها فضلاً عن تغير منسوب الرطوبة والضغط الجوي نتيجة الرياح، وكل هذه العوامل لها تأثير على خلخلة البناء وتفكك حبيباته مما يساعد على ضعف الأجزاء المجوفة في المباني فضلاً عن الزخارف البارزة والمخرمة لاسيما تلك المعمولة من الجص، إذ يسهل على الرياح نحتها^(٤١).

ومن اهم الاساليب التي من الممكن التقليل فيها من خطر الرياح على المباني الاثرية هي :

١ .ازالة الرمال من حول المباني التراثية والتاريخية .

٢ .اقامة مصدات للرمال المتحركة .

٤ .تشبيث الارض حول المباني لمنع انجرافها مع الريح .

٥ .تشجير المناطق المجاورة للمباني الاثرية والتراثية^(٤٢).

خامساً- الأمطار الحامضية

تنتج الأمطار الحامضية عن الاستخدام المتزايد لجميع أنواع الوقود مثل الفحم ومشتقات البترول المختلفة في الصناعات ومحركات إنتاج الطاقة الكهربائية ومحركات المركبات بجميع أنواعها المختلفة

والاستخدامات المنزلية الى اختلاطها بمياه المطر أثناء سقوطه وتفاعله معه وتحول مياه الأمطار إلى محاليل صمغية، نتيجة لتلوث هوائنا بالغازات الكيميائية المنبعثة من تلك الاستخدامات أو بفعل الإشعاعات الناتجة عن التفجيرات والحروب التي أثرت على البيئة بصورة عامة بكل أصنافها، لذا فإن قطرات المطر أثناء نزولها تختلط بكمية التلوث الحاصل وتسقط حاملة معها جسيمات الحوامض والمواد المشعة أو الملوثة، وغالباً ما يحوي المطر الحمضي على ثاني أكسيد الكبريت وأكاسيد النتروجين المنبعثة من مصادر بشرية وصناعية تتخذ جزيئات الماء في الغلاف الجوي أشكالاً متعددة على هيئة سحب أو ندى أو مطر وثلج وبرد والتي تكون متحدة مع غاز ثنائي أو كسيد الكبريت فتنتج حامض الكبريتيك مع غاز أكسيد النتروجين فتنتج حامض النيتروز ومع غاز ثنائي أكسيد النيتروجين فينتج حمض النتريك وتتم عملية تحول الماء المتساقط إلى أحماض في مواقع الغازات المسببة للحمضية أو في مواقع أخرى تبعد مئات الكيلومترات عن مصادر الغازات وتتساقط عليها على شكل تساقط حمضي يؤثر في المنشآت والمباني والأعمال الفنية والتاريخية بالمدن كما يتفاعل مع مواد البناء والطلاء^(٤٣)، وقد تعرضت كثير من القصور والمعابد والهياكل الأثرية في العديد من دول العالم ولاسيما الأوربية إلى التآكل والنحت والإذابة مثل مدينة استكهولم في السويد التي أصابها الضرر الحمضي وأدى إلى إتلاف القصر الملكي وبعض الكنائس وقد تم حصر نحو (٢٧) مدينة أوربية تتعرض مبانيها للنحت والإذابة، بسبب التركيز العالي للأمطار الحمضية^(٤٤).

أما في العراق فلا توجد هناك دراسة جادة توضح كمية الضرر الناتج عن هذه الأمطار وأثرها على النظام البيئي والعمراني، سيما أن البلاد منذ مدة ليست بالقليلة تعاني من مواد سامة مصدرها الحروب والانبعثات التي خلفتها المواد الكيميائية الناتجة بفعل الحروب أو بفعل الاستخدام البشري الخاطئ لمصادر الطاقة، لهذا فإن الأمطار بصورة عامة سواءً أكانت حامضية أم بشكل تساقط طبيعي هي من العوامل المؤثرة في المباني تبعاً لكمية سقوط المطر والظروف المحيطة لكل منطقة حيث أن كمية الأمطار الساقطة تختلف من منطقة إلى أخرى مضافاً إليها درجات الحرارة ونوع التربة فارتفاع درجات الحرارة يزيد من كمية المياه المفقودة، وأن انتشار التربة المسامية يؤدي إلى فقد كميات كبيرة من المياه^(٤٥)، وهذا ما يحدث في العراق الذي يتسم فيه موسم سقوط المطر بالتذبذب والذي يبدأ من تشرين الثاني وتنتهي في توزيعها المكاني فتزداد كلما تقدمنا نحو الشمال وتقل كلما تقدمنا نحو الجنوب والجنوب الغربي ويعود ذلك إلى اختلاف البيئة الشمالية عن البيئة الجنوبية في العراق من حيث التضاريس ودرجة

الحرارة التي على أساسها تحدد الصفة العامة للمناخ، وهذا التذبذب والاختلاف في عناصر المناخ في العراق أدى إلى اختلاف البيئة العمرانية لأقاليمه الشمالية عن الجنوبية فضلاً عن مدى تأثير المباني بعناصر المناخ لكل إقليم، ويتم حساب كثافة الأمطار بقسمة كمية الأمطار على فترات سقوطها محسوبة بالساعة ويفيد قياس متوسط كثافة الأمطار في تتبع مدى إمكانية الاستفادة أو الضرر من مياه الأمطار، إذ يعطي هذا المتوسط معدل تسرب المياه في الطبقات الأرضية أو اندفاعها في شكل فيضانات مدمرة في حين لا يؤدي انهيارها - بنفس الكمية - خلال مدة زمنية أطول تتكون نصف يوم (١٢ ساعة) إلى النتائج نفسها، نتيجة إلى تسرب جزء منها إلى الطبقات الأرضية وتبخر جزء آخر سواء على سطح الأرض أو خلال طبقات الجو أثناء السقوط، ومعنى ذلك أن كثافة الأمطار تفيد في تحديد الأثر الفعلي لها سواء على الحياة أو على المباني^(٤٦).

سابعاً - الغازات المحيطة وتلوث الجو

لقد تزايد التلوث الجوي في الآونة الأخيرة تبعاً لتزايد مصادره بفعل الحروب ومصادر الانبعاثات من المصانع وعوادم السيارات وغيرها مما ساعد على انتشار الغازات والحوامض في الهواء التي يمكنها التفاعل مع الهواء الجوي وبظروف جوية مثل الضوء والرطوبة ودرجة الحرارة وبمساعدة تلك الظروف تتحول إلى مواد مضرّة للمعادن والأحجار والأنسجة وغيرها ويشكل الهواء الجوي حالياً إحدى المشاكل الكبرى التي تهدد الآثار وتساعد على تلفها لدرجة أن بعض الدول اضطرت إلى استبدال التماثيل بأخرى من الجص أو طلائها بمادة عازلة وهذا ما يكلف الكثير^(٤٧).

وأثبتت الدراسات أن الغازات المحيطة بالجو هي ذات اثر فعلي لا يقل خطورة عن المسببات الأخرى، فمثلاً وجود ثاني أكسيد الكبريت الذي يتحول بوجود الضوء إلى ثالث أكسيد الكبريت وهو في أعلى معدلاته أثناء النهار، وبذلك يكون من أكثر الغازات الجوية ضرراً بالمباني الأثرية بشكل عام ، إذ يتمتع هذا الغاز بسرعة تفاعله مع المواد البنائية والسطوح الجصية بفعل وجود الرطوبة في هذه المواد، مما يتسبب في نخر وتآكل المواد التي امتصته^(٤٨)، وكذلك غاز ثنائي أكسيد الكربون CO₂ الموجود في الهواء الجوي وهو المسؤول على النشاط الإنساني بنسبة (٢%) فقط من مكوناته الطبيعية ، في حين إذا ازدادت هذه النسبة عن الحد الطبيعي يعد غازاً ملوثاً سينا إذا وجد في المباني المغلقة والأثرية التي لا

توجد فيها تيارات هوائية تتخلص من تركيز هذا الغاز مما يؤثر على المباني باتحاده مع عناصر أخرى متلفاً المواد البنائية بإظهاره الأملاح عليها^(٤٩).

سادساً: الزلازل والصواعق

لا يمكن للإنسان التنبؤ بحدوث الزلازل وكيف ومتى الا قبل وقت قصير من حدوثها حيث يسعى لدرء اخطارها ، وتسبب الزلازل والصواعق اضرار بالغة للأبنية الاثرية مثل الخلخلة والتشقق و احيانا الانهيار وغيرها من الاخطار ، وتتناسب هذه الاخطار مع شدة الزلازل ومدته ، فالجدران ضعيفة الترابط وعناصر البناء المفصولة جزئيا كالمداخل والابراج والزوايا وعناصر الربط الضعيفة تكون عرضة للسقوط الكلي ، و في حالة الصواعق فأمكن عن طريق تركيب مانعات الصواعق لردء اخطارها ، وفي هذه الحالة لابد من دراسة المبنى التاريخي ودراسة توزيع تركيب مانعات الصواعق واجراء فحص دوري لها رغبة في ابقائها جاهزة الفاعلية^(٥٠)، وخلاصة القول ان الزلازل والصواعق تسبب في تدمير الكثير من المواقع والمباني الاثرية والتراثية لتتركها فيما بعد لعاديات الزمن وتقادمه كما حصل ذلك منذ وقت قريب على احد جدران حصن الاخيضر في كربلاء المقدسة مما ادى الى حدوث تصدع بفعل الهزات الارضية والصواعق وقد تم اصلاحه ومعالجته^(٥١).

سابعاً- تأثير الكائنات الحية على المباني

أولاً- النمل الأبيض(الأرضة)

يعد النمل الأبيض أو الأرضة من أكثر الحشرات ضرراً أو تأثيراً على مواد البناء ، ولاسيما أن الإصابة بالنمل الأبيض لا تلاحظ إلا عند استفحال المشكلة نظراً لما تتميز به معيشة النمل الأبيض من حياة تتسم بالسرية بعيداً عن الضوء، فيما عدا في فترات الهجرة وتكوين مستعمرات جديدة التي يتحول فيها لون الحشرات من اللون الأبيض إل اللون البني الداكن، إذ تكون لها القدرة على التعرض للضوء مع تكون الأجنحة استعداداً لغزو منطقة أخرى من البناء، وغالباً ما يتخذ النمل الأخشاب ملاذاً له، وذلك لأنه مادة عضوية تحتوي على نسبة معينة من السليلوز حالها حال المخطوطات والمنسوجات ويمكن ملاحظة وجودها عن طريق رؤية الأنفاق التي تشبه الرمل أو وجود أجنحة منكسرة^(٥٢) ، ويتمثل دور النمل

الأبيض في عمليات تلف المباني فيما يقوم به من حفر أنفاق يتخذها مأوى له في التربة أسفل الأساسات ما يؤدي إلى خلخلة التربة، ومن ثم تصدع المباني أو الجدران فضلاً عن تأثيره على الملاط أو طبقة المونة أو الأخشاب التي تحمل عناصر إنشائية هامة في البناء والتي تعمل على تفتيتها ومن ثم فقدان صلابتها وتماسكها^(٥٣).

ثانياً - الكائنات الحية الأخرى

تقوم الكائنات الحية بدور مماثل لعوامل التلف الأخرى ومنها ما يرى العين المجردة مثل الفئران والطيور التي تسبب فضلاتها وجثثها وأعشاشها تفاعلات حمضية تؤثر على المباني، وهناك الكائنات المجهرية التي تساعد ظروف معينة على العيش في المباني الأثرية ومنها الرطوبة، إذ تظهر هذه الكائنات على شكل بكتريا وطحالب وفطريات تؤثر على أساسات المبنى وجدرانه^(٥٤).

الهوامش:

(١) عثمان، محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٠، ص ٩٤.

(٢) الصبيحاي، حيدر فرحان حسين، المعالجات التخطيطية والمعمارية لأثر البيئة الطبيعية في المدينة العربية الإسلامية في العراف حتى سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى مجلس كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١٤، ص ٨.

(٣) محمد، هيثم قاسم، حلول البناء في مباني الموصل خلال العصور الإسلامية، أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى مجلس كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠١٢، ص ٤.

(٤) عبد العزيز، فتحي، الأصول العامة في الجغرافية المناخية والنباتية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ٢٠٠٣، ص ٢٧٦.

(٥) عبده وجاد الله، طلعت أحمد وحورية محمد، في أصول الجغرافيا العامة، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ٢٠٠٠م، ص ٥٩٥.

(٦) ياسين، رشا عبد العظيم، دراسة تأثير التلف البايولوجي على المكونات الثرية"، مجلة الملوية للدراسات الأثرية والتاريخية، مج ٤، ع ٨، ٢٠١٧، ص ٢٧٧.

(٧) Darwish,s.s,Elhadidi,the effect of fungal decany on ficussycomorous wood ,international conservation science,vol 4,Issue3,2013,271-282.

- (^٨) شاهين، عبد المعز، الاسس العلمية لعلاج وترميم وصيانة الكتب والمخطوطات والوثائق التاريخية، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٠، ص ٧ .
- (^٩) شيمري، لور، المناخ، ط ١، السعودية، ٢٠١٤، ص ٦٢ .
- (^{١٠}) مزارى، الرطوبة في المباني، ص ٩ .
- (^{١١}) الرواف، إنشاء المباني، ص ٣٢ .
- (^{١٢}) السرحان، فرح فاهم ، " تأثير الرطوبة على المباني وطريقة عزل الرطوبة، ومواد العزل المستخدمة"، مقال على الموقع الرسمي لكلية الهندسة جامعة بابل، ٢٠١١،
engineering.uobabylon.edu.iq
- (^{١٣}) صليب ، مرفت ثابت ، تأثير المياه الجوفية على المباني الاثرية ، ط ١، الدار العلمية للنشر، مصر، ٢٠٠٨، ص ٧ .
- (^{١٤}) الشكرجي، والمحمدي، يوسف ونوري، هندسة الأسس، بغداد، ١٩٨٥، ص ١٥٤ .
- (^{١٥}) الشكرجي ، والمحمدي ،هندسة الاسس ، ص ١٥٦ .
- (^{١٦}) الحديثي، عطا، " مئذنة الكفل " ، مجلة سومر، ١٩٧٤، ص ١٢٢ .
- (^{١٧}) للمزيد من التفاصيل: انظر الوثيقة رقم ا ر ه ت والمؤرخة في ١٩٣٩/٩/٣، قسم التوثيق التراثي، الهيئة العامة للآثار والتراث .
- (^{١٨}) الكرعائي، عقيل حماد، مئذنة الكفل تاريخها- عمارتها- صيانتها، أمانة مسجد النخيلة التاريخي والمزارات الملحقة به، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م، ص ٦٦ .
- (^{١٩}) بارح، محمد جواد، تقرير مفصل عن أعمال هيئة التعري والتقيب، الكفل، الموسم الأول عام ١٩٩٩، قسم التوثيق، رقم ١٧/هـ ت .
- (^{٢٠}) موسى، مريم عمران، الكفل ، الهيئة العامة للآثار والتراث ، ص ٣٢ .
- (^{٢١}) الكفلاوي، التشقق والانهار ، ص ٥٤ .
- (^{٢٢}) شرف، محمد إبراهيم، خرائط الطقس والمناخ، دار المعرفة الجامعية، مصر ، ٢٠٠٥، ص ٢٢ .
- (^{٢٣}) وزيري، يحيى، تطبيقات على عمارة البيئة، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٢، ص ٢٥ .
- (^{٢٤}) كنانة، محمد ثابت، وآخرون، مبادئ علم الجيولوجيا الهندسية، بغداد، ١٩٧٩، ص ٢٠١ .
- (²⁵) Paude, smith (Hand book of moisture Determination and Control: Principies, Techniques, A application), New York, 1974,P.26
- (^{٢٦}) الموسوي، هاشم عبود، العمارة والمناخ، ط ١، عمان، ٢٠٠٧، ص ٨١ .
- (^{٢٧}) ساكو، زهير، إنشاء المباني، ص ٢١٠ .
- (²⁸) Feiled, Bernard, conservation of History Buildings, Londin, 1982, vol.2,p.88.
- (^{٢٩}) الكفلاوي، التشقق والأنهيار، ص ٢٩ .

- (٣٠) فرج ، منتهى خالد ، "تأثير العوامل الطبيعية على المباني التراثية في مدينة سامراء انموذجا "، مجلة الملوية للدراسات الاثرية والتاريخية ، مج ٣ ، ع ٦ ، ٢٠١٦ ، ص ٣٣ .
- (31) Willam, Yong, (Salt Action on stone in Heritage Building USA , Boston 1973, P. 140.
- (٣٢) الرواف، يوسف، انشاء المباني والمواد البنائية، ط٦، ١٩٨٢، ص ١٠.
- (33) Croci , G, The conserration and Strutural restoration of architectural computational mechanice pub USA , 1996, P. 12.
- (٣٤) ينظر الى : المياه الجوفية ، ص ١٠ .
- (٣٥) خطاب، سعيد علي، ترسيم وصيانة المباني الأثرية المعمارية، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ٨٤.
- (٣٦) اللامي، علاء حسين جاسم، أساليب صيانة المباني التراثية العراقية للفترة ١٨٠٠-١٩٥٠، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب جامعة بغداد، ٢٠٠٨، ص ٣٨.
- (37)Hodges ,Rather ,(The Use Electro dialysis to Remove Soluble Salts) , Iccrom , 1970, p. 77.
- (٣٨) أبو راضي، فتحي عبد العزيز، أسس الجغرافية الطبيعية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٦، ص ٣٠٠.
- (٣٩) العاني والمشهداني، خطاب صكار وإبراهيم عبد الجبار، جغرافية الوطن العربي، ط ١، جامعة بغداد ، ١٩٩٩، ص ١١١.
- (٤٠) عفيفي، هالة، دراسة استخدام التقنيات النحت والاستساخ في عمليات ترميم الآثار وتنطبق على بعض الآثار الجصية الإسلامية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآثار، ٢٠٠١، ص ١٤٤.
- (41)Honey borne B.,D., weathering and decay of masoury, in conservation of building ston, Butter worth Heinemann, 1998, p.153-180.
- (٤٢) شاهين ، ترميم وصيانة المباني الاثرية والتاريخية، ص ٢٠٤ .
- (٤٣) العيساوي، فايز محمد، أسس الجغرافية البشرية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٦، ص ٣٥٥.
- (٤٤) أبو راضي، فتحي عبد العزيز، الأصول العامة في الجغرافية المناخية والنباتية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٣، ص ٤٣٠.
- (٤٥) شرف، محمد إبراهيم محمد، جغرافية لمناخ والبيئة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٤، ص ٣٥٣.
- (٤٦) العاني والمشهداني، جغرافية الوطن العربي، ص ١١١.
- (٤٧) العودات، محمد، التلوث وحماية البيئة، ط ٣، الأهالي للطباعة والنشر، الجزائر، ١٩٩٨، ص ٥٤.
- (48) Fassina, V,. Air Pollution of stone decay in " the deterioration and conservation of stone", Unisco, 1983, p.135.

(49) Mora, P. Mor, Land Philpot, conservation of wall paintings, Iccrom, Scotland, 1984, p.184.

(50) شعث ، المعالم التاريخية ، المؤتمر السادس عشر للآثار والتراث ، الكويت ، ٢٠٠٣ م ، ج١ ، ص ٥٢ .

(51) اثناء زيارتنا الميدانية للموقع .

(52) البناء ، عبد الفتاح ، دراسة مقارنة للمواد والطرق في علاج وصيانة الآثار الحجرية وتأثيرها على خواصها ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٠ ، ص ٨٩ .

(53) شاهين ، ترميم وصيانة المباني ، ص ١٨٠ .

(54) عفيفي ، دراسة استخدام التقنيات ، ص ١٤٥ .

تخطيط وعمارة دائرة بلدية بغداد

في محلة جديد حسن باشا

**Planning and architecture of the Municipality
of Baghdad in the new district Hassan Pasha**

أ.م.د. فاروق محمد علي

علي طه عبد الكريم

alitahath1994@gmail.com

تخطيط وعمارة دائرة بلدية بغداد في محلة جديد حسن باشا

أ.م.د. فاروق محمد علي

علي طه عبد الكريم

الملخص العربي

تمثل محلة جديد حسن باشا التي تقع في الجانب الشرقي من بغداد الانموذج الحي والشاخص لمحلات بغداد القديمة، والتي تحتفظ بمبان مختلفة؛ منها السكنية والخدمية والدينية والحكومية، تعود للعصر العثماني، ويمثل مبنى دائرة البلدية أحد المباني الحكومية التي تقع في هذه المحلة. وقد قسمنا البحث الى عدة فقرات إضافة الى هذا الملخص البسيط، وهي بدايات ظهور دائرة البلدية وتشكيل المجلس البلدي، ومن ثم الى تاريخ مبنى دائرة البلدية، وبعدها الى تخطيطه وعمارته وتصنيف أبرز عناصره العمرية، وقد عززنا البحث بمخطط المبنى والاشكال التوضيحية والصور الفوتوغرافية.

English Abstract

The new district of Hassan Pasha, located on the eastern side of Baghdad, represents the living and personal model of the old Baghdad shops, which hold various buildings, including residential, service, religious and governmental, dating back to the Ottoman era. The municipality building represents one of the government buildings located in this district.

We have divided the research into several paragraphs in addition to this simple summary, namely the beginning of the appearance of the municipal department and the formation of the municipal council, and then to the history of the municipality building, and then to the planning and architecture and classification of the most important elements of architecture, and we reinforced the research plan of the building and illustrations and photographs.

تعد من اهم الدوائر الخدمية التي تأسست في العصر العثماني وتعرف بدار البلدية^(١) وكانت وظيفة هذه الدائرة هي تقديم الخدمات العامة للمواطنين من تنوير الشوارع والازقة بالفوانيس النفطية وجمع النفايات على الحيوانات واسالة مياه الشرب واطفاء الحرائق وفتح الشوارع والمساحات والخدمات الصحية والاشراف على المؤسسات الخيرية التي تتولى رعاية الأطفال والايتام، وكذلك انشاء بعض المباني العامة ومتابعة صيانة وتنظيف المساجد ودور العبادة على رغم من انها تابعة للأوقاف والمعارف، ومراقبة الأبنية القديمة وتفقدتها بين حين واخر^(٢).

وكانت دائرة البلدية تضم المجلس البلدي الذي يتألف من اثنا عشر عضوا ينتخبهم المواطنون لمدة اربع سنوات ويستبدل بعضهم كل سنتين، وكان الرئيس ينتخب من قبل أعضاء المجلس وتطور النظام

فأصبح يعين من قبل الحكومة^(٣). وكانت دائرة البلدية تستخدم عددا من الموظفين الإداريين والفنيين ومنها الطبيب البشري والمهندس البلدي والكتاب والمحاسبين^(٤).

وتأسست اول بلدية في بغداد سنة (١٢٨٥هـ/١٨٦٨م) في زمن الوالي تقي الدين باشا (١٢٨٦-١٢٨٤هـ) (١٨٦٧-١٨٦٩م)، وهي اول دائرة على مستوى ولايات العراق العثمانية^(٥)، وعندما تولى مدحت باشا الحكم في سنة (١٢٨٦هـ/١٨٦٩م) شيد بناية خاصة لدائرة بلدية بغداد^(٦). والظاهر لم يكن لهذه الدائرة بناية خاصة بها في بادئ الامر وانما تشغل دورا مستأجرة.

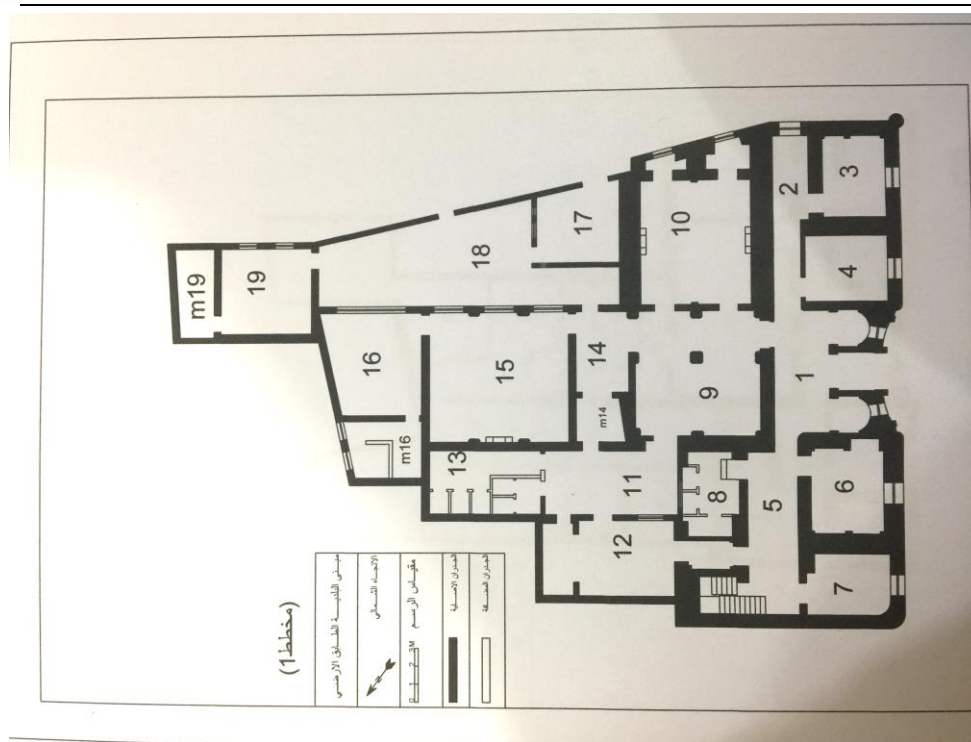
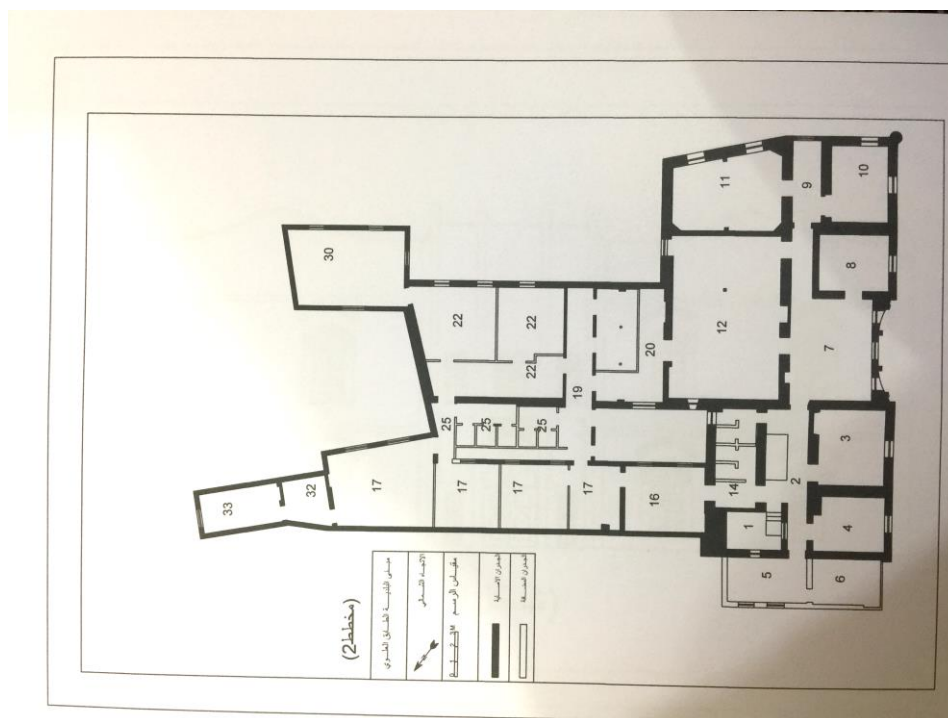
ونظرا لسعة مدينة بغداد وحاجتها الى مزيد من الخدمات فقد تطلب الامر زيادة عدد بلديات المدينة فأُسست في سنة (١٢٩٦هـ/١٨٧٨م) بلدية ثانية في الرصافة وثالثة في جانب الكرخ وجرت انتخابات لعضوية مجالس الدوائر الثلاث في سنة (١٢٩٦هـ/١٨٧٩م) وعين رئيس لكل دائرة^(٧). ولم يكن للدائرتين الاخيرتين بناية خاصة وانما كانتا تشغلان دورا مستأجرة^(٨).

مبنى دائرة البلدية

يقع المبنى في محلة جديد حسن باشا في الجانب الشمالي الشرقي من شارع جديد حسن باشا (السراي) وتطل على شارعين؛ الأول يوازي شارع جديد حسن باشا (السراي) في الجانب الشمالي الشرقي، والثاني يوازي الشارع الفرعي المتصل بشارع جديد حسن باشا (السراي) (صورة ١ من الأعمار الاصطناعية) ويقابل المبنى المدخل الشمالي الشرقي الرئيسي لمبنى القشلة.

يشير مؤرخين على ان هذا المبنى هو دائرة بلدية بغداد الأولى التي شيدها مدحت باشا سنة (١٢٨٦هـ/١٨٦٩م)^(٩) وقيل سنة (١٢٨٧هـ/١٨٧٠م)^(١٠) وقد حدد رشيد خواجه المبنى بخارطته سنة (١٩٠٨م)، بينما يذكر احد الباحثين ان هذا المبنى هو المدرسة الرشدية دون ان يذكر دليلا على ذلك^(١١).

تخطيط المبنى (مخطط ١) (مخطط ٢)



يشغل المبنى مساحة غير منتظمة الاضلاع من طابقين، له ساحتان مكشوفتان الأولى جانبية من الجهة الجنوبية الشرقية للمبنى، والثانية داخلية المبنى، صغيرة المساحة تطل عليها مداخل ونوافذ بعض الوحدات البنائية للمبنى، ويقع مدخله الرئيسي في منتصف واجهة المبنى، وهناك مدخلان اخران في الضلع الجنوبي للمبنى فتحا حديثا.

الواجهة الرئيسية

للمبنى واجهة واحدة تطل على شارع جديد حسن باشا (شارع السراي) تمتد لمسافة (٢٨٠.٠٧م) (لوح ٢) (شكل ١) وهي مكونة من ثلاثة اقسام: القسم الوسطي مبني بشكل مقعر (مقوس) الى الداخل، يرتفع عن مستوى الأرض بنحو (١١.٨٧م)، يتوسطه المدخل الرئيسي سعة فتحته (٢٠.٠٧م) وارتفاعه (٣.٦٤م) توجت فتحته بعقد مدبب ذو مركزين ، وتضم فتحته بابا خشبيا من مصراعين حديث الصنع، وتعلو فتحة المدخل زخارف هندسية عبارة عن اطباق نجمية اثني عشرية معمولة بالحفر الغائر على الأجر (لوح ٢) (شكل ٢).

وعلى جانبي فتحة المدخل نافذتان مستطيلتان بمستوى أرضية الرصيف تقريبا توجت فتحتهما بعقد مستقيم يغشيها شبكا خشبيا حديث الصنع، ويعلو هذه النوافذ مستطيلان غائران في الجدار قليلا ، اما الطابق العلوي فقد ضم ثلاث نوافذ: واحدة في الوسط واثنان على جانبيها صغر منها، توجت فتحة كل منهما بعقد مستقيم يغشيها شبكا خشبيا حديث الصنع (لوح ٣)

ودعم هذا القسم بأربع دعائم بنائية متشابهة اثنتان تكتنفان فتحة المدخل، واثنان على طرفي هذا القسم، عرض الواحدة (٠.٣٠م) تبرز عن سمت الجدار قليلا، توجت نهاياتها بكرة بنائية صلبة، محمولة على قاعدة متدرجة (لوح ٣) وارتفاع الدعائم عن مستوى الأرض مع الكرة بنحو (١٢.٦٥م).

اما القسمان الاخران للواجهة فمتشابهان وارتفاعهما (١١.٣٠م) فتحت في كل قسم منهما نافذتان في كل طابق متشابهة في الشكل توجت فتحتهما بعقد نصف دائري يغشيها شبكا خشبيا من طلاقتين حديث الصنع، وفتحت هذه النوافذ داخل دخلة مستطيلة غائرة قليلا في الجدار، وتوجت نهايتها بعقد منخفض (لوح ٤)، ويعلو القسمين شكل جملوني او مثلث يرتفع عن مستوى الواجهة بنحو (١.١٦م) (وهناك مثلث اخر في الضلع الشمالي الغربي لهذا المبنى لكنه مندمج مع المبنى الذي يجاوره). وفي نهاية الواجهة وتحديدًا في الركن الجنوبي الشرقي من المبنى دعامة قطاعها ثلاث ارباع الدائرة، ارتفاعها اقل من الواجهة بقليل بنحو (١٠.٩٠م) (لوح ٥)، اذ وضعت لتفادي الزوايا الحادة فضلا عن تقليل تأثير الأركان في حالة الاصطدام، وقد انتشرت هذه الظاهرة العمرية في اغلب الولايات العثمانية وتعرف أحيانا بـ(عمود الناصية) اذ تتم معالجة الأركان بتركيب دعامة او عمود اسطواني مندمج يستقر في زاوية المبنى، وكانت المعالجة عمارية في بدايتها وأصبحت في ما بعد معالجة فنية لا غنى عنها^(١٢).

الطابق الأرضي (مخطط ١)

يفضي المدخل الرئيسي الى مجاز مستطيل الشكل ابعاده (٢.٩٢×٢.١٥م) يفضي بدوره على قاعة الموزع (١) بعقد مدبب ارتفاعه (٣.٦١م)، سقف بقبو يأخذ شكل عقد المدخل، مزين بزخرفة عبارة عن اشكال معينة متداخلة عملت بوضعية التلاعب بالأجر، (شكل ٣) (لوح ٦). وعلى يمين ويسار المجاز حنيتان متشابهتان، بمستوى الأرض، جدارهما الجنوبي الغربي مقوس الشكل، ابعادهما (٢.٢٣×٢.٠٨م)

توجت فتحة كل منهما بعقد مدبب (لوح ٧)، وسقفت كل من هاتين الحنيتين بنوعين من السقوف؛ الاول قبو مدبب يسقف المساحة المستطيلة، وزخرف بطريقة التلاعب بالآجر، والثاني نصف قبة (ربع كرة) يسقف المنطقة المقوسة (لوح ٨). وتخرق جدارهما الجنوبي الغربي نافذة مستطيلة الشكل سعة فتحتها (٢٠.٦٨م) وارتفاعها (١.٨٠م) متوجة بعقد مستقيم. وتطل الحنيتان والمجاز على الموزع بثلاث عقود (شكل ٤) وتكتنف خاصرة عقد المجاز حلية زخرفية (شكل ٥) (لوح ٩) عبارة عن مثلث مقلوب قاعدته الى الأعلى، وضلعيه مقوسان قليلا، تتوسطها زهرة ذات عشرة فصوص، في مركزها دائرة تتبثق منها نجمة ذات عشرة رؤوس، وتحيط بهذه الزهرة اشكال ذات نهايات مقوسة تعمل شكل دائري، وشغلة الزوايا الثلاث للمثلث مروحة نخيلية.

ويلي المجاز قاعة الموزع (١) مستطيلة الشكل ابعادها (٣.٠٤×٦.٨٥م) مسقوفة بطريقة العقادة والروافد الحديدية (الشيلمان)، وعلى جانبيها من اليمين واليسار ممر (٢) و(٥):

ممر (٢) طوله (٩.٩٠م) وعرضه لمسافة (٥.١٠م) من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي بنحو (١.٥٢م) وبعدها يتسع ليصبح عرضها (٢م)، وفي نهاية الممر في الجدار الجنوبي الشرقي نافذة سعة فتحتها (١.٢٢م) وارتفاعها (٢.٦٠م) توجت فتحتها بعقد نصف دائري تطل على الشارع الجانبي.

سقف هذا الممر بطريقة العقادة و الروافد الحديدية (الشيلمان)، وتقضي على هذا الممر حجرتان (٤) و(٣): حجرة (٤) مستطيلة الشكل ابعادها (٣.٧٠×٤.٥٣م) لها مدخل مستطيل في الطرف الشمالي الغربي من الجدار الشمالي الشرقي سعة فتحتها (١.١٣م) وارتفاعها (٢.٨٠م) متوجة بعقد مستقيم. ولها نافذة في منتصف جدارها الجنوبي الغربي سعة فتحتها (١.٢٠م) وارتفاعها (٢.٦٠م) تطل على شارع جديد حسن باشا (السراي).

اما حجرة (٣) فنقع بجوار حجرة (٤) من الجهة الجنوبية الشرقية مستطيلة الشكل ابعادها (٤.٦٤×٣.٤٨م)، لها مدخل في الطرف الشمالي الغربي من الجدارالشمالي الشرقي سعة فتحتها (١.١٥م) وارتفاعها (٢.٨٠م)، ولها نافذة في منتصف جدارها الجنوبي الغربي سعة فتحتها (١.٢٠م) وارتفاعها (٢.٦٠م) تطل على شارع جديد حسن باشا (السراي). وسقفت الحجرة بقبوين بيضويين (لوح ١٠) محمولين على عقود نصف دائرية تستند هذه العقود على دعائم (لوح ١١) من جهة واحدة تبرز عن سمت الجدار بنحو (٠.١٥) واحدة في المنتصف واثنان منزويتان.

اما ممر (٥) فيقع في الجانب الشمالي الغربي من قاعة الموزع (١) مستطيل الشكل ابعاده (٢.٧٧×٩.٠٥م) مسقف بطريقة العقادة والروافد الحديدية (الشيلمان) ومفتوح سقفه على الطابق العلوي من الجهة الشمالية الشرقية بفتحة مستطيلة ابعادها (١.٤٤×٣.٠٧م). وتقضي على هذا الممر اربع حجرات (٦) (٧) (٨) (١٢):

من الجانب الجنوبي الغربي من الممر حرتان (٦) و(٧)؛ حجرة (٦) مستطيلة الشكل ابعادها (٣.٩٨×٤.٧٧م) لها مدخل في الطرف الجنوبي الشرقي من الجدار الشمالي الشرقي، سعة فتحتها (١.١٧م) ارتفاعها (٢.٨٠م) وللحجرة نافذة في منتصف جدارها الغربي سعة فتحتها (١.٢٠م) وارتفاعها (٢.٦٠م) تطل على شارع جديد حسن باشا (السراي). وهناك دخلة في النهاية الجنوبية الغربية من الجدار الشمالي الغربي سعتها (١.٥٨م) غائرة في الجدار بنحو (٠.٦٨م)، وسقفت الحجرة بقبوين بيضويين وبالطريقة نفسها التي سقفت به حجرة (٣).

اما حجرة (٧) فتقع بجوار حجرة (٦) من الجهة الشمالي الغربية، مستطيلة الشكل ابعادها (٤.١٠×٣.٤٠م) لها مدخل في النهاية الشمالية الغربية من الجدار الجنوبي الغربي مفتوح داخل دخلة في الجدار سعتها (٢.٣٣م) وغائرة في الجدار بنحو (٠.٤٥م)، اما المدخل سعة فتحته (١.١٥م) وارتفاعه (٢.٨٠م)، ولها نافذة في منتصف جدارها الجنوبي الغربي سعة فتحتها (١.١٦م) وارتفاعها (٢.٦٠م). سقفت الحجرة بطريقة العقادة والروافد الحديدية (الشيلمان) حديثا.

اما الجانب الشمالي الشرقي من ممر (٥) ففيه حرتان (٨) (١٢)؛ حجرة (٨) مستطيلة الشكل ابعادها (٣.٢٠×٤.٧٩م) لها مدخل في جدارها الجنوبي الغربي سعة فتحته (١.١٢م) وارتفاعه (٢.٢٠م). وترتفع ارضيتها عن مستوى ارضية المبنى بنحو (٠.٣٠م) نتيجة لتحويل هذه الحجرة الى حمام، وعولج هذا الامر ببناء دكة امام المدخل طولها بعرض سعة المدخل وارتفاعها (٠.١٥م). ولها نافذة في جدارها الشمالي الشرقي مستطيلة الشكل سعة فتحتها (١.١٥م) وارتفاعها (٠.٥٢م) متوجة بعقد مستقيم تطل على ساحة (١١)، سقفت هذه الحجرة بقبو بيضوي محمول على أربع عقود نصف دائرية ملتصقة بالجدران الاربعة ارتفاعه عن الارض بنحو (٣.٦٣م).

اما حجرة (١٢) فتقع الى الشمال الغربي من حجرة (٨) واسعة المساحة مستطيلة الشكل ابعادها (٤.٢٤×٧.٤٣م) يتقدمها ممر من الجهة الجنوبية الغربية مستطيل الشكل ابعاده (٣.٢٩×١.٦٠م) مسقف بقبو بيضوي، وللحجرة ثلاث مداخل؛ واحد يتقدم الممر، سعة فتحته (١.٠٨م) وارتفاعه (٢م)، ومدخلان في الجدار الجنوبي الشرقي؛ احدهما في المنتصف تقريبا سعة فتحته (١.١١م) وارتفاعه (٢.٨٠م)، والاخر في النهاية الشمالية الشرقية سعة فتحته (٠.٨٢م) وارتفاعه (١.٩٤م)، وتعلو هذا المدخل نافذة مستطيلة الشكل، وهناك نافذة اخرى في الجدار الشمالي الشرقي سعة فتحتها (١.٤٧م) تطلان على ساحة (١١)، وسقفت هذه الحجرة بطريقة العقادة والروافد الحديدية (الشيلمان).

وهناك سلم في نهاية ممر (٥) مكون من أربعة عشر درجة ابعادها (٠.٢٨×١م) يؤدي الى الطابق العلوي.

وفي الجهة الشمالية الشرقية من قاعة الموزع (١) هناك قاعة رئيسية (٩) مربعة الشكل ابعادها (٧×٧م) (لوح ١٢) لها خمسة مداخل؛ مدخل في الجدار الجنوبي الغربي سعة فتحته متدرجة، من الخارج

(١٠٤٦م) ومن الداخل (١٠٦٠م) ومتوج من الخارج بعقد مضلع ومن الداخل بعقد نصف دائري، يفضي الى قاعة الموزع (١)، ويقابله مدخل في الجدار الشمالي الشرقي سعة فتحته (١٠٩١م) ارتفاعه (٣٠٥٧م) متوج بعقد مدبب يفضي الى حجرة الموزع (١٤)، ومدخلان في الجدار الجنوبي الشرقي؛ احدهما في النهاية الجنوبية الغربية سعة فتحته (١٠٠٦) وارتفاعه (٢م) والآخر في النهاية الشمالية الشرقية من الجدار سعة فتحته (١٠١٥م) وارتفاعه (٢٠٦٧م) يفضيان الى قاعة (١٠) تعلوهما نوافذ صغيرة دائرية الشكل، ومدخل في النهاية الشمالية الشرقية من الجدار الشمالي الغربي سعة فتحته (١٠٣٨م) وارتفاعه (٣٠٣٢م) متوج بعقد نصف دائري يفضي الى ساحة (١١). وسقفت القاعة بأربع قباب منخفضة (صينية)؛ اثنتان كبيرتان من الجهة الشمالية الغربية (لوح ١٣)، واثنتان صغيرتان من الجهة الجنوبية الشرقية (لوح ١٤)، الكبيرتان محمولتان على عقود نصف دائرية، اما الصغيرتان فمحمولتان على عقود مدببة قسمت المساحة القاعة الى اربعة مربعات، واستندت هذه العقود من الوسط على كتف مربع القطاع تقريبا (٠.٦٧×٠.٦٥م) (لوح ١٥) تستند عليه أطراف اربع عقود والاطراف الاخرى على دعائم بعرض الكتف وتبرز عن سمت الجدار بنحو (٠.٢٧م).

ومن المدخلين اللذين في الجدار الجنوبي الشرقي يتم الدخول الى قاعة (١٠) مستطيلة الشكل ابعادها (٦.١٨×٧.٠٧م)، تضم مدفتين او موقدين للنار متقابلتين في الجدار الشمالي الشرقي والجنوبي الغربي (شكل ٦) (لوح ١٦) ارتفاعهما عن مستوى الارض نحو (١.٥٠م) وتبرز عن سمت الجدار بنحو (٠.٣٠م) زخرفة واجهتها بطريق التلاعب بوضعيات الآجر لتكون اشكالا هندسية معينة مكونه من اجزات صغيرة مربعة ومستطيلة الشكل.

وللقاعة مدخلان في الجدار الجنوبي الشرقي، متشابهان في الشكل والابعاد، سعة فتحة الواحد منهما (١٠١٣م) وارتفاعه (٢.٨٠م)، يؤديان الى حجرتين صغيرتين جدا، غير منتظمتي الجدران تخترق جدرانها الجنوبية الشرقية نافذتان متشابهتان، سعة فتحة الواحدة منهما (١.١٦م) وارتفاعهما (٢م)، تطلان على الشارع الجانبي. وربما ان هذه القاعة تكون حجرة مدير البلدية لتوفر بها جميع وسائل الراحة من مدفتين وحمام وكنيف، وقد سقفت هذه القاعة بطريقة العقادة والروافد الحديدية (الشيلمان).

والى الجنوب الشرقي من قاعة (٩) ساحة مكشوفة (١١)، مستطيلة الشكل، ابعادها (٣.٦١×٧.٥٠م)، تتفتح عليها مداخل ونوافذ بعض الوحدات البنائية.

ومن قاعة (٩) الى حجرة الموزع (١٤) مستطيلة الشكل ابعادها (٤.٥٩×٣م) يفتح عليها مدخلان اخران عدى مدخل قاعة (٩)، احدهما في الجدار الجنوبي الشرقي سعة فتحته (٠.٩٦م) وارتفاعه (١.٩٦م) يفضي الى الساحة الجانبية (١٨)، ومدخل في الطرف الجنوبي الشرقي من الجدار الشمال الشرقي سعة فتحته (١.١٧م) وارتفاعه (١.٩٨م)، وهذه الحجرة مفتوحة على حجرة من الجهة الشمالية الغربية بواسطة فتحة سعتها (١.١٧م) وارتفاعها (٣.٤٣م) متوجة بعقد مدبب، وهي غير منتظمة

الاضلاع، طولها من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي (٢٠.٤٩م)، وطول جدارها الجنوبي الشرقي (٢٠.٤٣م) والشمال الشرقي (٢٠.٨٠م)، ولها مدخل في جدارها الشمالي الغربي يفضي الى ساحة (١١) سعة فتحته (٠.٩٤م) وارتفاعها (١.٩٧م)، وتعلوه نافذة مستطيلة الشكل سعة فتحتها (٢.٣٦م) وارتفاعها (٠.٥٠م). وسقفت هذه الحجرة بطريقة العقادة والروافد الحديدية (الشيلمان).

ومن المدخل الذي في الجدار الشمالي الشرقي لحجرة (١٤) الى قاعة (١٥) مستطيلة الشكل ابعادها (٧.٩٧×٧.٤٣م)، ولها مدخل اخر في الجدار الشمالي الشرقي سعة فتحته (١.١٧م) وارتفاعه (٢.٠٨م) يفضي الى حجرة (١٦)، ولها ثلاث نوافذ في الجدار الجنوبي الشرقي سعة فتحتها متقاربة تتراوح بين (١.٧٣-١.٧١م) وارتفاع كل منها (١.٧٨م)، وارتفاعها عن مستوى الارض نحو (٠.٢٠م)، تطل هذه على ساحة (١٨)، ولها مدفئة او موقد لنار في منتصف جدارها الشمالي الغربي مشابهة للمدفئتين اللتين في قاعة (١٠). وسقفت القاعة بالبوراري والحصران وغلفت بألواح خشبية مزينة بألواح خشبية اخرى تعمل اشكال معينة متداخلة (شكل ٧) (لوح ١٧) تستند على اربع دعائم، اثنتان في كل من الجدار الجنوبي الشرقي والشمالي الغربي متشابهات في الشكل والابعاد، قطاعها مستطيل وعرضها (٠.٦٣م) وتبرز عن سمت الجدار بنحو (٠.٢٠م).

ومن المدخل الذي في الجدار الشمالي الشرقي لقاعة (١٥) الى قاعة (١٦) التي جدارها الشمالي الشرقي غير منتظم، وطولها من الجنوبي الشرقي الى الشمالي الغربي (٥.٩٠م)، وطول جدارها الجنوبي الشرقي (٥.٩٢م)، والشمالي الغربي (٤.٦٢م). ولها مدخل اخر في الجدار الشمالي الغربي سعة فتحته (٠.٨٤م) وارتفاعه (٢.٠٣م) يفضي الى حجرة صغيرة، ولها نافذة في الجدار الجنوبي الشرقي سعة فتحتها (٤.٠٢م) وارتفاعها (١.٨٢م) وعن الارض بنحو (٠.٢٠م) تطل على ساحة (١٨) وسقف القاعة مشابه لسقف قاعة (١٥).

ومن المدخل الذي في الجدار الشمالي الغربي الى حجرة صغيرة (M١٦) حولت الى حمام حديثاً، جدارها الشمالي الشرقي غير منتظم، وطولها من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي (٣.٢٥م) وطول جدارها الجنوبي الشرقي (٤.٥٦م) والشمالي الغربي (٣.٨٤م) لها نافذتان مرتفعتان متشابهتان في الجدار الشمالي الشرقي سعة فتحة الواحدة منها (١.٠٧م) وارتفاعها (٠.٦٢م).

والى الشمالي الغربي من قاعة (١٥) حجرة (١٣) مستطيلة الشكل ابعادها (٦.٣٥×٣.٦٠م)، حولت الى حمام حديثاً، ولها مدخلان في جدارها الجنوبي الغربي، سعة فتحتهما (٠.٨٥م) وارتفاعهما (١.٩٠م). وسقفت الحجرة بطريقة العقادة والروافد الحديدية (الشيلمان).

والى الجنوب الشرقي من قاعتي (١٥ و ١٦) ساحة جانبية ضلعها الجنوبي الشرقي غير منتظم طولها من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي (١٧.٣١م) وطول ضلعها الشمالي الشرقي (٣.٠٥م) والجنوبي الغربي (٧.٢٠م)، وشيدت في الزاوية الجنوبية الغربية منها حجرة حديثة البناء. ويحد هذه

الساحة عن الشارع الخارجي سياج بنائي يخترقه في الوقت الحالي مدخلان حديثان وضع في كل منهما بابا حديديا.

والى الشمال الشرقي من ساحة (١٨) حجرة (١٩) مستطيلة الشكل ابعادها (٤.٩٢×٥.١٤م)، ولها مدخل في جدارها الجنوبي الغربي سعة فتحته (٢.٩٧م) وارتفاعه (٢.٠٧م) يفضي الى ساحة (١٨)، ولها نافذتان في الجدار الجنوبي الشرقي، متشابهتان في الشكل والابعاد، سعة فتحتهما (١.٠٧) وارتفاعهما (١.٥٠م) تطلان على الشارع الجانبي. وهناك مدخل في الطرف الشمالي الغربي من الجدار الشمالي الشرقي سعة فتحته (٢.٩٥م) وارتفاعه (٢.٠٥م) يفضي الى حجرة (M١٩) جدارها الشمالي الشرقي غير منتظم، طولها من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي (٥.١٤م)، وطول جدارها الجنوبي الشرقي (٢.٣٢م)، والشمالى الغربي (١.٩٧م). وسقفت هاتان الحجرتان بطريقة العقادة والروافد الحديدية (الشيلمان).

الطابق العلوي (مخطط ١)

يتم الوصول اليه بعد صعود السلم الذي في نهاية ممر (٥) في الطابق الأرضي. ونبدأ بقاعة الموزع (٧) وهي مستطيلة الشكل ابعادها (٥.٤٢×٦.٨٢)، تنفتح عليها مدخلان غرفة (٨) وقاعة (١٢)، ولها ثلاث نوافذ في الجدار الجنوبي الغربي، تطل على شارع جديد حسن باشا (السراي)، الوسطى سعة فتحتها (١.١٨م) والتي على جانبيها سعة فتحتهما (٠.٨٥م) وارتفاعها (١.٩٠م)، متوجة بعقد مستقيم من الخارج ومن الداخل بعقد منخفض، وعلى يمين ويسار هذه القاعة ممر (٢) و(٩) وتنفتح عليهما مداخل الغرف والقاعات التي على جانبيهما.

الممر (٩) طوله (١٠.٥٧م) وسعته لمسافة (٥م) من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي (١.٤٣م) وبعدها يتسع ليصبح (١.٩٣م)، وله نافذة في الجدار الجنوبي الشرقي سعة فتحتها (١.١٦م) وارتفاعها (١.٨٥م) تطل على الشارع الجانبي. وعلى جانبي الممر غرفتان (١٠) و(٨):

غرفة (٨) مستطيلة الشكل ابعادها (٣.٨٥×٤.٦٤م) كان لها مدخلان أحدهما في الجدار الشمالي الشرقي اغلق حديثا والآخر في منتصف الجدار الشمالي الغربي سعة فتحته (١.١٩م) وارتفاعه (٢.١٣م). ولها نافذة في منتصف الجدار الجنوبي الغربي سعة فتحتها (١.١٥م) وارتفاعها (٢.٦٠م) تطل على شارع جديد حسن باشا (سراي).

اما غرفة (١٠) مستطيلة الشكل ابعادها (٣.٧٩×٥.١٦م) لها مدخل في الطرف الشمالي الغربي من الجدار الجنوبي الشرقي سعة فتحته من الداخل (١.٥٥م) ومن الخارج (١.٣١م) وارتفاعه من الخارج (٣.٥٦م) ومن الداخل (٢.٩٧م) متوجة بعقد نصف دائري من الخارج، ومن الداخل بعقد مستقيم مبني حديثا. ولها نافذتان أحدهما في الجدار الجنوبي الغربي سعة فتحتها (١.١٨م) وارتفاعها (٢.٦٠م) متوجه

بعقد نصف دائري تطل على شارع جديد حسن باشا(السراي)، واخرى في الجدار الجنوبي الشرقي سعة فتحتها (١٧.١م) وارتفاعها (٢.١١م) تطل على الشارع الجانبي. والى الجانب الشمالي الشرقي من ممر (٩) قاعتان (١١) و(١٢):

قاعة (١١) مستطيلة الشكل جدارها الجنوبي الشرقي غير منتظم طولها من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي (٧.٣٠م) وطول جدارها الشمال الشرقي (٣.٧١م) والجنوبي الغربي (٤.٤٧م)، ولها مدخل في منتصف جدارها الجنوبي الغربي سعة فتحته (١.١٤م) وارتفاعه (٢.٨٦م). ولها نافذتان في جدارها الجنوبي الشرقي متشابهتان سعة فتحتهما (١.١٨م) وارتفاعهما (٢.١٨م)، يطلان على الشارع الجانبي اما قاعة (١٢) فتقع بجوار قاعة (١١) من الجهة الشمالية الغربية، مستطيلة الشكل واسعة المساحة ابعادها (٧.٣٤×١٠.٩٧م). ولها ثلاث مداخل؛ مدخل في الجدار الشمالي الشرقي سعة فتحته (١.٤٧م) وارتفاعه (٢.٨٠م)، ومدخلان في الجدار الجنوبي الغربي احدهما في النهاية الشمالية الغربية سعة فتحته (١.١٦م) وارتفاعه (٢.٣٠م) تعلوه نافذة مستطيلة الشكل تطل على ممر (٩)، والاخر في منتصف الجدار تقريبا سعة فتحته (١.١٤م) وارتفاعه (٢.٨٠م) يفضي الى قاعة (٧)، وهناك نافذتان اخريان؛ واحدة في الطرف الجنوبي الشرقي من الجدار الشمالي الشرقي سعة فتحتها (١.١٥م) وارتفاعها (١.٧٨م) تطل على ساحة (١٨)، والاخرى في الطرف الشمالي الشرقي من الجدار الشمالي الغربي واسعة من الداخل وضيقة من الخارج سعتها من الداخل (٠.٨٤م) ومن الخارج (٠.٤١م) متوجة بعقد منخفض، تطل على ساحة (١١). وهناك حنية تتوسط الجدار الجنوبي الغربي سعتها (١.١٥م)، غائرة في الجدار بنحو (٠.٥٣م) وارتفاعها (٢.٣٠م)، تعلوها نافذة مستطيلة سعة فتحتها (١.١١م) وارتفاعها (٠.٩١م).

اما ممر (٢) الذي على الجانب الشمالي الغربي من قاعة (٧) ابعاده (١.٣٠×٩.٤٧م)، وقد فتحت فتحة محدودة مستطيلة الشكل في ارضيته واحيطت بمحجر حديدي حديث الصنع (الوح ١٨) وعلى جانبي الممر مجموعة من الغرف؛ على الجانب الجنوبي الغربي غرفة (٣) و(٤). غرفة (٣) مستطيلة الشكل ابعادها (٥.١١×٤.٣٦م) لها مدخل في الطرف الشمالي الغربي من الجدار الشمالي الشرقي سعة فتحته (١.٢٠م) وارتفاعه (٢.٣٧م) ولها نافذة في جدارها الجنوبي الغربي سعة فتحتها (١.١٥م) وارتفاعها (٢.٥٧م) متوجة بعقد نصف دائري تطل على شارع جديد حسن باشا (السراي)، وهناك دخلة في الطرف الجنوبي من الجدار الشرقي كانت مدخلا اغلق حديثا.

اما غرفة (٤) فهي مستطيلة الشكل ابعادها (٣.٦٨×٤.٢٠م) لها مدخل في جدارها الشمالي الشرقي مفتوح داخل دخلة سعتها (٢.٤٢م) وغائرة في الجدار بنحو (٠.٥٣م) والمدخل سعة فتحته (١.١٥م) وارتفاعه (٢.٣٥م)، ولها نافذة في منتصف جدارها الجنوبي الغربي سعة فتحتها (١.١٨م) وارتفاعها (٢.٦٠م) متوجة بعقد نصف دائري تطل على شارع جديد حسن باشا (السراي).

وبجوار هذه الغرفة من الجهة الشمالية الغربية شرفة (بالكونة) وغرفة ليستا من أصل البناء وإنما تابعتان للمبنى الذي بجواره، وفتح عليهما مدخل حديث من ممر (٢).

أما غرف (١٤) التي على الجانب الشمالي الشرقي من ممر (٢)، فهي مستطيلة الشكل أبعادها (٢.٧٢×٦.٧٠م) ولها ثلاث مداخل؛ مدخل في الجدار الشمالي الشرقي سعة فتحته (١.٠٩م) وارتفاعها (١.٩٦م)، واثنان في الجدار الجنوبي الغربي أحدهما في الطرف الجنوبي الشرقي سعة فتحته (٠.٧٥م) ارتفاعه (٢م) والآخر في الطرف الشمالي الغربي سعة فتحته (١.١٦م) وارتفاعه (١.٩٦م) يطلان على ممر (٢)، ولها نافذة في الطرف الشمالي الغربي من الجدار الشمالي الشرقي سعة فتحته (٠.٨٦م) وارتفاعها (٠.٦٢م) تطل على ساحة (١١)، حولت هذه الغرفة الى حمامات حديثاً.

أما غرفة (١) وهي غرفة السلم لها مدخل في الطرف الجنوبي الغربي من جدارها الجنوبي الشرقي سعة فتحته (١.٠٣م) وارتفاعها (٢م) وتعلوه نافذة مستطيلة سعة فتحته (١.٠٩م) وارتفاعها (١.٧٨م) تطل على ممر (٢)، ونافذتان أخريان؛ واحدة في الجدار الجنوبي الغربي سعة فتحته (١.١٢م) وارتفاعها (١.٣٤م) تطل على ممر (٢)، والآخرى في الجدار الشمالي الغربي سعة فتحته (٠.٧٠م) وارتفاعها (١.٣٤م) تطلان على غرفة (٥).

ومن غرفة (١٤) الى غرفة (١٦) من الجهة الشمالية الشرقية، وهي مستطيلة الشكل، أبعادها (٥.٣٧×٤.٤١م)، ولها مدخل آخر في الطرف الجنوبي الشرقي من الجدار الشمالي الشرقي سعة فتحته (١.٠٣م) ارتفاعه (٢.٠٢م) يفضي الى غرفة (١٧)، ولها نافذتان في الجدار الجنوبي الشرقي سعة فتحة كل منهما (١.٠٥م) وارتفاعهما (١.٠٥م) تطل على ساحة (١١).

وخلف قاعة (١٦) تقع قاعة (١٧) وهي واسعة المساحة، طولها (١٩.٦٠م) وعرضها غير متساوي، ولها ثلاث نوافذ متشابهة سعة فتحاتها (١.٠٥م) وارتفاعها (١.٢٥م) تطل على ساحة (٢٥)، ولها نافذتان تطلان على الخارج سعة فتحتهما (١.٥٨م) وارتفاعهما (١.٣٠م)، قسمت هذه القاعة حديثاً الى ثلاث قاعات للاستفادة من مساحتها الواسعة.

ومن قاعة (١٧) الى غرفة (٣٢)، التي جدارها الشمالي الغربي غير منتظم، وطولها من الشرق الى الغرب (٣م) وطول جدارها الشمالي الشرقي (٢.٦٣م) والجنوبي الغربي (٣.٥٤م). ولها مدخلان أحدهما في الجدار الجنوبي الغربي سعة فتحته (١م) وارتفاعه (٢م) والآخر يقابله في الجدار الشمالي الشرقي سعة فتحته (١.١٧م) وارتفاعه (٢م) ويفضي الى غرفة (٣٣) وهي مستطيلة الشكل أبعادها (٥.٤٠×٢.٦٧م) لها نافذة في جدارها الشمالي الشرقي سعة فتحته (١.٢٥م) وارتفاعها (١.٣٠م) تطل على الشارع الخلفي للمبنى.

وهناك ساحة مكشوفة (٢٥) تطل عليها نوافذ قاعة (١٧) أبعادها تقريباً (٣.٦٣×٩.٢٠م) حولت الى حمامات حديثاً (لوح ١٩).

والى الجنوبي الشرقي من هذه الساحة قاعة (٢٢) جدارها الشرقي غير منتظم وطولها من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي (٧.٤٨م)، وطول جدارها الجنوبي الشرقي (١٠.٦٣م) والشمالى الغربى (٨.٨٢م) تنفتح عليها ثلاث مداخل، أحدها في النهاية الشمالية الشرقية من الجدار الشمالى الغربى سعة فتحته (١.١٧م) وارتفاعه (٢م) يفضي الى ساحة (٢٥) ومدخل في منتصف الجدار الجنوبي الغربى سعة فتحته (١.٠٨م) وارتفاعه (٢م) يضم باب حديدي حديث الصنع، ومدخل في الطرف الجنوبي الشرقي من الجدار الشمالى الشرقي سعة فتحته (١.١٤م) وارتفاعه (٢م) يفضي الى غرفة (٣٠)، ولها ثلاث نوافذ سعة فتحتها (١.١١م) وارتفاعها (١.٣٠م).

ومن المدخل الذي في الطرف الجنوبي الشرقي من الجدار الشمالى الشرقي لقاعة (٢٢) الى غرفة (٣٠) وهي مستطيلة الشكل جدارها الشمالى الشرقي غير منتظم، طولها من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربى (٥.٢٠م) وطول جدارها الجنوبي الشرقي (٨.١١م) والشمالى الغربى (٧.٥٥م)، لها اربع نوافذ؛ اثنان في الجدار الشمالى الغربى سعة فتحتهما (١.٦٠م) وارتفاعهما (١.٠٥م) يطلان على الخارج. وواحد في الجدار الجنوبي الغربى سعة فتحتها (١م) وارتفاعها (١.٢٣م) تطل على ساحة (١٨) وواحد في الجدار الجنوبي الشرقي سعة فتحتها (١.٥٦م) وارتفاعها (١.٣٢م) تطل على الشارع الجانبى.

والى الغرب من قاعة (٢٢) ممر (١٩) وهو مكشوف وابعاده (١١.٧٤×١.٨١م) تقضي اليه مداخل بعض الوحدات البنائية وهناك مدخلان في الجهة الجنوبية الغربية فتحا حديثا على ساحة (١١) وضع امامها سلم حديدي حديث الصنع للصعود منه.

والى الجنوبي الغربى من ممر (١٩) قاعة (٢٠) مستطيلة الشكل ابعادها (٧.٦٤×٤.٥٧م) تقضي على ممر (١٩) بثلاث فتحات متشابهة سعة فتحة الواحدة منها (١.١٠م) وارتفاعها (٢) ومتوجة بعقد مستقيم، ولها نافذة في الجدار الشمالى الغربى سعة فتحتها (١.٥٨م) وارتفاعها (٢.٣٢م) تطل على ساحة (١١). وهناك مدخل يفضي الى القاعة (١٢) (كما أسلفنا ذكره) وقد قطعت هذه القاعة على قسمين حديثا.

الاستخدام الوظيفي الأصلي للوحدات البنائية

لا يمكن تحديد الاستخدام الأصلي للوحدات البنائية في الوقت الحالى، بسبب التبدل وظيفية المبنى، ولكن ربما كانت الحجرات والغرف تستخدم من قبل موظفي دائرة البلدية كان تكون كل حجرة لقسم معين من اقسام الدائرة، كقسم اسالة مياه الشرب وقسم انارة الشوارع وقسم تنظيف الشوارع وقسم إطفاء الحرائق والى اخره من الأقسام التي تقوم بها دائرة البلدية.

اما القاعات فربما بعضها تستخدم لاجتماع أعضاء المجلس البلدى والبعض الاخر ربما استخدمت كوحدة خاصة برئيس المجلس البلدى واستقباله للضيوف.

المدخل

فتح في المبنى اثنان وأربعين مداخل، منها المدخل الرئيسي الذي جاء متوجا بعقد مدبب، ويضم بابا خشبيا من طلاقتين حديث الصنع (لوح ٢٠)، وهناك مداخل توجت بعقد نصف دائري وهي قليلة واغلب مداخل المبنى جاءت متوجة بعقد مستقيم تضم ابوابا خشبيةً مستطيلة الشكل حديثة الصنع (لوح ٢١).

النوافذ

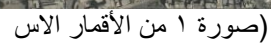
فتحت في المبنى العديد من النوافذ منها ما تطل على الخارج ، ومنها ما تطل على الساحات الداخلية المكشوفة وبعضها فتحت بين الوحدات البنائية. توجت فتحات بعضها بعقد نصف دائري واقتصرت على النوافذ التي في الواجهة الرئيسية (لوح ٢) وكذلك نافذة الممر (٢) التي تطل على الشارع (لوح ٢٢)، اما باقي النوافذ فقد جاءت متوجة بعقد مستقيم (لوح ٢٣)، والجدير بالذكر هناك نوافذ فتحت بأعلى الجدران وبعضها تعلو بعض فتحات المداخل وهي مفتوحة على الداخل بين الوحدات البنائية او على الساحتين المكشوفتين.

العقود

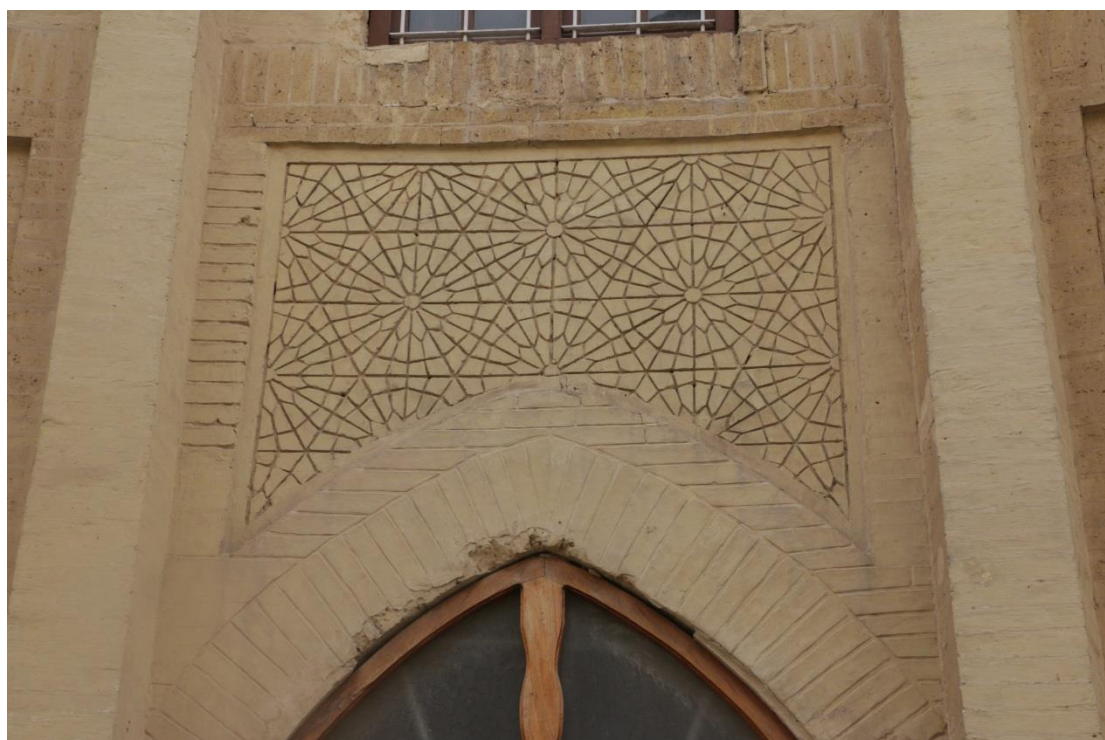
ضم المبنى انواعا عديدة من العقود منها ما توجت فتحات المداخل وقد أسلفنا ذكرها واشكالها. وهناك عقود حامله للسقوف نصف دائرية، بعضها تحمل اقبية وأخرى تحمل قبابا، وكذلك استعملت العقود المدببة لحمل القباب كما في سقوف قاعة (٩) في الطابق الارضي. وتستند هذه العقود في اغلب الاحيان على دعائم باستثناء قاعة (٩) في الطابق الأرضي التي تستند العقود فيها على دعائم من أحدى طرفيها، والطرف الاخر على كتف يتوسط القاعة تقريبا.

السقوف

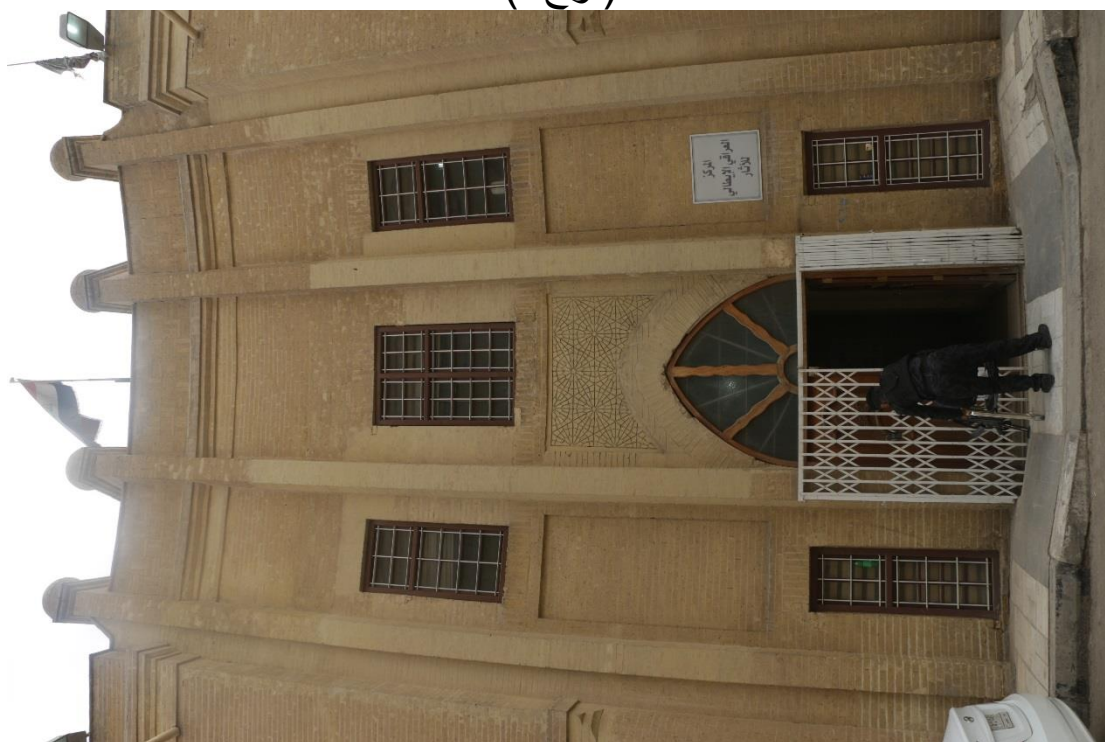
ان اغلب سقوف المبنى قد ازيلت وما بقي منها تمكنا من ان نتصور ما كانت عليه سقوف المبنى، فقد سقطت الحجرات في الطابق الارضي بالأقبية البيضوية المحمولة على عقود نصف دائرية وكذلك سقطت احدى القاعات بالقباب المنخفضة (الصينية)، وسقطت باقي الوحدات البنائية بالأخشاب المغلفة بالألواح الخشبية. وقد استبدلت اغلب هذه السقوف بسقوف مبنية بطريقة العقادة والروافد الحديدية (الشيلمان) وهذا ينطبق على الطابق الارضي والعلوي، اذ ان الطابق العلوي استبدلت سقوفه بأكمله بالعقادة الحديثة.



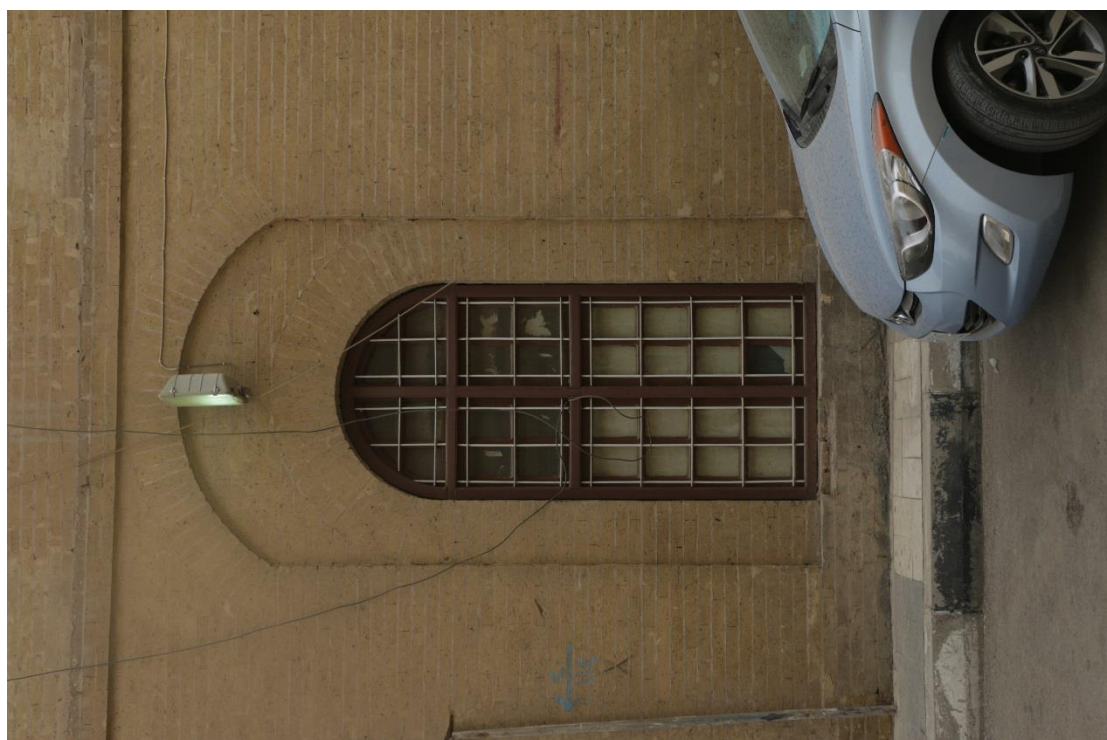
(لوح ۲)



(لوح ٣)



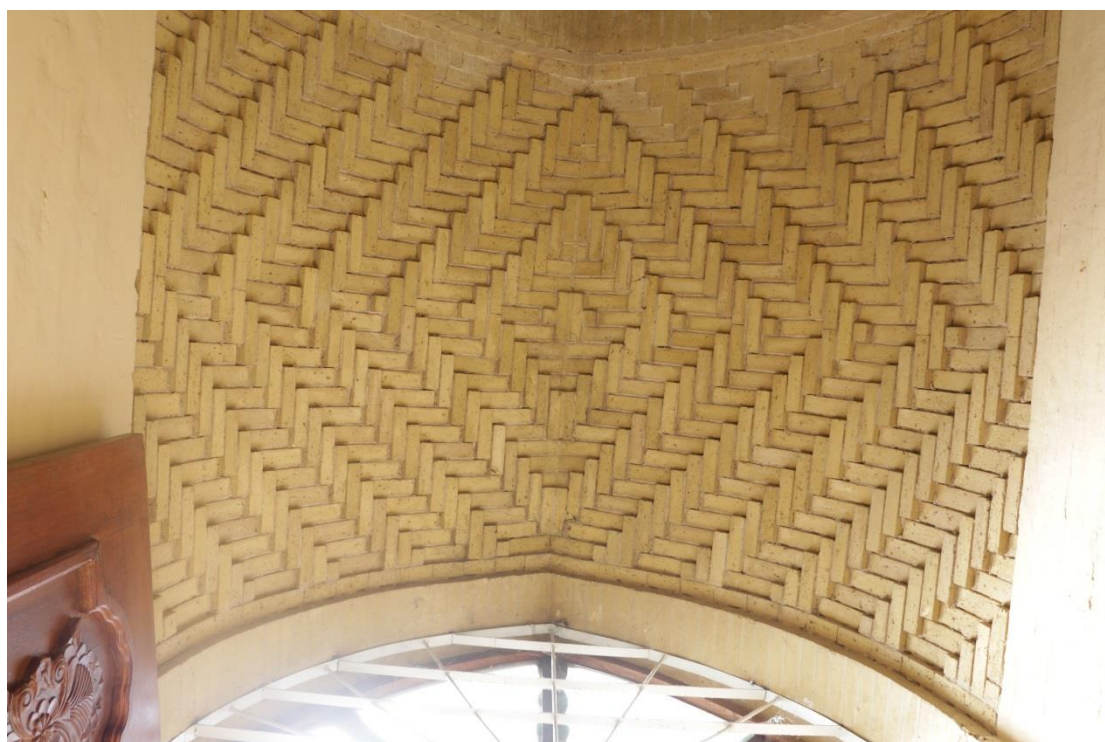
(لوح ٤)



(لوح ٥)



(لوح ٦)



(لوحة ٧)



(لوحة ٨)



(لوح ٩)



(لوح ١٠)



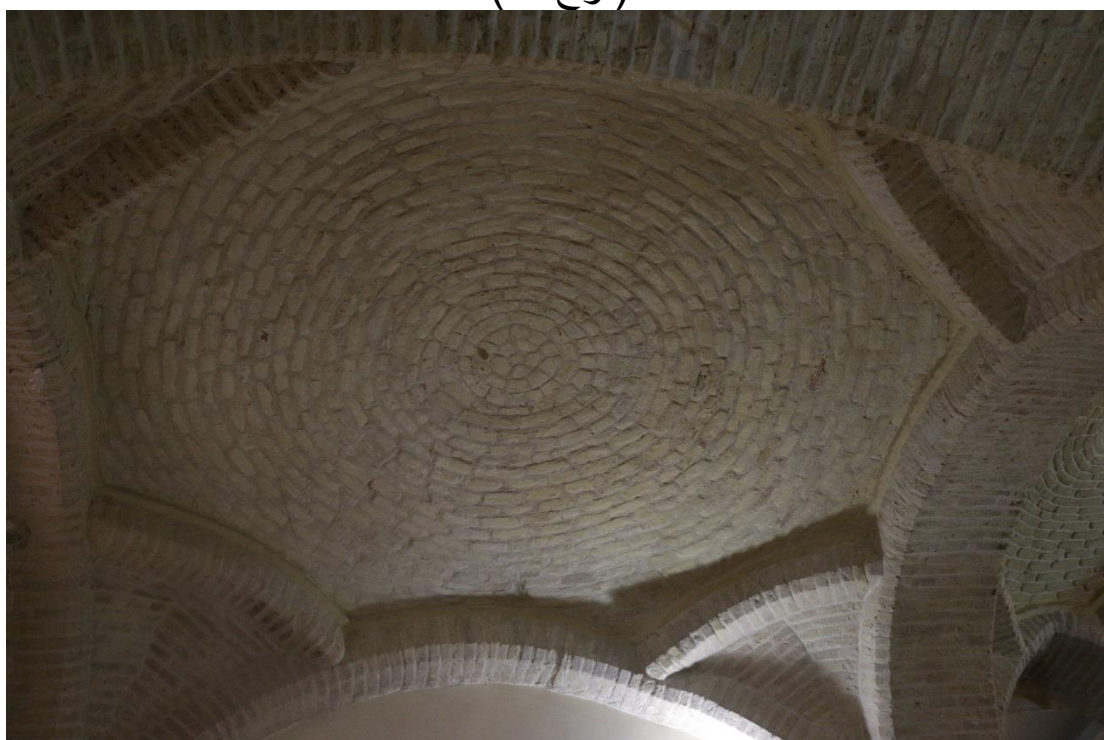
(لوح ١١)



(لوح ١٢)



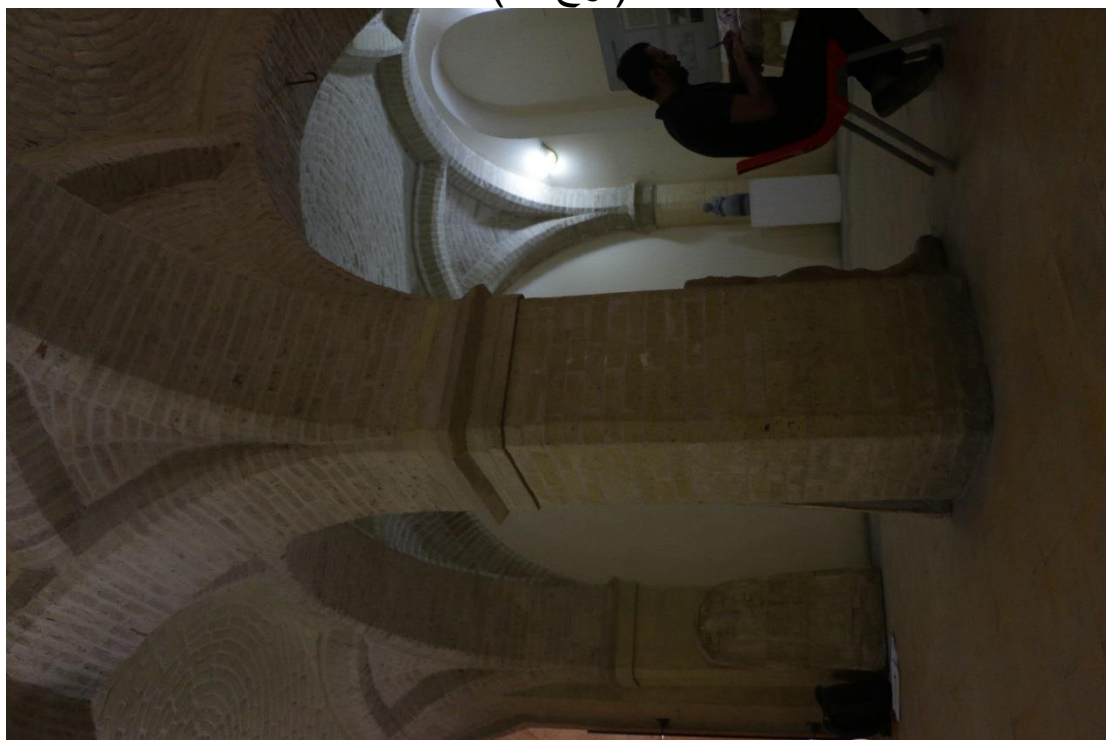
(لوح ١٣)



(لوح ١٤)



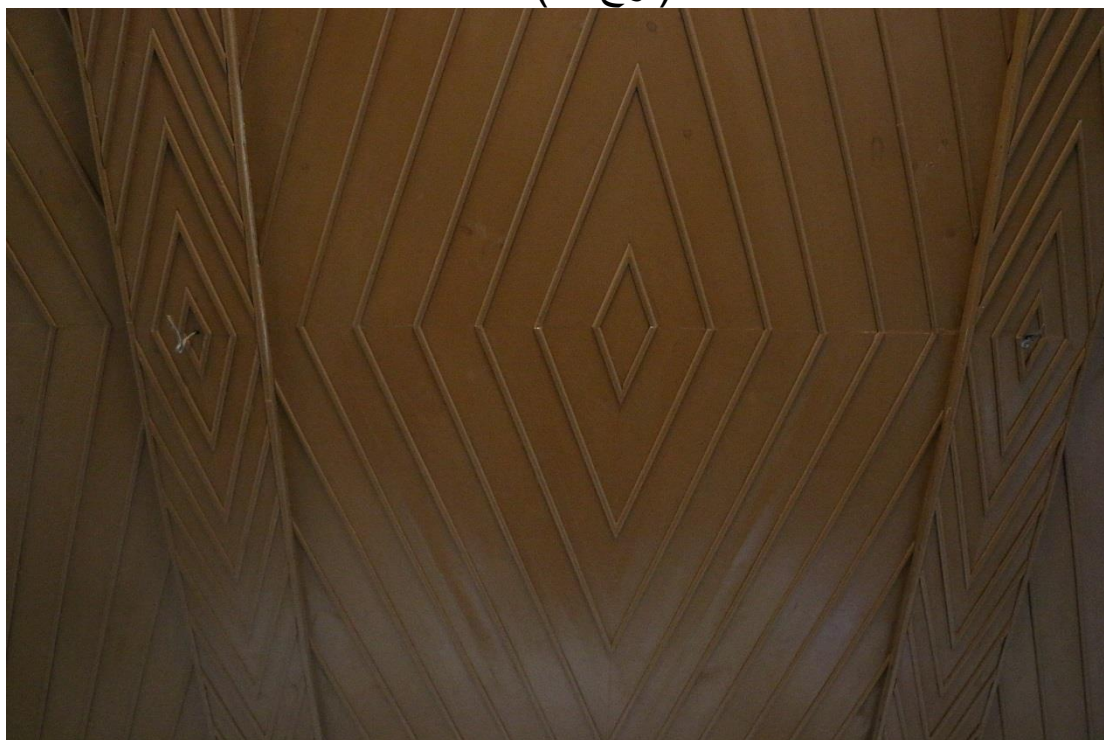
(لوحة ١٥)



(لوحة ١٦)



(لوحة ١٧)



(لوحة ١٨)



(لوح ١٩)



(لوح ٢٠)



(لوحة ٢١)



(لوحة ٢٢)

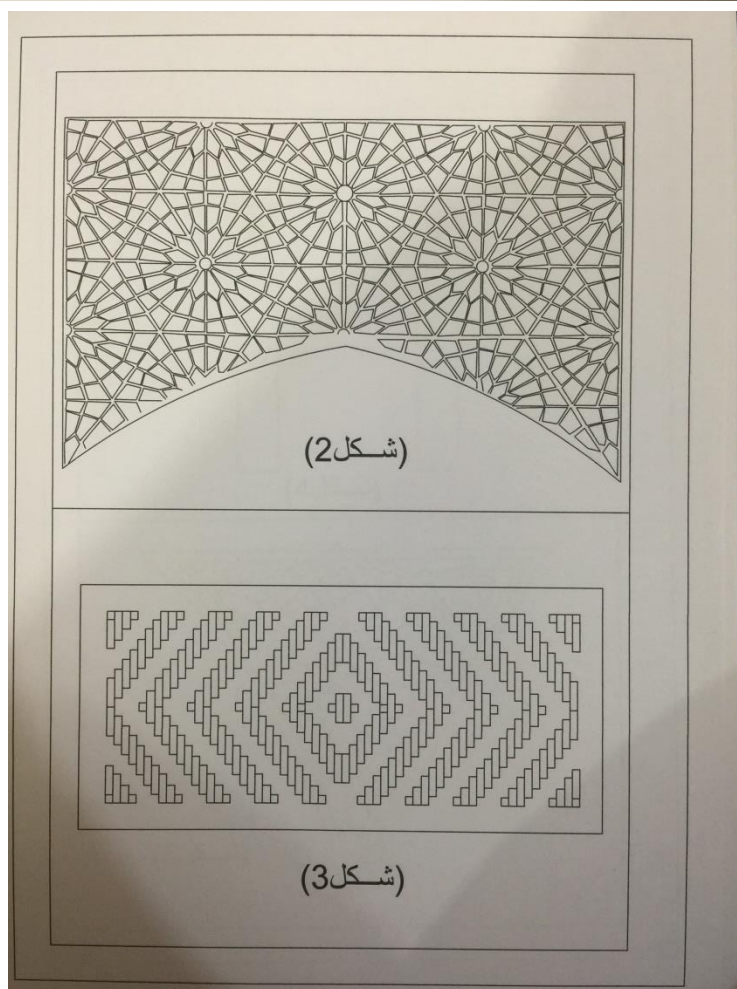
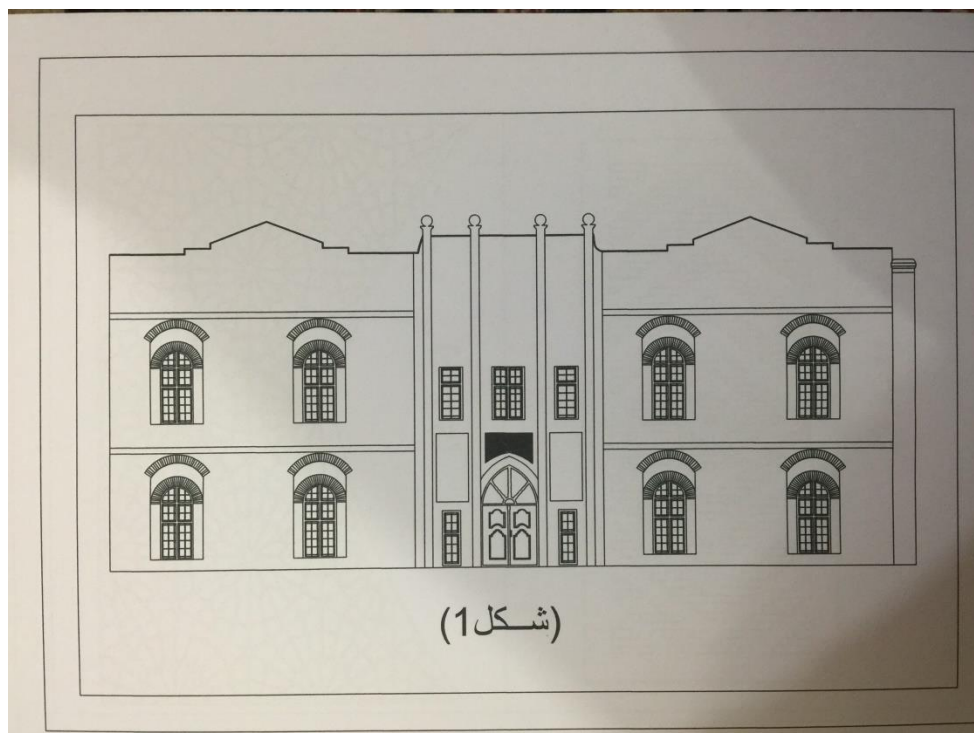


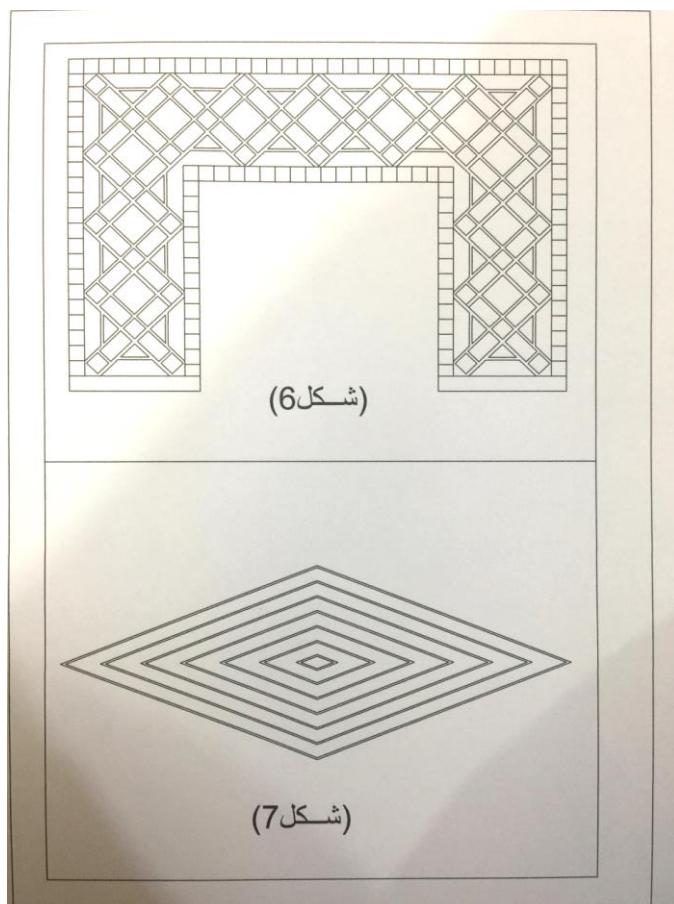
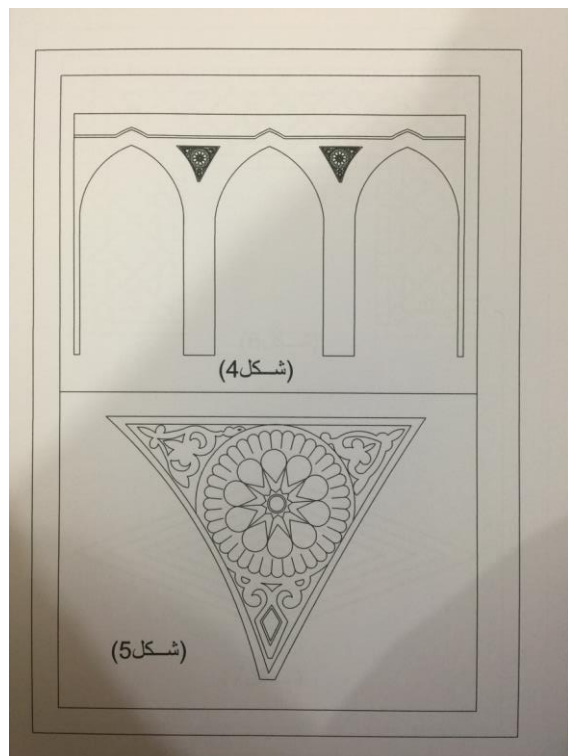
(لوح ٢٣)



(لوح ٢٤)

الاشكال





- (^١) عبد الرزاق، صلاح، تاريخ القشلة واعمارها، بدون مكان وسنة الطبع ص ٩١.
- (^٢) نصار، عبد العظيم عباس، بلديات العراق في العهد العثماني (١٥٣٤-١٩١٨م) (دراسة تاريخية وثائقية)، المكتبة الحيدرية، ١٤٢٧-١٣٨٥هـ، ط١، ص ١٨٣-١٨٨.
- (^٣) كوك، ريجارو، بغداد مدينة السلام، ترجمة مصطفى جواد، فؤاد جميل، بغداد، مطبعة شقيق، ١٩٦٧م، ج١، ص ٧٥.
- القيصري، اعتماد يوسف احمد، خطط بغداد وعمارتها خلال العصر العثماني، مؤسسة تائر العصامي، ٢٠١٧م، ص ١٠٢.
- (^٤) نصار، بلديات، ص ١٨١-١٨٢.
- (^٥) نصار، بلديات، ص ١٨١.
- (^٦) نصار، بلديات، ص ١٨١.
- (^٧) العزاوي، عباس، تاريخ العراق بين الاحتلالين، الدار العربية للموسوعات، بدون مكان وسنة الطبع ج ٨،
- (^٨) الشخلي، السيد محمد رؤوف السيد طه، المعجم الجغرافي لمدينة بغداد القديمة، مطبعة البصرة، ١٩٧٧م، ط١ ص ٣٥.
- (^٩) الشخلي، المعجم التاريخي، ص ٣٥. الالوسي، سالم، شارع الرشيد في الذاكرة، دار ميزوبوتاميا، ٢٠١٣ ص ٨١.
- (^{١٠}) الالوسي، شارع الرشيد، ص ٨١.
- (^{١١}) القيصري، خطط بغداد، ص ٢١٧-٢١٨.
- (^{١٢}) صالح، ليلي محمود، المدارس المستقلة القائمة في الموصل من العصر العثماني، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار، ٢٠١٣م، ص ٧٥.

**أدوات الزينة والحلي في مدينة حربى
في ضوء التنقيبات الأثرية**

**أ. د. رفاة داسم السامرائي
علي رائد رشيد**

أدوات الزينة والحلي في مدينة حربي في ضوء التنقيبات الأثرية

أ . د . رفاه داسم السامرائي

علي رائد رشيد

الملخص

عُدَّت رغبة الإنسان في التزين والتجميل بالحلي بأنواعها من أقوى الرغبات تأثيراً وأقدمها عهداً وأكثرها استمراراً حتى أصبح البشر يتسابقون لاقتنائها وتقننوا في أعمال صياغتها ، و في العصر الإسلامي اتفق العلماء على إباحة الزينة والتزين على وفق الضوابط والقيود التي حددها الشرع الإسلامي ، ومن هذا المنطلق عدت مدينة حربي واحدة من هذه المدن التي ازدهرت فيها صناعة الحلي وهذا ما أثبتته معاول المنقبين بعثورهم على كميات كبيرة من الحلي والمجوهرات المتنوعة ما بين حلي الرقبة والاذنين والصدر والمعصمين والأدوات الأخرى مثل المكاحل والمباخر وغيرها.

Summary

In the Islamic era, scholars agreed to allow adornment and adornment in accordance with the restrictions and restrictions set by Islamic law. From this point of view, I have become a city that has become an Islamic city, One of these cities that flourished in the jewelry industry and this proved by shovels prospectors by finding large quantities of jewelry and various jewelry between the neck, ears, chest, wrists and other tools such as ankles, bakeries and others.

لنتبع علاقة الزينة^(١) بالإنسان فقد عُدَّ المظهر الخارجي للفرد في الحضارات القديمة ولاسيما حضارة وادي الرافدين ووادي النيل رمزا لهم وصورة تعكس الشخصية والمنصب وتتوب عن شخص مالمكها^(٢) ومن هذا المنطلق عدت رغبة الإنسان في التزين والتجميل بالحلي بأنواعها من أقوى الرغبات تأثيراً وأقدمها عهداً وأكثرها استمراراً حتى أصبح البشر يتسابقون لاقتنائها وتقننوا في أعمال صياغتها^(٣).

وقد حرص عرب قبل الإسلام على الاهتمام بالزينة في المناسبات المهمة منها ليلة الزفاف والظهور بالمظهر الحسن أمام الناس فنجد أن العروسين يتزينان بكل وسائل الزينة الثمينة مثل الحلي والحلل والمجوهرات الثمينة والملابس الجميلة فاصبح العروسان مضرباً للأمثال^(٤) حتى قيل عنهما: (كَادَ الْعَرُوسُ أَنْ يَكُونَ مَلِكاً)^(٥) وإن هذه المجوهرات والحلي كانت تصل إلى شبه الجزيرة العربية عن طريق تجارتهم الشتوية إلى اليمن والصيفية إلى بلاد الشام وقد كان الصنم هبل مصنوعاً من العقيق الأحمر مكسور اليد ، وإن قریش صنعت له يد من معدن الذهب^(٦).

أما في العصر الإسلامي فقد اتفق العلماء على إباحة الزينة والتزين على وفق الضوابط والقيود التي حددها الشرع الإسلامي^(٧) فهذا يعني أن لا حرج من التزين بأي نوع من أنواع الزينة ما لم يكن منه مانع شرعي بدليل قوله تعالى: (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ)^(٨) وقال الله تعالى في كتابه الكريم: (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)^(٩) ونستشف من الآيات القرآنية الكريمة إباحة التزين ضمن الحدود الشرعية .

أما الأحاديث النبوية الشريفة فقد ورد فيها ما يجيز التزين بالحلي والمجوهرات للنساء اذ قال الرسول (ﷺ) : (احل الذهب والحرير لإناث امتي وحرم على ذكورها)^(١٠) .

و بالنسبة للحلي بالفضة فقد أجاز استعماله عند الرجال والنساء على حد سواء اذ وردت بعض الأحاديث تنسب للنبي محمد (ﷺ) في إجازة لبس الفضة منها قوله (يا معشر النساء اما لَكُن في الفضة ما تحلين به...) وأيضاً قوله: (عليكم بالفضة فالعبا بها)^(١١) وما يثبت إجازة التحلي بالحلي والمجوهرات في الإسلام ما كان يملكه زوجات الرسول محمد (ﷺ) وبناته عليهم السلام اذ كان للسيدة عائشة بنت ابي بكر (رضي الله عنهما) عقد وقلادة جزع مضفورة للسيدة زينب (عليها السلام) بنت الرسول الكريم محمد (ﷺ)^(١٢).

وباتساع رقعة الدولة الإسلامية واستكمال فتح بلاد فارس والشام ومصر وازدياد موارد الدولة واختلاط العرب بغيرهم من شعوب تلك البلاد مع تقادم الزمن ظهر الترف والبذخ في المجتمع العربي الإسلامي^(١٣)، اذ ازداد تطور صناعة الحلي والمجوهرات و صياغتها والتي كانت معروفة في المجتمعات السابقة للإسلام ، ومما ساعد على ذلك توافر الخامات الرئيسية لتلك الصناعة في تلك البلاد التي فتحوها اذ الذهب والفضة في خراسان والياقوت في تركستان والعقيق في اليمن والزبرجد في مصر واللؤلؤ في البحرين وغنى مناجم الهند بأكثر المعادن النفيسة والاحجار الكريمة^(١٤).

وخير دليل على ذلك أقبال المرأة في العصر الأموي والعباسي على تزين الأذنين والرقبة والصدر والأصابع والمعصم والأرجل بالحلي والمجوهرات^(١٥) وقد كانت خزان الخلفاء العباسيين في العصر العباسي الأول (١٣٢-٢٤٧هـ / ٧٤٩-٨٦١م) تضم أعداداً كبيرة من الجواهر والحلي^(١٦)، اذ ذكر أن الخليفة العباسي المهدي زوج ابنه الرشيد من زبيدة بنت جعفر ابن أخيه وقيل أنه أعد لها ما لم يشهد لامرأة من قبلها من الآلة وصناديق الجواهر والحلي والتياجين والاكاليل وقباب الفضة والذهب والطيب والكسوة^(١٧)، كما قيل عن (شجاع) أم الخليفة المتوكل على الله (٢٣٢-٢٤٧هـ / ٨٤٧-٨٦١م) إنها قد تركت من الحلي والجواهر ما قيمته الف الف دينار (مليون)^(١٨).

وتحفل كتب التاريخ بالكثير من الإشارات على اقتناء زوجات الخلفاء والأمراء وعلية القوم للحلي بأنواعها، وهذا مما اكسب هذه الصناعة ازدهاراً كبيراً، ولم يقتصر الأمر على الروايات التاريخية ، بل ما كشفتته معاول المنقبين في المواقع الأثرية دليل قاطع على مدى ازدهار صناعة الحلي في أغلب المدن العربية الإسلامية.

وتعد مدينة حربي واحدة من هذه المدن التي ازدهرت فيها صناعة الحلي وهذا ما اثبتته معاول المنقبين بعثورهم على كميات كبيرة من الحلي والمجوهرات المتنوعة ما بين حلي الرقبة والاذنين والصدر والمعصمين والأدوات الأخرى مثل المكاحل والمباخر وغيرها وسنتطرق إلى أهم الأمثلة فيها وذلك لتجنب التكرار والإطالة.

و من حلي الرقبة التي عثر عليها في حربي قلادة^(١٩) من الذهب قوامها عشرة أشكال مجوفة تتوسطها دلالية ، وهذه الأشكال المجوفة عبارة عن شكل مقبب كبير مصنوع من سلك مبروم يعلوه نتوء بارز في وسطه، ويحيط به من الجانبين شكل مقبب صغير مشابه للأكبر منه يعولوه نتوء كروي بارز وتؤطر تلك الأشكال المقببة سلك مبروم، أما دلالية القلادة فهي تتألف من جزئين، الجزء الاول والذي يضم حلقة التعليق المؤلفة من ثلاثة أشكال مقببة صغيرة ملتصقة مكونة شكل ثلاثي يشبه الزهرة اما الجزء الاسفل فهو اكبر حجما ويأخذ شكل مثلث مزين بأشكال تتماثل مع الاشكال التي تتألف منها القلادة عددها أربعة، ثلاثة منها صغيرة الحجم فُقدَ أحدها وفي الوسط هناك مكان لشكل مقبب مفقود من القلادة ، ويحيط بالمثلث من الضلعين الطويلين صف من الدوائر الصغيرة التي عملت بالسلك المبروم ، أما ظهر هذه الدلالية فهو مغلف بصفيحة رقيقة من الذهب^(٢٠)(صورة ٢٤-شكل ٢٤).

ومن الأنواع الأخرى لحلي الرقبة التي وصلت إلينا هي الدلايات^(٢١)والتي تعددت أنواعها واختلفت أشكالها ومنها دلالية مصنوعة من الذهب ذات شكل مثلث حالياً، ومن المحتمل إنها كانت ذات شكل معين كونها غير مكتملة نتيجة فقدان أجزاء منها ، فضلاً عن فقدان حلقة التعليق التي في اعلى الدلالية ، والجزء المتبقي من الدلالية يتمثل بشكل مقبب كبير مركزي تحيط به ثلاثة اشكال مقببة اصغر منه، وقد ملئت الفراغات بينها بدوائر صغيرة بارزة عملت من سلك مبروم لُحِمَ على صفيحة الدلالية، وقد عمل الشكل المقبب الكبير الوسطي من سلك مبروم على غرار صناعة الأشكال المقببة للقلادة السالف ذكرها، ويعلوها نتوء بارز، في حين شكّلت المقببات الثلاث المحيطة بهذا الشكل المقبب من صفيحة رقيقة من الذهب يعلوها نتوء بارز أيضاً، أن جميع هذه الأشكال المقببة مجوفة، ويؤطر الدلالية والأشكال المقببة سلك دقيق مبروم^(٢٢) (صورة ٢٥ - شكل ٢٥).

ومن الدلائل المميزة التي وصلت إلينا والمصنوعة من الذهب أيضاً ، دلالة على شكل نجمة سداسية يتألف إطارها الخارجي من ستة مثلثات وستة أشكال مقببة صغيرة وزعت بشكل متناوب بواقع شكل مقبب بين كل رأسين للمثلث ، فضلاً عن تكرار الأشكال المقببة المجوفة فوق المثلثات أيضاً ، أما مركز النجمة فهو دائري الشكل مؤلف من شكل مقبب مركزي يعلوه نتوء بارز في الوسط تحيط به حقول وأشربة من أسلاك مبرومة مكونة ثلاثة إطارات تحصر بينها دوائر ، يضم الشريط الأول ثمان دوائر بارزة متباعدة وزعت بشكل غير متساوي الأبعاد في محيط الحقل الأول ، أما الشريط الثاني فقوامه ست عشرة دائرة رصفت بشكل صف من الدوائر يدور حول السلك المبروم والشكل المركزي المقبب ، وقد فقد الجزء العلوي من أحد الأشكال المقببة للإطار الخارجي للدلالة ، و بالنسبة إلى مكان التعليق فقد عمل ثقب نافذ في أحد مثلثات الشكل النجمي استعمل للتعليق ، ومما يجب التنويه له ان الأشكال المقببة التي في هذه الدلالة شبيهة بالأشكال المقببة الصغيرة الجانبية التي في الدلالة المثلثة المذكورة سابقاً من حيث الشكل والصناعة^(٢٣) (صورة ٢٦ - شكل ٢٦).

وثمة دلالة أخرى مهمة مصنوعة من الذهب دائرية الشكل تتألف من مجموعة من الحقول والإطارات ، تحيط بإطارها الخارجي ثمان حلقات اسطوانية نافذة وزعت حول بدن الدلالة^(٢٤) يزين كل منها ثلاث حبات ذهبية صغيرة ، يليه الإطار الخارجي الذي ضم صف من الدوائر المتراسة المصفوفة مع بعض من حبات المسبحة التي حصرت بين شريطين مبرومين محززين ، يلي هذا الشريط المنطقة المركزية التي تكونت من مناطق زخرفية تحصر في داخلها أشكالاً متعددة ، فالدائرة الوسطى تضم شكلين حلزونيين متدبرين معمولين من أسلاك مبرومة وتوزعت داخلها الأشكال المقببة الصغيرة وعلى يمين ويسار الدائرة الوسطى ربع دائرة تضم شكل حلزوني واحد يظهر فيه الشكل المقبب ، وفي أعلى الدلالة شكل دائري يؤطره شريط من حبات المسبحة تتوسطها حلقة لوزية ، وأما بخصوص طريقة الصنع فقد استعملت طريقتي صنع معاً وهما التشبيك والتحبيب^(٢٥) (صورة ٢٧ - شكل ٢٧) .

هذا وقد انتجت مدينة حربي أنواعاً أخرى من الحلي النسائية ومنها الأقراط^(٢٦) الذهبية التي تنوعت أشكالها وطرائق صناعتها ، ومن بينها قرط مصنوع من الذهب على شكل هلال يضم حلقتين في كل طرف من طرفي الهلال وهذه الحلقتين يُربط بينهما كلاب للتثبيت بالإذن ، وفي الأسفل هناك حلقة صغيرة لتعليق الجواهر والأحجار الكريمة ، أما وجه القرط فقد زخرف بالحببات والأسلاك الذهبية المصفورة وشريط من الدوائر المعمولة بالأسلاك المصفورة أيضاً^(٢٧) (صورة ٢٨ - شكل ٢٨) .

و لدينا قرط آخر مصنوع من الذهب يختلف عن القرط السابق من حيث طريقة الصنع والزخرفة اذ يأخذ القرط شكل دائرة غير مكتملة من الأعلى مكونة شكل هلال^(٢٨) ، ولهذا القرط وجهان يختلف أحدهما

عن الآخر، الأول يضم صف من الأشكال المقببة عددها تسعة ويعلو كل واحدة نتوء بارز وان هذه الأشكال كلها مخرمة ومجوفة^(٢٩) ، وفي وسط هذا الوجه دائرة كبيرة تضم شبكة من الدوائر الصغيرة النافذة ، أما الوجه الثاني للقرط فهو صفيحة ذهبية رقيقة عليها نقش بارز لطائرين متدبرين يفصل بينهما عنصر نباتي غير واضح المعالم، و نقش اسفل الطائرين شكل لوزة صغيرة ، وقد ملئت الفراغات في هذا الوجه داخل الطائرين وخارجهما بدوائر وزعت توزيعاً عشوائياً، منها ما كان نافذاً و غير نافذ، وقد يختلف هذا القرط عن الأقرط الباقية التي وصلتنا من حيث إطاره الخارجي العريض والذي يضم احد عشر شكلاً مقبباً مشابهاً للأشكال التي على الوجه الأول للقرط فضلاً عن حلقتين اسطوانيتين وضعت عند مكان انتهاء شريط الأشكال المقببة من الطرفين ، و بالنسبة الى كلاب التثبيت بالإذن فانه مفقود ، لكن حلقتي تعليقه موجودة عند طرفي الهلال، وطريقة صناعة القرط هي التشبيك^(٣٠)(صورة ٢٩ - شكل ٢٩).

وقد وصل الينا قرط آخر شبيه بالقرط السابق من حيث الشكل العام وهو مصنوع من الذهب يأخذ شكل دائرة غير مكتملة (هلال) له وجهان يختلف أحدهما عن الآخر، الوجه الأول مقسم على عدة حقول، الأول منها ضم تفريعات نباتية مفرغة تعلوها خمس حلقات اسطوانية يزين كل منها ثلاث حبات ذهبية صغيرة، اما الشريط الثاني فقد ضم أشكالاً كروية صغيرة (حبات اللؤلؤ) عددها خمسين، يلي ذلك شريط ثالث يحيط بالمنطقة المركزية ضم سبعة أشكال مقببة يعلو كل منها نتوء بارز وهي شبيه بالأشكال المقببة التي سبق ذكرها في الحلي السابقة، والمنطقة المركزية شبه دائرية ضمت بعض الأشكال الكروية الصغيرة وبعض الدوائر الغائرة.

أما الوجه الآخر فقد عمل من صفيحة ذهبية رقيقة اعتمد الأسلاك الذهبية المصفورة في عمل زخرفته والتي ضمت بعض الأشكال النباتية والهندسية فضلاً عن إحاطة الوجه بخمس حلقات اسطوانية شبيه بالحلقات الاسطوانية التي على الوجه الأول ، ويؤطر الوجهين من الخارج إطار يضم شريطاً من الأشكال المقببة عددها عشرة ينتهي الشريط من الجانبين بحلقة اسطوانية نافذة، أما مكان التعليق فهو عبارة عن حلقتين دائريتين في كل جانب للقرط، عليها بقايا معدن متصدأ ربما يمثل بقايا كلاب التعليق بالإذن الذي كان مصنوعاً من معدن آخر، عمل القرط بثلاث طرائق صناعية هي التشبيك والتحبيب والصب^(٣١)(صورة ٣٠- شكل ٣٠).

والى جانب حلي الرقبة والأذنين أمدتنا التنقيبات الأثرية من مدينة حربي بحلي المعصمين أيضاً، منها الأساور^(٣٢) الفضية والنحاسية والحديدية والتي غلب عليها شكل الدائرة غير المكتملة ، ومن هذه الأمثلة سوار مصنوع من معدن الفضة على شكل دائرة غير مكتملة (من النوع المفتوح)، يزن السوار من

الخارج صف من البروزات المربعة الشكل عددها (١٧) ، ينتهي طرفي السوار بحلقتين دائرتين على شكل سلك تحتوي إحداها على كلاب لغلق السوار^(٣٣)(صورة ٣١-شكل ٣١).

فضلا عن الحلي المتنوع والذي استعمل في الرقبة والإذن والأيدي ، كانت هناك أدوات أخرى تدخل ضمن الزينة والتزين والتحلي ومنها المرايا المعدنية^(٣٤)التي وصلت إلينا بعدة أشكال ، منها مرآة صغيرة الحجم دائرية الشكل لها وجهان وجه مصقول وهو أصل المرآة والوجه الثاني (الظهر) عليه زخارف بارزة عبارة عن دائرة وسطية يحيط بها شريط زخرفي قوامه ثلاثة ارانب تعدو نفذت بشكل تجريدي، وقد ملئت الفراغات بين الارانب الثلاث بالدوائر الصغيرة البارزة والتي نقشت على شكل زهرة صغيرة ، اما الدائرة الوسطية تضم في وسطها نتوء بارز يمثل مقبض المرآة و تحيط به زخارف نباتية بعيدة عن صدق تمثيل الطبيعة^(٣٥)(صورة ٣٢-شكل ٣٢).

وقد وصلت إلينا مرآة أخرى دائرية الشكل تختلف عن المرآة السابقة من حيث مكان المقبض اذ ان مقبض المرآة يقع خارج إطارها الخارجي ويبرز عنها بشكل ممسك في اليد وفي وسطه ثقب نافذ يستعمل للتعليق، أما ظهر المرآة فقد نقش عليه زخارف ببروز خفيف جدا ، قوامها شريط من المثلثات متصل بحافة المرآة ، يليه شريط آخر عبارة عن خطين متوازيين مكونين اطار دائري للزخرفة الوسطية والتي تمثلت بمجموعة من الدوائر يحيط بها مثلثات تتوسطها دوائر صغيرة معتمة ، وقد كونت هذه الزخرفة الوسطية شكل يشبه زهرة عباد الشمس^(٣٦)(صورة ٣٣-شكل ٣٣).

وكان للمكاحل^(٣٧) نصيباً أيضاً في صناعة الحلي وأدوات الزينة في حربي ومنها مكحلة مصنوعة من النحاس مع مادة الكحل التي وجدت بداخلها، والمكحلة ذات بدن مستطيل ، لها رقبة اسطوانية طويلة نسبيا تتسع كلما ارتفعت للأعلى عند الفوهة ، ولها اربعة ارجل قريبة من شكل المثلثات المقلوبة، يزين البدن مجموعة من الدوائر الصغيرة رتبت على الشكل الاتي ، صف من ثلاث دوائر في كل وجه من اوجه البدن وتحديدا في اعلاه ومحصورة بين خطين محززين ، اما في وسط البدن فهناك اربع دوائر نفذت بشكل قريب من شكل الوردة (الزهرة) ، فضلا عن وجود دائرتين في كل رجل من أرجل المكحلة، وزخرفت الرقبة بشريط زخرفي من الخطوط المتقاطعة المكونة شكل حرف (X) باللغة الإنكليزية محصورة بين خطين محززين يلتقان حول بدن الرقبة ، ومما يجب التنويه اليه ان مادة الكحل حفظت بقارورة زجاجية اسطوانية حديثة للحفاظ على الكحل^(٣٨)(صورة ٣٤-شكل ٣٤)

ولدينا أيضا مرود يستعمل للتكحل ، مصنوع من مادة صنع المكحلة نفسها (النحاس) وهو اسطواني الشكل رفيع وطويل يتوجه من الاعلى طائر ربما (حمامة) وقد فقد الجزء المديب منه^(٣٩)(صورة ٣٥-شكل ٣٥).

التعاويذ والتمائم:

الأيمان بالتمائم^(٤٠) والتعاويذ^(٤١) ليس وليد العصر الإسلامي بل هو معتقد قديم عرفه انسان الحضارات القديمة منذ عصور سحيقة ، وتكاد تكون جميع الأقوام القديمة لجأت الى هذا المعتقد بدوافع دينية روحانية وكذلك لدفع الخوف الذي كان يحمله في ذاته ، وعرفه العراقيون القدماء في العصر الحجري القديم اذ عثر في قرية زاوى جمي احدى المواقع الاثرية في شمال العراق على قلادة معمولة من حجر الاردواز مزينة بحروز ربما تمثل تميمة لحاملها^(٤٢).

ان مصدر هذا الإيمان هو اعتقاد الإنسان بوجود القوى الخفية السحرية المؤثرة ، وشعوره الدائم بالضعف وبضرورة الاستعانة بتلك القوى الجبارة وبوجود امور غير مفهومة تجلب له الحظ النحس، كل هذا هداه إلى عمل أشياء توحى اليه ان فيها خواص سحرية مؤثرة ، كما نجد ان استعمالها بين النساء أكثر من الرجال^(٤٣).

ولم تغب هذه التمائم عن أدب العراق القديم، اذ ورد ذكر لها في ملحمة كلكاش وتحديدًا في خطاب كلكاش للإلهة عشتار عندما قال لها: (أنتِ تميمة بلا قوة للإنقاذ في أرض اللاعودة)^(٤٤)، وقد ضمت هذه التمائم والتعاويذ أشكالاً حيوانية مألوفة في بيئة العراق القديم مثل الضفدع والبط والإوز والأخدر وبعض الأشكال الهندسية مثل الشكل الهندسي ذو الأربع حلقات والذي ربما يمثل أحد رموز الآلهة عشتار وبعض الرموز الأخرى^(٤٥)، فضلا عن تعاويذ أخرى تنوعت وظائفها منها ما كان على شكل رقيم طيني يحمل بعض الكتابات المسمارية لحماية المنزل والبعض الآخر للأمراض كوجع الرأس ولسع الحية وغيرها من الاستعمالات الكثيرة المتنوعة^(٤٦).

استعملت بعض الأختام تعاويذاً تحمي صاحبها من الشر وعادة ما يحمل هذا النوع من الاختام اسماء الآلهة والعبارات الدعائية فضلا عن اسم صاحب الختم^(٤٧).

وقد عرف العرب قبل الإسلام التعاويذ والتمائم ، اذ ذكر ابن منظور ان التميم العوذ واحدهما تميمة وهي خرزات كان الأعراب يعلقونها على أولادهم ينضون بها النفس والعين بزعمهم فأبطلها الإسلام^(٤٨).

وفي هذا الصدد وردت بعض الاحاديث التي تحرم استعمال التعاويذ والتمائم مثل قوله (ﷺ) (من علق التمائم وعقد الرقي فهو في شعبة من الشرك)^(٤٩) وحديث آخر للنبي محمد (ﷺ) عن عبد الله بن مسعود قال: (كان رسول الله (ﷺ) يكره عشرة الصفرة والتختم بالذهب والرقي الا بالمعوذات وعزل الماء عن

محله والتبرج بالزينة لغير محلها وعقد التمايم وجر الأزر وإفساد الصبي غير مُحرمه وتغير الشيب والضرب بالكعاب^(٥٠).

فضلا عن قول للإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) نُقل عن أحد الصحابة نصها قال الإمام علي عليه السلام: (تعليق التمايم شعبة من شعب الجاهلية)^(٥١).

وعلى الرغم من كل هذه النصوص والاحاديث التي تبطل استعمال التعاويذ والتمايم إلا ان هذا المعتقد ظل مستمرا في العصر الاسلامي بل والى يومنا هذا اذ استعملت للوقاية من الحسد او الشرور والبلايا والشفاء من الأمراض والعقم والضعف أو لجلب الخير والحظ والقال الحسن^(٥٢).

ومما يدل على ذلك هو غنى الكتب التاريخية بالنصوص والإشارات عن استعمال التعاويذ والتمايم والاعتقاد بها من هذه الاشارات ذكر حديث بين شخصين قال الاول للثاني ما حال صبيانكم فاجابه ولع كثير ان لم يكونوا كذلك فعلق عليهم التمايم ، وهي عادة عرفها عرب قبل الاسلام واستمرت بعده^(٥٣).

وقد وردت التمايم والتعاويذ أيضا في الشعر العربي

ولهت قلبي اذ علتني كبرة وذو التمايم من بنيك صغار^(٥٤)

ولم يكن هذا الاعتقاد بعيد عن الدين المسيحي اذ ذكر الكاتب والفيلسوف الامريكي ول ديورانت، كان الاف المسيحيون يحملون التمايم أو الطلاسم اتقاء الشرور واعتقدوا في قدرة المخلفات الرئيسية ان تشفي كل عليل اذ احتفظوا بمخلفات القديسين^(٥٥).

فضلا عن ما ورد في كتب التاريخ هناك مصدر آخر عن استمرارية استعمال التعاويذ والتمايم في العصور الاسلامية هو ما تضمه خزائن المتحف العراقي والمتاحف العالمية الأخرى من أمثلة لهذه التعاويذ مؤرخة للعصور الإسلامية والتي تنوعت من حيث مادة الصنع والشكل العام وتشابهت من حيث الكتابات والرموز التي حملتها^(٥٦).

والذي يهمننا من هذه الانواع هي التعاويذ (التمايم) المعدنية التي هي في الغالب تمايم مسطحة من المعدن تمثل دلالية تأخذ أشكال متعددة منها المستديرة والمثلثة والمربعة والكمثرية الشكل، وتحمل في الغالب كتابة سحرية او دينية منقوشة على احد وجهيها أو كليهما^(٥٧) ، وقد لا تحمل كتابة بالمره اذ قد ينقش عليها رموز هندسية أو نباتية أو آدمية لكل منها رمزيته الخاصة^(٥٨).

ومن مدينة حربي وصلت الينا عدة أمثلة من هذه التعاويذ التمايم المعدنية من اهمها تعويذه مسطحة مصنوعة من معدن النحاس، على شكل مستطيل يعلوه شكل ثلاثي يشبه التاج عليه حلقة التعليق من

الخلف ، للتعويذة وجهان عليهما نقش غائر، الوجه الأول ضم فقط كلمات غريبة غير مفهومة ومشفرة^(٥٩)، أما الوجه الآخر فقد تضمن منطقة مركزية مستطيلة الشكل ضمت في أعلاه ثلاث نجومات سداسية الرؤوس مع مجموعة من الخطوط الأفعوانية التي تعبر عن الرموز الغريبة غير المفهومة، ويحيط بهذه المنطقة المركزية شريط ضم بعض الحروف العربية تقرأ منها (ط ، ك ، س ، ا) فضلاً عن رموز أخرى متنوعة^(٦٠) (صورة ٣٦- شكل ٣٦).

وثمة مثال آخر مهم لتعويذة مصنوعة من معدن البرونز، مسطحة على شكل زهرة ثمانية الفصوص ربما في الأصل كانت تمثل امرأة^(٦١) ولها وجهان، الأول تتوسطه دائرة كبيرة ضمت بداخلها أربعة طيور كل اثنين متقابلات متشابهات، اثنان ربما يمثلان طائر النسر يطير وفارد جناحيه والاثنان الآخران هما طائر البط أو الوز، ويتوسط هذه الطيور نتوء بارز فيه ثقب نافذ للتعليق، والوجه الآخر عليه عشرة سطور من الكتابات العربية أغلبها غير مفهومة ومتلاصقة يقرأ منها فقط الكلمات التي في أسفل الوجه وهي (الله، محمد، علي، فاطمة، حسن، حسين) فضلاً عن وجود ثلاث دوائر صغيرة بداخل كل منها نجمة سداسية، وفي أسفل التعويذة ثقبين نافذين ربما يستعملان للتعليق بعد ان أصبحت تميمة^(٦٢) (صورة ٣٧- شكل ٣٧).

فضلاً عن التعاويذ (التمائم) لدينا عدة أمثلة لأغلفة الأحجبة، والتي هي عبارة عن علبة على شكل دلالية عادة ما تكون من الفضة على أشكال مختلفة الاسطواني والمربع هم الأكثر شيوعاً، وعادة ما يكون بها فتحة بغطاء أو جزء منفصل حتى يمكن من فتحها لوضع الرقى والتعاويذ في داخلها وقد تكون ورقة مكتوبة بصفة سحرية أو أدعية وكلمات دينية وبعض الحبوب النباتية التي يعتقد لمفعولها السحري^(٦٣).

ومن هذه الأمثلة غلافان لحجابين مصنوعين من معدن الفضة على هيئة دلالية اسطوانية الشكل، وضم كل واحد حلقتين كبيرتين للتعليق، يلتف حول البدن الاسطواني شريطان من الأشكال الكروية الصغيرة التي تحصر بينها حوزر دائرية والحجابان متضرران وفقدت بعض الأجزاء الصغيرة منها^(٦٤) (صورة ٣٨).

- ١ - أشارت المعاجم اللغوية إلى الزينة وحددت أنواعها إذ عُدَّت الزينة بأنها فعلة لبيان الهيئة في التجميل والتحسين بزيادة أشياء عن الأصل. قلنجي وقنيبي، محمد رواس و حامد صادق، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس، ١٩٨٨، ص ٢٣٥- والزينة على نوعين خلقية ومكتسبة، ومثال على الخلقية الوجه فإنه اصل الزينة وجمال الخلقة وأما الزينة المكتسبة فهي ما تحاوله المرأة من تحسين خلقتها مثل الثياب والحلي والكحل والخضاب، - القرطبي، شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد بن ابي بكر بن فرج (ت: ٦٧١هـ / ١٢٧٣م)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض ٢٠٠٣، ج ١٢، ص ٢٢٩. والحلي كل حلية حليت بها امرأة وهو كل ما لبس من ذهب او فضة او جوهر، - الفراهيدي، الفراهيدي، ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد بن عمرو (ت: ١٧٠هـ / ٧٨٦م) كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، دار الهلال، بغداد ١٩٨٥، ج ٣، ص ٢٩٦. - الازدي، ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت: ٣٢١هـ / ٩٣٣م) جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٧م، ج ١، ص ٥٧٢.
- ٢ - الجادر، وليد، "الأزياء والحلي"، حضارة العراق، بغداد ١٩٨٥، ج ٤، ص ٣٢٤.
- ٣ - سلمان، جنان احمد عبد العزيز، الزينة ومظاهرها عند العرب في الجاهلية وموقف الإسلام منها، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة تكريت، ٢٠١٥، ص ٣٢.
- ٤ - سلمان، سلمان، جنان احمد عبد العزيز، الزينة ومظاهرها عند العرب في الجاهلية وموقف الاسلام منها، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة تكريت، ٢٠١٥، ص ٦٨.
- ٥ - الميداني، احمد بن محمد بن إبراهيم ابو الفضل (ت: ١١٢٤/٥١٨م) مجمع الأمثال، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت بدون تاريخ، ج ٢، ص ١٥٨.
- ٦ - عوض الله، رندا محمد حازم السيد، ادوات الزينة والحلي في الفن الإسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة الى مجلس كلية السياحة والفنادق /جامعة الاسكندرية ٢٠٠٨، ص ١.
- ٧ - المدفیر، عبیر بنت علي، أحكام الزينة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ٢٠٠٢، ص ٢٥. - الفوزان، عبدالله بن صالح، زينة المرأة المسلمة، دار المسلم للنشر، بدون تاريخ، ص ١١.
- ٨ - سورة الأعراف، الآية ٣٢.
- ٩ - سورة الأعراف، الآية ٣١.
- ١٠ - البغوي، ابو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الشافعي (ت: ٥١٦هـ / ١١٢٢م)، شرح السنة، تحقيق شعيب الارنؤوط ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق ١٩٨٣، ج ١٢، ص ٦٥.
- القسطلاني، احمد بن محمد بن ابي بكر بن عبد الملك، أبو العباس (ت: ٩٢٣هـ / ١٥١٧م) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر ١٣٢٣هـ، ج ١، ص ٤٠٢.
- ١١ - العلي، زكية عمر، التزيق والحلي عند المرأة في العصر العباسي، بغداد ١٩٧٦، ص ٩٧.
- ١٢ - القيسي، ناهض عبد الرزاق، الفنون الزخرفية العربية الإسلامية، دار المناهج، عمان ٢٠٠٩، ص ٨١.
- ١٣ - عوض الله، عوض الله، رندا محمد حازم السيد، ادوات الزينة والحلي في الفن الاسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة الى مجلس كلية السياحة والفنادق /جامعة الاسكندرية ٢٠٠٨، ص ٤٠.

- ١٤ - زين العابدين، علي، المصاغ الشعبي في مصر، مطابع الهيئة المصرية العامة ١٩٧٤، ص ٣٨.
- ١٥ - القيسي، الفنون الزخرفية، ص ٨٢.
- ١٦ - البيروني، أبو الريحان أحمد بن أحمد (ت: ٤٤٠هـ / ١٠٤٧م)، الجماهر في معرفة الجواهر، مكتبة المتنبّي، القاهرة ١٩٨٤، ص ٥٣. - الكوان، بسمان نوري، مقتنيات الخلفاء العباسيين من الجواهر الثمينة في العصر العباسي الأول (١٣٢-٢٤٧هـ / ٧٤٩-٨٦١م)، مجلة الملوية للدراسات الأثرية والتاريخية، كلية الآثار / جامعة سامراء ٢٠١٧، مج ٤، العدد السابع، ص ٢٨٤-٢٨٥.
- ١٧ - الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد (ت: ٣٨٨هـ / ٩٩٨م)، الديارات، ط ٣، تحقيق: كوركيس عواد، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق ٢٠٠٨، ص ١٨٨. - الباجوري، عبد الله بن عفيفي، المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، مكتبة الثقافة، المدينة المنورة ١٩٣٢، ج ٢، ص ١٩٤.
- ١٨ - ابن الزبير، القاضي الرشيد، الذخائر والتحف، تحقيق محمد حميد الله، الكويت ١٩٥٩، ص ٢٣٥.
- ١٩ - القلادة: في اللغة لفظة عامة تطلق على مسميات كثيرة وهي تصنع من الذهب أو الفضة أو قد تكون من احجار كريمة أو عظام أو خرز وربطت بعضها الى بعض وكانت تلبس أو تربط حول العنق وتتدلى على الصدر. - الزبيدي، تاج العروس، ج ١، ص ٦٦. - عامر، جمال سليمان علي، الحرف والصناعات اليدوية في شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الزقازيق، قسم شبه الجزيرة العربية، ٢٠٠٥، ص ٣٥-٣٦.
- ٢٠ - محفوظة في متحف العراقي الوطني برقم ١٩٥٠٥٣ - م ع.
- ٢١ - الدلاية: هي الجزء الرئيس من القلادة يحيط بجوانبها عادة مجموعة من الخرز متنوعة الأشكال أو دلايات مشابهة للدلاية الكبيرة وحيانا يعلق في الدلاية سلاسل من الذهب أو مواد اخرى. - الصبيحايي الصبيحايي و الدجيلي، حيدر فرحان وحسين عبيد، مدينة حربي الاسلامية دراسة تاريخية اثارية، الهيئة العامة للآثار والتراث، بغداد ٢٠٠٧، ص ٩٩.
- ٢٢ - محفوظة في متحف العراقي الوطني، برقم متحف ١٩٥٠٥١ - م ع.
- ٢٣ - محفوظة في متحف العراقي الوطني، برقم متحف ١٩٥٠٥٢ - م ع.
- ٢٤ - ان الغرض الرئيس لتكوين هذه الحلقات حول اطار الدلاية لكي تمسك بما يتدلى منها من الخيوط المنظومة بالؤلؤ والاحجار الكريمة وهو نظام شائع في الحلي الفاطمية في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي. - الاف، جيمس دبليو، التحف المعدنية، كنوز الفن الإسلامي، جنيف ١٩٨٥، ص ٣٤٤.
- ٢٥ - الدلاية محفوظة بمتحف العراق الوطني، برقم متحف ١٧٢٩٥٤ - م ع.
- ٢٦ - يتخذ القرط عادة اما شكل حلقة بسيطة أو دلاية صغيرة تتدلى منها سلاسل والتي تحلى عادة بالأحجار الكريمة وقد تغن الصانع بصناعاتها فاخرج منها اشكال عديدة، ولبس الأقراط في الاذن عادة قديمة جدا عرفها العرب وانتقلت عن طريقهم إلى اسبانيا وصقلية، وان تثبيت القرط في الاذن يتطلب احيانا ثقب شحمة الاذن أو الاقتصار على تثبيت القرط فيها. - زكي، عبد الرحمن، الحلي في الفن والتاريخ، مكتبة الدراسات الشعبية، القاهرة ١٩٩٨، ص ٤٣. - تاج، فوزي جمال عبد الغني، دراسة وصفية لنماذج من المشغولات المعدنية الشعبية المستخدمة في مكة المكرمة وجدة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة ام القرى، مكة المكرمة ١٤١٥هـ، ص ٥٦.
- ٢٧ - القرط محفوظ بالمتحف العراقي الوطني، برقم متحف ١٩٥٠٤٥ - م ع.
- ٢٨ - يعزى السبب في كثرة استعمال الشكل الهلالي ولاسيما في الأقراط إلى عدة أسباب منها ان الشكل الهلالي للقرط يتناسب مع القسم السفلي من الاذن، فضلا عن سهولة تزيين القسم السفلي منه بالدلايات، فضلا عن كون الهلال

- تميمة ضد العين والحسد ولجلب الخير والبركة . - العلي ، التزيق والحلي ، ص ١٤٩ . - زين العابدين ، علي ، المصاغ الشعبي في مصر ، مطابع الهيئة المصرية العامة ١٩٧٤ ، ص ١٤٨ .
- ٢٩ - ذكر ان سبب عمل بدن القرط و الاشكال المقببة مجوفة هو لو وضع الطيب فيها- العلي ، التزيق والحلي ، ص ١٤٨ . لكن في الحقيقة هناك امر مهم جدا بخصوص عمل الاقراط مجوفة وهو ان من الضروري جدا عمل اغلب أنواع الحلي مجوفة ، وذلك للتقليل من وزن هذه القطعة والعمل على عدم ارتفاع سعرها ولاسيما عند عملها من اثنان أنواع المعادن مثل الذهب والفضة وهذا الأمر موجود إلى يومنا هذا في عملة صياغة الحلي .
- ٣٠ - القرط محفوظ بالمتحف العراقي الوطني ، برقم متحفي ١٩٥٠٥٠- م ع . - الأبعاد :- قطر القرط تقريبا ٤,٥ ، اخذ القياس من القطع المشابهة له والمعروضة في المتاحف العالمية .
- ٣١ - القرط محفوظ بالمتحف العراقي الوطني برقم متحفي ١٧٢٩٥٣- م ع . الأبعاد التقريبية :- قطر القرط تقريبا ٤,٥ ، أخذت الأبعاد من القطع المشابهة له والمعروضة في المتاحف العالمية .
- ٣٢ - السوار بكسر السين وفتح الواو من الحلي ، وسورته السوار أي ألبسته إياه . ورد ذكر للأساور في القرآن الكريم (أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ) -سورة الكهف، الآية ٣١. وقد عرفت الأساور بأنها من حلي المعصم التي اتخذت أشكالاً عدة منها البسيطة الرقيقة ومنها العريضة المزخرفة المطعمة بالأحجار الكريمة او المبرومة او المفرغة وقد تصنع أحياناً على شكل صفائح سمكية نقش عليها رسوم رمزية او هندسية. - ابن دروستويه ، ابو محمد عبد الله بن جعفر ابن المرزبان (ت ٣٤٧هـ / ٩٥٨م) ، تصحيح الفصيح وشرحه ، تحقيق : محمد بدوي المختون ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ١٩٩٨ ، ص ٣٠٢ . - ابادي ، ابي الطيب محمد شمس الحق (ت ١٣٢٩هـ / ١٩١١م) ، عون المعبود شرح سنن ابي داود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٥ ، ج ٣ ، ص ٣٤٠ . - صوفي ، فاطمة الزهراء ، اللباس التقليدي للعروس في الجزائر من خلال بعض النماذج ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الآداب جامعة ابي بكر بلقايد- تلمسان ٢٠٠٣ ، ص ٣٣ .
- ٣٣ - السوار محفوظ بالمتحف العراقي الوطني برقم متحفي ١٧٢٩٥١- م ع .
- ٣٤ - المرأة من الادوات الضرورية للزينة وللنظافة بشكل عام ، حيث ان استعمال المرأة اقترن بالنساء ومن ثم الرجال وفي ذلك انشد الشعراء :

إذا الفتى لم يركب الاهوالاً فأعطه المرأة والمكمل

وقد اهتم الصانع في الإسلام بالمرأة وذلك لكونها وسيلة الى الاسعاد او الياس فضلا عن ارتباطها في الازهار بالحظ والقال فاتخذت كتميمة تجلب الحظ والسعادة ولدفع الشر وتقادي الاخطار وقد بلغ في ذلك حتى اتخذت كأداة للسحر والشعوذة وعادة للمرأة وجهان وجه مصقول يعكس صورة الوجه و وجه اخر عليه زخارف متنوعة منها اشكال ادمية وحيوانية ونباتية فضلا عن الكتابات واحيانا تكون ذات موضوعات تتعلق بفلسفة علم الغيب . انظر :- حمدي ، احمد ممدوح ، معادات التجميل بمتحف الفن الإسلامي ، دار الكتب ، القاهرة ١٩٥٩ ص ٦٩ . - الباشا ، حسن ، المرأة ، القاهرة تاريخها فنونها آثارها ، مطابع الأهرام التجارية ، ١٩٧٠ ، ص ٦١٥-٦١٦ .

٣٥ - المرأة محفوظة بمتحف العراقي الوطني ، برقم متحفي ١٨٩٨١٤- م ع .

- قطر هذه المرأة (٥سم) .

٣٦ - المرأة محفوظة بمتحف العراقي الوطني ، برقم متحفي ١٨٠٢٥٣- م ع الأبعاد :-

- قطر المرأة (٦,٤ سم) - طول المقبض (١,٤ سم) - السمك (١ ملم)

- ٣٧ - المكحلة الأداة أو الوعاء الذي يوضع فيه الكحل، إذ كان الكحل من أهم مستلزمات التجميل عند النساء العرب، أما مادة الكحل فقد عرفت منذ اقدم الازمان وهي على نوعين مسحوق ومعجون، وللمكاحل مهما اختلفت مادتها مُرود الغرض من وجوده لاستعماله في تجميل الحواجب أو الرموش بالكحل. - الجوهري، ابو النصر اسماعيل بن حمادة، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق، احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٧، ط٤، ج٥، ص ١٨٠٩. - حمدي، معدات التجميل، ص ١٠٩-١١١.
- ٣٨ - محفوظة بالمتحف العراقي الوطني برقم متحف ١٨٩٨١٢ - م ع. - القياسات :- الارتفاع (٦,٧) قطر الفوهة (٠,٨)
- ٣٩ - محفوظ بالمتحف العراقي الوطني برقم متحف ١٩٥٤٨٠ - م ع. - الأبعاد :- الطول ٧,٧ سم .
- ٤٠ - تعرف التيممة بانها قطعة معمولة من مواد مختلفة كان تكون حجرية أو معدنية أو من بعض المواد العضوية على شكل حيوانات أو نباتات أو رموز اخرى لتكون تعويذة وحرزا لحاملها وعادة ما تكون مثقوبة لغرض التعليق حول الرقبة أو المعصم أو تستعمل كدلاية لقلادة أو تشبك في الشعر أو تربط على الملابس بواسطة خيط أو سلك معدني. للمزيد انظر: عباس، منى حسن، الدلايات والتمايم في المتحف العراقي من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية عصر فجر السلالات، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الآداب جامعة بغداد ١٩٨٩، ص ٨-١٦.
- ٤١ - جاء في اغلب كتب اللغة ان التعويذة هي التيممة نفسها لكن التعويذة اشمل من التيممة مع ان الوظيفة واحدة اذ قيل التميم جمع تيممة وهي التعويذة يفعلها من اجل السحر للحب والبغض وغيرها. انظر: الجيش، محمد بن يوسف بن احمد (ت: ٧٧٨هـ / ١٣٧٧م)، شرح التسهيل المسمى تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، تحقيق: علي محمد فاخر، دار السلام، القاهرة ١٤٢٨هـ، ج٢، ص ٦٥٣. - دزوي، رينهارت بيتر أن (ت: ١٣٠٠هـ / ١٨٨٣م)، تكملة المعاجم العربية، ط١، ترجمة وتعليق: محمد سليم النعيمي، وزارة الثقافة والاعلام العراقية، ١٩٧٩، ج٧، ص ١٤٤. قلنجي، معجم لغة الفقهاء، ص ١٣٧. - الطيبي، شرف الدين الحسن بن علي (ت: ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م)، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى الكاشف عن حقائق السنن، تحقيق: عبد الحميد هنداي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ١٩٩٧، ج٩، ص ٢٩٦٧.
- ٤٢ - طه، باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، بغداد ١٩٧٣، ج١، ص ١٨٧.
- ٤٣ - زين العابدين، المصاغ الشعبي، ص ١٩١.
- ٤٤ - عباس، الدلايات والتمايم، ص ١٩.
- ٤٥ - سلمان، احمد عزيز، عصر السلالات السومري في ظل تنقيبات تل الولاية، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى مجلس كلية الاداب / جامعة بغداد ٢٠١٢، ص ٢١٦.
- ٤٦ - عباس، الدلايات والتمايم، ص ٢٢.
- ٤٧ - عبد الرزاق، ريا محسن، الكتابة على الأختام الاسطوانية غير المنشورة في المتحف العراقي، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة الى مجلس كلية الاداب / جامعة بغداد ١٩٨٧، ص ١٦٧.
- ٤٨ - ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص ٤٤٨.
- ٤٩ - الخلال، ابو بكر احمد بن هارون (ت: ٣١١هـ / ٩٢٣م)، السنة، تحقيق: عطية الزهراني، دار الراية، الرياض ١٩٨٩، ج٤، ص ١٢٥.

- ^{٥٠} - الطيالسي، ابو داود سليمان بن داود الجارود (ت: ٢٠٤هـ / ٨١٩م) مسند ابي داود، ط١، تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر ١٩٩٩، ج١، ص٣١٢.
- ^{٥١} - ابن وهب، عبدالله بن مسلم الفهري (ت: ١٩٧هـ / ٨١٣م)، الجامع في الحديث، ط١، تحقيق مصطفى حسن حسين، دار ابن الجوزي، الرياض ١٩٩٥، ص٧٥٢.
- ^{٥٢} - زين العابدين، المصاغ الشعبي، ص١٨٩.
- ^{٥٣} - القاضي، ابو الفضل عياض بن موسى (ت: ٥٤٤هـ / ١١٤٩م)، ترتيب المدارك وتعريب المسالك، تحقيق: عبد القادر الصراوي، مطبعة فضالة، المغرب ١٩٧٠، ج٤، ص٢٣٢.
- ^{٥٤} - الصلابي، علي محمد، الدولة الاموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، دار المعرفة، بيروت ٢٠٠٨، ج١، ص٧١٢.
- ^{٥٥} - ول ديوارنت، وليام جيمس، قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود، دار الجيل، بيروت ١٩٨٨، ج٣٧، ص١٣٨.
- ^{٥٦} - صوى، اولكر ارغين، تطور فن المعادن الاسلامي، ط١، ترجمة: الصفصفاقي احمد الطوري، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٥، ص٧٣٢.
- ^{٥٧} - زين العابدين، المصاغ الشعبي، ص١٨٩.
- ^{٥٨} - صوى، تطور فن المعادن، ص٧٣٢.
- ^{٥٩} - هذا الحروف والكلمات ليست علامات يراد بها منها التعبير عن قيمة صوتية ما ، وإنما هي رموز وكلمات تعرف أحياناً (بالحروف النظاراتية) وأحياناً أخرى (الخواتم) ، والتي تظهر كأسماء لعفاريت الجن او كتعويذات سحرية مكتوبة لمختلف الأغراض ، مثل ربط السنة الملوك والحكام أو لإجبار شخص ما على اللحاق بالساحر او ولتقوية الذاكرة ولإجبار عدو أو جارٍ مزعج إلى الرحيل وكشف السارق ولجلب الرزق وغيرها الكثير من الأغراض التي تكتب لأجلها هذه النصوص الغير مفهومة للقارئ العادي . للمزيد عن هذه النصوص انظر :- هانس ، فينكلر، الرموز والطلاسم السحرية عند المسلمين (الخواتم والطلاسم) ، ط ١ ، ترجمة :محمود كيبوي ،دار الوراق ، بيروت ٢٠١٣ ، ص ٢٥٥ - ٢٦١ . - الطوخي ، عبد الفتاح السيد ،السحر العجيب في جلب الحبيب ،مكتبة بولاق الدكرور ، القاهرة ١٣٥٧ هـ ، ص ٩٠ - ٩٥ . - العبد ، محمد ابراهيم نصر الله ي بروج وردي ، الف ختم وختم ، ط١ ، دار المحجة ، بيروت ٢٠٠٧ ، ص ١٨٩ .
- ^{٦٠} - محفوظة بالمتحف العراقي الوطني برقم متحفي ١٨٧٠٥٦ - م ع.:- الابعاد:- الطول: ٤،٤سم- العرض: ٢،٥سم.
- ^{٦١} - رُجح ان هذه التعويذه (التميمة) كانت في الأصل مرآة بسبب كونها تحمل مواصفات المرايا المعدنية والتي عادة ما تكون ذات وجه منقوش بنقوش بارزة وفيه نتوء تعليق ووجه اخر مصقول يمثل المرآة ولكن في هذه المرآة كتب على الوجه المصقول وتحولت إلى تعويذه ربما لجلب الفال الحسن والجمال.- صوى، تطور فن المعادن، ص٧٣٣.
- ^{٦٢} - التعويذه محفوظة بالمتحف العراقي الوطني برقم متحفي ١٤٨٢٦ - ع. - الابعاد:- قطر التعويذه ٩سم.
- ^{٦٣} - زين العابدين، المصاغ الشعبي، ص١٨٩.
- ^{٦٤} - الحجاب محفوظ بالمتحف العراقي الوطني برقم معثر ١٦٨١ . - وزن الحجابان ٣،٩٠غم.

صناعة كرسي العرش

م. محمد عبد الحسين فالح

أ.م.د. ماجد حسو منصور

كلية الاداب قسم الآثار

صناعة كرسي العرش

م. محمد عبد الحسين فالح

أ.م.د. ماجد حسو منصور

المقدمة

العرش أو كرسي العرش من أهم رموز السلطة التي عرفها سكان بلاد الرافدين منذ عصور مبكرة من فجر الحضارة واستمر طوال العصور اللاحقة الممتدة لألاف السنين. وجدت أهمية هذا الرمز لاقتترانه بالسلطة السياسية إضافة الى أهميه الدينية، فكرسي العرش عند العراقيين القدامى لا يقتصر بالملوك فقط بل له ارتباط كبير بالآلهة ، وهذا ما سنراه على المصورات بمختلف اشكالها ان كانت على النحت البارز او المدور او الاختام الاسطوانية او الرسوم الجدارية. وقد كان الملوك يتفاخرون بصناعتهم للعرش ليس لأنفسهم فحسب بل لآلهتهم وقد تكون تلك العروش مصنوعة من الذهب والفضة وكذلك مرصعة بالأحجار الكريمة

أولاً: المواد المستعملة في صناعة كرسي العرش

١. الخشب :

يعد الخشب من المواد الأولية المهمة التي ارتكزت عليها الكثير من الصناعات التي عرفها سكان بلاد الرافدين ومنها الأثاث باختلاف أنواعه^(١). عرف الخشب في اللغة السومرية بالمصطلح السومري (GIS) يقابله باللغة الأكديّة بالتسمية (isu).^(٢)

كان الأثاث يصنع في العصور المبكرة من القصب والبردي وجريد النخيل ثم بعد ذلك من الأخشاب المتوفرة محليا ولا سيما في شمال بلاد الرافدين، ونتيجة للتطور السياسي والازدهار الاقتصادي اهتم حكام وملوك بلاد الرافدين بالحصول على الأنواع الجيدة من الأخشاب ذات الرائحة الزكية التي استعملت في صناعة الأثاث المستعمل في المعابد والقصور^(٣)، اذ سعوا إلى جلب الأخشاب عن طريق التجارة الخارجية من المدن التي كانت تمتلك الأخشاب الجيدة وكان الخليج العربي من أول الأماكن المصدرة للأخشاب الجيدة إلى بلاد الرافدين وخاصة مدن ميلوفا ومكان دلمون^(٤)، وأول إشارة تاريخية وردت إلينا عن التبادل التجاري مع هذه المدن تؤرخ إلى عهد الملك أورنانشه وهو مؤسس سلالة لكش الأولى (٢٤٥٠ - ٢٣٠٠ ق.م) إذ ورد في أحد النصوص التي تعود لعصره ((جلبت قوارب دلمون (الخشب)).^(٥)

وتأتي بلاد الشام وخاصة لبنان في المقام الثاني من حيث تصدير الأخشاب إلى بلاد الرافدين، إذ كانت تنمو أشجار الأرز على جبالها وهي من الأشجار ذات الشهرة التاريخية التي ذكرت في ملحمة كلكامش^(٦)

أما العصر البابلي القديم كانت قطع الأخشاب تنقل من جبال الأمانوس في شمال سوريا إلى بلاد الرافدين عن طريق إطلاقها في مجرى نهر الفرات لترفع عند ميناء مدينة (رابيقوم) الكائنة عند مشارف مدينة الرمادي حاليا ومن هذه المدينة ذات الموقع الاستراتيجي المهم تنقل قطع الأخشاب التي تحملها السفن القادمة من شرق البحر المتوسط عبر الفرات وتنقل برا إلى مدن بابل وآشور.^(٧)

وكذلك سعى ملوك وحكام بلا آشور للسيطرة على الأماكن التي تتواجد فيها الأخشاب الممتازة التي تصلح في صناعة الأثاث الخاص بالمعبد والقصر، وقد وصلتنا العديد من الرسائل التي تبين اهتمامهم بالحصول على الأخشاب منها على سبيل المثال رسالة أرسلها حاكم مدينة آشور إلى الملك سرجون الثاني (٧٢٢-٧٠٥ ق.م) جاء فيها :

((إلى الملك سيدي خادمك طاب سيل يرشا بخصوص جذوع الأشجار التي يكتب سيدي عنها حيث يوجد العديد ولذلك سيدي يمكن أن يكون مسرورا لذلك))^(٨) ومن أبرز نوعيات الأخشاب التي كانت تستعمل في صناعة الأثاث ومنها العروش:

أ. أخشاب شجرة الأرز: عرفت بالمصطلح السومري (ERIN NA^{GIŠ})^(٩) ويقابله في اللغة الأكديّة اسم (erēnu)^(١٠) يمتاز هذا النوع من الأخشاب بالقوة والمتانة والرائحة الزكية ولذلك استعمل في صناعة العروش ومنها عروش الآلهة^(١١)، وهذا ما تؤكدته الكتابات المسمارية إذ ورد ذكرها في نصوص أدب بلاد الرافدين في ملحمة كلكامش جاء فيها ((وشاهد من بين ما شاهد جبال أرز خاص بالآلهة حيث اقيم عرش الآلهة عشتار))^(١٢)

ب- أخشاب شجرة البقس^(١٣) : عرف بالمصطلح السومري (TAŠKARIN^{GIŠ}) وجاء باللغة الأكديّة باسم (taskarinnu(m)^(١٤)، وهو من الأخشاب ذات الأهمية في صناعة الأثاث ولا سيما الخاص بالمعبد والقصر لما يمتاز به من قوة ومتانة. وهذا النوع من الأخشاب يتم استيراده من الخليج العربي^(١٥).

ج- أخشاب شجرة الأثل^(١٦) : عرف بالمصطلح السومري (ŠINIG^{GIŠ}) يرادفه بالأكديّة (bīnu(m)^(١٧) استعملت هذه الأخشاب في صناعة الأثاث لما تمتاز به من مقومات إذ يمتاز بالقوة والمتانة والرائحة الزكية تجعلها صالحة للاستعمال في صناعة الأثاث ولا سيما الخاص بالمعبد والقصر^(١٨)، وقد ورد ذكر هذه الشجرة في أدب بلاد الرافدين في مناظرة بين شجرة الأثل و (النخلة) تؤرخ إلى العصر البابلي القديم، جاء فيها :

((تأملت في أثاث القصر الملكي كل شيء اخذ مني وقدم للقصر الملكي الملكة تشرب من الكأس المصنوع من خشبي النجار يمتدحني كثيرا))^(١٩).

د-القصب: عرف القصب في اللغة السومرية بالمصطلح السومري (GI)^(٢٠) ويقابله باللغة الأكديّة المصطلح (qanu)^(٢١). وهو من أهم النباتات الطبيعية الموجودة في القسم الجنوبي من بلاد الرافدين ولا سيما في منطقة الأهوار، وقد عرف سكان بلاد الرافدين فوائده في شتى الصناعات منذ البدايات الأولى لاستيطان السهل الرسوبي، إذ استعمل القصب في صناعة الحصير والقوارب والسلال والأطباق كما استعمل كمادة أولية في بناء البيوت ومادة رابطة لصفوف اللبن وفي التسقيف، ودخل أيضاً في صناعة بعض الآلات الموسيقية وأقلام الكتابة^(٢٢)، واستعمل كذلك في صناعة الأثاث^(٢٣).

٢- الأحجار الكريمة :

عرفت الأحجار باللغة السومرية بالمصطلح (NA₄) يقابلها باللغة الأكديّة كلمة (abnū)^(٢٤). وهي مواد طبيعية نادرة قوية التحمل ذات ألوان جميلة ولها مميزات فنية تحدد درجة جودتها^(٢٥)، استعملت الأحجار الكريمة في صناعة الحلي وتزيين الأثاث باختلاف أنواعه.^(٢٦)

وجدت الأحجار الكريمة منذ عصور قبل التاريخ في بلاد الرافدين إذ كشفت التنقيبات الأثرية قلائد معمولة من خرز مختلفة الحجر ترجع إلى العصر الحجري الحديث وعلى قلادة صغيرة معمولة من خرز الشذر والعقيق واللازورد، ونظرا لكون هذه الأحجار لم تكن متوافرة في بلاد الرافدين كان لابد من الحصول عليها عن طريق التجارة الخارجية مع البلدان المجاورة في بلاد الأناضول وبلاد الشام والخليج العربي وبلاد عيلام.^(٢٧)

أما أهم أنواع الأحجار التي استعملت في تطعيم الأثاث الخاص بالآلهة والملوك هو حجر اللازورد الذي عرف بالمصطلح السومري (NA₄ZA.GIN) ويقابله باللغة الأكديّة الاسم (uqnū)^(٢٨) وهو واحد من الأحجار الثمينة الذي يمتاز بلونه الأزرق مثل لون السماء يمتاز بقوته وصلابته ويكون قليل الشوائب، ويتم الحصول على هذا النوع من الأحجار الكريمة من منطقة بادخشان الواقعة في أفغانستان وكذلك يتم الحصول على هذا النوع من الأحجار من الخليج العربي ولا سيما من مدينة دلمون^(٢٩)، كما استورد سكان بلاد الرافدين حجر اللازورد من مدينة عيلام فقد كانت هذه المدينة غنية بالأحجار الكريمة ومنها اللازورد.^(٣٠)

ومن النصوص المسمارية المهمة التي تشير إلى استخدام حجر اللازورد في تزيين كرسي العرش نص جاء ذكره في ((السنة التي صنع فيها كرسي من حجر اللازورد))^(٣١).

٣- المعادن :

أ- الذهب : عرف الذهب باللغة السومرية بالمصطلح (Ku₃.GI)^(٣٢) يقابله في اللغة الأكديّة كلمة (hurās)^(٣٣). يوجد الذهب في الطبيعة على شكل معدن نقي يكون اصفر اللون وهو لا يصدأ ولا يذوب في الماء ويكون في بعض الأحيان مختلط بالنحاس والفضة مما يكسبه الصلابة^(٣٤).

استعمل في صناعة التماثيل الخاصة بالآلهة والملوك فضلاً عن الحلي على اختلاف أنواعها من أقراط وخواتم وأساور وقلائد وغيرها كما كان يستعمل في تطعيم الأثاث وزخرفة الملابس وفي صناعة الأواني والآلات الموسيقية.^(٣٥)

وقد عرف الذهب في بلاد الرافدين منذ مدة زمنية مبكرة إذ عثر على بعض القطع الذهبية الصغيرة مع خرز منتشر في مواقع العصر الحجري الحديث^(٣٦).

وكان يتم الحصول على الذهب بطرق عدة منها الجزية والهدايا وعن طريق التجارة الخارجية مع البلدان المجاورة لبلاد الرافدين مثل بلاد الأناضول وبلاد الشام والخليج العربي وعيلام ومصر التي تعد من أهم الدول المصدرة للذهب^(٣٧).

وهناك نصوص مسمارية تؤكد لنا استعمال الذهب في تطعيم الأثاث الخاص بالآلهة والملوك ومنها نص يعود إلى زمن الملك ليبت عشتار (١٩٣٤-١٩٢٤ ق). محاكم مدينة ايسن ويذكر فيه انه صنع عرشاً للإلهة نين ايسن من الذهب.

((السنة التي صنع فيها الملك ليبت عشتار عرش من الذهب للإلهة نين ايسن^(٣٨) (الإلهة كولا عرفت في مدينة ايسن ب نين ايسن أي سيدة مدينة ايسن).^(٣٩)

ب- الفضة : عرفت الفضة باللغة السومرية بالمصطلح (KÙ) أو (KÙ.KUBABBR)^(٤٠) يقابلها في اللغة الأكديّة كلمة (kaspu(m)^(٤١)، والفضة معدن ابيض صلب أكثر مرونة من النحاس.^(٤٢) استعملت الفضة في صناعة تماثيل الآلهة والملوك، وكذلك في صناعة الحلي على اختلاف أنواعها، كما استعملت أيضاً في صناعة الأثاث إذ كانت بعض أنواع الأثاث تطعم بالفضة كما استعملت في صناعة الأواني والآلات الموسيقية.^(٤٣)

وقد عرفت الفضة في بلاد الرافدين منذ الف الرابع قبل الميلاد^(٤٤). وتم الحصول على هذا المعدن بطرق عدة منها الجزية والهدايا والتبادل التجاري مع البلدان الأخرى ومنها بلاد الأناضول إذ كان الآشوريون يستوردون الفضة مقابل تصديرهم القصدير والبروز^(٤٥)، كما كانت كل من مدن الخليج العربي وبلاد عيلام وبلاد الشام من أهم الدول المصدرة للفضة لبلاد الرافدين. استعملت الفضة في تصميم الأثاث منذ عصور مبكرة، ومن الأدلة النصوص المسمارية التي تؤكد استعمال الفضة في تطعيم الأثاث منذ عصور مبكرة هو نص من العصر الآشوري القديم يرد فيه إشارة توضح استخدام الفضة جاء فيه

((قطعتان جانبيتان تعودان لقائمة كرسي أو عرش) طعمت واجهتها بالفضة ما عدا ثلاثة أصابع منها لم تثبت)).^(٤٦)

ج- النحاس : عرف النحاس باللغة السومرية بالمصطلح (URUDU)^(٤٧) يقابله باللغة الأكديّة كلمة (erûm)^(٤٨). والنحاس فلز حرّ ويعدّ معدن جيد يمتاز بصلابته و مقاومته للظروف المناخية^(٤٩). استعمل النحاس في صناعة الآلات والأدوات المستعملة في الصيد والزراعة والصناعة والحروب منها الفؤوس والخناجر والأزاميل والأسلحة وغيرها.^(٥٠)

يعد النحاس من اقدم المعادن المعروفة في بلاد الرافدين إذ عرفه سكان بلاد الرافدين منذ الاف السادس ق. م^(٥١). وكان يتم الحصول على هذا المعدن بطرق عدة منها الجزية وكذلك التجارة الخارجية مع البلدان المجاورة مثل بلاد الأناضول التي كانت مصدرا مهما للنحاس اذ كان الآشوريون يصدرون لهم المنسوجات مقابل حصولهم على النحاس^(٥٢)، فضلا عن بلاد الشام والخليج العربي^(٥٣) وبلاد عيلام التي كانت من البلدان المصدرة للنحاس إلى بلاد الرافدين.^(٥٤)

وقد استعمل النحاس في صناعة الأثاث باختلاف أنواعه ومنها الكراسي وهذا ما تشير له المصادر المسمارية اذ هنالك نص يشير إلى استخدام هذا المعدن في صنع الكرسي جاء فيه. ((كرسي من النحاس))^(٥٥)

٤- العاج : عرف العاج باللغة السومرية بالمصطلح (ZÚ. AM. SI)^(٥٦) يقابله باللغة الأكديّة المصطلح (šinnipiri)^(٥٧). وهو مادة عضوية (تتمثل بأنياب الفيلة وقرون وحيد القرن)^(٥٨)، تتميز هذه المادة بالصلابة والمقاومة اذ تقوى على مقاومة العوامل الطبيعية وتوفر امكانية الحفر عليها لتماسك ذرات مادتها وسهولة الحصول على سطح مصقول فيها^(٥٩).

استعمل العاج في تزيين الأثاث وصناعة الأختام في بعض الأحيان ودخل في صناعة التماثيل فضلا عن مواد الزينة. وقد عرف العاج في بلاد الرافدين منذ الألف الثالث ق.م^(٦٠). وكان مصدر الحصول عليه من الهند وأفريقيا وسوريا.^(٦١)

وعلى الرغم من افتقار بلاد الرافدين إلى هذه المادة المهمة في كثير من الصناعات الا ان ملوك بلاد الرافدين سعوا إلى الحصول عليها بطرائق عدة، إذ حصل الآشوريون على العاج عن طريق الغنائم وذلك خلال انتصاراتهم على العديد من الأقوام وكذلك عن طريق الجزية، اذ ورد نص من عصر الملك الآشوري توكلتي نوراتا الثاني (٨٩١-٨٨٤ ق.م) يذكر فيها حصوله على كرسي من العاج، وكذلك عن طريق الهدايا التي كان يبعث بها حكام العديد من البلدان منها سوريا وبلاد الأناضول^(٦٢).

وهنالك أنواع مميزة كانت تستعمل في صناعة الأثاث الخاص بالقصر فقد ورد هذا النوع باللغة السومرية بالمصطلح ((gilamu)) أو ((kilamu)) والذي يمتاز بكفاءته وقوته العالية اذ ذكر هذا النوع من العاج في نص من مدينة نوزي^(٦٣) جاء فيه "عرش واحد من العاج"^(٦٤).

وجاء أيضاً: ((السنة التي صنع فيها ايبال بيل الكرسي ذو سيقان العاج والمطلي بالذهب))^(٦٥)

٥- الجلود: عرف الجلد باللغة السومرية بالمصطلح (KUŠ) يقابله باللغة الأكديّة كلمة (mašku)^(٦٦). وهو مادة عضوية غير ثابت وسريع التأثير بالعوامل البيولوجية وحساس جدا للرطوبة^(٦٧) استعملت جلود بعض الحيوانات في الكثير من الصناعات المهمة ومنها صناعة الملابس والخوذ والأحذية وفي صناعة الأثاث^(٦٨) وكذلك استعملت في أجزاء من الآلات الموسيقية^(٦٩). وكان الحصول على الجلود عن طريق حكام الأقاليم وأصحاب المهن والمزارعين.^(٧٠)

استعملت الجلود كما ذكرنا سابقا في صناعة الأثاث ولاسيما الكراسي اذ تدخل في صناعة الوسادة التي تكون من مكملات الكرسي (العروش)، يؤكد ذلك نص جاء فيه :

((اربع مجاميع كراسي من الخشب والنحاس ومنجدة بالجلد))^(٧١)

٦- النسيج : عرف النسيج في اللغة السومرية بالمصطلح SÍK وفي اللغة الأكديّة بكلمة *ipatn(m)* وهو مادة عضوية نادرة الوجود في الاكتشافات الأثرية التي تم العثور عليها ذلك بسبب تأثرها بالعوامل الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية والعوامل الجوية، مما يسبب تلفها^(٧٢). تم استعمال النسيج في العديد من الصناعات ومنها الأثاث اذ استعمل في عمل الفرش والأغطية والوسائد المستعملة مع قطع الأثاث ولا سيما أثاث الجلوس^(٧٣). وقد حصل على المواد الأولية من البيئة المحلية لبلاد الرافدين تُقسم مصادر الحصول على المنسوجات إلى نوعين الأول حيواني التي يتم الحصول عليه من صوف الأغنام وشعر الماعز وهذا النوع عرف منذ حقبة زمنية مبكرة أي مع معرفة تدجين الحيوانات وتربيتها، أما النوع الثاني وهو نباتي متمثل بالكتان والقطن والذي عرف منذ القرن الثامن ق. م^(٧٤) والذي استعمل في صناعة الكرسي وعمل الفرش واستعمل في عمل الأهداب التي تزين قطع المنسوجات^(٧٥) وهناك نصوص مسمارية تؤكد استعمال هذه المواد في صناعة الأثاث ولا سيما الكراسي منها).

((٤ مانا (وحدة قياس كتلة) لكرسي بابا (اسم ملك)))^(٧٦)

ثانياً: صانع العرش (النجار) :

هو الشخص المتخصص بتقطيع الأخشاب وحرفته النجارة، وهي ما ينحت من الخشب إذا نجر الخشب نجرا أي يقطعه قطعاً.^(٧٧)

وقد وردت تسمية النجار في اللغة السومرية بالمصطلح (NAGIR^{Lu2}) ويقابله باللغة الأكديّة التسمية نفسها (nagaru)^(٧٨).

اقتصرت مهنة النجارة على الرجال فقط ولم يكن للنساء دور فيها لأنها تحتاج إلى قوة بدنية عالية ودقة في العمل^(٧٩) اذ لم تكن هذه المهنة سهلة فأنها تحتاج إلى مدّة كبيرة من التدريب تتراوح ما بين ٣ إلى ٦ سنوات^(٨٠). وكان العاملون في هذه المهنة حريصون على تدريب أولادهم عليها لكي يساعدهم

عندما يتقدم العمر بهم ويخلفونهم فيما بعد، وفي بعض الأحيان يعمل الحرفيون الذين لم يكن لهم أولاد على تبني أولاد آخرين ليس من صلبهم لهذا الغرض^(٨١).

أما بالنسبة إلى الأجور التي يتقاضاها النجارون فقد حددت في قانون حمورابي إلى خمس حبات من الفضة في اليوم الواحد^(٨٢)، لقد كانت لهذه المهنة قدسية خاصة وإخلاص للعاملين فيها إذ وردت معلومات في المصادر المسمارية تؤكد أهمية المحافظة على المهنة وعدم تبديلها بمهنة أخرى، إذ جاء في إحدى النصوص عبارة ((من العار أن يصبح النجار تاجرا)) وهذا المثال يبين الدعوة إلى الحفاظ عن المهنة وعدم تغييرها إلى مهنة أخرى^(٨٣).

وعلى الرغم من عدم العثور على أية كتابات أو أدلة أثرية تدل على المكان الذي كان يصنع فيه كرسي العرش، إلا أننا من الممكن أن نفترض وجود أماكن ولاسيما تمثل هذا الأمر ولاسيما وإن كرسي العرش سواء كان مخصص للآلهة أو الملوك تحتاج إلى متخصصين وأماكن مهمة قد تكون ملحقة بالمعبد أو القصر، وخاصة أن المعبد كان من الأماكن التي شهدت نشاطا ثقافيا واجتماعيا واقتصاديا^(٨٤). إذ شغلت هذه المعابد عدد من الورش لصناعات متعددة منها ورش لصناعة وتصليح الأثاث وقد كانت هذه الورش على اختلاف أنواعها تستخدم أيادي عاملة متمثلة بالرجال والنساء والصبيان والعبيد التابعين للمعبد^(٨٥)، وكذلك الحال بالنسبة للقصور فقد كانت تحتوي على عدد من الورش الخاصة بالنجارين والنحاتين والحدادين وغيرهم^(٨٦).

وفيما يخص موضوع النجارة فقد كان هنالك من بين النجارين العاملين في المشاغل وورش النجارة ما يعرف (بكبير النجارين)، وربما كان هذا النجار أكبرهم سنا وأكثرهم خبرة^(٨٧) وقد كان مثل هذا الشخص مسؤولا على من يعمل في هذه الورش ويشرف على أعمالهم ويوفر لهم كافة المستلزمات الضرورية لذلك.

كما أن هنالك رسالة تخص الملك الآشوري سرجون الثاني (٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م) موجه إليه من أحد أفراد حاشيته يرد فيها إشارة إلى هذا الشخص المسؤول ((إلى الملك سيدي خادمك شابو دامق الأمر الذي كتب سيدي عنه حال ما يأتي رئيس نجاري القصر سأذهب معه))^(٨٨) وهذا يدل بما لا يقبل الشك إلى وجود ورش خاصة لصناعة الأثاث الخاص بالقصر في ابنية القصر نفسه، ومن المؤكد أن كرسي العرش كان يصنع فيها.

ثالثا: أدوات النجارة المستعملة في صناعة الأثاث :

تتطلب صناعة الأثاث أدوات عديدة مع الخشب والمواد الأخرى الداخلة فيها، وهذه الأدوات لم تكن متوفرة في بلاد الرافدين بحدود ألف الرابع ق. م^(٨٩) إذ استعملت الأدوات النحاسية والأدوات البرونزية في حدود ٣٠٠٠ ق. م^(٩٠) ولا نعرف على وجه التحديد أنواع هذه الأدوات بصورة مؤكدة وذلك لعدم وجودها في الاكتشافات الأثرية وعدم وجود مصورات فنية تظهر لنا الأدوات التي كانت

تستعمل من النجارين كما هو الحال في بلاد وادي النيل^(٩١)، ولكن إذا أخذنا بعين الاعتبار أن نوعية الأثاث في العراق يضاهي نظيره في بلاد وادي النيل^(٩٢) ولا بد أن تكون هذه الأدوات متشابهة إلى حد كبير.

من بين أهم الأدوات المستخدمة في صناعة الأثاث :

- ١ - المطرقة: تعد من الأدوات الأساسية التي يستعملها النجار في عمله ولا سيما المصنوعة من البرونز وكانت تستعمل في الطرق الصناعات الثقيلة إذا يركب رأس المطرقة ويثبت على يد خشبية^(٩٣).
- ٢ - المسحاة: وهي آلة كانت تستعمل للصقل وهي مصنوعة من مادة البرونز وبأشكال مختلفة^(٩٤).
- ٣ - المنشار: وهو من الأدوات الذي يكون مسننا وله يد خشبية يستعمل من النجار في تقطيع الأخشاب إلى الشكل الذي يريده .
- ٤ - الازميل : وهو إحدى الأدوات التي استعملها النجار في صناعة الأثاث^(٩٥) واستعمل الازميل في عمل الثقوب في القطع الخشبية وكانت المطرقة تستخدم معه في عمل هذه الثقوب
- ٥ - المثقب : أستعمل لعمل الثقوب في قطع الخشب وهو على نوعين الأول يعمل على الثقوب بصورة دائرية والثاني يعمل على ثقوب مستطيلة لتثبيت اشرطة المقعد المصنوعة من النسيج أو الجلد أحياناً^(٩٦).
- ٦ - السكين : وهي ومن الأدوات تعمل على تنعيم سطح القطعة الخشبية والتي كانت تدعى البلطة^(٩٧).

رابعاً: تقنية صنع العرش :

- ١ - تقطيع الأخشاب إلى شكل صغيرة حسب الحجم المطلوب، وبعد ذلك يقوم النجار بتشريح الخشب
- ٢ - تثبيت القوائم الأمامية التي تكون اقصر من الأقدام الخلفية في حالة أن العرش يحتوي على مسند خلفي طويل، بعد ذلك يتم تثبيت القوائم الخلفية.
- ٣ - وبعد ذلك يتم تثبيت المقعد بواسطة المسامير أو الغراء.
- ٤ - يغطي المقعد بواسطة أشرطة من سعف النخيل بشكل متشابك .
- ٥ - وبعد ذلك يقوم النجار بأطلاء العرش ووضع قطعة قماش على المقعد.
- ٦ - أما إذا كان العرش مزين بنقوش هندسية أو نباتية فيقوم النجار بتقطيع الخشب وتشريحه والنقش وعلية، ثم تثبيت بقية أجزاء العرش كما في الخطوات السابقة^(٩٨).

الخاتمة

- ١- كان توفر المواد الأولية دور كبير في صناعة العرش وتزيينه وتطعيمه من أهم هذه المواد هي الأخشاب، الأحجار، الجلود، الأقمشة .
- ٢- كان للعرش صناع مختصين بصناعه العرش ، استعملوا مواد وادوات عدة لصنع تلك العروش.
- ٣- كانت هناك أماكن ورش مخصصة لصناعة العرش في المعابد والقصور
- ٤- هناك تقنيات خاصة في صناعة العرش يميزه عن الكرسي العادي.

الهوامش و المصادر:

- (١) سهيلة، أحمد مجيد، الحرف والصناعات اليدوية في بلاد آشور، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم الآثار، (موصل، ٢٠٠٠)، ص ٧٧.
- (٢) CAD, I J, P. 217.
- (٣) ياسمين عبد الكريم، الأثاث في العصر الآشوري الحديث، ٩١١. ٦١٢ (ق.م)، بغداد (٢٠٠٩)، ص ٥٠.
- (٤) مكان ودلمون وهي من مناطق الخليج العربي الغنية بالمواد الأولية ولاسيماً الأخشاب والذهب والفضة والأحجار الكريمة والعاج أما ميلوخا هي اقرب ما تكون الى احد الاقاليم الافريقية اما بلاد النوبة او الحبشة ينظر: طه، باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط١، (بغداد ١٩٧٣). ص .
- (٥) سهيلة أحمد مجيد، الحرف والصناعات...، ص ٧٨ ، ٧٩
- (٦) جورج رو، العراق القديم، تر ، حسين علوان حسين، بغداد، ١٩٨٤، ص ١٧٠.
- (٧) ماجدة حسو منصور، الصلات الآشورية الآرامية ،رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب، جامعة بغداد ، (بغداد ١٩٩٥)، ص ٧١.
- (٨) Porala, S., " The Correspondence of Sargon II, Part Letter from Assyria and West ", SAA, vol.1, p.85
- (٩) لابات، قاموس العلامات....، ص ٢٢٧ : ٥٤١
- (١٠) CAD, E, p. 254.
- (١١) طه باقر، " دراسة في النبات المذكور في المصادر المسمارية "، سومر، ط١، مجلد ٨، ١٩٥٢، ص ١٨.
- (١٢) طه باقر، ملحمة كلكامش، (بغداد، ١٩٦٢)، ص ٥٩ ؛ طه باقر ، مقدمة في ادب العراقي القديم، ص ١٣٦.
- (١٣) البقس كلمة يونانية وهو شجر حرجي ينبت في المناطق الكلسية يعتبر خشبه من الأخشاب الثمينة. يُنظر المنجد في اللغة والإعلام، ط ٤٣، بيروت، دار المشرق، ٢٠٠٨، ص ٤٥.
- (١٤) Salonen.A, Die Mobil Des Alten Mesopotamien, (Helsinki 1963), p.223
- (١٥) مجيد، الحرف والصناعات... ص ٧٨
- (١٦) الأثل من فصيلة الطرفائيات يكثر قرب المياه في الاراضي الرملية. يُنظر : المنجد في اللغة والإعلام، ص ٣.
- (١٧) لابات، قاموس العلامات....، ص ٨١ : ٩٣
- (١٨) عبد الكريم ، الأثاث الآشوري....، ص ٤١
- (١٩) Lambert, W.G. Babylonian Wisbom Literature, (Axford – 1960), p. 155. ff ;

- الجبوري، صلاح رميض، أدب الحكمة في بلاد الرافدين، (بغداد، ١٩٩٩)، ص ١٤٧.
- (٢٠) لابات، قاموس العلامات....، ص ٧٧ : ٨٥.
- (21) Rollig, W. und Waetzoldt, H., "Möbel A I", RAL, band. 8, p. 326.
- (22) المتولي، نواله أحمد، مدخل في دراسه الحياة الاقتصادية لدوله أور الثالثة في ضوء الوثائق المسمارية (المنشورة وغير المنشورة)، (بغداد ٢٠٠٧)، ص ١٩٢.
- (23) عبد الكريم، الأثاث في العصر....، ص ٥٠ ؛ انطوان، مورتكات، الفن في العراق القديم، تر: عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، (بغداد - ١٩٧٥)، ص ١١٢.
- (24) لابات، قاموس العلامات....، ص ١٢٥ : ٢٢٩.
- (25) انتصار أحمد حسن حميد، الأحجار الكريمة في وادي الرافدين، (دهوك - ٢٠١٣)، ص ٣٣.
- (26) عبد الكريم، الأثاث في العصر الآشوري....، ص ٤٧.
- (27) مجيد، الحرف والصناعات....، ص ٨٩.
- (28) CAD, UandW, P.195.
- (29) Oppenheim, L., "The Seafaring Merchaut of Ur", JAOS, vol : 74, 1954, p.6.
- (30) طه باقر واخرون تاريخ ايران القديم، (بغداد - ١٩٨٠)، ص ١٨.
- (31) Frankfort, H. the Gimilsin temple and the palace of the rulers at tell Asmar. The University of Chicago Oriental institute publications Vol.43 (Chicago 1940), No. 122
- (32) لابات، قاموس العلامات....، ص ٢١١ : ٤٦٨.
- (33) CAD, H, p.245.
- (34) القيسي، باهرة أحمد عبد الستار، معالجة وصيانة الآثار، (بغداد ١٩٨١)، ص ١٣١.
- (35) الجادر، وليد، "صناعة التعدين"، حضارة العراق، ج ٢، (بغداد، ١٩٨٥)، ص ٢٥٠.
- (36) عبد الكريم، الأثاث في العصر الآشوري....، ص ٥٢، ٥١.
- (37) دانيال، تي بوتس، الأسس المادية في حضارة بلاد الرافدين، تر: كاظم سعد الدين، مراجعة اسماعيل حسين الحجار، (بغداد ، ٢٠٠٦)، ص ٢٦٢.
- (38) الإلهة كولا عرفت في مدينة ايسن ب نين ايسن أي سيدة مدينة ايسن
- Gadd C.J., Royal inscription. Ur Excavations. Texts (London 1928), No. 221.
- (39) Ibid, No. 221, 12.
- (40) لابات، قاموس العلامات....، ص ٢١١ : ٤٦٨.
- (41) CAD, K, P. 127.
- (42) القيسي، معالجة وصيانة....، ص ١١٣.
- (43) المتولي، مدخل في دراسة....، ص ٢٨٧ ؛ الجادر، "صناعة التعدين"....، ص ٢٤٢.
- (44) الجادر، وليد، "العجلة والصناعة والتعدين"، موسوعة العراق في موكب الحضارة، ج ١، (بغداد ١٩٨٨)، ص ١٠٤.
- (45) نيكولاس، بوستغيت، حضارة العراق واثارة، تر: سميرة عبد الرحيم الجلي، (بغداد ، ١٩٩١)، ص ٨٦.
- (46) عبد الكريم، الأثاث في العصر الآشوري....، ص ٥٣.
- (47) لابات، قاموس العلامات....، ص ٩٧ : ١٣٢.
- (48) CAD, E, p. 323.
- (49) القيسي، معالجة وصيانة....، ص ٣٩.

(50) Rollig, W. und Waetzoldt, H., "Möbel A I", ..., p. 124.

(٥١) عبد الكريم، الأثاث في العصر الآشوري، ص ٥٣.

(٥٢) نيكولاس، حضارة العراق، ص ٨٦.

(٥٣) صموئيل نوح كريم، السومريون، تر: فيصل الوائلي، (الكويت، ١٩٧٣)، ص ٢٤٣-٢٤٤.

(٥٤) المصدر نفسه، ص ١٤٤.

(55) Hugo Heinrich F. and William M., Letters and documents of the Old Babylonian Period. Ur excavations: Texts, Vol.5. Publications of the joint expedition of the British Museum, and of the University Museum, University of Pennsylvania, Philadelphia, to Mesopotamia (London 1953), No. 792, re.31

(٥٦) لابات، قاموس العلامات، ص ١٠٩ : ١٧٠

(57) CAD "G" p.716

(٥٨) فؤاد سفر وميسر العراقي، عاجيات النمرود، (بغداد - ١٩٨٧)، ص ١١.

(٥٩) القيسي، معالجة وصيانة، ص ١٨٤.

(٦٠) الكيلاني، لمياء، "صناعة العاج في الشرق الأوسط"، سومر، ج ١٨، ١٩٦٢، ص ١٩٢.

(٦١) سفر والعراقي، عاجيات النمرود، ص ١١. ؛ عبد الكريم، الأثاث في العصر الآشوري، ص ٤٨٥.

(٦٢) مجيد، الحرف والصناعات، ص ٩٢.

(٦٣) نوزي: وهي مملكة صغيرة تابعة إلى بلاد آشور مركزها الرئيسي في ارباخا (كركوك حاليا) حول ذلك يُنظر: هاري

ساكنز، قوة آشور، ترجمة: عامر سليمان، (بغداد ١٩٩٩)، ص ٦٧.

(64) CAD, G, p. 71.

(65) Frankfort H., the Gimilsin temple and the palace of the rulers at tell Asmar. The University of Chicago Oriental Institute publications, Vol.43 (Chicago 1940), No.111

(66) CAD, M, p. 377 ؛ ص ٤٥ : ٧ ؛ لابات، قاموس العلامات، ص ٤٥ : ٧ ؛

(٦٧) القيسي، معالجة وصيانة، ص ١٧٩.

(٦٨) الجادر وليد، "صناعة الجلود"، سومر، مجلد ٢٧، ١٩٧١، الجزء الأول والثاني، ص ٣٠٥.

(٦٩) صبحي، انور رشيد، "الموسيقى"، حضارة العراق، ج ٤، (بغداد ١٩٨٥)، ص ٤٢٣.

(٧٠) المتولي، المدخل إلى الحياة، ص ٢٧٥.

(71) Fish T., Zabar (Bronze) on the Ur III Texts. Manchester Cuneiform Studies Vol.1, No.3. (Manchester 1951), Col. III, 9.

(٧٢) القيسي، معالجة وصيانة، ص ١٩١.

(73) Mieroop, M., The Ancient Mesopotamia City, (Oxford 1997), p. 185.

(٧٤) عبد الكريم، الأثاث في العصر الآشوري، ص ٥٦.

(٧٥) وليد الجادر، "الآثار والأثاث"، حضارة العراق، ج ٤، (بغداد ١٩٨٥)، ص ٣٩٦.

(76) Crawford V.E., Sumerian economic texts from the first dynasty of Isin. Babylonian inscriptions in the collection of James B. Nies, Yale University, Vol.9 (London 1954), No. 247, 3

(٧٧) ابن منظور، لسان العرب، ص ١٩٧.

(٧٨) لابات قاموس العلامات، ص ٢٣١ : ٥٦٠.

(٧٩) الحسناوي، فائز هادي علي، المهن الاقتصادية في العصر البابلي القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد / كلية الآداب / قسم الآثار، (بغداد، ٢٠٠٩)، ص ١٥٦

(80) Salonen., E., " The clay Tablets Te" training Agreement in Mesopotamia " SUMER, Vol. 43, 1984, p. 75.

(٨١) مجيد، الحرف والصناعات...، ص ١٣٢.

(٨٢) الحسناوي، المهن الاقتصادية، ص ١٥٨.

(٨٣) مجيد، الحرف والصناعات...، ص ١٣٣.

(٨٤) عامر، سليمان، " الحياة الاجتماعية والخدمات في المدن العراقية القديمة "، المدينة والحياة المدنية، الجزء الأول، (بغداد ١٩٨٨)، ص ١٩٢.

(٨٥) المصدر نفسه، ص ١٩٢

(٨٦) عبد الكريم، الأثاث في العصر الآشوري...، ص ٩٢.

(87) Mendelson, 1., " Guild in Babylonian and Assyrian ", JAOS, Vol. 60, 1940, p. 1940, 69.

(88) porpol. S., " The Correspond of sargon II. Letter From Assyria and west ", SAA, Vol, 1, Part. 1, p. 37.

(٨٩) هنري ، هودجر ، التقنية في العالم القديم، ترجمة: رند قافيش، (الاردن ١٩٨٨)، ص ٥٧.

(٩٠) المصدر نفسه، ص ٨٩.

(٩١) عبد الكريم، الأثاث في العصر الآشوري....، ص ٩٣.

(٩٢) مجيد، الحرف والصناعات...، ص ١٣٠.

(٩٣) المصدر نفسه، ص ١٣٠.

(94) Moory. p.r.s., " The Loftus Hoard of Old Babylonia Tolls From Tell Sifrin", Iraq, Vol : 33. 1971, p. 68.

(٩٥) هودجر ، هنري، التقنيات في العالم....، ص ١٠٩.

(٩٦) عبد الكريم، الأثاث الآشوري....، ص ٩٤.

(٩٧) هودجر ، التقنيات في العالم....، ص ١٠٩.

(٩٨) محاضرة القيت علي من قبل الاستاذ وسام النقاش مدرس في معهد الحرف و الفنون الشعبية، مديرية التراث الشعبي دائرة الفنون العامة، قسم النحت.

العلامات الحتمية
لظهور الإمام المهدي (عجل الله فرجه)

احمد عبد الله حميد

أ. د. سامي حمود الحاج جاسم

العلامات الحتمية لظهور الإمام المهدي (عجل الله فرجه)

احمد عبد الله حميد

أ. د. سامي حمود الحاج جاسم

الخلاصة :

تضمن هذا البحث التركيز على العلامات الحتمية لظهور الإمام الحجة (عجل الله فرجه) والتي تعد اهم النقاط الفارقة بما يدل على قرب الظهور ، وقد ذكرت الكثير من العلامات التي قرن بروزها وموعد بيانها قبل خروج الإمام المهدي (عجل الله فرجه) وهي بالعشرات وهنا سيكون الحديث عن الحتمية منها على وجه الخصوص بما ورد في كتاب إكمال الدين وإتمام النعمة للشيخ الصدوق (ت : ٣٨١ هـ) ومقارنها وبيان تفاصيلها مع ما ورد عند غيره في أخبار تلك العلامات والواضح من خلال الكتب التي ألفت في الغيبة إن هذه أهمها والحتمية منها وخاصة في الأدبيات الشيعية وسنشير في البحث الى جملة ذكرها قبل الشيخ الصدوق او من أخذها عنه او ذكرت بعده من غير طريق وهي كما أشير لها في كثير من المصادر خمسة علامات بما بشر به النبي (ص) والأئمة (عليهم السلام) اليماني والسفنياني والصيحة والخسف بالبيداء ومقتل النفس الزكية وكذلك اتفق في ذكر البعض منها في مصادر الفريقين مع اختلاف مضامين الروايات واهما الخسف بالبيداء .

Conclusion

This research included the focus on the inevitable signs of the emergence of Imam al-Hajjah, which is the most important points of the signs of the near-emergence, and I mentioned many of the signs that the emergence of the date and date of the statement before the departure of Imam Mahdi, which are dozens and here will be talk about the inevitability of them in particular in the book The completion of religion and the completion of the grace of Sheikh Sadouk (d: 381 e) and compare them and the details of what is stated with others in the news of those signs and clear through the books that were written in the absence of these are the most important and deterministic, especially in the Shiite literature and we will refer in the search to a sentence mentioned before Sheikh Sadouk or Who took it from him or y It is also mentioned in many sources, five signs of what the Prophet, the Imams, the Yamani and the Sufiani, and the cry and humiliation of the Ba'da and the killing of the noble soul, as well

as the mention of some of them in the sources of the two groups, with different contents of the narrations.

العلامات الحتمية لظهور الإمام المهدي (عجل الله فرجه)

وقبل الخوض في مسألة العلامات لا بد للإشارة إلى معنيين مهمين بهذا الصدد هو ما معنى خروج أو ظهور حتى تتضح الصورة بالفرق بينهما إذ سترد الكلمتين مع الروايات التي تشير الى العلامات ، فيقال أن الخروج : هو نقيض الدخول من أصل خرج يخرج خروجاً فهو خارج^(١) والظهور: الظاهر ضد الباطن وظهر الشيء أي تبين وظهر فيقال اظهر الشيء وبينه^(٢)، وقد جمع البعض معنى الكلمتين في تفسير واحد ف قيل ان الظهور والخروج كلتاهما تشيران الى معنى البروز فيقال رجل برز ظاهر للخلق^(٣)، وان قلنا ان الكلمتين في القضية المهدوية تشيران الى نفس الاتجاه في المعنى العام ، فقد أشار أحد الباحثين وفق رؤيا تحليلية طويلة ومعقدة اخذنا منها موضع الحاجة بالمضمون العام لها بأن معنى الظهور في المنظار الامامي هو البروز والانكشاف بعد الاحتجاب والاستتار وكذلك هو إعلان الثورة أو القيام بالسف ، ويقال أيضاً بأن الظهور الانتصار والسيطرة اي ان الظهور للإمام المهدي (عجل الله فرجه) يتلخص بارتفاع الغيبة التي اتخذها مسلكاً له طبقاً للتخطيط الالهي سواء كان معنى الغيبة هو خفاء الشخص أو العنوان فحين الظهور يكون مكشوفاً شخصه وعنوانه معروفاً فإذا حل اليوم الموعود لذلك واجتمعت شرائطه لم يكن لبقاء ذلك الاختفاء موضوع فيشار اليه بشخصه الحقيقي وان فلان هو المهدي (عجل الله فرجه) ليقوم بمهامه العالمية^(٤)، وهذه العلامات هي جزء من الشرائط لتحقيق هذا الظهور .

أولاً - ما قيل أنها من العلامات الحتمية^(٥)، لخروج القائم (عجل الله فرجه) :

هناك اختلاف في تحديد هذه العلامات وعددها فهناك من يقول انها خمسة وهو المشهور بين الباحثين وهناك من يقول أكثر من خمسة لكن على الاكثر انها خمسة وذكرت على انها اهم شرائط الظهور بل المحتوم التي لا بد من تحققها والبقية ليس مشروطاً بتحققها اذ من الممكن ان يحصل فيها البداء وان الخمس المحتومات تحققها مشروط ومرتبطة بالظهور ولا يقع عليها البداء أي واجبة التحقق بما ورد فيها من أحاديث عن آبائه (عليهم السلام).

وللمصنف روايات جمعت فيهما العلامات الحتمية والتي ستكون منطلقاً للفقرة أولاً بصورة عامة ، منها عن الإمام الباقر (عليه السلام) في رواية طوية اخذنا منها محل الشاهد عن العلامات قال: "... إن من علامات خروجه : خروج السفيناني من الشام وخروج اليماني من اليمن وصيحة من السماء في شهر رمضان ومناد ينادي من السماء باسمه واسم ابيه ... " ^(٦) وفي باب العلامات أخرج رويتان في ذلك ، الاولى منها يرويها الصدوق بسندين مختلفين عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: " خمس قبل قيام

القائم (عليه السلام) : اليماني والسفياي والمناي ينادي من السماء وخسف بالبيداء وقتل النفس الزكية " (٧)، وكذلك وردت نفسها من ضمن حديث آخر للإمام الصادق (عليه السلام) عن عصر الظهور (٨) ، والثانية بنفس السياق أخرج الصدوق بسنده عن أبي حمزة الثمالي قال : " قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : إن أبا جعفر (عليه السلام) كان يقول : إن خروج السفياي من الأمر المحتوم ؟ قال لي : نعم واختلاف ولد العباس (٩) من المحتوم وقتل النفس الزكية من المحتوم وخروج القائم (عليه السلام) من المحتوم ، فقلت وكيف يكون ذلك النداء ؟ قال : ينادي مناد من السماء أول النهار : ألا إن الحق في علي وشيعته ، ثم ينادي إبليس لعنة الله في آخر النهار ألا إن الحق في السفياي وشيعته فيرتاب عند ذلك المبطلون " (١٠) ، ما رواه الصدوق عن الإمام الباقر (عليه السلام) أخرجها الطبرسي والاربلي (١١) وأخرج

القمي الرواية الأولى كما هي وردت في الإكمال (١٢)، وأخرج الكليني بالعلامات الخمسة حديث بالكلية لم يقل أنها محتومة أو لا عن الصادق (عليه السلام) قال : " خمس قبل قيام القائم الصيحة والسفياي والخسف وقتل النفس الزكية واليماني ... " (١٣)، وردت الروايتان عن الإمام الصادق (عليه السلام) عند النعماني الأولى أخرجها بسندين مرة ذكر فيها : "... واليماني من المحتوم ... " مع تقديم وتأخير في العبارات ، والأخرى لم يذكر فيها اليماني ، والثانية يرويها عن عدد من أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) بأنه هو من حدثهم بها باختلاف يسير في اللفظ (١٤) وذكر الصدوق الرواية الأولى في كتابه الخصال (١٥)، والثانية يرويها المفيد عن الفضل بن شاذان وفيها : " طلوع الشمس من مغربها " (١٦)، وكذلك الأولى يرويها الطوسي بسند مختلف وبنفس النص والرواية الثانية كذلك يرويها مع بعض الاختلاق عن أبي حمزة فيها : " وطلوع الشمس من مغربها من المحتوم وأشياء كان يقولها من المحتوم وخروج القائم من المحتوم ... " (١٧) وذكر الطبرسي الروايتين المذكورتين عن الإمام الصادق (عليه السلام) بالسند والنص نفسه (١٨)، وأخرج الاربلي الرواية الثانية كذلك عن أبي حمزة الثمالي (١٩) .

وبما ورد في الأثر هنا وبالجملته اتفاقها مع روايات الصدوق في المضمون بالرغم إن جميعها متفق تلك الحتميات بالتفاوت هذا لعل نوع من المباغلة مما اعد لحمايته حتى حين ظهوره من قبل آبائه (عليهم السلام) فالمعصومين بحديثهم يكونوا على حذر من طبيعة ما سيحصل حينها ولهذا تجد الأحاديث لم يحدثوا بها لكل من سألهم أو طلب منهم المعرفة كيفما يتفق عليه بل حديثهم على الظاهر العام أو حتى بالرمزية لبعض المعاني ولطول الأحاديث وكثرتها عن العلامات سنحاول الالتزام بما ورد في الكتاب بالمقارنة والتوضيح بما ورد في المصادر الأخرى وسنتطرق لها بما ورد عن الصدوق منفردة :

١ - اليماني:

من الملاحظ في الروايات التي تتحدث عن العلامات تجدها قليلة الذكر لحركة اليماني بصورة عامة وحتى عند الصدوق ومن جانب آخر بما ورد في أعلاه فإن اليماني من المحتوم وبالكلية وما تعارف عليه في النقل التاريخي وحتى العقائدي انه من المحتوم لكن لا يوجد ما يشير إلى اسمه أو نسبه ولا حتى وصف يوضح صفات اليماني وأحواله أو كم يعيش أو كيف يموت وإن كل الروايات التي تذكره تشير له بالرمزية وما ورد عنه في الأحاديث كلها بالرمزية العامة على الظاهر انه رجل مؤمن وممدوح في الروايات صاحب راية تدعو للهدى وبالأساس كما ذكر الصدوق وما ناقله المصنفون في الروايات المروية آنفاً (ان اليماني من اليمن) وفي جملة هذه الروايات :

ومن المرجح في احتمالية تأكيد انه من اليمن ذكرت رواية عن ابي عبدالله (عليه السلام) عندما ذكر عنده السفيناني فقال : " أني يخرج ذلك ؟ ولما يخرج كاسر عينيه بصنعاء " (٢٠) ، فلعل اليماني من مدينة صنعاء وهذا ليس مقطوع فيه ، وورد انه يخرج قبل السفيناني (٢١) .

وهناك خبر تناقله الكثير التي تقول انه حسين او حسن وانه ملك من اليمن (٢٢) اذ وجد في بعض الاخبار بما نقل عن سطيح الكاهن الذي يقول انه علمه من جني حي سأله ملكك ذا يزن من أين له بهذا العلم وسأله حينها عما يكون في الدهر في خبر طويل حتى يخبره بفتن تقع في الزمان الى يقول يخرج ملك من اليمن من صنعاء اسمه حسن او حسين فيذهب بخروجه غمر الفتن (٢٣) ، وهذا غير دقيق بكونه اليماني اذ لا يوجد في روايات أهل البيت ما يشر الى اسم اليماني الموعود لظهوره قبل القائم (عليه السلام) ولعلها تشير لغيره والله العالم .

وأما اذا أردنا القول بأنه بانه هو هذا نفس الملك على سبيل الاحتمال وليس القطع فهناك رواية فريده ينقلها ابن شاذان يرويها بسندها عن زرارة بن أعين عن أبي عبدالله (عليه السلام) حين يسأل عن السفيناني وبعد ان يتحدث عن السفيناني وحروبه يقول : " وقد يكون خروجه وخروج اليماني من اليمن مع الرايات البيض في يوم واحد وشهر واحدة ... ثم يقصد اليماني فينهض اليماني لدفع شره فينهزم السفيناني بعد محاربات عديدة ومقابلات شديدة فيتبعه اليماني فتكثر الحروب وهزيمة السفيناني فيجده اليماني في نهر اللو (٢٤) مع ابنه في الاسارى فيقطعهما إرباً إرباً ثم يعيش في سلطنته فارغاً من الأعداء ثلاثين سنة ثم يفوز الملك بأبنه السعيد ويأوي الى مكة وينتظر ظهور قائمنا حتى يتوفى فيبقى ابنه بعد وفاة ابيه في ملكه وسلطانه قريباً من اربعين سنة وهما يرجعان للعالمين بدعاء قائمنا (عليه السلام) " (٢٥) ، ولا توجد رواية تشير بان الذي يقتل السفيناني هو اليماني مما يدعونا للقول بعدم دق هذه الرواية .

روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) في حديث له عام عن العلامات ورد ذكر اليماني فيها قال: "... خروج السفيناني واليماني والخراساني" (٢٦) في سنة واحدة وفي شهر واحد وفي يوم واحد نظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً ... ولي في الرايات رأي أهدى من رؤية اليماني هي راية هدى لأنه يدعو الى صاحبكم فذا خرج اليماني حرم بيع السلاح على الناس وكل مسلم وإذا خرج اليماني فانفض إليه فإن رأيته راية هدى ولا يحل لمسلم أن يلتوي عليه فمن فعل ذلك فهو من أهل النار لأنه يدعو الى الحق والى طريق مستقيم" (٢٧) ، ومثلها عن الإمام الصادق (عليه السلام) باختصار ، وفي رواية انه هو من يهزم السفيناني (٢٨) ، وكونه راية هدى وانه من موالي أهل البيت (عليه السلام) ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: "اليماني يوالي علياً" (٢٩) ، وروي عن رسول الله (ﷺ) مخاطباً وفد أهل اليمن قال : " قوم رقيقة قلوبهم راسخ إيمانهم منهم المنصور يخرج في سبعين ألفاً ينصر خلفي وخلف وصيي حمائل سيوفهم المسك ... " (٣٠) ، ان كان المقصود بالحديث الشريف انه هو اليماني فعلى ذلك يكون جيشه من سبعين الف .

وما يذكر ويدل على ان امر اليماني والسفنياني يكون في وقت واحد هو ما ورد ابي عبدالله (عليه السلام) قال : " اليماني والسفنياني كفرسي رهان " (٣١) ، وتشير الروايات له بانه يقبل على الكوفة وتكون له حرب مع السفنياني تقع في الكوفة للوقوف ضد السفنياني بعد ان يعم القتل بسبب السفنياني بعد ان يبعث جيشه اليها فعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال : " ... إذ أقبلت خيل اليماني والخراساني يستبقان ... " (٣٢) ، ولعلها كناية عن التسابق بان الفرس تكون قريبة مع الفرس الاخرى المنافسة لها في السباق اي ان خروج هذه الرايات اقترن ببعضه الخراساني واليماني والسفنياني وراية اليماني تسرع وتتسابق مع الخراساني لنصرة الامام المهدي (عليه السلام) ، أما تواجده يكون بالكوفة .

وفي ظاهر الروايات انه بعد أن يقبل اليماني يخرج صاحب الأمر (ع) سئل الامام الصادق (ع) : " متى فرج شيعتكم ؟ قال : إذا اختلف ولد العباس ووهى سلطانهم وطمع فيهم من لم يكن يطمع فيهم ... [الى أن يقول] وظهر الشامي وأقبل اليماني ... وخرج صاحب هذا الامر من المدينة الى مكة بتراث رسول الله (ص) فقلت ما تراث رسول الله (ص) ، قال: درعه وعمامته وبرده وقضيبه ورايته ولامته وسرجه حتى ينزل مكة فيخرج السيف من غمده ويلس الدرع وينشر الراية ... ويستأذن الله في ظهوره فيطلع على ذلك بعض مواليه فيأتي الحسيني فيخبره الخبر فيبتدر الحسيني الى الخروج فيثب عليه أهل مكة فيقتلونه ويبعثون برأسه الى الشامي فيظهر عند ذلك صاحب هذا الأمر فيبايعه الناس ويتبعونه..." (٣٣) .

وهذا اغلب ما دارت عليه الروايات التي تشير الى اليماني ومن الواضح ان هذا الموضوع للأسف تبقى فيه الكثير من المجاهيل لإكمال النقص في هذا الجانب او انه من الحكمة ومن باب التخطيط

لعصر الظهور بقيت هكذا لعة ماء من المحتمل خوفاً من ان تنكشف حال خروج هذا اليماني قبل الإمام المهدي (عليه السلام) أو من الحكمة حفاظاً عليه كون ومن الواضح من خلال الروايات انه سيقف بوجه السفيناني فحتى يكتمل امره ويعد قوته وجيشه حينها يعلن هو عن نفسه فيعرف باليماني اما قبل هذا فيمكن ان يحرق به الخطر لو عرف او اشير له اكثر ، وبالرغم من كون الروايات لم تحدد تفاصيل دقيقة عنه فيمكن من خلال ما ورد يمكن ان نضع له تعريف بأنه رجل من أهل اليمن من موالى أهل البيت (عليه السلام) يخرج من اليمن على رأس قوة في نفس وقت جروج السفيناني ويقدم على السفيناني ويحاربه وراية اليماني راية حق يدعوا لنصرة الإمام ويسرع في نصرته وان اليماني منصور بما يقدم عليه ولا يحق لأي مسلم مؤمن بالقضية المهدوية ان يعترض او يقف ضد اليماني .

٢ — السفيناني (٣٤) :

في اسمه وصفاته أخرج الصدوق رواية عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال : " قال أبي (عليه السلام) قال : أمير المؤمنين (عليه السلام) : " يخرج ابن آكلة الأكباد (٣٥) من الوادي اليابس (٣٦) ، وهو رجل ربة (٣٧) ، وحش الوجه ضخم الهامة بوجهه أثر جدري إذا رأيته حسبته أعور اسمه عثمان وأبوه عنيسة (٣٨) ، وهو من ولد أبي سفينان حتى يأتي أرضاً ذات قرار ومعين فيستوي على منبرها " (٣٩) ، وأخرج هذه الرواية الطبرسي في كتابه وفيها : " قبيح الوجه ... وأبوه عينة " (٤٠) ، وكذلك وردت في الخرائج عن إكمال الدين (٤١) وأخرجها بعض المؤرخين بتلك الصيغة (٤٢) ، ورد في رواية مقاربة لما وصف في رواية الصدوق والفرق في ذكر الاسم كذلك وردت عن أمير المؤمنين (عليه السلام) بأنه من ولد خالد بن بن يزيد بن ابي سفينان وهو رجل ضخم الهامة بوجهه اثار جدري وبعينه نكته بياض يخرج من ناحية دمشق في وادي يقال له وادي اليابس ويكون كلب (٤٣) هم عامة من يتبعه (٤٤) ، وعن الوادي اليابس والمنبر الذي في الرواية في حديث لأمير المؤمنين (عليه السلام) قال : " خرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس حتى يستوي على منبر دمشق فأذا كان ذلك فانتظروا خروج المهدي (عليه السلام) " (٤٥) .

ولما توارد في الروايات تثبت ما رواه الصدوق بأنه عثمان بن عنبسه ومن المرجح ان عثمان بن عنبسه لعله هو نفسه المقصود بأنه من ولد خالد بن يزيد فكل الروايتين تشير الى انه من نسل ابي سفينان وهذا الواضح فيها مهما كان الاسم هذا او ذاك انه رجل من آل ابي سفينان يمثل الاتجاه المنحرف في قبيل عصر الظهور وكما ورد في ترجمته التي وردت انه حرب بن عنبسة بن مرة بن كلب بن كلب بن يزيد بن عثمان بن يزيد بن معاوية فلعل قول عثمان بن عنبسة هو نفسه مختصراً ولعل حرب هو لقب له واسمه الأصلي عثمان ، وعن صفات السفيناني يروي الصدوق بسنده عن ابي عبدالله (عليه السلام) قال : " إنك

لو رأيت السفيناني لرأيت أخبث الناس أشقر أحمر أزرق يقول: يارب ثاري^(٤٦) وقد بلغ خبثه أنه يدفن أم ولد له وهي حية مخافة أن تدل عليه " (٤٧) .

والرواية بتلك الصيغة انفرد بذكرها الصدوق ونقلت من بعض المتأخرين فيها زيادة عن الأصل : " يارب يارب يارب ثم للنار " (٤٨)، وردت رواية عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال : " السفيناني احمر أشقر أزرق لم يعبد الله قط ولم ير مكة ولا المدينة قط يقول يارب ثاري والنار " (٤٩) يارب ثاري والنار " (٥٠)، والرمزية في هذا الحديث ان الإمام يشير إلى صفة في نفس السفيناني وهي الخبث عنده وذكره للألوان هنا من لا يمكن أن تكون مختلطة في وجه احد من البشر او صفات جسديه فقد وضحت في الرواية السابقة وهنا لعلها تشر إلى رمزيات اخرى مرتبطة بخبثه وإجرامه فلعل الأحمر إشارة إلى لون الدم وكونه شخص قاتل ، اما الأزرق صرح القرآن الكريم بهذا " **ثُمَّ نُرْثِمُهُ** ثُمَّ نُرْثِمُهُ ثُمَّ نُرْثِمُهُ " (٥١) ، فقد ورد في تفسيرها إن المجرمين تكون أعينهم مزرقة في يوم الحشر من شدة الأهوال (٥٢) ولعل الإمام هنا يطلق عليه صفة الإجرام بالدنيا والآخرة ويرمز لهما بالأحمر والأزرق فهذه احتمالية والاحتمال الآخر أنها صفات جسمانية كونه أشقر مشرب بالحمرة ذو عينيان زرقاوان ، أما دفن ام ولد له لعلها امرأة له تكشف أمره قبل أن يقوم بجيشه أو حركته فيقتلها خوفاً أن ينكشف فلو كان خارجاً بحركته الفاسدة لا حاجة أن يخفيه شيء حينها

وأخرج الصدوق روايتين بسندين عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال : " إن أمر السفيناني من المحتوم وخروجه في رجب " (٥٣) ، نقل بنفس الصيغة الواردة عند الصدوق في جامع الاخبار^(٥٤)، لكن ورد بنفس المضمون في مصادر اخرى بسنده عن ابي عبدالله (عليه السلام) قال : " من الأمر المحتوم ومنه ما ليس محتوم ومن المحتوم خروج السفيناني في رجب " وقال : " السفيناني لا بد منه ولا يخرج الا في رجب " (٥٥)، ولمناقشة هذه الرواية الواردة عند الصدوق بما ورد في الروايات فعن ابي جعفر محمد بن علي (عليه السلام) قال : " السفيناني والقائم في سنة واحدة " (٥٦)، وكذلك ورد عنه (عليه السلام) قال : " يخرج القائم (عليه السلام) يوم السبت يوم عاشورا اليوم الذي قتل فيه الحسين (عليه السلام) ... " (٥٧)، في رواية عن الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) قال : " إن أمر القائم حتم من الله وأمر السفيناني حتم من الله ولا يكون قائم إلا بسفيناني " (٥٨)، وعلى هذا الأساس يكون الروايات تشير الى نفس السنة والإمام في محرم والسفيناني محتوم وفي رجب اذ بين حركة السفيناني وظهور الإمام الحجة (عليه السلام) ما يقارب الستة أشهر وعلى هذا الأساس أن اليماني كذلك والخراساني في رجب وقبل الظهور بستة أشهر .

ويروى الصدوق ان رجلاً سئل الإمام الصادق (عليه السلام) عن اسم السفيناني فقال للسائل : " وما تصنع باسمه ؟ إذا ملك كور الشام الخمس " (٥٩) : دمشق وحمص وفلسطين والأردن وقنسرين فتوقعوا عند ذلك الفرج ، قلت : يملك تسعة أشهر ؟ قال : لا ولكن يملك ثمانية أشهر لا يزيد يوماً " (٦٠) ، الرواية

بهذه الصيغة عن الإمام الباقر (عليه السلام) وردت عند بعض من صنف للغيبة ^(٦١) ، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال : " اذا استولى السفيناني على الكور الخمس فعدوا له تسعة اشهر " ^(٦٢) ، والفرق بين التسعة والثمانية لعله الإشارة أي الثمانية بعد ان يملك الكور ثمانية اشهر ، واما نهايته تكون بعد تسعة اشهر من ملكه عليها فكما اشرنا سابقاً في ترجمته انه بعد ان يخسر معاركه ويهرب لعله يبقى بعدها شهر من الزمان ويقتله الامام وان ثبت هذا القول فيكون حكمه ثمانية اشهر وبعد ان يخسر حكمة بشهر من الزمان تنتهي حركته ويقتل فيكون مجموعها تسعة اشهر ، اي ان مدة بقائه كلها بعد السيطرة على الكور يكون تسعة اشهر منها حكمه لها ثمانية وفوقها شهر بعد ان يخسر سيطرته عليها كما ورد في الحديث المروي عن الامام الباقر (عليه السلام) مخاطباً احد اصحابه من اهل الكوفة ، قال : " كم تعدون بقاء السفيناني ؟ قال : قلت حمل تسعة اشهر ، قال : ما اعلمكم يا اهل الكوفة " ^(٦٣) .

من خلال حديث الإمام ان معرفة الاسم ليس بالضرورة اذا تمكن هذا الشخص على مناطق واسعه مهما كان اسمه فهذا لا يؤخر في الأمر شيء او يقدم ، حتى يثبت هذا الشخص عمالته لأعداء الإسلام بسيطرته على تلك المدن ولعل هذا الأمر بتوجيه من أسياده هذا من خلال الرواية القائلة : " يقبل السفيناني من بلاد الروم منتصراً في عنقه صليب وهو صاحب القوم " ^(٦٤) ، وفي رواية نقلت بسندها عن الإمام الصادق (عليه السلام) تشير الى مدة وجوده كلها أي من قبل الكور الخمسة وبعدها قال : " السفيناني من المحتوم وخروجه في رجب ومن اول خروجه الى آخره خمسة عشر شهراً ستة أشهر يقاتل فيها فإذا ملك الكور الخمس ملك تسعة أشهر ولم يزد عليها يوماً " ^(٦٥) .

من خلال هذه الرواية يمكن القول انه عاش في المناطق التي يرمز لها بلاد الروم فاصله من المعروف بالشام فهو ليس مسيحياً فلو كان مسيحياً لا حاجة للإشارة الى الصليب فهو أصلاً لهم علامة ولعلها اشارة لشخص يتلبس بغير دينه ويطبق مشروع هو مسير به للسيطرة على تلك المناطق التي يتوجه بعدها نحو العراق ، وتكون الثمانية اشهر لعلها بعد ان يسيطر على هذه المدن الخمس ، وعودة لقضية التسمية في هذه الرواية لعل عدم الاهتمام بالاسم ايضاً من المحتمل ان السفيناني يأخذ غير هذا الاسم او يتلقب بغيره فلاشك انه إن لم يكن يعرف نفسه بانه هو من يقاتل الإمام قبل ظهور فلا بد ان يكون قد وصل الى مسامعه ان من يقاتل الإمام بهذه الصفة فيأخذ غيرها او حتى قل ان التسميات التي أطلقت عليه ما هي الا تشبيه لهذا الشخص وحركته بما قام آل أبي سفيان من جور على أهل البيت (عليه السلام) واتباعهم وحركته هذه تتشابه بالظلم مع السفينانيين .

٣ - النداء او الصيحة (٦٦) :

اخرج الصدوق رواية عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: " إن أمرنا قد كان أبين من هذه الشمس ثم قال: ينادي مناد من السماء فلان بن فلان هو الإمام باسمه وينادي إبليس لعنه الله من الأرض كما نادى برسول الله (ﷺ) ليلة العقبة (٦٧) " (٦٨) ، أخرج هذه الرواية الواردة عن الامام الباقر (عليه السلام) بعض المصنفين كما ورد في الإكمال مع بعض التفاوت من دون اخلال بالمعنى العام للرواية (٦٩)، وفي رواية مماثلة عن زرارة بن أعين قال : " قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : عجبت أصلحك الله ! وإني لأعجب من القائم كيف يقاتل مع ما يروون من العجب من خسف بالبيداء بالجيش ومن النداء الذي يكون من السماء ؟ فقال : إن الشيطان لا يدعهم حتى ينادي كما نادى برسول الله (ﷺ) يوم العقبة " (٧٠)، وفي الحديث ان وضوح الامر سيكون بان المنادي هذا ينادي باسمه واسم ابيه وكما عرف بالروايات اسمه واسم ابيه حينها الامر ابين من الشمس لا يحتاج الى تفسير والنداء من السماء اي نداء حق كما بشر به النبي والائمة (عليه السلام) من قبل بظهوره ، اما نداء ابليس فكما نادى بعد بيعة العقبة لعل المقصود هنا انه بعد النداء وان الناس ستبايع المهدي (ﷺ) حينما سينادي ابليس بان لا تتابعوا محاولة منه إزاحتهم عن الحق .

وما يتعلق بهذا الصوت وكيف يسمع ، ورد عن الامام الصادق (عليه السلام) أنه سئل عن الصوت والمنادي من السماء؟ قال: " مناد ينادي باسم القائم واسم ابيه (عليه السلام) وبه يعرف صاحب هذا الأمر ... " (٧١)، وعن ابا جعفر (عليه السلام) قال : " ان المنادي ينادي : ان المهدي من آل محمد فلان ابن فلان باسمه واسم ابيه ، فينادي الشيطان : ان فلاناً وشيعته على الحق يعني رجلاً من بني امية " (٧٢) ، وسئل الامام الباقر (عليه السلام) عن القائم (ﷺ) قال : " إن لا يكون حتى ينادي مناد من السماء يسمع أهل المشرق والمغرب حتى تسمعه الفتاة في خدرها " (٧٣) .

وأخرج الصدوق رواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: " صوت جبرائيل من السماء وصوت إبليس من الأرض فاتبعوا الصوت الأول وإياكم والأخير أن تقتنوا به " (٧٤) ، وبالألفاظ التي رواها الصدوق لم تروى عند غيره ونقله عنه بعض المتأخرين (٧٥)، لكن ورد بنفس السياق عند عدد من المصنفين بهذا الاتجاه ينقل النعماني رواية عن الامام الباقر (عليه السلام) قال : " ... لا بد من هذين الصوتين قبل خروج القائم (ﷺ) صوت من السماء وهو صوت جبرائيل باسم صاحب هذا الامر واسم ابيه والصوت الثاني من الارض هو صوت ابليس اللعين ينادي ان فلان قتل مظلوماً يريد بذلك الفتنة فاتبعوا الصوت الاول وإياكم والاخير ان تقتنوا به " وعن الامام الصادق (عليه السلام) يتحدث عن الصيحتان تلك قال : " هما صيحتان صيحة في اول الليل وصيحة في آخر الليلة الثانية ، [ف قيل له] كيف ذلك ؟ قال : واحدة من السماء وواحدة من ابليس ، [ف قيل له] وكيف تعرف هذه من هذه ؟ فقال : يعرفها من كان سمع بها قبل ان

تكون" (٧٦)، وهناك روايات تذكر فقط ملك ينادي منها ورد عن رسول الله (ﷺ) قال : " يخرج المهدي وعلى رأسه ملك ينادي هذا خليفة الله فاتبعوه " (٧٧) ، ومفاده هنا ان الصوت لعله توجيه او خطاب واسع وهو صوت يطلقه جبرائيل (عليه السلام) وهو الصوت الأول أما الثاني فهو لإبليس فالواجب إتباع الأول، أما توقيت هذه الصيحة بصورة عامة اخرج الصدوق رواية عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال : " الصيحة التي في شهر رمضان تكون ليلة الجمعة لثلاث وعشرين مضين من شهر رمضان " (٧٨) .

ونقل الرواية عن الصدوق بعض المتأخرين اذ لم ترد عن المتقدمين بتلك الصيغة (٧٩)، وكذلك ورد عن الامام الباقر (عليه السلام) قال : " ... الصوت في شهر رمضان في ليلة جمعة ليلة ثلاث وعشرين فلا تشكو في ذلك واسمعوا واطيعوا وفي آخر النهار صوت الملعون ابلي سالا أن فلاناً قتل مظلوماً ليشتك الناس ويفتنهم فكم في ذلك اليوم من شاك متحير قد هوى في النار فإذا سمعتم صوت جبرئيل وعلامة ذلك انه ينادي باسم القائم واسم ابيه (عليه السلام) حتى تسمعه العذراء في خدرها فتحرض أباهاً وأخاهاً على الخروج ... " (٨٠) ، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) انه سئل عن الفزعة في شهر رمضان فقال : " أوما سمعتم قول الله ﷻ في القرآن: **أَنِّي نَزَّاهُمْ هِيَ هِيَ يَجِيءُ يَخِيءُ** " (٨١) هي آية تخرج الفتاة من خدرها وتوقظ النائمتين وتفزع اليقظان " (٨٢) وما يدل على ان الفزعة هي المقصود منها الصيحة في حديث آخر لأمير المؤمنين قال : " ... صيحة في شهر رمضان تفزع اليقظان وتوقظ النائمتين وتخرج الفتاة من خدرها " (٨٣) وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: "ان القائم لا يقوم حتى ينادي مناد من السماء تسمع الفتاة في خدرها ويسمع أهل المشرق والمغرب وفيه نزلت هذه الآية " ثم تلى نفس الآية (٨٤).

وبهذه الرواية الواردة عند الصدوق وما قورن معها من روايات يمكن القول ان الصيحة في شهر رمضان وقد حدد موعد الصيحة بيوم الجمعة وليلتها في الثالث والعشرين منها وهذا لعله حتى يميز بينها وبين الصوت الثاني اذ يكون بعدها يعني ليس ي نفس الليلة أي من المحتمل ان يكون في نهار يوم ثلاث وعشرين من رمضان او في ليلة الرابع والعشرين منه إذا كان في الليلة التي تليها هذا حتى يميز بين صيحة الحق وصيحة الملعون ، ولهذه الصيحة هول عظيم حتى انها تصل للقاء التي في خدرها وتسمعها من دون ان تكون ظاهره من شدة الصوت وتوقض النائمتين وتفزع اليقظان وتكون أمر مفاجئ .

وعن نطاق تلك الصيحة ومداها اخرج الصدوق عن زرارة عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال : " ينادي منادٍ باسم القائم (عليه السلام) قلت خاص أو عام ؟ قال : عام يسمع كل قوم بلسانهم وقلت فمن يخالف القائم (عليه السلام) وقد نودي باسمه ؟ قال : لا يدعهم إبليس حتى ينادي في آخر الليل ويشكك الناس " (٨٥) ، روى الصدوق الحديث هذا عن ابيه الوارد في كتابه الإمامة والمتبصرة ونقله بعض المتأخرين عن الصدوق (٨٦) أما نداء إبليس فعن الإمام الصادق (عليه السلام) انه سئل عن النداء فقال : " ينادي المناد من

السماء أول النهار يسمعه كل قوم بألسنتهم^(٨٧) : ألا أن الحق في علي وشيعته ثم ينادي إبليس لعنه: ألا أن الحق في عثمان^(٨٨) وشيعته فعند ذلك يرتاب المبطلون"^(٨٩)، وبهذا يكون النداء عام يخص جميع الناس لا يخص الشيع فقط أو المسلمين بل العالم اجمع بمختلف أديانه وقوميته ويفهمه الجميع بكل لهجاتهم على ظاهر الحديث إذا كان بالإعجاز أو بالطرق الحديث ووسائل الإعلام يصل الخبر للجميع ان أطلقه جبرائيل في سما مكة ثم يتناقل بسرعة الخبر كما هو الحال اليوم ووسائل الصحافة والإعلام والانترنت ولعل في زمانها يكون التطور أوسع فيصل بشكل اسرع مما عرف عنه اليوم .

٤ - الخسف^(٩٠) بالبيداء^(٩١) :

وورد في الخسف روايات من الجانبين ، وعد الخسف في الروايات من الشرائط الحتمية للظهور كما ذكره الصدوق: " وخسف بالبيداء "^(٩٢) لكن لم تصرح تلك الروايات التي تناقلت موضوع الخسف بنوع الخسف او كفيته الا أنها تقول بوقوع خسف بجيش يقدم على مكة من قبل السفيناني فقد يتبادر للذهن عن اي من يطلع على الروايات أنها هبوط في الأرض بمجموع جيش السفيناني .

يروى عن رسول الله (ﷺ) قال: " يخرج رجل يقال له السفيناني في عمق^(٩٣)، دمشق وعامة من يتبعه من كلب فيقتل حتى يبقر بطون النساء ويقتل الصبيان ... ويخرج رجل من اهل بيتي في الحرة فيبلغ السفيناني فيبعث إليه جنداً من جنده فيهزمهم فيسير إليه السفيناني بمن معه حتى إذا صار ببيداء من الأرض خسف بهم فلا ينجو منهم إلا المخبر عنهم"^(٩٤)، واخرج الهيثمي بكتابه في باب ما جاء في المهدي عن رسول الله (ﷺ) قال : " يأتي ناس من قبل المشرق يريدون رجلاً عند البيت حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم فيلحق بهم من تخلف عنهم فيصيبهم ما أصابهم " ^(٩٥) ، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) في حديث له عن الإمام الحجة (عليه السلام) والسفيناني إلى أن يقول : " ويأتي بجيش جرار حتى إذا انتهى إلى ببياء المدينة خسف الله به ذلك قول الله ﷻ: أَيُّ نَرُ نَزَّمُ"^(٩٦) " ^(٩٧).

ويروى عن أبي حمزة الثمالي في قوله تعالى: أَيُّ نَرُ نَزَّمُ قال ابو حمزة: " سمعت علي بن الحسين (عليه السلام) والحسن بن الحسن بن علي (عليه السلام) يقولان : هو جيش البيداء يؤخذون من تحت اقدامهم"^(٩٨) ، وروي عن الامام الباقر (عليه السلام) قال : " يخرج القائم (عليه السلام) فيسير حتى يمر بمر فيبلغه ان عامله قد قتل ^(٩٩) ، فيقتل المقاتلة ولا يزيد على ذلك شيئاً ثم ينطق فيدعوا الناس حتى ينتهي الى البيداء فيخرج جيشان للسفيناني فيأمر الله ﷻ الارض أن تاخذ بإقدامهم وهو قوله ﷻ: أَيُّ نَرُ نَزَّمُ"^(١٠٠) .

وذكر بعض الروايات التي تلمح الى انه خسف بالأرض او تسيخ بهم فقد نقل ابن حماد عن الامام الباقر (عليه السلام) قال: " سيكون عائدا بمكة يبعث اليه سبعون الف عليهم رجل من قيس حتى اذا بلغوا الثانية^(١٠١) دخل آخرهم ولم يخرج منا اولهم نادى جبريل ببيداء يا ببيداء يا ببيداء يسمع مشارقها ومغاربها

خذيهم فلا خير فيهم فلا يظهر على هلاكهم الا راعي غنم في الجبل ينظر اليهم حين ساخوا فيخبرهم فإذا سمع العائد بهم خرج " (١٠٢)، ولعل راعي الغنم هذا هو ايضاً مخبر عن الحادثة وقصته قيل انه يرى ي غنمه وينظر الى هذا الجيش المتوجه نحو مكة فيقول : " يا ويح اهل مكة ما جاءهم فينصرف الى غنمه ثم يرجع فلا يرى أحد فإذا هم قد خسف بهم فيقول سبحان الله ارتحلوا في ساعة واحدة فيأتي منزلهم فيجد قطيفة (١٠٣) قد خسف ببعضها وبعضها على ظهر الارض (١٠٤) .

وفي حديث عن رسول الله (ﷺ) يتحدث عن الفتن ثم يتحدث عن السفيناني وكيف يستبح المدينة ثلاثة ايام وبليلاتها ثم يخرج جيشه نحو مكة فيقول : " ... حتى اذا كانوا بالبيداء بعث الله جبرائيل فيقول يا جبرائيل اذهب فابدهم فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم فذلك قوله في سورة سبأ : اَيُّكُمْ نُزِّلَ ثُمَّ لَا يَفْلَتُ مِنْهُمْ اِلَّا رَجُلَانِ احدهما بشير والآخر نذير ... " (١٠٥)، وفي خبر طويل عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أوردنا بعضه في ترجمة السفيناني أخذنا منه مختصر مضمون الفكرة عن الخسف اذ فيه مجمل الأخبار عن السفيناني والخسف وأحداث بلاد الشام الى قتل السفيناني، وروي ان هذا الجيش لما يصل إلى بيداء مكة فيصيح بهم جبرائيل ويخسف الأرض تحت أقدامهم بما معهم من عدة وقيل ان عددهم ثلاثمائة ألف حتى لا يبقى منهم الا شخص واحد وقيل شخصان وهما المخبران بأمر الخسف اذ يذهب أحد إلى الإمام المهدي (ﷺ) ويسمى البشير ويخبره بهلاك جيش السفيناني والآخر يعرف بالنذير يذهب إلى السفيناني ويخبره بهلاك جيشه عندها يهرب السفيناني إلى الشام ويفسد فيها ويقتل ثم يبعث بجيش نحو العراق إلى الكوفة والبصرة ويفعل جميع الفواحش ويقتل أهل العلم وبعد حروب طويلة حتى يبعث الإمام وراءه ويتم أسره ويؤتى به إلى الإمام ويقتل وتبشر الناس بمقتله (١٠٦) .

وفي رواية طويلة جداً اشتملت على اغلب العلامات وما يحصل قبل الظهور وبعد الظهور رويت عن المفضل بن عمر فيها يسأل الإمام الصادق (عليه السلام) عن الإمام المهدي (ﷺ) والامام يجيبه ومن ضمن ما ورد فيها يتحدث عن الخسف قال : " ... ثم يقبل رجل على القائم (عليه السلام) رجل وجهه الى قفاه وقفاه الى وجهه (١٠٧) ويقف بين يديه فيقول : سيدي أنا بشير أمرني ملك من الملائكة أن الحق بك وابشرك بهلاك جيش السفيناني بالبيداء فيقول له له القائم (عليه السلام) بين قصتك وقصة أخيك نذير ، فيقول الرجل : كنت أنا وأخي في جيش السفيناني فخربنا الدنيا من دمشق الى الزوراء ... وخربنا الكوفة وخربنا المدينة وكسرنا المنبر وراثت بغالنا في مسجد رسول الله (ﷺ) وخرجنا منها وعددنا زهاء ثلاثمائة ألف رجل نريد مكة لإخراب البيت وقتل أهله فلما صرنا في البيداء عرسنا فيها فصاح بنا صائح يا بيداء أبدي القوم الظالمين فأنفجرت الارض وابتلعت كل الجيش ... سواء غيري وغير أخي نذير فإذا نحن بملك وقد ضرب وجوهنا فصارت الى ورائنا كما ترى وقال لأخي ويلك يانذير امض الى الملعون السفيناني بدمشق

فأنذره بظهور المهدي من آل محمد (ﷺ) وعرفه أن الله أهلك جيشه بالبيداء وقال لي : يا بشير الحق بالمهدي بمكة وبشره بهلاك الظالمين ... " (١٠٨) .

وتعليقاً على مجمل روايات الخسف هو انكسار يحصل في جيش السفيناني الذي يرسله إلى قتال الإمام المهدي (ﷺ) أو محاولة منه القضاء عليه وعند بلوغ هذا الجيش المنطقة الواقعة بين مكة والمدينة (البيداء) والأقرب إلى مكة يحصل بهم الخسف وغير معلوم ماهية هذا الخسف أو غير متفق على عدد من يخسف بهم فعلى ظاهر الروايات إنهم يؤخذون من تحت أقدامهم أي أنهم تبتلعهم الأرض أو تنشق بهم وبمن يلحقهم حينها ولا ينجوا منهم إلا من يخبر بالحادثة وهذا لعله لحكمة نقل خبر الحادثة فضلاً عن الراعي الذي لم يفارق مكانهم إلا لوقت بسيط كما في الرواية ساعة فيعود فلا يجدهم ويجد أن الأرض قد طبقت عاليها على سافلها وهذا كله بوصف الروايات لعلها بخطاب عصرها ، أم يمكن القول أنه يحصل بهم انكسار شامل عن طريق سلاح ما مدمر لكل هذا العدد بوقت قياسي وهو ما يعرف بالتطور اليوم ، وعلى الأرجح ومن خلال الروايات وبوجود جبرائيل (عليه السلام) في الروايات أو أي ملك آخر فإنه هذا الخسف بأمر الله وقدرته بغض النظر عن نوع الخسف (١٠٩) أو شكله ألا أن المهم هذا الانكسار مهما كان نوعه فالبشارة به أن يقضي على هذا الجيش المقبل نحو مكة في تلك المنطقة قبل وصوله للبيت الحرام وهذه حماية الإلهية لبيته الحرام فضلاً عن وجود الإمام فيها في ذلك الوقت وقد شهد التاريخ بمثل تلك الحماية للكعبة المشرفة كما ضرب أبرهة الحبشي بهجومه على البيت وأبى جيشه قبل أن يصل فلو دخل جيش السفيناني هناك سيفتك بمكة وأهلها كما فعل بغيرها ولذا ستكون الكعبة ملاذاً لإمامنا (ﷺ) المحمية من قبل الله ﷻ لذا نرجح أنه أمر الهي بقدرته وقوته يخسف بهم الأرض بوقت يسير وما يدعونا للقول بهذا هو عند ترجمة كلمة قطيفة وتعني الغطاء أو الرداء أو الفرش الذي وجده الراعي عندما رجع لمكانهم الذي نزلوا فيه يجد بعضها خسف فيه وبعضها على ظاهر الأرض أي أنه شاهد قسم منه في الخسف ولعلها حفرة كبيرة أو شق أو ما شابهه والبعض ظاهر فوق الأرض .

٥ - قتل النفس الزكية (١١٠) :

روى الصدوق بسنده في رواية نقطع موضع الحاجة منها هنا عن الإمام الباقر (عليه السلام) يتحدث عن الإمام الحجة (ﷺ) وعصر الظهور والعلامات قال: "... وقاتل غلام من آل محمد (ﷺ) اسمه محمد بن الحسن النفس الزكية ... " (١١١) ، وتناقلت الروايات تلك العلامة بقتل غلام آل محمد وذكرته نفس الاسم بالرواية المذكورة عند الصدوق وبأسانيد عدة (١١٢) ، وورد في مصادر العامة عن رسول الله (ﷺ) قال : " إن المهدي لا يخرج حتى تقتل النفس الزكية فإذا قتلت النفس الزكية غضب عليهم من في السماء ومن في الأرض فتأتي الناس المهدي فزفوه كما تترف العروس إلى زوجها ليلة عرسها وهو يملأ الأرض قسطاً

وعدلاً وتخرج الأرض نباتها وتمطر السماء مطرها وتنعّم امتي في ولايته نعمة لم تتعمها قط " (١١٣)، وفي رواية عن الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) قال : " النفس الزكية غلام من آل محمد اسمه محمد بن الحسن يقتل بلا جرم ولا ذنب فإذا قتلوه لم يبق لهم في السماء عاذر ولا في الأرض ناصر... " (١١٤) .

أما سبب قتل صاحب النفس الزكية المقصود ففي رواية للصدوق خرجها بسندها عن الإمام الصادق (عليه السلام) مخاطباً زرارة بن أعين : " ... يا زرارة لا بد من قتل الغلام بالمدينة (١١٥)، قلت : جعلت فداك أليس يقتله جيش السفيناني ؟ قال : لا يقتله جيش بني فلان ؟ ، يخرج حتى يدخل المدينة فلا يدري الناس في أي شيء دخل فيأخذ الغلام فيقتله بغياً وعدواناً وظلماً لم يمهلهم الله ﷻ فعند ذلك فتوقعوا الفرج " (١١٦) ، ووجد بعض الالتباس في قضية النفس الزكية إذ يشير البعض من المؤرخين من العلامات ، قتل رجل هاشمي يذبح بين الركن والمقام (١١٧) وقتل نفس زكية تظهر بسبعين من الصالحين في الكوفة (١١٨) ، وقيل النفس الزكية هو محمد بن عبد الله بن الحسن (١١٩) بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) وقتل سنة مائة وخمس وأربعين (١٢٠) .

وفي رواية عن أبي بصير عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال : " يقول القائم (عليه السلام) لأصحابه يا قوم إن أهل مكة لا يريدونني ولكني مرسل إليهم لأحتج عليهم بما ينبغي لمثلي أن يحتج عليهم فيدعوا رجلاً من أصحابه ويقول له : امض إلى أهل مكة فقل : يا أهل مكة أن رسول فلان إليكم وهو يقول لكم : إنا أهل بيت الرحمة ومعدن الرسالة والخلافة ونحن ذرية محمد وسلالة النبيين وأنا قد ظلمنا واضطهدنا وقهرنا وابتز منا حقنا منذ قبض نبينا إلى يومنا هذا فنحن نستصركم فانصرونا ، فإذا تكلم هذا الفتى بهذا الكلام أتوا إليه فذبحوه بين الركن والمقام وهي النفس الزكية فإذا بلغ ذلك الإمام قال لأصحابه : ألا أخبرتكم أن أهل مكة لا يريدوننا فلا يدعونه حتى يخرج فيهبط عقبة طوى في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً عدة أهل بدر حتى يأتي المسجد الحرام فيصلي فيه عند مقام إبراهيم أربع ركعات ويسند ظهره إلى الحجر الأسود ثم يحمد الله ويثني عليه ويذكر النبي (ﷺ) ويصلي ويتكلم بكلام لم يتكلم به أحد ... " (١٢١) ، وفي رواية عن عمار بن ياسر قال : إن دولة أهل نبيكم في آخر الزمان ولها إمارات فإذا رأيتم فالزموا الأرض وكفوا حتى تجيء إمارتها... وإذا رأى أهل الشام قد اجتمع أمرها على ابن أبي سفيان فالحقوا بمكة فعند ذلك تقتل النفس الزكية وأخوه بمكة ضيعة (١٢٢) ، فينادي المناد من السماء أيها الناس إن أميركم فلان وذلك هو المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً " (١٢٣) .

ولمناقشة الروايات السابقة فالرواية التي ينقلها أبي بصير معقولة إذ لا بد من سبب ما لقتل هذا الغلام وبهكذا مكان وله شاعت عدة أخبار في المصادر التاريخية ، ومن خلال هذه الرواية ما يدعونا للقول بأن المقصود بالمدينة في رواية الصدوق هي نفسها مكة كما ورد في ترجمتها ان يمكن ان تسمى

مكة فضلاً عن قرينة أخرى هي لعل الإمام (ﷺ) يريد ان يوصل رسالته الى أكبر عدد ممكن من الناس كون لازالت مجتمعة نع نهاية موسم الحج فيرسل هذا الرسول الى مكة، وما ورد في رواية الصدوق أيضاً انه " يخرج فيدخل المدينة " من اين يخرج ، أما ما قيل في غلام في المدينة فما قصة قتله ولماذا الإشارة له دون غيره فالقتل يكثر حينها فلماذا هذا الغلام الذي لم يتضح سبب مقتله او من هو او حتى الهاشمي كذلك ولعل النفس الزكية تشير لشخص في مكة وآخر في المدينة وثالث في الكوفة وكلها تدعوا لإمام الزمان لكن هناك لغط او اشتباه في نقل الروايات او هي برمزيات عصرها وظروف طرحها اذ ان المتلقي للحديث من الإمام المعصوم في وقته يفهم ما قال او لعلها لمواضيع أخرى لم تصل إلينا مضان قصصها لتوضح الملابس التي فيها بالرغم من وجود إشارات، ما يدعونا للقول انه شخصية أخرى وهي كذلك تدعوا لإمام الزمان وليس حامل الرسالة يقتل في المدينة أيضاً تدعى النفس الزكية جاء فيه : " وقتل رجل من ولد الحسن بن علي (عليه السلام) يخرج بالمدينة داعياً إلى إمام الزمان وخسف بالبيداء " (١٢٤)، فالمهم من هذا وما أعطت الروايات أهمية له في العلامات الحتمية هو الشخصية التي قرن القيام المقدس بعد مقتله بخمسة عشر ليلة وحددت الروايات مكان مقتله بين الركن والمقام .

والسقف الزمني بين قتل النفس الزكية والظهور المقدس أخرج الصدوق وعن الإمام الصادق (عليه السلام) يروى أنه قال : ليس بين قيام قائم آل محمد وبين قتل النفس الزكية إلا خمس عشرة ليلة " (١٢٥) ، وأخرجت نفس الرواية باختلاف أسانيد روايتها بنفس المعنى الوارد في الإكمال في بعضها لم يذكر الرواة عبارة " آل محمد " وفي بعضها وردت (١٢٦)، ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) مخاطباً جماعة من أصحابه، قال: " ألا أخبركم بأمر ملك بني فلان ؟ قلنا بلى يا أمير المؤمنين ، قتل نفس حرام في يوم حرام في بلد حرام عن قوم من قریش (١٢٧) ، والذي فلق الحبة وبرئ النسمة ما لهم ملك بعده غير خمسة عشر ليلة ، قلنا : هل هذا أو بعده من شيء ؟ فقال صيحة في شهر رمضان تفرع اليقظان وتوقظ النائم وتخرج الفتاة من خدرها " (١٢٨) .

وقتل النفس الزكية بالقرب من البيت الحرام ما هو إلا دليل على قمة فساد الجهة المسيطرة او التي تحكم تلك المنطقة والناقمة على الإمام الحجة (عجل الله فرج) ولعل ذلك لعمهم بأنه من سيجتث جذور فسادهم وطغيانهم بأن يصل بهم الحال الى إراقة الدم قرب بيت الله الحرام حتى تكون تلك آخر العلامات التي يكون الظهور على أثرها بخمسة عشر ليلة ، الا ان يكون في تلك الخمسة عشر ليلة الفاصلة بعض العلامات الأخرى ، ويمكن ان يحدد تاريخ يوم القتل إذ عرف في الروايات ان الظهور سيكون في العاشر من المحرم وانقص منها خمسة عشر ليلة إذ سيكون مقتل النفس الزكية في الرابع او الخامس والعشرين من ذو الحجة اي بحسب المعطيات المعروفه في الأشهر وهلالها بنقصان يوم من الشهر او زيادة يوم ، وإجمالاً لروايات صاحب النفس الزكية المقتول هو رجل من نسل رسول الله (ﷺ)

صاحب تقوى زكي النفس شجاع في الله يحمل رسالة من الإمام إلى اهل مكة يقتل على أثرها ولعلها تكون آخر رسالة من الإمام وهي آخر علامة شرطية لخروج الامام اذ يكون بين مقتله وخروج الإمام خمسة عشر ليلة .

الهوامش:

- (١) الفراهيدي ، الخليل بن احمد ، (ت : ١٧٠ هـ / ٧٦٨ م) ، كتاب العين ، تحقيق ، عبد الحميد هنداوي ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ٢٠٠٣ م) ، ج ١ ، ص ٣٩٦ .
- (٢) الرازي ، محمد بن أبي بكر عبد القادر ، (ت : ٦٦٦ هـ / ١٢٨٦ م) ، مختار الصحاح ، ط ١ ، مكتبة لبنان ، (بيروت ، ١٩٨٦ م) ، ص ١٧١ .
- (٣) ابن الأثير ، عز الدين ابن أبي علي بن أبي الكرم الشيباني ، (ت : ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق : علي حسن علي الحلبي ، ط ١ ، دار ابن الجوزي ، (الرياض ، ١٤٢١ هـ) ، ص ٧٢ ؛ ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي الأنصاري ، (ت : ٧١١ هـ / ١٣١١ م) ، لسان العرب ، تحقيق امين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق ، ط ٣ ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت ، د ت) ، ج ١ ، ص ٣٧٤ .
- (٤) الصدر ، محمد محمد صادق ، موسوعة الإمام المهدي ، ط ١ ، منشورات بني الزهراء (عليها السلام) ، (قم ، ١٤٢٥ هـ) ، ج ٣ ، ص ١٩٥ - ١٩٦ .
- (٥) من أصل حتم والحتم يعني اللازم الواجب الذي لا بد من فعله ، ينظر : ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ص ١٨٦ ؛ ويقال الحتم احكام الامر والحتم القضاء وجمعه حتوم وحتم عليه الشيء اي أوجبه ، ينظر : الرازي ، مختار الصحاح ، ص ٥٢ ؛ والتفريق بين فهم العلامات وشرائط الظهور اذ فيها بحث مطول يوضح الفرق بين هذه وتلك وامكانية تحققها واسباب وجود تلك الشروط والعلامات وارتباطها بعصر الظهور قبله بمد قصير هاو طويلة ، للمزيد عن الموضوع ، ينظر : الصدر ، موسوع الامام المهدي ، ج ٢ ، ص ٣٩٣ - ٤٤٩ .
- (٦) الصدوق ، ابي جعفر محمد بن علي القمي (ت : ٣٨١ هـ / ٩٩١ م) ، إكمال الدين وإتمام النعمة ، تقديم وتصحيح : محمد مهدي السيد حسن الخراسان ، ط ١ ، دار المرتضى ، (بيروت ، ٢٠٠٩ م) ، ج ١ ، ص ٣١٠ .
- (٧) الصدوق ، إكمال الدين ، ج ٢ ، ص ٥٨٢ ، ص ٥٨٤ .
- (٨) الصدوق ، إكمال الدين ، ج ١ ، ص ٣١٣ .
- (٩) لعل الاخبار ببني العباس هنا اشار ودلالة على ان كل ما يقولونه اهل البيت (عليهم السلام) سيتحقق حتى تصدق الناس ما بعده من احداث على اختلاف السنين فالمعروف تاريخياً ان ملك بني العباس قد ذهب ولعل اخبارهم ببني العباس واختلافهم وذهاب ملكهم هذا قبل ان يتحقق وتحقق اما انهم يحكمون حتى عصر الظهور فمن المرجح انها اشارة الى الانظمة الفاسدة التي تشبه حكم بني العباس وتسلطهم على الناس ففي رواية عن علي بن ابي حمزة يروي ان الامام موسى ابن جعفر (عليه السلام) قال له : " يا علي لو ان اهل السماوات والارض خرجوا على بني العباس لسقيت الارض

بدمائهم حتى يخرج السفيناني قلت له : سيدي امره من المحتوم ؟ قال نعم ، ثم اطرق هنيئة ثم رفع راسه وقال : ملك بني العباس مكر وخدع ويذهب حتى يقال لم يبق منه شيء ثم يتجدد حتى يقال ما مر به شيء " وفي بعض الروايات ي احاديث المعصومين في حديثهم عن العلامات الحتمية يضعون هلاك بني العباس اولها وان نظام تتابع العلامات مثل نظام الخرز متتابع : " انما هو كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً " ، وعن الامام الباقر (عليه السلام) قال : " ثم يملك بنو العباس فلا يزالون في عنفوان من الملك وغضارة العيش حتى يختلفوا فيما بينهم ذهب ملكهم " والمعروف ان دولة العباسيين اسست بعد وفاة الإمام الباقر (عليه السلام) بثمانية عشر عام اذ توفي سنة (١١٤ هـ) ، وتولى ابو العباس السفاح او خلفاء العباسيين سنة (١٣٢ هـ) ، للمزيد ينظر : النعماني ، الغيبة ، ص ٢٧٠ ، ص ٣١٤ ؛ الطبرسي ، سيرة المعصومين ، ص ٢٦٨ ؛ (ويضع الصدر تفسيراً عن معنى موضعاً فيه ذهاب ملك العباسيين مع ماورد من علامات الظهور) موسوعة الإمام المهدي (تاريخ الغيبة الكبرى) ، ج ٢ ، ص ٤٢٥ - ٤٥٩ ؛ وعن بداية حكم العباسيين وظهورهم ينظر : المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٢٥٢ .

(١٠) إكمال الدين ، ج ٢ ، ص ٥٨٥ .

(١١) الطبرسي ، أبو علي الفضل بن الحسن ، (ت : ٥٤٨ هـ / ١١٥٨ م) ، سيرة المعصومين المسمى (أعلام الوري وأعلام الهدى) ، تصحيح وتعليق : علي أكبر غفاري ، ط ١ ، دار الحجة (عجل الله فرجه) ، (قم ، ٢٠٠٤ م) ، ص ٤١٧ ؛ الاربلي ، ابو الحسن علي بن عيسى بن ابي الفتح ، (ت : ٦٩٣ هـ / ١٢٩٤ م) ، كشف الغمة في معرفة الأئمة ، د : تحقيق ، ط ١ ، دار الاضواء ، (بيروت ، د . ت) ، ص ٣٢٩ - ٣٣٠ .

(١٢) القمي ، ابي الحسن علي بن الحسين بن بابويه (والد الصدوق) ، (ت : ٣٢٩ هـ / ٩٢٢ م) ، الامامة والتبصرة من الحيرة ، تحقيق مدرسة الامام المهدي (عج) ، ط ١ ، الناشر : مدرسة الامام المهدي (عج) ، (قم ، ١٤٠٤ هـ) ، ص ١٢٨ .

(١٣) محمد بن يعقوب ، (ت : ٣٢٩ هـ / ٩٢١ م) ، اصول الكافي ، د . تحقيق ، ط ١ ، منشورات الفجر ، (بيروت ، ٢٠٠٧ م) ، ج ٨ ، ص ١٦٦ .

(١٤) النعماني ، أبي عبدالله محمد بن جعفر بن ابراهيم بن جعفر الكاتب ، (ت : ٣٦٠ هـ / ٩٥٣ م) ، الغيبة ، تحقيق : فارس حسون ، ط ١ ، الناشر : مؤسسة مدين ، (قم ، ٢٠٠٥ م) ، ص ٢٦١ - ٢٦٢ ، ص ٢٦٦ ، ص ٢٧٢ .

(١٥) الصدوق ، ج ١ ، ص ٣٠٣ .

(١٦) المفيد ، محمد بن محمد بن النعمان العكبري ، (ت : ٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م) ، الإرشاد ، د : تحق ، ط ١ ، مؤسسة الاعلمي ، (بيروت ، ٢٠٠٨ م) ، ص ٤٥٧ .

(١٧) الطوسي ، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت : ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م) ، الغيبة ، تحقيق : عباد الله الطهراني و علي احمد ناصح ، ط ٣ ، مؤسسة المعارف الإسلامية ، (قم ، ٢٠٠٤ م) ، ص ٤٣٥ ، ص ٤٣٧ .

(١٨) سير المعصومين ، ص ٤٤٠ - ٤٤١ .

(١٩) كشف الغمة ، ج ٣ ، ص ٢٥٧ .

- (٢٠) النعماني ، الغيبة ، ص ٢٨٦ ؛ المجلسي ، محمد باقر ، (ت : ١١١١ هـ / ١٦٨٠ م) ، بحار الانوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، ط ٢ ، مؤسسة الوفاء ، (بيروت ، ١٩٨٣ م) ، ج ٥٢ ، ص ٢٤٥ .
- (٢١) الطوسي ، الغيبة ، ص ٤٤٧ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج ٥٢ ، ص ٢١٠ .
- (٢٢) يوم الخلاص في ظل القائم (عليه السلام) ، ط ٢ ، الناشر : ال علي (عليه السلام) ، (قم ، ١٤٢٥ هـ) ، ص ٥٤٧ ؛ الصغير ، محمد حسين علي ، الإمام المهدي المنتظر (عجل الله فرجه) ، ط ١ ، مؤسسة البلاغ ، (بيروت ، ٢٠٠٩ م) ، ص ١٨٩ (لم أعثر على المصادر التي نقلو منها البعض يحيلها الى إرشاد المفيد ولا توجد فيه هكذا رواية ، والبعض يأخذها من بشارة الإسلام وهو كتاب متقدم جداً) .
- (٢٣) المجلسي ، بحار الانوار ، ج ٥١ ، ص ١٦٣ .
- (٢٤) لم اجد له ترجمة .
- (٢٥) النيسابوري ، الفضل بن شاذان الأزدي ، (ت : ٢٦٠ هـ / ٨٧٣ م) ، مختصر إثبات الرجعة ، تحقيق ونشر : قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة ، ط ١ ، (كربلاء ، ٢٠١٦ م) ، ص ٦٣ - ٦٣ .
- (٢٦) حركة تدعوا للإمام المهدي ونصرته وخروجها قبل الامام المهدي (عليه السلام) يقودها رجل من خراسان يدعى الخراساني وهناك آراء تقول انه هو الحسني او الحسيني او الهاشمي لتقارب الروايات في حركاتهم وهناك من يقول انهم حركات مختلفة كلها تنصر الإمام تخرج من خراسان يحملون الرايات السود ويكون على مقدمة جيش الخراساني رجل يقال له شعيب بن صالح وقيل ايضاً انه صاحب حركة مستقلة وقيل ان شعيب هذا قائد جيوش الإمام المهدي (عليه السلام) وجيش الخراساني يهزم جيش السفيناني حتى ينزل الخراساني في بيت المقدس ويوطئ للإمام المهدي سلطانه ، للاطلاع عن حركة الخراساني اذ فيها تفاصيل كثيرة لايسع المقام لذكرها جميعاً هنا، للمزيد ينظر : المروزي ، الفتن ، ص ١٨٨ ؛ =النعماني ، الغيبة ، ص ٣٠١ ؛ سليمان ، يوم الخلاص ، ص ٥٥٤ - ٥٧٥ ؛ تبريزيان ، عباس ، العد التنازلي في علامات ظهور المهدي ، ط ٢ ، دار الاثير ، (بيروت ، ٢٠٠٤ م) ، ص ١٠٥ - ١٥٤ .
- (٢٧) النعماني ، الغيبة ، ص ٢٦٤ .
- (٢٨) ابن شاذان ، مختصر اثبات الرجعة ، ص ٦٥ ؛ المفيد ، الارشاد ، ص ٤٦٩ ؛ الطوسي ، الغيبة ، ص ٤٤٧ ؛ الراوندي ، محمد بن سعيد بن هبة الله بن الحسن ، (ت : ٥٧٣ هـ / ١١٧٨ م) ، الخرائج والجرائح ، تحقيق ونشر : مؤسسة الامام المهدي (عليه السلام) ، ط ١ ، (قم ، ١٤٠٩ هـ) ، ج ٣ ، ص ١١٦٣ ؛ الموسوي ، فاروق ، الحتميات من علائم الظهور ، ط ٢ ، الناشر : مؤسسة السبطين العالمية ، (قم ، ١٤٢٧ هـ) ، ٤٠٢ .
- (٢٩) الطوسي ، كتاب الامالي ، تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة ، ط ١ ، دار الثقافة ، (قم ، ١٤١٤ هـ) ، ص ٩٣٤ ؛ سليمان ، يوم الخلاص ، ص ٥٤٩ .
- (٣٠) النعماني ، الغيبة ، ص ٤٦ ؛ البحراني ، هاشم ، (ت : ١١٠٩ هـ / ١٦٧٩ م) ، غاية المرام وحجة الخصام في تعيين الامام من طريق الخاص والعام ، تحقيق : علي عاشور ، ط ١ ، مؤسسة التاريخ العربي ، (بيروت ، ٢٠٠١ م) ، ج ٢ ، ص ١٧٣ .
- (٣١) النعماني ، الغيبة ، ص ٣١٧ ؛ الطوسي ، أمالي الطوسي ، ص ٩٣٤ .

(٣٢) النجفي ، سرور اهل الايمان في علامات ظهور صاحب الزمان (ع) ، تحقيق : قيس العطار ، ط ٢ ، دار : دليل ما،(قم ، ١٤٢٨هـ)، ص ٥٣؛ تبريزيان، العد التنازلي في علامات ظهور المهدي، ص ١٦٥، ص ١٧٥ .

(٣٣) الكليني ، الكافي ، ج ٨ ، ص ١٢٣ .

(٣٤) في خبر قيل انه يخرج من دمشق من واد بارض الشام ومعه أخواله من بني كلب واسمه معاوية بن عتبة وهو ربعة من الرجال دقيق الوجه جهوري الصوت طويل الأنف عينه اليمنى يحسبه من يرى اعور ويظهر الزهد يبايعه ثلاثين الف من كلب وأكثر أنصاره من كلب ويسفك الدماء ويكثر في زمانه الكفر والفسق ويكثر القتل ويقتل العلماء ويرسل جيشاً للعراق من سبعين الف فيقتل مائة الف فيخرج له رجل من تميم شعيب بن صالح فيهزمهم ويبعث بجيش لمكة فينهبها ثلاثة ايام ثم يبعث جيشاً للمدينة حينها يظهر المهدي (ع) في مكة فيجهز له السفيناني جيش من ثلاثين الف فيخرجون له فيخسف الله بهم الارض لا يفلت مهم الا رجلا يوصلان الخبر للسفنياني ، وفي رواية عن أمير المؤمنين (ع) حين سئل عن اسمه قال : " حرب بن عنبسة بن مرة بن كلب بن سلمه بن يزيد بن عثمان بن خالد بن يزيد بن معاوية بن ابي سفيان بن صخر بن امية بن عبد شمس ملعون في السماء ملعون في الارض اشر خلق الله ﷺ أبا والعن خلق الله جدا ... يقتل من كان اسمه محمداً واحمد وعلياً وجعفرأ وحمة وحسن وحسيناً وفاطمة وزينب ورقية وام كلثوم وخديجة وعاتكة حنقاً وغضباً لآل بيت رسول الله (ﷺ) " وخاتمة أمره أن يهزم جيشه في الكوفة ويهرب السفنياني فليحقه بعض أصحاب الإمام ويأسرون ويؤتى به الى الإمام (ع) ويقتله، للمزيد ينظر : السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن، (ت: ٩١١هـ/١٥٠٥م) ، العرف الوردي في اخبار المهدي (عجل الله فرجه)، تحقيق : مصطفى صبحي الخضر ، ط ١ ، دار الكوثر ، (دمشق ، ٢٠٠١م) ، ص ٢٤ ، ٦٥ ، ٧٥ ، ص ١٠٧ - ١٠٩ ؛ الفتلي ، مهدي حمد ، نهج الخلاص ، ط ١ ، الناشر : مكتبة الشهاب الثاقب ، (بغداد ، ٢٠٠٦م) ، ص ٦٣٥ - ٦٥٢ ؛ الموسوي ، جلال ، السفنياني حتم مر ، ط ٤ ، الناشر : مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي (ع) ، (النجف الاشرف ، ٢٠١٥ م) ، ص ٣٠ - ٩٥ ؛ في رواية عن الامام الصادق (ع) يذكر ان اسمه عثمان بن عبيسه من ولد يزيد بن معاوية ، ينظر : الخصيبي ، الهداية الكبرى ، ص ٣٩٧ ، والظاهر من القصد انه من نسل بني امية .

(٣٥) نسبة الى هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس زوجة ابي سفيان لما استشهد حمزة بن عبد المطلب (ع) استخرجت كبده وأكلته ، ينظر : ابن الاثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق : علي محمد عوض وآخرون ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٩٩٦م) ، ج ٧ ، ص ٢٨١ .

(٣٦) الوادي اليابس لم يترجم له احد او يحدد موقعه بالضبط ، فقط الحديث يشير الى انه المنطقة التي يخرج منها السفنياني في آخر الزمان ، ينظر : الحموي، شهاب الدين أبي عبدا لله ياقوت بن عبدا لله الرومي البغدادي،(ت: ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨م) ، معجم البلدان ، د. ط ، دار صادر، (بيروت، ١٩٧٧م) ، ج ٥ ، ص ٤٢٤ ، وعلى ظاهر الروايات انه منطقة في بلاد الشام يخرج منها السفنياني .

(٣٧) اي مربع الخلة لا بالطويل ولا بالقصير ، ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٥ ، ص ١١٤ .

- (٣٨) ورد في التاريخ من هو بهذا الاسم هو عثمان بن عنبسه بن ابي ابي سفيان ابن آخر معاوية وقد كان لدى بني امية رغبة في استخلافة بعد معاوية بن زيد وكان بدمشق وأبى ان يستخلف ووجد من نسله شخص اخر يسمى عثمان بن عنبسة الاصغر ، ينظر : ابن عساكر ، ابي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي ، (ت : ٥٧١ هـ / ١١٥٧م) ، تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق : محب الدين ابي سعيد العموري ، د . ط ، دار الفكر ، (بيروت ، د . ت ، ج ، ٤٠ ، ص ١٤ - ١٩ .
- (٣٩) الصدوق ، إكمال الدين ، ج ٢ ، ص ٥٨٤ .
- (٤٠) سيرة المعصومين ، ص ٤٤٢ .
- (٤١) الراوندي ، ج ٣ ، ص ١١٥٠ .
- (٤٢) العاملي ، محمد بن الحسن الحر ، (ت : ١١٠٤ هـ / ١٦٧٤) ، اثبات الهداة بالنصوص والمعجزات ، تحقيق شهاب الدين تقديم : شهاب الدين المرعشي ، ط ١ ، منشورات الاعلمي (بيروت ، ٢٠٠٤م) ، ج ٥ ، ص ٣٥٠ ؛ المجلسي ، بحار الانوار ، ج ٥٢ ، ص ٢٠٥ .
- (٤٣) قبائل كثيرة وبطون ذات تفرع واسع قيل انهم من بطن عامر بن صعصعة وكانت ديارهم في حمى الربيعة في المدينة وفدك ثم انتقلوا الى الشام وملكوا حلب ونواحيها وكثيراً من مدن الشام وهناك تفرعات كثيرة لبطون كلب منتشرة هنا وهناك ، للمزيد ينظر : القلقشندي ، ابي العباس احمد ، (ت : ٨٢١ هـ / ١٤١٨م) نهاية الارب في معرفة أنساب العرب ، تحقيق : ابراهيم الأبياري ، ط ٣ ، دار الكتاب اللبناني ، (بيروت ، ١٩٩١م) ، ص ٤٠٧ - ٤٠٨ .
- (٤٤) المروزي ، نعيم بن حماد بن معاوية الخزازي ، (ت : ٢٢٨ هـ / ٨٤٣م) ، الفتن ، تحقيق : سهيل زكار ، ط ١ ، دار الفكر للطباعة والنشر ، (بيروت ، ١٩٩٣م) ، ص ١٦٥ ؛ الكلبيكاني ، لطف الله الصافي ، منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر (عجل الله فرجه) ، ط ٢ ، مؤسسة الوفاء ، (بيروت ، ١٩٨٣م) ، ٤٦٣ .
- (٤٥) النعماني ، الغيبة ، ص ٣١٧ ؛ الطوسي ، الغيبة ، ص ٤٦١ ؛ الموسوي ، السفيناني ، حتم ، ص ٥٣ .
- (٤٦) غير معلوم ما القصد بثاري واي ثار للسفيناني هذا لم يتضح في الروايات .
- (٤٧) إكمال الدين ، ج ٢ ، ص ٥٨٥ .
- (٤٨) العاملي ، إثبات الهداة ، ج ٥ ، ص ٣٥٠ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج ٥٢ ، ص ٢٠٥ .
- (٤٩) اي يارب اطلب ثاري ولو كان بدخول النار ، ينظر : النعماني ، الغيبة ، ص ٣١٨ ، هامش (٢) .
- (٥٠) النعماني ، الغيبة ، ص ٣١٨ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج ٥٢ ، ص ٢٥٣ .
- (٥١) سورة طه ، الآية : ١٠٢ .
- (٥٢) البحراني ، البرهان في تفسير القرآن ، تحقيق : لجنة من العلماء والمحققين ، ط ٢ ، منشورات دار الاعلمي ، (بيروت ، ٢٠٠٦م) ، ج ٥ ، ص ١٨٦ .
- (٥٣) الصدوق ، إكمال الدين ، ج ٢ ، ص ٥٨٣ - ٥٨٦ .

(٥٤) السبزواري ، محمد بن محمد (من اعلام القرن السابع الحري) ، جامع الاخبار أو معارج اليقين في اصول الدين ، تحقيق : علا آل جعفر ، ط ١ ، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، (بيروت ، ١٩٩٣م) ، ٣٤٨ .

(٥٥) النعماني ، الغيبة ، ص ٣١١ ، ص ٣١٣ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج ٥٢ ، ص ٢٠٤ .

(٥٦) النعماني ، الغيبة ، ص ٢٧٥ ؛ العاملي ، إثبات الهداة ، ج ٥ ، ص ٣٦٦ .

(٥٧) الطوسي ، تهذيب الأحكام فس شرح المقنعة للشيخ المفيد ، تحقيق : حسن الخراسان ، ط ٢ ، دار الكتب الإسلامية ، (طهران ، د . ت) ، ج ٤ ، ص ٣٣٣ ؛ البروجردي ، آقا حسين الطباطبائي ، جامع آحاديث الشيعة ، ط ١ ، الناشر : المطبعة العلمية ، (قم ، ١٣٩٩ هـ) ، ج ١٠ ، ص ٨٠ .

(٥٨) الحميري ، ابي العباس عبدالله بن جعفر ، (من اعلام القرن الثالث الهجري) ، قرب الاسناد ، تحقيق : مؤسسة آل البيت ، ط ١ ، الناشر : مؤسسة آل البيت ، (بيروت ، ١٩٩٣م) ، ص ٣٧٤ ؛ العطاردى ، عزيز الله ، مسند الامام الرضا ابي الحسن علي بن موسى (عليه السلام) ، ط ١ ، الناشر : المؤتمر العالمي للإمام الرضا (عليه السلام) ، (قم ، ١٤٠٦ هـ) ، ج ١ ، ص ٢١٧ .

(٥٩) تبدأ حركة السفيناني في الشام بعد احداث طبيعية وسياسية وعسكرية ميدانية يستغلها السفيناني لصالحه ، فقد روي عن امير المؤمنين (عليه السلام) قال : رجفة تكون بالشام يهلك فيها اكثر من مائة الف يجعلها الله رحمة للمؤمنين وعذاباً على الكافرين ... فاذا كان ذلك فانظروا خسف قرية من دمشق يقال لها حرسا فاذا كان ذلك خرج ابن آكلة الاكباد من الوادي اليابس حتى يستولي على منبر دمشق فاذا كان ذلك فانتظروا خروج المهدي (عليه السلام) ، وعن الامام الباقر (عليه السلام) : " ... فاول ارض تخرب ارض الشام يختلفون عند ذلك ثلاث رايات راية الاصهب وراية الابقع وراية السفيناني " وهؤلاء الاثنين يتغلب عليهم السفيناني ويقتلهم وهذه الرايات الثلاث كلها رايات فساد تبحث عن السلطة والسيطرة ، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال : " ... وذا كان ذلك خرج السفيناني ... يخرج بالشام فينقاد له اهل الشام الا طوائف من المقيمين على الحق ... " ، والشام تصيبها فتنة وبعدها قتال الرايات الثلاثة و تحدث فيها مقتلة عظيمة ويحارب الابقع والاصهب ستة اشهر ويذل اهل الشام ويسيطر على كورها ويوتوجه منها الى قرقيسيا لمحاربة الاثراك وينصر عليهم ثم يتوجه نحو العراق ويفتك باهلها في بغداد حتى قيل انه على اثر حربه تأكل الوحوش جيف القتلى تلك التي تبقى عدة اسابيع وتصطبغ المياه بلون الدماء ثم يتوجه نحو الكوفة ويفتك بشيعة اهل البيت ثم يوجه انظاره الى الحجاز مكة والمدينة اذ يرسل بجيشه ويسبيح المدينة ويظهر الامام في مكة فيتوجه جيش الملعون نحوها فيخسف به الارض في البيداء ، للمزيد ينظر : النعماني ، الغيبة ، ص ٣١٠ - ٣١١ ؛ السلمي ، عقد الدرر ، ص ١٢١ ، ص ١٢٥ ، ص ١٤٣ - ١٥٤ (اخرج السلمي روايات طويلة تبين اغلب تفاصيل حركته وسيطرته في الشام) ؛ الصدر ، موسوعة الامام المهدي ، ج ٣ ، ص ٥١٧ - ٥٢٤ ؛ الموسوي ، السفيناني حتم ، ص ٥٢ - ٥٩ .

(٦٠) الصدوق ، إكمال الدين ، ج ٢ ، ص ٥٨٥ .

(٦١) الطبرسي ، سيرة المعصومين ، ص ٤٤٣ ؛ المجلسي ، بحار الانوار ، ج ٥٢ ، ص ٢٠٦ .

(٦٢) النعماني ، الغيبة ، ص ٣١٦ ؛ السلمي ، عقد الدرر ، ص ١٥٥ ؛ المرعشي ، شرح احقاق الحق ، ج ٢٩ ، ص ٥٩٦ .

- (٦٣) الطوسي ، الغيبة ، ص ٤٦٢ ؛ الراوندي ، الخرائج والجرائح ، ج ٣ ، ص ١١٥٩ .
- (٦٤) الطوسي ، الغيبة ، ص ٤٦٣ ؛ الحصري ، عبد الرحيم ، الامام المهدي قيادة معاصرة ، ط ١ ، الناشر : مركز اور للدراسات ، (د . م ، د . ت) ، ص ٢٣٤ .
- (٦٥) النعماني ، الغيبة ، ص ٣١٠ .
- (٦٦) النداء : يقال رجل ندي الصوت بعيد والانداء بعد مدى الصوت والنداء الدعاء بارفع صوت ، أما الصيحة : فيها عدة معاني منها الصيحة العذاب والصيحة الغارة والصيحة مصدر اريد به الصياح للمزيد ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١٤ ، ص ٩٧ ، ج ٧ ، ص ٤٤٩ .
- (٦٧) وهي بيعة النبي (ﷺ) من قبل مجموعة من الأنصار في منى بمنطقة العقبة عندما كان يعرض نفسه على القبائل وعرض الإسلام على مجموعة من ستة أشخاص من الخزرج فاسلموا فعرفت ببيعة العقبة الاولى فلما رجعوا الى المدينة ذكروا لقومهم الخبر ودعواهم الى الإسلام فلما اتى العام القادم أتى منهم أثنا عشر رجل والنقوا بالنبي في منى بالعقبة واسلموا وبايعوا النبي فعرفت ببيعة العقبة الثانية وارسل معهم مصعب بن عمير الى يثرب يعلمهم ويقرئهم القرآن فلما رجع في السنة التالية في موسم الحج خرج الى الحج من الأنصار ثلاثة وسبعون رجل وامرأتان وقدموا على رسول الله (ﷺ) وبايعوه فعرفت ببيعة العقبة الثالثة وكانت بيعتهم سرّاً ، للمزيد ينظر: ابن هشام ، محمد بن عبد الملك ، (ت : ١٨٣ هـ / ٧٨١ م) ، سيرة النبي ، تحقيق : محمد فتحي السيد ، ط ١ ، دار الصحابة ، (القاهرة ، ١٩٩٥ م) ، ج ٢ ، ص ٤٧ - ٤٨ ، ص ٥٨ - ٥٩ ، ص ٧١ - ٧٢ ؛ الوشنوي ، محمد قوام ، حياة النبي وسيرته ، ط ١ ، دار الاسوة ، (قم ، ١٤١٦ هـ) ، ج ١ ، ص ٢٠١ - ٢٠٦ ؛ أما عن صيحة ابليس في العقبة قيل انها بعد بعية العقبة الثانية اي بعد ان تمت البيعة ، صرخ الشيطان من راس العقبة بأنفذ صوت سمع قال : " يا أهل الجباب [المنازل] هل لكم في ممذم والصباء [جمع صابي يقال للرجل اذا اسلم صابي] معه قد اجتمعوا على حربكم ؟ فقال رسول الله (ﷺ) : هذا أذب العقبة [اسم شيطان في العقبة] استمع اي عدو الله أما والله لأفرغن لك " أي لإبطال امرك ، ينظر : الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير الطبري ، (ت : ٣١٠ هـ / ٩٠٤ م) ، تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري) ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط ٢ ، دار المعارف ، (القاهرة ، د . ت) ، ج ٢ ، ص ٣٦٤ (ما بين المعقوفتين اخرجناه من هوامش التاريخ الطبري) ؛ المجلسي ، بحار الانوار ، ج ٦٠ ، ص ٢٥٦ .
- (٦٨) إكمال الدين ، ج ٢ ، ص ٥٨٣ .
- (٦٩) الراوندي ، الخرائج والجرائح ، ج ٣ ، ص ١١٦٠ ؛ المجلسي ، بحار الانوار ، ج ٥٢ ، ص ٢٠٤ .
- (٧٠) النعماني ، الغيبة ، ص ٢٧٣ .
- (٧١) النعماني ، الغيبة ، ص ٢٦٥ - ٢٦٦ ؛ الكاظمي ، بشارة الإسلام ، ص ١٦٨ .
- (٧٢) النعماني ، الغيبة ، ص ٢٧٢ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج ٥٢ ، ص ٢٩٤ .
- (٧٣) النعماني ، الغيبة ، ص ٢٦٥ ؛ العاملي ، إثبات الهداة ، ج ٥ ، ص ٣٦٥ ؛ الكلبا يكاني ، منتخب الاثر ، ص ٤٥٥ .
- (٧٤) إكمال الدين ، ج ٢ ، ص ٥٨٥ .

- (٧٥) العاملي ، إثبات الهداة ، ج ٥ ، ص ٣٥٠ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج ٥٢ ، ص ٢٠٦ ؛
- (٧٦) النعماني ، الغيبة ، ص ٢٦٣ ، ص ٢٧٤ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج ٥٢ ، ص ٢٩٥ .
- (٧٧) الخراساني ، إبراهيم الجويني ، (من أعلام القرن السابع والثامن الهجري) ، فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين والأئمة من ذريتهم عليهم السلام ، تحقيق : محمد باقر المحمدي ، ط ١ ، دار الحبيب ، (طهران ، ١٤٢٨هـ) ، ج ٢ ، ص ٣١٦ ؛ الكلبايكاني ، منتخب الاثر ، ص ٤٥٢ .
- (٧٨) الصدوق ، إكمال الدين ، ج ٢ ، ص ٥٨٤ - ٥٨٦ .
- (٧٩) العاملي ، إثبات الهداة ، ج ٥ ، ص ٣٤٩ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج ٥٢ ، ص ٢٠٤ .
- (٨٠) النعماني ، الغيبة ، ص ٢٦٣ .
- (٨١) سورة الشعراء ، آية : ٤ .
- (٨٢) النعماني ، الغيبة ، ص ٢٦٠ - ٢٦١ ؛ السلمي ، يوسف بن يحيى بن علي بن عبد العزيز المقدسي ، (ت : ٦٨٥ هـ / ١٢٦٠م) عقد الدرر في أخبار المنتظر ، تحقيق : مهيب بن صالح ، ط ١ ، الناشر : مكتبة المنار ، (عمان ، ١٩٨٩م) ، ص ١٦٩ .
- (٨٣) النعماني ، الغيبة ، ص ٢٦٧ ؛ الكاظمي ، مصطفى السيد حيدر ، بشارة الإسلام في علامات المهدي عليه السلام ، تحقيق : نزار الحسن ، ط ١ ، مؤسسة البلاغ ، (بيروت ، ٢٠٠٧م) ، ص ١٦٨ .
- (٨٤) الطوسي ، الغيبة ، ص ١٧٧ ؛ الحويزي ، عبد الأعلى ابن جمعة العروسي ، تفسير نور الثقلين ، تصحيح وتعليق : هاشم الرسولي ، ط ٤ ، الناشر : مؤسسة اسماعيليان ، (قم ، ١٤١٢هـ) ، ج ٤ ، ص ٤٦ .
- (٨٥) الصدوق ، إكمال الدين ، ج ٢ ، ص ٥٨٤ .
- (٨٦) القمي ، ص ١٣٠ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ٢٠٥ ؛ الكاظمي ، بشارة الاسلام ، ص ١٧٩ .
- (٨٧) اذا كان بالطريق الاعجازي يفهمه كل قوم بالسنتهم اما ان قيل لا بالوسائل الحديثه ممكن اي شيء .
- (٨٨) ومن المرجح ان المقصود هو عثمان بن عنبسه .
- (٨٩) الكليني ، الكافي ، ج ١ ، ص ١٦٦ (وليس فيه كل قوم بالسنتهم) ؛ الطوسي ، الغيبة ، ص ٤٣٥ ، ص ٤٦١ ؛ الراوندي ، الخرائج ، ج ٣ ، ص ١١٦٢ - ١١٦٣ .
- (٩٠) يقال المكان خسفا اي غار في الارض ، ينظر : المقرئ ، المصباح المنير ، ص ٦٥ ؛ وفي المعنى قيل خسف به الارض خسفاً اي اب فيها وخسف المكان يخسف خسوفاً ذهب في الارض ويقال خسف بالرجل او القوم اذا اخذته الارض ودخل فيها والخسف هو الحاق الارض الاولى بالثانية ، للمزيد ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٤ ، ص ٩١ .
- (٩١) مكان يقع بين المسجدين يسمى البيداء وتقع بالقرب من المدينة وفي الروايات إن الخسف في البيداء الذي يقع في آخر الزمان يقع في تلك المنطقة وتسمى بيداء المدينة ، ينظر : مسلم ، صحيح مسلم ، ج ٢ ، ص ٥٨٠ ؛ وقيل انها أرض ملساء بين مكة والمدينة وقيل اقرب إلى مكة وقديماً كان قوماً يغزون البيت فبعث الله ﷺ جبرائيل فقال يا بيداء أبديهم ، ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٥٢٣ .

- (٩٢) إكمال الدين ، ج ٢ ، ص ٥٨٢ .
- (٩٣) عمق الشيء قعره والعمق المظمئن من الاراضي ، والعمق كورة بنواحي حلب بالشام ، ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٥٦ .
- (٩٤) النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، ج ٤، ص ٥٦٥؛ السيوطي، العرف الوردی، ص ٥٠؛ الهندي، البرهان، ص ١١٣ .
- (٩٥) مجمع الزوائد ، ج ٧ ، ص ٤٣٤ .
- (٩٦) سورة سبأ ، آية : ٥١ .
- (٩٧) النعماني ، الغيبة ، ص ٣١٦ .
- (٩٨) تفسير ابي حمزة ، ص ٢٧٤ ؛ الطبرسي ، مجمع البيان ، ج ٨ ، ص ١٧٣ .
- (٩٩) ولعله اليماني او لعله النفس الزكية .
- (١٠٠) الحسيني ، شرف الدين علي الاسترآبادي النجفي ، (ت: ٩٦٥ هـ / ١٥٥٧ م) ، تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة ، تحقيق ونشر : مدرسة الامام المهدي ، ط ١ ، (قم ، ١٤٠٧ هـ) ، ج ٢ ، ص ٤٧٨ ؛ البحراني ، البرهان ، ج ٣ ، ص ٣٥٥ .
- (١٠١) الثلثة طريق العقبة والثلثة الطريقة في الجبل وقيل هي العقبة ، وتسمى الثلثة البيضاء قرب مكة وهي بالطريق من المدينة الى مكة اسفل مكة قبل ذي طوى ، وطوى واد مشهور بمكة في طريق الطائف، والعقبة جبل طويل يعرض للطريق فيأخذ فيه وهو طريق صعب الى صعود الجبل ، ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٥٨ ، ج ٤ ، ص ٤٥ ، ص ١٣٥ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٢ ، ص ١٤٢ .
- (١٠٢) الفتن ، ص ٢٠٣ ؛ مؤسسة المعارف الاسلامية ، معجم أحاديث الامام المهدي (عجل الله فرجه)، ونشر : مؤسسة المعارف الإسلامية، ط ٢، (قم، ١٤٢٨ هـ)، ج ٢ ، ص ٣٥٧ .
- (١٠٣) القطيفة جمعها القطن كساء مخمل وفرش مخملة ، ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١١ ، ص ٢٢٩ ؛ ولعل هذا الراعي وجد اغطيهم او خيهم لان الرواية تقول ياتي منزهم لعله مكان قد استقروا فيه للاستراحة فلم يجد سوى هذه الاغطية بعضها خسف به وبعضها على ظهر الأرض اي بقى ظاهراً مما يعطينا فكره انه الخسف هنا هو انشقاق الأرض بهم .
- (١٠٤) السيوطي ، الحاوي ، ج ٢ ، ص ٦٧ .
- (١٠٥) الطبري ، جامع البيان عن تأويل القرآن المعروف بتفسير الطبري ، تحقيق : عبدالله بن عبد المحسن التركي ، ط ١ ، دار هجر ، (القاهرة ، ٢٠٠١ م) ، ج ١٩ ، ص ٣١٠ .
- (١٠٦) السلمي ، عقد الدرر ، ص ١٥٨ - ١٦٤ ؛ الموسوي ، الحتميات من علائم الظهور ، ٢٢٢ - ٢٢٣ ؛ مؤسسة المعارف ، معجم أحاديث الإمام المهدي ، ج ٤ ، ص ١٣٣ - ١٤٠ ؛ وقد ورد في معجم أحاديث الإمام المهدي عشرات الروايات التي تتحدث عن الخسف بمخرجاتها لا يسع المقام للتطرق اليها هنا ، للمزيد ينظر : ج ٢ ، ص ٣٥١ - ٣٥٧ ، ص ٣٦٧ - ٣٦٧ ؛ ج ٤ ، ص ١١٩ - ١٣٢ ، ص ١٤٣ - ١٥٩ ، ص ٣٧٩ ، ص ٣٩٢ ، ص ٤٢٣ .

- (١٠٧) في رواية ان الذين ينجون من الخسف ثلاثة يحول الله وجوههم الى أقيمتهم، ينظر: النعماني، الغيبة، ص ٢٩٠ .
- (١٠٨) الحلي ، الحسن بن سليمان ، (من علماء القرن التاسع الهجري) ، مختصر بصائر الدرجات ، د . تحقيق ، ط ١ ، الناشر : المطبعة الحيدرية ، (النجف الأشرف ، ١٩٥٠ م) ، ص ١٨٥ ؛ البحراني ، عبدالله نور الله (من تلامذة العلامة المجلسي)، عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال في أحوال الإمام الحجة بن الحسن المهدي ، ط ١ ، الناشر : عطر عطرت ، (قم ، ١٤٣٢هـ)، ج ٥ ، ص ١٥ - ١٦ ، وللاطلاع على الرواية كاملة ينظر : مختصر بصائر الدرجات، ص ١٧٩ - ١٩٤ ؛ عوالم العلوم ، ج ٥ ، ص ٥ - ٨٢ .
- (١٠٩) ليست ظاهرة الخسف هذه الأولى من نوعها بل حصلت ظواهر خسف في الأمم السابقة منها ساخت الأرض وخسفت بقارون وأصحابه لما تأمر مع بني اسرائيل على موسى (عليه السلام) ليرموه بامرأة زانية حينها اوحى الله له : "مر الأرض بما شئت ، قال يا ارض خذيهم" ، وكذلك قوم لوط اهلكهم الله بان قلب الأرض عليها سافلها بجناح جبرائيل (عليه السلام) للمزيد ينظر : ابن الجوزي ، اي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ، (ت: ٥٩٧هـ / ١١٨٢م) ، المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٩٩٢م) ، ج ١ ، ص ٢٨٥ ، ص ٣٦٧ - ٣٦٨ ؛ وغيرها من الأمثلة كثير ذكرت في مصادر التاريخ العام عن تاريخ الأمم قبل الإسلام .
- (١١٠) زكاء الرجل يزكو اذا صلح وزكيته بالتثقل نسبة الى الزكاء وهو الصلاح ، ينظر : المقرئ ، المصباح المنير ، ص ٩٧ ؛ ويقول ابن منظور : "والزكاة من الصلاح ورجل تقي زكي اي زاك من قوم اتقياء ازكياء ..." ينظر : لسان العرب ، ج ٦ ، ص ٦٤ .
- (١١١) إكمال الدين ، ج ١ ، ص ٣١٣ .
- (١١٢) ابن شاذان ، مختصر اثبات الرجعة ، ص ٦٦ ؛ الطبرسي ، سيرة المعصومين ، ص ٤٤٧ ؛ الاربلي ، كشف الغمة ، ج ٣ ، ص ٣٤٣ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج ٥٢ ، ص ١٩٢ ؛ الكاظمي ، بشارة الإسلام ، ص ١٦٧ ؛ الأمين ، محسن ، أعيان الشيعة ، تحقيق : حسن الأمين ، د . ط ، دار التعارف ، (بيروت ، ١٩٨٣ م) ، ج ٢ ، ص ٨٠ ؛ الصدر ، موسوعة الامام المهدي ، (تاريخ الغيبة الكبرى) ، ج ٢ ، ص ٥٠٣ .
- (١١٣) أبي شيبه ، ابي بكر عبدالله بن محمد بن ابراهيم العبيسي ، (ت : ٢٣٥ هـ / ٨٤٩م) ، المصنف ، تحقيق : اسامة ابراهيم محمد ، ط ١ ، الناشر : مؤسسة الفاروق الحديث (القاهرة ، ٢٠٠٨م) ، ج ٨ ، ص ٦٧٩ ؛ السيوطي ، العرف الوردی ، ص ٥٢ .
- (١١٤) الطوسي ، الغيبة ، ص ٤٦٤ الراوندي ، الخرائج والجرائح ، ج ٣ ، ص ١١٥٤ .
- (١١٥) يقال مكة اسم المدينة وبكة اسم البيت اي ان موضع البيت بكة وموضع القرية يسمى مكة ، ومكة هو الحرم كله ، ينظر: الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ١٨١ - ١٨٢ ؛ لذا يمكن القول أن مدينة مكة هي كل الحرم والقرية المحيطة بها وبكة هو موضع البيت فالارجح في الرواية ان المدينة فيه هي المقصود منها مكة .
- (١١٦) الصدوق ، إكمال الدين ، ج ٢ ، ص ٣٢٥ .
- (١١٧) من المرجح انه هو نفسه النفس الزكية محمد بن الحسن كونه يقتل بين الركن والمقام وهو من نسل الهاشميين .

(١١٨) ولعله هو الرجل الذي اشير اليه انه يخرج في الكوفة بمجموعة من الضعفاء ويقتله امير جيش السفيناني في ما بين الحيرة والكوفة ، ينظر : النعماني ، الغيبة ، ص ٢٨٩ ؛ السلمي ، عقد الدرر ، ص ١٥٧ ؛ المجلسي ، بحار الانوار ، ج ٥٢ ، ص ٢٣٨ .

(١١٩) محمد الملقب هنا بالنفس الزكية هو من اعقاب الحسن المثنى ابن الحسن الزكي (عليه السلام) ولد سنة (١٠٠ هـ) وقتل سنة (١٤٥ هـ) في نصف رمضان وقيل في الخامس والعشرين من رجب وطبقت عليه بعض احاديث الرسول (صلى الله عليه وآله) حتى لقب بالمهدي وضمن البعض حينها انه هو المهدي وقيل انه قتل بأحجار الزيت وكانت حربه مع العباسيين مع أنصاره خارج المدينة ولما تفرق أصحابه قتل بالقرب من داره ، للمزيد ينظر : ابن عنبه ، جمال الدين احمد بن علي الحسيني (ت : ٨٢٨ هـ / ١٤٢٤م) ، عمدة الطالب في أنساب أبي طالب ، ط ١ ، منشورات مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ٢٠١٥م) ، ص ١٢١ - ١٢٣ .

(١٢٠) كشف الغمة ، ج ٣ ، ص ٢٥٥ ، ص ٢٥٩ ؛ ابن الصباغ ، الفصول المهمة ، ص ٢٩٠ ؛ الاربلي . (الاربلي يقول ان النفس الزكية غير محمد بن عبدالله) ؛ ويضع الصدر الروايات القائلة بخبر الفتى الهاشمي و محمد بن عبدالله بن الحسن وكذلك خبر نفس زكية الذي تدبح مع سبعين في الكوفة حيث يأخذها بالتحليل والمناقشة ويقول ان هؤلاء ليس هم المقصودين بروايات النفس الزكية التي تدح في مكة قبيل الظهور المقدس ويضع عدة قرائن تثبت رفعاً لاي اشتباه يحصل في ذلك بحسب الروايات لان النفس الزكية لا بد ان تدبح بين الركن والمقام وهذه الأسماء او المشار اليهم لا تنطبق مع تلك الروايات حول النفس الزكية المذبح قبل أيام من الظهور ، للمزيد ينظر : موسوعة الإمام المهدي ، (تاريخ الغيبة الكبرى) ، ج ٣ ، ص ٥٠٤ - ٥١١ ؛ وان ما يهم في الموضوع ان النفس الزكية المعني بأهمية الروايات هو من يكون بينه وبين القيام المقدس خمسة عشر ليلة .

(١٢١) النجفي ، سرور أهل الإيمان في علامات ظهور صاحب الزمان ، ص ٩٣ - ٩٥ ؛ بحار الانوار ، ج ٥٢ ، ص ٣٠٧ .
(١٢٢) قيل في معنى الضيعة في الأصل من الضياع ويقال مات ضيعة وضيعاً وضيعاً أي غير مفتقد ، ينظر : ابن منظور لسان العرب ، ج ١٠٦ ؛ ومن المحتمل أن هذا الرسول يأخذ معه أخيه عند ذهابه إلى مكة ويقتل هو وأخو ضيعة أي دون ان يدركهم احد في مكة او ينقذهم او يحاول إنقاذهم أو يفتقدهم وان أخيه يقتل في المدينة وهو في مكة وكلاهما من المحتمل يدعيان النفس الزكية كونهما من أصحاب القائم .

(١٢٣) الطوسي ، الغيبة ، ص ٤٦٤ ؛ المجلسي ، حار الأنوار ، ج ٥٢ ، ص ٢٠٧ .
(١٢٤) المفيد ، المسائل العشرة في الغيبة ، تحقيق : فارس حسون ، ط ١ ، الناشر : مكتبة دليل ، (مشهد ، ٢٠٠٦م) ، ص ١١٠ .
(١٢٥) الصدوق ، إكمال الدين ، ج ٢ ، ص ٥٨٣ .

(١٢٦) المفيد ، الإرشاد ، ص ٤٥٩ ؛ الطوسي ، الغيبة ، ص ٤٤٥ ؛ الطبرسي ، سيرة المعصومين ، ص ٤٤٢ ؛ الراوندي ، الخرائج والجرائح ، ج ٣ ، ص ١١٦٢ ؛ البراقي ، حسين احمد النجفي ، (ت : ١٣٣٢ هـ / ١٨٩٥م) ، تاريخ الكوفة ، تحقيق : ماجد احمد العطية ، ط ١ ، الناشر : المكتبة الحيدرية ، (قم ، ١٤٢٤ هـ) ، ص ١١٢ .

(١٢٧) من المرجح إنهم احدى القبائل التي يرجع نسبها الى قريش .
(١٢٨) النعماني ، الغيبة ، ص ٢٦٦ ؛ الامين ، أعيان الشيعة ، ج ٢ ، ص ٨٠ .

**اثر نقيب الطالبين في الجانب العقائدي
خلال عهد المغولي الايلخاني**

أ.د. عطا سلمان جاسم

رنا رسمي هاشم

جامعة واسط/ كلية التربية

اثر نقباء الطالبين في الجانب العقائدي خلال عهد المغولي الايلخاني

أ.د. عطا سلمان جاسم

رنا رسمي هاشم

المقدمة

تعد عهود تولية نقابة الطالبين في العصر المغولي الايلخاني من أهم الوثائق التاريخية التي تعكس صورة واضحة المعالم عن إحدى مؤسسات الدولة العباسية، وهي نقابة السادة الأشراف، التي تعد مؤسسة داعمة لجهود الخلافة العباسية في تنظيم ورعاية شؤون المجتمع الإسلامي، فقد استطاع النقباء خلال هذه المدة نشر المذهب الامامية بكل حرية حتى اعلان السلطان محمد خدابنده تشييعه سنة (٧٠٩هـ / ١٣٠٩م) وأتخذ عدة اجراءات لنشر المذهب الامامي الاثنى عشر في البلاط المغولي .

The impact of AL -Taalibiiyn syndics on the ideological side during the Ilkhanid Sultante

Abstract

The reigns of the Union of Talabians in the Mughal-Eilkhani era are among the most important historical documents that reflect a clear picture of one of the institutions of the Abbasid state, the Association of Gentlemen of the Guardians, which is an institution supporting the efforts of the Abbasid Caliphate in organizing and sponsoring the affairs of the Islamic community. The doctrine of the Imamate was free until the proclamation of Sultan Muhammad Khadabandah in the year 709 AH (1309 AD). He took several measures to spread the Twelfth Imamate doctrine in the Mughal court.

كان للنقباء الطالبين دور مهم ومؤثر في جانب العقيدة المذهبية التي تعد جزء من مسؤوليتهم الحفاظ على الدين ونصرتهم ومنع ارتكاب المأثم والمنكر، وانتهاك المحرمات^(١)، ولاسيما في نهاية الدولة العباسية شهد المجتمع الاسلامي نوعا من الحرية العقائدية واستمرت عند مجي المغول الايلخانيين التي اتبعت سياسة الحرية الدينية لجميع الطوائف، بدون استثناء ، فاخذ الناس بممارسة شعائهم وزيارة اضرحة الائمة عليهم السلام، مما شجع العلويين من نشر الفكر الشيعي الامامي الاثنى عشري بكل حرية من خلال مؤلفاتهم، ومناظرتهم، ومجالسهم، فهم: يشكلون احدى مكونات المجتمع وان مناطق تواجدهم لم تتغير عبر المدة الممتدة من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي حتى اواخر العصر الايلخاني^(٢)، ونتيجة للتطورات السياسية، والاجتماعية دخل المذهب الشيعي إلى مسرح

الاحداث^(٣)؛ لذا وجدوا الفرصة سانحة في الاقتراب من مركز السلطة الى جانب استرجاع مكانتهم ورد اعتبارهم، وتعيين الشخصيات البارزة منهم في مؤسسات الدولة .

١. النشاط المذهبي للنقباء في عهد الايلخانات غير المسلمين:

دخل المغول الى بغداد وانهوا على الخلافة العباسية ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م، واصبحت تحت سيطرتهم العديد من الاقاليم الاسلاميه، بدا يطرح على نفسه(هولاكو) هل يمكن غير المسلم ان يصبح قائدا للعالم الاسلامي ،فهو السؤال الذي تحول الى اهم اسباب اسلام هذه السلالة الحاكمة فيما بعد ^(٤)، لذلك طلب هولاكو من العلماء ان يفتون له ايهما افضل؟ السلطان الكافر العادل ام السلطان المسلم الجائر؟ فجمع العلماء بالمستنصرية بعد دخول بغداد سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م وامرهم ان يفتوا لكنهم أحجموا عن الجواب. وكان من بين الحاضرين السيد رضي الدين علي بن طاووس(ت ٦٦٤هـ / ١٢٦٤م)، فلما رأى احجامهم تناول الفتيا ووضع خطه فيها بتفضيل الكافر العادل على المسلم الجائر^(٥)، وهنا نتساءل هل يحتاج هولاكو الى فتوى لكي يحكم العالم ،ولماذا تصدر النقيب ابن طاووس على افتاء هذه الفتوة دون الاخرين ، وهل ظهرت رد فعل من العلماء على تلك الفتوة ؟

اراد هولاكو ان يحصل على مسوغ يبرر حكمه لبلاد المسلمين، وعلى رغم من انه لا يحتاج الى مبرر لحكم الاقاليم الاسلامية التي كانت تحت سلطته ونفوذه وقوته، لذا وجد النقيب رضي الدين علي بن طاووس ان حماية دماء المسلمين وبيضة الاسلام من مسؤوليته نتيجة ما شاهد عند دخول المغول العراق معبرا ذلك بقوله: "وقد قررت مع نفسي انني أصلي في كل يوم من مثل اليوم المذكور ركعتي الشكر للسلامة من ذلك المحذور"^(٦)، وقد استند في فتواه حديثا مرويا عن الرسول ﷺ من جوامع كلمة: "يبقى الملك بالعدل مع الكفر ولا يبقى بالجور مع الإيمان"^(٧) ، كما استند الى قول الامام الصادق عليه السلام: "عن أبي بكر الحضرمي قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : أهل الشام شرٌّ أم الروم ؟ فقال : إن الروم كفروا ولم يعادونا ، وإن أهل الشام كفروا وعادونا"^(٨)، وعبر هذه الاحاديث نجد رضي الدين علي بن طاووس لم يخرج عن الشريعة الاسلامية، واراد ان ينقذ المسلمين المضطهدين المسلوبين، ويحافظ على أبسط حقوقهم ،فعندما نتساءل أيهما تفضل : الحرية الدينية باسم الكفر، أو الاضطهاد الديني باسم الإسلام؟ ،وقد اوضح ابن طاووس ذلك حينما قال: "ملك الأرض زيدت رحمته ومعدلته"^(٩)، وشملتني فيه عنايته وظفرت فيه بالأمان والاحسان، وحقنت فيه دماؤنا، وحفظت فيه حرمانا وأطفالنا ونساؤنا، وسلم على أدينا ،خلق كثير من الأصدقاء والأسرة والاخوان"^(١٠)، وبذلك استطاع ابن طاووس ان يحافظ على دماء المسلمين واعراضهم لجميع الطوائف من دون استثناء ،كما نجد ان الفقهاء المعاصرين لابن طاووس لم يواجهوا اي انتقادات لتلك الفتوى ومنهم ابن الابري البغدادي^(١١) (ت ٦٦٧هـ / ١٢٦٧م)، ونورالدين العبدلياني^(١٢) (ت ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م) ، سراج

الدين الشرمساجي^(١٣) (٦٦٩هـ/١٢٧٠م)، وعماد الدين المرندي^(١٤) (٦٨٠هـ/١٢٨١م) وظهر الدين البخاري^(١٥) (٦٨٣هـ/١٢٨٤م)، ووذو الفقار القرشي^(١٦) (٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، إن الأهم من ذلك نجد ابن تيمية^(١٧) الذي كان ناصبي العداء لاهل البيت واتباعهم لم ينتقد تلك الفتوة في مصنفاته^(١٨) بل لديه فتوة ما تؤكد على العدل وإن كان كافراً فيقول: "وامور الناس تستقيم في الدنيا مع العدل ... أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق ...؛ ولهذا قيل: إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة ؛ ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة. ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والاسلام"^(١٩) وهذا دليل ايجابي على ان تلك الفتوى انقذت الاسلام والمسلمين من الدمار، والقتل، كما نلاحظ ان المصنفين لم يذكروا هذه الفتوى ماعدا ابن الطقطقا حتى لا تعد نقطة ايجابية لابن طاووس لدوره المتميز في الحفاظ على الناس، وهذا ليس بجديد عليه، عندما حاول انقاذ الخلافة العباسية من سقوط وطلب من الخليفة المستنصر بالله بالتفاوض مع المغول^(٢٠).

واخذ النقباء خلال القرن السابع والثامن الهجريين/الثاني والثالث عشر بتأليف كتب التي تختص العقيدة الامامية وترد على من يناقض الحقائق ومكانة اهل بيت النبوة^(٢١)، وهذا بخلاف العهود السابقة، فقد كان النقباء آنذاك يمنعون النقاش في امور كانت محطاً للخلاف ومنها:

- منع في الخوض بآل النبي ﷺ واطهار العصبية التي في نظرهم تزحج عن الحق من ناصية وتستند على مغالات ذوي الجهل ، وهذا يؤدي الى نشوب الفتن بين اهل الدين^(٢٢)، وإن تلك المجادلات في ال الرسول واصحابه تترك العصبية ، ولاسيما لا يوجد النص يبين الافضلية بينهما حتى يقال هذا امام وهذا مأموم، في حين نزلت آيات قرآنية تبين منزلتهم ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٢٣).

- القيام بنهيبهم عن بث افكارهم بمنطق العلم والقوة ،ومنع قول حي على خير العمل، وذكر لك بالقول: " وخوفهم من قوارعك مواقع كل سهم ،فما دعي ، بحي على خير العمل - الى خير من الكتاب والسنة والاجماع"^(٢٤).

- ازالته البدع التي ينسب إليها أهل الغلو في ولأئهم.
- عدم اعتزال، أو الميل إلى الزيدية، وذكر احداث يوم السقيفة والجمال ،ومن يقول: "عبد شمس قد أوقدت لبني هاشم نارا، أو تقلت من عقال العقل في اشتراط العصمة في الإمام"^(٢٥).
- استخدام القوة في قمع تلك الحالات بضرب القاطع، ونهيا قامعا^(٢٦) اذا مارسها احد.

ويتبين ان السلطة الحاكمة كانت ترفض الكلام بتلك المسائل وايضاح الحقائق بالأدلة العقلية والنقلية لأنها تعدها من المغالات^(٢٧)، وتجدر الاشارة القول بان الفكر الشيعي الامامي يرفض الغلو ويحاربه بكل الطرق لأنه مذهب بسير على نهج نبي محمد ﷺ واهل بيته ﷺ، اذ قال الرسول محمد ﷺ: " يا أيها الناس ! إياكم والغلو في الدين، فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين"^(٢٨).

ونجد ان الفرق الاسلامية يعدون هنالك علاقة وطيدة بين الغلو والشيعية وهذا غير صحيح لانهم ارادوا ان يتخذوا من التشيع ستارا ومن حب آل البيت وسيلة الى نشر افكارهم المنحرفة وعقائدهم الباطلة، فيقول احمد امين: "والحق ان التشيع كان مأوى يلجا اليه كل من اراد هدم الاسلام لعداوة او حقد، ومن كان يريد ادخال تعاليم ابائه من يهودية ونصرانية وزردشتية وهندية، ومن كان يريد استقلال بلاده والخروج على مملكته، وكل هؤلاء كانوا يتخذون حب اهل البيت ستارا يضعون وراءه كل ما شاءت اهوؤهم" (٢٩).

٢- النشاط المذهبي للنقباء في عهد الايلخانات المسلمين:

اعلن محمود غازان اسلامه (٣٠) سنة ٦٩٤هـ / ١٢٩٥م (٣١)، واخذ ينظر إلى العلويين باحترام وقُدسية ويفضل مذهب آل البيت (عليه السلام) على جميع المذاهب الاخرى (٣٢)، وقد صار لبس العمامة اللباس الرسمي للسلطان (٣٣)، وأمر بالإشارة الى اسماء العلويين في صدر السجلات الرسمية، ثم تأتي بعدها اسماء امراء واميرات العائلة الايلخانية الحاكمة نفسها (٣٤)، وبذلك اصبح النقباء يتمتعون بمكانة عالية عند السلاطين وبرز دورهم المذهبي اكثر في عهد السلطان محمد خدابنده الذي تولى العرش الايلخاني بعد وفاة اخيه السلطان محمود غازان (٣٥) سنة ٧٠٣هـ / ١٣٠٤م (٣٦)، وكان يميل الى المذهب الشيعي الامامي لكنه بانتظار الفرص التي تؤكد له احقية على المذاهب الاخر (٣٧). ومن هنا جاء دور الشخصيات الشيعية من اجل تقربه الى المذهب الامامي الاثني عشري وهي:

- الأمير طرمطار (٣٨) أحد أمراء المغول الذي كان له اثر مهم في إقناع السلطان محمد خدابنده باعتراف المذهب الشيعي، فقال: "له إن السلطان غازان كان من أعقل الناس وأكملهم وأنه مال إلى مذهب التشيع ولا بد أن يختاره السلطان فالأحسن أن يقتدي خليفته به" (٣٩)، وأخذ يوضح له وضرب له مثالا في مفهوم السلطة عند اهل العامة وقال: له إن الشيعة هم الذين يرون أن الملك بعد جنكيز خان يظل في أسرته، أما العامة فيرون أن السلطان بعد جنكيزخان لأمرء القراجو وهم أقرباء جنكيز خان (٤٠)، فنجد انه اتبع العامل السياسي لميل السلطان لمذهبه بعدما رفض في البداية، لأن اخبره بانه يسمى بالرفض (٤١) وهذا ما يطلقه عليه المذاهب الاخرى، فغضب عليه وقال له: ايها الشقي، تريد ان تجعلني رافضيا (٤٢)، ولكنه حاول ان يعيد ثقة السلطان بالمذهب الشيعي من خلال ذكر محاسنه له .

- تاج الدين الاوي الذي يمثل احد كبار زعماء الشيعة الامامية وصل الى السلطان محمد خدابنده على راس الوفود خلال هذه المدة التي يعيش فيها السلطان فراغاً دينياً (٤٣)؛ ويمكن القول هناك ثلاث نقاط قد تكون سببا للزيارة وهي: ان وصول تاج الدين الاوي الى البلاط المغولي بدعوة من الامير طرمطار لبيان المذهب الشيعي وأحقية على المذاهب الاخر، او مجيئه الى البلاط المغولي برغبة منه مع مجموعة من علماء الشيعة لتعريف السلطان على علومهم وفكرهم الشيعي، او لزيارة اصيل

الدين الطوسي المسؤول عن الاوقاف^(٤٤)، وحين وصوله جرت مناظرة مع نظام الدين المراغي بحضور السلطان وكانت مناظرتهم بمثابة المقدمة للمناظرة الكبيرة التي وقعت فيما بعد، وقد عجب السلطان بتاج الدين الاوي الذي استطاع التغلب على مناظريه من المذاهب الاخرى، وعندما اراد تاج الدين الاوي العودة طلب من الايلخان محمد خدابنده زيارة العراق ، وتم ذلك عام (٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م) حيث عزم السلطان السفر إلى بغداد وهناك التقى بشخصيات شيعية، وقد يكون من بينهم تاج الدين الاوي واخذوا يحثونه لزيارة قبر أمير المؤمنين عليه السلام لبيان مكانته ومنزلته والتعرف على وصي الرسول ﷺ وابن عمه، وعند القبر رأى مناما يدل على احقية مذهب الإمامية ، فعرض السلطان ما رآه في المنام على الأمراء ، فشجعه عدد من رجال الشيعة المتواجدين في البلاد على اعتناق المذهب^(٤٥).

- العلامة الحلي ، ويشير ابن بطوطة بانه كان السبب في تشيع السلطان خدابنده^(٤٦)، والباعث القوي لتشييعه فهو الذي وضع للسلطان مذهب الشيعة^(٤٧) ودفعه إلى اعتناقه بعد حادثة وقعت للسلطان لم يستطيع الفقهاء من المذاهب الاخرى حلها^(٤٨) ، ولا سيما انه شخصية معروفة بعلمها وفكرها وفقهها، وهذا ما شهد له علماء عصره ، فأرسل اليه واستطاع ان يحل تلك المشكلة الشرعية التي وقع به السلطان، من هنا بدأ ميل محمد خدابنده نحو المذهب الشيعي الإمامي ولكي يقنع الآخرين بأفضليته وعلان المذهب الرسمي للدولة ، أمر بإجراء مناظرة بين المذاهب فحضر العلامة الحلي وولده فخر المحققين^(٤٩) ، ثم أمر السلطان نظام الدين المراغي أن يناظر العلامة مع عدد من العلماء والفضلاء من العامة فناظرهم العلامة وأثبت عليهم بالبراهين ضعف حجتهم وحقيقة مذهب الأمامية، وعند ذلك أقر نظام الدين بقوة الأدلة وكان يحترمه كثيراً ويبالغ في تعظيمه^(٥٠) .

ومن خلال دراستنا للشخصيات الثلاث نجد ان لهم الاثر في تشيع السلطان فان امير طرمطار الذي كان يمتلك مكانه متميزة في البلاط المغولي، وهو الذي حث السلطان على اعتناق المذهب الشيعي ، ووصول الواعظ والعالم تاج الدين الاوي وقيامه بالمناظرة ودعوة السلطان لزيارة العراق واللقاء بعلماء وفقهاء الشيعة الذين شجعوا على زيارة قبر امير المؤمنين عليه السلام ، ثم تأتي شخصية العلامة الحلي الذي سبب من خلاله تشيع السلطان وأصدر مرسوماً ينص على "... إن النبي ﷺ لم يأمرنا بذكر أسم أبي بكر وعمر بعد صلاة الجمعة ، بل أوصى بالقرآن والعتره فاذكروهم في خطبة الجمعة"^(٥١) وهكذا أصبح المذهب الشيعي مذهب الدولة الرسمي^(٥٢)، فكان هناك من اعتنق المذهب مجاملة للسلطان، ومنهم من مال إليه لضعف عقيدته ومنهم من ركن إليه فطرياً^(٥٣)، ومدح الشاعر ابن الحسام^(٥٤) السلطان عند اعلان تشييعه قائلاً^(٥٥):

اهدى إلى ملك الملوك دعائي وأخصه بمدائي وثنائي
وإذا الورى والوا ملوكا غيره جهلا ففيه عقيدتي وولائي
هذا خدابندا محمد الذي ساد الملوك بدولة غراء

فضلا عن ذلك هنالك عوامل عدة مهدت لتشيع السلطان منها :

١. زيارة النقيب علي بن علي بن طاووس ومكانته وعلاقته مع السلطان محمد خدابنده، اذ زاره النقيب سنة ٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م^(٥٦)، وبقي عنده حتى ٧٠٥هـ/ ١٣٠٥م^(٥٧).

٢. فتح ولاية جيلان^(٥٨) سنة ٧٠٦هـ/ ١٣٠٧م وتعد احدى مراكز التشيع في ايران، وعندما نقل العاصمة من تبريز إلى السلطانية^(٥٩)، واصبحت هذه المدينة على طريق جيلان وعراق العجم، حيث يعيش غالبية اتباع المذهب الشيعي فيها^(٦٠).

٣. الأرضية التي هيأها السلطان غازان من خلال الاهتمام بالعلويين وقيامه بالأعمال الخيرية لهم، وميله للطالبين اثر على السلطان خدابنده، اضافة الى دور اصيل الدين الطوسي الذي كان عالما وشخصية بارزة في عهد غازان خدابنده^(٦١)، وهذا لا يستبعد حدوث محاورات بينهما حول مذهب الامامية، ومن هنا يمكن القول: ان السلطان خدابنده كان ينتظر فرصه لبيان افضلية التشيع الإمامي على المذاهب الاخرى، لذلك طلب بإجراء مناظرات بين علماء المذاهب، وبدا السلطان محمد خدابنده بمجموعة من الإجراءات من أجل إشاعة مذهبه الجديد، إذ قام بحذف أسماء الخلفاء الراشدين من الخطبة ومن النقود والاقتصار على ذكر اسم الإمام علي عليه السلام والأئمة الاثني عشرية^(٦٢)، ونقش عبارة (علي ولي الله) على النقود^(٦٣)، وذكر عبارة (حي على خير العمل) في الصلاة^(٦٤)، كما استمر الاهتمام بدور السيادة التي انشأت في عهد اخيه غازان في عدد من المناطق ولاسيما العراق^(٦٥)، وبعدها كتب إلى باقي المناطق يعلن اعتناقه لمذهب آل البيت الأمر الذي أدى حدوث ردات فعل عنيفة من المذاهب الاخرى، وقاموا بتحريض الناس في عدد من المدن منها شيراز واصفهان^(٦٦) وبغداد^(٦٧)، اذ امتنع أهل باب الازج وكانت غالبيتهم على المذهب السني الحنبلي عن تنفيذ اوامر السلطان باسقاط أسماء الخلفاء من الخطبة ولا يذكر إلا اسم علي عليه السلام، فخاف الخطيب من القتل، وخطب الخطبة المعتادة^(٦٨).

وبعدها عين تاج الدين الاوي نقيبا على جميع الممالك باسرها (العراق والري وخراسان وفارس وسائر ممالكه)^(٦٩)، وصارت له الكلمة النافذة وجدّ في نشر المذهب بكل حرية وسانده الوزير سعد الدين الساوجي ما كان يقوم به من خطوات لترويج المذهب ومنها :

١. تعيين ابنه شمس الدين حسين (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م) نقيبا على العراق بنبابة عنه نظرا لسعة منصبه لنقابة الطالبين حتى يستطيع ادارة امور الطالبين^(٧٠).

٢. بعدما فوضت اليه الاهتمام بالمراقد والمزارات بحكم برليغ الى جانب النقابة (٧١) التي تعد ضمن مسؤولية الطالبين، اخذ الاهتمام بمسجد النخيلية (٧٢) (ذو الكفل) (٧٣) حيث بنى فيه منبراً واسس محراباً، وليس هذا فقط بل منع اليهود الدخول الى المسجد من الباب الرئيسي و اشار عليهم بضرورة استخدام الباب الغربي للمقام وهو المدخل الاساسي لمرقد النبي ذي الكفل مما دفعهم الى الحقد عليه والانتقام ، ثم قتله بالاشتراك مع الوزير رشيد الدين الذي اوهم السلطان ان الذي قتلوه هم العلويين.

٣. امر تاج الدين الاوي بإقامة صلاة الجمعة والجماعة فيه رافضاً العزوف عن ممارسة هذا الواجب بذرائع مختلفة من قبيل لايحوز اقامة صلاة الجماعة بغياب الامام المعصوم وهو ما كان دارجا عند بعض من المذهب الشيعي (٧٤)، الا ان اليهود يعتبرون هذا الموضع ملكاً لهم لوجود قبر احد الانبياء وهو يهودا بن يعقوب عليه السلام، فضلاً عن دفن موتاهم فيها، وان عنصريتهم لعقيدتهم هي سبب تدميرهم، وهذا ما كان يحدث حتى في زمن الرسول محمد صلى الله عليه وآله حينما هاجر الى المدينة وكتب الوثيقة وجعلهم جزء من المجتمع المدني، فاخذوا يتامرون على الاسلام حتى طردهم الرسول محمد صلى الله عليه وآله من المدينة (٧٥)، ان ما فعله النقيب تاج الدين الاوي هو امرهم بالدخول الى جانب الغربي (٧٦) من المسجد لسهولة دخولهم الى قبر النبي ذي الكفل ويحملون اليه النذور وزيارة موتاهم دون الدخول من الباب الرئيسي للمحارب لمكانته وقديسيته (٧٧) .

اما كراهية الوزير رشيد الدين فضل الله للنقيب تاج الدين الاوي الذي اخذ يخطط للتخلص منه والسبب في ذلك ان الدولة المغولية في عهد السلطان محمد خدابنده (٧٠٣ - ٧١٦ هـ / ١٣٠٤ - ١٣١٦ م) اصبحت شيعية امامية، وهذا يضر بمصالح الشافعية سياسياً، ودليل عندما اسلام السلطان محمد خدابنده على المذهب الحنفي واصبحت لهم السلطة والمكان ، اخذ الوزير يبحث عن فرصة حتى ناظرهم بحضور الشيخ نظام الدين المراغي وتغلب عليهم ؛ استغل الوزير العثرات التي وقع فيها ابنه شمس الدين حسين الذي اساء التصرف ، فاستمال الوزير عدداً من الأشراف ورفع الى السلطان طائفة من الإشاعات البغيضة التي من شأنها أن تحط من قدر تاج الدين وأولاده ومنها طعن الوزير رشيد الدين الهمذاني بنسب تاج الدين وانه ليس علويًا من خلال مناظرته فقال رشيد الدين الهمذاني من يشهد لك انك علوي ، فقال له (تاج الدين) هذه شجرة النسب، فأخذها منه وقال دعها عندي ليلة لا تأكد منها فحذف اسمه منها ثم عرضها على السلطان وبين له انه ليس سيذا حتى يوافق على قتله (٧٨) ، يبدو ان السلطان محمد خدابنده لم يقتنع به لوجود عدة شخصيات طالبية منهم اصيل الدين الطوسي والعلامة الحلي، فضلاً عن علاقته بالنقيب رضي الدين علي بن علي بن طاووس، وهؤلاء كان لهم علم بالأنساب فكان لا بد ان يتأكد منهم ، كما ان رشيد الدين أشار عليه بترك محاكمة تاج الدين للعلويين أنفسهم (٧٩) فلو صدق السلطان بانه ليس علويًا لما اقترح عليه ان تكون محاكمته بيد العلويين حتى يبعد عنه الشكاية والتشنيع (٨٠)، تحرك الوزير لتنفيذ المخطط المرسوم وأخذ يعرض على

بعض السادة العلويين منصب النقابة مشترطاً البدء بالتخلص من وجود السيد تاج الدين الاوي ، لكن الكثير منهم رفضوا القيام بهذه المهمة فطلب الوزير رشيد الدين من أحد العلويين وهو جلال الدين بن الفقيه بأن يقتل تاج الدين وولديه على أن يكافئه على ذلك بأن يسند إليه مناصب نقيب العراق وقاضيهما وصدرها ، لكنه فزع من ارتكاب هذه الجريمة وأعلن أن لا يقبل مطلقاً أنه يغتال شخص من سلالة علي عليه السلام ، ولم تمض الليلة نفسها حتى هرب إلى الحلة، وعرض نفس الشيء على محمد بن ابي الفائز (٨١) الموسوي الحائري (٨٢) ، لكنه رفض، وقال: "الذي جبنني ، وارعد فرائضي ... بقتل هؤلاء السادة ما ذكرت من العز الذي لا يحاول ... وهذا ايها الوزير يجبن اسد الاسود ان كان يؤمن بالله ورسوله واليوم الموعود" (٨٣) وعاد الى الحائر ليلاً، ثم استدعى رشيد الدين تاج الدين إبراهيم بن مختار وكان قد قرب إليه وغمره بنعمه فأصبح متقانياً في خدمته ووعدته بتوليته منصب نقيب العراق (٨٤)، وعرض عليه الامر فقبل هذا وقدم على التنفيذ بمساعدة شرطة الوزير فتم إخراج السيد تاج الدين وولديه شرف الدين علي وشمس الدين حسين من منطقة الكفل وإبعاده الى منطقة نائية عنها تقع شرق دجلة وعلى وجه التحديد واسط فقتلوا ولديه أمامه بناءً على أمر الوزير إمعاناً بالقسوة (٨٥)، ثم قتل السيد تاج الدين الاوي ومثلوا بهم (٨٦).

وعندما نتساءل عن الجرم الذي قام به تاج الدين الاوي ليقتل بهذه الصور البشعة، هل صحيح انه ارتكب المعاصي ونهب اموال الاوقاف التي كانت في حوزته مستغلاً منصبه ومكانته عند السلطان حسب ما تذكر المصادر الفارسية (٨٧) وهي:

١. استولى على مبلغ ٣٠٠٠٠٠٠ دينار من اموال السادات والطوائف الاخرى وذلك عن طريق السلب والنهب .

٢. دأب على ايقاع زوجات رجال الشيعة في حبائله

٣. ارتكب حوادث قتل كثيرة.

يجب ان نشير ان التهم كانت موجه لابنه النقيب شمس الدين حسين وليس للنقيب تاج الدين الاوي الذي راح ضحية ابنه ان ثبت جرمه، وقد ذكر هذا الاتهامات عبدالله بن فضل الله (ت ٧٣٥هـ/ ١٣٣٥م) مؤلف كتاب تاريخ وصاف حضره الذي تربطه علاقة حميمة مع الوزير رشيد الدين الهمداني وكان يغدق عليه الاموال (٨٨)، بينما نجد القاشاني (ت ٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م) مؤلف كتاب تاريخ اولجايتو لم يذكر تلك الاتهامات، اضافة الى حادثة مقتل الوزير الساجي (٨٩) سنة ٧١١هـ/ ١٣١٢م الذي قتل بأمر من السلطان بعدما اتهم باختلاس اموال الدولة واجريت له محاكمة بحضور السلطان وفقهاء وقضاة وشخصيات اخرى من ذوي المقامات العليا التي اشار اليها الوزير رشيد الدين الهمداني (٩٠)، التي اختلفت الآراء اذ وجهت اصابع الاتهام الى النقيب تاج الدين الاوي الذي اخبر السلطان محمد وتوطأ على قتله (٩١)، بينما يشار ان الوزير الساجي والنقيب الاوي قد اتفقا

على تخلص من الوزير رشيد الدين الهمذاني^(٩٢) لكنهم فشلوا بالقضاء عليه، ولاسيما بعد ظهور منافس جديد وهو علي شاه الجيلاني^(٩٣) الذي اصبحت له مكانة وسلطة عند السلطان محمد خدابنده والوزير رشيد الدين الهمذاني، وكان علي شاه رجلاً ماهراً مكرراً سرعان^(٩٤) ما استطاع ان يتغلب على سعد الدين الساوجي الذي قتل مع عدد من عماله^(٩٥) في قرية المحول^(٩٦) وعين مكانه وزيراً، ثم اخذ بدسائسه ومؤامراته لرشيد الدين الهمذاني حتى قتل سنة ٧١٨هـ / ١٣١٨م^(٩٧).

يتضح ان التنافس على السلطة جعل العامل السياسي يتغلب على العقيدية المذهبية، دس المؤامرات من اجل الاستحواذ على السلطة، فضلاً عن الاصلاحات التي قام بها السيد تاج الدين الاوي، الامر الذي جعل المغرضين يطعنون به، كما ان هنالك مساله اخرى ان محكمة النقيب تمت في دار الشاطبة بحضور كبار الامراء وقاضي القضاة الحنابلة^(٩٨)، ثم سلم مع ولديه الى السادات مشهد المقدسة (ويقصد به المشهد الكاظمي) بأمر الشاه^(٩٩) اذ كانت المحكمة بين السادة فيما يفسر بوجود قاضي حنبلي الذي يقبل بقتل تاج الدين واولاده بهذه القسوة؛ وبمقتل تلك الشخصيات الشيعية امسكوا اهل السنة مقاليد الامور مرة اخرى^(١٠٠).

اما ردة فعل السلطان فانه غضب غضباً شديداً على فقدانه، لكن وزيره أوهمه إن جميع السادات بالعراق اتفقوا على قتله^(١٠١)، فامر السلطان بقاضي الحنابلة ان يصلب لان الحنابلة تشفوا به، ثم عفا عنه بشفاعه جماعة من أرباب الدولة، فامر ان يشهر به على حمار أعمى مقلوباً ويطوف به في أسواق بغداد وشوارعها وامر لا يكون من الحنابلة قاضياً بعدها^(١٠٢)، وهذا يدل ان اهل السنة لهم دوراً في تحريض وقتل النقيب تاج الدين الاوي، ثم عزم على تخليد ذكره بإقامة بناء المئذنة ليزين المسجد بمنارته ومحاربه ومنبره، وهو الأمر الذي جعل المنارة أثراً خلد فيه النقيب تاج الدين، وتم الانتهاء من هذه المنارة وتشييدها عام ٧١٦هـ / ١٣١٦م^(١٠٣)، ولم تستمر المكانة الشيعية في البلاط المغولي، فبعد وفاة السلطان محمد خدابنده سنة ٧١٦هـ / ١٣١٦م، واعتلاء ابنه بو سعيد بهادرخان (٧١٦ - ٧٣٦هـ / ١٣١٦ - ١٣٣٥م)^(١٠٤) مدة الحكم امر، بإلغاء جميع اوامر والده، وإعادة مذهب اهل السنة مذهباً رسمياً للدولة^(١٠٥)، الا ان النقابة بقيت مستمرة حتى بعد سقوط الدولة الايلخانية سنة ٧٣٨هـ / ١٣٣٧م.

الخاتمة :

مثل الحكم الجديد أي المغول الايلخاني اطلالة كبيرة على نافذة الحرية الدينية والمذهبية الامر الذي أتاح للشيعه عامة والنقابة الطالبية بوصفها تشكيلاً شيعياً فرصة التحرك بكل حرية والخروج الى العلن وصارت لهم مشاركة فاعلة في السلطة وبدأوا يفصحوا جهاراً بحقوقهم المغتصبه في مجالسهم ومناظراتهم ومن

خلال مؤلفاتهم عبر عناوين كانت الامامة تتصدرها، في وقت كان اكبر أطراف الشيعة ونعني بهم الامامية الاثنا عشرية التي تعد النقابة جزءا منهم يتسترون تحت رداء التقية ليقوا أنفسهم مضرة اعدائهم العباسيين، تعد تلك الفرصة في التقديرات التاريخية ذهبية بكل المقاييس، لان في هذه المدة تنفس العلويون الصعداء بشكل لم يعهدوه طوال تاريخهم، فقد اصدر رضي الدين علي بن طاووس (ت ٦٦٤هـ/١٢٦٥م) في عهد المغول الفتوى المشهور بتفضيل الحاكم الكافر على المسلم الجائر بحضور العلماء للحفاظ على دماء المسلمين دون ان تواجه اعتراض من الآخرين، ثم استمروا في نشر الفكر الشيعي حتى نهاية الحكم المغولي .

الهوامش :

١. الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٩٧.
٢. خصباك ، العراق في عهد المغول، ص ١٧٨؛ بياني ، دين ودولت ، ص ٦١٩-٦٢٤.
٣. جعفریان ، الشيعة في إيران ، ص ٤٨٥ ؛ بياني ، المغول ، ص ٣٥٥ .
٤. ابن الطقطقا، الفخري في الاداب السلطانية، ص ٢٠.
٥. ابن طاووس ، اقبال الاعمال ، ج ٣ ، ص ٩٥.
٦. زين العابدين ، شرح رسالة الحقوق ، ص ٣٨٥؛ السبزواري ، معارج اليقين ، ص ٣٢٧
٧. الكليني ، الاصول من الكافي ، ج ٢ ، ص ٤١٠ ، ان الامام الصادق عليه السلام يحتفل ذكر هذا الحديث في زمن بني أمية ، وأهل الشام ، من بني أمية وأتباعهم ، كانوا يكرهون اهل البيت ويسبون الامام علي [وهذا ما لم يفعلون الروم على رغم من الحروب التي كانت بينهم ، ونشير ان كفر هنا بعدم طاعة اوامر سبحانه وتعالى، فان ابليس قد كفر؛ فكفره كان جحود خليفة الله آدم]، ولم يكن كفره بجحود الذات الإلهية ، ولا بجحود المعاد، ولا بجحود شريعة الله تعالى، فقد كان يتعبد، ينظر: السند، الصحابة بين العدالة والعصمة، ص ٣٥١.
٨. قد ينتقد ابن طاووس على وصف هولاء بانه كان عادلا ذو رحمة ، وكيف يتصف بتلك الصفات وهو قتل ودمر وخرب ، ولا سيما لعدم الخضوع لهم ، ثم يتركون ادارة البلد من قبل ابناء البلد وهذا ما فعله بعد احتلال بغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، فضلا عن السياسة التي اتبعها مع العلماء والفضلاء بالتكريم والعطف، ولا سيما مع علماء المذهب الشيعي الذين وجدوا منفس في التعبير عن طقوسهم الدينية بكل حرية ، ومع ذلك هذا لا ينفي ما قام به من دمار وقتل ، اضافة الى ان ابن الفوطي الذي كان احد المعاصرين لدخول المغول لبغداد حيث قال عن هولاء : "يشفق على رعيته ويأمر بالإحسان اليهم والتخفيف عنهم" ، ينظر : الحوادث الجامعة ، ص ٢٥٣.
٩. اقبال الاعمال ، ج ٣ ، ص ٩٨.
١٠. هو كمال الدين محمد بن محمد بن عبد الخالق ، كان فقيها ومدرسا للمذهب الحنفي في المدرسة المستنصرية، وظل مدرسا بعد احتلال المغول للعراق حتى وفاته ، ودفن بالخيزرانية، ينظر: القرشي ، الجواهر المضية ، ج ٢ ، ص ٣٨٩.
١١. هو عبد الرحمن بن عمر بن أبي القاسم البصري الحنبلي ، ولد في قرية عبدليا من نواحي البصرة ، وكان فقيه ومفسر ، فتولى الافتاء في البصرة سنة ٦٤٨هـ/١٢٤٩م وبعدها رحل إلى بغداد سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٨م، ففوض إليه التدريس

للحنابلة في المدرسة البشيرية ، ثم بالمدرسة المستنصرية ، ينظر: ابن رجب الحنبلي، الذيل على طبقات الحنابلة

ج٤، ص١٩٤-١٩٥

١٢. هو عبدالله بن عبد الرحمن بن عمر المصري ،ولد في قرية شارمساح ، ثم قدم بغداد في زمن الخليفة المستنصر بالله ،ورتب لتدريس المالكية بالمدرسة المستنصرية حتى وفاته، ينظر: ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة ، ص٧٨، ص٢٦١.

١٣. هو محمد بن الاشراف ذي الفقار بن ابي جعفر محمد ابي الصمصام ،الفقيه الشافعي درس ببغداد بالمستنصرية ،ثم بواسطة في مدرسة إقبال الشرايبي ،وبعدها عاد ودرس بالمستنصرية الى ان توفي ،ودفن عند مشهد الإمام الكاظم [ؑ]،ينظر: السيوطي، بغية الوعاة ،ج١، ص٥٦٥؛ معروف ، تاريخ علماء المستنصرية ،ص١٢٦-١٢٧.

١٤. هو محمد بن عمر بن محمد النوجا بأذي نسبة الى احد قرى بخارى ،وكان فقيها وعالما وعارفا بالمذهب الحنفي ،وصنف عدد الكتب منها كشف الاسرار في أصول الفقه وكشف الابهام لدفع الاوهام ،ينظر: ابو الوفاء القرشي ،الجواهر المضية ،ج٢، ص٣٥٣ ؛ اللجنة العلمية ، موسوعة طبقات الفقهاء ، ج٧، ص٢٣٩.

١٥. هو ذو الفقار بن محمد بن ارشرف بن ابي جعفر محمد الشافعي ،ولد في قرية بخوي من اذربيجان سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٤م ،ثم انتقل الى بغداد واخذ يدرس بالمدرسة المستنصرية ،وعندما توفي دفن في مشهد الامام الكاظم [ؑ]،ينظر: الذهبي ،تاريخ الاسلام ،ج٥١، ص٢١٧؛ السيوطي ،بغية الوعاة ،ج١، ص٥٦٥.

١٦. هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي الحنبلي ،الفقيه، المفسر، والمحدث الملقب بـ شيخ الاسلام ، ولد في حران وانتقل إلى دمشق وأفتى ودرس وهو دون العشرين، وتلمذ على يده العديد من العلماء مثل الذهبي وابن كثير وغيرهم ، ونتيجة فتاويه حبس مدة في مصر، ثم نُقل إلى الإسكندرية وأُطلق سراحه، فسافر إلى دمشق واعتُقل بها سنة ٧٢٠هـ/١٣٢١م وأُطلق ، ثم أُعيد في سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٧م، فلم يزل محبوساً بقلعة دمشق إلى أن مات سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٩م، ومن اثاره: السياسة الشرعية و منهاج السنة ،والفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان ،ينظر: الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج٧، ص١١ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية ،ج١٣، ص٢٨٠، ج١٤، ص١٥٦.

١٧. نجد ابن تيمية الذي اتهم ابن العلقمي ونصير الدين الطوسي بالخيانة ومساعدة المغول وذكرهم بمؤلفات حينما قال: "التتار لما دخلوا بلاد الاسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك المسلمين لا بمعاونتهم ومؤازرتهم؛ فان منجم هولاء الذي كان وزيرهم وهو النصير الطوسي كان وزيرا بالموت ، وهو الذي امر بقتل الخليفة وبولاية هؤلاء ... كان هذا منجما مشيرا لملك الترك المشركين هولاء اشار عليه بقتل الخليفة وقتل اهل العلم والدين ، واستبقاء اهل الصناعات والتجارات الذين ينفعونه في الدنيا ، وانه استولى على الوقف الذي للمسلمين ، وكان يعطي منه ما شاء الله لعلماء المشركين وشيوخهم من البخشية ، السحرة ، وامثالهم ، وانه لما بنى الرصد الذي بمراغة على طريقة الصابئة المشركين ..."، ينظر: ابن تيمية، منهاج السنة، ج٣، ص٤٤٥-٤٤٦؛ الفتاوى الكبرى ، ج٣، ص٥٠٧، ج٢٨، ص١٤٦.

١٨. مجموعة الفتاوى ، ج٢٨، ص١٤٦.

١٩. مجموعة الفتاوى ، ج٢٨، ص١٤٦

٢٠. ابن طاووس ، كشف المحجة ، ص١٤٦-١٤٨

٢١. ابن الاثير المثل السائر ، ج١، ص٢٣٠

٢٢. المقدسي ، رسائل ابن الاثير ، ص١٣٨.

٢٣. سورة الاحزاب : اية ٣٣

٢٤. العمري ، التعريف بالمصطلح الشريف ، ص ١٦٨؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج١١، ص ١٦٤.

٢٥. العمري ، التعريف بالمصطلح الشريف ، ص ١٦٨؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج١١، ص ١٦٤

٢٦. ابن الاثير ، المثل السائر، ج١، ص٢٣٠
٢٧. المغالات : وهم الغلو الذين غلوا في حق ائمتهم حتى خرجوا من حدود الخلقية وحكموا فيهم باحكام الالهية ، فربما شبهوا واحدا من الائمة بالاله ، وربما شبهوا الاله بالخلق ، وتجاوزوا الحد المعقول والمفروض في العقائد الدينية والواجبات الشرعية ، وقد استمدوا اراءهم من مذاهب الحلولية ومذاهب التناسخية ومذاهب اليهود والنصارى وغيرهم ، نتيجة لدوافع سياسية واقتصادية ونفسية ، ينظر: الشهرستاني ، الملل والنحل ، ص١٧٣
٢٨. ابن ماجة ، سنن ابن ماجة ، ج٢، ص١٠٠٨
٢٩. فجر الاسلام ، ص٢٩٧.
٣٠. لم يكن محمود غازان اول من اعلن اسلامه بل سبق بركه خان ابن جوجي حاكم القبيلة الذهبية الذي اعلن اسلامه سنة ٦٥٣هـ/١٢٥٥م ، وكان مستاء من هولاء لقتله للمسلمين فقال: " انه قد دمر جميع المدن الاسلامية ، وقضى على اسر ملوك الاسلام جميعهم ، ولم يميز بين الصديق والعدو ، واعد الخليفة دون مشورة كبار الاسرة ، فلو امدني الله تعالى لطالبته بدماء الابرياء " ، ثم اسلام احمد تكودار ثالث حكام الدولة الايلخانية ٦٨١-٦٨٣هـ/١٢٨٣-١٢٨٥م ، وهناك عدة اسباب ادت الى دخول المغول الاسلام وانتشار بينهم ومنها: زواجهم من المسلمات ، ودور الفقهاء والعلماء واصحاب المناصب الادارية الذين عملوا مع المغول وغيرها اثر في نشر الاسلام ، والذي اصبح فيما بعد الدين الرسمي للبلاد ، ينظر: الهمذاني ، جامع التواريخ، مج٢، ج١، ص٣٣٢ ؛ ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، ج٢، ص٢٢٣.
٣١. حيث اسلام غازان على المذهب الحنفي ونطق الشهادتين امام الشيخ صدر الدين الجويني ، وبحضور الامراء والخواتين والقواد المغول وكثير من المسلمين ، فلما اسلم نثروا عليه الذهب واللؤلؤ ، واخذ الناس يقبلون يديه ورجليه ، يتباركون به ، ثم قام نوروز بتلقيه شيئا من القران ، اصدر برليغ الى جميع المغول باعتناق للإسلام والسير وفق الشرعية الاسلامية ، ينظر: ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة ، ج٤، ص٢٤٩ ؛ قزويني ، تاريخ كزيد ، ص٦٠٣ ؛ ميرخوند ، روضة الصفا، ج٥، ص٣٨٠ ؛ اقبال ، تاريخ ايران ، ص٤٥٩ .
٣٢. يرجع هذا الاهتمام الى الحادثة تتلخص عندما زار السلطان محمود غازان بغداد سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٣م " أن سيدا علويا صلى الجمعة في يوم الجمعة في الجامع ببغداد مع أهل السنة ، ثم قام وصلى الظهر منفردا فتقطنوا منه ذلك فقتلوه ، فشكا ذويه إلى السلطان فتكدر خاطره ومست عواطفه وأظهر الملاة من أنه لمجرد إعادة الصلاة يقتل رجل من أولاد الرسول صلى الله عليه وآله " ، وان هذه الحادثة لم تكن سببا لميل السلطان الى مذهب التشيع وانما هنالك اسباب له اهداف سياسية اكثر من عقائدية حتى يستطيع كسب ود هذا المذهب ويمنع قيام أي ثورات او المعارضه التي حدثت ضد النظم الحاكمة على مر التاريخ ، واراد غازان بزيارة لمرآد الائمة ان يستميلهم ضد المماليك الذين يعتبرون انفسهم حماة الاسلام ، لذلك كان يتوجه لزيارة المشاهد المقدسة قبل توجهه الى الشام لقيادة حملات عسكرية ضدهم ، ولكي يؤمن ظهره اخذ يتقرب من هذا المذهب خوفا من تعاون وتعاطف اهل السنة في العراق مع اهل السنة في الشام معتصبين حق اهل البيت [١] ، وانه مكلف بإعادة حقوقهم الضائعة ، ينظر: الهمذاني ، تاريخ غازان ، ص٢٦٩ ؛ القاشاني ، تاريخ اولجايتو ، ص٩٩ ؛ الصياد ، مؤرخ المغول ، ص٧٢ ، ص١٤٧ ؛ القزاز ، الحياة السياسية ، ص٢٩٦ .
٣٣. الهمذاني ، تاريخ غازان خان ، ص١٤٩ ؛ القزاز ، الحياة السياسية في العراق ، ص٢٩٥ .
٣٤. حيدر ، العراق في عهد غازان ، ص٣٨
٣٥. ابن الوردي ، تاريخ ، ج٢، ص٢٤٤ ؛ القاشاني ، تاريخ اولجايتو ، ص١٥ ؛ الصياد ، مؤرخ المغول ، ص١٢٦.
٣٦. لما شعر السلطان غازان باقتراب اجله جمع امراء الاسرة المالكة وكبار الدولة ورجال الحاشية والشيخ ورجال الدين والولاة ، وابلغهم وصيته : نوصي الجميع بشكل عام الحرص على الحفاظ على الأمن و أن لا يكون بعدنا أية

- اضطرابات . وأن يتم تتصيب أخونا العزيز، الذي عهدنا إليه بالسلطة بعدنا قبل أربع سنوات، فهو لدينا الوريث والخلف، وإن يحرص على الأموال المخصصة للصدقات، والأوقاف و المؤسسات الخيرية التي أسسناها، لأن هدفنا هو فعل الخير. و أكد أخيرا انه يعاقب الشر والأشرار، وعندما سيتم الإعلان عن وفاتنا في جميع المحافظات، سوف يدعوا لنا المؤمنون في صلواتهم، ينظر:الهمذاني ، تاريخ غازان ،ص٢٤٣.
٣٧. بسبب المناظرات التي حدثت بين الحنفية والشافعية حيث أخذ كل منهما في ذم عقائد الآخر مما أثار حفيظة كبار المغول، حتى قام السلطان من مجلسه غاضباً وندم الأمراء على أخذهم مذهب الإسلام، وحاولوا بعض الأمراء استغلال ظاهرة سماوية ادت الى قتل عدد من مقربي السلطان بالصاعقة ففزع== السلطان ،وطلبوا بعض امرائه حسب قاعدة المغولية لا بد أن يمر السلطان على النار ،ثم قالوا له إن هذه الواقعة من شؤم الإسلام ، فلو تركه السلطان تصلح الأمور ، ينظر: التستري ، مجالس المؤمنين ،ج٣، ص٤٣٥.
٣٨. طرمطار بن يانجو بخشي من أهالي الري وهو من الأمراء المقربين لغازان ولخدابنده وكان يتمتع بصفات عديدة عرف بقوة الحجة والفصاحة والدهاء. ينظر: العلامة الحلي، مختلف الشيعة ، ج١، ص١١١؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص٨٨؛ الأمين ،أعيان الشيعة ،ج٣، ص٦٣١.
٣٩. الطبرسي، خاتمة مستدرک الوسائل،ج٢، ص٤٠٦.
٤٠. التستري، مجالس المؤمنين، ج٣، ص٤٣٥؛ جعفریان ، الشيعة في إيران ، ص٤٧٥ .
٤١. تطلق هذا تسمية على الفرق الشيعية من الغلاة والزيدية والامامية ،والبعض يخصه الفرق الشيعية الامامية، اما تسميتهم برافضة ترجع لعدة اراء منها: ان شيعة الكوفة طلبوا من زيد بن علي بن الحسين الذي قاد ثورة ان يتبرأ من ابو بكر وعمر ، فرفض فتخللوا عنه ولم يبق الا عدد قليل ، وقبل اطلقت على أصحاب جعفر الصادق [التي برئت من المغيرة بن سعيد ورفضوه، و سمو رافضة لرفضهم امامة أبي بكر وعمر وهم مجمعون على أن النبي نص على استخلاف علي بن أبي طالب باسمه واطهر ذلك وأعلنه وان أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاه النبي " ، ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل ، ج١، ص٣٠ ،ص١٥٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية ، ج٨، ص٢٢٠.
٤٢. العلامة الحلي ،ارشاد الاذهان ، ج١، ص١٣٤؛ التستري ،مجالس المؤمنين ،ج٣، ص٤٣٥.
٤٣. العلامة الحلي ، قواعد الاحكام ، ج١، ص١١٤؛ قزويني ،تاريخ كزیده ، ص٦٠٨.
٤٤. جعفریان ، ازبورش مغولان ، ص١٠٨.
٤٥. القاشاني ، تاريخ اولجايتو، ص١٣١-١٣٢-١٣٣ ؛ قزويني، تاريخ كزیده ، ص٦٠٨ ؛ جعفریان ، سلطان محمد خدا بندا ، ص٢٨ .
٤٦. الرحلة ابن بطوطة ، ص١٩٩ .
٤٧. البديسي، شرفنامه، ج٢، ص٢٠-٢١؛ الأفندي، رياض العلماء، ج١، ص٣٦١؛ جعفریان ، سلطان محمد خدا بندا ، ص١٦-١٧-١٨.
٤٨. غضب السلطان على احدى زوجاته فقال لها : أنت طالق ثلاثاً ثم ندم فسأل العلماء لابد من محلل، فقال لكم في كل مسألة أقوال فهل يوجد هنا اختلاف ؟ فقالوا : لا : قال أحد وزرائه في الحلة عالم يقتي ببطلان هذا الطلاق فأمرهم بإحضاره فحضر العلامة الحلي ودخل على السلطان وسأله عن مسأله فقال له: أنه باطل لعدم وجود الشهود العدول وجرى البحث بينه وبين العلماء حتى ألزمهم جميعاً على أثر ذلك تشيع السلطان وخطب بأسماء الأئمة الاثني عشرية، ينظر : الخوانساري، روضات الجنات، ج٢، ص ٢٧٩-٢٨٠؛ الأمين، أعيان الشيعة، ج٢، ص١٨٤.

٤٩. هو أبو الفضائل فخر الدين محمد بن جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهر الاسدي الحلبي الملقب بفخر المحققين كان فقيهاً وحكيماً وأصولياً كريم الأخلاق فصيح العبارة وكان معروف ذو الفخر العظيم والعلم الواسع، ينظر: ابن الفوطي، مجمع الآداب، ج ٣، ص ١٣٤-١٣٥.
٥٠. جعفریان، الشيعة في إيران، ص ٤٧٧.
٥١. القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص ٩٩.
٥٢. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ١٩٩.
٥٣. جعفریان، الشيعة في إيران، ص ٤٧٦.
٥٤. هو ابراهيم بن أبي الغيث البخاري، الفقيه، الشاعر، كان إماماً من أئمة الشيعة هو ووالده، يعيش بمجدل سليم، قرية من بلاد صفد من نواحي النبطية والشقيف قبله، ثم رحل إلى العراق وأخذ عن ابن المطهر الحلبي، وعاد إلى بلده وأعتزل بيته ثم حرقه كتبة وتوفي بعد ٧٣٦هـ / ١٣٣٧م، ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٦، ص ٥٣؛ اللجنة العلمية، موسوعة الفقهاء، ج ٨، ص ٥.
٥٥. الصفدي، اعيان العصر، ج ٤، ص ٣١٥.
٥٦. مجمع الاداب، ج ٢، ص ١٣٨، ج ٤، ص ١٩٧، ص ٤٥٣.
٥٧. ذكر ابن الفوطي في ترجمة: "محيي الدين محمد النخجواني الفقيه رأيته بمخيم السلطان بأران سنة ٧٠٥هـ/ ١٣٠٥ وكان يتردد إلى النقيب رضي الدين بن طاوس الحسني"، ينظر: مجمع الاداب، ج ٥، ص ٩٢.
٥٨. جيلان اسم لبلاد كثيرة من وراء طبرستان يحدها إقليم مازندران من الشرق وموقان من الغرب وعراق العجم من الجنوب وبحر القلزم من الشمال والعجم تقول كيلان وقد نسب إليها ما لا يحصى من أهل العلم، ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٠١.
٥٩. السلطانية: تقع في عراق العجم بناها السلطان خدابنده، وتعد من أعظم المدن وأحسنها هواءاً وماءاً بها قصر لكل أمير ووزير وفيها أسواق ومدارس، ينظر: العمري، مسالك الأبصار، ج ٣، ص ١٩٩-٢٠١.
٦٠. بياني، المغول، ص ٣٤٤.
٦١. جعفریان، ازبورش مغولان، ص ١١١.
٦٢. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٢، ص ١٢٩-١٣٠؛ ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ص ٢٠٠.
٦٣. التستري، مجالس المؤمنين، ج ٣، ص ٤٣٧.
٦٤. العلامة الحلبي، قواعد الأحكام، ج ١، ص ١١٥-١١٦؛ القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص ١٠٠.
٦٥. القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص ١٠٤؛ جعفریان، سلطان محمد خدابندا، ص ٣٨.
٦٦. أصفهان: تعد من أكبر المدن وأشهرها تقع في إقليم الجبال ويطلق أسم أصفهان على الجزء الجنوبي الشرقي في إقليم الجبال سميت بأصفهان بن فلوج بن سام بن نوح □ ويقال إن معنى أسم أصفهان (الفرسان) بلغة الفرس. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٢٠٦-٢٠٧.
٦٧. القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص ١٣٢؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٢، ص ١٣٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٦٣.
٦٨. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ٢٠٠.
٦٩. اللجنة العلمية، موسوعة طبقات الفقهاء، ج ٨، ص ١٩٤.
٧٠. ابن عنبه، عمدة الطالب، ص ٣٤٢؛ اللجنة العلمية، موسوعة طبقات الفقهاء، ج ٨، ص ١٩٣.

٧١. القاشاني ، تاريخ اولجايتو ، ص ١٣٢
٧٢. النخيلة هي موضع الذي عسكر فيه امير المؤمنين □ جيشه لمقاتلة القاسطين والمارقين، المعروف ذوالكفل ،وقد خطب وصلى به ركعتين، وهذا ما حدث عندما توجه لمحاربة معاوية في حرب صفين= وقال مخاطباً: أغدوا إلى معسكركم بالنخيلة ، ثم خرج إليها وأقام بها حتى وافته الجنود من الأطراف ولم يرجع منها حتى أتاه ابن عباس بعساكر البصرة ثم أقام بها بعد رجوعه من حرب النهروان وأمر الناس أن ينزلوا بها فقالوا له يا أمير المؤمنين : نفدت نبالنا ، وكلت سيوفنا ، فارجع إلى مصرنا ، واستعد بأحسن عدتنا . فأقبل حتى نزل النخيلة ، فأمر الناس أن يلزموا عسكرهم ، ويوطنوا على الجهاد أنفسهم ويقولوا من زيارة أبنائهم ونسائهم حتى يسيروا ثانياً إلى الشام ، فأقام الناس معه بالنخيلة أياماً ثم أخذوا يتسللون ويدخلون الكوفة وتركوا المعسكر خالياً ، فلا من دخل الكوفة رجع ولا من أقام معه صبر ، فلما رأى ذلك نزل وما معه من الناس إلا رجال من وجوههم وجعل يستغفر الناس على جهاد أهل الشام، ينظر: ابن قتيبة الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ١٦٦ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك، ج ٥، ص ١٣٧ ، فضلاً عن ذلك عند ظهور المهدي (عج) يجتمع اهل الكوفة معه في هذا الموضع الذي يصلي فيه ركعتين ، فيقول الإمام الباقر □ " حتى ينتهي إلى مسجد إبراهيم □ بالنخيلة فيصلي فيه ركعتين ، فيخرج إليه من كان بالكوفة من مرجئها وغيرهم من جيش السفيناني ، فيقول لأصحابه : استطردوا لهم ، ثم يقول :كروا عليهم" ، ينظر: العياشي ، تفسير العياشي ، ج ٢، ص ٥٩ ؛ المجلسي ، بحار الانوار ، ج ٥٢ ، ص ٣٤٤ .
٧٣. ذي الكفل: هو أحد أنبياء اليهود أسمه يهوذا بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم الخليل □ ، قيل سمي بذئ الكفل ، لأنه كفل مئة نبياً لليهود عزموا على قتلهم ، وكان اليهود يزورونه في عيد رأس السنة فتقام الأفراح والمهرجانات. ينظر: ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك ، ج ١ ، ص ٣٨٨ ؛ التطيلي ، رحلة بنيامين ، ص ٣١٠ .
٧٤. ابن عنبه ، عمدة الطالب ، ص ٣٤٨ ؛ الذرب ، ذو الكفل ، ص ٢٨
٧٥. ينظر الى يعقوبي ، تاريخ يعقوبي ، ج ٢ ، ص ٤٩-٥٣ ؛ درادكة ، العلاقة العربية اليهودية ، ص ٢٦٠ وما بعدها
٧٦. مازالت اثار تلك الباب موجود من خلال زيارتي لقبر نبي ذي الكفل .
٧٧. لعل سيد تاج الدين الاوي اعتمد على قاعدة فقيه بمنع دخول اليهود الى المسجد ، بحسب فقه الامامية الذي يختلف عن فقهاء المذاهب الاخرى ، بعدم جواز دخولهم بإذن ولا بغير إذن ، أي مسجد كان لاصرارهم على كفرهم ، معتمدين على قوله تعالى: □ يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا □ ، بينما الشافعية يقولون لا يجوز له دخول المسجد الحرام بكل حال ، ويجوز له دخول غيره بإذن المسلمين ، اما الحنفية : يدخل الحرم والمسجد الحرام وكل المساجد بإذن ، وعندما زرت مسجد النخيلة ووجدت تلك الباب لكن مع الاسف ان اليهود قاموا بتغيير معالم هذا الارث التاريخي ، وخاصة بعدما اعادة ادارة هذا المكان لهم من قبل السلطة العثمانية التي احتلت العراق ، ففي سنة ١٨٨٧م رفع الحاج درب بن عباس المالكي (بتوجيه من العلامة علي خيرى) السادن لمقر ذي الكفل عريضة الى السلطان عبد الحميد كتب فيها عن الجامع وحدوده ومساحته وتاريخ المنارة وموضع المحراب والمنبر وذكر تطاول اليهود عليه وتملكهم له وما أنشأوا فيه من بنايات... فجاءت على اثر ذلك لجنة من الإستانة لاستيضاح الحقيقة وما ان وصلت اللجنة بغداد حتى اتصل بها اليهود وقدموا لها هدايا ثمينة فكتبت اللجنة تقريراً مخالفاً للواقع ونفت فيه وجود المنارة في الكفل وبعثت في تأييد قرارها صورة للقريه من احد جهاتها التي لا تظهر فيها المنارة ومن هذا التاريخ صار الناس يضربون المثل بمنارة الكفل بالنسبة لئكران الحقيقة التي لا تحتاج الى برهان ، ينظر: سورة التوبة ، آية ٢٨ ؛ الجصاص ، احكام القرآن ، ج ٣ ، ص ١١٤ ؛ السمرقندي ، تحفة الفقهاء ، ج ٣ ، ص ٣٤٤ .
٧٨. القاشاني ، تاريخ اولجايتو ، ص ١٣٢

٧٩. الهمذاني، جامع التواريخ، مج ٢، ج ١، ص ٣٣؛ القزويني، نزهة القلوب، ص ٢٣؛ ابن عنبه، عمدة الطالب، ص ٢٤٢؛ الصياد، مؤرخ المغول، ص ١٥٧.
٨٠. ابن عنبه، عمدة الطالب، ص ٣٤٢؛ الصياد، مؤرخ المغول، ص ١٥٩.
٨١. يرتقي ال فائز الى الامام موسى كاظم عليه السلام، وكانوا يسكنون الحائر وفي الصراع مع ال زحيك الذين ينتمون الى نفس البيت، وقد تنازعوا على سدانة ونقابة الحائر، ويبدو ان الهمذاني اراد استغلال هذا الموقف وتحقيق اهدافه، وقد حصل بينهم قتال بعد مقتل تاج الدين الاوي، ففي سنة ٧١٤هـ/١٣١٣م توجه ابن ابي الفائز الى السلطان خدينده فارسل معه قوات لفرض الحصار على ال زحيك واستمر هذا النزاع عندما زار ابن بطوطة كربلاء قائلا: "وأهل هذه المدينة طائفتان أولاد رخير وأولاد فائز وبينهما القتال أبداً وهم جميعاً إمامية يرجعون إلى أب واحد"، ينظر: البرزالي، المقتفي على كتاب الروضتين، ج ٢، ص ١٩٣؛ ابن بطوطة، رحلة، ص ٢١٥.
٨٢. الهمذاني، جامع التواريخ، مج ٢، ج ١، ص ٣٣؛ ابن عنبه، عمدة الطالب، ص ٣٢٤؛ الاعرجي، مناهل الضرب، ص ٤٨١-٤٨٢.
٨٣. الهمذاني، جامع التواريخ، مج ٢، ج ١، ص ٣٢-٣٣؛ الصياد، مؤرخ المغول، ص ١٥٨.
٨٤. القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص ١٣٢؛ ابن عنبه، عمدة الطالب، ص ٢٤٢.
٨٥. الهمذاني، جامع التواريخ، مج ٢، ج ١، ص ٣٣؛ القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص ١٣٢؛ القزويني، تاريخ كزيده، ص ٦٠٨؛ ابن عنبه، عمدة الطالب، ص ٢٤٢.
٨٦. ميرخواند، روضة الصفا، ج ٥، ص ٤٢٧٦-٤٢٧٧؛ خواند مير، حبيب السير، ج ١، ص ١٩٣.
٨٧. الهمذاني، جامع التواريخ، مج ٢، ج ١، ص ٤١؛ العزاوي، التعرف بالمؤرخين، ص ١٦٤.
٨٨. كان رشيد الدين وسعد الدين الساوجي صديقين حميمين يعملان في الوزارة منذ عهد السلطان محمود غازان ومتفقي الكلمة في الكليات والجزئيات لشؤون الدولة واستمرت تلك الحالة من التوافق نحو ثلاث عشر سنة، لكن بعد تولى السلطان خدينده العرش واعتناق المذهب الشيعي، بدا التنافس بين الوزراء للحصول على الامتيازات بعدما كان سعد الدين وزيرا اسما فقط بينما كان الوزير رشيد الدين الهمذاني يتمتع بصلاحيات واسعة، لذا اراد سعد الدين ان يستفيد من الوضع الجديد، ينظر: الهمذاني، جامع التواريخ، مج ٢، ج ١، ص ٢٩؛ القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص ١٠٥؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص ٤٥؛ إقبال، تاريخ إيران، ص ٣١٤؛ الصياد، مؤرخ المغول، ص ١٤٩-١٥٠، بياني، المغول، ص ٣٤٥.
٨٩. الهمذاني، جامع التواريخ، ص ٣٥.
٩٠. الصفدي، اعيان العصر، ج ٤، ص ٦٠٣-٦٠٤؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج ٥، ص ٣٥٧.
٩١. خواند مير، دستور الوزراء، ص ٣٧٣.
٩٢. علي شاه بن أبي بكر التبريزي (الجيلاني) كان يشتغل في أول أمره بائعاً للجواهر والأمتعة والأقمشة كان رجلاً في غاية المكر والدهاء أكتسب خبرة وتجربة من ممارسته التجارة فصار له إلمام واسع بشؤون المال والأعمال، وتمكن من الاتصال بالأمرء والأعيان وتوفى بأوجان عام ٧٢٤هـ/١٣٢٣م. ينظر: ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج ٤، ص ٣٤؛ إقبال، تاريخ إيران، ص ٤٨١؛ الصياد، مؤرخ المغول، ص ١٥٠.
٩٣. وكان علي شاه سمسارا في سوق الجواهر والحريز، ولم يكن يحسن حتى القراءة والكتابة، ولكن احسن الوصول الى قلب الايلخان وحريم قصوره، ينظر: القزاز، الحياة السياسية في العراق، ص ٢١٠.

٩٤. وهم الامير ناصر الدين يحيى بن جلال الدين الطبري ، والخواجه زين الدين الماستري ، والخواجه شهاب الدين مبارك شاه السباوي ، وداوود شاه ، ينظر: القاشاني ، تاريخ اولجايتو ، ص١٢٧-١٢٨ ؛ حافظ أبرو، ذيل جامع التواريخ، ص٤٥؛ خواندمير، حبيب السير، ج٣، ص١٩٢-١٩٣ .
٩٥. المحول :بليدة بينها وبين بغداد فرسخ،ينظر :ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٥، ص٣٤٥-٣٤٦
٩٦. اتهم رشيد الدين بدس السم للسلطان خدابنده عن طريق ابنة ابراهيم المسؤول على شراب السلطان الذي سقا الخان شرابا مسموما ادى الى موته ،وقد شهد عليه عدد من الامراء المقربين الى تاج الدين علي ، فجرت محاكمته وامر السلطان بو سعيد بقتله وقطع جسده، وحمل رأسه إلى تبريز ثم قطعت أعضاؤه وحمل إلى كل بلد عضو ، ينظر: الصفدي ، الوافي بالوفيات ،ج٢، ص٥٨؛ المقرئزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٣، ص١١ ؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة ،ج٤، ص٢٧١-٢٧٢؛خواند مير، دستور الوزراء، ص ٣٧٧؛ بياني ، المغول ، ص٣٧٢
٩٧. كان قاضي الحنابلة انذاك أحمد بن حامد بن عصبه ،تولى قضاء بغداد، وكان فيها بمنزلة الأستاذ إلا أن خربندا ثم تغير عليه ومات سنة ٧٢٠هـ / ١٣٢٠م، ينظر: الحنبلي ، ذيل طبقات الحنابلة، ج٤، ص٤٣٨-٤٣٩؛ الصفدي، اعيان العصر، ج١، ص ٢٠٧؛ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة ،ج١، ص١٣٥
٩٨. وصاف الحضرة ، تاريخ وصاف الحضرة:، ص٥٣٨؛ ايتي ، تحرير تاريخ وصاف ، ص٣٠٢
٩٩. بياني ، مغول ، ص٣٤٥.
١٠٠. القاشاني ، تاريخ اولجايتو ، ص٢٠٥
١٠١. الامين ،اعيان الشيعة ، ج٦، ص١٥١.
١٠٢. القاشاني ، تاريخ اولجايتو ، ص٢٠٥ .
١٠٣. اعتلى ابو سعيد بهادر العرش الإيلخاني، كانت بداية لسقوط دولتهم، اذ تسلم الحكم وعمره اثنتا عشرة سن ،لذلك لم يستطيع ادارة شؤون البلاد، فتولى امور البلاد عنه امير الامراء جوبان الذي سيطر على مقاليدها في تنصيب وتعين واصبح له الكلمة العليا ولم يبق للسلطان بوسعيد سوى الخطبة والسكة حتى سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٨م عندما قام بو سعيد بالقضاء على بيت الجوباني ، اصبحت الاوضاع اكثر تعقيدا بموته مفاجئة سنة ٧٣٦هـ /١٣٣٧م الذي لم يترك وريثا له ،فالحكام الذين جاءوا للسلطة كانوا ضعفاء الارادة ،مما ادى الى ظهور قوى اخرى المتمثلة بالجلائريون ،وتاسست هذه الدولة بقيادة حسن بزرگ، ينظر: ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة، ص٢٢٣؛ ابن تغري بردي ،المنهل الصافي ،ج٢، ص٢٩٠.
١٠٤. شبولر، تاريخ مغول، ص١٩٦؛ خصباك، العراق في عهد المغول، ص١٨٢.

المصادر والمراجع

اولا: المصادر .

- ابن الاثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد (ت٦٣٧هـ/١٢٣٩م)
- ١. المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر، قدمه وعلق عليه: احمد الجوفي ،وبدوي طبانه ، دار نهضة مصر ،القاهرة ،د٠ت
- البرزالي ،القاسم بن محمد بن يوسف، (٧٣٩هـ/١٣٣٩م).

٢. المقتفي على كتاب الروضتين المعروف ب: تاريخ البرزالي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المطبعة العصرية، بيروت، ٢٠٠٦م.
- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م)
٣. تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المشهور بـ "رحلة ابن بطوطة، دار التراث، بيروت، ١٩٦٨ م
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، (ت ٧٢٨هـ / ١٣٢٧م).
٤. مجموع الفتاوى، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار، ط ٣، دار الوفاء، د - مك، ٢٠٠٥م.
- الجصاص، أبي بكر أحمد بن علي الرازي (ت ٣٧٠هـ / ٩٨٠م)
٥. احكام القرآن، ضبطه: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤ م.
- ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م)
٦. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢ م.
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م)
٧. الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، ط ٢، حيدر اباد، الهند، ١٩٧٢ م.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)
٨. تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧م
- ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد (ت ٧٩٥هـ / ١٣٩٣م)،
٩. الذيل على الطبقات الحنابلة، دار المعرفة، بيروت، د. ت.
- زين العابدين، علي بن الحسين (ت ٩٤هـ / ٧١٢م)
١٠. شرح رسالة الحقوق، شرح: حسن السيد علي القبانجي، ط ٢، مطبعة إسماعيليان، قم، ١٤٠٦
- السمرقندي، علاء الدين (ت ٥٣٩هـ / ١١٤٤م)،
١١. تحفة الفقهاء، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م)
١٢. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد عبد الرحيم، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٥م.
- الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، (ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م).
١٣. الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، د. ت
- الصفدي، خليل بن ايبك بن عبد الله (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م)
١٤. الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث بيروت، ٢٠٠٠م.
- ابن طاووس، رضي الدين علي بن موسى (ت ٦٦٤هـ / ١٢٦٦م)
١٥. اقبال الاعمال، تحقيق: جواد قيومي الإصفهاني، مكتب الإعلام الإسلامي للطباعة، د. م، ١٤١٤ هـ.
- ابن الطقطقا، محمد بن علي بن طباطبا (حيا ٧١٢هـ / ١٣١٢م).
١٦. الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تحقيق: عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي، بيروت، ١٩٩٧ م
- العلامة الحلي، الحسن بن يوسف بن المطهر (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م)،
١٧. ارشاد الازهان إلى أحكام الإيمان، تحقيق: فارس الحسون، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٠ هـ.
- العمري، أحمد بن يحيى، (ت ٧٤٩هـ / ١٣٥٠م).

١٨. التعريف بالمصطلح الشريف ، تحقيق ،محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ،بيروت ،١٩٨٨م
- ابن عتبة، جمال الدين أحمد بن علي الحسيني (ت ٨٢٨هـ/١٤٢٤م)
١٩. عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ،عنى بتصحيحه ،محمد حسن آل الطالقاني ، ط٢ ،المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٩٦١ م
- ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق(ت٧٢٣هـ / ١٣٢٣م)
٢٠. الحوادث الجامعة او التجارب النافعة في المائة السابعة ، تحقيق:مهدي نجم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،٢٠٠٣م
-
٢١. مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق : محمد الكاظم، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ١٤١٦هـ.
- القلقشندي ،أحمد بن علي بن أحمد(٨٢١هـ / ١٤١٨م) ،
٢٢. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء،تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية ،بيروت، د-ت
- ابن كثير، ابو الفداء إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ/١٣٧٥م)،
٢٣. البداية والنهاية ، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨.
- الماوردي، علي بن محمد(٤٥٠هـ/١٠٥٨م)
٢٤. الاحكام السلطانية والولايات الدينية ،مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر ، ١٩٦٦ م .
- ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر(ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م)،
٢٥. تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٩٦م
- أبو الوفاء القرشي،أبو محمد عبد القادر،(ت٧٧٥هـ/١٣٧٣م).
٢٦. الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، تحقيق :عبد الفتاح محمد الحلو، ط٢، د.م ، ١٩٩٣م.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)
٢٧. معجم البلدان ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت ، ١٩٧٩ م
- اليعقوبي، احمد بن يعقوب بن جعفر (ت٢٨٤هـ / ٨٩٧م) ،
٢٨. تاريخ اليعقوبي، دار صادر ،بيروت ،د.ت،
- ثانياً: المصادر الفارسية والمعرية :
- البدليسي، شرف خان (ت ١٠١٢هـ / ١٦٠٣م).
٢٩. شرفنامه، ترجمة: محمد علي عوني، راجعه، يحيى الخشاب ، دار أحياء التراث العربي، دمشق ، ١٩٦٢م.
- التستري ،نورالله المرعشي (ت١٠١٩هـ / ١٦١٠م)
٣٠. مجالس المؤمنين ، تعريب وتحقيق :محمد شعاع فاخر ،مطبعة شريعت، قم، ١٤٣٣ق.
- حافظ ابرو، حافظ عبد الله بن لطف الله الخوافي (ت ٨٣٨هـ / ١٤٣٤م).
٣١. ذيل جامع التواريخ رشدي، شركت تضامني علمي، طهران، ١٣١٧هـ.ش.
- خواندمير، غياث الدين بن همام الدين الحسيني(ت٩٤٢هـ / ١٥٣٥م)
٣٢. تاريخ حبيب السير في اخبار افراد البشر ، جابخانه حيدري، طهران، ١٣٨٠ش.
٣٣. دستور الوزراء ، تصحيح سعد نفيسي ، طهران ، ١٣١٧هـ.ش
- السبزواري، محمد بن محمد ، (من أعلام القرن السابع الهجري/ القرن الثاني عشر الميلادي)

٣٤. معارج اليقين في أصول الدين (جامع الاخبار)، تحقيق :علاء آل جعفر، قم، ١٩٩٣ م.
 - القاشاني، ابو القاسم عبد الله بن محمد (كان حيا عام ٧٣٤هـ / ١٣٣٥م).
 ٣٥. تاريخ اولجايتو: (تاريخ پادشاه سعيد غياث الدين والدنيا اولجايتو سلطان محمد، اهتمام : مهيمن همبلي ، تهران ، انتشارات بنگاه ، ١٣٤٨هـ.
 - قزويني، حمد الله بن ابي بكر المستوفي (ت ٧٥٩هـ / ١٣٤٩م).
 ٣٦. تاريخ كزيده، باهتمام عبد المحسن نوائي، طهران، ١٣٣٦هـ.ش.
 ٣٧. نزهة القلوب، تحقيق: محمد دبیر سياقي، حديث سرور، قزوين، ١٣٨١ش.
 - ميرخواند، حميد الدين محمد بن خواوند شاه بن محمود (ت ٩٠٣هـ / ١٤٩٨م).
 ٣٨. تاريخ روضة الصفا في سير الأنبياء والملوك والخلفاء ، جاب بيروز ، طهران ، ١٣٣٩هـ.ش.
 - الهمذاني ، رشيد الدين فضل الله (ت ٧١٨هـ / ١٣١٨م)
 ٣٩. جامع التواريخ ، ترجمة : محمد صادق نشأت وآخرون ، مطبعة وزارة الثقافة والارشاد ، القاهرة ، ١٩٦٠م.
 ٤٠. جامع التواريخ (تاريخ غازان خان)، ترجمة : فؤاد عبد المعطي الصياد ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٠م
- ثالثا/ المراجع :**
- الافندي ،الميرزا عبد الله (ت ١١٣٠هـ / ١٧١٨م)
 ٤١. رياض العلماء وحياض الفضلاء، تحقيق: السيد احمد الحسين، د- مط، قم ، ١٤٠٣هـ.
 - الامين ،محسن ،
 ٤٢. اعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٣م
 - بياني، شيرين
 ٤٣. المغول التركيبية الدينية والسياسية، تعريب، سيف علي ، المركز الاكاديمي للأبحاث ، بيروت، ٢٠١٣م.
 - جعفريان ، رسول.
 ٤٤. سلطان محمد خدابندا (اولجايتو) وتشيع أمامي در إيران ، كتابخانه تخصصي، تاريخ إسلام إيران ، قم ، ٢٠٠٠م.
 ٤٥. الشيعة في ايران، تعريب: علي هاشم الأسدي، مؤسسة الطبع، الاستانة، د.ت.
 ٤٦. از يورش مغولان تازوال تركمانان ، د - مط ، تهران
 - خصباك، جعفر حسين
 ٤٧. العراق في عهد المغول الايلخانيين، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٨م
 - الخوانساري، محمد باقر بن زين العابدين
 ٤٨. روضات الجنات في احوال العلماء و السادات، اسماعيليان ، قم ، د. ت
 - الصياد ، فؤاد عبد المعطي،
 ٤٩. مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.
 - القزاز ،محمد صالح داود
 ٥٠. الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الاخير، مطبعة الفضاء ، النجف ، ١٩٧١م
 - المقدسي ، انيس،
 ٥١. رسائل ابن الاثير ،مطبعة المجمع العلمي ، بيروت ، ١٩٥٩م